الأكاديمية العربية الدولية
Arab International Academy

الأكاديمية العربية الدولية

المقررات الجامعية

www.aiacademy.info | care@aiacademy.info

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

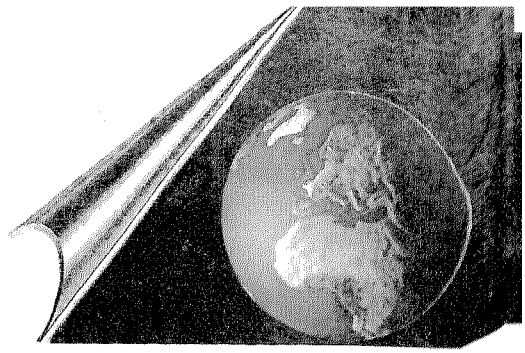

١
الجـــزء الأول

تاريخ أوروبا والعالم في العصر الحديث

د. عبد العظيم رمضان

الهيئة المصرية العامة للكتاب

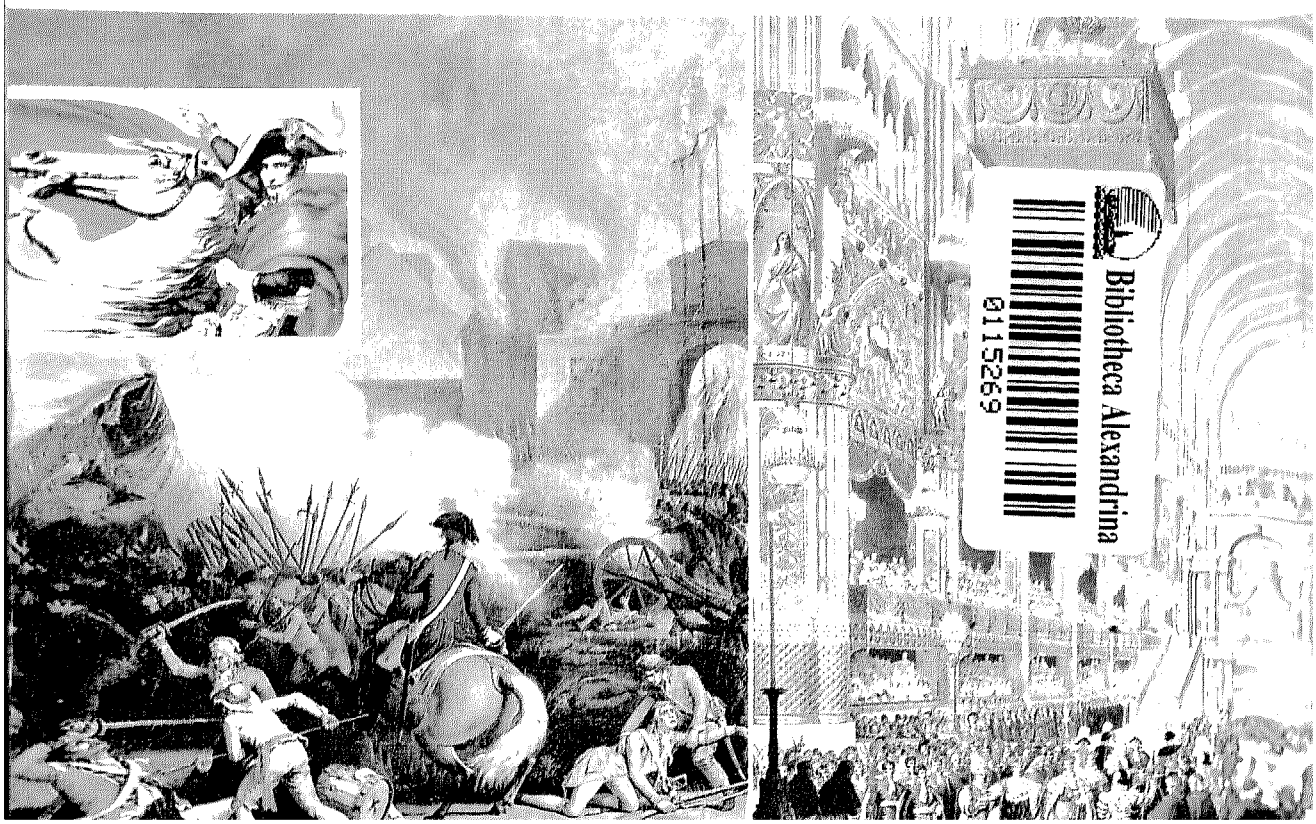

Bibliotheca Alexandrina
0115269

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تقديم

يسرنى أن أقدم للقارئ هذا الكتاب عن تاريخ أوروبا والعالم الحديث، من ظهور الطبقة البورجوازية الأوروبية إلى الحرب الباردة، ويشتمل على تسعة قرون، تبدأ بالقرن الحادى عشر وتنتهى بالقرن العشرين. وهذه القرون التسعة تضم بين ضفتيها تاريخ العالم الحديث بكل سماته وخصائصه ومعالمه التى تميزه عن العالم الوسيط.

ومعنى ذلك أن هذا الكتاب يختلف عن كتب المدرسة التقليدية فى كتابة التاريخ، سواء فى أوروبا أو مصر، التى تنظر إلى التاريخ من منظور سياسى بحت، وتفسر كل ما يطرأ عليه من تغييرات وتطورات اقتصادية واجتماعية فى ضوء هذا المنظور، فتقلب التاريخ رأساً على عقب، وتقدم فيه النتائج على المقدمات، وتخلط الأحداث السياسية مع الأحداث الاقتصادية والاجتماعية دون تمييز.

وقد تمثل ذلك فيما جرى من خلاف بين فرق المدرسة التقليدية حول بداية التاريخ الحديث. فالبعض بدأ بعصر النهضة فى القرن الرابع عشر، على أساس أنه مرحلة انتقال بين العصر الوسيط والعصر الحديث. والبعض الآخر بدأ بالقرن الخامس عشر على أساس أن هذا القرن هو الذى وقعت فيه الأحداث التى أثرت فى مجرى التاريخ، ففيه سقطت القسطنطينية فى أيدى الأتراك العثمانيين سنة ١٤٥٣م، وسقطت غرناطة فى أيدى قوات فرديناند وإيزابيلا سنة ١٤٩٢م، وبذلك بدأ التاريخ الحديث.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على أن البعض بدأ التاريخ الحديث بالقرن السادس عشر، على أساس أنه القرن الذى ظهرت فيه الدولة الحديثة وحركة الإصلاح الدينى، وما نتج عن هذين الحدثين العظيمين من حروب.

والبعض الآخر بدأ بالقرن السابع عشر، على أساس أنه القرن الذى وقعت فيه حرب الثلاثين عاماً، والثورة العظمى فى إنجلترا، وتفوق فرنسا، وحروب الوراثة الأسبانية. بل إن بعض المدارس السوفيتية حددت بداية التاريخ الحديث بالثورة البورجوازية فى إنجلترا فى القرن السابع عشر.

وواضح أن هذه المدارس تقدم التاريخ مقلوباً على رأسه، إذ تقدم النتائج على المقدمات ـ كما ذكرنا ـ فعصر النهضة كان نتيجة وليس مقدمة للتاريخ الحديث، وظهور الدول القومية الحديثة وحركة الإصلاح الدينى وحرب الثلاثين عاماً، والثورة العظمى فى إنجلترا، وتفوق فرنسا، وحرب الوراثة الأسبانية ـ هذه كلها نتائج لتغيير علاقات الإنتاج التى بدأت بظهور الطبقة البورجوازية فى أوروبا فى رحم المجتمع الاقطاعى، وتغييرها علاقات الإنتاج من علاقات إنتاج إقطاعية إلى علاقات إنتاج بورجوازية، وبذلك تغير البناء الفوقى تغيراً كلياً، وهو ما يمثل التاريخ الحديث.

فالتاريخ الحديث هو تاريخ الطبقة البورجوازية بقدر ما يعتبر تاريخ العصور الوسطى هو تاريخ الطبقة الإقطاعية، والعصور التاريخية تبدأ بتغير علاقات الإنتاج، ولا تبدأ بأحداث سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية، فهذه العلاقات تمثل البناء التحتى الذى ينبنى فوقه البناء السياسى والعسكرى والقانونى والدينى والفنى والأدبى والفكرى والعلمى والعلاقات الدولية وكل ما يكوِّن الحضارة البشرية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومن هنا كان علينا فى هذا الكتاب أن نقيم التاريخ على قدميه بعد أن كان مقلوباً على رأسه. فنبدأ بالطبقة البورجوازية الأوروبية التى غيرّت وجه الحياة فى أوروبا والعالم، وصبغتها بصبغتها، وننتقل إلى نتائج ظهور هذه الطبقة فى البناء الفوقى، المتمثلة فى النهضة الأوروبية التى نشأت على يد الطبقة البورجوازية فى المدن التجارية فى إيطاليا، وما أحدثته من تغيير فى الفكر والفلسفة والعلوم والفنون والاعتقاد.

ثم ننتقل إلى حركة الإصلاح الدينى باعتبارها إحدى نتائج ظهور الطبقة البورجوازية، وما قامت به من إعادة النظر فى الحياة الدينية التى كانت خاضعة للكنيسة فى العصور الوسطى، بحكم سيطرتها على الدين وقراءة الإنجيل، وامتلاكها وسائل الإنتاج.

ثم ننتقل بعد ذلك إلى ظهور الدول القومية كنتيجة لتحطيم حواجز الإقطاع على يد الطبقة البورجوازية، واتجاه هذه الدول القومية إلى إثبات ذاتها عن طريق التوسع فى أوروبا، الأمر الذى يؤدى إلى «الحروب الإيطالية»، وكذلك التوسع خارج أوروبا، وهو ما يؤدى إلى حركة الكشوف الجغرافية والمرحلة الاستعمارية الأولى، وهى الحركة التى قامت على يد الطبقة البورجوازية ولم تقم على يد الطبقة الإقطاعية التى كانت بعيدة بتفكيرها عن التطلع إلى ما وراء البحار.

ثم يمضى تاريخ العالم الحديث على يد الطبقة البورجوازية، فتغير النظام السياسى فى أوروبا الذى كان قائماً على أساس نظام الملكية المطلقة فى القرن السابع عشر، إلى نظام الملكية المستبدة المستنيرة فى القرن الثامن عشر، والذى كان سائداً فى دول أوروبا فيما عدا فرنسا، فتنشب الثورة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفرنسية بفكر قومى واجتماعى جديد يستهدف القضاء على بقايا الإقطاع، وهدم الطبقة الإقطاعية وإسقاط الحق الإلهى للملوك فى الحكم الذى ساد فى القرنين السابع عشر والثامن عشر، وقيام الدولة القومية على أساس تشخيص الشعب للدولة وليس الملك كما كان الحال منذ بداية العصر الحديث.

ولكن يترتب على هدم الحق الإلهى للملوك فى الحكم أن تهب الدول والأسر الحاكمة فى أوروبا التى تستشعر الخطر، لمحاربة الثورة الفرنسية، وإخماد فكرها الثورى حتى لا ينتقل إلى الدول التى تحكمها، وبذلك تفسح المجال لظهور نابليون للدفاع عن مبادئ الثورة الفرنسية، وإعادة تقسيم أوروبا على أساس هذه المبادئ، فتنقسم أوروبا بين النظم الديموقراطية والنظم الاستبدادية. ولكن النظم الاستبدادية تنتصر على نابليون، وتعيد فى مؤتمر فيينا الذى عقد بعد هزيمة نابليون، الأسر الحاكمة الاستبدادية القديمة.

وهنا يتغير تاريخ أوروبا بالحركات القومية والدستورية التى تتصارع مع النظم الاستبدادية التى فرضت سيطرتها من جديد على أوروبا، وتتلقى هذه الحركات دعماً من علاقات الإنتاج البورجوازية الجديدة التى ظهرت بعد أن هدمت الثورة الفرنسية علاقات الإنتاج الإقطاعية القديمة، فيحدث التطابق بين علاقات الإنتاج ووسائل الانتاج، ويترتب على ذلك الثورة الصناعية التى انتقلت بالبورجوازية الأوروبية إلى مرحلة جديدة من حياتها، هى مرحلة توحيد السوق الداخلية فى البلاد التى نضجت لهذا التوحيد، وتحقيق وحدتها القومية بالتالى.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لذلك تتحقق الوحدة الإيطالية على يد كافور، وفى المانيا على يد بسمارك. وفى الولايات المتحدة يكون انتصار الشمال الرأسمالى فى الحرب الأهلية الأمريكية بداية تحقيق الوحدة القومية الأمريكية على أسس راسخة. وفى اليابان تتمكن البورجوازية اليابانية الصناعية من نقل اليابان من مرحلتها الإقطاعية إلى المرحلة الرأسمالية.

وكل ذلك يدفع البورجوازية فى العالم الصناعى، بعد توحيد سوقها الداخلية، إلى البحث عن أسواق جديدة، ولكنها تختلف عن الأسواق القديمة فى المرحلة التجارية فى أنها أسواق للحصول على المواد الخام اللازمة للصناعة بأرخص الأسعار، وتسويق المنتجات الصناعية التى تضخها مصانع أوروبا وأمريكا واليابان بأغلى الأسعار.

ويتطلب الصراع على الأسواق فى أواخر القرن التاسع عشر عقد الاتفاقات الاستعمارية من جديد لتقسيم الأسواق، فيتم تقسيم أفريقيا فى مؤتمر برلين فى عام ١٨٨٤م و١٨٨٥م، وفى الوقت نفسه تقوم التحالفات الأوروبية وفقاً لمبدأ توازن القوى، ولكن كل ذلك يفشل فى منع الحرب، فتنشب الحرب العالمية الأولى فى عام ١٩١٤م وتستمر أربع سنوات.

وعندما تنتهى الحرب العالمية الأولى تكون قد اختفت الإمبراطوريات الأربع التى ظلت تملأ صفحات التاريخ الأوروبى بالحروب، وهى: إمبراطورية النمسا والمجر، والإمبراطورية العثمانية، والإمبراطورية الروسية، والإمبراطورية الألمانية، وتسقط بذلك أسر «الهابسبورج» وآل عثمان، وأسرة رومانوف، وأسرة هوهنزوليرن.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتتعلم البورجوازية الغربية الدرس، فتعيد تقسيم العالم من جديد على أسس قومية، بعد أن أصبحت الدولة القومية لا محيص عنها لتوحيد السوق الداخلي، وتأتي بنظام دولي جديد هو نظام عصبة الأمم، وتحاول وضع العملاق الألماني في قمقم باقتطاع أطرافه وضمها إلى الدول القومية المجاورة. وفي الوقت نفسه ينهار النظام الإقطاعي والرأسمالي في روسيا بانتصار الثورة الاشتراكية في أثناء الحرب.

وهنا يظهر، كرد فعل مضاد له، النظام الفاشي في ألمانيا النازية وإيطاليا الفاشية، ويكون هذا النظام الفاشي تعبيراً عن دكتاتورية الطبقة البورجوازية لحماية نفسها من النظام الشيوعي. ويؤدي الصراع الاستعماري من جديد بين الدول الليبرالية والشيوعية من جهة، والدول الفاشية من جهة أخرى، إلى الحرب العالمية الثانية، بعد فشل نظام عصبة الأمم وعجزها عن منع الحرب.

وتنتهي الحرب بهزيمة الدول الفاشية والنازية، وانتصار الدول الليبرالية والشيوعية، وتحاول الدول المنتصرة تقسيم العالم من جديد على أسس القومية، وتقيم على أنقاض عصبة الأمم نظام هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن.

ولكن التناقض بين النظم الليبرالية والنظم الشيوعية يدفع إلى صراع دولي على أساس جديد، وهو الأساس الأيديولوجي، حيث تواجه البورجوازية الغربية أكبر تحد لها على مدى تاريخها من جانب نظام يقوم على طبقة البروليتاريا، وتكاد تتحقق نبوءة ماركس بأن البورجوازية في نموها تنمو معها بذور فنائها، وهي الطبقة العاملة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويؤدى هذا الصراع إلى نوع جديد من الحروب لم تشهده البشرية، وهى الحرب الباردة. وهى التى نختم بها هذا الكتاب.

وسوف يلاحظ القارئ أن هذا الكتاب، على الرغم من أنه يدور فى إطار أيديولوجى، فإنه يتبع المنهج التاريخى من ناحية تقسيماته التى تقوم على أساس زمنى، وهو أمر طبيعى استلزمه تتبع النشاط السياسى والاقتصادى والاجتماعى للبورجوازية الأوروبية، والذى كان يحدث بشكل تكاملى ومراحل تترتب على مراحل.

وبالنسبة لكتاب فى هذا الحجم كان من الضرورى إعطاء أولويات فى التناول، وتوسيع فى بعض الموضوعات وتضييق فى بعضها الآخر، وفقاً لرؤية المؤرخ. كما تطلب ذلك التركيز على بعض الموضوعات والاكتفاء بالإشارة إلى موضوعات أخرى فى شكل تحليلى. وهذا ما يميز الكتب عن الموسوعات التاريخية، فهدفنا هو أن يلم القارئ بما طرأ على العالم الحديث من تطور تاريخى فى إطار كتاب محدود بصفحاته وليس فى إطار موسوعة تتكون من مجلدات.

وقد حرصت حرصاً شديداً على أن أُتبع كل اسم أجنبى بحروفه اللاتينية، لأنها الأساس فى النطق، ولأن تعريب الأسماء يخضع لاجتهادات المؤرخين وفقاً لاتساع معرفتهم باللغات المختلفة، وبالتالى فإن معرفة الأسماء وفقاً لحروفها العربية فيه تضليل كبير للقارئ الذى من الأفضل له أن يعرف الشكل الأجنبى الذى هو الأساس. وإن كان ذلك لم يمنعنا من كتابة الأسماء التى تعورف عليها بين المؤرخين وفقاً لاجتهاداتهم، اعتماداً على أن إثبات النص الأجنبى فيه الكفاية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهذا ما دعانى إلى تقديم الخرائط فى غالبيتها فى هذا الكتاب بلغتها الإنجليزية، اعتماداً على أننى قدمت للقارئ اسم البلد بالحروف اللاتينية إلى جانب الحروف العربية، وبالتالى فلا صعوبة أمامه فى العثور على بغيته فى الخرائط الأجنبية. هذا فضلاً عن أن الخرائط الأجنبية أكثر دقة ولا لبس فيها ولا غموض. ووجودها فى هذا الكتاب يغنى القارئ عن اللجوء إلى الكتب الإنجليزية التى قد يصعب حصوله عليها. وقد آثرت وضع الخرائط جميعها فى نهاية الكتاب لسهولة الرجوع إليها فى فهرس الكتاب.

وقد ذيلت الكتاب بعدد كبير من المراجع لمن يرغب فى الاستزادة، واعترافاً بفضلها فى تحضير مادة هذا الكتاب، وهى كتب إنجليزية، ومترجمة عن الإنجليزية أو الفرنسية أو عربية. وقد أودعت فى هذا الكتاب خلاصة خبرتى فى تدريس التاريخ الأوروبى وتاريخ العالم فى الجامعات المصرية إنطلاقاً من المادية التاريخية التى أرى أنها أقوى أداة لتفسير التاريخ.

والله الموفق ...

أ. د. عبدالعظيم رمضان

الهرم فى ١٥ يوليو ١٩٩٦م

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الأول

ظهـــور
الطبقة البورجوازية الأوروبية وتطورها

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ظهور
الطبقة البورجوازية الأوروبية وتطورها

يعتبر بروز الطبقة البورجوازية (أو الرأسمالية) الأوروبية على المسرح الأوروبى بداية التاريخ الحديث، والعامل الأساسى المحرك لتاريخه. ويمكن تبين أهمية هذه الطبقة فى صنع تاريخ أوروبا الحديث، إذا عرفنا أن النظام الرأسمالى ليس نظاما اقتصاديا فحسب، وإنما هو نظام فكرى واجتماعى وسياسى وقانونى وفلسفى. ويكفى معرفة أن الطبقة البورجوازية (الرأسمالية) صبغت التاريخ الحديث بصبغتها بنفس الدرجة التى صبغت بها الطبقة الإقطاعية العصور الوسطى.

من هنا إذا كان الإقطاع هو سمة العصور الوسطى الرئيسية، فإن البورجوازية هى سمة العصور الحديثة الأساسية. والسبب فى ذلك واضح كل الوضوح، وهو أنها كانت الطبقة الاجتماعية التى تملك وسائل الإنتاج فى العصور الحديثة، فى حين كانت الطبقة التى تملك وسائل الإنتاج فى العصور الوسطى، هى الطبقة الإقطاعية، وحين تملك طبقة اجتماعية وسائل الإنتاج، فإنها تتمثل فيها علاقات الإنتاج، فنقول: علاقات الإنتاج الإقطاعية، ونقول: علاقات الإنتاج الرأسمالية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويرتبط ظهور الطبقة البورجوازية الأوروبية بظهور المدن منذ القرن الحادى عشر. وتختلف هذه المدن عن المدن الرومانية القديمة التى ازدهرت فى عصر الرومان، والتى كان لها شأن كبير فى الإمبراطورية الرومانية كمراكز إدارية وحضارية واقتصادية. فإن هذه المدن كانت قد ذبلت نتيجة لانهيار وسقوط الإمبراطورية الرومانية على يد البرابرة الجرمان، وماتبع ذلك فى القرون التالية من انتشار النظام الإقطاعى الذى حلت فيه الضياع الكبيرة محل المدن. ولن ندرك أهمية التغيير الذى أحدثه ظهور هذه المدن الجديدة على يد الطبقة البورجوازية فى أوروبا فى البناء الفوقى السياسى والقانونى والفكرى، إلا إذا عرفنا لمحة عن النظام الإقطاعى فى أوروبا.

لقد قام النظام الإقطاعى فى أوروبا على أساس اقتران امتلاك الأرض بحق امتلاك نواحى الحكم والسلطان على من يكون بتلك الأرض من الناس، وبالتالى أصبح معظم أهل الريف يعيشون فى حال انتقالية بين الحرية والرق، وهى الحال التى عرفت باسم القنية Serfdom فى مطلع العصور الوسطى ومابعدها. وكانت الزراعة والفلاحة هى قوام ذلك المجتمع الإقطاعى، على العكس من المجتمع البورجوازى، ومن ثم فقد أصبح سواد هذا المجتمع مكوناً من الفلاحين.

وكان محور الدائرة التى عاش فيها فلاّحو العصور الوسطى هى القرية، وكانت مظاهر الحياة فى تلك القرية هى مظاهر الحياة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العادية التى تصحب عادة مجتمعاً يعيش كله على الزراعة. فإلى جانب الكنيسة، وبيوت الفلاحين، وأجران المحاصيل، كانت هناك دكاكين أصحاب الحرف اللازمة لمجتمع ذى اكتفاء ذاتى. وكان الفلاح يزرع حصته من الأرض الزراعية، التى منحها إياه سيده الإقطاعى، ويسكن بيته الحقير، وبجواره حقل صغير يزرع فيه مايستعين به على قوته اليومى من خضر وبقول.

وكان هذا الفلاح مربوطا إلى أرضه، لايملك الحرية فى الانتقال منها، وعليه أن يؤدى واجبات تبعيته لسيده كاملة، هذا عدا أنه ظل يباع ويشترى ويبدل بغيره حسبما يشاء سيده الإقطاعى.

ولم يكن هذا السيد فى الحقيقة إلا تابعاً هو الآخر لسيد أكبر منه يدين له بالولاء ويؤدى له خدمات حربية معينة. وكان السيد الإقطاعى بموجب النظام الإقطاعى هو الحاكم فيما تحت يده من الأراضى، التى كان يطلق عليها اسم (الدومين)، وفيمن عليها من السكان. وكان يقوم بتدبير الشئون السياسية والإدارية من قصره الكبير، الذى كان حصنه الحصين وملاذه الأمين بالضرورة.

وهكذا كان شأن المجتمع الإقطاعى فى خطوطه العريضة: قاعدته الأساسية الزراعة، والغالبية العظمى من السكان هم من الأقنان المرتبطين بالأرض ارتباطا شديدا، والذين يدينون بالتبعية التامة لقلة من النبلاء الإقطاعين الذين يمتلكون الأرض وسكانها معا. والذين يدينون بدورهم بالتبعية لنبلاء أكبر منهم حتى الوصول إلى الملك.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على أن هذا المجتمع الراكد لم يلبث أن دب فيه تطور جديد خطير، أدى فى النهاية إلى قلب أوضاعه قلبا تاما. وذلك بظهور النشاط التجارى فى أوروبا منذ القرن الحادى عشر، ونمو الطبقة البورجوازية التجارية فى عالم السلطتين الاقتصادية والسياسية، وازدهار المدن، التى أصبحت المراكز الأساسية للحركة التجارية الجديدة.

ويجد المؤرخون صعوبة فى اكتشاف السبب الذى دفع بهؤلاء التجار منذ بداية الأمر إلى أن يستبدلوا بحياة الزراعة المضمونة الرزق، والتى يتوافر فيها الأمن والطمأنينة، حياة التجارة الحافلة بالقلاقل والمغامرات والهزات الاقتصادية.

ويعتقد هؤلاء المؤرخون أن هؤلاء التجار كانوا من أولئك المغامرين المهرة الذين نبتوا من بين أسوأ الطبقات حالا ومستوى فى المجتمع الإقطاعى، والذين اضطروا نظرا لعدم حيازتهم أية أرض يزرعونها إلى العمل كأجراء فى أوقات الحصاد، وكمرتزقة فى الجيش.

ولابد أن ظاهرة ازدياد عدد السكان التى ظهرت فى القرن العاشر الميلادى قد ساعدت على تضخم أعدادهم. ومثل هؤلاء كانت التجارة تفتح لهم بابا عريضا للربح والثروة، ولذلك فقد أجّروا أنفسهم كبحارة أو مجدفين إلى غير ذلك من الأعمال، وعرف الكثيرون منهم اللغات الأجنبية، وعادات الأمم وحاجات الشعوب.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولاشك أنهم استفادوا من المجاعات التى كانت كثيرا ما تنتشر فى تلك العصور، فإن قليلا من زكائب القمح تباع فى بلد مهدد بالمجاعة يمكن أن تأتى بربح عظيم.

وعلى ذلك فلم يمض وقت طويل حتى ظهرت طبقة من الأغنياء الجدد من بين تلك الجماعات البائسة، التى لم تكن تمتلك شيئا من الأرض، وكانت مضطرة إلى العيش على صدقات الكنيسة تارة، وعلى البحث عن عمل تارة أخرى.

وهذا يؤدى بنا إلى القول بأن طبقة التجار التى ظهرت فى القرنين العاشر والحادى عشر قد بدأت نشاطها دون رأس مال، وأن القروض قد لعبت الدور الأول فى هذا الطور من أطوار حياة هذه الطبقة. وتمتاز هذه الطبقة بأنها طبقة محترفة، لاتعتبر التجارة بالنسبة لها ثانوية أو حرفة تزاول بين الحين والحين، بل حرفة تزاول بانتظام، ويعتمدون عليها، لا على الأرض، فى معاشهم وأرزاقهم.

على أن أحوال المجتمع الإقطاعى الذى نشأت فيه هذه الطبقة لم تكن مما يتيح لها النمو فى يسر والتطور فى سرعة وسهولة. ففى ذلك الحين كانت قيود المجتمع الإقطاعى تعرقل التجارة الداخلية، فقد كانت تفرض مائة ضريبة وضريبة على انتقال البضائع عبر الثغور وعند عبور القناطر واستخدام الطرق والأنهار والقنوات. وكان سادة الإقطاع يرون أن من حقهم أن يجْبوا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ضرائب على البضائع المارة بأملاكهم كما تفعل الدول فى هذه الأيام. ومن جهة أخرى كان التجار يتعرضون لأشد الأخطار فى الطرق البرية والمسالك المائية الموبوءة بالحروب الاقطاعية.

ـ النقابات الطائفية :

لذلك كان التجار يسيرون جماعات مسلحة بالسهام والسيوف يحيطون بالعربات المحملة بالبضائع، وعلى رأس القافلة يسير حامل العلم، وهناك رئيس للجماعة Hans graf أو Doyen يمارس سلطة على الجماعة، التى كان أفرادها عادة مرتبطين بقَسم الوفاء والأمانة، وتسودهم روح التضامن.

كانت هذه الجماعات من التجار تدعى فى أثناء رحلتها Gilds أو Hanses، ولم تكن تنفض عند عودتها من الرحلة، بل كانت تكون هيئات دائمة تضم كبار التجار وتتعهد مصالحها بنفسها. ولما كانت هذه المصالح تتمشى عادة مع مصالح بقية الجماعات، فقد اتخذت هذه الهيئات أو النقابات شكل «إدارة محلية شبه رسمية». وكانت هذه النقابات أقوى ماتكون فى إيطاليا، التى شهدت فى العصر الرومانى نظام النقابات الطائفية حتى قضت عليها الغارات الجرمانية.

وكانت نقابات القرن ١١ الطائفية جميعها تقريبا للتجار، وأصبحت هذه النقابات على مر الزمن هيئات متحدة قوية تتجر فى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أنواع مختلفة من البضائع، وتؤمن التجار. وفى القرن الثالث عشر كانت نقابات التجار تؤمن أعضاءها من حوادث الحريق وغرق السفن وغيرها من الكوارث والأضرار، بل تعدت ذلك إلى تأمينهم من القضايا التى تقام عليهم لجرائم ارتكبوها! وكان هذا بداية نظام التأمين!

وكان لكل نقابة تجارية فى العادة غرفتها الخاصة التى يعمل بها طائفة من الموظفين والمسجلين، وخزينة الأموال والشرطة، وكانت لها محاكمها الخاصة التى يحاكم أمامها أعضاؤها إذا عرضوا منازعاتهم على محكمة النقابة الطائفية، وكانت تفرض على أعضائها أن يمدوا بالمساعدة زملاءهم فى حالات المرض والكوارث والسجن.

وكان لكل نقابة للتجار عيد سنوى تمجد فيه راعيها من القديسين. وفى القرن الثانى عشر أخذ أرباب الحرف الأخرى يؤلفون فى كل بلدية نقابة خاصة بهم. وفى القرن ١٣ أخذت هذه النقابات الطائفية فى الانتشار لتشمل كل الحرف، وكانت تقوم بما تقوم به نقابات التجار.

- المدن البورجوازية :

وقد كان من الطبيعى أن يصحب انتشار ونمو النشاط التجارى فى أوروبا منذ القرن الحادى عشر انتشار ونمو مماثل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى المدن الأوروبية، التى أصبحت المراكز الأساسية للحركة التجارية الجديدة.

ففى ذلك الحين كانت كل تجارة تتطلب لها مراكز معينة تتمركز فيها، وقد حددت الطبيعة بعض هذه الأماكن، وجعلتها صالحة للوقوف عندها كمحطات، مثل مصاب الأنهار ونهاية الخلجان، والأماكن التى لا يصلح النهر عندها للملاحة. غير أن التجار كانوا فى حاجة أكثر إلى مراكز يتوافر فيها قسط من الاستقرار والأمن، ولذلك فقد لجئوا إلى المدن الرومانية القديمة، والى القلاع التى بقيت فى عهد متأخر، والتى كانت تقع على طرق المواصلات الطبيعية للتجارة.

وهذا يثير سؤالا مهما عما إذا كانت قد وجدت مدن فى القرن التاسع الميلادى؟ وما الفرق بينها وبين المدن الجديدة للطبقة البورجوازية؟ على أن الإجابة عن هذا السؤال تتوقف على معرفة ماهو المقصود بلفظ مدينة City؟ فإن كان المقصود مجتمعا محليا يعتمد أهله فى معيشتهم على النشاط التجارى بدلا من زراعة الأرض، فإن الجواب يكون النفى. ويكون النفى أيضا هو الجواب إذا فهمنا أنه كان مجتمعا له شخصية قانونية، وله قواعده وقوانينه الخاصة به، لأن هذا المجتمع الذى كان سائداً فى القرن التاسع لم يكن يتميز عن المحيط الذى يحيط به من ناحية خضوعه لنفس القوانين. أما إذا كان المقصود بالمدينة مركزا للإدارة وقلعة للحماية، فان العصر الكارولنجى قد شهد مثل هذه المدن.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى الحقيقة أن المدن القديمة كانت تفتقر إلى سمتين أساسيتين تميزت بهما المدينة الجديدة. وهما طبقة وسطى، وتنظيم اجتماعى Communal Organization بالمعنى الاجتماعى والاقتصادى والقانونى لهذه الكلمة، وإنما كانت المدن القديمة عبارة عن مراكز حصينة تعرف باسم Bourg بها مقرات للإدارة، ولم يتمتع سكانها بأية قوانين أو نظم خاصة بهم، ولا بأسلوب للمعيشة يميزهم عن بقية المجتمع. وكان النشاط التجارى والصناعى غريبا عنهم تماما، كما كانت جماعاتهم قليلة الأهمية، إذ كل الدلائل تشير إلى أن سكان المدن التى كانت تسمى Bourg لم يتجاوز عددهم ألفين أو ثلاثة الآف.

فإلى أى حد يمكن القول إن المدن البورجوازية قد نشأت من هذه المدن الرومانية، وإلى أى حد يمكن القول إنها نشأت كأثر من آثار التطور الاقتصادى الذى ظل يجرى فى مجراه زمنا طويلا؟

فى الواقع أن كثيرا من المدن الرومانية قد حافظت على وجودها المستمر ونظامها الرومانى طوال قرون الفوضى والاضمحلال، خصوصا فى إيطاليا وفرنسا الجنوبية الشرقية. ولذلك نجد أن المدن البورجوازية التى قامت فى إيطاليا وجنوب فرنسا وأراضى الراين، قد قامت فى نفس أماكن المدن القديمة، وفى داخل نفس حوائطها التى كانت للبلديات القديمة Municipia.

أما فى شمال الألب، فإن قوانين القبائل الهمجية كانت قد طغت على التراث الرومانى، وتسربت بعض العادات السياسية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

السائدة فى القبيلة والقرية الألمانية إلى البلديات القديمة، ولذلك نشأت المدن البورجوازية شمال الألب من تطور المراكز التجارية.

ومع ذلك فحتى فى إيطاليا نفسها نجد أن المدن البورجوازية لا تدين للبلديات القديمة Municipia بأكثر من الآثار القديمة والحوائط المتآكلة والكنائس. فقد قامت المدن الجديدة على نظم جديدة مستوحاه من النشاط التجارى وما تبعه من قيام طبقة التجار.

وقد مر استقرار التجار فى تلك المدن وفى الـ Bourg بعدة مراحل وأطوار. فقد استقر التجار فى بادئ الأمر داخل الحوائط، ثم فيما بعد خارج الحوائط عندما زاد عددهم. ونتيجة لذلك نشأت خارج الـ Bourg مدينة أخرى هى الـ Faubourg.

وهكذا أصبحت المدن البورجوازية تتكون من عنصرين، وطبقتين مختلفتين أيضا: الأولى هى الـ Bourg وهى الأقدم، وهى مكان معين يرجع إنشاؤها إما إلى الرومان أو إلى العصر الإقطاعى، ويقطنها سكان من رجال الدين والفرسان والأقنان، ويعتمدون فى معيشتهم على الزراعة. والثانية وهى الـ Faubourg التى كانت ثمرة نمو الطبقة التجارية.

وما لبثت الـ Bourg أن أصبحت تابعة للـ Faubourg، نظرا لتوقف نموها. لقد بقيت فى الحقيقة الواجبات التى تؤديها، ولكن لم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تكن ثمة حاجة لازدياد عدد الفرسان أو رجال الدين، كما لم تكن هناك حاجة أيضا لتطور النظم المتعلقة بإدارة مثل ذلك المجتمع الزراعى البحت.

أما الـ Faubourg فقد أخذت تنمو حثيثا مع ازدياد النشاط التجارى الذى جلب إليها أعدادا لا تنقطع من سكان الأقاليم المجاورة، حتى أصبحت الـ bourg عبارة عن مجرد حى مركزى من أحياء المدينة.

من ناحية أخرى إذا نظرنا إلى المركز القانونى لسكان الـ bourg، تجد أنهم كانوا ينقسمون إلى قسمين: السكان الأحرار من رجال الدين والفرسان، والقسم الثانى يتكون من الأقنان. وهذا الأمر لا نجده فى الـ Faubourg، لأن سكانها من التجار من المفروض أنهم أحرار. صحيح أنهم انحدروا من أصول قنية، ولكن من يستطيع أن يثبت ذلك، وهم الذين كانوا جميعا غرباء مهاجرين؟. ولقد أطلق على هؤلاء التجار اسم Burgenses نسبة إلى bourg، وظل هذا الاسم طويلا مرادفا لكلمة تجار قبل أن يأخذ معنى Bourgeoisie.

على كل حال فإذا كان هؤلاء البورجوازيون أحرارا كما ذكرنا، فإن هذه الحرية كانت قاصرة على أشخاصهم فقط، بمعنى أنهم لم يكونوا يملكون الحق فى حكم أنفسهم أو التمتع بأية سلطة قضائية أو قوانين خاصة بهم. لقد كان هناك تباين كبير بينهم وبين المجتمع الذى وجدوا أنفسهم يعيشون فيه، والذى كان قائما على

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حيازة الأرض والتملك عليها، وليس فيه أى اعتبار للملكية الشخصية التى كانوا يملكونها. ومن هنا أهمية التمتع بالحقوق المدنية، أو الحرية المدنية - أى التمتع بحقوق يكفلها المجتمع.

وهكذا قام الخلاف بين الماضى والحاضر، ولم يكن فى وسع البورجوازيين الوقوف مكتوفى الأيدى أمام العقبات والقوانين الإقطاعية التى لاتعد ولا تحصى، والتى كانت تقف حائلا بينهم وبين ممارسة نشاطهم على الوجه المطلوب. وهكذا أخذوا يطالبون برفع جميع القيود التى تثقل الحياة الاقتصادية. ولما كانوا لا يملكون إلا الزواج من عائلات قنية، فلذلك أخذوا يطالبون بالحرية لزوجاتهم ولأطفالهم، ويطالبون بتغيير الأحوال القانونية للمجتمع للتلاؤم مع أحوالهم الاقتصادية، وأخذت نقاباتهم تطالب بالإذن لها بتشريع مايلزم لها من قوانين محلية لتنظيم المعاملات والإعفاء من السخرة، وتطالب بالاعتراف لها بحق النظر فى القضايا غير الجنائية، فضلا عن الحق فى اختيار الموظفين الإداريين.

وبمعنى آخر أنه بعد أن تغيرت العلاقات الإنتاجية، التى تشكل البناء التحتى، أخذت البورجوازية فى تغيير البناء الفوقى السياسى والقانونى.

على أنه لما كانت المدن قد نشأت بطبيعة الحال فى ممتلكات أحد النبلاء أو رجال الكنيسة، فقد كان على البورجوازية لتحقيق أغراضها أن تتجه إلى هؤلاء. وقد اتبعت فى ذلك وسيلتين:

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ الأولى : شراء الامتيازات وبراءات الاستقلال Charters.

ـ الثانية : انتزاع هذه الامتيازات والبراءات انتزاعا.

وقد حصلت البورجوازية فى مدن شمال إيطاليا على أول قسط من حريتها على فترات متقطعة فى القرن الحادى عشر، تارة بالمساومة، وتارة بالاغتصاب. ففى بيزا، على سبيل المثال، نسمع عن اتفاقية بين الأسقف والبورجوازيين (١٠٨٠ ـ ١٠٨٥م)، تولوا بمقتضاها الحق فى تشكيل اتحاد، وعقد اجتماعات عامة، وانتخاب قناصل أو نواب يتعاونون مع الأسقف فى الحكم. وحدث ذلك أيضا فى جنوة سنة ١١٢٢م.. وقد ساهم الأباطرة فى إنجاح الحركة الجديدة أملا فى تأييد البورجوازية لهم فى صراعهم المرير ضد البابوية وضد الإقطاعيين.

أما فى إنجلترا فقد حصلت البورجوازية على مطالبها بالطريقة الثانية، وهى الاغتصاب، فبهذه الطريقة نالت بورجوازيات كثير من المدن الإنجليزية الحكم الذاتى، من ريتشارد الأول ومن سادة الإقطاع.

ويمكن القول بأنه حين تكون المدينة تحت سيادة، أو فى أرض سيد واحد، سواء أكان ملكا أم إقطاعيا، فإن الحصول على البراءة التى يخولها الحكم الذاتى كان يتم بسهولة، وبالعكس إذا كان جزء من المدينة ينتمى إلى سيد، والجزء الآخر ينتمى لسيد آخر، فإن الأمر كان يتطلب مزيدا من الجهد والوقت أيضا!

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويلاحظ أن رؤساء الأديرة والأساقفة هم الذين قاوموا هذه النزعة الاستقلالية أكثر من غيرهم، لأن اليمين التى أقسموها كانت تحتم عليهم ألا ينقصوا من موارد أديرتهم أو كراسيهم الأسقفية. ومن أجل ذلك كان كفاح البورجوازيين ضد رجال الكنيسة شاقا ومريرا إلى أقصى حد.

وفى منتصف القرن الثالث عشر بلغ عدد المدن التى تمكن البورجوازيون فيها من الحصول على البراءات حوالى ٢٠٠ مدينة، يبلغ عدد سكان كل منها من ١٥٠٠ إلى ٤٠٠٠ نسمة، وكانت لندن تبلغ غالبا ٢٥ ألف نسمة، فى حين كان عدد سكان بريستول ويورك، وهما من أكبر المدن الإقليمية عشرة آلاف تقريباً.

وقد تطلب تحرير المدن فى فرنسا كفاحا عنيفاً من البورجوازية فى أغلب الأحيان، وقد تمكن الأساقفة بما كانوا يصدرونه من أحكام الحرمان تارة، والعنف تارة أخرى، من القضاء على الحكومات المحلية التى أقامها البورجوازيون.

أما فى شمال إيطاليا وفى الفلاندرز، فقد كان الحال يختلف، إذ كانت بورجوازيتها على درجة من القوة وضعتها موضع المساواة مع السادة الإقطاعيين، وفى شمال إيطاليا بالذات بلغت البورجوازية من السلطان السياسى مالا يعرف له نظير فى ذلك الوقت، وإن ظلت المدن فى القرن الخامس عشر تعترف بسيادة الإمبراطورية الرسمية، وتصدر أوراقها الحكومية باسمها، ولكنها كانت من جميع الوجوه حرة مستقلة. وقد نجحت فى نهاية الأمر

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى تكوين جمهوريات حرة منفصلة عن الدولة الإقطاعية التى ظهرت فى وسطها، كان يطلق عليها كومونات Communes.

أما فى أسبانيا فقد بسط ملوكها رعايتهم على الحكومات المحلية ليتخذوها معولاً لتقويض سلطان الإقطاعين المشاغبين، ولهذا كانت البراءات التى منحت للمدن البورجوازية بعيدة المرمى فى الحرية، وعلى هذا الأساس نالت Leon (وهى غير ليون الفرنسية) براءتها من ملك قشتاله سنة ١١٢٠م، ونالت طليطلة براءتها سنة ١٠٨٧م، وكذا برشلونه وغيرها.

أما فى ألمانيا فقد تطلب تحرير مدنها زمنا طويلا. وقد تم ذلك غالبا بطريق السلم. وقد منح الأساقفة ، الذين ظلوا عدة قرون يحكمون حكما إقطاعيا من قبل الأباطرة، المدن حق اختيار حكامها وسن قوانينها.

ولم ينقض القرن الثالث عشر حتى كانت الثورة البورجوازية فى سبيل الحكم قد تم لها النصر فى أوروبا الغربية.، فقد خلعت المدن عن عاتقها السيادة الإقطاعية، وتخلصت من الضرائب والمكوس الإقطاعية، وحصرت حقوق رجال الدين فى أضيق نطاق، وإن كانت كثرتها الغالبة لم تنل حريتها كاملة. وكان البورجوازيون هم المسيطرون على الحياة المدنية والاقتصادية.

وقد اعترفت كل الحكومات المحلية تقريبا بنقابات التجار الطائفية، باعتبارها هيئات ذات حكم ذاتى. وكانت الحكومات

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المحلية ونقابات التجار الطائفية فى بعض الأحيان هيئة واحدة!، ولكنها كانت فى العادة منفصلة إحداهما عن الأخرى، غير أن الحكومة المحلية قلما كانت تعارض مصالح النقابات الطائفية.

- عصبة المدن الهانسية :

بلغت المدن البورجوازية فى ألمانيا وإيطاليا أقصى ما تستطيع من قوة واستقلال بسبب عدم وجود حكومة مركزية قوية تستحق الذكر، وتكونت اتحادات للتجارة والحرب، منها عصبة المدن الهانسية Hanseatic League، التى شهد القرن الرابع عشر أيام عظمة هذه العصبة حين كانت نقابات التجار تمد سيطرتها فى مدن البحر البلطيقى، وذلك قبل أن يغير كشف العالم الجديد طرق التجارة الأوروبية، وقبل أن ينشئ الإنجليز لأنفسهم أسطولا تجاريا.

ففى القرن الرابع عشر الميلادى كانت قد سنحت الفرصة للتجار الألمان، دون غيرهم من التجار، أن يصبحوا وسطاء مبادلة ومتاجرة بين بلاد شمال غرب أوروبا، وكثر عدد التجار الألمان الذين غدوا عاملا مهما فى التجارة. ولكن التجارة كانت غير آمنة فى تلك العصور، بسبب قراصنة البحار وقطاع الطرق، ثم سيطرة الدانيين Danish بشبه جزيرتهم الدانمارك على مضيق Sound

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

السوند الواصل بين بحر الشمال والبحر البلطيقى، مما جعلهم شوكة فى حلق ألمانيا، ومصدرا لإيذاء السفن الألمانية المستخدمة فى التجارة وصيد الأسماك.

وهكذا وجب على التجار الألمان أن يأخذوا الدانيين المزعجين بشئ من السياسة، وأن يحيطوا محطات التجارة الألمانية فى إنجلترا وإسكندیناوه بشئ من الامتيازات عن طريق الشراء بالمال، وأن يؤمنوا سفن التجارة وصيد الأسماك ببعض وسائل التأمين. غير أن القيام على تلك الواجبات لم يكن فى مقدور مدينة من المدن الألمانية بمفردها. ولذا تعين عليها أن تتحد، وأن تعتمد على اتحادها كل الاعتماد.

مع هذا كله لم تستجب طوائف التجار إلى نداء المصلحة إلا بعد تردد طويل ومفاوضات أطول، فاتحدت لوبيك Lubeck وهامبورج سنة ١٢٤١م، وأخذ ذلك الاتحاد يتسع رويداً رويداً حتى شمل جميع المدن المهمة من نوفجورود Novgorod فى روسيا إلى بلجيكا الحالية، وكان يضم ٥٢ مدينة، ويشرف على مصب جميع الأنهار الكبرى، مثل الراين والألب والأودر Oder والڤستولا Vistula التى تنقل غلات أوروبا الشمالية. وظل مدة طويلة يحتكر مصايد الرنجة فى البحر البلطيقى وتجارة القارة الأوروبية مع إنجلترا.

وقد أنشأت العصبة محاكم للفصل فيما يشجر بين أعضائها من نزاع، والدفاع عنهم فيما يقام عليهم من قضايا من البلدان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الخارجية، وكانت فى بعض الأحيان تحارب بوصفها سلطة مستقلة.

وقد حدث ذلك حين اصطدمت مصالحها بمصالح فالديمار الثالث Waledemar ملك الدانمارك ومطامعه، وخاضت ضده حربين شهيرتين فى تاريخ العصبة الهانسية، ثم انتهى القتال بين الفريقين سنة ١٣٧٠م بمعاهدة ستـرالسند Stralsund، وهى المعاهدة التى جعلت للعصبة المظفرة حق الإشراف على مضيق السوند ومصادر الأسماك فى البحار المجاورة، فضلا عن حق التدخل فى اختيار الملك بالدانمارك.

وقد سنت العصبة قوانينها لتنظيم العمليات التجارية، بل وتنظيم السلوك الأخلاقى بين أعضائها، مدنا كانوا أم ناسا. وكانت تحمى التجار المنضمين إليها من القوانين والضرائب والغرامات غير القانونية، وتفرض على أعضائها مقاطعة المدن التى تسىء إليها، وتعاقب المماطلين فى الدفع والمخلين بالأمانة.

ولكن فى النصف الثانى من القرن الخامس عشر الميلادى أخذت عصبة المدن الهانسية تمشى فى طريق الانحلال تدريجيا، حتى ذهب عنها سلطانها، حين هاجرت الأسماك لغير سبب معلوم من شواطئ البحر البلطيقى إلى شواطئ بحر الشمال!

وفى أواخر ذلك القرن تطورت الأوضاع السياسية تطورا غير ملائم لمصالح الشركة العامة للتجار الألمان General Company of

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

German Merchants وهو الاسم الرسمى لعصبة المدن الهانسية – وقامت قوى بحرية أخرى فى إنجلترا والأراضى المنخفضة والسويد والدانمارك تنافس العصبة أحر المنافسة. ثم أخذت تجارة البلطيق، وكذلك البحر المتوسط، تتراجع إلى المقام الثانى مع اكتشاف البرتغاليين طريق رأس الرجاء الصالح، ومع اكتشاف كولومبوس وكورتيز وبيزارو لعالم جديد فى الغرب حافل بالثروة والمجد.

ـ زحف الحياة البورجوازية على أوروبا :

وعلى كل حال، فيهمنا أن نتتبع كيف غيرت الطبقة البورجوازية وجه الحياة فى أوروبا. فقد رأينا كيف ساعدت على ظهور الملكية المطلقة فى أوروبا الغربية، وقد أدى ظهور المدن واتساع الموانى، وإنشاء الأساطيل الحربية والتجارية، وقيام البنوك والمصارف، واتساع نطاق أعمالها، إلى تغير وجه الحياة فى أوروبا، وأخذت تلك الحياة التجارية تغير نظرة الناس فى العصور الوسطى إلى الحياة، فتزعزعت أسس وتقاليد العالم القديم.

ومن ناحية أخرى، فإن المجتمع الأوروبى الحديث أخذ كثيرا من المنظمات السياسية والإدارية والاقتصادية عن المدن، ومنها التنظيمات الخاصة بالنقابات والجمعيات المنتجة والنظام البلدى والمدنى.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومن الناحية الثقافية كان النشاط التجارى قد استلزم الإلمام بالقراءة والكتابة، ومن ثم فلم تعد مدينة فى أوروبا منذ القرن ١٢م فصاعدا إلاّ وبها مدرسة. كذلك أصبح لكل مدينة أرشيفها وسجلاتها، مما أدى إلى انتقال مراكز التعليم من المؤسسات الكنسية والأديرة إلى مدارس المدن، فنشأ التعليم المدنى أو العلمانى.

ويمكن فهم أهمية الدور الذى لعبته المدن البورجوازية فى هذا السبيل، إذا أدركنا تلك الحقيقة القائمة من أيام الفينيقيين والإغريق، من أنه لايمكن الفصل بين التبادل التجارى والتبادل الفكرى والثقافى. وعلى هذا النحو يمكن القول إن أوروبا اكتست ثوبا جديدا بظهور الطبقة البورجوازية، ونمو المدن منذ القرن الحادى عشر الميلادى.

ـ البورجوازية والاستعمار :

على أنه من جانب آخر، فان نمو الطبقة البورجوازية قد اقترن بالاستعمار والفتوحات الاستعمارية، ذلك أن الطبقة البورجوازية لم تلبث أن أخذت تنمو نموا هائلا مع حركة الاكتشافات الجغرافية، التى بلغت أبعد آفاق الكرة الأرضية. فقد أعقبت هذه الاستكشافات حركة الفتوحات الاستعمارية فى أمريكا الجنوبية والوسطى على يد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأسبان والبرتغاليين، وفى أمريكا الشمالية على يد الإنجليز والهولنديين والفرنسيين، ثم فتح مناطق مختلفة فى الشرق الأقصى وأفريقيا بحثا عن التوابل والذهب والعبيد.

ومع أن قصة هذه الفتوحات هى قصة من النهب والسلب والاسترقاق والاغتصاب، إلا أن تأثيرها على الحياة الاقتصادية فى أوروبا كان تأثيرا عميقا، فقد عجلت بازدهار البورجوازية ازدهارا هائلا بسبب اتساع نطاق الأسواق والمبادلات إلى حد لم يعرفه العالم من قبل، وبسبب تدفق المعادن الثمينة إلى غرب أوروبا: إلى البرتغال وأسبانيا أولا، ثم إلى بقية القارة ثانيا، مما كانت نتيجته المحققة بالنسبة للبورجوازية هو تضخم أرباحها وازدياد ثرواتها، وتجمع الثروات النقدية فى أوروبا الغربية، وتوافر المنتجات المستوردة من الشرق والغرب، والتوسع الكبير فى فروع الإنتاج الأخرى، سواء فى الصناعة وبناء السفن واستغلال مناجم الفحم والحديد، أو فى الزراعة بالاتجاه إلى المنتجات التجارية، كما حدث فى إنجلترا حيث تحولت مزارعها إلى مراعٍ لتربية الأغنام وطُرد الفلاحون منها، وذلك لإنتاج الصوف بعد اتساع الأسواق التجارية.

ولقد كانت نتيجة هذه التغيرات أن أصبح النظام الإقطاعى بحواجزه المعروفة، وعلاقاته التى ذكرناها، عقبة فى سبل التقدم. فأخذ فى الانهيار بشكل ثابت، وظهرت علاقات جديدة تتناسب مع

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

درجة التطور التى بلغتها القوى الإنتاجية فى المجتمع. فلم تعد العلاقة القديمة بين القن والإقطاعى لتصلح بين البورجوازى والأجير. فقامت علاقة جديدة أساسها تعامل البورجوازى مع أجراء متحررين من التبعية التى سادت المجتمع الإقطاعى، وأيضا من القيود الحرفية العديدة التى أقامتها طوائف الحرف - أجراء يضطرهم حرمانهم من ملكية أدوات الإنتاج إلى بيع قوة عملهم إلى البورجوازيين فى مقابل أجر يمكنهم من استمرار حياتهم. وبذلك انهارت علاقات الإنتاج الإقطاعية، وظهرت علاقات جديدة تتناسب مع درجة التطور التى بلغتها القوى المنتجة ومع مقتضياتها.

- ظهور البورجوازية الصناعية :

ومع تطابق علاقات الإنتاج مع قوى الإنتاج، كان لابد من أن تتطور قوى الإنتاج تطورا عظيما دون قيود أو عوائق. وعلى سبيل المثال فإن الثورة الصناعية - ويقصد بها جميع التطورات التى طرأت على الصناعة الأوروبية منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادى - إنما أطلق عليها ثورة لأن الكثيرين من الكتاب والباحثين قد اعتقدوا أن أغلب هذه التطورات كانت مفاجئة وسريعة، ولأنها كانت انقلابا تاما فى وسائل وطرق الصناعة - مع أن الواقع أن هذا التطور فى الصناعة لم يكن مفاجئا، إذ أن الصناعة تعرضت للتطور منذ القرن السادس عشر الميلادى، مع نمو البورجوازية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وازدهارها، ولكن التقدم الفنى كان يلاقى صعوبات تتفاوت شدة وضعفاً تبعا لقوة وضعف بقايا النظام الإقطاعى، فقد أدخلت تحسينات متعددة على صناعات السفن والزجاج والساعات والذخائر، واستعمل الأوروبيون القوى المحركة، سواء كانت قوى حيوان أو هواء أو ماء، وحتى البخار استعمله الأوروبيون ابتداء من سنة ١٧٠٠م.

ومع ذلك فمدينة دانزج منعت استعمال آلة جديدة للغزل، وقامت باعدام مخترعها سنة ١٥٨٦م! ومنع شارل ملك إنجلترا استعمال آلة لصناعة الأزرار النحاسية فى سنة ١٥٣٢م، بحجة أنها تهدد عمال هذه الصناعة بالبطالة. ولكن مع التخلص من بقايا النظام الإقطاعى، واتساع حركة التجارة على يد الطبقة البورجوازية، أخذ التقدم الفنى فى الصناعة يلقى كل مساعدة من البورجوازية، وترتب على ذلك ظهور الطور الثانى من أطوار نمو البورجوازية، وهو البورجوازية الصناعية، فظهر الإنتاج الكبير فى نطاق المصانع الضخمة القائمة على استعمال القوى المحركة، بدلا من مجهود الإنسان العضلى، وطبقت العلوم المختلفة، التى تطورت فى ذلك الحين لحاجة الإنتاج إليها، على عملية الإنتاج بأوسع مدى وهو مايعرف بالتكنولوجيا.

وقد أخذت هذه المصانع تحل محل المصانع اليدوية والورش الحرفية، فجمعت عددا كبيرا من العمال فى هيكل إنتاجى يتميز

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عن الهياكل القديمة بأنه هيكل ضخم يفوق إمكانة أى حرفى بمفرده، حيث يضم المبانى والأجهزة والآلات والمنافع المختلفة اللازمة للإنتاج، كما يتميز بأن إنتاجية العمل فى مثل هذا المصنع لاتقارن بإنتاجية العمل القائم على أدوات بسيطة، فضلاً عن ذلك، فإن نمط العمل فى هذه المصانع يختلف تماماً عن نمط العمل الحرفى أو المنزلى سواء من حيث الالتزام فى المصانع بعدد محدود من الساعات، أو من حيث حرص صاحب العمل على استغلال كل دقيقة من وقت العمل، والقضاء على التهاون والتراخى، وأخيرا تشجيع النساء والأطفال على الاشتغال بتلك المصانع لزيادة عدد الأيدى العاملة وتخفيض أجرها بالتالى.

وقد كان أساس العلاقات الجديدة فى هذه المصانع، وهى التى تختلف عن العلاقات الإقطاعية كل الاختلاف، هو ملكية البورجوازى لأدوات الإنتاج فحسب، مع شرائه لقوة عمل غيره من الأفراد المتحررين من كل تبعية ـ أى البروليتاريا ـ نظير ثمن معلوم هو الأجر.

ـ البورجوازية القانونية :

على كل حال، يجدر بنا أن ننتقل إلى جناح آخرْ من أجنحة البورجوازية الأوروبية، وهو البورجوازية القضائية أو القانونية. وقد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نما هذا الجناح من أجنحة البورجوازية مع تضخم مصالح البورجوازية، وحاجتها إلى الدفاع عن هذه المصالح، وتغيير قوانين المجتمع الإقطاعى لتتلاءم مع وضعها الجديد، وحتى تكون لها محاكمها المستقلة فى وجه المحاكم الدينية ومحاكم النبلاء. فأخذ البورجوازيون فى دراسة الحقوق ليتسنى لهم تسنم مناصب القضاء فى الدولة لمساندة قضاياهم المالية.

وقد ساهم هؤلاء فى تطوير القوانين بما يتناسب مع الوضع الاجتماعى الجديد، وساعد على ذلك تزايد المصالح المادية وتزايد نشاط الحركة التجارية. وقامت جامعات كبرى أثرت تأثيراً كبيراً فى تطوير دراسة الحقوق، ومن أشهرها جامعة بولونى.

وفى البداية كان الحقوقيون من الإقطاعيين والبورجوازيين، وقد حاول كل فريق منهم أن يدون قوانين طبقته وعاداتها، ولكن القانونيين البورجوازيين تفوقوا، لأن القوانين التى شرعوها كانت تتلاءم مع المجتمع الجديد، ولأن البورجوازية كانت طبقة غنية بدأت تبرز فى شكل كبير فى المجتمع رغم ماقام فى وجهها من عقبات.

وفى الوقت الذى كان الحقوقيون الإقطاعيون يوجهون فيه خدماتهم لمصلحة إقطاعاتهم، فإن الحقوقيين البورجوازيين كانوا أحرص مايكونون على الدولة القومية، وعلى مصلحة الحكومة المركزية، وكانوا خُداماً لها متطرفين، وكانوا يقفون على الدوام إلى جانب الملك فى أى خلاف بينه وبين الكنيسة، بل ولم يتورعوا عن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مهاجمة تدخل الكنيسة فى شئون الدولة، والدعوة إلى فصل الدين عن الدولة، وتركيز السلطة فى الدولة وتوحيدها.

ولقد كان على يد القانونيين البورجوازيين أن أخذت تتطور سلطة الملك لتقوى فى الصراع الناشب بين الكنيسة والإقطاعيين والبورجوازيين. فقد كان الملك فى العهد الإقطاعى مجرد سيد من الأسياد، لاتمتد سلطته لأبعد من منطقته الخاصة، حتى لم يكن له الحق فى التدخل فى شئون الإقطاعات الأخرى، أو يفرض أى قانون الا بعد إستشارة مجلس إستشارى من النبلاء أنفسهم، ولتقوية سلطة الملك فى الدولة القومية الجديدة سن الحقوقيون البورجوازيون النظرية الجديدة القائلة بربط الدولة بأجمعها بارادة الملك، وبحكم الملك المطلق، وبحقه فى سن أى قانون يريد دون أن تستطيع أية سلطة أخرى أن تلغيه. وهكذا بدأت تظهر نظرية «سلطة الملوك الإلهية» أو حق الملوك الإلهى فى الحكم.

- البورجوازية الزراعية :

وقد كان من الطبيعى أن تتطرق جهود الحقوقيين البورجوازيين إلى حق الملكية. وكانت المِلْكية فى ذلك الحين غير محددة تماما، وكانت كل الكتابات التى دارت حول هذا الموضوع منذ العصور الوسطى تتجه نحو تأكيد الملكية الشخصية، ومِلْكية الأرض وما تنتج، ولكن إذا أردنا أن نعرف تماما من كان المالك فى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تلك العهود، لوجدنا أن القن كان له الحق فى استخدام الأرض وزرعها والحصول على قسم من إنتاجها، ورعى مواشيه فيها، وكان له أيضا أن يورث حقه من بعده لأبنائه، ولكن لم يكن له أن يتخلى عن الأرض أو يتصرف فيها أى تصرف.

أما البارون، فقد كان هو الحاكم فيما تحت يده من الأراضى ومن عليها من السكان، وذلك مقابل قسم إقطاعى يقسمه للملك أو السيد اللورد على أن يؤدى له خدمات حربية معينة. ومن الناحية النظرية كان من الممكن أن يسترد السيد اللورد الأرض متى يشاء، إذا أخل البارون بشرط من شروط القسم الإقطاعى أو مات ولم يترك وريثا.

وبطبيعة الحال فإن هذا المفهوم لم يكن يتفق مع العقلية البورجوازية التى قامت على التجارة، ومن طبيعتها أن تبيع وتشترى وتتصرف كما تشاء فيما تشترى منذ أن تدفع ثمنه. ولما كانت نظرة القانون الرومانى إلى الملْكية فى عصر العبودية، تقول بأن «للمالك الحق فى التصرف فيما يملك حسبما يشاء». فقد اتفقت هذه النظرة مع نظرة الحقوقيين البورجوازيين، لأنها تلائم حاجات وضعهم الاقتصادى ووضع طبقتهم.

وفى ذلك الحين كان نظام الأجر يحل شيئا فشيئا محل نظام تبادل الحقوق والواجبات. فبعد أن كانت العلاقة بين السيد والقن تقوم على أن يقدم السيد الأرض للقن، ويقوم هذا بزراعتها للسيد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مقابل حصة منها يشغلها لحسابه الخاص، أصبحت العلاقة هى بين صاحب عمل وعامل، يهيئ الأول للعامل العمل، ويتقاضى هذا عن عمله أجرة مالية. وفى الوقت نفسه لم تعد الأرض ذاتها مجرد ملك مادى، وانما أصبحت ذات قيمة مالية معينة، فهى سلعة كباقى السلع.

وقد عمق البورجوازيون هذا المفهوم، وأخذوا يشترون أراضى الكثيرين من النبلاء المفلسين، وشاعت ظاهرة التملك بين القضاة والتجار، وأصبحت الأرض قاعدة للإثراء أكثر من المال، وكانت الإقطاعية فى طريق الانهيار المادى شيئا فشيئا، ومن حولها الطامعون من البورجوازيين الذين يملكون المال، والذين تكونت منهم طبقة بورجوازية زراعية، كانت بالنسبة للفلاحين أسوأ من سادتهم الإقطاعيين السابقين، فقد أحالوا هؤلاء الفلاحين إلى أُجراء.

وفى الوقت نفسه أخذ هؤلاء الأسياد الجدد يعملون على إعادة النظم الجائرة السابقة، وإعادة ماكان لها من فاعلية، ودرجت مجموعة منهم على محاولات ضم الأراضى الصغيرة بعضها إلى بعض، وتوحيد الأراضى التى جزأها التقسيم بسبب الإرث والبيع وغيره، فبدأت الملكية تتسع وتكبر على حساب صغار المنتجين، ولم يعد الفلاح الصغير فى نظام المِلْكية الجديدة ذا سلطة على الأرض، بل غدا مجرد عامل لا علاقة له بالأرض إلا أن يعمل فيها ويحصل على أجره، مما جعل الفلاحين يطالبون بإعادة النظام الإقطاعى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القديم، الذى كان يسهل لهم حياتهم رغم القيود المفروضة عليهم! اما بعد تملك البورجوازيين للأرض فقد فقدوا تقريبا كل وسيلة للعيش وكل علاقة بالأرض.

ـ البيروقراطية البورجوازية :

ننتقل الآن إلى جناح آخر من أجنحة البورجوازية الأوروبية، وهو جناح البيروقراطية. وقد نشأ هذا الجناح مثل زميله القانونى مع تزايد نشاط البورجوازية التجارية والصناعية. ذلك أنه على الرغم من أن التجار والصناع أصبحوا يؤلفون طبقة حيوية منتجة، فإن السيطرة على جهاز الدولة الإدارى كانت لطبقتى النبلاء ورجال الدين. ولذلك كان لابد للبورجوازية أن تحاول الوصول إلى المراكز الحكومية لتخدم مصالحها وترعى شئونها. ويذكر بعض المؤرخين أن هذه الطبقة قد تميزت بفهم غريب لدور الوظائف، فكانت تستولى عليها شيئا فشيئا وتمد جذورها فى كل ركن من أركان الحكومة، حتى كادت تصبح الطبقة الوحيدة التى تقتسم الوظائف الصغيرة منها والكبيرة.

ولقد كانت طريقة شراء الوظائف، وسيلة استطاع بها قسم كبير من البورجوازيين الوصول إلى الوظائف، وكانت حاجة الملك إلى المال تدفعه إلى قبول هذه الطريقة. وكان باستطاعة الموظف أن يبيع وظيفته بدوره، ثم تطور التوظيف فأصبح وراثيا، وبذلك نشأت

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

طبقة بورجوازية من الموظفين. ولم تلبث هذه الطبقة من الموظفين الإداريين الوارثين أن أخذت تكسب الكثير من الامتيازات وتشترى ألقاب النبل، فسموا بنبلاء الرداء.

وبطبيعة الحال فلما كانت الوظائف تشترى بالمال، فقد كان هم الموظف أن يكسب من وظيفته بقدر ما يستطيع على حساب الشعب، وكان التنافس بين البورجوازيين على الوظائف كبيرا، فقد كان البورجوازى عندما يحصل قدرا من المال، يبحث عن وظيفة تؤمن له ولأولاده العيش الرغد. وكانت الوظيفة الأكثر ربحا يتزاحم عليها الأثرياء من البورجوازيين لأنها مورد للرزق مضمون.

وقد استعانت الملكية بالبيروقراطية البورجوازية فى مواجهة النبلاء والرقابة عليهم. وخير مثال على ذلك لويس الرابع عشر، الذى كان كل موظفى قصره وحكومته من البورجوازيين الذين تمرسوا بالحكم وعرفوا وسائل الوصول إلى الوظائف واستغلالها، وكانت فى أيديهم أهم مراكز الدولة طيلة مدة حكمه.

وكان لويس الرابع عشر مضطرا إلى التعاون مع هذه الطبقة بسبب حاجته إلى المال، وكانت هذه الطبقة تعرف جيدا كيف توجد له المال اللازم لحروبه وبلاطه، كما أنها كانت تعرف كيف تجمع له الضرائب، وكيف تضع قوانينها وتقوم بتنفيذها، وكان بيدها سلطة التفتيش على الصناعة والتجارة وكل موارد الدولة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكان صاحب الفضل فى تدعيم الحكومة المركزية الرئيسية بهذه البيروقراطية البورجوازية هو ريشيليو، الذى كان وزيرا فى عهد لويس الثالث عشر، وأصبح رئيسا لمجلس الملك، وبقى حوالى ١٨ سنة يهيمن على شئون فرنسا. وكانت سياسة ريشيليو تقوم على تقوية سلطة التاج المركزية فى وجه النبلاء الإقطاعيين، ولذلك فقد أعاد تنظيم الإدارة على أساس دعم سلطان الحكومة المركزية فى الشئون المحلية، وأوجد نظام المأمورين أو مفتش الملك Intendant للتفتيش على شئون القضاء والمالية والأمن والأقاليم، والإشراف على الحكام المحليين والمجالس المحلية والبرلمانات القديمة القضائية. وقد أدى نظام المأمورين هذا، أعظم الخدمات للملكية من حيث تركيز السلطة فى يد الحكومة المركزية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الثاني

عصر
النهضة الأوروبية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عصر النهضة الأوروبية

(أولاً) : النهضة فى إيطاليا :

كلمة النهضة هى الترجمة العربية لكلمة Renaissance أى البعث أو الإحياء. وهى تطلق على التجديد والنهوض والخلق والابتكار الذى حدث فى أوروبا فى مجالات الأدب والفلسفة والدين والعمارة والتصوير والنحت والعلم والسياسة والقانون. ومن ذلك يتضح أن مجال النهضة هو البناء الفوقى للمجتمع الأوروبى. ولما كان البناء الفوقى هو انعكاس للبناء التحتى المكون من العلاقات الإنتاجية، ولما كانت العلاقات الإنتاجية الإقطاعية قد أخذت تتغير فى ذلك الحين إلى علاقات بورجوازية بظهور الطبقة البورجوازية فى أحشاء المجتمع الإيطالى منذ القرن الحادى عشر، فإن النهضة التى تشمل التجديد والنهوض فى جميع المجالات الإنسانية التى ذكرناها تكون بالضرورة انعكاسا للعلاقات الإنتاجية الجديدة وبروز الطبقة الاجتماعية الجديدة وهى البورجوازية.

وهذا أمر طبيعى، ويمكن تبينه إذا عرفنا أن هذه النهضة لم تقم قبل ظهور الطبقة البورجوازية فى العصور الوسطى، ولم يكن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من الممكن فى الحقيقة، فى ظل سيطرة نظام الإقطاع والكنيسة المطلق، أن تقوم، لأن النظام الإقطاعى لم يكن ليفرز أو ليعكس تغييرا يتناقض مع أسسه وقواعده.

ولعل أهم دليل على هذه الحقيقة هو بدء النهضة فى إيطاليا قبل غيرها من الدول الأوربية الأخري. فلقد رأينا من دراستنا لظهور الطبقة البورجوازية كيف أن المدن البورجوازية كانت في إيطاليا أقوي من مثيلاتها في الأقطار الأوروبية الأخرى، فقد تحررت المدن الإيطالية من سيطرة الإقطاع قبل غيرها من المدن الأخرى، وأصبحت عبارة عن دويلات صغيرة.

وقد حكم هذه المدن حكام مطلقون. ففى ميلان كانت تحكم أسرة فسكونتى Visconti، وفى فلورنسا كانت السيطرة لأسرة مديتشى Medicci وهكذا.

ودليل آخر هو أن النهضة وإن بدأت فى إيطاليا، إلا أنها بدأت فى القسم الشمالى منها، وهو الذى يشمل سهل لمبارديا والبلاد المطلة على البحر، كجنوة والبندقية ومقاطعة تُسكانيا، وبمعنى آخر القسم الذى أصبح منطقة كبرى للمدن. أما القسم الجنوبى منها، بما فى ذلك روما والأراضى المجاورة لها، وفيها مملكة نابولى، والذى لم يتأثر كثيرا بحركة ظهور المدن، وظل يسوده نظام الإقطاع، فقد ظل أقل تطورا من القسم الشمالى، إذ بقى محافظا زراعيا، فى حين كان القسم الشمالى حضريا متطورا.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولذلك لا نعجب إذا وصف فرديناند سكيفيل Schevill – فى كتابه عن «المجتمع فى عصر النهضة الإيطالية» – عصر النهضة بأنه عصر المدن المتحررة.

وفى الواقع أن المدن البورجوازية الإيطالية الشمالية قد تمتعت برخاء اقتصادى بفضل سيطرتها على أسواق التجارة، وخصوصا البندقية وجنوة اللتين كانتا تقومان بنقل توابل الشرق وحريره وجواهره إلى الموانى والمدن الإيطالية، ومنها عبر ممرات الألب إلى الأسواق الأوروبية الأخرى. وقد أدى هذا النشاط التجارى إلى نمو الطبقة البورجوازية فيها نموا كبيرا وتمتعها بالثراء والغنى. وكان أغلب هؤلاء التجار أهل فن وذوق، فعنوا بالثقافة وشجعوا رجال العلم والفن.

وقد ذكرنا آنفا كيف أن ظهور الطبقة البورجوازية قد أدى إلى ازدياد الاهتمام بالقراءة والكتابة وانتشارها، نظرا لحاجة البورجوازية إليها فى الأعمال الحسابية والمالية والمعاملات وغيرها، وكيف انتشر التعليم العلمانى (المدنى) إلى جانب التعليم الدينى. وقد أوجد ذلك الحاجة إلى اختراع وسيلة يسهل بها انتشار التعليم، والحاجة أم الاختراع، فاخترعت آلة الطباعة أولا فى ألمانيا عام ١٤٥٤م، حيث انتشرت المدن على نحو ما ذكرنا، وكان أول كتاب طبع بالحروف المصفوفة هو الكتاب المقدس باللغة اللاتينية فى مطبعة يوحنا جوتنبرج Gutenberg (١٣٦٧ ـ ١٤٦٨م) ـ من

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مدينة ماينز Mainz على الراين بألمانيا ـ ثم انتشرت الطباعة خلال السنوات التالية من مدن الراين إلى بقية أوروبا ـ فدخلت إيطاليا عام ١٤٦٥م، وباريس عام ١٤٧٠م وستوكهلم عام ١٤٧٣م وفالنسيا Valencia بأسبانيا عام ١٤٧٤م ولندن عام ١٤٧٧م ومدريد ١٤٩٩م.

وقد كان من نتيجة اختراع آلة الطباعة انتشار الكتب وانخفاض ثمنها وازدياد الإقبال على العلم والمعرفة. فلم تعد الثقافة والمعرفة مقصورة على رجال الكنيسة، بل أصبحت فى متناول عامة الناس.

وقد تمثلت مظاهر النهضة فى إيطاليا فى الآتى:

(١) حركة إحياء الدراسات اليونانية واللاتينية أو الحركة الإنسانية:

تطلق الحركة الإنسانية Humanism على حركة إحياء الدراسات الإغريقية واللاتينية وما تفرع عنها من حركات أخرى. ويعتبر الدافع على إحياء الدراسات الكلاسيكية (القديمة) هو التغيير الكبير الذى طرأ على الروح الأوروبية كنتيجة لنمو علاقات إنتاجية جديدة، وما ترتب على ذلك من تدهور العلاقات القديمة وتدهور المؤسسات التى تسند هذه العلاقات. وخصوصا الكنيسة.

وكانت الكنيسة ـ كما ذكرنا ـ هى أداة العلاقات الإنتاجية القديمة الفكرية التى تدعمها بالعلم والمبادئ والنظريات. وكانت هذه

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التعاليم تقوم على احتقار الجسد واحتقار الدنيا ومتاعها ولذاتها، وتحرض الإنسان على أن يقف من الحياة موقفا سلبياً، وأن يعرض عنها. ولما كانت هذه التعاليم لا تتفق، بل وتتعارض مع نظرة الطبقة البورجوازية الجديدة العملية والمادية من الحياة، إذ هى طبقة دائبة النشاط تستمد حياتها من نشاطها واجتهادها وحاجتها إلى الاستمتاع، فقد كان من الطبيعى أن تصطدم هذه النظرة الأخيرة بنظرة الكنيسة وتتصارع معها.

وهذا يفسر كيف أن حركة إحياء الدراسات الكلاسيكية قد بدأت فى المدن الايطالية الشمالية وبتشجيع من حكامها الذين أضفوا على المشتغلين بها الدعم المادى والأدبى.

وليس معنى ذلك أن حركة إحياء الدراسات اليونانية واللاتينية قد قامت على أيدى الطبقة البورجوازية ذاتها، وإنما تعنى أن وجود هذه الطبقة وتغييرها للعلاقات الإنتاجية القديمة، قد أفسح المجال وهيأ المناخ لنمو هذه الدراسات، وأزال العقبات من وجهها التى كانت كفيلة بإحباطها لو لم تظهر هذه الطبقة الجديدة والعلاقات الإنتاجية التى أتت بها.

ـ الفلسفة الكنسية :

كانت الحياة الفكرية والعلمية فى العصر الإقطاعى خاضعة إما للفلسفة الكنسية أو الفلسفة المدرسية، وبالنسبة للفلسفة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الكنسية فإن الكنيسة كانت قد انفردت منذ أواخر القرن السابع بالإشراف على التعليم الذى أصبح دينيا بحتا هدفه إعداد الشباب ليصبحوا رجال دين. وقد تمثل إشرافها على التعليم فى إشرافها على مدارس الأديرة ومدارس الكاتدرائيات وفى قيام رجال الدين بالتدريس فى غالبية أنواع المدارس الأخرى.

وقد وضعت الكنيسة منهج العصور الوسطى التقليدى المعروف باسم منهج «الفنون الحرة السبع» Seven Liberal Arts كان يدرس فى المرحلة الثانية من مراحل التعليم، وينقسم هذا المنهج إلى مجموعتين: مجموعة ثلاثية، تضم النحو والبلاغة والمنطق، ومجموعة رباعية تضم الحساب والهندسة والفلك والموسيقى. وقبل القرن الحادى عشر كان الاهتمام موجها إلى دراسة النحو اللاتينى لإعداد الطالب للدراسات الدينية، وخلال القرن الثانى عشر أصبح «المنطق» هو الدراسة الرئيسية بعد أن أصبحت مسائل ما وراء الطبيعة واللاهوت أهم موضوعات العصر ـ وعندما ازداد الاهتمام بفلسفة أرسطو وعلومه تغير الاتجاه ووجهت العناية إلى دراسة الفلك والحساب والهندسة.

ـ الفلسفة المدرسية :

أما الفلسفة المدرسية، فإن القرنين الحادى عشر والثانى عشر كانا قد شاهدا حركة تعليمية تمثلت فى مضاعفة عدد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المدارس الكاتدرائية التى تمتعت بنوع من الحرية فى برامجها الدراسية. وقد أدى ازدهار هذه المدارس التى توافرت لها هيئات تدريس من أصحاب الشهرة والكفاءة العلمية، إلى تحويلها إلى معاهد للتعليم العالى لم تلبث أن أطلق عليها اسم «جامعات» تدريجيا. ثم أخذت تكتسب شخصية معنوية كفلت لها الحرية فى الدرس والتحصيل، وترتب على اعتراف السلطة الرسمية فى المدن بشخصية هذه الجامعات المعنوية، حصولها على استقلالها فى تنظيم أمورها إلى جانب منح الدرجات العلمية.

وقد بدأت الجامعات فى الظهور إبان القرن الثانى عشر فى مدينة بولونيا بإيطاليا، وفى مدينة باريس بفرنسا، وتفرعت من جامعة باريس جامعات شمال أوروبا وغربها، وفى مقدمتها جامعة أكسفورد بإنجلترا، ثم إنتشرت فى سائر أرجاء أوروبا.

واشتهرت جامعتا باريس وأكسفورد بدراسة الفلسفة واللاهوت (الفلسفة المدرسية) واشتهرت جامعة «مونبيلييه» فى فرنسا وساليرنو فى إيطاليا بدراسة الطب، وجامعات بولونيا فى إيطاليا وأورليان فى فرنسا وكولونى فى ألمانيا بدراسة القانون.

وقد كان القرن الثالث عشر هو عصر ازدهار الفلسفة المدرسية التى اتجهت إلى التوفيق بين العقل والدين. فقد كانت كتب أرسطو فى المنطق بالذات هى التى اهتم بها أساتذة الجامعات، حيث تلمسوا فيها الأداة لتأييد منطقى لتعاليم الكنيسة التى ظهرت

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أصلا كعقيدة صرفة، وبالتالى فقد كان هذا المزج بين المنطق الأرسطوى والعقيدة المسيحية هو قوام هذه الفلسفة التى قام بها العلماء المدرسون الذين قاموا بالتدريس فى تلك المدارس.

وكان أستاذ هذا التفكير المدرسى وزعيم هذه الفلسفة بلا منازع هو توماس أكويناس Thomas Aquinas (١٢٢٥ - ١٢٧٦م) أكبر فلاسفة اللاهوت المسيحى فى العصور الوسطى، والذى استطاع فى كتابه: «الخلاصة اللاهوتية» أن يعرض العقيدة الدينية مؤيدة بالبراهين الفعلية، ويخلق بمهارة وإقناع توفيقا بين مفردات العقيدة المسيحية ومستلزمات العقل والمنطق من ناحية أخرى.

ـ سقوط التفكير المدرسى وقيام الحركة الإنسانية :

وقد كان من الطبيعى ألاّ يلائم هذا التفكير المدرسى الطبقة البورجوازية فى المدن، فقد كان هذا التفكير - كما رأى «روجر بيكون» Roger Bacon 1214 - 94 - لا يولى العلم إلاّ قدرا ضئيلا من وقته، وكان المدرسون ينفقون الكثير من وقتهم فى الجدل المنطقى والميتافيزيقى. فضلا عن ذلك فإن هذا التفكير بدأ هو الآخر يعتريه الجمود بعد توماس أكويناس.

ولما كان هذا التفكير لا يوجه أى اهتمام للإنسان، كما أن الجامعات كانت توجه معظم اهتمامها إلى دراسة العلوم العملية مثل الطب والقانون. وكانت تقف معادية للدراسات الإنسانية، ولما

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كانت مثل هذه الفلسفة المدرسية أو الفلسفة الكنسية السابقة لاتقدم الحل لمشاكل الانسان البورجوازى، فقد أخذت هذه الطبقة تبحث لنفسها عن فلسفة لحل مشاكلها، فاتجهت إلى مصدر آخر هو حياة القدماء، فهذه الحياة كانت أكثر اهتماما بالإنسان ومشاكله من فلسفات العصور الوسطى، لأنها بحكم وثنيتها وبعدها النسبى عن الروحانية، وموقفها الإيجابى من الحياة، تجعل الإنسان وسعادته محور النشاط البشرى، وبالتالى فإن هذه الحياة تتجاوب مع نظرة الطبقة البورجوازية العملية للحياة.

وعلى هذا النحو، أخذت الحركة الفكرية الجديدة التى ظهرت فى المدن تتجه إلى احياء الدراسات اللاتينية واليونانية القديمة، وقد أطلق على هذه الحركة اسم الحركة الإنسانية Humanism. لأنها تجعل الإنسان محور اهتمامها، على العكس من الفلسفات الوسيطة التى تقف من الإنسان موقفا سلبياً. وتمثلت فى المظاهر الآتية:

(أ) إحياء التراث القديم :

ـ الطور اللاتينى :

وقد اتجه الاهتمام فى المدن الإيطالية فى بادئ الأمر إلى التراث الرومانى - كما ذكرنا - ولذا عرفت هذه المرحلة الأولى من عصر النهضة بالطور اللاتينى لإحياء التراث القديم.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويمثل فرانشيسكو بترارك Petrarch هذه المرحلة، مرحلة الانتقال بين العصور الوسطى والنهضة بشكلها المتكامل، إذ يُعْزَى إليه الفضل الأول فى تنشيط الدراسات اللاتينية. وقد بالغ البعض فى تقدير دور بترارك فى إحياء الدراسات اللاتينية. فيصور أحيانا على أنه المنقذ للكتابات اللاتينية من النسيان. على أن الحقيقة أن اللغة اللاتينية، وكما هو معروف، كانت هى لغة الأدب والعلم فى العصور الوسطى، ولكن المشكلة كانت تتمثل فى أن أصحاب التفكير المدرسى من أساتذة العصور الوسطى كانوا منشغلين بالتفكير الفلسفى والدينى. ومن ثم فلم يبذلوا أى جهد فى التعمق فى روح القدماء الذين كانوا يبدون لهم وثنيين ويعيشون فى عالم غير مفهوم أو مكروه.

لذلك فإن فضل بترارك يتمثل فى أنه اكتشف ما تحمله كتابات القدماء من إتجاهات إنسانية تفتّح لها عقله، واستطاع أن يتذوقها، ذلك أن ماجعل هذه المؤلفات اللاتينية تجد طريقها إلى نفس بترارك، هو أنها كانت بمثابة التعبير الحر لمجتمع المدينة فى مواجهته للمشاكل الإنسانية، فمجتمع المدينة فى إيطاليا كان يمر فى نفس التجارب التي مر بها أسلافه الرومان.

لهذا فإن الأدب اللاتينى القديم الذى كان يقرأ قبل بترارك لا بإعتباره أدبا لذاته، وإنما لما يحتويه من حقائق ومعان، وبالتالى كان تأثيره الأدبى ضئيلا فى كتابات العصور اللاتينية ـ قد أصبح منذ ظهور بترارك يلقى ترحيبا، لأنه يشمل فكرة جديدة فى الحياة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أكثر انطلاقا وحيوية من أفكار العصور الوسطى، فكرة تفتح مجالا واسعا للمشاعر الإنسانية لتذوق الجمال ولجميع أنواع النشاط الإنسانى.

وهذا هو السبب فى أنه أطلق على آدابها اسم: الآداب الانسانية Litterae Humanae لأنها تدور حول حياة الإنسان وما يتصل بها، على العكس من ثقافة العصور الوسطى التى انحصر اهتمامها فى الروحانيات والعالم الآخر.

وتتضح الروح الإنسانية فى كتابات بترارك فى وصفه الرقيق لجسد الإنسان على نحو تأباه تقاليد العصور الوسطى، كما تتضح فى كلامه عن معشوقته لورا Laura. فهو يعبر عن حبه وعواطفه بصراحة ودون تحرج.

ونجد مثالا آخر لتحرر بترارك من روح العصور الوسطى، فى تفكيره السياسى. فقد شغل بأحوال إيطاليا السياسية، وخلافاتها الداخلية التى لا تنقطع بين الإمارات، وبالفساد والفوضى فيها، فدعا إلى تغيير هذه الحالة متأثرا فى ذلك بعهد الجمهورية الرومانية القديمة، وطالب بوحدة إيطاليا السياسية، مما تعد دعوة جديدة حتى بالنسبة لعصره.

لذلك أطلق على بترارك : «أبو الحركة الإنسانية»، وتوج كشاعر عظيم فى الكابتول Capitol[1] فى روما عام ١٣٤١م من أجل ملحمته اللاتينية الشهيرة «افريقية»، وأن لم يقدر له أن يكملها حتى وفاته.

---

(١) معبد للاله جوبيتر Jupitar وقلعة أقيمت فوق تل «كابيتولين» أحد تلال روما

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويعتبر جيوفانى بوكاشيو Boccaccio (١٣١٣ - ١٣٧٥) أنشط تلاميذ بترارك، وقد خالفه فى أنه كتب بالإيطالية إلى جانب اللاتينية، وترجع شهرته إلى مجموعة قصصه التى أنهاها عام ١٣٥٨م تحت اسم «ديكاميرون» Decameron على طراز الف ليلة وليلة، وتضم مائة قصة أظهر فيها سخريته من تقاليد وخرافات العصور الوسطى. وتشيع فيها نظرة باسمة للحياة الدنيا، تعتبر نظرة جديدة على العصور الوسطى التى اتصفت بالتزمت واحتقار الحياة الدنيوية.

ولم يقتصر بوكاشيو على ذلك، فقد درس مؤلفات الرومان، وذهب إلى القسطنطينية ينشد التعمق فى الدراسات الإغريقية، فكان أول إيطالى فى النهضة استطاع أن يحرز بعض التقدم فى دراسة اليونانية، وترجم الإلياذة والأوديسة لهوميروس إلى اللغة اللاتينية من أجل أستاذه بترارك.

وقد بلغ من تحمس الناس للغة اللاتينية الفصحى والتراث الرومانى انهم أخذوا يسمون أبناءهم بأسماء رومانية. وحاولوا محاكاة الرومان فى ملبسهم وطريقة كلامهم وخصالهم، حتى إن شاعر إيطاليا العظيم دانتى Dante الذى كان أول من كتب باللغة الإيطالية القومية الحديثة، درس اللاتينية وكتب بعض مؤلفاته الصغرى بها، مثل كتابه «عن اللغة العامية»، وكتابه الآخر «عن الملكية».

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ الطور الإغريقـــى:

ولم يمض وقت طويل حتى أخذ اهتمام الإنسانيين يتجه نحو استعادة التراث اليونانى القديم أيضا، إذ وجدوا أن الرومان قد تأثروا بالحضارة الهللينية. ولم تكن اللغة الاغريقية مجهولة فى أوروبا العصور الوسطى، ولكنها كانت محدودة الانتشار. وقد حدث تقارب فكرى بين المدن الإيطالية والدولة البيزنطية بتشجيع حكام المدن، وتبودلت الزيارات العلمية من الجانبين، فزار عدد من البحاث الإيطاليين القسطنطينية للتخصص فى دراسة اللغة الإغريقية على يد كبار الأساتذة، كما وفد على فلورنسا وغيرها من المدن الإيطالية نخبة من العلماء البيزنطيين.

ويعتبر أول رجل انتعشت على يديه حركة إحياء اللغة الإغريقية فى الغرب هو كريزولوراس Chrysoloras الذى زار إيطاليا فى بعثة سياسية من قبل الإمبراطور البيزنطى باليولوجوس Palaeulugos للحصول على مساعدة حكومات إيطاليا ضد الأتراك العثمانيين، ثم عاد إلى فلورنسا أستاذا للدراسات الإغريقية فى جامعة فلورنسا من سنة ١٣٩٧ ـ ١٤٠٠م.

وبمجىء «كريزولوراس» للمرة الثانية إلى فلورنسا تبدأ حقبة فى تاريخ الآداب الأوروبية. فلم يقم بتدريس اللغة الإغريقية فحسب، بل كان باحثا من الطراز الأول، لبقا وقديرا فى قراءة النثر والشعر اليونانيين القديمين وشرحهما، وقد راح ينتقل بين المدن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الإيطالية، وأسهم فى افتتاح مدارس لتعليم اللغة الإغريقية فى روما وميلان والبندقية.

وسرعان ما تجمع حوله عدد من التلاميذ المتحمسين كونوا مدرسة فكرية إغريقية برزت بروزا واضحا فى نشر الدراسات الإنسانية. واستمرت الحركة وزادت انتشارا على يد العلماء اليونانيين الذين شعروا بتقدير المدن الإيطالية لكريزولوراس، وأدركوا حاجة هذه المدن لمزيد من الأساتذة المتخصصين فى اللغة الإغريقية وآدابها، وأغرتهم مناصب الأستاذية فأخذوا يتوافدون على إيطاليا فى الفترة مابين ١٤٠٠م وسقوط القسطنطينية فى ١٤٥٣م. حتى إذا سقطت القسطنطينية وانهار المجتمع البيزنطي، شد العلماء البيزنطيون رحالهم إلى إيطاليا فى هجرة مكثفة، الأمر الذى أدى إلى إنعاش الدراسات الهللينية فيها بعد أن قطعت هذه الدراسات شوطا بعيدا فى طريق الازدهار.

ومن ذلك يتضح أن هجرة العلماء البيزنطيين كانت عاملا مساعدا فقط فى حركة إحياء الدراسات الكلاسيكية، ولم تكن هى السبب. وقد كان تأثير هذه الدراسات الإغريقية عظيما فى النهضة الأوروبية، فقد كانت تعنى مولد النقد والمقارنة والبحث، وفتحت آفاقا فلسفية أبعد مدى من عالم الأحلام لرجال الكنيسة والرهبان، وحفزت مبادئ العلم الأولية، وأوحت بافتراضات فلكية جديدة، كما أحيت معنى الجمال فى الفن والأدب.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(ب) جمع المخطوطات Manuscripts :

لم يكن الاهتمام بالدراسات اللاتينية والإغريقية سوى مظهر واحد من مظاهر الحركة الإنسانية، أما المظهر الثانى فيتمثل فى جمع المخطوطات القديمة التي غصت بها مكتبات الأديرة والكاتدرائيات. وقد أسهم أمراء الأسرات الحاكمة فى المدن الإيطالية فى جمع هذه المخطوطات والكتب القديمة النادرة، وأوفدوا العملاء لهذا الغرض فى أوروبا والشرق، كما شجع البابوات والكاردينالات هذه الحركة، وأنفقوا أموالاً طائلة للبحث عن هذه المخطوطات فى إيطاليا والإمارات الألمانية وغيرها من أقطار أوروبا.

وكان أمراء إيطاليا وأثرياؤها يتنافسون على جمع المخطوطات، حتى أصبح اقتناء هذه المخطوطات، مظهرا سائدا من مظاهر النهضة فى إيطاليا. ولذا كان من الطبيعى أن تنشأ حول المخطوطات تجارة منتشرة. وكانت القسطنطينية بعد سقوطها مركز هذه التجارة حيث كان الإنسانيون يبحثون عنها بهمة لنصف قرن مضى.

والواقع أن المخطوطات القديمة كانت المصدر الأول فى حركة احياء الدراسات القديمة، وكان بترارك يبحث بنفسه عن المخطوطات القديمة وجمع حوالى مائتي مخطوطة، بل وصل به الأمر أن نسخ بيده كتابات شيشرون Cicero (١٠٦ ـ ٤٣ق.م)، وكان يحث تلاميذه وأصدقاءه على اقتناء المخطوطات.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد استطاع فرانشيسكو فيليلفو Francesco Filelfo (١٣٩٨ ـ ١٤٨١م) الذى أصبح إنسانيا مبرزا بعد أن درس اليونانية فى القسطنطينية، أن يحصل على مكتبة ضخمة من هناك كانت تشمل شعراء اليونان المبرزين، ومؤلفات الدراميين من أتيكا، كما شملت فى النثر: المؤرخين من هيرودوت إلى بوليبيوس Polybius (٢٠٤ ـ ١٢٢ ق.م)، والكثير من الخطباء، وكل كتابات أرسطو. وفى مستهل القرن الخامس عشر جمعت فى دير القديس ماركو مكتبة حوت ثمانمائة مخطوط قديم اشتراها الأمير كوزيمودى ميدتشى ـ Cosimo de Medici ـ وأنشئت فى أواخر القرن مكتبة عظيمة فى الفاتيكان، وكان الاهتمام فى البداية منصبا على المخطوطات اللاتينية، ثم انتقل الاهتمام إلى المخطوطات اليونانية.

(جـ) إنشاء المكتبات العامة والخاصة :

وقد كان من الطبيعى أن يترتب على جمع المخطوطات القديمة، وهو المظهر الثانى للحركة الإنسانية، الاهتمام بإنشاء المكتبات العامة والخاصة وهو المظهر الثالث للحركة الإنسانية.

ففى مستهل القرن الخامس عشر، جمعت فى دير سان ماركو فى فلورنسا مكتبة احتوت على ثمانمائة من المخطوطات القديمة التى اشتراها بماله الأمير التاجر كوزيمو دى ميدتشى Cosemo de Medici، كما أنشأ فى أواخر ذلك القرن مكتبة عظيمة فى الفاتيكان (وهو قصر البابا فى روما).

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقبل سقوط القسطنطينية، ترجمت كتب أرسطو وأفلاطون وبلوتارك إلى اللغة اللاتينية، وجاء بعض الإغريق إلى فلورنسا ليعلموا اللغة والفلسفة فى جامعاتها. وكان هؤلاء العلماء هم الذين مهدوا السبيل لزملائهم الذين رحلوا إلى أوروبا عام ١٤٥٣م بعد سقوط القسطنطينية.

وقد أنشئت مكتبات عديدة جديدة فى نابولى وبافيا وغيرها، ففى أوربينو أنشأ أميرها مكتبة عظيمة أنفق عليها أموالا طائلة وكانت تضم عددا وافرا من المخطوطات اللاتينية والعبرية، وجميع كتب الطب الموجودة ومؤلفات الكتّاب الإيطاليين فى القرن الرابع عشر.

وقد روعى فى إنشاء هذه المكتبات وضع الكتالوجات حتى يسهل الإطلاع على مافيها. بل إن مكتبة أوربينو كانت تحتفظ بكتالوجات لمكتبات الفاتيكان وسان ماركو بفلورنسا ومكتبة بافيا، وحتى مكتبة أكسفورد بإنجلترا.

(د) الأكاديميات :

أما المظهر الرابع لحركة إحياء الدراسات الكلاسيكية، فيتمثل فى قيام الأكاديميات، أو مجمعات العلم، حتى إن النصف الثانى من القرن الخامس عشر يعتبر عصر الأكاديميات. وكانت هذه الأكاديميات عبارة عن مراكز أو حلقات يجتمع فيها عشرات الطلبة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حول الأساتذة للاستماع والدراسة ثم المناقشة. وعن طريق هذه الأكاديميات التى انتشرت فى إيطاليا فى مختلف المدن الإيطالية، انتشرت الحركة الإنسانية انتشارا عظيما. ولم تكن هذه الأكاديميات أكاديميات علمية كتلك التى تنشر فى العالم النهضة العلمية الحقيقية التى اتسم بها القرن السابع عشر، ولكنها كانت أدبية بحتة.

وقد نشأت أقدم الأكاديميات فى عصر النهضة، فى نابولى على يد ألفونسو الخامس صاحب أراجونة الذى كان حاكما فى نابولى عام ١٤٤٢م، واستطاع أن يجمع فى بلاطه عددا من العلماء فى المدينة، وكانت هذه الأكاديمية تناقش جميع الموضوعات التى تتصل غالبا بالتراث القديم، والناحية الأدبية بصفة خاصة. وقد اختفت هذه الأكاديمية بعد وفاة ألفونسو سنة ١٤٥٨م، ولكنها عادت إلى الظهور على يد كاتب قدير هو جوفيانوس بونتانوس Jovianus Pontanus الضليع فى اللغة اللاتينية.

أما فلورنسا مدينة الصيارفة والتجار، فقد نشأت فيها أكاديمية عرفت باسم الأكاديمية الفلورنسية أو الأكاديمية الأفلاطونية، وقد تولى أمرها مارسيلو فيتشينو Marsilo Ficino (١٤٢٣ ـ ١٤٩٩م)، وكان اهتمامها موجها إلى الدراسات الفلسفية الإغريقية وخاصة الفلسفة الأفلاطونية. وقد ظلت الأكاديمية تقوم بدور مهم فى الحياة العقلية فى فلورنسا فى أواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى البندقية أسس أكاديميتها ألدو مانوتزيو Aldus Manutius، صاحب بيت الطباعة الشهير، والناقد النحوى، ومؤرخ الأدب، وعالم الأخلاق. وقد أسس هذه الأكاديمية سنة ١٥٠٠م واهتمت بالدراسات الهللينية (الاغريقية). وأقامت اتصالات بالدوائر العلمية فى أنحاء أوروبا. وكان أبرز أعضاء هذه الأكاديمية جون لأسكاريس الضليع فى الدراسة اليونانية. وقد وجهت الأكاديمية عنايتها بصفة خاصة إلى جمع المخطوطات واختيار الكتب الكلاسيكية لطبعها.

أما فى روما فقد تأسست الأكاديمية الرومانية Accademia Romana فيها على يد يوليوس بومبونيوس لايتوس Julius Pomponius Laetus (١٤٢٥ - ١٤٩٨م) الذى تخصص فى الأدب اللاتينى. وقد غلبت على هذه الأكاديمية الدراسات التاريخية والأثرية. وقد اختلفت مواقف البابوات من هذه الأكاديمية، ففى حين رأى البابا بولس الثاني (١٣٦٤ - ١٤٧١م) فى دراستها الوثنية خطرا على المسيحية، فقد تردد عليها كبار موظفى البلاط البابوى فى عهد سكستوس Sixtus IV الرابع. وحظيت بحماية البابا ليو العاشر (١٥١٣ - ١٥٢١م) الذى كان يهتم بنشاط النهضة وانتاجها الفكرى.

وعلى كل حال فان الأكاديميات لم تلبث أن انتشرت فى المدن الإيطالية أمثال: راڤنا Ravenna وفاينزا Faenza وماتشيراتا Macerata وبيروچيا Perugia وأوربينو.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(٢) تقدم علم التاريخ :

كان الاهتمام بالتاريخ هو المظهر الثانى من مظاهر النهضة والإحياء فى إيطاليا. فلأول مرة أخذت الدراسة طريقها على أساس المادة الموثوقة وليس على أساس الرواية والسماع. كما أخذت الدراسة التاريخية تصطبغ بالصبغة الزمنية، وتنتقل من يد رجال الدين إلى العلمانيين.

وكان من أبرز مؤرخى عصر النهضة لورنزو فاللا Lorenzo Valla الذى ولد ونشأ فى روما، ثم صار قسيسا فكاتب سر ألفونس الخامس صاحب أراجونة. وقد قام فى سنة ١٤٠٠م، حين كانت نابولى خاضعة لنفوذ البابوية، بكتابة كتابه المشهور «منحة قسطنطين» Donation of Constantine الذى أثبت فيه بالدليل القاطع من واقع دراسته للغة التى كانت تكتب بها الوثائق، أن الهبة التى ارتكزت عليها البابوية فى ادعائها بالسلطة الزمنية لم تكتب، كما يبدو من أسلوبها ـ فى زمن الإمبراطور قسطنطين، وإنما كانت مزورة افتعلت فى روما فى زمن متأخر نحو خمسة قرون عن التاريخ الوارد بها. وقد حوكم بسبب هذا الكتاب، وكاد يفقد حياته، لولا أن كان البابا فى ذلك الوقت هو نيقولا الخامس، وكان باحثا وسياسيا، فأعجب ببحث فاللا وعينه موظفا فى الحكومة البابوية.

ومن أبرز مؤرخى عصر النهضة فى إيطاليا أيضا ليونردو برونى Leonardo Bruni الذى يعتبر مؤلفه : «تاريخ فلورنسا فى اثنى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عشر كتابا» أول مؤلف مهم يحوى كل خصائص المدرسة الحديثة من صفة زمنية، وحب للقديم، وتعقل للأشياء، وعناية بالأفراد.

ومن أبرز مؤرخى النهضة أيضا بوجيو براتشيولينى Poggio Bracciolini وفلافيو بلوندى الذى كتب واحدا وثلاثين كتابا فى تاريخ النصرانية ابتداء من سقوط الدولة النصرانية . ثم إينياس سلفيوس بيكرولومينى الذى صار فيما بعد البابا بيوس الثانى (١٤٠٥ - ١٤٦٤م)، ثم بييرو جويتشارديني Guicciardini (١٤٨٢ - ١٥٤٠م) الذى كتب «تاريخ ايطاليا» وهو أول تاريخ من نوعه يشمل شبه الجزيرة كلها، ونيكولو مكيافيللى Machiavelli (١٤٦٩ - ١٥٤٢م) صاحب كتاب «تاريخ فلورنسة»، والذى كتب فى سنة ١٥١٢م كتابه المشهور «الأمير» Il Principe الذى يتضمن دراسة واسعة عن الاستبداد من الناحيتين النظرية والعملية.

(٣) ظهور اللغات الحديثة :

يعتبر نمو اللغات الوطنية واعتداؤها التدريجى على اللغة اللاتينية التى كانت لغة الأدب والعلم. حلقة الاتصال بين عصر النهضة والعصور الحديثة، وهو بالتالى يعد المظهر الثالث من مظاهر النهضة.

فقد عمد بعض الكتاب والأدباء المتحررين من قيود العصور الوسطى إلى الكتابة بلغة شعوبهم، فنشأت فى إيطاليا وفرنسا وأسبانيا لهجات مستقلة تعتمد على الاصل اللاتينى، وظهرت فى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

شمال أوروبا لهجات أخرى ترجع إلى أصل تيوتونى. وعمد علماء كل لغة إلى نحت كلمات وعبارات جديدة والارتقاء بمستواها، حتى أصبحت هذه اللغات صالحة لتدوين العلوم والآداب بها، وعاملا مهماً طرأ على نشر الأفكار الجديدة التى اتسمت بها النهضة. كما أوجد نمو هذه اللغات الوطنية طائفة من القراء والأدباء فى إيطاليا وفى فرنسا وغيرها، فأضحى الأدب ملكا للشعب.

وإذا اتخذنا إيطاليا مثلا، فإن لهجة توسكانيا هى التى أصبحت أساس اللغة الايطالية. ويرجع تفوق لهجة توسكانيا إلى أنها كانت بعيدة عن التأثر بلهجات الغزاة البرابرة بحكم موقع توسكانيا فى إيطاليا، وظهور شعراء ممتازين توسكانيين قرضوا الشعر باللهجة العامية.

وقد كان أول كاتب فى إيطاليا يستخدم اللغة الإيطالية الحديثة فى التعبير هو أليجييرى دانتى (١٢٦٥ ـ ١٣٢١م) Dante, Alighieri، الذى كتب كتابه المشهور «الكوميديا الالهية» Devina Commedia باللغة الإيطالية، وهو عبارة عن رحلة خيالية إلى العالم الآخر، يؤكد بعض الباحثين أن دانتى تأثر فى كتابتها بـ «رسالة الغفران» لأبى العلاء المعرى من ناحية الفكرة، وإن اختلفت من حيث البناء والتفصيلات والمضمون والأهداف..

وتنقسم الكوميديا إلى ثلاثة أقسام متساوية تقريبا، وهى: الجحيم Infero والمطهر Purgatorio والفردوس Paradiso وكل قسم ينقسم بدوره إلى مجموعة من الأناشيد متقاربة الطول.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويصور دانتى فى الجحيم عالم الخطيئة والإثم والعذاب، وهو يقسم تسع درجات، ويتصور أنه شاهد فى كل درجة عددا من أعاظم رجال الشعر والحرب والفلسفة والسياسة.!

أما المطهر، فهو يمثل النصح والتوبة والتطهر والأمل. وهناك فرق بين الجحيم والمطهر، ففى الجحيم يبقى الآثمون فيه أبدا، أما فى المطهر فيوجد فيه الآثمون بصفة مؤقتة لأنهم تابوا وكفروا عن ذنوبهم قبل موتهم.

أما الفردوس فيمثل عند دانتى الطهارة والصفاء والحرية والنور الإلهى، ويضم أرواح الصالحين الأتقياء، ويصوره دانتى على شكل سماوات عشر ترتقى حتى تصل إلى الذات الإلهية. وقد اتخذ دانتى من الشاعر فرجيليوس Virgilius (٧٠ ـ ١٩ ق.م) الشاعر اللاتينى القديم صاحب الإنيادة Aeneid، والذى عاش فى القرن الأول قبل الميلاد، مرشده فى الجحيم والمطهر. أما فى الفردوس فاتخذ من بياتريشى Beatrice التى كان يحبها وماتت فى الخامسة والعشرين من عمرها وحزن عليها دانتى حزنا شديدا، دليلا ومرشدا.

هذا فى إيطاليا، أما فى فرنسا فقد كتب مونتانى de Montaigne (١٥٣٣ ـ ١٥٩٢م) باللغة الفرنسية رسائل رائعة فى الأخلاق عرفت باسم Essais. وكتب فرانسوا رابليه Rabelais قصته عن مخاطرات بنتجرول وجارجانتوا Pentegruel et Gargantua، ولما كان النثر الفرنسى حين بدأ رابليه كتابته لايزال وليدا، فقد استطاع أن يلعب بالألفاظ ويؤلف منها تراكيب غريبة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى أسبانيا ألف سرفانتيز Cervantes (١٥٤٧ ـ ١٦١٦م) باللغة الأسبانية قصته المشهورة دون كويكزوت Don Cuixote أو دون كيشوت Don Quichotte سنة ١٦٠٥م، وقد قصد بها السخرية بروايات الفروسية التى كتب معظمها قبل ذلك العهد بجيلين أو أكثر، ونقد مساوئ المجتمع فى عصره.

وفى إنجلترا كتب تشوسر Chaucer (١٣٤٠ ـ ١٤٠٠م) قصص كانتربرى Canterbury باللغة الإنجليزية. وقد تأثر تشوسر فى شعره ببوكاشيو أبو النثر الإيطالى. كما ظهر سبنسر Spenser (١٥٢٢ ـ ١٥٩٩) ثانى الشعراء الإنجليز العظام. وقد ظل موضع فخار إنجلترا الأدبى حتى ظهور شكسبير فى أخريات عهد النهضة.

كل هؤلاء إلى جانب عدد كبير آخر ممن ظهروا فى مختلف البلاد الأوروبية، وكتب كل منهم بلغة وطنه. وبفضل التطوير والتحديث الذى طرأ على هذه اللغات الحديثة، أصبحت أداة لها شأن فى نشر العلم وإعداد أفراد المجتمع لتقبل الآراء الجديدة والمفاهيم الجديدة.

(٤) تطور الفنون الجميلة:

كان من الطبيعى بعد أن خفت قبضة الكنيسة على الحياة الاجتماعية فى أوروبا، مع ظهور طبقة مادية النظرة إلى الحياة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كالطبقة البورجوازية، أن ينعكس ذلك على الفنون، التى كانت فى العصور الوسطى موجهة لخدمة الكنيسة والأغراض الدينية بوجه عام، إذ دبت فيها روح علمانية متحررة من تزمت العصور الوسطى، وتمثل ذلك بصفة خاصة فى فن الرسم وفن النحت وفن العمارة.

وبالنسبة لفن الرسم فيعتبر الفن الأول لعصر النهضة فى إيطاليا، وقد اصطبغ بصبغة دنيوية سافرة، وتحرر من قيود وتزمت العصور الوسطى، وتمثل ذلك فى إبراز أجزاء جسم الإنسان، وتصوير جمال الوجه والطبيعة. وقد تنافست المدن الإيطالية فى هذا القرن، وبرزت فيها اثنتان، هما: فلورنسة، والبندقية.

ويعتبر ليوناردو دافنشى Leonardo da Vinci (١٤٥٢ ـ ١٥١٩م) ومايكل أنجلو Michel Angelo زعيما المدرسة الفلورنسية، ويتميزان بأن نشاطهما الفنى لا يقتصر على الرسم، بل يتعداه إلى بعض الفنون الأخرى.

وبالنسبة لليوناردو دافينشى، فقد اشتمل نشاطه على التصوير والنحت والموسيقى والأدب، والهندسة العسكرية، والعلوم الطبيعية، وإن قامت شهرته على فن الرسم.

ومن أشهر صوره «الجيوكندا» La Gioconda المعروفة ايضا باسم موناليزا Monalisa نسبة إلى صاحبتها. وتعتبر الصورة معجزة فنية تمثل سيدة تجلس أمام شرفة رخامية واضعة يدها اليمنى على معصم يدها اليسرى. ومع أن السيدة لاتبدو على

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جانب كبير أو قليل من الجمال، كما أن ليوناردو ترك عينيها دون هدب. إلا أن الابتسامة الغامضة التى تكسو وجهها وترتسم على وجنتيها وشفتيها، ظلت موضع سحر وإعجاب الفنانين.

ومن أشهر صور دافينشى أيضا صورة «العاصفة»، وصورة «ميدوسا» Medusa الفتاة الجميلة التى حول «بوسايدون» Poseidon رب البحار شعرها إلى أفاع. ثم صورة العشاء الأخير Last Supper وتصور السيد المسيح جالسا على مائدة كبيرة بين حواريه الذين يتناولون معه الطعام للمرة الأخيرة، وهى ملأى بالانفعالات التى ترسم على الوجه والأجسام والحركات، لأنها تصور اللحظة التى أنهى فيها المسيح كلامه لحوارييه عن خيانة يهوذا الاسخريوطى له Iscariota.

أما مايكل أنجلو فقد برع أيضا إلى جانب الرسم فى النحت وهندسة البناء والشعر الإيطالى، وبلغ فى كل ذلك مستوى رفيعا.

ومن أهم أعماله فى فن الرسم صورة يوم الحساب Last Judgement فى قبة كنيسة «سستين» فى الفاتيكان، التى استغرق إنجازها ثمانى سنوات، وهى تمثل البشر رجالا ونساء وهم يخرجون من القبور، وقد سادهم الاضطراب والفزع لما ينتظرهم من العقاب، والمسيح قائم من على عرشه غاضبا لما ارتكبه شعبه من الخطايا. وقد صور مايكل أنجلو أجسام الرجال والنساء كلها عارية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كذلك من أهم أعمال مايكل أنجلو الفنية صور السقف فى كنيسة «سستين» فى الفاتيكان التى استغرق انجازها ثمانى سنوات، وهى ثلاث مجموعات تاريخية، تناول فى المجموعة الأولى «خلق العالم» فى ثلاث لوحات: الاله الأعظم يفصل النور عن الظلام، والإله يخلق الكواكب، والإله يبارك الأرض بمياهها ونباتها. وتناول فى المجموعة الثانية خلق آدم، والإغراء والخطيئة. أما المجموعة الثالثة فتناول فيها نوح عليه السلام فى ثلاث لوحات هى: تضحية نوح، الطوفان، ونشوة نوح.

هذا فيما يتصل بمدرسة فلورنسا، أما ما يتصل بمدرسة البندقية، فقد اختلفت بسبب ظروفها الاقتصادية والاجتماعية، فقد كانت تحتل مكانة عظيمة فى التجارة، وبالتالى نمت فيها طبقة بورجوازية على جانب كبير من الثراء. لذلك امتاز الرسم البندقى بحيوية فى اللون، وبعرضه لنواحى الحياة الارستقراطية، وبنزعته الدنيوية الصرفة. وإمام هذه المدرسة هو تزيانوتيتيان Tizano Titian (١٤٩٠ ـ ١٥٧٦م) الذى تتميز صوره لمعاصريه – مثل الإمبراطور شارل الخامس، والبابا بول الثالث، وصورة «الأسرة المقدسة» – بالازدهار المادى والعظمة الاجتماعية.

ويعتبر من أعظم رسامى النهضة الفنان «رافايلو سانتزيو» Raffaello Sanzio (١٤٨٣ ـ ١٥٢٠م) الذى جسد بفنه العبقرية الايطالية، ونال حظوة لدى البابا ليو العاشر. ومن أعماله صورة «صلب المسيح» و «تتويج العذراء» و «التجلى» Transfiguration

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

و«مدرسة أثينا» التى استوحاها من وصف دانتى لها فى «الكوميديا الالهية»، وتمثل الفلاسفة والعلماء الأقدمين وقد وقفوا فى أوضاع مختلفة.

أما النحت، فقد ازدهر أيضا على يد طائفة من الفنانين العظام مثل: لورنزو دى تشينو جيبرتى Lorenzio di Cino Ghiberte (١٣٧٨ - ١٤٥٥م) الذى حفر الأبواب البرونزية بمعمودية كنيسة فلورنسا قبل مايكل انجلو، ومن أهم روائعه تمثال ليوحنا المعمدان Baptist فى كاتدرائية سيينا، وتمثالان لـ «داود» أحدهما من البرونز والآخر من المرمر. كذلك من أشهر تماثيله ونقوشه تلك التى تمثل الأطفال وقت نومهم أو لعبهم. وتلك التى نحتها لرءوس وأجسام بعض معاصريه على طبيعتها.

ويعتبر مايكل انجلو من تلاميذ دوناتللو، ولكنه تميز بالابتعاد قليلا عن فن دوناتللو Donatello التقليدى، فقد احتفظ بما تميزت به مدرسة دوناتللو من واقعية يستمدها من الطبيعة، ولكنه مزج بين الشكل الفردى الذى كان هدف هذه المدرسة والشكل المثالى الذى يميز الطابع الإغريقى القديم.

وقد عبر مايكل انجلو بتماثيله العظيمة عن عصر جديد تسوده القوة والحرية. ومن أعماله: تمثال «باخوس» Bacchus و «داود» David و«موسى» Moses والعذراء والطفل Madonna and the Child والأسيران المقيدان.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وعلى كل حال، فقد كان يغلب على فن النحت بصفة عامة المظهر الوثنى القديم، نظرا لأن التماثيل الرائعة التى خلفها الرومان كانت لا تزال موجودة فى إيطاليا، فكانت هذه التماثيل مصدر إلهام لنحاتى عصر النهضة ـ مما ساعد على ازدهار فن النحت، وكان وراء حرص الفنانين على إبراز مفاتن الجسم بكل أعضائه دون التقيد بأخلاقيات أو غيرها، فأخرجوا إنتاجاً فنياً مبدعاً.

أما بالنسبة لفن العمارة، فقد انعكس الاتجاه إلى إحياء الدراسات القديمة على نهضة هذا الفن، وكان فن العمارة فى أوائل العصور الوسطى متأثراً بطبيعة الحال بنماذج الفن القديم، ثم برز بعد ذلك طراز جديد هو الطراز القوطى Gothic الذى تميز بكثرة الدعائم الطائرة Flying Bettresses والأقبية العالية، وانتشر فى بناء الكنائس والكاتدرائيات الضخمة، وقد أدخل هذا الطراز القوطى فى إيطاليا فى أواخر القرن الثالث عشر بعد إدخال تعديلات عليه تجعله يتفق مع حالة الطقس فى بلادهم. وفى الوقت نفسه فإن المبانى قد غلب عليها طابع الدفاع، بسبب الخوف من غزوات البرابرة، وتمثل ذلك فى القلاع المحصنة.

ولما جاءت النهضة بدأت فى القرن الرابع عشر روح جديدة تدخل فى فن العمارة، فأدخلت على الطرز المعمارية الخصائص والرسومات الهندسية التى كان يتبعها الرومان فى مبانيهم القديمة، وتمثل ذلك فى الرجوع إلى الشكل الكلاسيكى الذى يتميز

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بالعمود والعتب، أى الجزء المحمول على العامود مباشرة ويليه الإفريز ثم الكورنيش، كما تمثل فى استعمال السقف المسطح الذى استعمله الإغريق والرومان، والعمود والقوس.

وقد تدفقت عمارة النهضة من مركزها فى إيطاليا إلى خارجها، فملأت أوروبا بمبان وقصور رحبة لم تنشأ لأغراض الدفاع بقدر ما أنشئت لمتعة أصحابها، وحل المنزل الريفى محل القلعة الحصينة، وأخذت مبانى المدينة تزحف خارج أسوارها.

على أن فن العمارة لم يكن فى عصر النهضة مقيدا تماما بالنظريات الكلاسيكية، أو تقليدا أعمى للنماذج الرومانية، وانما تعدلت قوالب الماضى لتتمشى مع أساليب الحياة الجديدة، ولتلائم رخاء الحياة وترفها.

وفى المراحل المتأخرة من عصر النهضة أصبحت الضخامة أهم ما يميز فن العمارة، والتى تعرف بالعصر الباروكى Baroque. وتمثل ذلك فى كنيسة القديس بطرس الجديدة فى روما، التى وضع أسسها البابا يوليوس الثانى فى ١٨ أبريل ١٥٠٦م بعد أن تصدعت الكنيسة القديمة التى أقامها قسطنطين الكبير وتقرر هدمها. وقد اشترك فى بناء الكنيسة الجديدة أفذاذ المهندسين المعماريين والفنانين أمثال برامانتى Bramante وبيروتزى Peruzzi ورافاييللو، ومايكل انجلو، وتعتبر من عجائب الدنيا وهى تتسع لحوالى ٦٠ ألف شخص.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومن أعلام العمارة الرواد فى عصر النهضة فيليبو برونيللييسكى Fillippo Brunelleschi (١٣٧٧ ـ ١٤٤٦م) وهو فلورنسى المولد، وقد عاد بفن البناء إلى الشكل الكلاسيكى الذى يتميز كما ذكرنا بالعامود والعتب، أو العامود والقوس، وبتطبيق هذا الشكل القديم على الأبنية المعاصرة شاع نموذج العمود الذى ينتهى بالتاج.

وقد انتشر البناء الجديد فى فلورنسا إلى بقية أنحاء إيطاليا فى النصف الأول من القرن الخامس عشر، حتى احتلت روما والبندقية فى النصف الثانى من القرن الخامس عشر مكانة فلورنسا، وقد وصل فن البناء درجة الكمال عند مايكل أنجلو.

(٥) تقدم العلوم :

كان من الطبيعى مع ظهور طبقة بورجوازية تجارية، عملها الأساسى نقل المتاجر بين الجهات والبلاد، أن تنشأ الحاجة إلى تحسين وسائل المواصلات، ولما كانت الملاحة البحرية أداة مهمة من أدوات المواصلات، فسرعان ما أحرزت تقدما ملموسا.

فقد تم الإهتداء إلى آلات نافعة مثل البوصلة أو الإبرة المغناطيسية والإسطرلاب. وهو آلة تستخدم فى تقدير المسافات وتبين اتجاه السفينة وهى فى أعالى البحار.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كما تقدمت صناعة السفن فى تصميمها، فحسن البرتغاليون من صنع السفينة الكرافيل حتى بلغوابها حد الإتقان، وهى سفينة سريعة خفيفة محكمة الصنع قوية البناء، قادرة على السير قريبا جدا من الشاطئ وعلى اختراق المستنقعات الساحلية، كما حسنوا صناعة الغلايين، وهى سفن ثقيلة البناء بطيئة الحركة تستطيع حمل المدافع.

وبفضل هذا التقدم تجاسرت السفن على شق البحر فى كثير من الجرأة والاطمئنان، بعد أن كانت تلتزم بالسير قرب الشاطئ خوفا من الغرق، أو أن تضل الطريق وسط البحار. وكان ذلك أساس الكشف الجغرافى الذى لم يكن من الممكن أن يتم بدونه.

ويتصل بالملاحة البحرية التقدم الذى طرأ على علم الجغرافيا، وقد اعتمد الأوروبيون فى ذلك على ما كتبه الجغرافيون القدامى خاصة كلاوديوس بطلميوس Claudius Ptolemaeus الذى كانت مؤلفاته عن الجغرافيا والفلك قد نقلت إلى اللاتينية عن العربية. ولم يأت النصف الأول من القرن الرابع عشر حتى كانت أوروبا تملك خرائط مفصلة ودقيقة لكثير من بقاع الأرض.

وكان من أشهر الجغرافيين وراسمى الخرائط رجل من الفلاندر يدعى جيراردوس ميركاتور Gerardus Mercator (١٥١٢ – ١٥٩٤م) أطلق اسمه على طريقة رسم الخرائط التى تمثل فيها خطوط الطول والعرض بخطوط مستقيمة متوازية بدلا من خطوط

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

منحنية تلتقى عند القطبين. وهى طريقة الإسقاط المركاتورى Mercator Projection.

وبتقدم علم الجغرافيا تقدمت نواحى المعرفة التى تتصل بهذا العلم مثل النبات والحيوان والمعادن، كما تقدم علم الفلك، وأمكن التوصل إلى حقائق فلكية جديدة.

فقد أثبت كوبرنيكوس Copernicus (١٤٧٣ ـ ١٥٤٣م)، العالم البولندى، أن الشمس مركز تدور حوله الأرض وبقية الكواكب، وأن حركة الشمس والكواكب ماهى إلا حركة ظاهرية منشؤها دوران الأرض حول نفسها مرة كل يوم. وكانت النظرية الفلكية القديمة السائدة فى العصور الوسطى، وهى نظرية كلاوديوس بطلميوس، تقوم على العكس اذ كانت تعتقد أن الأرض هى المركز والشمس والكواكب تدور حولها.

وقد أيد جاليليو Galileo (١٥٦٤ ـ ١٦٤٢م) الذى كان أول من استعمل المنظار فى رصد الكواكب رأى كوبرنيكوس، ووصل إلى عدة اكتشافات علمية مهمة.

كذلك فإن الفكرة السائدة فى العصور الوسطى عن تسطح الأرض قد اختفت، واتجه الاقتناع إلى الفكرة الإغريقية القديمة القائلة بأن من المستطاع الوصول إلى الشرق إذا اتجه الإنسان جهة الغرب.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومع ظهور الروح العلمية للطبقة البورجوازية، أخذت روح البحث العلمي والتنقيب تتقدم على حساب التأخر والجهل. كما أخذت روح النقد وحرية الرأى تنطلق بعد الركود والتجمد.

وقد قام العالم الإنجليزى روجر بيكون Roger Bacon فى القرن الثالث عشر (١٢١٤ ـ ١٢٩٤م) يهزأ بالآراء السائدة فى عصره، ويهاجم المنهج القياسى بعد أن فطن إلى قيمة المنهج التجريبى ومنفعته. وأخذ يدعو إلى استخدام التجربة باعتبارها الأساس الوحيد للتوصل إلى اليقين، وقد أطلق على العلم الذى يتبنى هذا المنهج اسم «العلم التجريبى».

ومع أن روجر بيكون ينتمى إلى العصور الوسطى، إلا أنه كان خير تمهيد لعصر النهضة، فقد أيقظ روح البحث والشك من رقادها، ووضع قاعدة عدم التسليم المطلق بمعرفة شئ دون إخضاعه للتجربة، بل لقد كان أول من أصر على ضرورة إلمام الطبيب بأصول علم الكيمياء كشرط أساسى لتكوينه.

فلما كان عصر النهضة، أخذ مفكروه يستهجنون استقاء الحقائق من قدماء الفلاسفة ومشاهيرهم، وسخروا من منهج أرسطو الجدلى وبراهينه الصورية، وطالبوا بالكشف عن أسرار الطبيعة عن طريق الملاحظة والتجربة، وبدت هذه المحاولة فى الفلك والطب وسائر مجالات العلم الطبيعى.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد مهد ذلك لظهور فرانسيس بيكون Francis Bacon (١٥٦١ ـ ١٦٢٦م) واضع أسس المنهج التجريبى الحديث، ومؤلف كتاب الأورجانوم الجديد Novum organum (أى الآلة أو الأداة الوحيدة)، الذى رد به على أورجانوم أرسطو، مستبدلاً بنموذج التفكير القياسى الصورى نموذجا جديدا قوامه الملاحظة والتجربة هو الذى يعرف بمنهج الاستقراء. ويتألف من جانبين: جانب نقدى، وجانب بنائي.

وغرض الجانب الأول تطهير العقل وتنقيته مما يحويه من أوهام حددها فرانسيس بيكون بأوهام أربعة هى:

- أوهام الجنس Idols of the race
- أوهام الكهف Idols of the Cave
- أوهام السوق Idols of the Market-Place
- أوهام المسرح Idols of the Theatre

وقد اعتبر هذه الأوهام الأربعة حجر عثرة فى سبيل البحث العلمى. أما الجانب الإيجابى فيضم مراحل المنهج التجريبى التى تتمثل فى جميع الحقائق والترتيب والتبويب والاستقراء الحقيقى.

(٦) تطور الفكر السياسى:

تمثلت روح العصر البورجوازى العملية أكثر ما تمثلت فى التطور الذى طرأ على الفكر السياسى، والذى عبر عنه ماكيافللى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Niccolo Machiavelli (١٤٦٩ – ١٥٢٧م) فى نظرياته أو مبادئه التى تتألف من مجموعة أقواله فى كتبه، وخاصة كتابه: «الأمير» -II Prin cipe. فمع أن «ماكيافيللى» قد ولد من طبقة النبلاء القديمة، إلا أنه ولد فى فلورنسا حيث كانت الطبقة البورجوازية على درجة كبيرة من القوة.

وقد شهد حكم الراهب الثائر سافونا رولا Savonarola (١٤٥٢ ـ ١٤٩٨م) الذى كان يرى ألاّ خلاص لإيطاليا إلاّ عن طريق التمسك بالفضيلة والأخلاق. وكانت مأساة سافونارولا تجربة عملية أمام مكيافيللى استقى منها دروسه السياسية التى شرحها فى بعض كتبه، فقد رأى أن «سافونارولا» قد لقى حتفه لأنه كان خياليا متعسفا فى إيمانه بالفضيلة التى لا وجود لها بين الناس، ورأى أن فكرة الإخاء الإنسانى التى قامت عليها دعوة «سافونارولا» وحملته الدينية، غاية فى السخافة، وأن القيود التى تضمنتها تعاليم المسيح لا يمكن التقيد بها إذا كان لابد أن يُحكم الناس وأن يسود بينهم نظام.

فضلا عن ذلك، فقد عاش ماكيافيللى حياته العملية متصلا بالأحداث التى عصفت بفلورنسا، فقد قام ببعثات دبلوماسية إلى روما وفرنسا، كما أوفد إلى بلاد الإمبراطور الألمانى مكسميليان فى الوقت الذى كانت فلورنسا مهددة بالجيوش الأجنبية من جهة، وبمرتزقة سيزار بورجيا من جهة أخرى، وشاهد أطماع البابوات

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

السياسية، وتحررهم من أخلاقيات البابوية، فكانت هذه الأحوال والظروف والحوادث هى التى ألهمته عندما كتب كتابه المشهور «الأمير»، مستخلصا منها الآراء والقواعد التى وضعها لإرشاد الحكام فى حكم الإمارات عموما.

وتتلخص فلسفة ماكيافيللى السياسية فى أن الطبيعة الإنسانية تتصف بالشر والفساد فى جوهرها، وأن الإنسان ولد خبيثا لا يفعل الخير إلا إذا اضطر إلى ذلك. وبناء على هذه الحقيقة، التى يعتبر ماكيافيللى التسليم بها أول المبادئ السياسية فى العلوم السياسية، فإنه لا يمكن الاعتماد على الطبيعة الإنسانية وحدها لإصلاح نفسها، فالشر لايمكن التغلب عليه إلاّ بكبحه والضغط عليه.

ثانياً: أن القوة هى أساس نجاح الحكام، ومن ثم فإن الالتجاء إلى الحرب من وقت إلى آخر ضرورة للمحافظة على كيان الدولة، لأن السلام الدائم من شأنه أن يؤدى إلى ضعف أبناء الدولة، فى حين يؤدى الخوف والخطر إلى اتحادهم وتماسكهم، ومن ثم فلابد من تأسيس جيش وطنى فى حكومة أمير له القدرة على تنظيم وقيادة جنوده، ثم استخدام هؤلاء فى الدفاع عن البلاد والحفاظ على وحدتها الوطنية.

ثالثاً : أن من يتطلع من الحكام إلى السلطة المطلقة، لابد أن يرحب بالفلسفة التى تقول: «إن فشل الحاكم هو الجريمة التى لا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تغتفر»! ولذلك فعليه أن يكيف أخلاقه حسب الظروف، وأن يتحرر من القيود الأخلاقية المقررة باعتبار هذا التحرر ضرورة يحتمها الصالح العام.

وفى ذلك يقول: إذا تعرضت حياة الوطن للخطر، وجب ألا يّفكر الإنسان فى عدل أو ظلم أو قسوة أو شرف أو عار، بل يجب فى هذه الحال أن ينبذ كل المبادئ كما ينبذ الثوب البالى، وألاّ يسلك إلاّ السبيل التى تنقذ الوطن وتحفظ له حريته.

وبمعنى آخر كان ماكيافللى يرى أن الغاية تبرّر الوسيلة، وأن من حق الحاكم ان يرتكب أعمال العنف والشدة والخداع والغش حسب اقتضاء الظروف لمصلحة بلاده.

رابعاً: على الرغم من إعجاب ماكيافيللى بالمستبد القوى، فإنه كان يعجب بالشعب الحر الذى يحكم نفسه بنفسه. وقد وفق بين هذين النوعين من الإعجاب المتناقضين، بأن أوصى بالحكم الاستبدادى فى حالتين خاصتين: الحالة الأولى: إنشاء دولة، والحالة الثانية: إصلاح دولة فاسدة.

ومن الناحية الأولى، فبعد تأسيس الدولة لابد لضمان استمرارها من أن يسمح للناس بنصيب فى الحكومة، ولابد أن يدبر الحاكم عندئذ شئون الدولة وفقا للقانون، وأن يراعى حقوق رعاياه.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أما من الناحية الثانية، وهى التى تختص باصلاح دولة فاسدة، فقد رأى ماكيافيللى أن العنف الاستبدادى دواء سياسى قوى لابد من استخدامه فى الدولة الفاسدة، ولكنه كالسم يجب استخدامه بحذر.

ويعتبر بعض المؤرخين أن ماكيافيللى لم يبتدع شيئا جديدا، فإن كل ما أخرجه من أعمال ونظريات لاتعدو التعبير عن الآراء السائدة فى عصره، وشرح الطرق والمسائل السياسية التى استخدمت فى عصره لتنفيذ السياسات. وهذا تفسير صادق. ولذلك يرى بعض المؤرخين أن كتاب «الأمير» يمكن اعتباره وثيقة تاريخية تصور الأخلاق السياسية فى إيطاليا فى أوائل القرن السادس عشر، أكثر منه عملا مثاليا شبيها بجمهورية أفلاطون أو «يوتوبيا» سيرتوماس مور.

ومع ذلك فإن الأثر الذى أحدثه كتاب «الأمير» فى تاريخ العالم، يكاد يضارع فى رأى بعض المؤرخين ما تركه كتاب «العقد الاجتماعى» لجان جاك روسو من أثر. فإن أوروبا فى المائتين والخمسين عاما التى أعقبت موته كانت إما خاضعة للمبادئ الماكيافيللية، وإما ثائرة عليها.

فقد سارت على هذه المبادئ كاترين دى مديتشى زوجة هنرى الثانى ملك فرنسا التى وقعت فى أيامها مذبحة سان بارثولوميو، Saint Partholomew's Day Massacre التى قتل فيها عدد كبير من

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الهوجينوت Huguenots (البروتستنت) الفرنسيين، كما سار على هذه المبادئ ريشيليو Richelieu، ولويس الرابع عشر، وهنرى الثامن، والملكة إليزابيث، وفردريك الأكبر ملك بروسيا. ثم بسمارك مثل الماكيافيللية الأعلى، وكان نابليون نفسه أعظم من تمثلت فيه هذه التقاليد.

(٧) أفول النهضة فى إيطاليا:

على كل حال فإن هذه النهضة العظيمة التى قامت فى المدن الإيطالية لم تلبث أن أخذت تخبو منذ نهاية القرن الخامس عشر. ثم انطفأت تماماً فى سنة ١٥٢٧م. وهناك عاملان أساسيان أديا إلى افول النهضة فى إيطاليا:

ـ العامل الأول : الحروب الإيطالية:

ففى عام ١٤٩٤م غزا شارل الثانى ملك فرنسا إيطاليا عبر الالب، وكان ذلك فاتحة الحروب الإيطالية بين الدول الأوروبية الكبرى، التى كان ميدانها إيطاليا، واشتركت فيها الإمارات الإيطالية نفسها، وكان تأثيرها فادحا على النهضة الإيطالية.

فقد طردت أسرة مديتشى من فلورنسا، التى رأينا كيف أسهمت فى حركة النهضة، وأخذت تتنازع الحكم أسرتا بيانونى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Pianoni وأوتيماتى Ottimati. كما استولى فردناند ملك أراجونة Aragon على نابولى فى سنة ١٥٠٤م. وأما ميلان فقد خربت على يد الجيوش الفرنسية والألمانية والسويسرية.

وقد ظلت روما بمنأى عن التخريب حتى عام ١٥٢٧م، فأصبحت مركز الإشعاع للنهضة الإيطالية، ومحور الحركة الإنسانية. وكان ليو العاشر شديد التحمس للدراسات الكلاسيكية، حتى أصبحت روما فى عهده مركزا أوسع وأكبر من فلورنسا فى عهد لورنزو مديتشى، وإن كانت أقل منها فى عمقها وعبقريتها. وقد تطورت علاقة البابوية بالحركة الإنسانية حتى أصبح الإمتياز فى الدراسات الإنسانية سبيلا للوصول إلى مناصب الكنيسة الكبرى.

على أن نهب روما فى مايو ١٥٢٧م على يد جنود الإمبراطور شارل الخامس ملك أسبانيا، وهزيمة البابا وعقده الصلح مع الإمبراطور فى كامبرى Cambrai، لم يلبث أن أدى إلى انهيار النهضة الإيطالية انهيارا تاما. فقد نهبت قوات الإمبراطور شارل الخامس كل الكنائس والأديرة، وقطعت رءوس رهبانها وقساوستها، واغتُصِب عدد من الراهبات، وتحولت كنيسة القديس بطرس إلى اسطبلات للخيول.

ـ العامل الثانى : حركة الإصلاح الدينى:

فإنه لما كانت هذه الحركة تحمل معنى التحرر الدينى والتحرر من سيطرة الكنيسة الكاثوليكية، وكانت فى الوقت نفسه

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثمرة من ثمرات الحركة الإنسانية، فقد كان ذلك ما أدى إلى معارضة البابوية للحركة الإنسانية بقوة منذ ظهور حركة الإصلاح الدينى فى الربع الثانى من القرن السادس عشر، فتواطأت البابوية فى عهد كليمنت السابع فى سنة ١٥٢٠م مع شارل الخامس ملك أسبانيا على تصفية الحركة الإنسانية فى إيطاليا.

على أنه قبل انطفاء شعلة النهضة فى إيطاليا، كانت قد انتقلت عبر الألب إلى بقية أنحاء القارة الأوروبية، وعلى الأخص فى غربها وشمالها على يد الطلاب الذين كانوا قد حصلوا المعارف الجديدة فى المدن الايطالية. ثم عادوا إلى بلادهم لينشروا ما حصلوه على مواطنيهم، فقامت نهضة جديدة فى كل بلد أخذت تتخذ لها سماتها وخصائصها المنفردة حسب الأحوال الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والحضارية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(ثانياً) : النهضة خارج إيطاليا

١ ـ النهضة فى فرنسـا :

اختلفت النهضة فى فرنسا عنها فى إيطاليا بسبب الخلاف بين العقلية الإيطالية والعقلية الفرنسية فيما يتعلق بالقديم. ففى حين أحيت العقلية الإيطالية القديم فى صورة مطابقة للأصل، أى أنها قلدت القديم واستسلمت دون تحفظ إلى المخلفات الكلاسيكية وإخراجها بدقة وأمانة، فقد احتفظت العقلية الفرنسية باستقلالها إزاء القديم، فقد اقتبست منه ما راقها، وطعمته بخصائصها الذاتية، فجاء إنتاجها الأدبى والفنى مخالفا لإنتاج إيطاليا الذى كان لحد كبير صورة مطابقة للقديم. ويتمثل ذلك فى انتاج فرنسا فى النحت والبناء وفى الأدب.

وكانت الحضارة الكلاسيكية مزدهرة دائما فى فرنسا فى العصور الوسطى المتأخرة، حيث انتشر فيها الاهتمام بالأدب اللاتينى أكثر من أى بلد آخر فى أوروبا. على أن الحركة الثقافية توقفت بسبب حروب المائة سنة مع إنجلترا، وبسبب ما أعقب هذه الحروب من صراع داخلى بين الملك لويس الحادى عشر والبلاد الإقطاعية، وهو الصراع الذى انتهى بهزيمة النبلاء وضم برجاندى Burgundy وبيكاردى Picardy ومين Maine وأنجو Anjou وبريتانى Brittany إلى التاج الفرنسى.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وعلى هذا النحو فبينما ازدهرت النهضة فى إيطاليا فى النصف الأول من القرن الخامس عشر، كانت فرنسا تعانى من توقف نموها الثقافى، ولكن بعد أن بدأ الاتصال بين فرنسا وإيطاليا بغزو شارل الثامن لإيطاليا سنة ١٤٩٤م أخذت عناصر النهضة الإيطالية تتسرب إلى فرنسا.

ولكنها لم تبدأ فجأة عقب الغزو الفرنسى، وإنما بدأت معالمها منذ النصف الثانى من القرن الخامس عشر. ففى سنة ١٤٥٨م عين جريجورى تيفرناس Tifernas مدرسا لليونانية فى جامعة باريس، كما حاضر جون لاسكاريس John Lascaris فى اليونانية فى باريس، كذلك حاضر جيروم أليانديز Jerome Aleander فى اليونانية واللاتينية والعبرية فى باريس منذ سنة ١٥٠٨م وأصبح مديرا لجامعة باريس.

ولكن هذه المحاولات المتفرقة كانت ضعيفة، فظلت الدراسة المدرسية هى المسيطرة فى الجامعات الفرنسية وجامعة باريس بالذات، ولم يكن إلاّ حوالى منتصف القرن السادس عشر حينما استقرت الدراسات الكلاسيكية تماما فى باريس.

فقد نشأت حركة واسعة لنشر الكتب اليونانية، كما شجع الملوك الفرنسيون انتشار الدراسات الانسانية ببناء الكليات والأكاديميات.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فقد أنشأ فرانسوا الأول فى سنة ١٥٣٠م الكلية الملكية فى باريس (الكوليج دى فرانس) Le College de France خارج نطاق جامعتها، وذلك لتشجيع هذه الدراسات.

وقد كان الفضل الأكبر فى انتشار الكلاسيكيات فى فرنسا إلى جيوم بوديه Guillaum Bude (١٤٦٧ ـ ١٥٤٠م) الذى تلقى العلم على يد لاسكاريس وأليأندر. وكان هو الذى حث وشجع فرانسوا الأول على تنفيذ فكرته فى انشاء الكوليج دى فرانس.

كما كان من أعلام النهضة الفرنسية «رابليه» Rabelais (١٤٩٥ ـ ١٥٥٣م) الذى اشتهر برواياته الفكاهية، وقد أشرنا إليه. وقد كتب بالفرنسية ونقد بشدة الحياة الاجتماعية والعلمية والسياسية السائدة فى عصره. كما نقد رجال الكنيسة والرهبان والتفكير الدينى عموما وطرق التربية وحالة القضاء. ولما كان من الإنسانيين فقد وضع نظاما للتربية على الأسس التى يرضى عنها الإنسانيون. فقام هذا البرنامج على تعليم اللغات اليونانية واللاتينية والعبرية، وعلم النفس والقانون والفلك والطب وظواهر الطبيعة وقوانينها، وتربية الأجسام.

ويعتبر مونتانى Montaigne أيضا من أعلام النهضة، وفيليب دى كومين Philippe de Commines الذى ترك مذكرات تاريخية قيمة عن عهدى لويس الحادى عشر وشارل الثامن. كذلك تفوق العلماء الفرنسيون فى دراسة القانون الرومانى القديم. وفى مقدمة فقهائهم جاك كوجاز Jacques Cojas (١٥٢٢ ـ ١٥٩٠م).

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أما عن الفنون، فلم يبلغ التصوير مبلغه الذى وصل إليه فى إيطاليا، حتى إن الملك فرانسوا الأول اضطر إلى استدعاء مصورين أو رسامين إيطاليين لتزيين قصره فى فونتين بلو Fontainebleu. وفى الحقيقة أن النهضة الحقيقية تمثلت فى النحت والعمارة. غير أن ذلك الفن لم يظهر فى الكنائس كما حدث فى إيطاليا، بل ظهر فى الأماكن العامة وفى القصور. وبلغت نهضة فرنسا فى هذا الفن أعلى درجاتها فى النصف الثانى من القرن السادس عشر.

ومن أهم الأعمال التى ظهرت فى هذا الميدان، بناء قصر اللوفر الذى بدأ فى عهد فرانسوا الأول ولم يتم إلاّ فى عهد لويس الرابع عشر. وقد ظهرت أهم أعمال النحت فى تزيين قصر اللوفر، وخصوصا فى التماثيل التى زينت واجهته.

٢ ـ النهضة فى إنجلترا :

لم تسهم إنجلترا فى النهضة الأوروبية العامة بإضافة شئ جديد إلى تراث الدراسات الإنسانية الأوروبية إلا فى القرن السابع عشر، وكانت إنجلترا قد شغلت بحروب المائة سنة ثم بحروب الوردتين.

فلما كان عهد أسرة تيودور تمهد السبيل للدراسات الإنسانية فى إنجلترا على يد الإنجليز الذين كانوا قد سافروا إلى إيطاليا،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

منهم وليم جروسين Grocyn (١٤٤٦ ـ ١٥١٩م) ،وتوماس لياكر Linacre (١٤٦٠ ـ ١٥٢٤م)، وجون كوليت John Colet (١٤٦٦ ـ ١٥١٩م)، ووليم ليللى Lilly (١٤٦٨ – ١٥٢١م)، وسير توماس مور Thomes More (١٤٧٨ ـ ١٥٣٥م)، وإيرازموس Erasmus. وقد عرف هؤلاء المشتغلون بالدراسات القديمة، خاصة اليونانية، باسم «مصلحى أكسفورد». وإلى جانب أكسفورد وجدت الدراسات القديمة طريقها إلى كمبردج.

وفى النصف الأول من القرن السادس عشر دخل التعليم الكلاسيكى فى المدارس الإنجليزية، وكانت أقدم المدارس التى خصصت للدراسات الإنسانية، هى مدرسة سانت بول St. Paul التى أسسها كوليت.

وكانت حروب المائة سنة بين إنجلترا وفرنسا قد أدت إلى عملية التبادل الحضارى بين البلدين. فأخذت اللغة القومية فى إنجلترا تحل محل اللغة الفرنسية فى المؤلفات الأدبية والمحاكم والبرلمان والكنيسة، وفى مراسلات الملوك ومكاتبات الطبقة المثقفة.

فلما كان النصف الثانى من القرن السادس عشر ومطلع القرن الثانى كانت اللغة الانجليزية قد أينعت، وازدهر الأدب الإنجليزي ازدهارا كبيرا حتى أصبح يضارع أدب أى شعب آخر حتى الشعب الإغريقى، بعد أن كان حتى عام ١٥٧٩م أفقر من اللغة الفرنسية أو الأسبانية فى مجال الآداب الرفيعة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد وصل الأدب الإنجليزى إلى الذروة خاصة فى الدراما. ففى عام ١٥٨٧م كتب كرستوفر مارلو Cristopher Marlowe (١٥٦٣ – ١٥٩٣م) أول وأعظم تراجيدياته، وهى فاوستس Faustus، وتلاه وليم شكسبير Shakespeare (١٥٦٤ ـ ١٦٦٦م) بتراجيدياته وكوميدياته ومسرحياته التاريخية أمثال: روميو وجولييت، وتاجر البندقية، وهاملت، وعطيل، ومكبث.

وإلى جانب مارلو وشكسبير رفع الشاعران أدموند سبنسر (١٥٥٢ ـ ١٥٩٩م) وفيليب سدنى (١٥٥٤ ـ ١٥٨٦) الشعر الإنجليزى إلى أرفع مستوى، بل صار عصرهما أبدع العصور إطلاقا فى الأدب الأوروبى الحديث.

وعلى كل حال فإذا عدنا إلى الحركة الإنسانية فى إنجلترا لنقارنها بغيرها من دول أوروبا، فإننا نجد أنها لم تتجه كما حدث فى إيطاليا وفرنسا، اتجاها وثنيا، ولم تشتمل على الأدب والفن فحسب، بل إنها اتجهت لخدمة الكنيسة أيضا. ويرجع الفضل فى هذا الاتجاه الإنسانى لايرازموس ولصديقه كوليت.

٣ ـ النهضة فى شبه جزيرة أيبريا:

كانت شبه جزيرة أيبيريا فى أوائل القرن السادس عشر مهيأة للدراسات الإنسانية كبقية أنحاء أوروبا، فقد انتقلت بذور

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هذه الدراسات إليها على يد بعض التلاميذ الذين زاروا إيطاليا فى القرن الخامس عشر ودرسوا فى جامعاتها وعادوا إلى بلادهم ليحاضروا فى الدراسات الإنسانية، ومن أبرز هؤلاء أرياس باربوسا Arias Barbosa فى جامعة سالامانكا Salamanca، وأنطونيو ليبريكسا Lebrixa، الذى حاضر فى أشبيلية Seville وألكالا Alcala، ثم المؤرخ البرتغالى والشاعر الكبير ريسندى Resende فى لشبونة.

على أن الخوف من بوادر حركة الإصلاح الدينى دعا شارل الخامس والبابا كليمنت السابع إلى الوقوف ضد الدراسات الإنسانية، مما جعل تأثير الدراسات الإنسانية فى المجتمع الأسبانى محدودا بصفة عامة. وكانت محاكم التفتيش الأسبانية سيفا على رءوس هؤلاء الإنسانيين.

على أن أثر حركة الإحياء فى شبه الجزيرة الأيبيرية تمثل بدرجة أوضح فى استخدام اللغة الأسبانية القومية فى مجال الأدب والمسرح. فكتب سرفانتيز Cervantes قصته المشهورة دون كيشوت، التى أشرنا إليها، وكتب لويس دى كاميونس De Cameons (١٥٢٤ ـ ١٥٨٠م) ملحمته الشهيرة لوزياد Lusiad، وكتب لوب دى فيجا Lope de Vega، المعاصر لسرفانتيز، عدة درامات.

وإلى جانب الدراسات القديمة والأدب القومى، اقترنت النهضة فى شبه جزيرة أيبيريا بالاهتمام بالملاحة وصناعة السفن، فضلا عن الفنون التى تأثرت بالناحية الدينية نظرا لأن رعاة الفن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من ملوك أسبانيا كانوا من الكاثوليك المتعصبين. ولذلك فإذا كان الفن الأسبانى فى عصر النهضة قليل الأهمية بالنسبة للمستويات الأوروبية، إلا أنه كان متميز الشخصية.

٤ ـ النهضة فى الأراضى المنخفضة :

كانت مقاطعات البلاد المنخفضة فى القرن الخامس عشر من ممتلكات دوقية برجنديا. وعندما آلت إلى شارل الخامس ملك أسبانيا عن جده مكسمليان وجدتّه مارى دوقة برجنديا والأراضى المنخفضة، انسحبت على هذه البلاد القيود التى فرضت على الدراسات الإنسانية فى أسبانيا ذاتها.

ولكن بعد أن اندلعت الثورة فى الأراضى المنخفضة على أسبانيا بزعامة وليم أورانج William of Orange وأفلحت فى استخلاص إرادتها واستقلالها، أخذت الدراسات الإنسانية فيها فى النمو والازدهار بسرعة، حتى أصبحت جامعة ليدن Lyden فى غضون نصف قرن مركزا عالميا للدراسات الإنسانية، وتركز اهتمامها بصفة خاصة بالتاريخ والآثار والدراسات الإغريقية واللاتينية والطب.

وكانت الدراسات الإنسانية فى الأراضى المنخفضة تستهدف أصلاً ترتيب ونقد المؤلفات التى جمعها الإنسانيون الأوائل، وتتميز

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بعمق أصيل. ويقف إيرازموس فى مقدمة الإنسانيين الهولنديين، وإن كان فنه لا يرتبط بأصله، وإنما كان عالميا. ويأتى بعده جويست ليبس Joest Lips.

ويستوى فن الأراضى المنخفضة مع الفن الإيطالى فى إنطلاقهما من قاعدة بورجوازية هى المدن. فقد نافس سكان الأراضى المنخفضة سكان فلورنسا والبندقية في تقديرهم للجهود الأدبية والفنية.

وقد استمد الرسامون الفلمنكيون Flemish رسومهم من الحياة الواقعية، ولكن فى أصباغ مشرقة، وانتشر الفن الفلمنكى غربا عبر برجنديا إلى فرنسا، وشرقا إلى ألمانيا الشمالية. ويعتبر أعظم المصورين والنقاشين الهولنديين قاطبة رمبرانت Rembrandt (١٦٠٦ ـ ١٦٦٦م). وقد صور رمبرانت ٦٠٠ صورة بفرشاته و٢٠٠٠ رسما، و ٣٠٠ نقشا.

٥ ـ النهضة فى ألمانيا :

تميزت النهضة فى ألمانيا باتجاهها الدينى والعلمي، على العكس من إيطاليا التى اقتصرت الدراسات الإنسانية فيها على الطابع الوثنى. وكانت طلائع النهضة فى ألمانيا جماعة من المبتدئين الذين جذبتهم الدراسات القديمة فى إيطاليا ونقلوها بمجرد عودتهم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إلى ألمانيا. وكان هدف الألمان من دراسة الأدب القديم تهذيب النفوس وتربية النشء وتنمية شعور التقوى.

ويرجع الفضل فى إثارة الاهتمام بهذه الدراسات الجديدة فى ألمانيا إلى جوهان رويخلن Johann Reuchlin (١٤٥٥ ـ ١٥٢٢م) الذى درس الأدبين اليونانى واللاتينى، ثم انصب اهتمامه على العبرية باعتبارها مفتاحا لدراسة العهد القديم .وهكذا كان اهتمام رويخلن بالعبرية لخدمة المسيحية.

وفى الواقع أن هذا هو الاتجاه المميز للحركة الإنسانية فى مرحلتها الأولى فى ألمانيا، فقد أخضع الإنسانيون الدراسات الإنسانية لخدمة الكتاب المقدس، فكان الائتلاف قويا بين الحركة الإنسانية وحركة الإصلاح الدينى، فكما أن الدراسات الإنسانية تعتمد على الدراسات القديمة، فكذلك حركة الإصلاح الدينى تعتمد على الرجوع إلى المصادر الأولى للمسيحية دون فلسفة العصور الوسطى من مدرسية وغيرها. لذلك اتجهت النهضة فى ألمانيا لخدمة الإصلاح الدينى واتخذت أشكالها فى دراسة الكتاب المقدس كما كتب باليونانية، وفى مهاجمة رجال الدين ومحاربة البدع والخرافات الدينية. وقد تبلور هذا الاتجاه بصورة صارخة فيما بعد فى قيام حركة الإصلاح الدينى Reformation المعادية للكنيسة الكاثوليكية، والتى انتهت بحروب دينية مدمرة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الثالث

حركـــة الإصـــلاح الدينى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حركة الإصلاح الدينى

(أولاً) الطبقة البورجوازية والإصلاح الدينى :

رأينا كيف أدى ظهور الطبقة البورجوازية التجارية الأوروبية إلى تغيير وجه الحياة فى أوروبا، وكيف تغيرت نظرة الناس إلى عادات وتقاليد العصور الوسطى، فأخذت هذه العادات والتقاليد تتزعزع أسسها مع انهيار المجتمع الإقطاعى وبناء المجتمع البورجوازى، كما أخذ البناء السياسى والفكرى والدينى والقانونى والفلسفى فى الانهيار مع انهيار العلاقات الإقطاعية القديمة وقيام العلاقات البورجوازية الجديدة.

وكانت الكنيسة فى ظل العلاقات الإقطاعية قد استطاعت أن تصوغ الدين فى شكل يتفق مع هذه العلاقات، فعملت على تمجيد حياة الزهد والتقشف، والنهى عن التمتع بجمال الحياة ونعيمها، ودعوة الناس إلى تعذيب النفس وحرمانها، استعدادا لنعيم الدار الآخرة. وذلك بغرض حمل الناس على قبول الاستغلال الإقطاعى فى إذعان واستسلام.

وكانت الكنيسة تطلب إلى الناس اتباع تعاليمها دون مناقشة، الأمر الذى أمات فيهم روح البحث والابتكار، وأعمى إنسان العصور الوسطى عن رؤية جمال العالم. فقد كان الجمال فى نظره

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رجسا من عمل الشيطان، ولم تكن الدنيا فى رأيه الإمطية إلى الدار الآخرة، وكان الجهل فى نظره مقبولا عند الله، لأنه دليل على صدق العقيدة وقوة الإيمان.

وفى الوقت الذى كانت الكنيسة تقوم بهذا الدور إزاء الجماهير الكادحة، كانت تمارس الاستغلال المادى لهذه الجماهير بأشد مما كانت تمارسه طبقة النبلاء الإقطاعيين! وكان البابوات فى روما يعيشون حياة الترف، وانغمس بعضهم فى حمأة الرذيلة. كما تمتع رجال الكنيسة بالكثير من الامتيازات والحقوق المدنية التى لم يكن يتمتع بها سائر أفراد المجتمع، وكانت الكنيسة إلى جانب امتلاكها لإقطاعات واسعة معفية من الضرائب، لها الحق فى جمع نوع من الضرائب، وهى العشور.

وفى الوقت نفسه، لم تكتف الكنيسة بما كانت تتمتع به من مركز سام فى المجتمع الإقطاعى بحكم دورها الدينى، بل أراد البابوات إخضاع الأباطرة لسلطتهم، وبمعنى آخر إخضاع السلطة المدنية للسلطة الدينية، رغم أن النظرية المسيحية تؤكد أن الكنيسة والدولة تستمدان سلطتيهما من الله، الذى أوكل لواحدة حكم الروح، والأخرى حكم البدن، الأمر الذى أدى إلى قيام النزاع بين البابوية والإمبراطورية.

وقد كان من الطبيعى، مع إنهيار المجتمع الإقطاعى، وظهور طبقة جديدة على أنقاض هذا المجتمع، بمفاهيم ومثل جديدة، وبأسلوب فى الحياة والتفكير يختلف عن أسلوب العصور الوسطى،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أن تصحو أذهان الناس على مساوئ الكنيسة ومفاسدها، وأن تتمرد نفوسهم على قيودها ونظرياتها، فوقعت سلسلة من ردود الفعل العنيفة التى نقلت الناس من عصر إلى عصر، وانتهت بالقضاء قضاء مبرما على كنيسة العصور الوسطى، وبناء هيكل كنسى جديد يتفق مع علاقات الإنتاج الجديدة، وما ترتب على هذه العلاقات من قيام بناء علوى جديد.

وقد لعبت الطبقة البورجوازية الدور الرئيسى في تحطيم سلطان كنيسة العصور الوسطى. فلقد كانت هذه الطبقة، حين برزت أوروبا من العصور الوسطى، هى الطبقة الثورية ـ كما رأينا ـ وكان قد سبق لها أن بلغت مركزا مرموقا فى المجتمع بفضل ثرائها القائم على رأس المال، ولكن هذا المركز مع ذلك كان لا يتلاءم مع قوتها وقدرتها على التوسع والامتداد، وبالتالى، لما كان النظام الإقطاعى هو الذى يقف حائلا دون نموها وتطورها، فقد كان عليها أن تحطم هذا النظام.

ولكن الكنيسة الكاثوليكية كانت المركز الدولى العظيم للإقطاع، وهى التى وحدت أوروبا الغربية الإقطاعية، وجعلت فيها، برغم كل الحروب الداخلية، نظاما سياسياً موحداً يقف إزاء الكنيسة الإغريقية الأرثوذكسية المنشقة، والممالك الإسلامية، على حد سواء، وأحاطت الأنظمة الإقطاعية بهالة من القداسة، ونظمت طبقاتها وفق الأنموذج الإقطاعى، وأخيرا كانت الكنيسة أقوى سيد إقطاعى، وتملك ثلث أرض العالم الكاثوليكى ـ ولهذا كان لابد، قبل توجيه هجوم ناجح إلى النظام الإقطاعى الفاسد فى كل بلد، من تحطيم نظامه المركزى المقدس.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفضلا عن هذا، فقد صاحب نمو البورجوازية، عملية إحياء العلوم العظيمة، من فلك، وميكانيكا، وطبيعة، وتشريح، وفسيولوجيا. فى حين كان العلم فى العصر الإقطاعى الخادم المطيع للكنيسة، ولم تكن تسمح له بأن يتخطى الحدود التى رسمتها العقيدة.

يتبين من كل ذلك أن البورجوازية كانت هى الطبقة التى يعنيها - أكثر من غيرها - النضال ضد دعاوى الكنيسة الكاثوليكية، ذلك أن كل صراع فى ذلك الوقت ضد الإقطاع كان لابد أن يجرى تحت ستار دينى، أى يجب أن يكون موجها ضد الكنيسة أولاً.

ولكن إذا كانت الصيحة بدأت من البورجوازية، فقد كان من المحقق أن يتردد صداها فى طبقات أخرى. فقد تردد صداها فى جماهير الفلاحين الذين كان عليهم أن يكافحوا من أجل وجودهم ضد سادتهم الإقطاعين، كما تردد صداها فى طبقة الفرسان الذين كان عليهم أن يكافحوا ضد سيطرة كبار النبلاء.

(ثانياً) الإصلاح الدينى فى ألمانيا:

١ - أسباب الإصلاح الدينى:

وهناك جملة أسباب جعلت هذه الظروف تنضج فى ألمانيا بالذات، وتفسر لِمَ قامت حركة الإصلاح الدينى فى ألمانيا، بدلا من قيامها فى إنجلترا أو السويد مثلا.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فمن ناحية، فقد أصبحت المدن الجديدة منذ نهاية القرن الرابع عشر ذات أثر واضح فى مقدرات الشعوب الألمانية، فإن المدن من أمثال فرانكفورت Frankfurt وستراسبورج Strassburg ونورمبورج Nuremberg وغيرها من مراكز النشاط التجارى والصناعى، قد أخذت تلعب دوراً مهماً فى حياة ألمانيا، فقد ظهرت طبقة من الممولين الذين برز من بينهم بيت فوجر Fuggers، سيطرت على تجارة ألمانيا مع إيطاليا الشمالية والأراضى المنخفضة ومع الشرق أيضا، وكان المال هو أهم مصادر قوتهم. وقد أصبحت هذه الطبقة قبلة أنظار الأمراء والحكام يطلبون منها المال لسد احتياجاتهم، وبفضل هذا المركز الاقتصادى الممتاز، فرض البورجوازيون سيطرتهم الواسعة على كافة نواحى الحياة فى زمنهم.

وإلى جانب هذه الطبقة كانت توجد طبقة الفرسان الساخطين. وكان انحلال هذه الطبقة من النبلاء الضعفاء، قد بدأ منذ القرن الثالث عشر عندما تضاءلت قيمة أراضيهم بسبب التطور الاقتصادى، فلم تصبح الأرض مصدر الثروة الوحيد، وتغيرت أساليب القتال وأدواته وفنون الحرب، ففقدت هذه الطبقة مبرر بقائها. ومع أن قلائل منهم استطاعوا الاحتفاظ بشئ من امتيازاتهم، مثل فرسان الراين وسوابيا Swabia وفرانكونيا Fran-conia، فإن الأغلبية الكبرى خضعت لسيادة الأمراء الأقوياء، ولم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تحتفظ إلا بالقليل من امتيازاتها النوعية. ولهذا أصبح هؤلاء الفرسان متحفزين دائما للثورة ضد النظام الاجتماعى والسياسى القائم.

وإلى جانب هذه الطبقة الساخطة كانت توجد طبقة أخرى أشد سخطا، هى طبقة الفلاحين. فقد كان هؤلاء يعيشون على هامش الحياة بمعزل عن التطورات العميقة التى شهدتها المدن الألمانية، حيث كان أفراد الطبقة البورجوازية قد قطعوا شوطا بعيداً فى مجالات التقدم والرفاهية.

وكان هؤلاء الفلاحون الألمان يرسفون فى اغلال «القنية» وقيود الإقطاع، وكانوا محل استغلال مشترك من الأمراء ورجال الكنيسة والفرسان، إذ كانوا نهبا لشتى أنواع الضرائب نقداً وعينا وسخرة، ويحرم عليهم ممارسة كثير من الحقوق، فقد كانوا يحرمون من ممارسة صيد الأسماك فى الأنهار والقنوات، وصيد الحيوانات فى الغابات، فى حين كانت تنتهك أراضيهم وبيوتهم وأعراضهم. وكان عداؤهم لرجال الدين شديدا، فقد نددوا بالأعباء المالية التى فرضها عليهم هؤلاء، وبإسرافهم فى فرض ضريبة العشور وغيرها من ضرائب ورسوم مختلفة الأسماء والأنواع.

وبالإضافة إلى ذلك فهناك أسباب أخرى تفسر قيام حركة الإصلاح الدينى فى ألمانيا - وهى أن الألمان كانوا يحقدون منذ القدم على الكنيسة الكاثوليكية فى روما، اذ كان النزاع المستمر بين

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البابا والإمبراطور الألمانى (إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة) سبباً فى أن كل فريق كان يشعر نحو الآخر بعداء شديد. وفضلا عن ذلك ففى الدول الأوروبية الأخرى كانت مقاليد الحكم فى أيدى ملوك أقوياء استطاعوا حماية رعاياهم من جشع رجال الدين، ولكن فى ألمانيا، حيث كان الإمبراطور يحكم مجموعة من الأمراء الأقوياء، وليس له إلا ظل من السلطة، فإن البورجوازيين كانوا تحت رحمة القساوسة والمطارنة مباشرة، الذين كانوا يحاولون جمع المال لصالح تلك الكنائس الضخمة، التى كان إنشاؤها هواية البابوات فى عصر النهضة.

وهناك سبب مهم آخر، هو أن ألمانيا كانت موطن الطباعة، منذ اخترع جوتنبرج Gutenberg (١٣٩٧ ـ ١٤٦٨م) الطباعة بالحروف المصفوفة فى منتصف القرن الخامس عشر، فأزال العقبات فى سبيل انتشار العلم وتوصيله إلى عامة الشعب.

وكان الكتاب المقدس أول كتاب طبع بهذه الطريقة فى سنة ١٤٥٥م، وبذلك لم يعد مخطوطاً محجبا بالأسرار فى حوزة رجل الدين الذى يتولى وحده التفسير، بل أصبح كتابا من الكتب المتداولة فى كثير من البيوت، التى كان ربها وأولاده يعرفون اللغة اللاتينية. فأخذت أسر بأجمعها تقرأ الكتاب المقدس ـ وكان ذلك مخالفا لقوانين الكنيسة – فتبين للناس أن القساوسة كانوا يقصون عليهم أشياء كثيرة تختلف عما هو موجود فى النص الأصلى! فأثار ذلك فى نفوسهم الشك فى رجال الدين، والحملة عليهم.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى ذلك الحين كانت الظروف تتجمع داخل الكنيسة وتدفع للثورة عليها. وتنقسم هذه الظروف إلى قسمين: القسم الأول ويتصل بفساد الكنيسة، والقسم الثانى ويتصل بمحاولات الإصلاح الفاشلة.

وفيما يختص بفساد الكنيسة، ففى النصف الثانى من القرن الخامس عشر كان عدد كبير من رجال الكنيسة، وعلى رأسهم البابا يعيشون عيشة الترف والمجون، وتحولت الولايات الباباوية إلى دول علمانية من الناحية الفعلية، استخدم فيها البابا كافة الوسائل المشروعة وغير المشروعة لتحقيق أغراضه السياسية، ومن هذه الوسائل التآمر والغدر، والاغتيال بالسم، والحروب.

وفى الفترة التى سبقت حركة «مارتن لوثر»، جلس على كرسى البابوية اثنان من البابوات يعتبران بحق مسئولين عن تدهور سمعة البابوية وانحدار مركزها، هما: اسكندر السادس (١٤٩٢ ـ ١٥٠٣م) ويوليوس الثانى (١٥٠٣ ـ ١٥١٥م).

وبالنسبة لحياة إسكندر السادس، فقد كانت حياة مخزية، فقد كرس حياته لإشباع ملذاته وتحقيق أطماعه، وإغداق مراتب الشرف على أبنائه، وتنمية ثرواتهم. وكان قد أقام علاقة بإحدى السيدات المتزوجات Vanozza، وأنجب منها بفضل هذه الصلة غير الشريفة أبناءه الأربعة: دون جوان، وشيزار، وجوبى Jope، وابنته لوكريزيا Lucrezia. كما كان له أبناء آخرون من نساء أخريات. وقد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أقام إبنه شيزار بورجيا Borgia قسيسا، ثم كاردينالا، فارتكب من الجرائم ما جعل روما ترتجف رعبا لاسمه، ولم يتورع عن قتل أخيه دون جوان عندما خشى أن يشاركه فى سطوته ونفوذه. واستخدم البابا وابنه جميع الوسائل غير المشروعة لتحقيق أهدافهما، مثل الرشوة والاغتيال على أوسع نطاق، وسلاح الحرمان البابوى.

وأما البابا يوليوس الثانى، فلم يكن يقل فى أطماعه الدنيوية عن اسكندر السادس، وإن سلك اليها طريقا مختلفا عن طريق آل بورجيا Borgia، هى طريق الحرب والسياسة. فقد وقف يوليوس الثانى Julius II موقف المحارب والسياسى، يقود الجيوش، ويقاتل الأعداء، ويدبر المكائد، ويعقد المحالفات، وذلك لإعادة تأسيس ممتلكات الكنيسة، حتى ليعتبر بحق مؤسس أملاك البابوية فى القرن السادس عشر.

وقد كان من الطبيعى أن تتأثر ميول كبار رجال الكنيسة بميول البابوات، فانكبوا بدورهم على الدنيويات، وطرحوا العناية بالشئون الدينية والروحانية جانبا، وصار من المألوف أن ينظر أصحاب هذه المراكز الدينية إلى وظائفهم باعتبارها مصدر إيراد فحسب، وأصبحت كافة الوظائف الكنسية تباع غالبا عن طريق المساومات مع البابوات، وصارت هذه الوظائف، بفضل تحايل رجال الإكليروس، شبه وراثية ماداموا قادرين على دفع المال.

وقد ترتب على ذلك أن أهملت الواجبات الكنسية، وفقدت الكنيسة مكانتها العالية التى تبوأتها، واهتز الأساسى الروحى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والأخلاقى الذى أقامت عليه نفوذها وهيمنتها فى العصور الوسطى. ومن هنا بات المسيحيون فى دول غرب أوروبا يدعون إلى إصلاح الكنيسة والقضاء على الانحرافات الخطيرة فيها، وتطوير نظمها وتنظيم علاقاتها مع أرجاء العالم المسيحى.

وقد أخذت هذه الدعوة تمر بعدة أدوار، وتتعرض لعدة تطورات، نقلتها من مجرد الدعوة إلى إصلاح الكنيسة، إلى الدعوة إلى إصلاح العقيدة ذاتها! وهذه الدعوات جميعها، وهى التى تحولت إلى حركات، هى التى يطلق عليها فى مجموعها: «حركة الإصلاح الدينى».

٢ ـ حركة الإصلاح الدينى من الداخل:

أما الدعوة إلى إصلاح الكنيسة فيعبر عنها بالإصلاح من الداخل، أى من داخل الكنيسة ذاتها، فتقوم الكنيسة على أيدى رجالها بإزالة مفاسدها وتنظيم شئونها وإصلاح نفسها بنفسها.

وكان قوام هذا الاتجاه عقد المجالس Councils أو «المجامع الكنسية» تباعا، وفى فترات متفاوتة نوعاً ما، ويطلق عليها «حركة المجامع الكنسية». وقد بدأت على يد رجال الدين الكاثوليك الذين عقدوا المجالس الدينية لإدخال الإصلاح اللازم للكنيسة من داخل الكنيسة، بل إن آخر هذه المجالس، وهو المجلس الدينى الذى عقد فى بال Basle فى سنة ١٤٣١م، أراد أن يضع القرارات التى يصدرها المجالس الدينية فوق قرارات البابا، وأراد أن يحد من سلطة البابا ويمنع عنه بعض الأموال الكنسية. ولكن اعتلاء البابا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نقولا الخامس فى ١٤٤٧م كرسى البابوية قضى على هذه المحاولة، الأمر الذى أدى إلى فشل حركة المجالس الدينية فى إدخال الإصلاح المطلوب من داخل الكنيسة.

وقد كان من كبار المصلحين الدينيين الذين أرادوا أن تقوم الكنيسة بإصلاح نفسها، يوحنا رويخلين John Reuchlin (١٤٥٥ - ١٥٢٢م)، وديزيديريوس إيرازموس Desiderius Erasmus (١٤٦٧ - ١٥٣٦م).

أما يوحنا رويخلين، فهو «إنسانى» ينتمى للحركة الإنسانية فى عصر النهضة، ومتخصص فى الدراسات العبرية، وكان طيلة قسم كبير من حياته المركز الحقيقى لكل الدراسات الإغريقية والعبرية فى ألمانيا. وقد استعان باللغة العبرية فى تفسير العهد القديم من الكتاب المقدس The Old Testament وأثار بكتاباته ضجة من الجدل، وكشف هو وتلاميذه وأتباعه عن مساوئ الكنيسة، ونقدوا البدع والخرافات التى إنتشرت فيها، مما أدى فى النهاية إلى تكوين قسم من الرأى العام معادٍ لكنيسة روما. ولكنه مع ذلك لم يستهدف إطلاقا الخروج على الكنيسة أو الانفصال عنها، وإنما كان هدفه أن تقوم الكنيسة بإصلاح نفسها.

أما ديزيديريوس إيرازموس Desiderius Erasmus فهو «إنسانى» أيضا، وهو الزعيم المعترف به لحركة الاستنارة فى أوروبا حتى أيام فولتير (اسمه الأصلى جيرهارد جيرهاردسون)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد نادى بإصلاح عيوب الكنيسة، وأسهم فى إثارة الرأى العام ضد البابوية والكنيسة، وإن لم يستهدف هو ايضا الانفصال عن الكنيسة أو الانشقاق عنها.

وتتمثل أهميته، من ناحية الإصلاح الدينى، فى ترجمته إلى اللغة اللاتينية القسم اليونانى من الكتاب المقدس، أى الإنجيل أو العهد الأعظم، وأرفق مع هذه الترجمة النص اليونانى القديم الأصلى، فكشف بهذه الترجمة الصحيحة ما فى الترجمة اللاتينية القديمة للكتاب المقدس، والتى راجعها القديس جيروم فى القرن الرابع، واعتمدتها الكنيسة الكاثولوكية The Vulgate ، من أخطاء فى بعض مواضعها. وبذلك لم تعد نسخة الإنجيل المكتوبة باللاتينية منذ القرن الرابع شيئا مقدسا.

وقد كان تأثير ذلك على الفكر المسيحى عظيما. فإذا كان فى وسع الرجل العلمانى أن ينفذ من وراء اللغة اللاتينية، وهى اللغة الرسمية للإكليروس، إلى اللغتين الأصليتين اللتين كتب بهما الكتاب المقدس، وهما: العبرية التى كتب بها العهد القديم أو التوراة، واليونانية التى كتب بها العهد الجديد أو الإنجيل. وإذا كانت نسخة الإنجيل المكتوبة باللاتينية والمعتمدة من الكنيسة الكاثولوكية، قد فقدت قداستها، فقد كان لابد أن تظهر فكرة أن الإنسان يستطيع الإتصال بربه مباشرة دون وساطة القسس!

ومع فشل الكنيسة فى إصلاح نفسها بنفسها، وعدم استجابتها لرغبات المصلحين، انتقلت حركة الإصلاح الدينى إلى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مرحلتها الثانية، وهى مرحلة فرض الإصلاح من الخارج. وهذه المرحلة لا تقتصر فقط على إصلاح الكنيسة، بل واصلاح العقيدة ذاتها! وكان على رأس هذه الحركة: مارتن لوثر Martin Luther (١٤٨٣ - ١٥٤٦م) وأولريك زفينجلى Ulirich Zwingli، ويوحنا كلفن John Calvin.

٣ ـ حركة الإصلاح الدينى من الخارج :

(أ) مارتن لوثر وحركة الإصلاح الدينى فى ألمانيا :

ولد مارتن لوثر عام ١٤٨٣م فى قرية أيزلبن Eisleben من أعمال سكسونيا، لأب معدم من عمال التعدين، وعاش فى بيئة ريفية شاقة. وفى سن الثامنة عشرة التحق بجامعة ايرفورت Erfurt، وكانت أشهر جامعات ألمانيا، لتلقى علم القانون. فبدأ بدراسته فى كلية الفلسفة تمهيداً للالتحاق بكلية الحقوق، ونال إجازته الأولى عام ١٥٠٢م، ثم إجازة الأستاذية فى عام ١٥٠٥م، ولكن لم يكمل دراسته بكلية الحقوق، وإنما انخرط فى سلك الرهبنة فى أحد أديرة القديس أوغسطين، وانكب على الصلاة والتقشف والزهد وتعذيب النفس أملا فى التخلص من خطاياه، والتوصل إلى رحمة الله. ثم ترك الدير وقام بتدريس الفلسفة فى جامعة وتنبرج Wittenburg الجديدة سنة ١٥٠٨م، ثم صار يدرس بها اللاهوت.

وفى سنة ١٥١٠م زار روما، وهناك شاهد بنفسه مفاسد البابوية، فعظم قلقه، وتركت هذه الزيارة فى نفسه جرحا داميا.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى خلال ذلك وحتى سنة ١٥١٥م، كان قد استطاع الاهتداء إلى العقيدة التى ساعدته على الوصول إلى الهدوء النفسى الذى ينشده، وتتلخص هذه العقيدة فى أن الإيمان المطلق برحمة الله، هو الذى يضمن النجاة من عقاب الله. فإن الإنسان إذا ماكان مؤمنا، فإنه يستطيع الخلاص بالرغم مما استقر فى نفسه من شرور، أما الطقوس، كالحج، والاحتفالات الدينية، والهمس فى المسابح، وإيقاد الشموع، وعبادة المخلفات الدينية، فلا جدوى منها.

وأما الغرض من الصلاة والعبادة بأنواعها فليس التخلص من الخطايا، ولكن إسداء الحمد والشكر لله.

وقد اهتدى لوثر إلى هذه العقيدة من دراسته للكتاب المقدس، ورسالة الرسول بولس إلى مسيحيى روما خصوصا. وتعرف هذه العقيدة باسم عقيدة «التبرير بالإيمان» Justification by Faith.

ولم تلبث الظروف أن تهيأت لنشر هذه العقيدة حين دخلت مسألة صكوك الغفران فى مرحلة جديدة لا تحتمل، على يد راهب دومينيكانى Dominican، هو يوحنا تتزل John Tetzel.

والغفران Indulgence، كما عرفه توماس أكويناسAcquinas، وهو من كبار مفكرى الكنيسة فى العصور الوسطى، يقوم أساسا على قواعد ثلاث: الندم Repentance، والاعتراف Confession، والتكفير Justification وهو الذى يكون بالصلاة والصوم والزكاة. ومعنى ذلك أن الغفران لايتم إلا إذا مر بالمراحل الثلاث السابقة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على أن البابوات صاروا يستعيضون عن التكفير (وهو الصلاة والصوم والزكاة) بعمل آخر، كالاشتراك فى الحروب الصليبية، أو الحج إلى روما عند أول كل مائة سنة جديدة، فيمنح البابا الغفران الكامل للمحارب أو الحاج إلى روما، دون حاجة إلى استيفاء الركنين الأولين للغفران، وهما: الندم والاعتراف. ثم صار الغفران يمنح إلى كل فرد يجهز محاربا من الصليبيين، ثم أخذت صكوك الغفران تصدر لأغراض أخرى متنوعة، كبناء الكاتدرائيات أولا، ثم لغايات دنيوية، كإنشاء الطرق، وإقامة الجسور، وغير ذلك من الأعمال العامة المفيدة.

وكان الغفران عبارة عن صك من الورق، يبذل فيه الوعد للمذنب ـ لقاء قدر من المال ـ بإنقاص المدة التى سوف يمكثها فى «المطهر».

وكان الباباوات لهم سلطة غفران الذنوب بناء على السلطة التى استمدها تلاميذ السيد المسيح وخلفاؤهم من قول المسيح لتلاميذه: «من غفرتم خطاياه نغفر له، ومن أمسكتم خطاياه أُمسكت».

ولم تلبث صكوك الغفران (التعويض عن التكفير) أن أصبحت عملية تجارية، يكفى فيها أن يدفع الإنسان قدرا من المال ليحصل على شهادة أو صك بالغفران.

فى ذلك الحين كان هناك نوع من الغفرانات يسمى بالغفران الاحتفالى (أو اليوبيلى)، وقد بدأ فى عام ١٣٠٠ على يد البابا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بونيفاس الثامن Boniface للاحتفال ببداية القرن الجديد (القرن الرابع عشر)، ويعطى لكل من يقوم بالحج الى روما، وهو غفران شامل لكل الذنوب.

وقد أغرى نجاح هذا الغفران أحد الباباوات بعد قرن من الزمان على أن يصدر غفرانات احتفالية بمناسبة مضى ربع قرن، ولم تلبث هذه اليوبيلات أن انتشرت أيام لوثر، حتى رأى البابوات أن يعهدوا بترتيبها إلى البنوك والمصارف فى ألمانيا، خصوصا بيت فوجرز Fuggers فى أوجزبرج Augsburg، الذين صاروا يعملون بمثابة وكلاء لإبرام العقود، وتقديم القروض وترتيب اليوبيلات، وتحصيل الأموال - كما حدث عندما قام هؤلاء الممولون بالمفاوضة بين «ألبرخت» Albrecht أمير براندنبرج Brandenburg ورئيس أساقفة ماينز Mainz ومجدبرج Magdeburg وبين البابا فى روما، على أن يقدموا قرضا لتنفيذ التسوية، وعلى أن يصدر البابا ليو العاشر Leo غفرانات شاملة لمدة ثمانية أعوام، تباع وتشترى فى أراضى ألبرخت، على أن يستولى «ألبرخت» على نصف المتحصل من الغفرانات، وأمّا النصف الآخر فيرصد رسميا لبناء كنيسة القديس بطرس فى روما.

وبطبيعة الحال فلم يلبث أصحاب هذه التسوية أن أخذوا يقومون بالدعاية لصكوك الغفران، وينشرون أعوانهم فى جميع القرى. وقد لجأ البائعون من الرهبان الدومينيكان، فى سبيل ترويج بضاعتهم، واستثارة حماس الناس إلى شراء هذه الصكوك - أو

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

«الرسائل البابوية» كما كانت تسمى ـ إلى أساليب مبتذلة، حتى إن يوحنا تتزيل John Tetzel، رئيس هذه الجماعة، الذى فوضه ألبرخت لبيع الصكوك لحسابه، إندفع فى خطابه مرة، وبلغت به الجرأة أن قال ـ وهو يلوح بالصكوك فى الهواء ـ «إن الرجل إذا ارتكب الخطيئة مع العذراء المباركة نفسها، فهذه الصكوك كفيلة بأن تمنحه الغفران»! بل إن البابا ليو العاشر قرر أن يسرى مبدأ الغفران على الأموات مثل سريانه على الأحياء!

ولما كان تداول صكوك الغفران على هذا النحو يهدم الغفران الحقيقى بأركانه الثلاثة المعروفة، ولما كان لوثر يعتقد أن النجاة من العقاب لاتأتى إلا عن طريق الإيمان بالله وبرحمته فقط، فقد استنكر هذا العمل، وانتهز فرصة اجتماع الناس فى كنيسة وتنبرج يوم أول نوفمبر ١٥١٧م للاحتفال بعيد الشهداء All Saint Day، فعلق على باب الكنيسة احتجاجا طويلا، يتألف من ٩٥ حُجة ضد صكوك الغفران. وفى هذا الاجتماع لم يحمل فقط على عملية بيع صكوك الغفران، بل حمل كذلك على الغفران نفسه، كما كان معمولا فى الكنيسة الكاثوليكية منذ قرون ـ أى أن لوثر هاجم الغفران بقواعده الثلاثة التى أشرنا إليها. ثم أخذ يبسط عقيدته فى التبرير بالإيمان، وهى أن الغفران مربوط فقط برحمة الله.

ـ وتتلخص الحجج التى تضمنها احتجاجه فى الآتى:

١ ـ أن الغفران لايعدو أن يكون الإعتاق من العقوبات الكنسية وليس الإعتاق مما فرضه الله.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢ ـ أن صك الغفران لايمكن أن يمحو ذنبا، لأن البابا لايستطيع ذلك.

٣ ـ أن صك الغفران، بالتالى، لايمكن أن يخلص الإنسان من العقوبة، وإنما الله وحده الذى يحتفظ بهذا الحق بين يديه.

٤ ـ أن صك الغفران لا يمكن أن يفعل شيئا للروح فى «المطهر»، حيث أنه لايسرى إلا على ما توقعه الكنيسة من عقوبة، وهى عقوبة متعلقة بالأحياء، وتسقط بالموت. وكل ما يستطيع أن يفعله البابا للروح فى «المطهر» هو الصلاة فقط.

٥ ـ أن طريق المغفرة والصفح من الله، هو التوبة الصادقة وحدها.

ولم يمض أسبوعان على هذا الحادث، حتى كانت قد ذاعت أنباء هذه الحجج الخمس والتسعين، وترجمت من اللاتينية إلى الألمانية. ولم يمض شهران حتى كانت أوروبا بأسرها تناقش هذه الحجج التى وضعها الراهب السكسونى، وكان لزاما على كل فرد أن ينحاز إما إلى جانب لوثر وإما إلى الطرف الآخر.

على أن لوثر مضى خطوة أخرى. ففى مناقشة مع يوحنا تتزل ومع غيره من علماء اللاهوت، وأقدرهم يوحنا إيك John Eck أستاذ اللاهوت بجامعة انجولشتات Ingolstadt، نقد لوثر نظام الكنيسة وسلطتها العليا، بل وتعاليمها، وصرح بأن الكتاب المقدس هو وحده القانون الذى يجب الرجوع إليه فى تفسير العقائد. كما

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وجه فى سنة ١٥١٩م الدعوة إلى الأمراء وإلى الفرسان فى ألمانيا لتزعم الاصلاح على الأسس الآتية:

١ ـ خضوع رجال الدين للسلطة المدنية.

٢ ـ ليس من حق البابا وحده أن يحتكر تفسير الكتاب المقدس.

٣ ـ ضرورة إنقاص عدد الأديرة.

٤ ـ عدم الحج إلى روما.

٥ ـ ضرورة زواج القسس.

٦ ـ الطلاق أمر شرعى.

٧ ـ ليس فى استطاعة القسس، عند تناول القربان، أن يحولوا الخبز والنبيذ فى العشاء الربانى الأخير إلى جسد المسيح ودمه.

وعلى هذا النحو هاجم لوثر الكنيسة الكاثوليكية فى صحيح سلطاتها وعقيدتها.

ولم يلبث لوثر أن كتب إلى البابا رسالة بعنوان: «فيما يمس الحرية المسيحية»، قال له فيها: «إنك لا تستطيع أن تنكر أن مايسمى بهيئة الكهنوت الرومانية هى أفسد من بابل وسدوم! ولقد أظهرت احتقارى حقا، وانتابنى الغضب لأن الشعب المسيحى يُخدع تحت ستار اسمك واسم الكنيسة المسيحية. لهذا قاومت، وسأظل أقاوم، ما وجد فىّ عرق ينبض بروح الإيمان».

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وإزاء ذلك أصدر البابا ليو العاشر قراره بحرمان لوثر، وأجاب لوثر على ذلك بحرق القرار علنا فى ساحة وتنبرج فى ١٠ ديسمبر ١٥٢٠م، وبذلك انقطعت كل صلة تربطه بالكنيسة، وأصبح السلام بينه وبين البابا مستحيلا.

وعندئذ طلب البابا من الإمبراطور شارل الخامس أن يقتص من لوثر، وينفذ قرار الحرمان ضده، فعقد الإمبراطور مَجْمعا (اجتماع عام) فى ورمز Diet of Worms فى يناير ١٥٢١ لمناقشة لوثر فى آرائه. فذهب لوثر إلى المجمع، بعد أن غدا بطل الألمان القومى، ورفض أن يسحب كلمة واحدة مما قال أو كتب.وعندئذ أصدر المجمع قرارا اعتبر فيه لوثر خارجا على السلطة القائمة، وطرده خارج القانون، وإهدار دمه. وحرم على جميع الألمان إيواءه أوتزويده بالطعام والشراب، كما حرم عليهم قراءة كلمة واحدة مما كتبه.

على أن فردريك، ناخب سكسونيا، ومؤسس جامعة وتنبرح، تقدم لحماية لوثر، فلجأ لوثر إلى قلعة فارتبرح Wartburg حيث أقام فى هذا المخبأ مدة عام تقريبا، ترجم خلاله الإنجيل إلى الألمانية، مما كان له أثر كبير فى إحياء الأدب الألمانى، وجعل اطلاع الناس على كتابهم المقدس أمرا سهلا، بعد أن كان الدين وتفسيره وقفاً فقط على رجال الدين وحدهم.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى أثناء عزلة لوثر اتصل به أقرب أخصائه، وهو فيليب ميلانكتون Philip Melanchthon، المتعمق فى الدراسات الإغريقية، والذى يرجع إليه الفضل فى وضع فلسفة واضحة للإصلاح اللوثرى.

ففى ديسمبر ١٥٢١م أمد فيليب ميلانكتون المذهب الجديد بأول كتاب ظهر فى الكنيسة الكاثوليكية منذ قرون، حاويا لنظام مبنى على الإنجيل وحده، وهو كتاب «كلام معاد» Loci Communes.

وبينما كان لوثر مختبئا فى قلعة فارتبورج، أخذت حركة الإصلاح الدينى فى الانتشار فى ألمانيا، وفى الوقت نفسه أخذ بعض المتحمسين يتطرفون فى دعوتهم، ويشتطون فى تأييد حركته الإصلاحية. كما رأى البعض فى الحركة الفرصة للانقضاض على أراضى الكنيسة وهدم النظام الاجتماعى. على هذا النحو ظهرت حركات ثورية ثلاث هى:

(ب) حركة الأنابابتيين Anabaptists (الذين يريدون إعادة التعميد) :

وقد ظهرت هذه الحركة فى تزفيكاو Zwikau فى سكسونيا ١٥٢١م، على يد جماعة متطرفة من أنصار لوثر، على رأسهم توماس مونزر Munzer، رأت أن تعميد الأطفال (تغطيسهم ثلاث مرات فى الماء على اسم الثالوث المقدس: الآب والابن والروح

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القدس) من أجل صلاحهم، لا يتفق مع تعاليم الإنجيل، حيث يجب أن تتوافر فى المعمودية أركان الحياة الدينية الصحيحة، من توبة وندم وإيمان، وهو ما لايتوافر فى الأطفال، ومن ثم فإن سر المعمودية لايسمح الا للبالغين الراشدين الذين اعتنقوا المسيحية فقط.

على أنه عندما تطرف هؤلاء فى دعوتهم، وقعت اضطرابات واعتداءات جعلت لوثر يشعر بأن دعوة الإصلاح الدينى فى خطر، فخرج من مخبئه ليدعو المتطرفين لالتزام الهدوء والحكمة.

(جـ) حركة الفرسان Knights:

رأينا كيف كانت هذه الطبقة ساخطة ومتحفزة للثورة ضد النظام الاجتماعى والسياسى الذى لم يعد يوفر لها امتيازاتها السابقة، فلما ظهرت دعوة لوثر، وتصدعت هيبة الكنيسة، رأى هؤلاء فى تلك الدعوة الفرصة لانتزاع أراضى الكنيسة، واتخذوا من أقوال لوثر ذريعة لمهاجمة أملاك الأسقفيات الكبرى. (كان لوثر يريد تجريد الكنيسة من أملاكها لارغامها على استعادة بساطتها الأولى) كما أراد الفرسان هدم سيطرة النبلاء الذين اعتبروهم أعداء لهم.

على أن لوثر امتنع عن تأييدهم ، كما تحالف مع النبلاء ضدهم. وفى الوقت نفسه لم تجتذب حركتهم تأييد الفلاحين الذين كرهوا منهم الإرهاق الذى ألحقوه بهم.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وعلى هذا النحو فحين قامت هذه الحركة فى سوابيا وفرانكونيا بقيادة فرانزفون سيكينجن Franz Von Sickingen وصديقه ألريك فون هتن Von Hutten، وأخذوا فى مهاجمة رجال الكنيسة ورؤسائهم من الأساقفة لانتزاع أراضى الكنيسة. واجههم الأمراء بالقوة المسلحة، فقتل فون سيكنجن، وهرب فون هتن إلى سويسرا سنة ١٥٢٣م، حيث مات بها فقيرا.

(د) ثورة الفلاحين Peasants War:

قامت هذه الثورة فى التيرول وأوستريا وفرانكونيا وسوابيا، وهى عبارة عن سلسلة من الثورات التى قام بها الفلاحون فيما بين سنتى ١٥٢٤ و ١٥٢٥م، وكان قد سبقها ثورات أخرى قبل ظهور الحركة اللوثرية، ولكن هذه الثورات الأخيرة بالذات تميزت بأنها أشد عنفا وأكبر خطرا.

وكان الفلاحون قد استمالتهم دعوة لوثر إلى الحرية والإنسانية والإخاء الجرمانى، فاعتنقوا هذه الآراء، وأعجبتهم مهاجمة لوثر لرجال الكنيسة الذين كانوا يشكون منهم مرّ الشكوى، بسبب إسرافهم فى فرض الضرائب والرسوم تحت مختلف الأسماء والفئات. ويلاحظ أن لوثر كان يفاخر بأنه ينحدر من أبوين اشتغلا بالفلاحة، وكان يدرك المظالم التى تنهال عليهم.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وعلى ذلك، فـــعلى الرغم من أن بعض المؤرخين يرون أن الفلاحين الألمان لم يكونوا فى وضع اقتصادى واجتماعى أسوأ من وضع غيرهم من الفلاحين فى دول غرب أوروبا، حيث كانوا قد بدءوا فى تحرير أنفسهم من حالة القنية، وكان الرخاء المادى قد بدأ طريقه إليهم، فإن دعوة لوثر أحدثت فيهم من الأثر ما أحدثته الأفكار الحرة التى أشعلت الثورة الفرنسية فى استثارة الفلاحين إلى الثورة.

وقد بدأت ثورة الفلاحين فى دوقية بادن متخذة طابع الاحتجاج على الاسراف فى فرض نظام السخرة، ثم انتشرت فى الجنوب الغربى من ألمانيا، وفى الحوض الأعلى لنهر الراين، وحوض الدانوب الأعلى، ثم امتدت شرقا فى إقليم التيرول وسالزبورج وكارينثيا Carinthia فى النمسا، ثم اتجهت صوب الشمال فى أراضى سكسونيا مسقط رأس لوثر.

وقد وضع الفلاحون بيانا بمطالبهم فى مارس ١٥٢٥م، طالبوا فيه بإلغاء رق الأرض، وتحديد القيم الإيجارية للأراضى تحديدا عادلا، وقصر ضريبة العشور على الحبوب فقط، وتحديد الخدمات الإقطاعية التى يؤديها الفلاحون للأمراء الإقطاعيين، وتقرير حق صيد الأسماك فى الأنهار والقنوات التى يعملون فى فلاحتها، وحق صيد الحيوانات فى الغابات، ومنح كل جماعة الحق فى اختيار وتعيين القسس فى الكنائس، والأساقفة فى الأبرشيات. وقد طالب

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفلاحون بأن تنظر مطالبهم فى ضوء الكتاب المقدس، مطالبين بإبراز الدليل من الإنجيل على أنهم أرقاء! وقالوا: «لن نكون بعد اليوم عبيدا، لأن المسيح جعلنا أحراراً».

ولم تلبث هذه الحركة أن اتخذت طابعا شيوعياً على يد توماس مونزر Munzer، حاكم «تزفيكاو» وزعيم الأنابابتيين، والذى نصب نفسه زعيما للفلاحين منذ أقام فى إحدى مدن ألمانيا، وهى مدينة مولهاوسن Mulhausen مجتمعا شيوعيا يقوم على إلغاء الملكية الفردية، والمساواة المطلقة بين الأفراد وشيوعية الملك، ودعا إلى إقامة مجتمع مسيحى جديد يقوم على أساس المساواة المطلقة وشيوعية الملكية، وهو ما يقتضى التخلص من الأمراء ورجال الدين على بكرة أبيهم.

(هـ) مارتن لوثر وثورة الفلاحين :

وقد تمكنت الثورة الفلاحية من الحصول على انتصارات ساحقة فى مراحلها الأولى، فسقطت مدن مهمة فى أيدى الثوار. ولكن لوثر لم يلبث أن تنكر للفلاحين، رغم معرفته ما يعانونه من ظلم، وما عليه مطالبهم من عدل، فقد خرج من مخبئه يؤلب النبلاء على الفلاحين، ويدعوهم لمقاومة الثورة بالقوة، ووصف الفلاحين بأنهم «الفلاحون المخربون الذين يسفكون الدماء»، ولم يستطع أن يرتفع من مستوى الإصلاح الدينى المحدود إلى مستوى الإصلاح الاجتماعى العريض، ولم يكترث إلا بشئ واحد، وهو أن ثورة الفلاحين تهدد مذهبه الجديد بالخطر فى بداية انتشاره.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد ترتب على موقفه أن اجتمعت قوة النبلاء والفرسان ضد ثورة الفلاحين. ثم انقلب ميزان الثورة ضد الفلاحين حين تفرغ الإمبراطور شارل الخامس لمحاربتهم، بعد أن أنزل الهزيمة بملك فرنسا فرنسوا الأول فى معركة بافيا Pavia فى فبراير ١٥٢٥م (الحروب الإيطالية)، فعادت قواته من شبه الجزيرة الإيطالية إلى ألمانيا لضرب الثوار. ولم يكن فى وسع الفلاحين تشكيل فرق عسكرية يمكنها مواجهة قوات الإمبراطور، فتمكنت مدفعية هذه القوات من حصد الثوار، وهزموا هزيمة ساحقة فى موقعة فرانكينهاوسن Frankenhausen فى مايو ١٥٢٥م، وأعدم توماس مونزر مع غيره من كبار قادة الثورة.

ولقد كانت الطريقة التى واجه بها لوثر حركة الفلاحين، وفشله فى اقتراح أسس للتوفيق والمصالحة، وتشجيعه إجراءات القمع الوحشية، نقطة سوداء فى تاريخ لوثر واللوثرية. وقد كانت آثارها فادحة على الثوار، فقد تركت الفلاحين الألمان أكثر عجزا وهوانا من أية طبقة اجتماعية أخرى فى وسط أوروبا أو غربها، كما أن انحطاط طبقة الفلاحين الألمان قد أدى إلى نقص فاحش فى الطاقات الحيوية للحركة اللوثرية، فمنذ ذلك الوقت فقدت الحركة اللوثرية شعبيتها، وفقدت الفرصة لأن تكون حركة قومية بالمعنى المعروف، واضطر لوثر لأن يسقط من حسابه هذه القوة الجماهيرية الكبيرة، وهى قوة الفلاحين، وأن يعتمد على الأمراء والحكومات الألمانية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على كل حال، فلم يلبث لوثر بعد القضاء على ثورة الفلاحين أن أخذ يتفرغ لبناء صرح كنيسته الجديدة ومذهبه الجديد، فأعلن إلغاء الديرية والرهبنة، وتزوج من الراهبة كاترين فون بورا Von Bora فى سنة ١٥٢٥م، وراح يشرع فى وضع أسس العقيدة.

وعندئذ طلب الأمراء الكاثوليك من الإمبراطور شارل الخامس التدخل فى الأمر. على أنه كان من سوء حظ الكنيسة الكاثوليكية عموما أن الإمبراطور لم يكن متفرغا لهذه المشكلة، ذلك أن اللوثرية انتشرت فى ألمانيا فى وقت هدد فيه الأتراك العثمانيون أملاك الإمبراطورية فى النمسا والمجر، وفى الوقت نفسه لم تكن علاقات شارل الخامس بالبابا علاقات تحالف ثابتة فى أثناء نضاله مع فرانسوا الأول ملك فرنسا، فكان البابا ينحاز إلى الإمبراطور تارة، وإلى فرنسوا الأول تارة أخرى. وقد أثرت هذه الأسباب على معالجة شارل الخامس للحركة اللوثرية.

٤ ـ شارل الخامس والحركة اللوثرية :

مرت هذه المعالجة بعدة مراحل:

ـ **المرحلة الأولى** : عندما عقد شارل الخامس فى سبير Speier فى يونيه ١٥٢٦م المجلس الإمبراطورى الأول للفصل فى المسألة الدينية، والنظر فى تنفيذ قرارات مجمع ورمز الصادرة ضد لوثر، وقد أصدر مجلس سبير هذا قرارا فى غير مصلحة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الكاثوليكية، إذ أعطى لكل حكومة أن تعيش وتحكم وتسلك المسلك الذى سوف تسأل عنه أمام الله فقط وأمام الإمبراطور. وبذلك أصبح لأنصار لوثر مركز معترف به.

- **أما المرحلة الثانية** : فبدأت عندما نهبت جيوش الإمبراطور روما واضطر البابا لقبول الصلح، فعقد شارل الخامس مجلساً إمبراطوريا ثانيا فى سبير Speier فى فبراير سنة ١٥٢٩م، تقرر فيه تنفيذ قرارات مجمع ورمز، وإلغاء الحرية التى أعطيت للأمراء فى اختيار المذهب الذى يريدون. فأعلن اللوثريون احتجاجهم على هذه القرارات، وتحدوا سلطة الإمبراطور، وكان بسبب احتجاجهم هذا أن عرفوا باسم «المحتجين» (بروتستانت Protestants).

- **أما المرحلة الثالثة** : فحدثت عندما حاول الإمبراطور أن يحسم النزاع بالطرق السلمية، فدعا البروتستانت للاجتماع مع الكاثوليك فى مجلس عقد فى أوجزبورج Augsburg فى يونيه ١٥٣٠م. وفى هذا المجلس وضع فيليب ملانكتون مبادئ العقيدة اللوثرية فيما عرف باسم اعتراف أوجزبرج Confession of Augsburg، ولكن المجلس رفض هذا الاعتراف، واعطى الإمبراطور البروتستنت مهلة للتخلى عن أرائهم حقنا للدماء، ولكن الأمراء البروتستنت أجابوا على هذا الانذار بتأليف اتحاد للدفاع عن مصالحهم، عرف باسم: «حلف شمالكالديك Schmalkaldic League فى سنة ١٥٣١م.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- **أمـا المرحلـة الرابعـة** : فكانت عندمـا شكل الأمـراء الكاثوليك حلفا ضد البروتستنت، عرف باسم : حلف نورمبرج Nu-remberg league سنة ١٥٣٩م، فعقد الإمبراطور مجلسا فى راتيزبون Ratisbon سنة ١٥٤١م لحل الخلاف سلميا، ولما فشل فى تحقيق هدفه أعلنت الامارات الألمانية فارتبرج Wartburg وبادن Baden، وهيس Hesse وبراندنبرج Brandeburg انضمامها إلى المذهب اللوثرى واحدة وراء الأخرى، فعقد البابا بول الثالث مجلسا دينيا فى ترنت Trent لبحث الخلافات الدينية، ولكن الكاثوليك سيطروا على المجلس، كما رفض البروتستنت قبول الدعوة وحضور المجلس، وأخذ الإمبراطور يعد العدة للقضاء على الانقسام الدينى الذى هدد ممتلكاته، بالقوة، ولكن مارتن لوثر مات فى ١٧ فبراير ١٥٤٦م، وانقسم البروتستنت بعد وفاته، فانحاز موريس دوق سكسونيا إلى جانب الامبراطور، فخسرت جيوش البروتستنت بذهابه قائدا مدربا، وحلت بها الهزيمة فى موقعة موهلبرج Muhl-berg فى ابريل ١٥٤٧م، ووقع قواد الجيش البروتستنتى فى الأسر، وباتت ألمانيا بأسرها تحت رحمة الإمبراطور.

وفى مايو ١٥٤٨م دعا الامبراطور المجلس الإمبراطورى للاجتماع فى أوجزبرح، وعرض عليه النظام الذى أراد فرضه على البروتستنت والكاثوليك، وينطوى فى جوهره على التمسك بالعقيدة الكاثوليكية مع بعض التسامح لإرضاء البروتستنت فى مسائل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

زواج القسس، وتناول القربان، والتبرير بالايمان. وقد سمى هذا النظام بالنظام المؤقت Interim. ولكنه اضطر إلى استخدام الجنود لتنفيذ النظام المؤقت فى ألمانيا الجنوبية، فى حين قاومت البروتستنتية بزعامة مدينة مجدبرج Magdeburg فى ألمانيا الشمالية، واحتج موريس دوق سكسونيا على النظام المؤقت، وعاد إلى صفوف البروتستنت، فاكتسبوا بعودته قوة جديدة.

- **المرحلة الخامسة** : وفيها سارت الحوادث لصالح البروتستنت، بسبب انشغال الامبراطور بمسألة الوراثة فى أملاكه، وانضمام الأمراء البروتستنت إلى هنرى الثانى ملك فرنسا فى معاهدتى شامبورد Chambord (١٥٥٢)، وعهد شارل الخامس إلى أخيه فردناند بالتوسط فى عقد معاهدة باساو Passau فى يوليو ١٥٥٢م، التى نصت على دعوة المجلس الإمبراطورى فى بحر ستة أشهر لتسوية جميع المسائل المختلف عليها نهائيا.

وفى فبراير ١٥٥٥م دعى للانعقاد فى أوجزبرج Augsburg ذلك المجلس الإمبراطورى، وترأس جلساته فردناند، لتقرير الصلح مع الأمراء البروتستنت. ،وأهم شروطه:

١ - تقرير المبدأ الذى ظهر فى مجلس سبير الأول ١٥٢٦م بأن لكل أمير الحق فى اختيار المذهب الذى يريد سريانه فى إمارته، وألزم الأفراد المعترضين بمغادرة الإمارة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢ - أبقى الصلح على أملاك الكنيسة التى أخذت منها قبل عام ١٥٥٢م فى حوزة الذين أخذوها من رجال الدين أو العلمانيين، ونص على إرجاع أملاك الكنيسة التى أخذت منها بعد ١٥٥٢م.

وعلى الرغم من أن صلح أوجزبرج Treaty of Augsburg حفل بالسلبيات، وأخطرها أنه أعطى للأمراء حرية التصرف فى أخطر المسائل شأنا وقتئذ، وهى المسألة الدينية، وحرم منها الأفراد وجمهور الناس، فإنه بقى أساسا صالحا للحياة السياسية والدينية فى ألمانيا مدة تزيد على الخمسين عاما حتى قيام حروب الثلاثين سنة فى بداية القرن التالى.

٥ ـ الإصلاح الدينى خارج ألمانيا :

وقد انتشر الإصلاح الدينى فى أوروبا الشمالية وفى ألمانيا الشمالية والجنوبية فى حياة مارتن لوثر نفسه، ثم فى إنجلترا التى توطدت دعائم الإصلاح الدينى فيها على أسس لوثرية فى جوهرها. كما انتشرت اللوثرية فى الدنمارك والسويد.

ويرجع السبب فى عدم ذيوع اللوثرية فى كل أوروبا، إلى صعوبة فهم العقيدة اللوثرية، خصوصا فيما يتصل بتناول القربان، والتبرير بالإيمان. واعتماد لوثر على تعضيد الأمراء، مما جعل السواد الأعظم من الناس ينفضون من حوله. وعدم اهتمام لوثر بتجديد وتعريف العقيدة الجديدة، وعدم اهتمامه بنشرها فى خارج ألمانيا.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والمهم هو أن النجاح الذى لقيه الإصلاح الذى نادى به لوثر بالطرق السلمية لم يلبث أن شجع على ظهور مصلحين آخرين، فى طليعتهم أولريك زفينجلى (١٤٨٤ - ١٥٣١م) Ulrich Zwingli الذى ظهر مذهبه فى سويسرا وألمانيا الجنوبية، وجون كلفن John Calvin (١٥٠٩ ـ ١٥٦٤م) الذى انتشر مذهبه فى الجزء الباقى من أوروبا الوسطى والغربية، وخصوصا فى فرنسا والأراضى المنخفضة.

وقد خالف زفنجلى آراء لوثر وآراء الكنيسة الكاثوليكية على السواء فى مسألة القربان، حيث اعتبر سر الشكر أو «الأفخاريستا» حفلة تذكارية محضة، واعتبر الكنيسة مؤسسة ديمقراطية لكل المسيحيين الذين يشتركون بواسطة هيئة معينة منهم فى الفصل فى كل المسائل المتعلقة بالكنيسة والتعيين فى الوظائف الكنيسية وغيرها، على حين اعتبر لوثر أن أمير البلاد هو دائما الرئيس الأعلى للكنيسة. وقد قتل زفنجلى فى الحرب التى دارت بين الكاثولوليك والبروتستانت فى أكتوبر ١٥٣١م.

أما جون كلفن John Calvin الفرنسى الأصل، فقد اتفق مع اللوثرية فى الاعتماد على الكتاب المقدس وحده فى جميع المسائل الدينية، والتبرير بالإيمان، وأن السيد المسيح وحده هو الذى يشفع لدى الله، ولكنه اختلف عن اللوثرية فى مسألة الغفران، الذى اعتبره من الأمور المقدرة منذ الأزل، ولاترتبط بأعمال الانسان، كما اعتبر القصاص أيضا من الأمور المقدرة. ويعرف هذا المذهب بمذهب القدرية Predestination.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كذلك اختلف كلفن عن لوثر فى مسألة القربان، فقد اعتبر العشاء الربانى الأخير حفلة تذكارية، وزاد على هذا بأن قال إنها ضرورية لإسداء الحمد والشكر لله أيضا. ولم يعترف كلفن الابسرّين فقط من أسرار الكنيسة السبعة ـ وهى: الشكر أو الافخاريستا، والمعمودية، والمسيحية المقدسة أو الميرون، والزيجة الكهنوت، ومسحة المرضى، والتسوية ـ وهذان السران هما: سر الشكر أو الأفخاريستا، وسر المعمودية.

وعلى الرغم من اقتناع كلفن بضرورة وجود «الحكومة العلمانية» (المدنية أو الزمنية)، اقتناعه بضرورة وجود «الحكومة الكنسية»، فإنه أباح الانقلاب والثورة ضد الحكومة الزمنية إذا أقدمت على شئ يعتبر مخالفا لكلمة الله. ومن هنا ثار أتباع كلفن ضد سلطان الحكومة الزمنية فى فرنسا والأراضى المنخفضة.

وقد أتيحت الفرصة لوضع تعاليم كلفن موضع التنفيذ فى جنيف، ولكن الناس نفروا منها بسبب شدة وصرامة نظام الكنيسة التى أراد كلفن تأسيسها، وعنف التعاليم التى أراد تطبيقها، فاضطر إلى مغادرة جنيف سنة ١٥٣٨م، ولكنه لم يلبث أن عاد فى ١٥٤١م بسبب استدعاء شعبها له، وبقى فى جنيف حتى مات بها فى ٢٧ مايو ١٥٦٤م.

وقد انتشرت الكنيسة الكالفينية فى فرنسا والأراضى المنخفضة واسكندیناوه، وتعرض البروتستنت فى فرنسا (الذين

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عرفوا بالهيجينوت) Huguenots لاضطهادات كبيرة ومذابح، مثل مذبحة يوم بارثولوميو Saint Bartholomew's Day ، وأجبر ألوف منهم على الخروج من فرنسا إلى المنفى، ولم يسمح للهيجينوت بالحرية المدنية والدينية إلا فى عام ١٧٨٩م على يد الثورة الفرنسية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الرابع

ظهور الدول القومية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ظهـــور الدول القوميـــــة

ظهرت الدول القومية فى أوروبا فى أوائل العصر الحديث، نتيجة عوامل ثلاثة هامة:

العامل الأول : تصدع وسقوط الإقطاع. وبذلك زالت الحواجز الإقطاعية التى كانت تحول دون ظهور الشعور القومى وتوحد الأمة وتحولها إلى دولة - أى تحول الأمة إلى دولة.

العامل الثانى : تصدع نفوذ الكنيسة التى كانت تهيمن على الحياة فى أوروبا فى العصور الوسطى، كنتيجة لتصدع الإقطاع، بما ترتب على ذلك من تحرير الفكر واللغة والفن.

العامل الثالث : سقوط فكرة الإمبراطورية التى كانت سائدة فى العصور الوسطى، وإفساحها السبيل لظهور الدولة التى تقوم على أساس قومى ولا تقوم على أساس الإمبراطورية، وبالتالى ظهور ملوك يشخصون الدول القومية بدلا من الأباطرة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومن الطبيعى أن عملية الانتقال من العصور الوسطى إلى العصر الحديث لم تتم فجأة، بل استغرقت فترة طويلة من الزمن، وتدرجت فى مراحل متعددة. فانتقال المجتمعات من عصر إلى عصر لايحدث بين يوم وليلة، بل هى عملية بطيئة تختلط فيها خصائص الجديد مع خصائص القديم، ويستمر الاختلاط أجيالا، حتى تأخذ مميزات القديم فى السقوط، وتنفرد المميزات الجديدة بالسيطرة على حياة المجتمعات، وتبقى المميزات القديمة تراثا يشار إليه.

لقد كانت الكنيسة هى المسيطرة فى أوروبا فى العصورالوسطى وكان رجال الدين هم المسيطرون على حياة المجتمعات فيها. وهذا ليس واضحا فى نفوذ رجال الدين وسيطرتهم على كل الناس فى ذلك الوقت، بل واضح أيضا فى سيطرة اللغة اللاتينية، وهى لغة الكنيسة، كلغة للعلم والأدب، وكلغة للقانون أيضا.

ولقد تعرضت الكنيسة لأزمتين حادتين تاريخيتين، أولاهما الانقسام الهائل بين الكنيسة الكاثوليكية والأورثوذكسية، وثانيهما الصراع الهائل أيضا بينها وبين الامبراطورية، ولكن مع ذلك فقد ظلت الكنيسة الشرقية مسيطرة فى شرق أوروبا وجنوب شرقيها، فى حين بقيت الكنيسة الرومانية الغربية، أو البابوية، هى المسيطرة فى غرب أوروبا.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد عبر البابا «جريجورى» السابع (١٠٧٢ ـ ١٠٨٥م) عن هذه السيطرة بقوله: «إن من حق البابا أن يخلع الأباطرة إذا شاء. لأن الإمبراطورية من صنع البشر، أما الكنيسة فمن صنع الله، فالبابا فوق الأباطرة».

ولم يكن نفوذ الكنيسة مقصورا على الناحية الفكرية، فقد كان لها السيطرة والنفوذ من الناحية السياسية والاقتصادية أيضا، فرجال الكنيسة فى أى بلد من البلاد الأوروبية كانوا يجلسون فى المجالس التشريعة إلى جانب النبلاء، ولهم سيطرة فى البلاط الملكى. ومن الناحية الاقتصادية، فقد كانت الكنيسة تسيطر كذلك إلى حد كبير بما لها من أملاك الأوقاف، خصوصا فى الأراضى الزراعية.

هذا فى العصور الوسطى. أما فى العصور الحديثة، فقد أخذت هذه السيطرة فى الزوال. فلم تعد اللغة اللاتينية هى لغة الثقافة كما كانت فى العصور الوسطى، إذ بدأ الأدباء والعلماء فى البلاد المختلفة فى القرن الخامس عشر يتخذون لغاتهم، أو حتى لهجاتهم القومية، أداة للتعبير، بعد أن كانت هذه اللغات القومية أداة للتعبير عند الطبقات الجاهلة فقط.

ومن ناحية أخرى فقد بدأ الخروج فى أوروبا عن التفكير الضيق الذى كان طابع العصور الوسطى، والذى كان يتمثل أكثر مايتمثل عند أهل الفن من الشعراء والأدباء والرسامين فى الحد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من التعبير عن عواطفهم وميولهم. وكان انطلاق التفكير الحر والتعبير الحر، خصوصا عند الأدباء والفنانين، هو المكون لأول حدث فى أوروبا، وهو النهضة الأدبية والفنية فى إيطاليا ثم فى بقية أوروبا.

كذلك فإن نفوذ البابوية قد تعرض لصدع كبير وتدهور عظيم بظهور المذاهب الدينية الحديثة، مثل المذهب البروتستنتى والمذهب الكلفينى، وكذلك الكنائس القومية، مثل الكنيسة الإنجليكية فى إنجلترا. وهذه المذاهب أو الحركات هى التى تسمى فى مجموعها بحركة الإصلاح الدينى فى أوروبا Reformation.

ومع أن هذه المذاهب كان الدافع إليها دينيا عقائديا إصلاحيا، إلا أنه كان لها ما يبررها من الناحية السياسية والاقتصادية.

فمن الناحية السياسية كانت هذه المذاهب التكأة التى استندت إليها الملكيات فى أوروبا لإضعاف نفوذ البابوية وتدخلها فى شئون دولها، وإضعاف نفوذ رجال الدين كطبقة سياسية لها أهميتها.

ومن الناحية الاقتصادية أيضاً، فقد كانت هذه المذاهب سبباً كافيا، فى نظر الملكيات الأوروبية، لحرمان الكنيسة الكاثوليكية من أملاكها الزراعية الواسعة، وجعلها تابعة تبعية مباشرة للدولة.

وقد واجهت الكنيسة الكاثوليكية المذاهب الجديدة بمحاولة إصلاح نفسها من الداخل، وهو ما يطلق عليه الإصلاح المضاد أو Counter Reformation.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هذا كله من الناحية الفكرية والدينية. أما من الناحية السياسية، فقد كانت الفكرة السائدة فى العصور الوسطى والمسيطرة على عقول الناس هى فكرة الإمبراطورية.

وترجع سيطرة هذه الفكرة على أفهام الناس من الناحية السياسية إلى أيام الإمبراطورية الرومانية. ورغم زوال هذه الإمبراطورية على أيدى الغزاة البرابرة، فإن فكرة الإمبراطورية ظلت حلم الناس فى أوروبا من الناحية السياسية، يدل على ذلك ما أطلق عليها فى العصور الوسطى المتأخرة، أى فى منتصف القرن العاشر، بالإمبراطورية الرومانية المقدسة. وهو الاسم الرسمى لإمبراطورية أوتو الكبير Otto tha great. فمع أنها لم تكن لارومانية ولا مقدسة إلا أن إطلاق هذا الاسم عليها كان متأثرا بفكرة الإمبراطورية، حتى كان دانتى يعتقد أن الإمبراطورية هى أداة الحكم التى أوجدها الله على الأرض. ولهذا أيضا كانوا يطلقون على البلاد المسيحية اسم العالم المسيحى Christendom وهى تسمية ترمز إلى وحدة المسيحيين سياسيا وروحيا.

على أن الإمبراطورية الرومانية المقدسة تدهور نفوذها نتيجة لصراعها الطويل مع البابوية فى العصور الوسطى المتأخرة، كما أخذت فكرة الإمبراطورية تتلاشى فى أذهان الناس فى هذه العصور المتأخرة. ولم تلبث أن أخذت تظهر الدولة القومية الحديثة، أى الدولة التى تقوم على أساس قومى لا الإمبراطورية، وذلك لانهيار نظام الإقطاع، وظهور الطبقة البورجوازية الحديثة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويعتبر القرن السادس عشر قرن ظهور الدول القومية الحديثة. فقد ظهرت إنجلترا كدولة قومية بعد حروب أهلية استمرت ثلاثين عاما من ١٤٥٥ إلى ١٤٨٥م، وعرفت باسم حروب الوردتين (كانت الوردة البيضاء ترمز إلى بيت يورك York والوردة الحمراء ترمز إلى بيت لانكستر Lancaster. وقد انتهت بتأسيس هنرى تيودور Tudor السابع (١٤٨٥ ـ ١٥٠٩م) ملكية تيودور القومية المركزية، وبذلك أصبحت إنجلترا ذات حكومة مركزية قوية فى بداية القرن السادس عشر.

كذلك ظهرت فرنسا كدولة قومية فى أوائل العصر الحديث، بعد صراع طويل خاضته أسرة كابيه Capet ضد أمراء الاقطاع، وبعد حروب المائة سنة مع إنجلترا (١٣٣٧ ـ ١٤٥٣م)، التى حاولت فيها أسرة فالوا Valois منذ عام ١٣٨٢م استرداد الأراضى الفرنسية التى انتقلت إلى إنجلترا بطريق الوراثة والزواج فى القرن الثانى عشر، ثم انتهاء هذه الحروب فى عام ١٤٥٣م باسترداد هذه الممتلكات فيما عدا كاليه، وفى الفترة من ١٤٧١م الى ١٥٩٥م ضم ملوك فرنسا (لويس الحادى عشر وشارل الثامن ولويس الثانى عشر) دوقية برجاندى Burgundy ودوقية بريتانى Brittany ثم أورليانز Orleans، وبذلك تم توحيد فرنسا، وأصبحت دولة قومية حديثة.

وقد ظهرت أسبانيا كدولة قومية موحدة عندما اتحدت أراجونة Aragon مع قشتالة Castile عند زواج ايزابيلا Isabella صاحبة قشتالة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من فرديناند ملك أراجونة فى سنة ١٤٦٩م. فكان هذا الزواج هو الأساس الذى قامت عليه وحدة أسبانيا. وعندما سقطت غرناطة، آخر معاقل المسلمين، فى يد الملوك الكاثوليك فى سنة ١٤٩٢م، تم توحيد أسبانيا على أساس الملكية المطلقة ذات الحكومة المركزية.

أما البرتغال، فقد كانت فى بداية الأمر إمارة خاضعة لقشتالة، ولكنها نبذت سيادة قشتالة وأصبحت مملكة مستقلة فى عام ١١٤٣م على يد ألفونسو الأول من أسرة برجندى. وفى سنة ١٣٨٥م أسس يوحنا الأول أسرة أفيز Avis. وفى عهده بدأ سياسة التوسع الاستعمارى التى انتهت بتكوين إمبراطورية كبرى.

أما الأراضى المنخفضة، فقد ظهرت فى مظهر الدولة القومية عندما استطاعت مدينة أنتويرب Antwerp سنة ١٤٩٤م أن تستأثر بمركز ممتاز كمقر للنشاط التجارى فى الشمال الغربى، وأصبحت تدريجيا بمثابة العاصمة لهذه البلاد ومقر تجارة الأراضى المنخفضة بأجمعها، فأعطى وجودها الأراضى المنخفضة مظهر الدولة القومية.

أما سويسرا التى كانت من أملاك الإمبراطورية الرومانية المقدسة، فقد اتخذت طريقها لتكون دولة قومية، عندما اتحدت المقاطعات الشمالية والمدن فيها ضد ادعاءات أسرة هابسبورج، وانتصر الاتحاد فى موقعة مورجارتين Morgrten سنة ١٣١٥م، الأمر الذى شجع بقية المقاطعات على الانضمام إلى الاتحاد. وعندما

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

انهزم النمساويون بعد ذلك فى معركة سيمباخ فى Sempach فى سنة ١٣٨٦م، اعترفت النمسا باستقلال ثمانية من هذه المقاطعات. وفى آخر القرن الخامس عشر، استطاع السويسريون أن يتحرروا من السيادة الإمبراطورية، وأصبحوا دولة مستقلة عن الإمبراطورية الرومانية المقدسة. وقد تم الاعتراف بهذا الاستقلال فى صلح وستفاليا Westphalia سنة ١٦٤٨م.

وقد كان بعد ظهور هذه الدول القومية أن أخذت تتطلع إلى التوسع خارج حدودها، إما داخل القارة الأوروبية،وإما خارجها.

وفيما يتصل بداخل القارة، فقد أدى تطلع هذه الدول القومية للتوسع إلى اصطدامها بعضها ببعض فى حروب طويلة فى مطلع القرن السادس عشر استمرت أكثر من نصف قرن (١٤٩٤ - ١٥٥٩م) هى التى تعرف باسم الحروب الإيطالية، لأن النزاع حول إيطاليا كان من أهم أسبابها. وفى هذه الحروب عرفت الدول الأوروبية تلك القاعدة الدبلوماسية الجديدة التى صارت تعرف باسم «توازن القوى» أو التوازن الدولى Balance of Power.

أما التوسع خارج القارة، فقد أدى بالدول القومية الحديثة إلى حركة الكشوف الجغرافية، سواء فى جنوب وشرق آسيا وحول أفريقيا من ناحية، أو فى الأمريكتين من ناحية أخرى. فبدأ من ثم التاريخ الحديث لهذه البلاد.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى حركة الاكتشافات الجغرافية عرفت الدول القومية أمرين:

الأمر الأول هو تكوين الإمبراطوريات فيما وراء البحار. والأمر الثانى هو تطبيق المبدأ التجارى Mercantile Systen أو Mercantalisn.

وبالنسبة للأمر الأول، فقد تكونت أولى الإمبراطوريات الأوروبية على يد البرتغال، وكان مركزها جزر الهند الشرقية والهند.

أما فيما يتصل بالأمر الثانى، فقد قام هذا المبدأ على أساس أن الثروة أساس القوة، وأن الذهب يستطيع أن يشترى أى شئ، فهو المقياس السليم لثروة أى بلد من البلاد، ومن ثم يجب أن يكون هم الدولة تصدير أكثر مايمكن من سلعها، واستيراد أقل مايمكن من سلع البلاد الأخرى، والحصول على الفرق بين الاستيراد والتصدير بالذهب. كذلك يجب أن تحتكر الدولة تجارة المستعمرات وتحتكر سفنها نقل البضائع منها وإليها، حتى تظل فى حالة اعتماد عليها، وفى الوقت نفسه لا ينبغى للمستعمرة أن تنتج أو تبيع ما تنتجه الدولة المستعمرة. وقد ظل هذا المبدأ هديا لسياسة الدول القومية حتى أواخر القرن الثامن عشر.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الخامس

الحروب الإيطالية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الحـــروب الإيطاليـــة

تعتبر الحروب الإيطالية إحدى نتائج ظهور الدول القومية فى أوروبا على أنقاض الإقطاع. فقد ترتب على ظهور الدول القومية أن أخذت تتطلع الى التوسع، إما داخل أوروبا، وإما خارجها. وقد أفرز التوسع الأول الحروب الإيطالة، وأفرز التوسع الثانى الكشوف الجغرافية.

وبالنسبة للحروب الإيطالية، فلم تكن حروبا بين إيطاليا والدول الأوروبية المجاورة، وإنما كانت إيطاليا نفسها هى ميدان الحروب بين الدول الأوروبية. فقد كانت الجزيرة الإيطالية فى ذلك الحين منقسمة إلى دويلات وإمارات منقسمة على نفسها، أهمها: ميلان، والبندقية ومانتوا Mantua، وفيرارا Ferrara، وفلورنسا Flor-ence،. وكان هناك نزاع بين جمهورية البندقية والولايات البابوية حول احتلال البابا إقليم رومانيا Romagna. وكانت البندقية فى الوقت نفسه تريد امتلاك دوقية ميلان، فى حين أرادت البابوية امتلاك فلورنسا.

وقد أوجدت هذه النزاعات فراغا فى شبه الجزيرة الإيطالية أغرى الدول الأوروبية المجاورة على ملئه، وكانت هناك دولتان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تحركهما الأطماع إلى السيطرة على إيطاليا، هما فرنسا وأسبانيا، إذ كانت لكل منهما ادعاءات فى وراثة عرش نابولى، فى حين كانت أسبانيا وفرنسا تطمعان فى امتلاك ميلان.

وقد ترك هذا النزاع بين فرنسا وأسبانيا آثاره على الدول المجاورة، ذلك أن سيطرة إحدى الدولتين على إيطاليا كان يعطيها من القوة ما يهدد جيرانها، وكان على هذه الدول فى هذه الحالة أن تتحالف لموازنة قوة هذه الدولة، وبذلك ظهرت تلك القاعدة الدبلومسية الجديدة التى صارت تعرف باسم «مبدأ توازن القوى» Balance of Power، الذى أصبح محركا للتاريخ الأوروبى.

وفى الوقت نفسه أدى انقسام وتصارع الدويلات الإيطالية إلى حالة تشبه لحد ما الحالة السائدة فى أوروبا، فنجد بعض هذه الدويلات تنضم إلى أسبانيا أو فرنسا ضد البعض الآخر، ثم لا تلبث أن تغير التحالف إذا ظهر خطر على مصالحها. وبذلك أصبح يطبق على شبه الجزيرة الإيطالية نفس المبدأ السياسى الذى كان يطبق فى أوروبا، وهو «مبدأ توازن القوى».

وقد مرت الحروب الإيطالية بدورين : أولهما من ١٤٩٤ إلى ١٥١٥م، والثانى: من ١٥١٥ إلى ١٥٥٩م.

وبالنسبة للدور الأول، فقد حاولت فيه فرنسا تحقيق ادعاءاتها فى وراثة عرش كل من مملكة نابولى ودوقية ميلان، فكان ذلك هو الذى أشعل الحروب الإيطالية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أما بالنسبة للدور الثانى، فقد دار الصراع فيه بين فرنسا تحت أسرة فالوا Valois وأسبانيا تحت أسرة هابسبرج Habsburg. وحول هذا النزاع بين أسرة الفالوا وأسرة الهابسبرج توزعت الدول الأوروبية الأخرى تحقيقا «لمبدأ التوازن».

وقد اختتمت هذه الحروب «بمعاهدة كاتو ـ كامبريسيس Ca-teau - Cambrésis» فى سنة ١٥٥٩م، وهى أول تسوية دولية عامة شهدتها أوروبا فى العصور الحديثة.

الدور الأول ١٤٩٤ ـ ١٥١٥م :

كانت نابولى هى التى أشعلت نار الحروب الإيطالية. وكان شارل أنجو Anjou أخو لويس التاسع ملك فرنسا قد فتح مملكة نابولى وصقلية فى خلال القرن الثالث عشر. ولكن فى عام ١٢٨٢م قامت ثورة فى صقلية ضد الفرنسيين انتهت بضم الجزيرة إلى أملاك أسرة أراجون Aragon فى أسبانيا، وبقيت نابولى تحت حكم أسرة أنجو.

عل أنه فى عام ١٤٣٥م اندثر بيت أنجو بموت جوانا الثانية، فانضمت نابولى إلى ألفونس الخامس ملك صقلية وأراجون وسردينيا، وأصبحت نابولى وصقلية مرة ثانية تحت حكم بيت واحد.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على أن البلدين عادا مرة ثانية إلى الانفصال عندما مات ألفونس الخامس فى عام ١٤٥٨م، فقد قسم ملكه بين أخيه وابنه، فأخذ أخوه (حنا الثانى) أراجون وصقلية وسردينيا، وأخذ ابنه (فرديناند الأول) نابولى.

عند ذلك طالب بعض أمـــراء بيت أنجـــو بنابولى، ولكن فرنسسكو سفورزا Francesco Sforza صاحب ميلان وبعض أمراء إيطاليا عارضوا فى ذلك خوفا من تدخل فرنسا وبسط نفوذها على بلادهم.

على أن عسف فرد يناند وظلمه أدى بشعبه إلى الثورة عليه فى عام ١٤٨٥م، وساعد هذه الثورة البابا الذى كان يدعى لنفسه السلطان على نابولى. وفى عام ١٤٩٢م ذهب فريق من أهل نابولى إلى شارل الثامن ملك فرنسا طالباً منه المساعدة ويقدم له عرش نابولى. ولما كان بيت أنجو قد تنازل عن حقه للويس الحادى عشر ملك فرنسا فى عام ١٤٨١م، وورثها عنه ابنه شارل الثامن، فقد رحب شارل الثامن بالاستيلاء على نابولى، حيث يتيح له ذلك فرصة لتكوين مملكة فى الجنوب تكون مقدمة لحرب صليبية مع الأتراك، وفى الوقت نفسه نجدة حاكم ميلان لود وفيكو سفورزا Ludovico Sforza الذى اغتصب السلطة فى ميلان من ابن أخيه جيان جاليازو Gian Galeazzo المتحالف مع فرد ناند ملك نابولى.

وعلى هذا النحو، عبر الجيش الفرنسى جبال الألب بقيادة شارل الثامن فى سبتمبر ١٤٩٤م، ولم يلق مقاومة فى شمال إيطاليا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لأن ميلان كانت حليفته، ودخل تورين، ثم توسكانيا، ووصل فلورنسا، وتوغل فى بيزا، فاضطر حاكم فلورنسا إلى عقد صلح مع شارل الثامن تنازل له فيه عن بعض مدن فلورنسا، الأمر الذى أثار عليه الشعب، واضطره إلى الفرار من البلاد.

على أن شارل الثامن دخل فلورنسا دون مقاومة، وفرض شروطا جديدة وضعت فلورنسا تحت النفوذ الفرنسى. ثم وصل إلى روما، وعقد مع البابا إسكندر السادس معاهدة نزل فيها الأخير عن بعض المدن. ثم زحف على نابولى، فتنازل ملك نابولى ألفونس الثانى عن العرش لابنه فرد يناند الثانى، ولكن هذا عجز عن المقاومة، فدخل شارل الثامن نابولى وتوج ملكا عليها.

على أن هذا النصر السريع أزعج لودوفيكو سفورزا حاكم ميلان، خصوصا عندما أخذ دوق أورليان، قائد الجيش الفرنسى على حدود لمباردىLombardy يستعد لغزو ميلان التى ادعى ملكيتها. وفى الوقت نفسه خشيت البندقية من سيطرة الفرنسيين على إيطاليا.

أما خارج إيطاليا فقد خشى الإمبراطور مكسمليان Maxi-milian، إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة، والملك فرد يناند الكاثوليكى ملك أراجونه (فى أسبانيا) وصقلية، أن يختل توازن القوى بسبب النصر الفرنسى، وكان لفرد يناند هو الآخر ادعاءات فى وراثة عرش نابولى.

لذلك تكون حلف مضاد لفرنسا فى مارس ١٤٩٠م، عرف باسم «حلف البندقية»، تكون من البندقية، وميلان، والبابا إسكندر

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

السادس، والإمبراطور مكسميليان، وفرديناند، هدفه موازنة قوة فرنسا، وذريعته الدفاع عن أملاكهم.

وقد كان هذا الحلف هو أول مظهر لذلك المبدأ السياسى الشهير الذى ظهر فى أوروبا، وهو «مبدأ التوازن الدولى»، وفحواه ألا يسمح بحدوث تغيير كبير فى قوى الدول الكبرى، فإذا قويت دولة على نحو يهدد الدول الأخرى بالخطر، وجب اتحادها جميعا لدفع هذا الخطر.

وعندما علم شارل الثامن بتكوين هذا الحلف، خشى أن يقطع عليه خط الرجعة، فقرر إخلاء نابولى، وغادر عاصمتها «فورنوفو» Fornovo فى ٦ يولية ١٤٩٥م. وفى طريق عودته مر بروما، ثم على بيزا Pisa حيث منح أهلها الحرية، مما أغضب فلورنسا التى كانت بيزا تحت سيادتها منذ عام ١٤٠٦م. وعقد مع لودوفيكو صلحا ترك له بمقتضاه ميلان، فى مقابل تعهد هذا بإعطاء الفرنسيين حق المرور، ومساعدتهم إذا قرروا مهاجمة نابولى. على أنه بعد ترك شارل الثامن نابولى قامت ثورة فيها، وانتهت برجوع الأسرة المالكة السابقة إلى العرش، وتسليم الحامية الفرنسية فيها.

وبعد ثلاث سنوات أخرى، أى فى عام ١٤٩٨م، مات شارل الثامن فى فرنسا، وخلفه دوق دورليان تحت اسم لويس الثانى عشر Louis XII، وكانت توليته حدثا مهما فى تاريخ إيطاليا، فلم يكن كسلفه يدعى فقط ملكية نابولى، بل كان يدعى ملكية ميلان أيضا. ومن ثم أخذ فى الإعداد لحرب جديدة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى ذلك الحين كانت الظروف السياسية فى إيطاليا تشجع على الغزو، فقد انحل حلف البندقية، ورجعت الخلافات القديمة فى إيطاليا إلى ما كانت عليه، وانحازت البندقية إلى فرنسا بسبب أطماعها فى ميلان.

وعلى ذلك ففى أغسطس ١٤٩٩م عبرت القوات الفرنسية جبال الألب مرة أخرى، ونزلت فى سهول لمباردى دون أن تلقى مقاومة، ومرت فى بلاد بيد مونت بتصريح من دوق سافوا. وانضم إلى الفرنسيين خمسة آلاف من السويسريين أرسلتهم المقاطعات السويسرية التى تحالفت مع لويس الثانى عشر. ولم يلق المهاجمون إلا مقاومة بسيطة. وفى الوقت نفسه كانت قوات البندقية تزحف من الشرق على ميلان، ففر لودوفيكو إلى الإمبراطور مكسميليان، وسلم الأهالى مدينة ميلان للفرنسيين. وفى مدى شهر استولى الفرنسيون والبنادقة على أراضى ميلان كلها بدون استثناء.

على أن لودوفيكو لم يلبث أن عاد إلى ميلان بجيش كبير لتخليص بلاده، وأرغم الفرنسيين على إخلاء ميلان العاصمة، والتخلى عن فتوحاتهم بسرعة تفاديا للاشتباك، على أنهم عادوا فتمكنوا من أسر لودوفيكو، واحتلوا العاصمة من جديد، وبذلك استتب لهم الأمر فى ميلان.

وقد كان ذلك مما شجع لويس الثانى عشر على إعادة فتح نابولى، فعقد مع فرديناند الكاثوليكى «معاهدة غرناطة» فى نوفمبر

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١٥٠٠م، التى اتفقا فيها على إرسال حملات مشتركة، واقتسام نابولى. وقد تذرع فى ذلك بتحالف ملك نابولى فريدريك مع الأتراك العثمانيين. وبناء على هذه المعاهدة زحف الفرنسيون على نابولى من الشمال، فى حين زحف الأسبان من الجنوب، فسقطت العاصمة نابولى فى أيدى الفرنسيين من غير قتال فى يوليو ١٥٠١م، ووقع ملكها أسيرا، وأرسل إلى فرنسا، وبقى بها أسيرا حتى مات فى سنة ١٥٠٣م.

على أن الخلاف على تقسيم نابولى لم يلبث أن دفع بالحليفين الفرنسى والأسبانى إلى الحرب. وفى هذه الحرب مُنى الفرنسيون بالهزيمة، واستولى الأسبان على العاصمة نابولى فى مايو ١٥٠٣م، وسلمت آخر معاقل الفرنسيين فى جايتا Gaeta فى يناير ١٥٠٤م، واضطر الفرنسيون فى مارس ١٥٠٤م إلى الاعتراف بامتلاك الأسبان لنابولى، وأصبحوا لا يملكون فى إيطاليا سوى ميلان.

على أن الظروف السياسية لم تلبث أن اضطرت الفرنسيين إلى التخلى عن ميلان أيضا. ففى ذلك الحين اعتلى البابا يوليوس الثانى Julius البابوية خلفا للبابا إسكندر السادس فى عام ١٥٠٣م، وكان يطمع فى استرداد أملاك الكنيسة، وبسط نفوذ البابوية على إيطاليا، كما كان فى الوقت نفسه يخشى من امتداد نفوذ البندقية إلى أملاكه، فعمل على تكوين حلف ضد البندقية فى كمبراى سمى «League of Cambrai» فى ديسمبر ١٥٠٨م. وقد تكون هذا الحلف من

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كل من البابا، وفرديناند الكاثوليكى، والإمبراطور مكسمليان، ولويس الثانى عشر، وبعض الولايات الإيطالية: فرارا، وأوربينو، ومانتوا، فى حين بقيت فلورنسا على الحياد.

وقد تمكن الجيش الفرنسى من إلحاق الهزيمة بالبندقية فى معركة «أجناديللو Agnadello» فى أبريل ١٥٠٩م، وكادت البندقية تشرف على الهلاك حتى فكرت فى الاستنجاد بالدولة العثمانية.

على أنه فى تلك اللحظة انفضت المحالفة ضد البندقية، فقد رأى البابا أنه حصل على المدن التى يريدها، فى إقليم رومانيا، وهى: رافنا، وريمينى Rimini وفاينزا Faenza ولم يعد ـ بالتالى ـ مبرر لاستمرار الحرب ضد البندقية، وفى الوقت نفسه اعتبر وجود البندقية ضرورة لدفع خطر الأتراك على المسيحية وعن إيطاليا وعن أوروبا، فعقد الصلح مع البندقية فى أبريل ١٥١٠م.

على أن كلا من الإمبراطور مكسمليان ولويس الثانى عشر أصرا على مواصلة الحرب، فأعلن البابا عزمه على طرد البرابرة من إيطاليا، واستطاع أن يضمن حياد فرد يناند الكاثوليكى مقابل الاعتراف له بنابولى وصقلية. ولكن الفرنسيين تمكنوا من الاستيلاء على بولونيا، واضطروا البابا إلى التقهقر، وقرروا خلع البابا، فدعوا مجلسا من الكرادلة Cardinals للاجتماع فى بيزا حيث قرر عزل البابا يوليوس الثانى من البابوية.

على أن هذا العمل بدلا من أن يضعف البابا، فإنه أدى إلى تقويته، فتمكن من عقد حلف جديد ضد فرنسا عرف باسم «الحلف

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المقدس Holly League» فى أكتوبر ١٥١١م، تكون من البابا، وفرديناند الكاثوليكى ملك أسبانيا، وجمهورية البندقية، وانضم إلى الحلف ملك إنجلترا هنرى الثامن، وكان غرضه الظاهرى القضاء على الحركة الانفصالية التى أوجدها مجلس الكرادلة فى بيزا، ولكن غرضه الحقيقى هو استرداد المدن التى كان البابا يطمع فى امتلاكها، وهى بولونيا وفرارا وغيرها، واستيلاء فرديناند الكاثوليكى ملك أسبانيا على مملكة نافار Navarre حتى تستكمل أسبانيا حدودها الطبيعية من الشمال.

وفى البداية تمكن الفرنسيون من الانتصار على قوات الحلف المقدس فى ثلاث معارك، ولكن الإمبراطور مكسمليان انضم إلى الحلف قبل المعركة الثالثة، وانفصل علناً عن فرنسا، كما انضم السويسريون إلى الحلف المقدس، وزحف الجيش السويسرى فى عام ١٥١٢م على ميلان، وأجبر الجيش الفرنسى على الانسحاب من العاصمة، وتبعه حاكم ميلان، وعاد الجيش الفرنسى إلى فرنسا بعد أن ضاعت منه فتوحاته، وأعيدت بولونيا إلى البابا، كما أعيدت أسرة مديتشى Medici إلى فلورنسا، وأعطيت ميلان إلى ابن لودوفيكو، واستولى الأسبان على نافار Navarre فى سنة١٥٩٢م.

على أنه فى أوائل عام ١٥١٣م انحل الحلف المقدس. فقد اتجهت البندقية من جديد إلى فرنسا، خوفا من طمع الإمبراطور مكسمليان فى بعض أملاكها، وكونت مع فرنسا حلفاً. فتكون حلف

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى المقابل ضد فرنسا من مكسمليان وهنرى الثامن ملك إنجلترا والبابا ليو العاشر الذى خلف الباب يوليوس الثانى، وفردناند ملك أسبانيا.

وحاولت فرنسا من جديد فتح ميلان بمساعدة البندقية، ولكنها هزمت على يد السويسريين الذين اعتبروا ميلان فى حمايتهم. كما غزا هنرى الثامن ملك إنجلترا فرنسا وانتصر على الفرنسيين، وغزا السويسريون فرنسا، وأحدق الخطر بفرنسا وأشرفت على السقوط.

على أن هذه النتيجة ذاتها التى حققها الحلفاء، لم تلبث أن أدت إلى وقوع النزاع بينهم. ذلك أن سقوط فرنسا كان من شأنه اختلال التوازن الدولى اختلالا شديدا، فلم يكن من مصلحة فرديناند، كما رأى البابا أن مصلحة أسرة مديتشى تكمن فى إيجاد التوازن بين أسبانيا وفرنسا فى إيطاليا، وكان يطمع فى مساعدة فرنسا فى إقامة أخيه فى الحكم فى نابولى، ومن ثم عقد صلحا مع فرنسا، وعفا عن الكرادلة الفرنسيين الذين اشتركوا فى «مجلس بيزا» الذى عزل البابا السابق. كما عقد مكسمليان معاهدة أخرى مع لويس الثانى عشر، وتبعه هنرى الثامن فى أغسطس ١٥١٤م.

وفى أول يناير ١٥١٥م توفى لويس الثانى عشر فى فرنسا، فانتهى بوفاته الدور الأول من الحروب الإيطالية. وفى هذا الدور –

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كما رأينا - فشلت فرنسا فى بسط نفوذها فى إيطاليا، وخرجت هى نفسها منها، ونالت أسبانيا بفضل دهاء فرديناند الكاثوليكى مواقع ثابتة فى شبه الجزيرة فى نابولى، كما اقتسمت مع السويسريين ميلان، واستولت على ناڤار، أما البابوية فقد امتلكت رومانيا، كما ظفرت بالسيطرة على فلورنسا بعد أن عادت إلى الحكم فى فلورنسا أسرة مديتشى، وهى أسرة البابا ليو العاشر نفسه، ففقدت فرنسا بذلك إمارة فلورنسا.

الدور الثانى من الحروب الإيطالية :

مر هذا الدور بخمس مراحل :

١ ـ من ١٥١٥ إلى ١٥١٩م.

٢ ـ من ١٥١٩ إلى ١٥٢٩م.

٣ ـ من ١٥٢٩ إلى ١٥٤٧م.

٤ ـ من ١٥٤٧ إلى ١٥٥٢م.

٥ ـ من ١٥٥٢ إلى ١٥٥٩م.

وكان بطل الأدوار الثلاثة الأولى هو فرانسوا الأول Francis I ملك فرنسا الذى كان من أسرة ڤالوا ـ أورليان أى الفرع الأصغر من أسرة ڤالوا.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١ ـ المرحلة الأولى من ١٥١٥ ـ ١٥١٩م

فقد رأى فرانسوا الأول بعد توليه الحكم ضرورة إزالة العار الذى لحق بفرنسا من جراء هزيمتها عند محاولتها استعادة ميلان، فأخذ يمهد الطريق لذلك عن طريق التحالف مع الدول المعنية، وعقد بالفعل حلفاً مع كل من هنرى الثامن ملك انجلترا، ومع البندقية، ومع شارل حاكم الأراضى المنخفضة (شارل الخامس فيما بعد).

وقد ترتب على ذلك أن تكون حلف مضاد تكون من البابا، والإمبراطور مكسمليان، وفرديناند ملك أسبانيا، وفلورنسا، ودوق ميلان، والسويسريين.

وفى أغسطس عبر فرانسوا الأول جبال الألب مرة أخرى، وانتصر على أعدائه فى موقعة مارينيانو Marignano بالقرب من ميلان، واستولى على ميلان نفسها فى أكتوبر ١٥١٥م، وأرسل دوق ميلان أسيرا إلى فرنسا.

وقد كان بفضل هذا النصر أن تحققت النتائج المهمة الآتية :

١ ـ خرج السويسريون من التحالف بعد أن أعجبوا بشجاعة فرانسوا الأول، وعقدوا معه معاهدتين فى عامى ١٥١٥ و ١٥١٦م، تعهدوا فيهما بعدم الانضمام إلى أعداء فرنسا فى المستقبل (وقد دامت هذه الصداقة بين فرنسا وسويسرا حتى قيام الثورة الفرنسية).

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢ ـ عقد البابا ليو العاشر مع فرانسوا الأول إتفاقا Concordat فى بولونيا Bologna فى أغسطس ١٥١٦م لتنظيم العلاقات بين كنيسة روما والكنيسة فى فرنسا، تضمن أن تدفع فرنسا الأموال الكنسية التى امتنعت عن دفعها قرابة القرن، فى مقابل حق ملك فرنسا فى تعيين رجال الدين فى فرنسا فى جميع الوظائف الكنسية. وبذلك استكملت فرنسا استقلالها القومى بالحصول على استقلالها الدينى، وخرجت من تحت هيمنة الكنيسة التى كانت طابع العصور الوسطى.

٣ ـ عقد فرانسوا الأول مع الإمبراطور مكسمليان ومع البندقية معاهدات كفلت لفرانسوا الأول الاحتفاظ بميلان وجنوة (فى أغسطس ١٥١٦) فصارت له السيطرة التامة فى لومباردى.

٤ ـ عندما مات فى يناير ١٥١٦م فرديناند ملك أسبانيا وأصبح حفيده شارل حاكما على أسبانيا ونابولى وصقلية والمستعمرات الأسبانية فى الدنيا الجديدة، عقد معه فرانسوا الأول معاهدة «نوين Noyon» فى أغسطس ١٥١٦م، وفيها اعترف باستيلاء فرانسوا على ميلان، وتنازل فيه فرانسوا عن ادعاءاته فى عرش نابولى ـ وبذلك اقتسمت كل من فرنسا وأسبانيا الغنائم فى ايطاليا، فحصلت فرنسا على ميلان، وحصلت أسبانيا عل نابولى.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢ ـ المرحلة الثانية ١٥١٩ ـ ١٥٢٩م

هذه هى المرحلة الأولى من الدور الثانى من الحروب الإيطالية، أما المرحلة الثانية فقد تميزت بخروج الصراع من دائرته الضيقة فى إيطاليا، وتحوله إلى صراع بين أسرتى هابسبورج الألمانية وأسرة فالوا الفرنسية من أجل الزعامة فى أوروبا. وقد بدأ بعد وفاة الإمبراطور مكسمليان فى يناير ١٩١٩م.

فنظرا لأن الإمبراطورية كانت انتخابية وليست وراثية، فقد رشح نفسه كل من فرانسوا الأول وهنرى الثامن ملك إنجلترا، كما رشح نفسه أيضا شارل ملك أسبانيا وحفيد الإمبراطور مكسميليان من زوجته مارى صاحبة ببرجاندى، وهو من أسرة هابسبرج Habsburg الألمانية. وقد ورث من أملاك أسرة هابسبرج النمسا، فضلا عما ورثه من قبل عن جده فرديناند الكاثوليكى من ملك يتمثل فى أسبانيا وأملاكها فى العالم الجديد وفى نابولى التى تهدد أملاك ونفوذ فرنسا فى إيطاليا الشمالية.

على أن الشعب الألمانى رفض أن يختار امبراطوراً أجنبيا من غير الألمان، ولم يملك «الدايت Diet» وهو مجلس الإمبراطورية، إلا أن يمتثل لرغبات الشعب الألمانى، فانتخب شارل إمبراطورا، لأنه من أصل ألمانى ومن أسرة هابسبورج، وكذا خوفا من انتخاب فرانسوا الأول فيبسط سيطرة فرنسا على ألمانيا. وقد عرف شارل منذذلك الحين باسم شارل الخامس.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على أن هذا الاختيار فى حد ذاته أخل بالتوازن الدولى، لأن شارل الخامس أصبح يجمع فى شخصه أملاك أسرة هابسبورج فضلا عن أسبانيا، وبذلك أصبح أمن فرنسا فى خطر لأن أملاك الإمبراطور الجديد تشمل كلاً من برجندى بإقليميها: الأراضى المنخفضة النيذرلاندية Netherlands وفرانش كومتيه Franch Comté وهذه على حدود فرنسا الشمالية والشرقية.

وفى الوقت نفسه فإن امتلاك الإمبراطور شارل الخامس هذه الأملاك الواسعة، التى تقسمها فرنسابموقعها، جعله يفكر فى ربط هذه الأملاك فى الأراضى المنخفضة وفرانش كومتيه من ناحية، وأسبانيا من ناحية أخرى، على حساب فرنسا، وذلك بتقسيم فرنسا على نحو يضمن انحلالها فلا تستطيع مقاومة سياسته.

ومن ثم فقد عمد شارل الخامس فى تنفيذ خطته إلى استمالة خصوم فرنسا، فتحالف مع هنرى الثامن ملك إنجلترا على أن ينال هنرى الثامن بيكارديا Picardy ونورماندى فى شمال فرنسا، ليطمئن شارل الخامس على حدود أملاكه فى الأراضى المنخفضة. ثم عقد مع دوق دى بوربون Bourbon، أحد نبلاء فرنسا الخارجين على فرانسوا الأول، اتفاقا ينضم فيه هذا إلى جانب شارل الخامس فى الحرب ضد فرانسوا الأول، فى مقابل حصوله على مملكة مستقلة فى فرنسا الجنوبية والغربية تضم مقاطعتى دوفينيه Dauphiné وبروفانس Provence وذلك لكى يضمن حماية حدود ممتلكاته فى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بيـرجندى من جـهـة، ويربط ـ من جـهـة أخـرى ـ بين بيـرجندى وأسبـانيا عن طريق مملكة تدين بالفضل له فى تأسيسها. كذلك تحالف شارل الخامس مع البابا.

وبناء على ذلك بدأت الحرب بين شارل الخامس وفرانسوا الأول فى ربيع عام ١٥٢١م، وكانت كارثة على فرانسوا الأول. فقد انتصرت قوات الإمبراطور فى إيطاليا، واضطر فرانسوا الأول إلى إخلاء دوقية ميلان، ما عدا قلعتها، ولوفارا Lovara كما طرد من جنوة.

وفى عام ١٩٥٢م عقد شارل الخامس مع هنرى الثامن ملك إنجلترا معاهدة اتفقا فيها على الهجوم على فرنسا، وعلى التحالف مع كل من البابا والبندقية، فتكونت بالفعل فى أغسطس ١٥٢٣م محالفة دفاعية من كل من الإمبراطور شارل الخامس والبابا أدريان Adrian السادس، وإنجلترا وميلان وجنوة وفلورنسا.

ولمواجهة ذلك رأى فرانسوا العودة إلى إيطاليا، فعبر جبال الألب من جديد، ودخل ميلان فى عام ١٥٢٤م، ولكنه هزم فى بافيا Pavia سنة ١٥٢٥م، ووقع فى الأسر، وأخذ أسيرا إلى أسبانيا حيث أرغم على توقيع «معاهدة مدريد» فى يناير ١٥٢٦م، وبمقتضاها تنازل عن دوقية بيرجندى – وهى غير كومتيه بيرجندى أو فرانش كومتيه وعن ادعاءاته فى ميلان وفى نابولى وفى الفلاندرز Flanders وأرتوا. وتعهد بعدم مساعدة نافار، وأعطى ولدين من أولاده رهينة،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتعهد بأن يتزوج من شقيقة شارل الأرملة ملكة البرتغال. وبذلك أطلق سراحه، وعاد إلى فرنسا فى مارس ١٥٢٦م.

على أن هذه الهزيمة البالغة التى لحقت بفرنسا، أخلّت بالتوازن الدولى فى أوروبا من جديد، وألقت الخوف فى قلوب الدول من زيادة نفوذ أسرة الهابسبرج فى أوروبا. فتألف «حلف كونياك المقدس» Gognac فى مايو ١٥٢٦م لإعادة التوازن إلى أوروبا، من كل من البابا كليمنت السابع، وفرانسوا الأول، وسفورزا (من الأسرة الحاكمة السابقة فى ميلان) والبندقية، وفلورنسا، وانجلترا. وكان غرض هذا الحلف الظاهرى تأييد سفورزا فى امتلاكه ميلان، وإعادة الولايات البابوية إلى ما كانت عليه قبل الحرب.

وبذلك تعرض شارل الخامس لحلف عظيم قام ضده فى وقت كان جيش شارل فى حالة تمرد بسبب تأخر المرتبات وقلة المؤن. كما كان معرضا لانقضاض الإيطاليين عليه فى إيطاليا، وكان السلطان سليمان القانونى على أبواب الانتصار فى المجر انتصارا حاسما يؤدى إلى استيلائه على معظم المجر، وكان فرانسوا الأول يفاوض سليمان القانونى عدو المسيحية، كما أعلنت البندقية أنها تفضل أن تكون تابعة للأتراك على أن تكون تابعة للإمبراطور شارل الخامس، وبهذا كان الموقف ضد شارل الخامس من جميع الوجوه.

على أنه من حسن حظ شارل أن الحلفاء لم يكونوا متحدين فى الهدف العام، ففرانسوا الأول اتخذ الحلف سبيلا للحصول من

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الإمبراطور شارل الخامس على شروط أحسن من شروط معاهدة مدريد، كما أن الولايات الإيطالية نفسها كانت منقسمة.

وعندما بدأت الحرب ركزت قوات شارل الخامس على قلعة ميلان، فاضطر سفورزا إلى التسليم، وتقدمت قوات شارل الخامس إلى روما فدخلتها، وعندما تأخرت المرتبات ثار الجند وقاموا بنهب روما فى مايو ١٥٢٧م، فكان فى ذلك انهيار النهضة الإيطالية انهيارا تاما، وحاصروا البابا فى قلعة سان أنجلو.

على أن فرانسوا الأول غزا إيطاليا، واستولى على لومباردى، عدا مدينة ميلان، واتجه بالجيش الفرنسى جنوبا لتخليص البابا كليمنت السابع، ولكن البابا كان قد عقد الصلح مع شارل الخامس قبل وصول الفرنسيين، فقرر فرانسوا مواصلة السير إلى نابولى. ولكنه انهزم فى النهاية، واضطر إلى عقد الصلح مع الإمبراطور فى كامبرى Cambrai فى أغسطس ١٥٢٩م، وتضمنت شروطه الآتى :

إعفاء فرانسوا من تنازله عن دوقية بيرجندى، واستعادة ولديه اللذين سلمهما إلى شارل كرهينة فى «معاهدة مدريد» مقابل دفع فدية، وتنازل فرانسوا عن ادعاءاته فى ميلان ونابولى وفى الفلاندرز وأرتوا.

وبذلك خرجت فرنسا من إيطاليا، وعادت السيطرة فى شبه الجزيرة الإيطالية إلى الإمبراطور شارل الخامس. وبذلك يكون قد أخفق «حلف كونياك» فى الغرض الذى تألف لأجله.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٣ ـ المرحلة الثالثة ١٥٢٩ ـ ١٥٤٧م

تميزت هذه المرحلة بتخلى شارل الخامس عن فكرة ربط ممتلكاته على حساب فرنسا، والعمل على المحافظة على مصالح أسرة الهابسبرج فى كل من إيطاليا وألمانيا. ويرجع السبب فى ذلك إلى انشغال الإمبراطور بالمشاكل التى ترتبت على حركة الإصلاح الدينى فى ألمانيا، وعلى توسع العثمانيين المطرد فى حوض نهر الدانوب الذى كان يخترق أملاك الإمبراطورية، فى عهد سليمان القانونى، الأمر الذى جعله يقدم اهتمامه بحركة الإصلاح الدينى والمحافظة على أملاك أسرته فى حوض الدانوب على المنافسة القديمة مع ملك فرنسا، وجعله يظهر بعد عام ١٥٢٩م فى مظهر الإمبراطور الذى تهمه مصلحة الإمبراطورية المباشرة قبل أى اعتبار آخر.

على أن فرانسوا الأول من الجانب الآخر كان ساخطا على صلح كامبرى الذى أخرجه من إيطاليا، فعمد إلى الاستفادة من مشاكل الإمبراطور فى ألمانيا ومع العثمانيين، فى استعادة دوقية ميلان. فتقرب من اللوثريين فى ألمانيا، وعقد المعاهدات مع العثمانيين ضد الإمبراطور شارل الخامس.

وقد أدى ذلك الى اتساع نطاق الحروب الإيطالية فى هذه المرحلة باشتراك العثمانيين. ففى نوفمبر ١٥٣٥م توفى فرنسسكو سفورزا دوق ميلان، وهو آخر سلالة هذه الأسرة، فتنازع على

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وراثتها كل من شارل الخامس وفرانسوا الأول الذى طلبها لابنه. ونتج عن هذا النزاع أن عبر الجيش الفرنسى الألب، واحتل تورين، فهجم جيش الإمبراطور على بروفانس، ولكنه اضطر إلى الارتداد.

وفى عام ١٥٣٧م غزا الفرنسيون أرتوا، وفى الوقت نفسه أرسل حليفهم السلطان سليمان القانونى قوة لمهاجمة نابولى، الأمر الذى أزعج أوروبا.

وقد ترتب على انهاك الحرب قوة كل من شارل الخامس وفرانسوا الأول، أن اضطرا فى يونيه ١٥٣٨م إلى عقد «هدنة نيس Nice» لمدة عشر سنوات، وبها تأيد صلح كامبرى، وتخلى الطرفان عن حلفائهما، واحتفظ كل منهما بما فى يده من الفتوح.

على أن هذه الهدنة لم تستمر أكثر من أربع سنوات، ففى عام ١٥٤١م قتل السفير الفرنسى حينما كان يعبر ميلان فى طريقه إلى القسطنطينية، وفى السنة التالية ١٥٤٢م أعطى شارل الخامس دوقية ميلان إلى ابنه فيليب، فنشبت الحرب بين الفريقين فى عام ١٥٤٢م. وفيها تحالف هنرى الثامن ملك إنجلترا مع شارل الخامس.

وقد انتصرت القوات الفرنسية فى بيدمونت، ولكن قوات كل من شارل الخامس وهنرى الثامن تمكنت من إخضاع لوكسمبورج، كما توغلت قواتهما فى فرنسا حتى هددت باريس. على أنه نظرا لعدم اطمئنان شارل الخامس لحليفه هنرى الثامن، ولرغبته فى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فصم التحالف بين فرانسوا والعثمانيين، عرض على فرانسوا الأول الصلح، وتم ذلك «بمعاهدة كرسبى» Crespy فى سبتمبر ١٥٤٤م، وبمقتضاها تركت الفتوح التى حصل عليها الطرفان بعد «هدنة نيس»، وتنازل شارل عن ادعاءاته فى برجندى، كما تنازل فرنسوا عن ادعاءاته فى نابولى وعن سيادته على الفلاندرز وأرتوا، واتحد الطرفان فى الدفاع عن المسيحية ضد العثمانيين، وإعادة السلم والوحدة للكنيسة ضد البروتستانت.

على أنه فى مارس ١٥٤٧م توفى فرانسوا الأول، وخلفه على العرش ابنه هنرى الثانى، وبذلك انتهت المرحلة الثالثة من الدور الثانى من الحروب الإيطالية، وبدأت المرحلة الرابعة.

٤ ـ المرحلة الرابعة ١٥٤٧ ـ ١٥٥٢م

تتميز هذه المرحلة من الحروب الإيطالية بارتباطها بالحركة اللوثرية فى ألمانيا، كما أن النزاع على إيطاليا كان من أهم أسباب استئنافها.

وكانت قد جدّت عوامل جديدة فى تلك المرحلة، مرتبطة بصراعات أخرى فى ألمانيا وإنجلترا واسكتلندا، جعلت لهذه المرحلة أهمية تاريخية خاصة.

فقد ارتبط هنرى الثانى بعد توليه العرش بأسرة جيز Guise الفرنسية، التى تنتسب إلى بيت أنجو صاحب الأملاك القديمة فى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إيطاليا وفى بيت المقدس. وكانت سياسة أسرة جيز استئناف الحرب مع الإمبراطور شارل الخامس صاحب النفوذ الواسع فى إيطاليا. ولما كانت مارى لورين Mary of Guise، شقيقة دوق جيز والكارد ينال شارل، قد تزوجت من جيمس الخامس ملك اسكتلندا، واستأثرت بكل سلطة بعد وفاة زوجها نظرا لصغر سن ابنتها مارى ستيوارت، فقد اعتمدت على الروابط العائلية لتقوية المحالفة بين فرنسا واسكتلنده فى أثناء الصراع.

وفى الوقت نفسه كانت حركة الإصلاح الدينى فى ألمانيا قد أوقعت ما بين الإمبراطور شارل الخامس والبابا بول الثالث. ففى سنة ١٥٤٨م أصدر الإمبراطور شارل الخامس «النظام المؤقت» In-terim لإنهاء النزاع الدينى فى ألمانيا، وقد تضمن بعض التساهل لإرضاء البروتستنت، فأغضب ذلك البابا.

وقد حدث ذلك فى الوقت الذى كان النفوذ الأسبانى يتوطد فى لمباردى، إذ ضمت أسبانيا كلا من بارما وبياكانزا Piacanza إلى دوقية ميلان، بعد أن اغتيل حاكمهما الذى كان ابنا غير شرعى للبابا نفسه فى سنة ١٥٤٧م. ومن أجل ذلك أخذ البابا يتفاوض مع هنرى الثانى ملك فرنسا لاستئناف القتال فى إيطاليا.

على أن هنرى الثانى كان فى ذلك الحين مشغولا بالحرب مع إنجلترا بسبب النزاع حول اسكتلندا. وقد بدأت هذه الحروب عندما امتنع البلاط الاسكتلندى الكاثوليكى الخاضع لمارى لورين

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفرنسية الكاثوليكية عن تنفيذ خطوبة مارى ستيوارت إلى إدوارد السادس ملك إنجلترا الدولة البروتستنتية، فأرسل الإنجليز حملة على أسكتلندا هزمت الاسكتلنديين فى «موقعة بيانكى Piankie» فى ١٠ سبتمبر ١٥٤٧م.

وهنا احتمت اسكتلنده فى فرنسا، وعقدت مارى لورين خطوبة ابنتها، التى انتقلت إلى فرنسا، على ولى عهد فرنسا وابن الملك هنرى الثانى، فى أغسطس ١٥٤٨م، فأنذرت هذه الخطبة بانضمام التاج الاسكتلندى إلى التاج الفرنسى، ونشبت الحرب بين إنجلترا وفرنسا واستمرت حتى مارس ١٥٥٠م، وفيها خسر الإنجليز ثغر بولونى فى فرنسا الشمالية فى نظير حصولهم على تعويض من فرنسا.

وقد شجع هذا النصر هنرى الثانى على القيام بعمل حاسم ضد شارل الخامس، ولكن فى ميدان جديد غير إيطاليا، وذلك فى جهة نهر الموزيل Moselle، أحد فروع الراين، وفى حدود الإمبراطورية الألمانية.

وكانت خطة هنرى الثانى الاستفادة من ثورات اللوثريين ضد الإمبراطور، وضم الأمراء الألمان الذين كانوا يخشون من ازدياد نفوذ أسرة هابسبرج بعد انتصار الإمبراطور على البروتستنت فى «معركة موهلبرج Mahlberg» فى أبريل ١٥٤٧م، فتم عقد محالفة بين هنرى الثانى والأمراء الألمان فى شامبورد Chombord فى يناير

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١٥٥٢م، ثم وقع موريس ناخب سكسونيا المعاهدة مع فرنسا فى فرايادوالد Friadwald فى ١٤ فبراير ١٥٥٢م.

وقد كان لهذا الاتفاق أهمية تاريخية كبرى للسببين الآتيين :

أولا: أنه كان أول اختيار حقيقى لسياسة توازن القوى فى أوروبا، التى كان من نتيجتها فى المائة سنة التالية إنقاذ فرنسا من خطر أسرة هابسبرج، وتحطيم قوة هذه الأسرة.

ثانيا : أن الاتفاق أباح لملك فرنسا الاستيلاء على المدن، التى كانت من أملاك الأمبراطور الدائمة على الرغم من أنها لم تكن تتكلم الألمانية، وهى: كمبراى، وتول Toul، وميتز Metz، وفردان Verdun، فكانت هذه المادة بمثابة العهد الذى أعلن حق فرنسا الطبيعى فى امتلاك كل إقليم اللورين الفرنسى الذى تقع فى أرضه هذه المدن.

فى ذلك الحين كان الصراع بين هنرى الثانى والإمبراطور فى إيطاليا قد تجدد فى عام ١٥٥١م حول مسألة بارما «Parma» عندما ساند هنرى أحد الأمراء على تولى الحكم فيها، وساند الإمبراطور أميراً آخر. ولكن الصراع انتهى بعقد هدنة بين الطرفين فى العام التالى لقيام الصراع، أى فى عام ١٥٥٢م.

فلما وقع الاتفاق التاريخى بين هنرى الثانى والأمراء البروتستنت فى «شامبورد» فى يناير ١٥٥١م ووقع موريس ناخب

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سكسونيا المعاهدة نهائياً فى «فرايد والد» فى ١٤ فبراير ١٥٥٢م، سارع هنرى الثانى إلى تنفيذ هذا الاتفاق، فاستولى على تول وميتز وفردان، واستولى موريس ناخب سكسونيا على أوجزبيرج، وأخذ يطارد الإمبراطور فى التيرول، فالتجأ شارل الخامس إلى أخيه فرديناند الذى كان يحكم ألمانيا، وتمكن فرديناند من التوسط بين شارل والأمراء الألمان فى عقد «صلح باساو Passau». وفى الوقت نفسه عمد شارل الخامس إلى توطيد علاقته بإنجلترا عن طريق تزويج ابنه فيليب من ملكة انجلترا ماريٰ تيودور Mary Tudor .

٥ ـ المرحلة الخامسة ١٥٥٢ ـ ١٥٥٩م :

بعقد «صلح باساو» بين شارل الخامس والأمراء الألمان، تكون الحرب قد انتهت بالنسبة لهم، ولكنها لم تنته بالنسبة لفرنسا، إذ لم يدخل هنرى الثانى طرفاً فى الصلح. وعلى ذلك استمرت الحرب بين الطرفين، ولكنها لم تكن فى صالح شارل الخامس، فاضطر إلى عقد الهدنة مع هنرى الثانى فى «فوسيل» Vaucelles فى فبراير ١٥٥٦م لمدة خمس سنوات. وقد تركت هذه الهدنة فى يد الفرنسيين جميع فتوحاتهم من ميتز إلى كورسيكا.

وقد أصابت هذه الهزائم شارل الخامس بالمرض، وصار يطلب العزلة الدينية، فتنازل فى يناير ١٥٥٦م عن أسبانيا لابنه فيليب، فأصبح ملكاً عليها باسم فيليب الثانى. وكان قد استولى من

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قبل على ميلان ونابولى وعلى الأراضى المنخفضة. كذلك تنازل شارل الخامس لأخيه عن تاج الإمبراطورية، واعتزل العالم ليعيش فى يوست Yuste بأسبانيا.

ولم تلبث الحرب أن تجددت بين فرنسا وأسبانيا بسبب البابا بول الرابع الذى اعتلى عرش البابوية فى مايو ١٥٥٥م، وكان يكره الأسبان ويريد طردهم من نابولى والقضاء على نفوذهم فى إيطاليا.

فقد عقد معاهدة مع هنرى الثانى تقضى بانتزاع نابولى من يد فيليب ومنحها لأحد أبناء هنرى الثانى، فيما عدا الجزء الشمالى الذى يعطى للبابا. ولمواجهة هذه المعاهدة قام حاكم نابولى من قبل فيليب بغزو أملاك البابا حتى اضطر هذا إلى طلب الهدنة فى ديسمبر ١٥٥٦م، كما طلب من هنرى الثانى ملك فرنسا النجدة، فأرسل إليه جيشاً بقيادة فرانسوا دوق جيز فى آخر ديسمبر ١٥٥٦م.

على أن فيليب الثانى، الذى كان يعتبر نفسه حامياً للكاثوليكية، لم يشأ القضاء على البابا زعيم الكاثوليكية، فأمر حاكم نابولى بإبرام الصلح. ولكن بينما كانت المفاوضات تدور مع البابا، وصل الجيش الفرنسى إلى الأملاك البابوية، واضطر حاكم نابولى إلى التقهقر جنوباً، فغزا الفرنسيون نابولى.

فى ذلك الحين زار فيليب الثانى ملك أسبانيا، إنجلترا ليستميل زوجته مارى تيودور Mary Tudor للدخول فى الحرب إلى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جانبه، ونجحت الزيارة، فأعلنت إنجلترا الحرب على فرنسا فى يونية ١٥٥٧م، وحاصرت جيوش فيليب الفرنسيين فى مدينة سان كانتان San Quentin. وعندما حاولت النجدات الفرنسية تخليصهم، هزمهم الأسبان هزيمة بالغة بالقرب من سان كانتان فى ١٠ أغسطس ١٥٥٧م، ففقدت فرنسا جيشها الوحيد فى الشمال، وانفتح الطريق أمام فيليب إلى باريس.

على أنه بدلا من أن يواصل فيليب الزحف على باريس، ارتكب فى ذلك الحين خطأ فادحا عندما اكتفى بتشديد الحصار على سان كانتان حتى سقطت فى ٢٧ أغسطس، فأتاح للفرنسيين استقدام جيوشهم بإيطاليا بقيادة فرانسوا دوق جيز.

فى ذلك الحين كان التذمر قد اشتد بين الجنود الألمان المرتزقة فى جيش فيليب لتأخر مرتباتهم، حتى انضم فريق منهم إلى صفوف الفرنسيين. كما أبدى الإنجليز الرغبة فى العودة إلى أوطانهم. ولم يملك فيليب إزاء ذلك إلا احتلال بعض الحصون قليلة الأهمية، ورجع إلى بروكسل ليأمر بتسريح جيشه، فأضاع بذلك فرصة الانتقام من الهزائم التى نزلت بأبيه فى أواخر أيام حياته.

أما الفرنسيون فقد جمعوا جيشاً كبيراً وبدءوا فى يناير ١٥٥٨م محاصرة الإنجليز فى كاليه، وهى آخر معاقلهم فى أرض فرنسا، فسقطت فى أيديهم بعد حصار ثمانية أيام فقط، بعد أن بقيت فى أيديهم من أيام حروب المائة سنة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على أن الفرنسيين لم يلبثوا أن هزموا هزيمة شنعاء على يد جيش فلمنكى من الأراضى المنخفضة تساعده من البحر مدفعية الجيش الإنجليزى، وذلك بالقرب من جرافيلين Gravelines فى يوليو ١٥٥٨م، فبدأت بعد هذه الهزيمة مفاوضات الصلح بين الفرنسيين والأسبان التى انتهت بعقد الصلح فى كاتو - كامبريسيس فى ٣/٢ أبريل ١٥٥٩م. وكان مما سهل الاتفاق أن مارى تيودور توفيت فى نوفمبر ١٥٥٨م، واعتلت اليزابيث عرش إنجلترا، ولم تعد بفيليب حاجة للتمسك بعودة كاليه إلى إنجلترا، وعندما وجدت اليزابيث أن أسبانيا لن تساعدها على استرجاع كاليه رضيت ببقائها فى حوزة الفرنسيين لمدة ثمانية أعوام.

وقد انتهت «بصلح كاتو - كامبريسيس» الحروب الإيطالية، وأكثر من ذلك أنه أصبح يمثل التسوية الدولية التى انتظمت على أساسها العلاقات الدولية فى أوروبا فى مدة المائة سنة التالية تقريباً - أى لغاية «معاهدة وستفاليا Westphalia» سنة ١٦٤٨م. وقد تقرر فيه ما يلى:

أولاً: بالنسبة للحدود الشمالية الشرقية الفرنسية، أعادت فرنسا «ماريينبورج» Marienburg و«تيونفيل» Thionville و«دامفيللرز» Demvillers و«مونتميدى» Montmedy، واستبقى فيليب «هزدن» Hesden .

وحصلت فرنسا على «سان كانتان»، و«هام» Ham، و«لوكاتيليه» Le Catelet و«تيرونان» Terounanne وأعادت فرنسا إلى أسقف «لييج» Liege بلدتى «بوفين» Beauvines و«بوييون» Bouillon

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثانياً: بالنسبة لإيطاليا والحدود الجنوبية الشرقية الفرنسية، أخلى الفرنسيون «مونفيرات» Monferrate و«الميلانيز» Milanese وكورسيكا، وسافوى، و«بريس» Presse بين فرعى الرون، وتقع جنوب «فرانش كومتيه»، وبيدمونت. كما وافقت فرنسا على إعطاء «مونتاليينو» Montalieno إلى دوق توسكانيا، واستبقت لها ماركيزية سالوتزو Saluzzo .

ثالثاً: بالنسبة للحدود الشرقية الفرنسية، استبقت فرنسا «تول» «وميتز»، و«فردان»، فبقيت هذه لفرنسا.

رابعاً: لم تشأ فرنسا المطالبة بأى تعويض لحليفها ملك نافار، وتزوج/فيليب الثانى من اليزابيث ابنة هنرى الثانى ملك فرنسا، فى حين تزوج دوق سافوى من مارجريت أخت ملك فرنسا.

ولكن فى أثناء احتفالات الزواج قتل هنرى الثانى حينما كان يقوم بأعمال الفروسية فى ١٠ يوليو ١٥٥٩م.

وقد اعتبر الفرنسيون المعاصرون «صلح كاتو ـ كامبريسيس» محنة كبرى لما يأتى:

١ ـ تضمنت المعاهدة قبول السيطرة الأسبانية فى إيطاليا، حيث بقيت أسبانيا محتفظة بنابولى وميلان، فلم تتخلص إيطاليا من النفوذ الأسبانى قبل ثلاثة قرون.

٢ ـ أتاح إخلاء فرنسا سافوى الفرصة لقيام دولة حاجزة منها بين فرنسا وإيطاليا ضد المطامع الفرنسية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٣ ـ أعيدت حدود الأراضى المنخفضة إلى ما كانت عليه بتعديل طفيف، ولم تنل فرنسا فى مقابل ذلك سوى أماكن قليلة.

مع ذلك، فلم تحمل «معاهدة كاتو ـ كاميريسيس» لأسبانيا النصر كله، لأنها حملت فى أصولها أسباب المتاعب التى واجهت أسبانيا فى بقية القرن ١٦ الميلادى حتى القرن الثامن عشر الميلادى خصوصاً، وذلك للأسباب الآتية:

١ ـ كان استيلاء فرنسا على كاليه، ثم احتفاظها بتول وميتز وفردان، مما أعطاها قواعد مهمة سمحت لها فى الفترة التالية من القرن السادس عشر إلى السابع عشر الميلاديين، بتوجيه جيوشها منها لتلحق الضرر بالنفوذ الأسبانى فى الأراضى المنخفضة ذاتها.

٢ ـ لم يكن تأكيد سلطان أسبانيا فى الأراضى المنخفضة فى صالح أسبانيا، لأنه أدخلها فى منازعات كثيرة خرجت منها منهوكة القوى.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل السادس

الكشوف الجغرافية والموجة الاستعمارية الأولى من القرن ١٥ إلى القرن ١٨

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الكشوف الجغرافية والموجة الإستعمارية الأولى من القرن ١٥ إلى القرن ١٨

أولاً : الملامح العامة للاستعمار فى هذه المرحلة:

رأينا كيف نشأت الدول القومية الحديثة على أنقاض المجتمع الإقطاعى، وكيف أسهمت الطبقة البورجوازية الجديدة فى نشأة هذه الدول عن طريق مساندتها للملكية فى صراعها مع النبلاء الإقطاعيين، الأمر الذى ترتب عليه أن هذه الدول القومية الحديثة قد أصبحت دولا مركزية موحدة تحكمها ملكيات مطلقة، حيث أصبح الملك هو الذى يشخص الأمة.

وبعد ظهور هذه الدول الأوروبية الحديثة أخذت تتطلع، بدافع العزة القومية والتعصب القومى، إلى التوسع، إما خارج أوروبا، وهذا ما أنتج حركة الكشوف الجغرافية وما تلاها من الموجة الاستعمارية الأولى، وهى التى استمرت من القرن الخامس عشر إلى أواخر القرن الثامن عشر (الموجة الثانية بعد الانقلاب الصناعى فى القرن التاسع عشر)، وإما داخل أوروبا، وهذا أنتج الحروب الإيطالية والحروب التالية لها التى خاضتها الدول تحت أسباب مختلفة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وسنعالج هنا التوسع الأوروبى خارج القارة الأوروبية فيما وراء البحار، وهو الذى أنتج ـ كما ذكرنا ـ حركة الكشوف الجغرافية والموجة الاستعمارية الأولى.

ويهمنا قبل أن نتتبع الزحف البورجوازى الاستعمارى الأوربى فيما وراء البحار أن نبرز أهم ملامحه وسماته العامة. وأولى هذه الملامح والسمات هى الفلسفة الاقتصادية التى تم هذا الزحف فى ظلها، وهى المركانتيلية Mercantile System أو المذهب التجارى.

ومن المعلوم أن الاستعمار قد سبق ظهور الرأسمالية بزمن طويل. ففى مرحلة العبودية، ملكت أثينا وفينيقية وقرطاجة وروما مستعمرات واسعة لاجتلاب العبيد. وفى مرحلة الإقطاع احتاج الإقطاعيون إلى الاستيلاء على الأراضى لتوسيع رقعة ممتلكاتهم، فالغزو الصليبى، على سبيل المثال، لم يكن فى جوهره الا تنفيسا عن مشكلة التشبع الإقطاعى الذى بلغه النظام الاقطاعى فى غرب أوروبا عند نهاية القرن العاشر، والذى أدى إلى تكاثر الطبقة الاقطاعية على الأرض الزراعية حتى أصبحت لا تتسع لها، وكانت هذه الطبقة هى التى قادت الحروب الصليبية وخرجت إلى الشرق تبحث عن أراض إقطاعية.

أما فى العصور الحديثة التى نحن بصددها، فقد انبعثت السياسة الاستعمارية وتأسيس الإمبراطوريات الاستعمارية من

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الطبقة البورجوازية التى نشأت فى رحم المجتمع الإقطاعى، وكان نوع النشاط الاقتصادى الذى كانت تمارسه هذه البورجوازية، وهو التجارة، هو الذى قاد خطاها إلى حركة الكشف الجغرافى أولا، ثم إلى حركة الاستعمار ثانيا.

ومعنى ذلك أنه لم تكن نظريات الشمال والجنوب، أو المناخ، أو العنصر المتفوق هى سبب سقوط شعوب آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية تحت الاستعمار الأوروبى وتخلفها، كما يدعى الاستعماريون، وإنما كان ظهور الطبقة البورجوازية الأوروبية وتحولها الحتمى إلى الاستعمار ـ كمرحلة من مراحل تطورها ـ هو السبب، وكانت هذه الطبقة هى التى حققت المكاسب وجنت الأرباح دون غيرها من طبقات الشعب فى بلاد المستعمرات.

وعلى حد قول الأستاذ تاونى Tawney فى كتابه: «الدين وظهور الرأسمالية» Relgion and the Rise of Capitalism :

«أمسكت البرتغال وأسبانيا بمفاتيح خزائن الشرق والغرب، ولكن الذى جنى الثمار المادية للتوسع الإمبريالى الذى دخلت الدولتان فى حومته، لم يكن البرتغال بقلة سكانها وإمبراطوريتها التى لم تكن تزيد على خط من القلاع والمحطات يمتد عشرة آلاف ميل، ولا أسبانيا التى أخذت تترنح تحت وطأة مسئوليات إمبراطوريتها الضخمة المتناثرة، وهى تجعل التعصب الدينى دينها، وتظهر عدم الكفاية فى المسائل الاقتصادية، وإنما كانت هاتان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الدولتان لا تعدوان مجرد وكلاء سياسيين لقوم أشد مكرا ودهاء، ولشخصيات أخبر وأعلم بفنون السلم» .

وفى الحقيقة انه يمكن تتبع الموجة الاستعمارية للرأسمالية الأوروبية التجارية فى تلك المرحلة، بتتبع حركة التجارة الأوروبية فى ذلك الحين.

وكانت أوروبا فى العصور الوسطى تكفى نفسها بنفسها بالنسبة لكثير من السلع، الا انه كان ينقصها بعض السلع التى لا يمكن إنتاجها محليا بسبب عدم صلاحية المناخ لزرعها، مثل القطن والحرير ومواد الصباغة والعقاقير، وعلى رأس هذه المواد، التوابل الضرورية لحفظ لحوم الماشية المذبوحة فى فصل الشتاء، وجعلها مقبولة الطعم.

وكان المصدر الوحيد لهذه التوابل هو جزر الهند الشرقية، التى كانت تصل منها المنتجات إلى أوروبا: إما عبر الطريق البرى من الصين إلى فارس ثم آسيا الصغرى فالقسطنطينية وموانىء البحر الأبيض الأوروبية، وإما عبر الطريق البحرى الذى يصل إما إلى الخليج، ومنه إلى نهر الفرات والموانى السورية، ومنها إلى موانىء أوروبا الجنوبية عن طريق البحر المتوسط، وإما يصل إلى البحر الأحمر ومنه إلى النيل ثم إلى الإسكندرية.

ولما كانت البورجوازية التجارية الايطالية فى البندقية تحتكر هذه التجارة فى جزئها الغربى، فى حين كانت البورجوازية العربية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تحتكرها فى جزئها الشرقى، فقد أحست البورجوازية الأسبانية البرتغالية بوطأة هذا الاحتكار الاقتصادى، وبدأت تفكر جديا فى كشف الطريق البحرى حول أفريقيا للوصول إلى جزر الهند الشرقية.

ولما كانت البورجوازية العربية التى تحتكر تجارة التوابل فى جزئها الشرقى هى بورجوازية إسلامية، فمن هنا اصطبغ العامل المادى بالعامل الدينى، واختلطا فى ذهن البورجوازية البرتغالية والأسبانية، التى رفعت فى ذلك الحين شعارات القضاء على المسلمين عن طريق انتزاع تجارة الشرق من أيديهم.

يقول ألبوكيرك فى خطابه الذى ألقاه على جنده فى ملقا Malacca : «إن إبعاد العرب عن تجارة التوابل هو الوسيلة التى نرجو بها إضعاف قوة الإسلام». فكأن الهدف الاستراتيجى هو إضعاف الإسلام وليس إبعاد العرب عن تجارة التوابل.

ومن هنا تتبدى مهارة البورجوازية فى المزج بين مصلحتها الخاصة والمصلحة العامة، ذلك أنها تعرف أن رفع شعار احتكار تجارة التوابل وانتزاعها من يد العرب، لايبعث الحماس إلا فى صدور كبار التجار وجدهم. أما رفع شعار إضعاف الاسلام، فإنه يبعث الحماس فى الغالبية العظمى من الشعبين البرتغالى والأسبانى.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى ذلك الحين، كانت المركانتيلية هى المذهب الاقتصادى أو السياسة الاقتصادية التى جرت بإلهامها حركة الاستعمار الأوروبى، ونحن نعرف أن النظريات الاقتصادية لا تنشأ من فراغ. وإنما هى انعكاس لظروف اقتصادية تدعو إليها، وهذه النظريات ليست أديانا منزلة، وإنما وضعها وفلسفها أفراد ومجتمعات لكى تنظم مصالحها، وهى بالتالى قابلة للتغيير حين تتغير هذه المصالح.

ولقد كانت المركانتيلية هى المذهب الاقتصادى الذى قام ليعبر عن مصالح المجتمعات الأوروبية الحديثة فى ذلك الحين، وهى تطلق على مجموعة الآراء والأعمال الاقتصادية التى تميزت بها على وجه الخصوص الفترة فيما بين ١٥٠٠، و ١٨٠٠م، والتى مكنت الدولة القومية الحديثة التى ظهرت فى أعقاب العصور الوسطى من تحقيق وحدتها وقوتها.

فلقد رأينا كيف نشأت الدول القومية الحديثة فى أوائل العصور الحديثة على إنقاض النظام الإقطاعى. وقد اختلفت هذه الدول عن الملكيات التى ظهرت فى العصور الوسطى، فلم تكن الدولة فى العصور الوسطى تعتمد على ميزانية كبيرة، لافتقارها إلى السلطة المركزية، وكان الملك يحصل على دخله من أملاكه، وكانت الخدمات المدنية تدر ما يسد مصروفاتها، أما الدولة الحديثة، ذات السلطة المركزية، فقد اختلفت لحد كبير، فقد تطلب الجيش والأسطول والإدارة الداخلية أموالا طائلة، وكان الحصول

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على هذه الأموال هى مشكلة هذه الدول. فلما كان المال معناه القدرة على تعبئة الجيوش وإعدادها، فإن أغنى الدول كانت من ثم أقواها، وهى تستطيع أن تحكم العالم.

فى ذلك الحين، كان الكشف عن القارة الأمريكية واستغلال مناجم بيرو، وانتقال مركز التجارة القديمة من البحر المتوسط وبحر البلطيق إلى سواحل الأطلنطى، قد أدى إلى تدفق المعادن النفيسة إلى غرب أوروبا على يد الأسبانيين والبرتغاليين والهولنديين والانجليز. ولما كان الذهب والفضة يعتبران ثروة بحق، فقد ذهبت آراء الاقتصاديين فى الدول القومية الحديثة إلى أنهما أساس القوة الاقتصادية وعصب الحرب، ومن ثم اعتقدوا أن الدولة التى تحتفظ بأكبر قدر من الثروة فى خزانتها تصبح أقوى دولة، ولكن لكى يكون للدولة الحديثة فائض من المعادن النفيسة، يجب أن يكون ميزانها التجارى فى صالحها، بمعنى أن تزيد صادرتها على وارداتها، لأن العكس يترتب عليه دفع الفرق ذهبا أو فضة، مما يؤدى إلى ضعف الدولة اقتصاديا، وبناء على هذه النظرية قامت السياسة الاقتصادية لدول أوروبا فى تلك الفترة على الآتى:

(١) فرض ضرائب عالية على الواردات الصناعية وتشجيع انتاجها محليا، بما يقتضيه ذلك من تدخل الدولة.

(٢) الاهتمام بالتجارة الخارجية، وتفضيلها على التجارة الداخلية، ونقل كل الأرباح إلى الوطن الأم.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(٣) الاهتمام بالفتوح الاستعمارية لاحتكار التجارة، واجتلاب أكبر قدر من الربح.

(٤) فرض القيود على تصدير المعادن النفيسة.

(٥) الاهتمام باستغلال المناجم داخل الدولة لاستخراج الذهب والفضة.

(٦) الاتجاه إلى الحصول على ممتلكات فى الخارج بها مناجم ذهب وفضة.

(٧) توفير أسطول تجارى كبير لخدمة هذه السياسة، من ناحية اعتماد البلاد التى تستورد البضائع الأوروبية على هذا الأسطول من جانب، ومن ناحية توفير قدر كبير من نفقات النقل فيما لو تم على سفن الدولة المستوردة من جانب آخر.

(٨) استخدام جهود الدولة وتدخلها ونفوذها لتحقيق هذه الأغراض.

وقد يتطرق إلى الذهن أن هذه السياسة المركانتيلية القائمة على تدخل الدولة، قد نبعت فقط من رغبة ملوك الدولة المركزية فى ذلك الحين، وهى التى تخضع لنظام الحكم المطلق، فى تحقيق أهداف هذه الدولة فى تحقيق الوحدة الاقتصادية والسياسية وتقوية الدولة. على أن الحقيقة أن هذه السياسة قد نبعت أيضا من رغبة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الطبقة البورجوازية التى وجدت أن الوسيلة لاستثمارها بالنفوذ فى الدولة القومية هى الحكومة المركزية القوية التى تستطيع وحدها تنشيط التجارة الوطنية بفتح الأسواق الجديدة وبناء القوة العسكرية اللازمة لحماية هذه التجارة، ولم تكن تخشى من وجود الحكومة المركزية القوية لأن هذه الحكومة كانت فى حاجة مستمرة لمعوناتها المالية.

وتظهر هذه الحقيقة بوضوح فى كل من هولندا وانجلترا، حيث كان نفوذ البورجوازية التجارية قويا. ولا يخفى على كل حال الصلة الوثيقة بين البورجوازية والملكية فى تلك الفترة، وهى صلة تحالف ضد الطبقات الإقطاعية. فالطابع البورجوازى هو الذى يهيمن على النشاط الاقتصادى فى الدولة القومية الحديثة.

وعلى كل حال، فيهمنا النتائج التى ترتبت على هذه السياسة الاقتصادية الاستعمارية بالنسبة للمستعمرات، وتتمثل فى الآتى:

أولاً : الأسلوب الاستعمارى فى تلك المرحلة. وهو أسلوب النهب والاستنزاف الاستعماريين الكبيرين لشعوب أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية، وهو نهب واستنزاف لم يقتصرا على الثروات الطبيعية بل تعدياها إلى الثروة البشرية أيضا، حيث تحولت أفريقيا إلى مزرعة لاصطياد السود وبيعهم فى الأمريكتين.

ثانياً : إدماج هذه المستعمرات فى السوق العالمية بعد أن فرض الاستعمار عليها الاقتصاد التجارى. وكانت حياة هذه

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المستعمرات الاقتصادية قائمة على الإنتاج الزراعى والتجارة الداخلية، وبعض التجارة الخارجية المحلية مع الدول المجاورة، فأصبحت تقوم على التجارة الدولية.

ثالثاً : انتقال هذه المجتمعات على وجه العموم من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة بعد اضطرارها إلى الدخول فى علاقات دولية جديدة مع دول ذات حضارات أكثر تقدما. وكانت العزلة عن هذه الحضارات هى طابع حياتها السياسية فى المرحلة السابقة.

رابعاً : انقلاب حياة هذه المستعمرات الاجتماعية والسياسية تبعا لانقلاب حياتها الاقتصادية. وكانت أهم هذه التغيرات هى التى تتمثل فى نمو طبقة من التجار فى هذه البلاد متحالفة مع المصالح الأجنبية التجارية، وتطلع هذه الطبقة إلى القوة والنفوذ السياسى، وحدوث تغييرات فى العلاقات الاجتماعية والسياسية الداخلية تبعا لذلك، على رأسها هدم النظام القبلى. وفوق ذلك انتقال مراكز الاقتصاد والقوة السياسية من المناطق الداخلية إلى الساحل.

خامساً : التفرقة العنصرية فى كل من الولايات المتحدة وأفريقيا، التى نتجت عن استنزاف الثروة البشرية لبيعها فى الخارج كسلعة من السلع من ناحية، ومن ناحية أخرى نتيجة تصدير الفائض البشرى من الشعوب الأوروبية الناتج عن زيادة السكان فيها.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هذا على كل حال فيما يتصل بالخصيصة العامة الأولى من خصائص المرحلة الاستعمارية الأولى. أما الخصيصة الثانية، فهى أن هذه المرحلة هى على وجه الإجمال مرحلة سيادة الدول البحرية الأوروبية على الدول القارية.

ففى هذه المرحلة، وحتى ابتداء القرن الحالى، كانت الدولة التى تسيطر على الأطلنطى قادرة على تصريف سياسات المحيطات. فالتحكم فى الأطلنطى كان معناه السيادة على المحيط الهندى، فالسيطرة فى النهاية على المحيط الهادى.

وفى أثناء المائة السنة الأولى كانت السيادة على الأطلنطى للدولتين الأيبيريتين «أسبانيا والبرتغال»، وبالتالى كانت السيادة التجارية فى أيديهما. ولكن هذه السيادة لم تلبث أن انتقلت إلى أيدى الهولنديين الذين انتزعوها قسرا من البرتغاليين. وبعد هزيمة «الأرمادا»، وهى الحملة البحرية التى أرسلتها أسبانيا لغزو إنجلترا فى عهد فيليب الثانى سنة ١٥٨٨م، انتقلت السيادة إلى بريطانيا، وظل الصراع قائما بينها وبين فرنسا حتى أواسط القرن الثامن عشر. ومنذ ذلك الحين لم تتعرض السيادة البريطانية البحرية لأى تحد خطير حتى أوائل الحرب العالمية الثانية.

وقد تمثلت هذه الحقيقة ليس فقط بالنسبة للهند وسيلان وأندونيسيا، التى كانت للدول الأوروبية البحرية على امتداد سواحلها مستوطنات تجارية وبعض السلطان السياسى، بل وأيضا بالنسبة للصين واليابان.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فقد كانت للإمبراطورية الصينية القوية مع الجزر الأندونيسية علاقات تجارية ضخمة، لكن السيادة البحرية التى حققها البرتغاليون هناك فصمت هذه العلاقات فصما، واضطرت الإمبراطورية الصينية المتفوقة فى البحر إلى الانسحاب المطلق من البحار، ولم تعد السفن الصينية تبحر بعد ذلك إلى ملقا أو جاوة، بل إن الصين نفسها لم تلبث أن وقعت منذ بداية القرن السادس عشر فريسة لحصار قوى دام حتى منتصف القرن التاسع عشر.

أما بالنسبة لليابان ،فقد كان لها علاقات تجارية أيضا مع الملايو والجزر الجنوبية، بل لقد كانت لها أطماع سياسية حول فورموزا وجزر الفلبين، ولكن وصول البرتغاليين إلى المحيط الهادى أدى إلى تضييق دائرة النشاط اليابانى، اللهم إلا فى بحر الصين الشمالى والبحر الكورى. وهكذا كانت السيطرة للدول البحرية.

على أن الفشل النهائى الذى انتهت إليه سيادة الدول الأوروبية البحرية، واضطرارها فى النهاية إلى الانسحاب من الدول القارية (وآخر مثال لذلك انسحاب الولايات المتحدة من فيتنام) شاهد على أن الاعتماد على القوة البحرية فى الشئون العسكرية يؤدى فى النهاية إلى خيبة الأمل.

ففى الصراعات التاريخية الكبرى الحاسمة، يبرهن التاريخ على أن الدولة التى تبدأ الصراع بقوة بحرية كبرى، تلقى الهزيمة فى النهاية على يد القوة البرية، وأن الكتل القارية التى تحيق بها

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الهزيمة فى البداية لا تلبث أن تتغلب على القوى المعتمدة على البحر.

أما الخصيصة الثالثة، فهى أن مفهوم السوق فى هذه المرحلة يختلف عن مفهوم السوق فى العصر الصناعى، أى فى المرحلة الإمبريالية للاستعمار.

ذلك أنه وإن كانت السيادة قد عقدت فى هذه المرحلة الأولى للقوى الأوروبية البحرية، إلا أن هذه القوى لم تكن تمثل فى ذلك الحين فى كل الأحوال، حضارة متفوقة تزحف للأمام وتتحدى حضارة البلاد التى سادتها! كما أنها لم تكن تمثل أيضا على الدوام أى تحد لأساليب الحياة التى تعارف عليها البشر فى ذلك الحين وقبلوها. بل إن أوروبا لم يكن لديها فى ذلك الحين، خصوصا بالنسبة لآسيا إلا القليل لاقتصاد تلك البلاد. فلم تجد شركة مثل شركة أمستردام ما تصدره إلى سيام فى ذلك الحين سوى مجموعة من المنحوتات والتماثيل وصور العذراء والصور العارية !

وفى الحقيقة أن الطلب على البضائع الأوروبية فى هذه البلاد كان قليلا، إلى أن تمكنت مصانع مانشستر من إنتاج منسوجات رخيصة، وإلى أن أمكن تصدير البضائع المصنوعة بالآلات.

وحتى القرن التاسع عشر كان الطلب على البضائع الأوروبية أقل من المتوقع، وعلى العكس من ذلك فإن آراء الاقتصاديين

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التجاريين، التى تقوم على عدم تصدير الذهب لشراء البضائع، لم تستطع أن تحد من طلب الشعوب الأوروبية على البضائع الشرقية، بل ساعد ازدياد الثروة والترف على استمرار الطلب على هذه البضائع والاستنزادة منها.

وفى البداية كان الطلب الأول على التوابل، ففى القرن السادس عشر وحتى القرن السابع عشر كانت التوابل تتسلط على التجارة بين أوروبا وآسيا، ولكن بعد تدفق ثروة أمريكا على أوروبا مائة سنة، وإغداق مناجم الذهب والفضة بأمريكا الوسطى والجنوبية الثراء على الشعوب البحرية الواقعة على ساحل الأطلنطى، تحولت نقطة الاهتمام التجارى إلى أصناف أخرى.

فلقد كان من الطبيعى أن يورث هذا الرخاء الاقتصادى فى أوروبا أنواعا جديدة من الطلب، فاشتد الاقبال فى إنجلترا وفرنسا وأسبانيا، وهى الدول العظمى فى ذلك الحين، على الموسلين والمنسوجات المطبوعة المستوردة من الهند، وعلى الشاى والحرير من بلاد الصين، وعلى البن من جزر الهند الشرقية والهولندية. وما وافت سنة ١٦٩٥م حتى حلت المنسوجات الهندية محل المنسوجات البريطانية على نحو أدى إلى قيام ناسجى الحرير بمدينة «سبيتال فيلد» Spital Field بمظاهرة أمام دار البرلمان !

ولم يكن الموقف فى فرنسا بأحسن من هذا، حتى صدرت فيها، تحت ضغط مصانع المنسوجات فى البلاد، عدة تشريعات متعاقبة تحد من تدفق سيل البضائع الهندية والصينية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولم يقتصر الطلب على المنسوجات، بل لقد كان من السلع المهمة المرغوبة: ورق الجدران، والمراوح، والخزف الصينى، وشيلان الكشمير، والديباج الموشى من الهند، وهكذا كانت التجارة الآسيوية حتى القرن التاسع عشر تجارة من جانب واحد تقريباً.

وقد أثرت هذه النظرية المركانتيلية فى اتجاه إنجلترا إلى استعمار الهند، فبسبب عدم وجود شئ لدى الإنجليز يدفعونه مقابل التوابل التى يحصلون عليها من جزر أندونيسيا، فى الوقت الذى كان اقتصاديو ذلك الوقت يكرهون - كما ذكرنا - تصدير الفضة أو الذهب، رأى وكلاء شركة الهند الشرقية الإنجليزية أنه يمكن تمويل تجارة التوابل عن طريق الأرباح الناتجة عن جلب المنسوجات الهندية وبيعها فى تلك الجزر. وهكذا كان الهدف من إنشاء مركز تجارى فى الهند هو شراء المنسوجات. وكان المكان الذى اختير لهذا الغرض هو سورات Surat سنة ١٦١٢م. ولكن عندما طرد الإنجليز من أندونيسيا، عادت المشكلة إلى الظهور، إذ كيف السبيل لدفع اثمان التجارة الهندية بغير طريق الذهب والفضة؟ وعندئذ بدا للشركة أن طريق التجارة بالبحر الأحمر منفذ مربح.

وعلى كل حال، فإن هذا يبين أن مفهوم «السوق» فى تلك المرحلة يختلف عن مفهوم «السوق» فى القرن التاسع عشر بعد الانقلاب الصناعى. فالسوق فى المرحلة الأولى الاستعمارية، كان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سوق احتكار شراء بأسعار بخسة، أما فى القرن التاسع عشر فكان سوق احتكار بيع. وفى الحقيقة أنه لم يكن إلا بعد الانقلاب الصناعى حين أصبح لأوروبا بضاعة تستطيع تصديرها، وحضارة تستطيع تحدى أسس المجتمعات فى تلك الدول التى فرضت سيادتها عليها، ويمكنها إحداث تغييرات اجتماعية وسياسية لها شأنها.

الخصيصة الرابعة: إذا كان الاستعمار قد طرق أبواب قارات العالم القديم والجديد فى هذه المرحلة، فإنه فى العالم القديم (أفريقيا وآسيا) ظل فى جوهره ساحليا أو شبه ساحلى بدرجة أو بأخرى .

وفى أفريقيا بالذات كان الاستعمار ساحليا بحتا. فقد كانت أفريقيا بالنسبة للاستعمار صندوقا مغلقا موحشا يدور حوله ذهابا وجيئة، ولكنه لا يملك مفاتيحه، ولايملك الحضارة التى يمكنها أن تنفذ إليه وتفتح مغاليقه.

أما آسيا، فإن قوة الإمبراطوريات البحرية الموجودة فى ذلك الحين على أرضها، سواء فى الهند أو الصين، كانت تشكل حاجزا مانعا ضد التوغل الاستعمارى الأوروبى إلى الداخل.

وعلى وجه العموم، فإن طبيعة الاستعمار التجارية فى تلك المرحلة قد انعكست فى قصر اهتماماته على الأشرطة الساحلية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى الوقت نفسه، فان هذه الطبيعة الساحلية تعتبر انعكاسا لنظرة الاستعمار إلى هذه القارات، فقد كانت نظرة ملاح أساسا، بمعنى أنه لم يكن يتعرف على كتل قارية، بقدر ماكان يتعرف على أشرطة ساحلية، ولذلك فإن هذه الموجة الاستعمارية الأولى يمكن أن توصف بأنها مرحلة الاستعمار «الواسع» أو «الفسيح» لا «الكثيف». ومن تراث هذه المرحلة وتلك النظرة، الأسماء العديدة التى مازلنا نطلقها: «ساحل غانة»، و«ساحل الذهب»، و «ساحل العاج»، و«ساحل الزنج»، و«ساحل مالابار»، و«ساحل كروماندل»، و«ساحل كارناتيك».

ولقد كانت المراكز التجارية فى أفريقيا فى البداية عبارة عن محطات من أجل الوصول إلى الهند. فلقد كانت أفريقيا بالنسبة للاستعمار البرتغالى، الذى كان أول ما طرق سواحلها، عتبة للهند، لأن الهدف الأكبر كان هو الوصول إلى الهند، فلما تم الوصول إلى الهند أهملت هذه المراكز الأفريقية ، ولم يبق منها إلا عدد قليل ظل يعمل فى العاج، وبعض المنتجات الأفريقية.

ولما اكتشفت أمريكا، واحتاجت حقول قصب السكر والمطاط إلى الأيدى العاملة، تحولت هذه المراكز إلى تجارة الرقيق، دون أن يمتد النفوذ إلى الداخل، ودون أن يصحب هذا النفوذ استغلال للأرض. وقد استمرت هذه التجارة طيلة القرنين السابع عشر والثامن عشر، حتى قامت حركة مقاومة تجارة الرقيق فى القرن التاسع عشر، فضعفت هذه المراكز إلى حد التصفية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على أن الأمر اختلف بالنسبة للعالم الجديد، لأسباب ديموغرافية وجغرافية. ففى العالم القديم، دخل الاستعمار مناطق مأهولة بالسكان كثيفة ومدارية، أما فى العالم الجديد، فقد دخل الاستعمار مناطق مخلخلة قليلة السكان، يصلح كثير منها بحكم ارتفاعه لتوطن البيض، ولذلك فقد اتخذ نمطا تغلغليا واستيطانيا أيضا.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، ففى أفريقيا المدارية كانت الطبيعة تغلف القارة السوداء بساحل غير مضياف، تقل فيه الموانى الجيدة، وتتكاثر عليه الأمواج الضاربة. وفى أعماق القارة كانت تسود إما صحراوات قاحلة موحشة، وإما غطاءات نباتية كالأسلاك الشائكة. وحتى أنهار القارة العظيمة هى الأخرى مسدودة أو شرايين مقطوعة. وذلك بحكم تركيب القارة ككتلة هضبية، فقرب مصابها تهوى الأنهار من حالق فى شلالات تشل الملاحة والحركة، دخولا أو خروجا.

فى حين كان هناك تشابه طبيعى ومناخى كبير بين هضاب أمريكا وهضبة قشتالة التى أتى منها الأسبان، كما أن الطبيعة كانت متشابهة، فيما عدا أن كل شئ كان يبدو أكبر : الجبال والغابات والسهول والمستنقعات، وكان ذلك مما سهل عملية الانتشار والتمدد.

الخصيصة الخامسة: تعويضا لعجز الاستعمار فى هذه المرحلة عن التوغل الداخلى، وعن «الاستعمار الجغرافي» فى العالم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القديم، لجأ إلى نمط آخر، خصوصا فى أفريقيا بالذات، وهو «الاستنزاف الديموغرافى» - أى تجارة الرقيق.

لذلك فقد تميز هذا العصر بأنه عصر النخاسة على نحو لم يسبق له مثيل من قبل ولا من بعد. فقد كان الرقيق أغلى سلعة فى التجارة الاستعمارية، وكان وقود آلة المركانتيلية الأسود، وعليه بنت القوى البحرية اقتصادها ورخاءها. وكان للبرتغاليين أولا، ثم الإنجليز بعدهم، الدور الأكبر فى هذه التجارة الإجرامية، كما شارك الهولنديون والفرنسيون فيها بقدر. ويقال إن لشبونة وليفربول قد بنيتا على عظام الرقيق ودمائه.

وقد شهد المحيط الأطلنطى مثلثا دمويا (التجارة المثلثة كما تسمى) تبدأ فيه السفن بنقل شحنات بضائع ومصنوعات بريطانيا إلى غرب أفريقيا، حيث تستبدل بها شحنات آدمية، وتذهب بها عبر المحيط لتفريغها فى أمريكا الشمالية، والوسطى، والجنوبية، ومنها تعود محملة بمحاصيل المداريات من سكر وقطن وتبغ... الخ.

وتختلف تقديرات عدد الرقيق المستنزف من أفريقيا، ولكن البعض يقدرها بحوالى المائة مليون، على أن من مات فى أثناء «الصيد» و «الرحلة» ثلاثة أرباع من وصل بالفعل إلى العالم الجديد. وإذا صح هذا الرقم، فلاشك أن هذه أعظم موجة فى حركات السكان فى التاريخ البشرى جميعاً.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى مقابل هذه الحقيقة الرهيبة حقيقة أخرى لاتقل عنها شناعة، تتصل بالسبب الأساسى فى هذا الاستنزاف الديموغرافى، أى تجارة الرقيق، وهو إبادة الهنود الحمر فى العالم الجديد. ذلك أن الاستعمار لجأ فى العالم الجديد إلى إبادة الهنود الحمر، خصوصا فى أمريكا الشمالية، حيث كان الشعار الأمريكى الخالد هو: «الهندى الطيب هو فقط الهندى الميت»، حتى تحول الهندى الأحمر إلى شبح وأسطورة، والى عينات متحفية لأجناس بائدة!

وفى استراليا - على سبيل المثال - وصلت عملية إبادة الجنس إلى حد صيد الرءوس بشكل علنى ومنظم - أحيانا كنوع من الرياضة!

أما فى أمريكا الوسطى والجنوبية فقد نجا هنودهما من الانقراض بسبب ضخامة عددهم نسبيا (١٢ مليونا).

وعلى كل حال، فبسبب إبادة الهنود الحمر بالجملة فى العالم الجديد، فقد افتقر الاستعمار إلى الأيدى العاملة، وعندئذ لجأ إلى نقل زنوج افريقيا بالجملة . فكأن الاستعمار قد قام بعملية نزح وتفريغ كاملة: نزح من العالم القديم، وتفريغ فى العالم الجديد.

وفيما بعد، حين تغلغل الاستعمار فى أفريقيا فى القرن التاسع عشر، كان الموقف قد انقلب، فإن عملية النزح منها قد أحدثت فى بعض أجزائها تفريغا، ومن ثم عمد الاستعمار إلى تهجير الهنود والآسيويين إليها لملء الفجوة الفارغة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى الوقت نفسه، وعلى طول المرحلتين الاستعماريتين، كانت الهجرة الأوروبية البيضاء تضخ باستمرار فى أنحاء العالم الثالث وإن كان العالم الجديد هو المصب الأكبر لهذه الهجرة.

ولقد كانت محصلة هذه العملية الاستعمارية الغربية فى النهاية هى إعادة توزيع البشرية ديموغرافيا وأنثروبولوجيا على ظهر الأرض، وتغيير الألوان التقليدية للقارات، بل وانشاء مجتمعات جديدة ضخمة ليس لها مثيل، خصوصا فى أمريكا اللاتينية.

فقد رأينا كيف نجا هنودها من الانقراض بسبب ضخامة عددهم نسبيا، ولكنهم لم ينجوا بطبيعة الحال من المخالطة الجنسية والتهجين الجنسى الذى ليس له مثيل فى العالم، حتى أصبحت أمريكا الجنوبية بوتقة أجناس بدرجة أكبر من أمريكا الشمالية. فهى تجمع بين ثلاثة أجناس هى، الهنود، والبيض، والزنوج. والتكوين الإثنوغرافى الموجود الحالى للمجتمعات اللاتينية يتألف من : أسبانى أو برتغالى + هندى أو زنجى + مولد من هندى أو زنجى + خليط من هؤلاء.

الخصيصة السادسة: ترتب على نزوح البيض إلى المجتمعات الملونة فى العالم القديم والجديد، تغيير فى العادات الاجتماعية لهذه المجتمعات.

ففى حالة الاستعمار الموجه إلى بلاد حارة، كانت الهجرة البيضاء تقتصر غالبا على الذكور فقط، ومن ثم يصبح الفرد ـ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وليس العائلة ـ وحدة المجتمع، كما هو الحال فى البرتغاليين فى الهند، والهولنديين فى جزر الهند الشرقية. ومن ثم كانت تزداد نسبة الإقبال على الخمور، ويليها ازدياد فى نسبة الجرائم، ثم الاختلاط غير الشرعى بالوطنيات.

أما إذا كان الاستعمار موجها إلى بلاد مناخها معتدل، كما هو الحال فى شمال أفريقيا وجنوبها، فتكون العائلة هنا هى وحدة المجتمع، ولكن إحساس هذه العائلة ببعدها عن الانتقاد كان يدفعها إلى التحلل الأخلاقى، الذى كان ينعكس بدوره على الوطنيين.

الخصيصة السابعة : ترتب على نزوح المستعمرين فى أراض زراعية، أن أخذوا يستغلون علمهم فى زراعة أنواع من المحاصيل تلائم البيئة وتوافق مصلحة الدولة الاستعمارية التى تحتكر التجارة والصناعة. وأدى ذلك إلى خلق نوع من التخصص الزراعى أضر لحد كبير باقتصاديات المستعمرات، إذ جعل هذا الاقتصاد عبدا للمحصول الرئيسى لمدة طويلة، حتى استطاعت هذه المستعمرات التحرر وتكييف اقتصادها على أساس سليم. وسنرى أمثلة لذلك فيما بعد، ولكن يكفى أن نرسم الصورة الآتية للتخصص الزراعى فى صادرات بلاد العالم الثالث :

ففى السنغال يمثل الفول السودانى ٩٢٪ من صادرتها. وفى النيجر، يمثل الفول السودانى أيضا ٨٧٪ من الصادرات، وفى كولومبيا يمثل البن ٧٤٪، وفى هاييتى وسلفادور وجواتيمالا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والبـرازيل يمثل البن ٧٧٪، ٧٣٪، ٦٢٪ على التـوالى. أمـا فى جمـهورية مـصـر العـربيـة فـيمـثل القطن ٧٠٪، وفى سـيـلان يمثل الشـاى ٦٦٪، وفى غانا يمثل الكاكاو ٦٦٪ أيضـا، وفى كوبا يمثل السكر ٩٥٪.

فـضـلا عن ذلك، فـإن الإنتـاج الزراعى الذى جـرى فى ظل الحكم الاسـتعمارى، لم يقم على أسـاس اقتصـادى سليم. لأنه قام على أسـاس زيادة الكمـيـة لا على أسـاس تحسين النوع. ولم يكن يتبع الدورة الزراعية أو نظام حفظ التربة. ولذا لم يهتم المستعمر بمستقبل المستعمرات، سواء من ناحية الإنتاج أو الأهالى.

ويختلف الأمر بالنسبة للمستعمرات ذات الجو المعتدل الذى يشجع على الاستيطان، كما هو الحال فى شمال أفريقيا وجنوبها حيث عمد المستعمرون إلى تحسين النوع.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثانياً : تعاقب الأدوار الاستعمارية :

أشرنا إلى أن احتكار تجارة التوابل مع الشرق كان أعظم الدوافع إلى الكشف الجغرافى، الذى أدى إلى استعمار آسيا وأفريقيا وأمريكا. وأن هذا الدافع قد تداخل مع دافع محاصرة الإسلام. كما أن هذا الدافع الأخير نفسه قد تداخل مع أطماع أمراء الإقطاع فى أواخر العصور الوسطى عند شن الحروب الصليبية، وهذا يبين المهارة التى تستطيع بها أوروبا أن تمزج بين الدين والمصالح المادية.

على أن هناك جملة عوامل مساعدة لولاها لما أمكن القيام بالكشوف الجغرافية أصلا. وهى : تقدم المعلومات الجغرافية، وارتقاء فن الملاحة، وتقدم صناعة السفن، واستخدام البوصلة البحرية، وأخيرا استخدام البارود الذى مكن المستعمرين من القضاء على مقاومة الأهالى.

وقد تميزت هذه المرحلة الاستعمارية الأوروبية الأولى بسمة مهمة، هى: تعاقب الأدوار الاستعمارية. بمعنى أن القارات التى سقطت تحت سيطرة الاستعمار لم تسقط دفعة واحدة فى أيدى الدول الأوروبية الاستعمارية، كما حدث بالنسبة للمرحلة الثانية التى أعقبت الانقلاب الصناعى فى القرن التاسع عشر، وإنما تعاقبت عليها الدول الاستعمارية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويرجع السبب فى ذلك إلى أن هذه الدول لم تكن قد برزت جميعها على درجة متوازية من القوة فى ذلك الحين، وإنما تعاقبت فى بروزها، وقام عامل المنافسة والصراع بينها بتصفية دور البعض وتثبيت دور البعض الآخر، حتى إذا كان القرن التاسع عشر، كانت مراكز هذه القوى الدولية قد استقرت لحد كبير، إلى أن قامت الحرب العالمية الأولى بقلبه وتغييره من جديد.

ويمكن تحديد الأدوار الاستعمارية التى تعاقبت على العالم الثالث فى هذه المرحلة على النحو الآتى:

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(١) الاستعمار البرتغالى

نقطة البداية فى الاستعمار البرتغالى، هى الأمير هنرى الملاح Henry the Navigator، ابن الملك يوحنا الأول ملك البرتغال، وقد امتزجت فى هذا الأمير بصفة خاصة أهم العوامل التى أدت إلى الكشف الجغرافى والاستعمار فى ذلك الحين، وهى: الدافع المادى، والدافع الدينى.

فقد تغذى الأمير هنرى الملاح منذ طفولته بتصرف دينى مسيحى عسكرى يخالطه بغض مرير للإسلام. وقد دفعه هذا البغض فى عام ١٤٥١م إلى تجريد حملة على «سبتة» Ceuta واستطاع الاستيلاء عليها عنوة. ومنذ حوالى ١٤١٧م وضع الخطة الاستراتيجية الكبرى لتطويق جناح الإسلام.

ويختلف المؤرخون فى هذه الخطة، فبعضهم يرى أنها كانت ترمى إلى احتلال الشواطئ المراكشية على المحيط الإطلنطى، وإخضاع أفريقيا الشمالية الغربية ابتداء من نهر السنغال، ثم الاستيلاء على بلاد غانة الغنية وانتزاع تجارتها من الرقيق والذهب، وإقامة مملكة مسيحية جنوب بلاد المغرب، والاتصال بمملكة القديس يوحنا Orestesr John وراء الصحراء الأفريقية أى الحبشة، التى سمع بوجودها فى تلك الأرجاء، وإحكام التطويق على بلاد الإسلام. وحرمان مصر من الضرائب العالية التى كانت تفرضها على تجارة التوابل.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والبعض الآخريرى أن الخطة كانت ترمى إلى انتزاع تجارة الشرق الثمينة من الغرب، والوصول إلى الهند عن طريق الدوران حول الساحل الأفريقى، واكتشاف طريق بحرى بدلا من الطريق الذى يمر بالبحر الأحمر فمصر، وبالتالى الالتفاف حول الإسلام وتطويقه؟

ولعل ما سبب الخلاف حول هذا الموضوع، هو الكتاب الذى تلقاه هنرى الملاح من البابا نيقولاس الخامس Nicolas V فى عام ١٤٥٤م والذى يمنحه فيه تفويضا بأن له الحق فى جميع الكشوف التى يكشفها حتى بلاد الهند.

ففى هذا الخطاب، بعد أن يشيد البابا بما فعله هنرى الملاح من إدخاله فى أحضان الكاثوليكية «الغادرين من أعداء الله والمسيح، مثل العرب والكفرة» يقول:

«فاذا تم على يديه (أى على يدى هنرى الملاح) اختراق المحيط ملاحة حتى بلاد الهند، والتى يقال إنها خاضعة أيضا للمسيح، وإن هو توصل إلى إنشاء العلاقات بينه وبين هؤلاء الناس، فإنه سيتمكن من حملهم على النهوض لبذل العون لمسيحيى الغرب على أعداء الدين، ويستطيع فى الوقت نفسه أن يُدخل فى الطاعة والخضوع جميع الوثنيين الذين لم تمسهم حتى الآن يد الإسلام، ويُدخل اسم المسيح فى نطاق علمهم.... حتى اذا اخترق لُجَّات عدة بحار، وهو يبحث فى غير هوادة جميع المناطق الجنوبية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حتى القطب الجنوبى عابرا المحيطات، بلغ فى النهاية ولاية غينيا، ثم تقدم منها بعد ذلك إلى مصب النهر الذى يسمى عادة باسم النيل... وستصبح جميع الفتوح التى تمت حتى اليوم أو التى ستتم فى مستقبل الأيام، أو الفتوح التى تمتد إلى رأس بوجادور حتى ساحل غينيا وجميع بلاد الشرق، على الدوام وإلى الأبد فى المستقبل تحت سيادة الملك «ألفونسو».

ففى هذا الخطاب يتضح أن الرأى الثانى هو الأصوب، وأن الهند وليست الحبشة هى الهدف من تطويق المسلمين، حيث كان الظن أن الهنود يدينون بالمسيحية. أما الاتصال بأثيوبيا، فسنرى أن ذلك تم فيما بعد فى إطار خطة السيطرة على البحر الأحمر والبحر العربى.

وفى رأينا أن المعلومات الجغرافية القاصرة فى كتاب البابا، هى السبب فى الخلط الوارد فى الكتاب وفى آراء المؤرخين فى هذا الموضوع.

وفى الواقع أن المؤرخين الذين أرخوا لحياة الدون هنرى، يؤكدون أن فكرة الوصول إلى الهند كانت تملك عليه مشاعره آناء الليل وأطراف النهار. وقد أدرك أن الخطوة الأولى لنجاح الحملة الموجهة إلى الشرق هى كشف الشاطئ الأفريقى. وكان يقع إلى جنوب رأس بوجادور Bojador منطقة غير مأهولة، لم يمر بها أى ملاح أوروبى من قبل.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتبعا لذلك أرسل هنرى البعوث البحرية لكشف الشاطئ الأفريقى. فتمكنت من كشف جزر ماديرا Madeira سنة ١٤٢٠م، وجزر آزور Azores سنة ١٤٣١م، وبعد أربع عشرة محاولة فاشلة، تمكنت إحدى الحملات بقيادة «جيل إيانس» Gil Eanes من عبور رأس بوجادور Bojador سنة ١٤٣٤م. وفى سنة ١٤٤٥م، اكتشف دينيس دياز Dinis Diaz مصب السنغال والرأس الأخضر (رأس فردى Cape Verde)، وبعد ذلك تم التوصل إلى غينيا التى كانت فى ذلك الحين سوقا عظيما للذهب المصدر من تمبوكتو Tombouctou، كما تم الوصول إلى غانة. وسنة ١٤٧١م وصل «فرناندو دى بو Fer-nando Poo» إلى خط الاستواء، ثم وصل دييجو كام Diego Cam أو Diego Cao إلى مصب نهر الكونغو سنة ١٤٨٢م ـ ١٤٨٣م.

وفى سنة ١٤٨٧م اجتازت بعثة جديدة بقيادة أعظم الملاحين البرتغاليين «بارثلوميو دياز Bartholomew Diaz رأس الرجاء الصالح Cape of Good Hope دون أن تكتشفه، وصعدت شمالا بمحازاة الشاطئ الأفريقى، وبذلك أصبح الطريق البحرى إلى الهند مفتوحا.

وفى يوليو ١٤٩٧م أقلعت حملة على رأسها فاسكو داجاما Vasco Da Gama للوصول إلى الهند بطريق يدور حول أفريقيا، فوصل إلى رأس الرجاء الصالح، ثم استمر فى السير صعدا على الشاطئ الشرقى لأفريقيا إلى «سوفالا» Sofala، ومنها إلى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

«موزمبيق»، ثم إلى «ماليندى»، ومنها إلى الهند قرب قاليقوط Calic-out فى مـايو ١٤٩٨م. وبذلك أصـبح البـرتغـاليـون على أبواب استعمار أكبر قارتين فى العالم.

كانت قاليقوط هـى المركز الأساسى لتجارة التوابل، ولم يكن ذلك قـاصـرا على الفلفل وحب الهـان، ومنتجـات أخرى من سـاحل مالابار Malabar، بل إن توابل منقولة من جزر المحيط الهادى كانت تمر بقاليقوط فى طريقها إلى أوروبا. ولما كانت البيوت الكبرى التى تهتم بتلك التـجارة بيوتا عربية إسـلامية، فقد فوجئ البرتغاليون مفـاجأة غير سـارة. فإن مرسوم البابا نيقولاس الخامس السـالف الذكر، كان الأصل فى صدوره افتراض البابا أن سكان الهند هم من المسيحيين.

وعلى كل حال، فـقـد أدرك البـرتغـاليـون أنهم قـد التـقـوا فى المحـيط الهندى ايضـا وجـهـا لوجـه مع أعـدائهم الألداء العـرب المسلمين، وأنهم إذا لم يبـذلوا جـهـدا مـتـواصـلا، فلن تعـود عليـهم اكتـشـافـاتهم للطريق البـحـرى إلى الهند بأية فـائدة. وقـد اتجـهت همتهم بعد ذلك إلى أمرين:

الأول : القضاء على العرب المسلمين فى هذه البحار.

الثانى : إتمام الكشف والفتـح.

ففى مـارس سنة ١٥٠٠م أقلعت حملة كبيرة من قادش بقيادة كـبـرال Alvarez Cabral ـ إلـى قـالـيـقـوط ومـعـه أوامـر بمطالبـة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

«الزامورين» حاكم قاليقوط بالإذن للبرتغاليين بإنشاء مركز تجارى، والسماح لخمسة من الآباء الفرنسيسكان بالتبشير بدين المسيح.

لكن الحملة وصلت إلى البرازيل جنوبا بوجه المصادفة، وذلك عندما أراد كابرال أن يتجنب خليج غانة، فاتجه إلى الجنوب الغربى.

ونتيجة لذلك أرسل الملك عمانويل لكشف هذه البلاد الجديدة «أمريجو فسبوتشى» Amerigo Vispucci.

وأما كابرال، فقد أستأنف رحلته حول أفريقية، ووصل إلى قاليقوط فى أغسطس سنة ١٥٠٠م بست سفن من ٣٣ سفينة، ووقع نزاع بين جنوده وبين الأهالى، فقامت ثورة شعبية أفقدته خمسين رجلا، فضرب المدينة بمدافعه، وانسحب إلى بلاده.

ثم أرسل عمانويل حملة أخرى بقيادة فاسكو دا جاما للاقتصاص، وذلك فى فبراير ١٥٠٢م، وفى الطريق أخذ دا جاما يطبق بالقوة ادعاء مولاه أنه سيد الملاحة ومولاها. فقد اعتبر عمانويل سيادة بحار الهند من حقه وحده، فهو الذى يحتكر التجارة بها ولا يجوز الملاحة فيها دون إذنه. ومعنى ذلك ضرورة الاستيلاء على جميع الموانئ الرئيسية فى البحار. لذلك كان دا جاما يقطع الطريق دون أى تحذير على أية سفينة يلتقى بها فى طريقه، ويدمرها.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبلغت أنباء هذه القرصنة الهمجية أسماع «الزامورين» قبل أن تظهر سفن داجاما أمام الساحل، فاستعد لها، وأمكنه فى الاشتباك الذى دار خارج مياه «كوتشين» Cochin الإحاطة بها، فانسحب داجاما بسفنه إلى البرتغال.

ولكنه لم يكد يغادر المحيط الهندى، حتى أقبل إلى مياه قاليقوط أسطول آخر من أربع عشرة سفينة برتغالية، وأمكنه مهاجمة الأسطول الهندى، وتدمير جزء كبير منه. وعندئذ أدرك الزامورين أن سفنه لم تعد متكافئة مع مراكب «الكارڤيل» البرتغالية الثقيلة التسليح، فطلب مساعدة سلطان مصر، وعندئذ تقدم إلى بحر العرب أسطول مصرى مجهز بأحدث الأسلحة بقيادة «مير حسين».

وقد تلخصت خطة مير حسين العسكرية الاستراتيجية فى الوصول إلى جزيرة «ديو» Diu الشمال لاتخاذها قاعدة له، على أن تنضم اليه سفن «الزامورين» لمهاجمة البرتغاليين فى الجنوب. وعندئذ تقدم الأسطول البرتغالى بقيادة «لورنسو دالميدا d'Almeida ابن نائب الملك» نحو الشمال من قاعدته فى «كوتشين» لملاقاة الأسطول المصرى ـ الهندى، حيث دارت معركة قتل فيها «دالميدا» وعندئذ أطلت الكارثة على البرتغاليين، وأحسوا أن عدوا يكافئهم فى العتاد ويفوقهم فى المهارة البحرية قد برز لهم فى المياه الهندية، وأوشكت احلامهم أن تتحول إلى كابوس.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولكن نائب الملك «الدون فرانسيسكو داليدا» استجمع شجاعته وجمع كل ما أمكنه من سفن وجند، وانطلق شمالا حتى بلغ «ديو» فى فبراير سنة ١٥٠٩م، ووقف ينتظر الأسطول المصرى. وهنا ساعدته الخيانة، فإن حاكم «ديو» انضم سرا إلى البرتغاليين، وحرم مير حسين من المدد والمؤن. ومرة أخرى لم تكن لذلك الاشتباك نتيجة حاسمة، ولكن الأسطول المصرى أسخطته الخيانة، فانسحب من المياه الهندية فى سنة ١٥٠٩م.

وبرحيل الأسطول المصرى، يمكن القول إن البرتغاليين قد ثبتوا ادعاءهم بأنهم سادة الملاحة فى البحار الشرقية. فمع أن قوة الزامورين لم تهزم، واستطاعت «قاليقوط» لمدة ٩٠ سنة تالية أن تتحدى سلطة البرتغاليين بمنطقة «مالابار» الساحلية، وخاضت معهم عدة معارك بنجاح إلا أن البرتغاليين أسسوا لأنفسهم فى أعالى البحار سيادة لا ينازعهم فيها منازع، جعلت تجارة البحار الهندية تحت رحمتهم مدة تزيد على قرن ونصف من الزمان. وكان الرجل الذى نظم هذه الامبراطورية البحرية وحملها بالفعل إلى المحيط الهادى نفسه، هو «ألبوكيرك» Albuquerque مشيد السيطرة البرتغالية.

كانت قلعة «كوتشين»، القائمة على جزيرة صغيرة، هى المستعمرة البرتغالية الوحيدة إلى ذلك الحين. وقد قرر «ألبوكيرك» أنها غير صالحة لمآربه. فوجه همه إلى «قاليقوط» وأرسل الملك

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عمانويل شخصية رفيعة المقام هو «الدون فرناندو كوتينو»، المارشال الأعظم. على رأس حملة من أسطولين، الأول بقيادة المارشال الأعظم، والثانية بقيادة الحاكم البوكيرك، وأقلح الجند فى النزول إلى البر، ولكن الالتحام الذى حدث تمزقت فيه قوات البرتغاليين إربا، ولقى المارشال الأعظم مصرعه، وجرح البوكيرك نفسه.

وكان لهزيمة البرتغاليين تحت إمرة أعظم قوادهم عواقب بعيدة المدى، اذ لم يحاول بعد ذلك شعب أوروبى واحد لمدة مائتين وثلاثين عاما، أن يقوم بفتح عسكرى، أو يحاول إخضاع أى حاكم هندى. صحيح أن «جوا» Goa احتلت فعلا وحولت إلى قاعدة عظيمة، ولكن ذلك تم بمساعدة الهندوس الذين انحازوا إلى البرتغاليين لكى يضعفوا من قوة السلاطين الهنود المسلمين.

ففى ذلك الحين وحد العداء للإسلام بين الإمبراطورية الهندوكية والسلطات البرتغالية، الأمر الذى يفسر بقاء البرتغاليين «بجوا» بقوة عسكرية لا تذكر. وعلى ذلك فإن فتح جوا لم يؤد إلى تثبيت قدم البرتغاليين كقوة برية ببلاد الهند، بل أدى فقط إلى إنشاء مكان مناسب للعمليات الحربية فى المحيط الهندى.

وعلى كل حال، فقد قامت خطة «ألبوكيرك» على ضرورة السيطرة على بلاد الهند باحتلال المنافذ البحرية الموصلة إليها، أى إحتلال مدخل البحر الأحمر من جهة، ومدخل الخليج الفارسى من

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جهة أخرى. فاستولى على «سقطرى» Socotra مفتاح باب المندب، وحولها إلى قاعدة بحرية للتحكم فى مياه البحر الأحمر. ثم استولى على هرمز (سنة ١٥٠٧) فى الخليج العربى، وأرسل بعثه إلى ملك أثيوبيا.

وبعد أن سوى شئون البحر العربى، التفت إلى منطقة الملايو والمحيط الهادى، لقطع الطريق على التجار العرب الذين كانوا يحملون شطرا ضخما من تجارة التوابل من الجزر الأندونيسية، بعد عبورها مضيق مَلَقًا Malacca، إلى موانى البحر الأحمر.

وكانت مَلَقًا فى ذلك الحين ميناء دوليا عظيما، ومفتاحا للمحيط الهادى، وهمزة وصل بين الصين والأقطار المجاورة جنوب آسيا وجنوبها الشرقى. فتوجه ألبوكيرك بأسطول كبير أقلع به من «كوتشين» ووصل أمام ملقا فى سنة ١٥١١م، وأحرق السفن التجارية التى يملكها العرب فى الميناء، وتم الهجوم على ملقًا يوم عيد القديس جيمس الذى يظل برعايته الجيش البرتغالى، بعد أن أكد «ألبوكيرك» لجنوده على «الخدمة العظيمة التى سنقدمها للرب بطردنا العرب من هذه البلاد، وباطفائنا شعلة شيعة محمد، بحيث لا يندلع لها هنا لهيب بعد ذلك»!

وبعد أن ذكر هذه الخدمة للرب، عقب على ذلك بخدمة مصالح البورجوازية! فقال: «وإنى لعلى يقين من أننا لو انتزعنا تجارة ملقًا هذه من أيديهم (المسلمين)، لأصبحت كل من القاهرة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومكة أثرا بعد عين، ولامتنعت على البندقية كل تجارة التوابل مالم يذهب تجارها إلى البرتغال لشرائها هناك».

وسقطت المدينة، وانتهبت، وبيع المسلمون الذين نجوا من السيف بيع الرقيق. وعندما أرسل حاكم «جاوة» أسطولا إلى مياه «ملقا» لمساعدة سلطان ملقا المخلوع، شتتت مدافع سفن البرتغاليين شمله.

وبهذا النصر أسس البرتغاليون سيادتهم البحرية على بحار جاوه. ومنذ تلك اللحظة صار فى استطاعتهم تأليب الحكام بعضهم على بعض فى الحروب الدينية التى كانت منتشرة آنذاك بجزيرة جاوة. ولكنهم لم يحرزوا أى تقدم يعتد به حتى دخلت الميناء - من الشرق - سفينة أوروبية فى ربيع سنة ١٥٢١م هى: «فكتوريا» سفينة ماجلان التى عبرت المحيط الهادى من أمريكا، وانزعج البرتغاليون لمقدمها فسارعوا إلى تثبيت مركزهم السياسى بعقد المعاهدات مع القواد المحليين.

وبتقدم البرتغاليين البطىء فى الجزر واحدة بعد أخرى، وظهورهم أمام الساحل الصينى، انتهت الفترة الأولى لتفوق البرتغاليين بالمياه الآسيوية، وصار احتكارهم لتجارة التوابل راسخا وطيدا.

ويهمنا عند هذه المرحلة أن نوضح نتائج هذا التوسع البرتغالى فى آسيا. لقد كان العمل الرئيسى الذى قاموا به هو

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إجلاء التجار العرب من البحر، والقضاء الفعلى على الاحتكار الذى ظلوا يستمتعون به أمدا طويلا. ولم يكن فى ذلك شئ لا يرحب به الهندوكيون.

ولذلك لانعدو الصواب إذا قلنا إن البرتغاليين لم يجدوا عداوة فى بلاطات الحكام الهندوكيين إلا بقاليقوط، التى تعتبر حالة خاصة لأنها كانت الدولة البحرية الضخمة الوحيدة على الساحل، وكانت مدعيات البرتغاليين فى السيادة على البحر لاتتفق مع سيادتها، فضلا عن أن رفاهية قاليقوط ظلت مدة تتجاوز أربعمائة عام مرتبطة بنشاط تجار التوابل العرب. ومن ذلك نستطيع أن نفهم دوافع عداء الزامورين.

النقطة الثانية، أن البرتغاليين بعد إحدى الهزائم الحاسمة التى منوا بها فى قاليقوط، جردوا أنفسهم فيما يبدو من كل أطماع كانت تخامرهم نحو امتلاك الأراضى ببلاد الهند الأصلية. فإن محصلة الأملاك التى امتلكوها هناك لاتعدو جزيرتى «ديو» و «بومباى» ومراكز تجارية بأماكن مختلفة على الشاطئ. فضلا عن «جوا» مقر نائب الملك، وقلعة «كوتشين». وفى الفترة التالية، وطدوا سلطانهم على الخطوط الساحلية بسيلان، ومدوا آفاق تجارتهم فى جزر أندونيسيا، وأسسوا شيئا من العلاقة مع الصين واليابان.

ثالثا، منذ أن استتب الأمر للبرتغاليين، عكفوا فى الفترة التالية على استنزاف أقصى ما يستطيعون استنزافه من المنافع من

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

احتكارهم التجارى، فقد ظلت سفنهم ستين عاما تعود فى كل آن إلى البرتغال محملة بتوابل الشرق وجواهره وحريره.

على أن انتشار المذهب البروتستنتى فى أوروبا كانت له نتائج مؤثرة على الاستعمار البرتغالى. فان ذلك الانتشار أبطل، فيما يتعلق بالأمم البروتستنتية، منحة البابا للبرتغال باحتكار التجارة بالشرق. كما تغير ميزان القوى فى أوروبا رويدا رويدا. فبعد هزيمة الأرمادا التى ظن أنها لا تقهر، وتشتيت شملها، صار فى إمكان دول أوروبا البحرية اقتحام المياه الهندية، كما أن مركز تجارة التوابل أخذ ينتقل من لشبونة إلى الموانى العظيمة بالأراضى المنخفضة فى أثناء القرن السادس عشر، حيث كان الاقبال على التوابل أعظم فى مناطق أوروبا الشمالية. وفى الواقع أن أهمية لشبونة كانت ترجع بصفة رئيسية إلى أنها المستودع لتلك البضائع الضرورية.

ولكن التجارة فى أوروبا كانت بأيدى تجار «انتورب» ANT-WERP التى كانت منذ البداية مركزا لتلك التجارة. فنلاحظ أن هؤلاء التجار عندما أدركوا الانقلاب الهائل الذى أحدثته الاستكشافات الجغرافية بالتجارة، سارعوا إلى مد الحكومة البرتغالية بالعون المالى لإتمام هذه الكشوف. فيقال إن آل «ويسلر» قد أسهموا فى نفقات البعثات البرتغالية التى تمت فى ١٥٠٥م، ووجدت الحكومة البرتغالية أن الضرورة تقضى عليها منذ سنة ١٥٠٣م أن تفتح مستودعا للتوابل بمدينة «أنتورب».

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وإلى خطة التعزيز المتواصل هذه من جانب تجار انتورب للملك عمانويل، يجب أن ينسب النجاح الذى أحرزته الأساطيل البرتغالية بالبحار الشرقية.

على أن التجار الهولنديين لم يلبثوا أن أخذوا يتمردون على أسعار الاحتكار التى كان يطلبها البرتغاليون، خاصة بعد أن اتضح لهم أن تحدى قوة البرتغاليين فى البحار الشرقية كان من السهولة بمكان.

وفى سنة ١٥٩٢م عقد كبار التجار الهولنديين بأمستردام اجتماعا قرروا فيه إنشاء شركة الهند الشرقية المتحدة-The East India Company of the United Netherlands. وبدأ بذلك دور الاستعمار الهولندى.

على كل حال، ففى الوقت الذى كان البرتغاليون يمدون إمبراطوريتهم فى آسيا على النحو الذى مر بنا، كانوا يفعلون نفس الشىء فى أفريقيا مع بعض الاختلاف، وهو ما نوضحه فى الآتى.

بدأ النشاط الاستعمارى البرتغالى فى غرب أفريقيا حين تأسست بتشجيع هنرى الملاح شركة برتغالية للتجارة فى العبيد والذهب على ساحل غانة. وفى عام ١٤٦٩م بعد أن أصبحت تجارة غانة موردا مهماً من موارد الحكومة، منحت أحد البرتغاليين واسمه GOMES حق مزاولة التجارة فى هذه البلاد مدة خمس سنوات، مقابل ضريبة يدفعها للحكومة، ومقابل اكتشاف جزء من الشاطئ الأفريقى لا يقل عن مائة فرسخ (الفرسخ ثلاثة أميال).

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى عام ١٤٨٢م قام البرتغاليون ببناء قلعة على ساحل الذهب لحماية تجارتهم، وعرف هذا المركز الاستراتيجى المهم باسم «ساو جورج دامينا» Sao Jorge da Mina.

وفى نفس العام الذى تم فيه بناء هذا المركز، وفى العام التالى، وصل دييجو كام إلى مصب نهر الكونغو. وقد سجلت الوثائق البرتغالية أن ملك الكونغو رحب بهؤلاء البرتغاليين الأوائل، وأمر شعبه باعتناق المسيحية ففعلوا.

(ولم يكن ذلك غريبا، فقد فعل المجر ذلك فى القرن التاسع عندما استوطنوا ضفاف الدانوب قادمين من الشرق)

ومع الكونغو انتقل النفوذ البرتغالى إلى أنجولا. وكان البرتغاليون قد اكتشفوا ساحل أنجولا سنة ١٤٩٠م، ولكنهم لم يستقروا بها إلا بعد ٦٠ عاما، أى فى عام ١٥٤٧م، بناء على طلب الرئيس المحلى.

على أنهم بعد أن اضطروا إلى التورط فى عديد من النزاعات القبلية التى لم يستفيدوا منها شيئا، عادوا فقرروا العمل بصفة مستقلة دون الارتباط بأى رياسة محلية.

وعلى ذلك عادت القوة البرتغالية المتبقية إلى بلادها. وفى سنة ١٥٧٤ وتنفيذا للسياسة الجديدة، أرسلت حملة جديدة بقيادة باولو دياز Paulo Diaz، الذى كان على رأس الحملة السابقة، فعاد الآن بوصفه فاتحا للمناطق الأفريقية وحاكما عليها، ومعه ٧٠٠ جندى. وقد احتل جزيرة صغيرة أمام الخليج المسمى الآن «ساو

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

باولو دى لواندا»، ثم بنى على الساحل الأفريقى قلعة، وأسس مدينة «ساو باولو» Sao Paulo التى أصبحت فيما بعد عاصمة الممتلكات البرتغالية فى غرب أفريقية. ولم تأت السنوات الأخيرة من القرن السادس عشر، حتى نجح البرتغاليون فى مد سيطرتهم على مناطق واسعة.

على أن هذا الوجود البرتغالى فى أنجولا لم يلبث أن تعرض لخطرين فى خلال النصف الأول من القرن السابع عشر:

الخطر الأول : ثورة زعماء القبائل بقيادة امرأة تنتمى للأسرة الحاكمة فى الكونغو تدعى «جينا باندى» Gina Bandi، واستمرت هذه المرأة تقاوم البرتغاليين لمدة ثلاثين سنة، حتى استطاعت أن تطردهم من عديد من المراكز التى كانوا قد أسسوها.

أما الخطر الثانى: فهو من جانب القوة البحرية الجديدة فى أوروبا التى رفضت احتكار البرتغاليين لمكاسب ما وراء البحار، وهى قوة الهولنديين. فقد حاول هؤلاء السيطرة على أنجولا، واستطاعوا احتلال ساو باولو بالفعل سنة ١٦٤١م.

على أن البرتغاليين لم يلبثوا أن عادوا فتمكنوا من طرد الهولنديين. وأعقب ذلك امتداد نفوذهم فى أنجولا، حتى إذا كان عام ١٧٥٨م، استطاعوا مد نفوذهم شمالا من ساو باولو، وفى الجنوب منها حتى خط عرض ١٥، مما خلق أخيرا مستعمرة البرتغال الكبرى فى غرب القارة والمعروفة باسم أنجولا.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أما على ساحل غينيا، فإن مركز البرتغاليين قد تزعزع. فإن القلاع التى بنوها على ساحل الذهب لم يسيطروا عليها طويلا، إذ انتزعها منهم الهولنديون فى بداية القرن السابع عشر، وانحصرت سيطرتهم على المنطقة الممتدة بين «جامبيا» و «سيراليون»، والتى عرفت باسم غينيا البرتغالية، واتخذ البرتغاليون الإجراءات الكفيلة بتحويل مراكزهم المتناثرة فى هذه المنطقة إلى منطقة سيطرة فعلية.

هذا فيما يختص بالاستعمار البرتغالى فى غرب أفريقيا. أما فى شرق أفريقيا، فقد أدت الرغبة فى إقامة محطات فى الطريق إلى الهند إلى استيلاء البرتغاليين على جملة مراكز على الساحل الشرقى لأفريقية. وبطبيعة الحال فقد لقوا فى هذا الشأن متاعب أكبر نظرا لسيطرة العرب على أغلب هذه المراكز، ولكن المدافع الحديثة كانت لها الكلمة الأخيرة.

. وعلى هذا النحو لم تأت سنة ١٥٢٠م حتى كان البرتغاليون قد استولوا على «كلوة» Kilwa، و «زنزبار» Zanzibar، و«مومباسا» Mombasa، و «مالندى» Malindi، و«مقديشيو»، Mag-adiscio «بمبا» Pemba. بل كل مايقع شمال نهر «روفوما» Rovuma ولكنهم لم يحتلوا موزمبيق إلا فى سنة ١٥٣٠م، وأنشئوا بها حصوناً حربية، ثم تحولوا إلى سوفالا.

وكانت سوفالا Sofala ثغرا عربيا ومركزا لسلطنة ظلت لخمسمائة عام أهم مراكز شرق أفريقيا، بسبب وجود الذهب فى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مناجم «مونوموتابا» فى روديسيا الجنوبية. وكان ذهبها يحمل إلى البحر الأحمر والخليج الفارسى. وسمى هذا المركز سوفالا، ولكن أهمية موزمبيق تقدمت حتى أعطت اسمها للمنطقة كلها.

وفى سنة ١٥٤٤م أسس البرتغاليون مركزا لهم فى «كيليمانى» Quelimane وهناك سمعوا عن مملكة مونوموتابا، وما فيها من ذهب وفير، فعولوا على الدخول إليها عن طريق نهر «زمبيزى» Zambezi، لأنهم وجدوا الوصول إليها عن طريق سوفالا مستحيلا بسبب عداء الأهالى، وجهزت لذلك حملة سنة ١٥٦٩م، ولكن الذباب أخذ يفتك بخيولها، كما أرغمتها هجمات الأهالى على العودة بعد أن أبيد معظمها.

ولم تلبث أن تحالفت ثورات القوى الوطنية مع المحاولات العربية لاستعادة النفوذ العربى، مع منافسة القوى الاستعمارية الأخرى، على حصر النفوذ البرتغالى على الساحل، وتحطيم السيطرة البرتغالية فى شرق أفريقيا فى النهاية.

فقد قاومت القبائل المحلية التغلغل البرتغالى إلى الداخل فى أوائل النصف الثانى من القرن السادس عشر. وفى نهاية هذا القرن تحولت هذه المقاومة إلى ثورات انتشرت فى أغلب مناطق السيطرة البرتغالية. وكان أقواها تلك التى قادها «ماكوا» Makua فى منتصف القرن الثامن عشر، وأجبرت البرتغاليين على إخلاء قلاع بلاد مناجم الذهب فى أعالى الزمبيزى، وسقوط القلاع المواجهة لموزمبيق فى أيدى الثوار.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومن ناحية أخرى، فقد ظهر الهولنديون، الذين كانوا قد بدءوا نشاطهم فى المياه الهندية منذ سنة ١٦٠٩م، وهاجموا موزمبيق، الأمر الذى دفع البرتغاليين إلى فصل أملاكهم الأفريقية عن إمبراطورية الهند، وتعيين حاكم عام عليها.

ولم يلبث البريطانيون أن ظهروا فى المياه الهندية سنة ١٦٤٩، وتبعهم الهولنديون الذين أسسوا مستعمرة جنوب أفريقية. كما ظهر الفرنسيون فى مدغشقر. فى حين استولى العرب على أملاك البرتغاليين فى مسقط، ثم أخذوا فى مهاجمة هذه الأملاك على ساحل زنزبار، وأخذت هذه الهجمات تشتد خلال السنوات الأخيرة من القرن السابع عشر.

حتى اذا كانت سنة ١٦٩٨م، كان البرتغاليون قد فقدوا كل قلاعهم شمال موزمبيق، حتى كادت تسقط موزمبيق نفسها، ولم يبق فى يد البرتغاليين على الساحل الزنزبارى سوى «ممباسة»، التى أخليت بدورها سنة ١٧٣٠م بمقتضى اتفاق مع إمام مسقط الذى أسس دولة زنزبار الحديثة.

وهكذا تقلص النفوذ البرتغالى فى شرق أفريقيا، وأصبح محصورا فى المنطقة التى عرفت فيما بعد باسم مستعمرة موزمبيق البرتغالية، التى تحددت بنهر «روفوما» فى الشمال وبحيرة «نياسا» فى الغرب و «سوازى لاند» فى الجنوب.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويهمنا هنا أن نوضح نتائج الاستعمار البرتغالى فى أفريقيا:

أولاً : لم يزد هذا الاستعمار فى الحقيقة على نقط ومواقع عسكرية منتشرة على السواحل، ولم يمتد أبدا على مساحات واسعة من اليابس. وكان نمطه أقرب ما يكون إلى نوع الاستعمار الاغريقى، فيما عدا انه لم يعرف الاستعمار السكنى. وفى الحقيقة انه لم يكن لدى البرتغال ـ حتى لو أرادت ـ المقدرة على الاستعمار السكنى، لسبب بسيط هو أن عدد سكانها فى عصرها البطولى هذا لم يكن يزيد على المليون نسمة. لذلك ظل الاستعمار البرتغالى استعمارا تجاريا بالدرجة الأولى، فهو فى آسيا استعمار التوابل، وهو فى أفريقيا استعمار الذهب والعبيد.

ثانياً : كان الغرض من إقامة المراكز العسكرية على السواحل فى أفريقيا، الاتجار بالعبيد. فقد كانت هذه المراكز التجارية مجمعا للعبيد الذين يجلبون من مختلف الأجزاء الداخلية، ريثما تصل المراكب لتحملهم إلى البلاد التى تطلبهم. وكانت الأمريكتان أكبر عميل لهم. وقد اعتمد هؤلاء التجار البرتغاليون على زعماء القبائل الموجودة فى الداخل، فعقدوا معهم الاتفاقات لتموينهم بالعبيد، أو مساعدتهم للإغارة على أعدائهم واصطياد العبيد منهم. وكانت هذه المراكز التجارية تحرس بواسطة الجندى البرتغالى.

ثالثاً: على الرغم من أن أفريقيا كانت تعرف الرق منذ قرون سابقة، فإن اشتراك البرتغاليين فيه على نطاق واسع، فضلا عن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

استغلالهم الخلافات المحلية بين القبائل، قد أدى إلى دمار المجتمعات الأفريقية، فانتشر البؤس والخراب، ودفعت المجاعات والانحلال الخلقى الناس إلى اتباع عادة أكل لحوم البشر، الأمر الذى تجمع المصادر على أنه لم يكن أبدا من مظاهر النظام القبلى الأفريقى أو عاداتهم القبلية.

رابعاً: ركز البرتغاليون همهم فى جمع الرقيق، ولم يتحولوا إلى العاج أو النحاس إلا فيما بعد. ولكن هذه المعادن لم تكن وفيرة، فظلت تجارة العبيد تجارتهم الرئيسية، فقد كان الطلب عليها لاينتهى، للعمل فى المناجم ومزارع قصب السكر فى جزر الهند الغربية وجيانا البرتغالية فى أمريكا الجنوبية.

وقد سجلت الوثائق أن عدد العبيد الذى صدر من سنة ١٤٨٦م إلى سنة ١٦٤١م كان يصل إلى ٩ آلاف كل عام، ثم زاد بعد ذلك حتى وصل فى القرن الثامن عشر إلى ٢٥ ألفًا كل عام، ثم إلى ٣٠ ألفًا فى السنوات الأولى من القرن التاسع عشر.

خامساً: تشهد الوثائق أيضا بأن هؤلاء العبيد كانوا فى مستوى اجتماعى واقتصادى أعلى من الهنود الحمر، بل لعله كان من بعض النواحى أعلى من المستعمرين البيض.

وكان الدور الذى لعبه هؤلاء العبيد فى خلق البرازيل عظيما، على الرغم من الظروف السيئة التى عاشوا فيها، فقد كان هذا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الدور أعظم بكثير من دور الوطنيين، بل أعظم من دور البرتغاليين أنفسهم، اذ كانوا اليد اليمنى التى اعتمدوا عليها فى خلق المجتمع الزراعى فى البرازيل، فى حين كان الهنود بل البرتغاليون اليد اليسرى. فضلا عن ذلك، فقد كانوا السبب فى إدخال زراعة الكاكاو والفلفل والدخان والأرز هناك.

سادساً : على الرغم من الصبغة الدينية التى اتسمت بها أعمال الاستعمار البرتغالى، وعلى الرغم من دور البابا نيقولاس فى تشجيع الاستكشافات، وتحديده مناطق التوسع بين البرتغال وأسبانيا ببركته الأبوية فى معاهدة «توردوسيلاس Tordosellas، فإن الكنيسة لم تتدخل فى تجارة العبيد الهمجية، قانعة بالأسلاب، وكل ما كانت تطلبه هو تعميد العبيد المرسلين إلى الأمريكتين أولا، حتى يتيسر إنقاذ أرواحهم!

هذا على كل حال فيما يتصل بالاستعمار البرتغالى فى آسيا وأفريقيا، أما ما يتصل بالاستعمار البرتغالى فى أمريكا اللاتينية، فهو يختلف من جميع الوجوه عن استعمار آسيا وأفريقيا. فاستعمار آسيا وأفريقيا، كما رأينا، هو استعمار بحرى ساحلى يقوم على التجارة، ويرجع السبب فى ذلك إلى كثافة السكان فى العالم القديم. أما بالنسبة لاستعمار البرازيل، فهو استعمار قارى استيطانى أساسه الزراعة.

وقد رأينا كيف أن كبرال البرتغالى قد تمكن من كشف البرازيل مصادفة وهو فى طريقه إلى الهند، فصارت تلك البلاد من

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نصيب البرتغال تبعا لمعاهدة «توردوسيلاس» بين البرتغال وأسبانيا سنة ١٤٩٤م ،التى تقرر فيها أن تكون كل الأراضى التى تكتشف شرق خط يبعد عن الرأس الأخضر بـ ٢٧٠ فرسخا (الفرسخ ثلاثة أميال) من نصيب البرتغال، وأما التى تقع غربه، فتكون من نصيب أسبانيا (وكان الاتفاق السابق فى سنة ١٤٩٢م ينص على ١٠٠ فرسخ فقط).

وفى السنة التالية لكشف كابرال البرازيل، أرسلت البرتغال أمريجو فسبوتشى Amerigo Vispucci، وهو فلورنسى ترك خدمة الأسبان ودخل خدمة البرتغال، إلى البرازيل، فتمكن من السير بجوار ساحل البرازيل من رأس «سانت روك» إلى «ريودى جانيرو»، ثم إلى نهر «لابلاتا»، وكتب إلى صديق له فى فلورنسا رسالة بعد عودته إلى «لشبونة» تكلم فيها عن العثور على عالم جديد. ولذلك اطلق اسمه على القارة.

وقد ظلت البرازيل فى البداية، أى بعد اكتشافها على يد أمريجو فسبوتشى، مجرد نقطة تموين للبرتغاليين فى الطريق إلى الهند لا أكثر، فقد كان لديهم عمل آخر يعود بربح أكبر هو تجارة الشرق. ولذلك مضى وقت طويل قبل أن تُضم البرازيل إلى مجال مشروعات البرتغال فيما وراء البحار، خصوصا عندما أخذت تفقد إمبراطوريتها فى الشرق.

على أن البلاد لم يكن بها ثروة الا الزراعة المدارية التى تحتاج إلى أيد عاملة كثيرة وابعاديات واسعة. وفى الوقت نفسه لم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يكن هناك عدد متوفر من البرتغاليين كافيا لفتح البلاد واستعمارها. فقد كان عدد سكان البرتغال لا يزيد على مليون – كما ذكرنا – كما أن المغامرات الشرقية استنفدت عدداً كبيراً من سكانها، ولذلك كان عليها أن تبحث عن موارد أخرى من الأيدى العاملة. غير أنه لما كان الهنود الحمر لا يصلحون، لعدم ميلهم للعمل المنظم، فمن هنا بدأ جلب الرقيق الأفريقى بأعداد ضخمة، حتى تضاءل إلى جوارهم عدد البرتغاليين كثيرا.

وبالاختلاط المفرط بين دم البرتغاليين أنفسهم ودم كل من الهنود والزنوج، شارك البرتغاليون فى حل مشكلة السكان فى البرازيل. وعلى هذا النحو تكونت البيئة الاجتماعية للبرازيل.

وقد أدخل البرتغاليون زراعة القصب فى البلاد حتى أصبح فى وقت مبكر أساسا مهما فى اقتصادها، وذلك إلى جانب محصولين ثانويين مهمين، هما: الطباق والقطن.

وعلى الرغم من أن القبائل البرازيلية كانت قبائل مقاتلة، فإنها عجزت عن تكوين جبهة متحدة ضد البرتغاليين، وقد حدث بعض القتال المتقطع، ولكن البرتغاليين الذين جاءوا مستعمرين. تجنبوا العداوات الصريحة ما استطاعوا.

وقد قامت الحياة الاقتصادية فى البرازيل على الأبعاديات (المزارع الكبيرة) التى كان يملكها أفراد الطبقة الأرستقراطية البرتغالية، ويعمل فيها الرقيق، وظلت الزراعة المدارية هى أساس الاستعمار البرتغالى هناك.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(٢) الاستعمار الأسبانى

كان اتجاه أسبانيا فى الكشف الجغرافى عكس اتجاه البرتغال. لقد كان اتجاه البرتغال إلى الشرق، أما اتجاه أسبانيا فكان إلى الغرب. وكان الهدف واحداً، وهو الوصول إلى جزر التوابل، ولكن فى هذه المرة عن طريق الغرب.

فقد كانت فكرة كريستوفر كولومبس Columbus، وهو إيطالى من جنوة، أنه مادامت الأرض كروية، فإنه فى الإمكان الوصول إلى الهند بالسير فى المحيط غربا.

وعلى هذا النحو، عندما وصل إلى جزر «بهاما» Bahama وشواطئ «كوبا» وجزيرة «هاييتى» Haiti التى أسماها «اسبانولا» Espanola، كان يظن أنه قد وصل فعلا إلى طرف العالم الشرقى. بل إنه لم يعرف أنه اكتشف عالماً جديدا عندما اكتشف فى رحلاته التالية جزيرة «جمايكا» Jamaica وبعض جزر «الأنتيل» سنة ١٤٩٣م، ثم ساحل «فنزويلا» Venezuelaسنة ١٤٩٨م، ثم ساحل «هوندوراس» بأمريكا الوسطى.

وقد قام كولومبوس بأربع رحلات:

الأولى فى أغسطس ١٤٩٢م، وقد وصل - كما ذكرنا - إلى جزر بهاما وشواطئ كوبا وجزيرة هاييتى، وعاد إلى أسبانيا فى مارس ١٤٩٣م.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والثانية فى سبتمبر من نفس العام (١٤٩٣م)، وقد اكتشف جمايكا وبعض جزر الأنتيل، وعاد فى يونيه ١٤٩٦م.

والثالثة فى مايو ١٤٩٨م ـ وهى السنة التى وصل فيها ڤاسكو داجاما Da Gama إلى الهند ـ وقد اكتشف ساحل فينزويلا.

والرابعة فى مايو ١٥٠٢م، وقد اكتشف ساحل هندوراس بأمريكا الوسطى.

وقد أعقب رحلات كولومبوس استعمار هذه الجهات من قبل ملكى أسبانيا. فمنذ الرحلة الأولى، حصل الملكان الكاثوليكيان من البابا اسكندر السادس فى عام ١٤٩٢م على حق امتلاك الأراضى التى يتم كشفها، ورسمت القرارات خطا وهميا يمتد شمالا وجنوبا بمقدار مائة فرسخ إلى الغرب من جزر أزور .Azores Is أو «الرأس الأخضر» فلا يجوز تجاوز هذا الخط دون تصريح أسبانيا.

ولما كان هذا الخط يعوق جهود البرتغال فى الكشف فى المحيط الأطلنطى، فقد جرت مفاوضات بينها وبين أسبانيا، وتم الاتفاق فى معاهدة «توردوسيلاس» ـ كما ذكرنا ـ على أن يمتد خط التقسيم إلى ٣٧٠ فرسخا من جزر الرأس الأخضر، بحيث يصبح كل ما يقع شرقه من نصيب البرتغال، وما بقى غربه من نصيب أسبانيا.

وفى السنوات التالية، تمكن المستكشفون الأسبان من اكتشاف واستعمار مناطق أخرى، فتمكن «بنزون» من النزول فى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رأس «سان أوغسطين»، في الطرف الشمالى من البرازيل، ثم اكتشف المنطقة الواقعة من تلك النقطة إلى «فنيزويلا» شمالا. كما تمكن «ليون» أحد المستعمرين فى اسبانولا من كشف شبه جزيرة فلوريدا، وكذلك تمكن «بالباو Balbao» من عبور برزخ دارين Darien فى بنما، ورؤية المحيط الذى عرف فيما بعد بالمحيط الهادى، وذلك لأول مرة قبل أن يكتشفه ماجلان.

وفى سبتمبر سنة ١٥١٩م أبحر ماجلان Magellan من أسبانيا، ومعه أوامر من الإمبراطور شارل الخامس بالبحث عن الطريق الغربى إلى الهند تمهيدا للوصول إلى «مولوقوس» Mo-loccos (جزر التوابل) والنضال مع البرتغال فى الهند الشرقية.

وقد وصل ماجلان إلى شاطئ البرازيل عند «ريو دى جانيرو» ثم إلى مصب نهر «لابلاتا» La Plata ثم دار حول أمريكا الجنوبية، ثم دخل فى نوفمبر سنة ١٥٢٠م المحيط الذى أسماه بالباسيفيكى. وبلغ «الفليبين» بعد ثلاثة أشهر، أى فى مارس ١٥٢١م، التى أعطيت اسم الملك الأسبانى فيما بعد.

وعندما قتل ماجلان فى معركة مع الوطنيين هناك فى إبريل من نفس السنة، تمكن احد رجاله وهو «سباستيان ديلكانو» Se-bastian del Cano من إتمام الرحلة والوصول إلى أسبانيا عن طريق رأس الرجاء الصالح فى ٦ سبتمبر سنة ١٥٢٢م، وبذلك تكون قد تمت الرحلة حول الأرض، ومنذ ذلك الحين دخلت الفليبين فلك الإمبراطورية الأسبانية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد كان من أثر نجاح رحلة ماجلان أن صار شارل الخامس يرغب فى دعم ادعاءات أسبانيا فى «المولوقوس» الشرقية ذات الأرباح والإيرادات الوفيرة، وطمع الأسبان بعدذلك فى امتلاك سومطرة، فأرسل الإمبراطور إلى الهند الشرقية حملتين فى ١٥٢٥م، ١٥٢٦م.

ولكن فشل الحملة الأخيرة، بالاضافة إلى زواج الإمبراطور من إيزابيللا شقيقة يوحنا الثالث ملك البرتغال، جعلاه يخصص جهوده للكشف والاستعمار فى العالم الجديد. وبهذا تكونت الإمبراطورية الأسبانية فى أمريكا.

ويمكن القول إن أهم الفتوح الأولى قد تمت على يد أفراد تحملوا نفقات فتوحهم، وبدوافع من أنفسهم أو باسم التاج او بمقتضى مراسيم ملكية، رجاء الحصول على إيرادات الأرض المفتوحة أو منحهم إدارتها وحكمها. وعلى هذا النحو تم فتح المكسيك على يد «كورتيز» Cortes و«جواتيمالا» على يد «ألفارادو»، وبيرو على يد «بيزارو» Pizzaro.

وقد كانت جزر الهند الغربية أول ما وطأ الاسبان. فكانت لصغرها وتفتتها فريسة سهلة لهم. فاستعمروا جزر الانتيل «وكوبا» و «هاييتى» (إسبانولا) و «بويرتوريكو»، ولكنهم وجدوا فى تلك الأماكن مقدارا صغيرا من الذهب، فاستخدموا هذه الجزر كنقطة قفز على القارة. وكانت سانتو دومينجو Santo Domingo فى هاييتى أول مقر للحكومة الاسبانية فى أمريكا اللاتينية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كانت أكثر فتوح الأسبان الأولى، فى المكسيك، التى سكنتها قبائل «الأزتك» Aztec، ذات الحضارة القديمة فى العصور الوسطى، وكانت حكومتها بالغة مبلغا كبيرا من النظام، كما أن مدنها كانت منظمة لدرجة فاقت بعض المدن الأسبانية. وقد فتحها «كورتيز» بعد أن تغلب على ملك الأزتك «مينتيزوما» Mentezuma بمعاونة بعض القبائل الخاضعة لحكم الأزتك. وأقسم العاهل الهندى وكبار رجاله يمين الولاء لملك قشتالة..

ولكن الحكم الاسبانى الصارم أثار ثورة الازتك على الأسبان ومينتزوما، فاضطر كورتيز إلى الانسحاب سنة ١٥٢٠م بعد خسائر فادحة. ومات مينتيزوما، إما على يد رعاياه أو على يد الأسبان.

ولكن كورتيز أعاد تنظيم قواته، واستطاع بمعونة جيش من الأهالى الأصليين محاصرة عاصمة الأزتيك (تينوشتيتلن) وفتحها. وقد هدمت العاصمة تماما، وأقيمت عليها مدينة مكسيكو Mexico، التى أصبحت مقرا لحكومة ولاية المكسيك الجديدة التى أنشئت فيما بعد.

وعلى كل حال، فقد وطد الأسبان دعائم سيطرتهم على الأراضى المجاورة، وامتدت فتوحاتهم بسرعة، فاستولوا على جواتيمالا Guatemala سنة ١٥٢٣م، والسلفادور Salvador سنة ١٥٢٥م، وهندوراس ونيكاراجوا سنة ١٥٢٤م، كما أسسوا جملة مدن جديدة فى أمريكا الوسطى.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كذلك اتجه الأسبان صوب أمريكا الشمالية فى الوقت الذى كانوا يؤسسون فيه مستعمراتهم فى أمريكا الوسطى والجنوبية، فدخلوا الأقاليم المعروفة الآن باسم الولايات المتحدة الأمريكية. فقد نزل «بونسى دى ليون» فى فلوريدا كما ذكرنا، وحاول عبثا تأسيس مستعمرة بها سنة ١٥٢١م. وسار «دى فاكا» فى إقليم تكساس المطل على الخليج من الشمال الغربى حتى وصل إلى كاليفورنيا.

وفى سنة ١٥٤١م استكشف «دى سوتو» نهر المسيسبى Mississippi. كذلك ذهب «كورنادو» إلى الإقليم المعروف اليوم باسم كنساس Kensas للبحث عن الذهب.

وفى سنة ١٥٦٥م أسس الاسبان أول مستعمرة استيطانية فى سانت أوغسطين St. Augustine فى فلوريدا، وبنوا قلعة كبيرة لحمايتهم من إغارات الهنود عليها وكذا إغارات المغامرين الأوروبيين.

وفى أمريكا الجنوبية، قامت حملات الأسبان من بناما، التى أسسوها عام ١٥١٩م، للتوغل جنوبا فى الأقاليم التى كانت تقطنها شعوب «الاينكا» Inca القديمة التى أسست إمبراطورية كبيرة غنية بمناجم الذهب، والفضة، تشمل هضبة «بيرو» Peru، وكل إقليم شيلى Chile، وجزءا من بوليفيا Bolivia. وقد قاد هذه الحملات بيزارو، وانتصر على الإنكا، واحتل «كوزكو» Cuzco عاصمتهم، وأسس «ليما» Lima التى أصبحت عاصمة بيرو، وانتهب أسلابا كبيرة من الذهب والفضة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى أثناء هذه الفتوحات الأسبانية على يد بيزارو. انتشرت الفتوح الأسبانية فى شيلى، وأسس «دى فالديفيا» سنتياجو San-tiago عام ١٥٤١م. وكان وجود مناجم الفضة جنوب بحيرة تيتيكاكا Titicaca حافزا فى توجيه الأنظار نحو جهات منابع نهرى «الأمازون» Amazon و «الباراجواى» Paraguay، أى فى «بوليفيا» Bolivia وسميت بوليفيا فى بادئ الأمر «بيرو العليا».

وفى سنة ١٥٤٥م اكتشف أحد الهنود الفضة فى جبل بوتوسى Potosi. ثم امتدت سيطرة الأسبان على فينيزويلا، وغرناطة الجديدة (كولومبيا) كما استطاعوا استعمار الأرجنتين، وأسسوا «بوينوس إيرس» Buenos Aires.

على كل حال يهمنا أن نستعرض النتائج الآتية للاستعمار الأسبانى فى أمريكا:

أولا: اختلف هذا الاستعمار عن الاستعمار الاستراتيجى الساحلى البرتغالى فى أفريقيا وآسيا، فى أنه كان استعمارا قاريا استيطانيا، أقرب فى طبيعته إلى الاستعمار الرومانى العسكرى القديم.

ويرجع السبب فى ذلك إلى أن الاستعمار البرتغالى فى أفريقيا وآسيا قد دخل مناطق مأهولة بالسكان، كثيفة ومدارية، فلم يكن بوسعه أن يكون استعمارا استيطانيا. هذا بالإضافة إلى أن البرتغال - كما ذكرنا - لم يكن لديها القوة البشرية لمثله.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أما فى حالة الاستعمار الأسبانى، فقد حدث فى مناطق مخلخلة قليلة السكان، يصلح كثير منها بحكم ارتفاعه لتوطن البيض. كما أن أسبانيا كانت قوتها البشرية أكبر نسبيا ، ولذلك فقد اتخذ هذا الاستعمار نمطا استيطانيا أخذ يشتد حتى تحول إلى خليط جنسى لم يسبق له مثيل.

ثانياً: إذا كان اتجاه الأسبان فى البداية موجها نحو تجارة التوابل، إلا أن هذا الاتجاه قد تغير بعد سيطرة البرتغال على هذه التجارة. فضلا عن طول الطريق الغربى، الذى أثبت فشله تجاريا، لأنه أطول بكثير من طريق البرتغال. هذا إلى جانب فشل الحملة التى أرسلت إلى جزر الهند الشرقية لانتزاعها من يد البرتغاليين. كما أن المناطق التى دخلها الأسبان لم يكن بها توابل أو تجارة تستغل، وإنما كانت توابل هذه المناطق هى المعادن النفيسة، الذهب والفضة.

ولهذا اندفعوا فى أمريكا اللاتينية مباشرة إلى المرتفعات الغربية، الغنية جيولوجيا بهذه الثروات، فى المكسيك وبيرو. وسرعان ما أخذت السفن الأسبانية تذهب وتعود محملة بالفضة من المستعمرات. وقد ازداد تدفق هذا المعدن على الموانى الأسبانية فى عهد فيليب الثانى (١٥٥٦م ـ ١٥٧١م) لاسيما بعد أن اكتشفت مناجم الفضة فى «بوتوسى» فى بوليفيا سنة ١٥٤٥م.

وقد حاولت أسبانيا فى أول الأمر الاحتفاظ بهذا المعدن النفيس داخل بلادها، ولكن عجز المصانع الأسبانية عن سد حاجة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البلاد من المصنوعات، اضطرها إلى شراء حاجتها من ذلك كله من المنطقة الشمالية الغربية الصناعية فى أوروبا.

وانتهى الأمر بأن أصبحت أسبانيا هى القناة التى تجرى منها الفضة إلى بقية أوروبا، ومن هذا الحين بدأ عصر الفضة فى أوروبا، ويقى هذا المعدن خلال الخمسين سنة التالية يسيطر على تطور الحياة السياسية والدينية والاجتماعية والاقتصادية فيها.

أما بالنسبة لجزر الهند الغربية وشرق القارة وشيلى، حيث لم تكن بها ثروة الا الزراعة المدارية، فقد تطلب الامر الاستعانة بالأيدى العاملة.

ولما كانت الحروب والأمراض والاسترقاق قد قضت على العدد الكبيرَ من الهنود الحمر سكان البلاد الأصليين، فقد اجتلب الاسبان الرقيق الأسود من أفريقيا منذ سنة ١٥٠١م، لفلاحة الأرض والعمل فى المناجم.

وقد عمد الأسبان إلى تقسيم الأراضى إلى إقطاعيات وزعت بين الأسبان، وإرغام الهنود والرقيقّ الذين يعيشون عليها على العمل فيها دون أجر، وتسمى هذه الإقطاعيات الموزعة بما عليها من أيد عاملة «ريبارتيمينتس إنكوميندوس» Repartimientos En-comiendos. وعلى هذا النحو كانت البيئة الاجتماعية للمستعمرات الأسبانية تتكون من سادة ورقيق.

ثالثاً : اتسمت الفتوح والاستعمار الأسبانى بقسوة بالغة، واستغلال الأهالى استغلالا شائنا لا يعرف الرحمة. وكانت هذه

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القسوة محل تنديد شديد من بعض الأسبان أنفسهم ضد مواطنيهم، فكتبوا عن غرائز هؤلاء فى التلذذ بممارسة القسوة مع الأهالى. وعلى رأس هؤلاء المنددين «لاس كاساس» الذى كتب كتابه «تدمير الهنود» .

على كل حال، فيتضح مما ذكرناه عن الاستعمار الأسبانى والاستعمار البرتغالى قبله، أنهما قد حدثا فى وقت واحد تقريبا، وهو القرن السادس عشر. لقد خرجت أسبانيا والبرتغال من الوطن، وقد أعطى كل منهما للآخر ظهره، وقد وجدا نفسيهما فى نهاية المطاف وجها لوجه فى الشرق الأقصى: أسبانيا فى الفليبين، والبرتغال فى جزر الهند الشرقية، أى بعكس موقعيهما فى أوروبا، وعلى عكس موقعهما فى أمريكا اللاتينية. وبهذا أغلقت الدائرة الاستعمارية حول محيط الكرة الأرضية.

على أن الإمبراطورية البرتغالية لم تعمر طويلا، بسبب ضعف البرتغال نفسها. فبالإضافة إلى قلة تعداد سكان البرتغال، فإن الفلاحين صاروا يتركون أراضيهم للاشتراك فى الرحلات والحملات والحروب، حتى أهملت الزراعة وكثرت الأراضى البور وعم البؤس غالبية السكان.

وما لبثت مملكة البرتغال أن انتقلت بالوراثة إلى التاج الأسبانى عام ١٥٨٠م، بعد أن مات ملكها دون وريث، مما أدى إلى إهمال الإمبراطورية البرتغالية، لأن فيليب لم يهتم بها. وسرعان ما اهتبلت هولندا ـ القوة البحرية الصاعدة ـ فرصة تحطيم البرتغال على يد أسبانيا لترث دورها وتجارتها، بل ومستعمراتها.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(٣) الاستعمار الهولنـــدى

إذا كان القرن السادس عشر هو قرن البرتغال وأسبانيا، فإن القرن السابع عشر هو قرن هولندا. وكانت الأراضى المنخفضة (هولندا وبلجيكا) خاضعة لأسبانيا، وفى العقد الأول من القرن السابع عشر استطاعت هولندا أن تنتزع استقلالها من أسبانيا فى حروب الإصلاح الدينى، فى حين ظلت بلجيكا أسبانية.

ومنذ ذلك الحين بدأت تجارة التوابل والشرق تنصب فى هولندا التى ورثت دور البرتغال بمثل ما ورثت أنتورب دور لشبونة، فصارت أكبر مركز تجارى فى أوروبا. وفى الحقيقة أن موقع البرتغال (أيبريا بعامة) وإن أعطاها الأسبقية إلى الشرق، إلا أنه لم يكن الأمثل بالنسبة لتجارة الشرق مع أوروبا، لأن أيبريا كانت منعزلة عن القارة وعن مواصلاتها البرية بالحائط الجبلى. أما الأراضى المنخفضة فكانت تقع فى نهاية الشارع الرئيسى للحركة فى قلب أوروبا. وهو «الراين»، الذى كان وحده من بين أنهار غرب القارة متوغلا فى قلبها.

وقد سنحت الفرصة لهولندا لترث الإمبراطورية البرتغالية، حين حطمت أسبانيا قوة البرتغال، ثم تحطمت قوة الأرمادا على يد إنجلترا، فبدأت هولندا انقضاضها على المستعمرات البرتغالية، ولم تزل تختطف من البرتغال مواقعها ومستعمراتها فى الهند والهند

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الشرقية واحدا بعد الآخر، حتى تقلصت إلى جيوب صغيرة متخلفة تتمثل فى «داماو» Damao و«جوا» فى الهند، و«تيمور» Timor فى الهند الشرقية.

وفى الطريق إلى الهند أقاموا المستعمرات الساحلية فى ساحل غانة سنة ١٥٩٥م، وكانوا أول من نزل فى «الكاب» Cape بموقعه الحيوى، بعد أن أخطأه البرتغاليون بصورة محيرة وغير مفهومة، وأسسوا مدينة الرأس سنة ١٦٥٢م، ثم بعدها امتلكوا جزيرة «موريشيوس» Mauritius التى أعطوها اسم أميرهم موريس. وأخيرا احتلوا جزيرة «سيلان»، بل احتلوا «فورموزا».

أكثر من هذا، فقد انحدروا من جزر الهند الشرقية جنوبا، حتى كشفوا ساحل شمال استراليا فى بداية القرن السابع عشر، كما كشفوا «تازمانيا» Tasmania و«نيوزيلاندا» (نسبة إلى زيلند بهولندا» فى النصف الأول من نفس القرن. وإن كانت الكشوف الاخيرة لم تؤد إلى دور استعمارى ما.

ولم تقتصر الإمبراطورية الهولندية على العالم القديم، بل أسسوا المستعمرات فى «جيانا» Guiana فى أمريكا الجنوبية، وفى البرازيل رسمت شركة الهند الغربية الهولندية خططا طموحة للحصول على أرض شاسعة ثبتت فيها أقدامها أبديا، فاستولت على «بائيا» Baia سنة ١٦٢٤م، وأخذت «اولندا» وحصنها فى «ريسيف» Recife – وان اضطروا لمغادرة البلاد سنة ١٦٥٤م.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كذلك امتلكوا نيو أمستردام Nieu Amsterdam (نيويورك فيما بعد). وعدا هذا فقد تسيدوا تجارة البحار والمحيطات بالنقل البحرى لكل أوروبا، حتى سموا أنفسهم «نقلة البحر».

ويهمنا هنا أن نرسم بعض ملامح الاستعمار الهولندى:

أولاً : قام الاستعمار الهولندى بصفة خاصة على أيدى التجار الهولنديين. فقد رأينا كيف تمرد التجار الهولنديون على أسعار الاحتكار التى كان يطلبها البرتغاليون للتوابل، وكيف قرروا فى سنة ١٥٩٢م بأمستردام انشاء شركة للتجارة مع الهند.

وقد تأسست شركة الهند الشرقية المتحدة بمقتضى مرسوم صدر فى ٢٠ مارس سنة ١٦٠٢م بمنح الشركة، ليس فقط احتكار التجارة، بل وخولها سلطات سيادة عُليا واسعة لعقد المعاهدات والمحالفات، ولفتح ما تشاء من الأراضى، وبناء الحصون، إلى غير ذلك.

وكانت أول محاولة بذلتها الشركة للحلول محل البرتغاليين فى جزر اندونيسيا، التى كانت قبضة البرتغاليين عليها لا تزال ضعيفة. على أن مركز الشركة لم يتوطد تماما إلا بعد فتح جاكرتا واحتلالها فى ٣٠ مايو سنة ١٦١٩ على يد «جان بيترز كوين». وفى سنة ١٦٤١م انتزع «أنطونى فان ديمين»، الذى عين حاكما عام ١٦٣٣م، «ملقا» Malacca مظهر عظمة البرتغاليين فى الشرق.

وفى سنة ١٦٥٤م تمكن «هايدن» من احتلال كولومبو Colombo وإقصاء سلطان البرتغاليين من سيلان. وما لبثت «كوتشين»، مؤسستهم الأولى فى الهند، ان احتلت فى سنة ١٦٦٠م، ثم سقطت المحطات التجارية الأخرى تباعا.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأخذ الهولنديون يقومون من «كولمبو» بحملة منتظمة للقضاء على كل أثر للبرتغاليين فى تجارة الهند البحرية، وانتلقت تجارة الهند الشرقية فعلا إلى يد الهولنديين، ولم يبق بعد جوا وجزيرتى «أندامان» Andaman و «ديو» الصغيرتين أى أثر لذلك الصرح العظيم الذى اقامه البوكيرك.

ثانياً : على الرغم من أن الشركة حصلت لنفسها على النفوذ الأعلى فى شئون التجارة، فإنها لم تمارس شئون الحكم والسيادة. فقد كان الغرض الأساسى هو التجارة لا الحكم، ولذلك فقد عارض مجلس مديرى الشركة «فان جوين» عندما اقترح تولى الشركة السيادة على جزيرة سيلان، وقال له بصراحة : «إن مثل ذلك العمل قد يكون عمل ملك عظيم وطموح، ولكنه ليس عمل تجار لا يبحثون إلا عن الأرباح».

ومع ذلك، فإن تغييرا أساسيا قد طرأ فيما بعد على هذه السياسة عندما وجد الهولنديون أن الاستغلال أنفع لهم من التجارة. فقد اتبعت الشركة نظام دفع الأموال مقدما على المحصولات إلى المزارعين، فتهيأ لها بذلك أن تنتزع الأراضى من أيدى ملاكها فى جزر «باندا» Banda و «أمبوينا» Amboina و«ملوكا» Moluccas.، واحتكرت بيع الحبوب لهم باسعار فاحشة، مما حطم اقتصاد هذه البلاد وأذاق الأهلين الفقر.

ثالثاً : ظل الحكم الهولندى فى أندونيسيا حتى منتصف القرن الثامن عشر (١٧٤٢م) مقصوراً على إدارة مؤسسات وحصون متناثرة من نقطة مركزية هى «جاكرتا»، التى أطلق عليها اسم «باتافيا» Batavia.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى سنة ١٧٤٣م بدأ الهولنديون سياسة الاستيلاء المباشر على الأراضى والتنقيص من الاستقلال السياسى للسلطنات. ففى تلك السنة استولت الشركة على السواحل الشمالية «لجاوة» Java. كما نقلت إلى يدها نهائيا الهيمنة المطلقة على جميع الموانى البحرية. وفى سنة ١٧٥٥م قسمت جاوة إلى خمس دويلات صغيرة، ووضع عليها حكام تابعون، وبذلك تقوى مركز الهولنديين فى جاوة عند حلول سنة ١٧٦٠م.

ولكن اهتمام الشركة ومصلحتها ظلا فى سومطرة والأقاليم الخارجية مقصورين على التجارة وحدها. ولكن لم تنقض سنوات قليلة حتى لم يصبح الهولنديون فقط المحتكرين الوحيدين للتجارة الهولندية، بل هم السادة لجميع أقاليم هذه الجزر.

ولكنهم لم يتحملوا مسئولية مباشرة عن الحكم، بل اتبعوا نظام الحكم غير المباشر الذى يعود عليهم بالارباح الطائلة دون أن يتحملوا متاعب الحكم وهمومه.

رابعاً :-اتسم الاستعمار الهولندى فى أندونيسيا بالتدمير والجرائم والانتقامات. فقد أحلوا العمال الأرقاء محل الفلاحين الأحرار فى المزارع، وعندما وجدوا أن إنتاج القرنفل فى أمبوينا، ومولوكا، وباندا، يزيد على ما يحتاجه العالم، فرضوا تحويل بساتين القرنفل إلى حقول أرز، وإلى مزارع لزراعة أشجار «الساجو»، وهو غذاء أضعف قيمة من الأرز، ثم بيع الأرز بسعر فاحش، وقطعوا عن «جاوة» مئونتها من الأرز، مما اضطر الناس

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إلى التخلى عن غذاء الأرز وتناول الساجو، فمات الكثيرون من تناول هذا الطعام، واقتضى الأمر استيراد عدد أكبر من الأرقاء.

وعندما اصبح مشروب البن شائعا فى أوروبا، وصار سعره غاليا فى أسواق العالم، فرضوا الاستغلال على المزارعين، فكان المنتجون يسلمون من ٢٤٠ إلى ٢٧٠ رطلا للشركة مقابل ثمن ١٢٥ رطلا فقط. وبعد إجراء تخفيضات لأسباب وذرائع مختلفة، لا يصل إلى جيوب المزارعين الاندونيسيين إلا ثمن ١٤ رطلا فقط.

ولما عزف الفلاحون عن زراعة البن، أرغمهم الهولنديون على زراعته وبيعه لهم بسعر محدد، حتى أصبحت جاوة مزرعة ضخمة للبن يملكها الهولنديون.

وقد وضع «كوين» مؤسس باتافيا، المبدأ الذى أقيمت على أسسه السياسة الهولندية، بقوله : «ألا يستطيع أى رجل فى أوروبا أن يفعل ما يشاء بماشيته؟ هكذا يفعل السيد هنا برجاله الذين يعتبرون، بكل ما يملكون، ملكا خاصا للسيد، شأنهم فى ذلك شأن البهائم فى الأراضى المنخفضة».

وقد أصبح مذهب «كوين» هذا هو الدعامة النظرية التى تقوم عليها علاقة الشركة بالأجير الاندونيسى، الذى كان يسميه الأوروبيون «الكولى».

خامساً: أحدث نظام الضياع أو الأبعاديات الكبيرة ثورة صامتة فى علاقة الهولنديين بالاندونيسيين، فقبل ذلك لم يكن الهولنديون الا تجارا يحتكرون التوابل والأرز، دون أن يتجاوز نشاط الشركة التجارى هذا الحد إلى التدخل فى حياة الأهلين.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على أن التحول من الاستعمار التجارى إلى الاستعمار الاستثمارى، ومن التجارة إلى نظام الضياع الكبرى، كان ينطوى على الاستغلال الفعلى للعمال والتحكم الشديد فى اقتصاد الأهلين، والإشراف الفعال عليهم. بل ينطوى على تحقيق نظام إدارة الضياع الكبرى على قطر بأكمله. وفى العلاقة بين الشركة صاحبة العمل والأجراء، لم تكن لهؤلاء الأجراء أية حقوق على صاحب العمل حتى ولو كانت حقوقا اسمية.

ويقرر بعض الباحثين أنه ليس هناك نظير فى التاريخ لتلك الحالة التى ابتدعها الاستعمار الهولندى، وهى تحويل أمة بأسرها إلى عمال بالضياع الكبرى، وتحويل الطبقة الأرستقراطية منها إلى مجرد رؤساء عمال ومشرفين، يفرض عن طريقهم العمل قهراً فى هذه المزارع.

صحيح أن قبائل الإنكا فى بيرو كانت على هذا النحو من انعدام الرحمة فى استغلالهم للأهالى، ولكنهم كانوا - على الأقل - يعيشون فى البلاد، وينفقون مكاسبهم فيها.

أما فى حالة الاستعمار الهولندى، فكانت المكاسب ترسل إلى بلاد بعيدة لتتمتع بها بورجوازية تلك البلاد بعيدا عن مناظر الكدح والشقاء. فالهولنديون من بين جميع الأمم الأوروبية فى ذلك العصر الاستعمارى الأول، هم وحدهم الذين اتبعوا سياسة إنزال شعب بأسره بصورة منظمة إلى منزلة عمال الضياع الكبرى، دون أن يعترفوا قبلهم بأى التزام أخلاقى أو قانونى.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد فعلوا ذلك بالشعب الذى يستمدون منه أعظم الغنم، فى حين كانوا ببلاد الصين يتذللون ويخرون على الأرض ساجدين، وكانوا فى اليابان يتواضعون ويظهرون التوقير العظيم أمام الموظفين اليابانيين.

وفى الوقت الذى أعوزتهم حماسة البرتغاليين الدينية، التى كانوا يغلفون بها أطماعهم المادية، أو الشعور بالرسالة الثقافية التى كان يدعيها الفرنسيون لأنفسهم، أو الإهتمام الإنسانى العريض الذى ادعاه البريطانيون لأنفسهم فى المناطق التى لهم فيها السلطة السياسية المباشرة ـ فإنهم استمسكوا بشدة بنظرية الامتلاك والاستغلال، حتى إذا اضطروا إبان القرن التالى إلى تغيير سياستهم، لم يكن ذلك نتيجة اقتناع، وإنما جرفتهم فى ذلك قوة الحركات التى حدثت خارج هولندا واندونيسيا Indonesia.

سادساً : لم ينقذ شعب جاوه من وهدة الإذلال التى تردى فيها، إلا إلهام الإسلام وروحه المنطبعة بطابع القوة والفداء.

لقد دخل الاسلام فى الأصل إلى تلك الجزيرة على يد التجار الهنود. وعند وصول البرتغاليين لم يكن قد استقر بعد إلا فى المراكز التجارية الكبرى، وفى بعض بلاطات الحكام. حتى إذا قارب القرن السادس عشر على نهايته، كان معظم جاوة وسومطرة قد رضى بالإسلام دينا.

وقد شهدت فترة اشتداد الدعوة الإسلامية التى بدأت سنة ١٦٣٠م، قوة المبادئ الإسلامية تشتد وتقوى، كما شهدت بدء تكوين سلطة الزعماء الدينيين واقتراب الأهالى بوجه عام من تلك النظرة الإسلامية إلى الحياة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أما من الناحية السياسية، فإن الحركة كانت تمثل روح المقاومة ضد الاستعمار. فقد أدى اشتداد قوة الإسلام إلى ازدياد عظيم فى شدة المقاومة الشعبية للاستعمار الهولندى بالجزر. واقتنع كبار موظفى الشركة فى ذلك الزمان، مثل «فان جوينز»، بأن الدين كان من أكبر أسباب الحروب المتواصلة ضد الهولنديين بالأرخبيل. تلك الحروب التى تمثل ظاهرة ملحوظة فى التاريخ الاندونيسى خلال النصف الثانى من القرن السابع عشر.

على كل حال، فإن الإمبراطورية الهولندية لم تلبث أن شاطرت الإمبراطورية البرتغالية مصيرها، فكل منهما كان إمبراطورية بحرية ساحلية تتألف من رقع متناثرة، وكل منهما بدأت تجارة لا توطنا، وكل منهما توهج كقوة بحرية لفترة قصيرة. فهى مثل البرتغال تعانى قاعدة أرضية محدودة، وكل منهما لم تكن أكثر من موقع جغرافى، وكل منهما كان يعانى من نقص فى القوة البشرية، وكل منهما له حدود برية مشتركة مع قوة ضخمة سيكون على يديها مصرعها (البرتغال على يد أسبانيا، وهولندا على يد فرنسا).

وكما انتهزت هولندا الفرصة لترث البرتغال، فستنتهز قوة بحرية أخرى هى بريطانيا الفرصة لترث هولندا. بل إن وضع هولندا كان أسوأ، لأنها وقعت بين شقى رحى فرنسا التى تشترك معها فى الحدود، وبريطانيا فى البحر، وعلى ذلك فلم تلبث هولندا أن فقدت معظم تجارتها وخسرت كل قواتها البحرية، وأصبحت بمثابة برتغال الشمال!

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(٤) الاستعمار الفرنسى

على الرغم من أن فرنسا مع نهاية القرن الخامس عشر كانت قد استكملت وحدتها القومية حول باريس، فإنها لم تكن مستعدة للخروج إلى العالم الخارجى، سواء فى القارة أو عبر البحار، إلا مع مطلع القرن السابع عشر. وذلك بسبب حروبها مع جيرانها لتدعيم حدودها الشرقية البرية، وحروب الإصلاح الدينى فى القرن السادس عشر.

وقد قامت السياسة الفرنسية فى القرن السابع عشر على أساسين:

الأول : التوسع القارى شرقا وصولا إلى الحدود الطبيعية.

الثانى : بناء قوة بحرية عظمى للتوسع عبر البحار.

ولكن توزيع اهتمامها بين البحر والقارة سلب أغلب مشاريعها البحرية كثيرا من إمكاناتها، كما أن وجودها على بحرين كان من شأنه أن يعوق وحدة أسطولها البحرى. وفى هذا كله تكرر فرنسا دور أسبانيا وتوسعاتها.

والحقيقة أنها ورثت أسبانيا استراتيجيا مثلما ورثت هولندا البرتغال. وكما كان على أسبانيا أن تواجه البرتغال، كان على فرنسا أن تتصدى لقوة هولندا.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكانت فرنسا قد بدأت بانتزاع الأراضى المنخفضة (بلجيكا) من أسبانيا المتداعية فى منتصف القرن السابع عشر، ثم بدأت حروبها مع هولندا حتى تداعت قوة هولندا على يدها فى نهاية القرن.

على أن فرنسا رغم قوتها البحرية الضخمة، لم تكن تسيطر على التجارة المربحة إلا لحد ضئيل، فظلت بحريا قوة عسكرية أكثر منها قوة تجارية. ولذلك فقد كانت إنجلترا هى التى ورثت دور هولندا التجارى، رغم أن فرنسا هى التى حطمت قوتها عسكريا، تماما كما كانت أسبانيا هى التى حطمت البرتغال، ولكن التى ورثتها هى هولندا!

ومن الممكن أن نعد القرن الثامن عشر قرن فرنسا، فقد كانت تفوق بريطانيا على القارة، ولا تقل عنها بحرا. حتى إذا كانت الثورة الفرنسية ونابليون، وصلت السيادة الفرنسية إلى أقصى اتساعها فى أوروبا.

أما فيما وراء البحار فينقسم التوسع الفرنسى إلى قسمين :

الأول : فى العالم الجديد، والثانى فى العالم القديم.

وبالنسبة للتوسع الفرنسى فى العالم الجديد، فهو يبدأ بالكشوف الجغرافية الفرنسية فى الربع الثانى من القرن السادس عشر، بوصول الرحالة الفرنسى «كارتييه» Cartier إلى مصب نهر سانت لورانس، وتوغله داخل كل الأراضى الأمريكية. وبلغ عدد الرحلات الكشفية التى قام بها فى هذه المنطقة أربع رحلات، واستطاع، ومن بعده «دى روبير فال»، الوصول حتى موقع

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

«مونتريال». ولكن هذه المحاولة لاستعمار كندا اخفقت بسبب عداء الهنود والبرد القارس، فتعطل الاستعمار الفرنسى فى كندا أكثر من خمسين عاما.

وفى النصف الأول من القرن التالى (السابع عشر) استأنف الفرنسيون نشاطهم فى كندا، حيث أسسوا فى سنة ١٦٠٤م أول مستعمرة فرنسية فى شبه جزيرة أطلق عليها فيما بعد اسم «نوفا سكوشيا» Nov Scotia.

وفى سنة ١٦٠٨م أسس الرحالة «صمويل دى شامبلان» مدينة «كيبيك» Quebec كنواة لـ «فرنسا الجديدة» أو «كندا». وقد بدأت هذه كحقل صيد للفراء ثم حقل توطن وزراعة. ومن البحيرات امتدت فرنسا تلقائيا إلى قلب القارة.

ففى سنة سنة ١٦٨٢م نجح «لاسال» فى كشف نهر المسيسبى وتتبعه إلى خليج المكسيك، وعلى محور نهرى مرة أخرى أنشأ مستعمرة «لويزيانا» (نسبة إلى لويس الرابع عشر) التى تشمل القطاع الأكبر من سهول وسط القارة. وبذلك تكون فرنسا خير من استفاد من الأنهار فى التوسع السياسى واتخذتها عمودا فقريا لإمبراطوريتها فى العالم الجديد.

وفيما عدا ذلك فقد اتجهت فرنسا إلى جزر الهند الغربية، حيث استطاعت أن تنتزع عددا من جزرها الصغرى من أسبانيا، أهمها «جواديلوب» Guadeloup و«المارتينيك» Martinique، كما قفزت إلى الساحل المقابل فى أمريكا الجنوبية لتبحث لها عن موطئ قدم فى «جيانا الفرنسية» Guiana.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على أنه لسوء حظ فرنسا، فإنها انتشرت فى مساحات هائلة لم تكن تتناسب مع عدد المستعمرين من أبنائها، فأصبح وجودها كله عبارة عن مساحة لا كثافة.

وفى الوقت نفسه فإن مصالح فرنسا فى القارة الأوروبية كانت متشعبة بشكل يحتم وجود جيش قوى فيها لحماية هذه المصالح، ولذلك فان سلطانها على تلك المناطق المستعمرة كان ضعيفا، الأمر الذى سهل على الانجليز التغلب عليها فيما بعد وانتزاع كندا منها.

فلقد بنت فرنسا الحصون والمحطات العسكرية لتصل بين لويزيانا وكندا، فأحس أهالى المستعمرات الإنجليزية الممتدة على الساحل الشرقى بأنهم سوف يصبحون محصورين بين المحيط الأطلنطى وجبال الأبلاش Appalachians، فلم يكن بد من وقوع الصدام بين الفريقين فى سنة ١٧٥٤م، وانتهى الصراع بتغلب الإنجليز عليهم وانتزاع كندا من أيديهم فى صلح باريس سنة ١٧٦٣م.

هذا بالنسبة للتوسع الفرنسى فى العالم الجديد، أما بالنسبة للتوسع فى العالم القديم، فقد اتجهت فرنسا إلى الهند، وأنشأت مجموعة من القواعد التجارية على سواحلها الشرقية والغربية تتكون من «شاندرناجور» chandernagore، ويانون Yanaon، وبوند شيرى Pondichery وكاريكال Karical وماهى Mahe وتوغلت سيادتها لحد كبير فى بلاد الدكن والكرنات، وقد نشطت تجارة فرنسا مع هذه المستعمرات نشاطا كبيرا فى القرن السابع عشر.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أما فى أفريقيا، فقد غزا الفرنسيون المراكز الهولندية فى السنغال سنة ١٦٧٧م، وفى سنة ١٦٩٧م أكملوا غزو الإقليم، وبعد قرن آخر احتلوا هولندا نفسها!

على أن أغلب مساحة الإمبراطورية الفرنسية التى تكونت فى القرنين السابع عشر والثامن عشر، سواء فى العالم الجديد أو القديم، لم تلبث أن ضاعت قبل أن تبدأ الموجة الثانية فى القرن التاسع عشر، بل يمكن القول إن بقايا الإمبراطورية التى خرجت بها فرنسا من هذه الموجة الأولى من الاستعمار، كانت أقل اتساعا وغنى عما خرجت به البرتغال أو أسبانيا أو هولندا. ولعل فرنسا وحدها التى تنفرد بهذه الحقيقة الغريبة بين القوى الاستعمارية فى العصر الاستعمارى الأول، أما القوة التى ضاعت على يدها الإمبراطورية الفرنسية فكانت أساسا بريطانيا.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(٥) الاستعمار البريطانى

كانت بريطانيا أولى دول أوروبا التى حققت وحدتها القومية فى العصور الحديثة قبل عصر الكشوف، بفضل عزلتها عن القارة.

ومنذ الكشوف تطور موقع بريطانيا تطورا جذريا، فقبلها كانت على حافة العالم وكانت بالضبط كما قيل: «استراليا العصور الوسطى». فلقد كانت كل ثروتها تتمثل فى الصوف الذى تصدره إلى القارة، خاصة إلى هولندا وإيطاليا. ولكن الكشوف الجغرافية حولت هذا القطب السالب المتطوح إلى قطب موجب فى قلب المعمورة.

فمع انها لم تكن مهيأة وقت الكشوف أو بعدها لتخرج إلى البحار، حين كانت السيادة للبرتغال وأسبانيا ثم لهولندا وفرنسا، إلا أنها أخذت تحاول خلال القرن السادس عشر التقاط بعض المكاسب التجارية المحيطية بعيدا عن النفوذ الأسبانى أو مغافلة له:

بعيدا عنه بالاتجاه، إلى العالم الجديد عن طريق متطوح شمالى، حيث اكتشفت فى أواخر القرن الخامس عشر (١٤٩٧ ـ ١٤٩٨م) نيوفوندلاند Newfoundland ولابرادور Labrador على يد «جون كابوت» Cabot الإيطالى. ومغافلة له، بالتسلل إلى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المستعمرات الأسبانية الاحتكارية للتجارة معها سرا، مما أدى إلى حروب القرصان البحرية المشهورة الإنجليزية الأسبانية فى البحار العليا والدافئة، والتى تمركزت خاصة فى الكاريبىCaribbean .

إلى أن حاولت أسبانيا غزو بريطانيا بالأرمادا Armada سنة ١٥٨٨م ثم فشلت فى ذلك، ففتحت هزيمة الأرمادا الباب على مصراعيه أمام بريطانيا لتدخل الميدان البحرى والتجارى الجديد مع افتتاح القرن السابع عشر. ولكن فى هذا القرن كان على بريطانيا أن تواجه قوة هولندا التجارية، وقوة فرنسا الحربية.

ولما كانت هولندا هى المحتكر الحقيقى للتجارة المحيطية، ففى الصراع الذى كان يدور بين هولندا وفرنسا كانت بريطانيا غالبا تنضم إلى فرنسا فى صراعها لتحطيم هولندا، أو تترك الأخيرة تواجه فرنسا وحدها.

وفى خلال ذلك كله كانت كل خسائر هولندا وفرنسا تتحول لحساب بريطانيا مكاسب وأرباحا. فكانت التجارة عبر البحار تنتقل إليها بالتدريج، حتى إذا ما حطمت فرنسا قوة هولندا نهائيا فى أواخر القرن الثامن عشر، كانت بريطانيا قد ورثت بالفعل معظم دورها التجارى، وكانت لندن وبريستول Bristol قد ورثت أنتويرب وأمستردام. وكانت بريطانيا على وجه العموم قد ورثت موقع ودور هولندا.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بدأ الإنجليز الكشف الجغرافى متأخرين عن البرتغال وأسبانيا. ففى عام ١٤٩٦م أثار «جيوفانى كابوتو» (جون كابوت)، وهو إيطالى من جنوة، اهتمام تجار بريستول Bristol وهنرى تيودور ملك انجلترا بمشروعه لعبور الأطنطى واستكشاف طريق شمالى إلى الشرق.

وفى ٢ مايو ١٤٩٧م خرج كابوت من بريستول برحلة أذن بها ملك إنجلترا وتكفل تجار بريستول بنفقاتها، فوصل إلى «نيوفوندلاند» Newfoundland واكتفى برفع بعض الأعلام الإنجليزية على الشاطئ، وعاد إلى إنجلترا.

وفى العام الثانى أبحر مرة أخرى فوصل إلى «لابرادور» Lob-rador وارتاد الشاطئ الشرقى لأمريكا الشمالية حتى «نيو انجلندا» جنوبا.

على أنه لما كان الاتجار مع هذه الجهات لم يأت بالثمرة المرجوة، وفى الوقت نفسه لم يبد هنرى الثامن (١٥٠٩ - ١٥٤٧م) اهتماما بالكشف، فقد خمدت فكرة الكشف والاستعمار مدة قرن من الزمان.

وفى النصف الثانى من القرن السادس عشر، وفى عهد اليزابيث Elizabeth (١٥٥٨ - ١٦٠٣م) وجه الإنجليز اهتمامهم إلى القرصنة بالسطو على مراكب الأسبان التى تأتى محملة بالذهب والفضة من أملاكهم فى العالم الجديد.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفيما بين ١٥٨٤ و ١٥٨٦م بدأت أولى محاولات الإنجليز الاستعمارية الحقيقية حين أسس السير «والتر رالى» Walter Raleigh مستعمرة على جزيرة «رونوك» Roanoke بفرجينيا، Virginia بعد أن نقل إليها عددا من الإنجليز من الأزواج والزوجات والأمهات والأطفال. ولكن هذه المستعمرة لم تعش طويلا.

ولم تلبث محاولات الإنجليز أن توقفت حين برزت الخلافات بين أسبانيا وإنجلترا بسبب القرصنة، على نحو أدى إلى محاولة أسبانيا غزو إنجلترا بالأرمادا Armada المشهورة عام ١٥٨٨م.

ولكن المحاولة فشلت وتحطم الأسطول الأسبانى، ففتح هذا الانتصار لبريطانيا الباب ـ كما ذكرنا ـ للدخول فى الميدان الاستعمارى ولكنها لم تستأنف نشاطها فى هذا المجال إلا بعد عشرين عاما.

ففى عام ١٦٠٦م تأسست بإنجلترا شركتان تجاريتان بإذن من حكومة جيمس الأول، James هما: «شركة لندن»، التى كان حملة أسهمها من لندن، وشركة «بليموث» Plymouth التى يقيم حملة اسهمها فى «بليموث» وبريستول وغيرهما، على أن تقتسم الشركتان الشاطئ الأمريكى من «نوفاسكوشيا» Nova Scotia إلى فلوريدا، فتستعمر شركة لندن الجزء الجنوبى، وتستعمر شركة بليموث الجزء الشمالى.

وفى عام ١٦٠٧م أرسلت شركة لندن جماعة من المستوطنين أسست مدينة «جيمستون» Jamestown فى فرجينيا. كما أقامت

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

شركة «بليموث» عدة مستعمرات صغيرة فى الشمال ومراكز لصيد الأسماك.

وفى عـــام ١٦٢٠م وصلت إلى شـــاطئ نيـــو إنجلند (مـاسـاتشـوسـتس) Massachusettes فى الشـمـال، والذى يقع فى منطقة شركة بليموث، سفينة الحجاج المشهورة «ماى فلاور» May-flower التى كـانت تقل عـددا من أتبـاع المـ ' ح الدينى «كلفن». ثم تبعتها فيما بين ١٦٢٨ ـ ١٦٤٠م هجرة إنجليزية واسعة المدى من طائفة «البيوريتان» Puritans التى تعرضت للاضطهاد.

وقد بلغ حجم هذه الهجرة الجماعية خمس مستعمرات هى: مـاساتشوسيتس، Massachusettes وكونيكتيكات، Connecticut وورود أيلند، Rhode Island ومـين، Maine ونيـوهـامـبـشـيـر. New Hampshire وعرفت جميعها بمستعمرات نيو إنجلند.

وفى عـام ١٦٣٤م اسـتـعـمـر الإنجليز الكاثوليك بقـيـادة اللورد بلتـيـمـور Boltimore إقليم مـيـريلاند Maryland. وفى عـام ١٦٦٥م حصل جـمـاعـة من كبـار الملاك الإنجليز على ترخيص باسـتـعـمـار «كارولينا» Carolina .

على أنه فى تلك الأثناء كان الهولنديون قد بسطوا نفوذهم على إقليم نهر «هدسون» Hudson اعلى أثر رحلة «هنرى هدسون» فى عام ١٦٠٩م، وبنوا قلعة أمستردام (نيويورك فيما بعد)، كما اشتروا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جزيرة مانهاتن Manhattanالمشهورة من الهنود، ولم يحل عام ١٦٢٦م حتى كانوا قد أقاموا فى قلب أمريكا البريطانية مستعمرة نيونيذرلاند (هولندا الجديدة).

وفى نفس الوقت كانت السويد قد استعمرت منذ عام ١٦٣٦م حوض نهر «ديلاوير» Delaware بعد أن نزل المستوطنون السويديون فى عام ١٦٣٦ ـ ١٦٣٨م على الشاطئ الغربى لخليج «دولاوير»، واشتروا من الهنود الأراضى المجاورة لمدينتى «نيوكاسل» و «ويلمينجتون» Wilmington الحاليتين، وأطلقوا على المستعمرة الجديدة اسم «السويد الجديدة»، وهى المستعمرة التى استولى عليها الهولنديون عام ١٦٥٥م.

وبذلك أحس الإنجليز بالخطر الذى يهدد المستعمرات الإنجليزية من وجود هذه الأملاك الهولندية حاجزا بينها، فأرسلت الحكومة الإنجليزية عام ١٦٦٤م حملة استولت على ممتلكات الهولنديين، وبذلك اتصلت المستعمرات الإنجليزية بعضها ببعض.

وفى سنة ١٦٨٢م وهب الملك شارل الثانى جماعة «الكويكرز Quakers» بزعامة «ولم بين» William Penn السويد الجديدة لاستعمارها، وقد أطلق عليها فيما بعد اسم «بنسلفانيا» Penn-sylvania .

ولم تأت سنة ١٧٣٣م حتى كانت قد تأسست على الشاطئ الشرقى لأمريكا الشمالية ثلاث عشرة مستعمرة إنجليزية تمتد حوالى ألف ميل، ويقطنها حوالى مليونين من السكان. وهذه

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المستعمرات هي: فرجينيا Virginig ١٦٠٧م، ونيوهامبشير New Hampshire ١٦٢٣م، وماساتشوستس ١٦٢٩م، وميريلاند ١٦٣٤م، وروداىلند Roade Island ١٦٣٦م، وكارولينا الشمالية ١٦٥٣م، وكونيكتيكت ١٦٦٢م، ونيوجيرزى New Jersey ١٦٦٤م، ونيويورك ١٦٦٤م، وكارولينا الجنوبية ١٦٧٠م، وديلاوير ١٦٧٤م، وبنسلفانيا ١٦٨٢م، وجورجيا Georgia ١٧٣٣م.

وقد توافرت لهذه المستعمرات أسباب الحضارة والعمران، ولكن صحبتها فى نموها نقائص ومساوئ كثيرة، أولها: أنه لما شعر المستعمرون بقلة عددهم اجتلبوا الكثيرين من المذنبين السياسيين والمجرمين ممن امتلأت بهم سجون انجلترا، مما كان له تأثير خلقى واجتماعى سئ،

ثانياً: أنه لهذا السبب نفسه، أخذ المستوطنون يجلبون العبيد الذين يقتنصون من أفريقيا، حتى غصت بهم فرجينيا وما جاورها من الولايات الجنوبية. وقد زادت هذه التجارة زيادة ضخمة عقب معاهدة «أوترخت» Utrecht سنة ١٧١٣م، فقد احتكرت إنجلترا جلب الرقيق إلى أمريكا.

وقد أدى جلب هذا العدد الهائل من العبيد إلى مشاكل عظيمة نظراً لإساءة معاملة هؤلاء العبيد وتسخيرهم كالحيوانات، مما أدى إلى نشوب الحرب الأهلية الأمريكية المعروفة (١٨٦١ ـ ١٨٦٥) حول مشكلة تحرير العبيد، فضلاً عن مشاكل التفرقة العنصرية التى مازالت فى الولايات المتحدة حتى الآن.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثالثاً: اضطهاد الهنود الحمر سكان البلاد الاصليين، على الرغم مما كان بين الفريقين من وئام فى البداية عندما كان المستعمرون مستضعفين. وقد أدى هذا الاضطهاد إلى إبادة معظم هؤلاء الهنود الحمر وفرار الباقين إلى الجهات القاصية، وكانت بداية الفتك بهم فى عام ١٦٢٢م عندما نشبت الحرب بين الفريقين، واستمرت عمليات الإبادة بعد ذلك حتى لم يبق من هؤلاء السكان الأصليين سوى القليل.

وفى الوقت الذى كان يتم فيه استعمار أمريكا الشمالية على يد الإنجليز، كان يجرى استعمار آسيا وأفريقيا.

وفيما يتصل بآسيا فقد استغرق استعمار الهند قرنين ونصف، وينقسم إلى مرحلتين: الأولى من ١٦٠٠ ـ ١٧٥٠م، والثانية من ١٧٥٠ ـ ١٨٥٨م.

ويرجع الفضل فى استعمارها إلى شركة الهند الشرقية البريطانية التى تأسست فى سنة ١٦٠١م لمنافسة الهولنديين فى تجارة التوابل فى الشرق. وكان الهولنديون فى ذلك الحين وسطاء تلك التجارة فى أوروبا. ولكنهم هندما رفعوا فى عام ١٥٩٩م سعر الفلفل من ثلاثة إلى ثمانية شلنات للرطل الواحد، صمم التجار البريطانيون على دخول غمار تجارة الشرق.

وقد اتجهت الشركة فى البداية إلى إنشاء مركز تجارى لها فى الهند لشراء المنسوجات وبيعها فى ملقا، لتمويل تجارة التوابل من الأرباح، نظرا لأنه لم يكن لدى إنجلترا شئ تبيعه بدلا مما تأخذ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى حين كان «المركانتيليون» ـ كما ذكرنا ـ يكرهون تصدير الذهب والفضة أشد الكراهية. وكان المكان الذى اختير لهذا الغرض هو «سورات» سنة ١٦١٢م.

ولكن بعد أن طرد الإنجليز من اندونيسيا، تركز اهتمامهم التجارى بأرض الهند الرئيسية. وهنا عادت مشكلة دفع أثمان التجارة الهندية، فبدا أن طريق التجارة بالبحر الأحمر منفذ مربح، وهنا شرعت الشركة تتخذ سياسة زيادة عدد مراكزها التجارية بحذر، حتى إذا وافت سنة ١٦٤٧م صار لهم ثلاثة وعشرون مركزا تجاريا.

وتغير الموقف قليلا بوقوع بومباى، التى كان فى إمكان مدافع الأسطول الدفاع عنها بسهولة، فى حوزة الشركة فى سنة ١٦٦١م، ومنح شارل الثانى الشركة حق الولاية الكاملة التى كانت ترغب فيه داخل هذه المستعمرة.

فقد نقلت الشركة مقرها من سورات إلى بومباى، وتوسعت أعمالها بعد ذلك فى البنغال، حتى تجرأت وأعلنت الحرب على الإمبراطورية المغولية محاولة الاستيلاء على «تشيتا جونج»، Chit-agong.

وكانت نتيجة هذا العمل الأحمق أن احتلت قوات الإمبراطورية المغولية مؤسسات الشركة، وضاع بضربة واحدة ما اقتنته الشركة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بالجهد، واضطرت إلى أن تطلب السلم بذلة. فوافق الإمبراطور «أورانجزيب» Aurangzeb، بعد أن تعهد الإنجليز بألا يسلكوا مستقبلا مثل هذا المسلك المخجل.

فلما عاد وكلاء الشركة إلى البنغال، استقروا فى كلكتا سنة ١٦٩٠، حيث سمح لهم بتحصينها بعد ذلك بست سنوات، وهكذا ظهرت إلى عالم الوجود عند نهاية القرن كل من بومباى، ومدراس Madras ، وكلكتا، وهذه المراكز الثلاثة هى التى نفذت منها السلطات البريطانية إلى داخل الهند بعد ذلك بمائة سنة.

مع ذلك، فحتى منتصف القرن الثامن عشر، وبمعنى آخر حتى معركة «بلاسى» Plassey (١٧٥٧م)، لم تكن السيطرة البريطانية على الهند قد تجاوزت مستعمراتهم فى «سورات» ومدراس وكلكتا، وماسوليباتام Masulipatam. فضلا عن محطات تجارية صغيرة فى «البنغال»، و«جزيرة بومباى» التى أصبحت تحت سيادة الشركة، إذ نقلها البرتغاليون إلى ملك إنجلترا، ونقلها هذا بدوره إلى شركة الهند الشرقية، «فى حالة ملكية حرة ومشتركة مثل مقاطعة جرينتش الشرقية Greenwich مقابل إيجار قدرة عشرة جنيهات ذهبا فى اليوم العاشر من سبتمبر من كل سنة».

ولم يكن للشركة أى سيادة أخرى على أى منطقة أرضية خارج جزيرة بومباى، كما أن قلعة سانت جورج بمدراس كانت قاصرة على الشواطئ فقط، وإلى جوارها خمس قرى منحتها حكومة دلهى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

للشركة. وفيما عدا ذلك لم يكن يخامر الشركة أى حلم من أحلام السلطة السياسية أو إنشاء الإمبراطورية، وإنما اقتصر نشاطها على الأعمال التجارية فقط.

بل لقد كانت الشركة تخاطب نائب الملك فى البنغال بأشد آيات الخضوع والتذلل، فقد وصف أحد رؤساء الشركة نفسه وهو يخاطب الإمبراطور (المغولى) بأنه: «جون راسل، الذى هو أصغر من حبة الرمل، ورئيس شركة الهند الشرقية، وجبهته طوع الأمر تتمرغ فى تراب الأرض».

فما الذى مكن شركة الهند الشرقية الإنجليزية إذن من أن تحرز القوة العسكرية فى مدى خمسين عاما بصورة مكنتها من مقاتلة قوة امبراطورية «الماراثا» Maratha وسحقها فى معركة «أساى» Assaye سنة ١٨٠٣م؟.

وما الذى مكنها من فتح الهند عسكريا لتتخذ منها مرتكزا لفتح أبواب الصين قهرا، والمساعدة على تحويل آسيا بأسرها إلى منطقة تابعة لأوروبا، ثم إبراز قوتها السياسية والاقتصادية على المحيط الهادى؟

يمكن تلخيص أسباب ذلك فى عاملين أساسيين: الأول: استغلال الخلافات الداخلية بين الزعامات الوطنية. والثانى: ظهور طبقة من «الكومبرادور» الهنود، أى من الرأسماليين الهنود الذين

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يرتبطون أشد الإرتباط بالتجار الأجانب، ويحصلون على مكاسب عظيمة من الاتجار معهم، ونمو قوة هذه الطبقة من الناحية السياسية، وانتقال السلطة الفعالة من أيدى النبلاء المغول إلى أيديهم.

وكان نشوء هذه الطبقة القوية التى ترتبط مصالحها الاقتصادية بمصالح الرأسمالية الأوروبية، عاملا ذا اهمية جوهرية فى تاريخ الهند خاصة وآسيا بوجه عام، وكانت معركة «بلاسى» سنة ١٧٥٧م فى حقيقتها عبارة عن صفقة تجارية بين وسطاء التجارة الهنود بالبنغال والشركة.

ذلك أنه لم يقدم القواد العسكريون على أى قتال جدى بعد أن قبضوا الثمن. وتلا ذلك أن اضطر البلاط المغولى فى «دلهى» سنة ١٧٦٤م إلى منح الشركة حق التصرف الإدارى فى الإيرادات فى مناطق البنغال «وبيهار، وأوريسا» Orissa، حيث جرى النهب المنظم من قبل الشركة للولاية.

لم تكن معركة «بلاسى» نقطة تحول فى تطور مركز إنجلترا فى الهند فحسب، بل وفى المنافسة الإنجليزية ـ الفرنسية فى الهند أيضا. وكانت هذه المنافسة قد نشأت بعد تأسيس شركة الهند الشرقية الفرنسية عام ١٦٦٤م، وبعد استقرار أعداد كبيرة من الفرنسيين فى «بونديشرى»، وعند اقتراب القرن الثامن عشر من منتصفه، كان النفوذ الفرنسى فى الهند يجرى تدعيمه بهمة على يد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فـرنسى حـاذق هو «دوبليـه Dupleix» وهو صـاحب مـدرسـة استعمارية استفاد منها الإنجليز لحد كبير.

فقد ابتدع الخطوات العسكرية والسياسية اللازمة لبسط هذا النفوذ السياسى الفرنسى بطريقة منظمة. ففى ذلك الحين، ولما كانت الهند منقسمة إلى عدد كبير من الإمارات المستقلة وشبه المستقلة، فقد اتبع دوبليه سياسة استغلال الخلافات بين الأمراء المحليين وإحداث الوقيعة بينهم، كما لجأ إلى تكوين جيوش من الوطنيين الهنود بقيادة ضباط فرنسيين، واستطاع بفضل هذه القوة العسكرية أن يتغلب على المعارضين ويستولى على مدراس Madras من أيدى الإنجليز سنة ١٧٤٦م، ويمد سيادته الفعلية على بلاد الدكن Deccanوالكارنات سنة ١٧٥١م ليبلغ النفوذ الفرنسى بذلك اقصاه.

على أنه لم يلبث أن انبرى لمواجهة دوبليه قطب آخر من أقطاب الاستعمار الإنجليزى، هو روبرت كلايف Robert Clive أحد مديرى شركة الهند الشرقية البريطانية، ومنشئ أكبر دولة لصوص على ظهر البسيطة فى ذلك الحين - كما يصفها بعض الباحثين - وقد استفاد «كلايف» من مدرسة «دوبليه» الاستعمارية التى ابتدعها، وسار على نهج الخطوات العسكرية والسياسية التى وضعها. فأخذ يعمل على تشتيت قوى الفرنسيين والهنود حتى لا تتجمع هذه القوى ضد البريطانيين فى الهند، وكان استيلاؤه الباهر على

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

«أركوت» Arcot فى منطقة «كارنات» Carnatic فى ١٢ سبتمبر سنة ١٧٥١م ما أوقف السيادة الفرنسية عند حدها.

وفى سنة ١٧٥٤م استدعى دوبليه إلى فرنسا، مما أدى إلى تقوية مركز بريطانيا تماما. وفى سنة ١٧٥٧م استعاد الإنجليز كلكتا، وعادوا إلى الحرب مرة ثانية مع فرنسا، واستولوا على شاندرناجور Chandernagore، واستطاعوا التغلب على الفرنسيين والهنود حلفائهم فى معركة «بلاسى» فى ٢٢ يونية ١٧٥٧م، وهى المعركة التى قضت فعلا على مطالب الفرنسيين فى الهند.

وفى سنة ١٧٦١م سقط المعقل الفرنسى الرئيسى فى بونديشيرى Pondichery فى يد الإنجليز. ومع أن معاهدة باريس (١٠ فبراير ١٧٦٣م)، ردت إلى الفرنسيين بوندشيرى وبعض المراكز التجارية الأخرى، إلا أن بريطانيا أصبحت منذ ذلك الحين القوة الأوروبية الوحيدة التى تملك اليد العليا فى الهند، وبدأت منذ ذلك الحين فى بسط نفوذها فى شبه الجزيرة الهندية على حساب القوة المحلية من الأمراء الهنود. وانحلت شركة الهند الشرقية الفرنسية فى عام ١٧٦٩م.

وفى الفترة من ١٧٧٣م أقام وارن هيستنجز Warren Hastings إدارة فى البنغال قدر لها فى بضع سنوات أن تحول دولة اللصوص والنهب المنظم فى عهد كلايف إلى حكومة قوية منظمة. وأدى انسحاب البحرية الفرنسية نهائيا من المحيط الهندى إلى منح

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البريطانيين فى نهاية القرن الثامن عشر تفوقا عسكريا كافيا لإعطائهم نفوذا وتسلطا فى الولايات الصغرى فى الهند. فانتقلت منطقة الكارناتيك Carnatic إلى دائرة نفوذهم.

ولم يبق فى نهاية القرن إلاّ قوى ثلاث تواجه الانجليز فى الهند، وهى: إمبراطورية الماراثا Maratha (التى تمَلك الأجزاء الغربية والوسطى). ونظام حيدر أباد (فى هضبة الدكن). وسلطان تيبو الذى كان يحكم ميسور Mysore فى الجنوب الغربى.

وقد استطاع ولسلى، الذى سمى فيما بعد باسم المركيز ولسلى Wellesley, Marquess، والذى عين حاكما عاما فى سنة ١٧٩٨م بعد حملة قصيرة ـ أن يدمر قوة سلطان ميسور، بالإستعانة بأعوان الأسرة المالكة الهندوكية التى اغتصب السلطان عرشها بميسور. فدفع بذلك بقوات الشركة إلى مسافة قريبة جدا، من إمبراطورية الماراثا.

ثم دبر لنظام حيدر أباد the Nizam of Hyderabad انقلابا تمخض عن تسريح قوات «النظام» التى يهيمن عليها الفرنسيون، وتحويل «النظام» نفسه إلى مرتبة أمير تابع. وبذلك تفرغ لمواجهة إمبراطورية المارثا.

وفى الحرب التى أعقبت ذلك تمكن أخوه آرثر ولسلى، الذى سمى فيما بعد دوق ولنجتون Wellington من هزيمة «الماراثا» فى معركة «أساى» بمنطقة الدكن سنة ١٨٠٣م. ولكن الإنجليز لم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يستطيعوا التخلص من الماراثا تماما إلا بعد اثنتى عشرة سنة حين تمكنت الشركة من تدمير قوة الماراثا عند بونا Poona، ثم انتزعت إمارات الراجبوت Rajput وبقيت مملكة السيخ Sikhs أو البنجاب Punjab القوية فى الشمال. ولم تستطع الشركة التغلب عليها إلا فى سنة ١٨٤٨م. ففى عام ١٨٤٤م فتحت ولاية السند، وبعد حملتين دمويتين قهرت آخر مملكة هندية وضُمت إلى البريطانيين.

وهكذا استطاع البريطانيون فى مدى مائة عام أن يؤسسوا سلطانهم بحد السيف من «السند» إلى «البراهمابوترا»، ومن «الهملايا» إلى «رأس كومورين».

أما الممالك التى سمح لها بالبقاء، مثل «كشمير»، و«حيدر أباد»، و«ولايات الراجبوت» - فضلا عن إمارات صغرى أقيمت اقتطاعا من الولايات الكبرى أوفصلت عنها، فقد حولت إلى أقاليم تابعة مفتتة معزولة إحداها عن الأخرى.

وقد قامت محاولة من الطبقات الحاكمة القديمة: «الماراثا» و«المغول» لطرد البريطانيين من البلاد، فاشتعلت الثورة فى ١٨٥٧ ـ ١٨٥٨م، ولكن الشركة أخضعتها بعنف شديد بعد قتال متقطع دام ١٨ شهرا.

ولم تلبث شركة الهند الشرقية التى كونت إمبراطورية الهند أن توقفت عن الوجود رسميا فى سنة ١٨٥٨م، وفى تلك السنة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اضطلعت الحكومة البريطانية بالإدارة المباشرة فى الهند، ولم تلبث الهند أن اتخذت قاعدة لإمبراطورية بريطانية ضخمة تمتد من عدن إلى هونج كونج، وتضم سيلان وبورما.

***

هذا على كل حال فيما يتصل بالتوسع البريطانى فى الهند. أما فيما يتصل بالصين، فقد كان على نطاق أقل بكثير.

فقد رأينا أن تجارة الصين، وآسيا على وجه العموم، كانت تجارة من جانب واحد، حيث يشترى التجار الأوروبيون مقادير ضخمة من الحرير والشاى، ولايبيعون مقابل ذلك إلا القليل.

وكانت الصعوبة هى فى العثور على شئ يقبل الناس عليه فى الصين، وكانت موازنة الميزان التجارى تتم فى الماضى عن طريق تصدير السبائك إلى الصين، ثم اكتشفت طريقة جديدة للموازنة، هى «الأفيون» الذى زاد إقبال الناس عليه، وكان الفضل فى هذا الاكتشاف للبرتغاليين.

ففى سنة ١٧٧٣م جعل «وارن هيستنجز» بيع الأفيون احتكارا للشركة ببلاد الهند. وفى سنة ١٧٩٧م احتكرت الشركة نفسها صنع الأفيون، وبذلك أصبحت للشركة مصلحة ضخمة فى توسيع هذه التجارة لغرضين. الأول: ملء خزائنها فى الهند بالذهب، والثانى: دفع أثمان تجارتها مع الصين.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى الربع الأول من القرن التاسع عشر أصبح الأفيون أعظم الصادرات ازدهارا فى الصين. وفى الفترة من ١٨١٨ ـ ١٨٣٣م قفز الأفيون من ١٧٪ إلى ٧٠٪ من مجموع الصادرات البريطانية إلى الصين.

على أنه لما كانت هذه التجارة محرمة بحكم القانون فى الصين، فلذلك سرعان ماوقع النزاع بين الحكومة الصينية والتجار البريطانيين. ولماكانت الحكومة البريطانية مشتركة فى هذه التجارة المنحطة، كما أن لجان مجلس اللوردات والعموم كانت قد انتهت إلى أنها «لاتزى من المصلحة التخلى عن مصدر للإيراد له مثل تلك الدرجة من الأهمية»، فسرعان ما وقع الصدام بين الحكومتين الإنجليزية والصينية، انتهى بحرب الأفيون الأولى سنة ١٨٤٢م.

وقد أسفرت هذه الحرب عن معاهدة «نانكينج» Nanking فى ٢٩ أغسطس سنة ١٨٤٢م، التى ضمت هونج كونج بمقتضاها إلى بريطانيا، ومنحت خمسة مرافئ للتجارة.

ثم عقدت معاهدات مماثلة مع الأمريكيين فى يوليو سنة ١٨٤٤م، ومع الفرنسيين فى أكتوبر ١٨٤٤م.

على أن التجار البريطانيين لم يلبثوا أن طمعوا فى مد التجارة إلى مايجاوز موانى المعاهدة، وعندئذ اقتضى الأمر تذرع بريطانيا ببعض الذرائع لشن حرب الأفيون الثانية التى اشتركت فيها

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فرنسا، واستطاع الفريقان الاستعماريان الإستيلاء على كانتون Canton سنة ١٨٥٧م ثم الإستيلاء على قلاع تاكو التى تحمى «تيان تسين». ولم يجد الإمبراطور بدا من التفاوض، فأبرمت معاهدة «تيان تسين» Tientsinالتى أضافت ١١ ميناء آخر للتجار الأجانب، وكذا الحق فى الملاحة فى نهر اليانجتسى.

ولكن الحليفين الإنجليزى والفرنسى لم يلبثا أن فتحا باب الأعمال العدائية من جديد فى العام التالى، وأعدا حملة استولت على بكين Peking، وأبرمت بعدها معاهدة بيكين فى ٢٥ أكتوبر سنة ١٨٦٧م. وبمقتضاها أضيفت «تيان تسين» إلى قائمة موانى المعاهدات، وحملت بريطانيا الصين للمرة الثانية على امتياز التقاضى الذى أخرج التجار الأجانب من نطاق اختصاص المحاكم الصينية. وعلى هذا النحو خضعت الصين بعد الهند للنفوذ والهيمنة البريطانية.

هذا فيما يتصل بآسيا، أما فيما يتصل بأفريقيا، فحتى منتصف القرن التاسع عشر، كان النفوذ البريطانى فيما عدا مستعمرة الرأس التى انتزعها البريطانيون من هولندا سنة ١٨٠٦م فى أثناء الحروب النابليونية، يقتصر على بعض المحطات التجارية الساحلية، كما حدث فى ساحل الذهب (الذى أطلق عليه اسم غانة بعد الاستقلال)، حيث جاء البرتغاليون أولا وأنشئوا الحصون، ثم تلاهم البريطانيون والهولنديون.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولكن قبل اختتام القرن الثامن عشر كان التفوق من نصيب البريطانيين. وكان الذهب والرقيق أهم موارد هذه التجارة.

وفى «جامبيا» أيضا وصل البريطانيون بعد البرتغاليين وتاجروا فى الرقيق. وتألفت بها شركة المخاطرين البريطانيين فى سنة ١٧٢٣م، فكانت أول شركة تتكون فى ذلك الحين.

وكذلك الحال فى نيجيريا حيث وصل البريطانيون بعد البرتغاليين والهولنديين، فبنت شركة تجار لندن حصنها على جزيرة فى نهر «جامبيا» عرف باسم «حصن جيمس».

وفى صلح «أوترخت» سنة ١٧١٣ ـ ١٧١٤م حصل الإنجليز من أسبانيا على حق احتكار توريد الرقيق للمستعمرات الأسبانية. ومنذ هذه السنة أخذ الإنجليز دور القائد فى تجارة الرقيق فى غرب أفريقية.

كذلك انتزعت بريطانيا جزيرة موريشيوس من فرنسا، كما انتزعت مستعمرة الرأس من هولندا سنة ١٨٠٦م، فى أثناء الحروب النابوليونية. وكان سكانها من البوير، وهم سلالة الهولنديين الذين اختلطوا بالوطنيين فى أثناء الحكم الهولندى فى القرن التاسع عشر، وكانوا يستغلون الأراضى ويستعبدون السكان الأصليين الأفريقيين.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل السابع

الثورة الفرنسية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(١) تمهيد

القرنان السابع عشر والثامن عشر

قامت الثورة الفرنسية فى أواخر القرن الثامن عشر، وقد سبقها قرنان يهمنا أن نبرز معالمهما وخصائصهما، وهما القرن السابع عشر، والقرن الثامن عشر.

وبالنسبة للقرن السابع عشر فيعد عصر الملكيات المطلقة فى أغلب الممالك الأوروبية، وعصر السيطرة الفرنسية. فقد خرجت الدول القوميّة من الصراع الدينى العنيف فى القرن السابق تسودها الانقسامات الدينية، لذلك صارت تتطلع لتأسيس نظام من الحكم القومى يقضى على الفوضى والانقسام، ووجدت السبيل لذلك فى تثبيت دعائم الحكم الملكى فى الدولة الحديثة، ومنحه السلطات المطلقة.

فظهر فى فرنسا ملوك البوربون Bourbon العظام، وتمتعت أسبانيا بحكومة مركزية موحدة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى ألمانيا حاولت أسرة الهابسبيرج Habsburgs القضاء على الانقسام الدينى بين رعاياها من الكاثوليك والبروتستانت، عن طريق القضاء على البروتسنت، فتسببت هذه المحاولة فى اشتعال حروب الثلاثين سنة من ١٦١٨ ـ ١٦٤٨م، والتى انتهت بمعاهدة وستفاليا المشهورة سنة ١٦٤٨م، التى أصبحت الأساس الذى استندت عليه الدول الأوروبية فى علاقاتها القانونية حتى قيام الثورة الفرنسية.

وفى هذه الحرب تدخلت الدول الأوروبية تحدوها مصالحها الذاتية، فمثلا السويد كانت تخشى من امتداد نفوذ أسرة الهابسيرج فى بحر البلطيق، الذى كانت تحاول أن تجعل منه بحيرة سويدية. وفرنسا كانت تسير على القاعدة الفرنسية الدبلوماسية العريقة – قاعدة العداء للهابسبيرج، واعتبار أملاكها التى تقع فى شرق فرنسا ميدانا للتوسع الفرنسى.

وقد انتهت الحرب ـ كما ذكرنا ـ بصلح وستفاليا سنة ١٦٤٨م الذى يعتبر بداية مرحلة جديدة فى تكوين أوروبا الحديثة.

فبالنسبة لألمانيا، فلم تظفر بالوحدة المنشودة، بل خرجت منها مفككة أكثر من ذى قبل. وبالنسبة للصراع الدينى فقد أنهى الصلح هذا الصراع.

وبالنسبة للدول الأخرى، فقد مهد السبيل لظهور دول جديدة عندما أخرجت سويسره من الإمبراطورية الرومانية المقدسة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأنشئت فى هولنده دولة مستقلة لم تلبث أن صارت مبرزة فى ميدان الاستعمار الأوروبى. ثم وضعت الأسس التى مكنت إمارة براندبرج Brandenburg الألمانية من النمو المطرد، حتى أصبحت مملكة بروسيا الحديثة.

وكذلك تدعمت حدود فرنسا الطبيعية الشرقية مما مكنها من إحراز التفوق السياسى فى أوروبا، حتى إن التاريخ الأوروبى بعد صلح وستفاليا أصبح يدور حول حروب ملوك فرنسا العظام، وخصوصا حروب لويس الرابع عشر (١٦٦٧ ـ ١٧١٤م).

على أنه يلاحظ أن الانقسام الدينى فى اوروبا بين الكاثوليكية والبروتستنتية قد أثر فى انقسام أوروبا إلى نوعين من الملكيات: الملكيات المطلقة والملكيات الدستورية، وهو الانقسام الذى ظهر فى القرن السابع عشر.

فقد مهدت الكاثوليكية، بما انطوت عليه من عناصر النظام والطاعة الفرصة لتدعيم الملكيات المطلقة، فى حين ساعدت البروتستنتية، بما تضمنته من احترام الفرد والفردية على ظهور الديمقراطية المحدودة.

وفى مقدمة الدول الاستبدادية فرنسا لويس الرابع عشر، وبروسيا، وروسيا، ودول البلطيق، وأسبانيا، وأما الدول الدستورية فهما إنجلترا وهولندا.

وبالنسبة لإنجلترا بالذات، فقد ظلت بمنجاة من نظام الملكيات المطلقة بسبب عزلتها وبسبب تقاليدها الموروثة، وقد قامت محاولة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لإقامة الحكومة المطلقة كان نصيبها الفشل. فأعدم الملك شارل الأول (١٦٤٩م)، وأقيمت الجمهورية فى ١٩ مايو ١٦٤٩م، ثم أعيدت الملكية فى أول مايو ١٦٦٠م، ولكن قامت ثورة بيضاء سنة ١٦٨٨م، انتهت بإقصاء جيمس الثانى عن العرش، وبهذا الإجراء قضى البرلمان على نظرية الحق الإلهى للملوك، وأصبح الملك يحكم باختيار الشعب والبرلمان، وصدر قانون الحقوق Bill of Rights، وبمقتضاه أعلن خضوع الملك للقانون، وبذلك ينتهى النزاع الدستورى الطويل فى انجلترا بانتصار البرلمان، وينتهى الصراع الدينى أيضا بصدور قانون التسامح Toleration Act، الذى يمنح الجميع حق العبادة العلنية.

أما القرن الثامن عشر، فيعرف باسم عصر الملكيات المستبدة المستنيرة Benevolent Despotism، والفرق بين القرنين السابع عشر والثامن عشر فى هذا المجال هو أن بعض الملكيات التى كانت مستبدة مطلقة فى القرن ١٧ قد تميزت بطابع الاستنارة فى القرن ١٨ ـ أى صارت تعتبر نفسها خادمة للشعب، بعد أن كانت سيدته، وبالتالى صارت تعمل لصالح الشعوب المحكومة ولصالح الدولة قبل أى اعتبار آخر.

وقد عرف هذا الطراز من الملكيات فى روسيا على يد أسرة رومانوف Romanoff التى بدأت تظهر على مسرح السياسة الأوروبية كدولة حديثة منذ أخذت تهاجم الأتراك العثمانيين فى القرن السابق، وتحاول أن تجد لها منافذ تساعد على خروجها من عزلتها الأسيوية إلى ميدان «الأوروبية». ويعرف هذا بالاتجاه نحو الغرب.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كما يعرف هذا الطراز أيضا فى بروسيا على يد أسرة هوهنزلرن Hohenzollern التى عنيت بالجيش والإدارة، فألف فردريك وليم الأول (١٧١٣ ـ ١٧٤٠م) جيشا من ٨٠ ألف جندى، ارتفعت به بروسيا، الدولة الصغيرة، إلى صفوف الدول الكبرى من الناحية العسكرية، كما ارتفع بالجهاز الإدارى، حتى أصبحت الإدارة المدنية لا تقل فى دقتها وتنظيمها عن الجيش.

وفى النمسا وسع الهابسبيرج أملاكهم، وإزدادت قوتهم فى بداية هذا القرن، وبذل الأباطرة جهودا كبيرة لتوحيد البلاد، وأحدثوا انقلابا فى نظم الإدارة والحكم فى النمسا للقضاء على نفوذ النبلاء ورجال الدين، متخذين بروسيا كنموذج فى الإصلاح والبناء.

وأما إنجلترا، فقد تدعمت الديمقراطية فى عهد أسرة هانوفر Hanover باختيار الملك وزراءه من بين حزب الأغلبية فى مجلس العموم، وبذلك وصل الدستور الإنجليزى إلى مرحلته التى ميزته عن غيره من الدساتير حتى الوقت الحاضر، ووقع التوافق الضرورى بين السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية بما له من تأثير على الصالح العام.

ولم يبق ثمة من الدول العظمى من تنفرد بنظام الحكم الملكى المطلق سوى فرنسا، مما كان له تأثيره فى قيام الثورة الفرنسية ١٧٨٩م.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(٢) الثـورة الفرنسـية

أولاً : المجتمع الفرنسى عشية الثورة الفرنسية

المجـتـمـع الفـرنسى قـبل الـثـورة الفـرنسـيـة كـان حـافـلا بالتناقضات الطبقية والصراع الطبقى. ولم يكن التناقض واقعا فقط بين كل طبقة وغيرها من الطبقات الأخرى، بل كان واقعا داخل كل طبقة بين أجنحتها المختلفة. ويمكن تحديد هذه التناقضات فى أربعة تناقضات أساسية:

١ـ التناقض بين البرجوازيين والإقطاعيين.

٢ـ التناقض بين الإقطاعيين والفلاحين.

٣ـ التناقض داخل الكنيسة وبينها وبين الفلاحين.

٤ـ التناقض بين الإقطاعيين والملكية.

وبدون فـهم هذه التناقـضـات لايمكن فـهم تطورات الثـورة الفرنسية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(١) التناقض بين الإقطاعين والبورجوازيين :

كان أهم فارق اجتماعى فى فرنسا قبل الثورة هو الفارق بين الإقطاعيين (الذين يطلق عليهم اسم النبلاء Noblesse) وبين البرجوازيين وغيرهم من الطبقات الأخرى.

وقد حاول منظرو الطبقة الإقطاعية تبرير هذا الفارق بنظرية الدم. فقد برر بولانفيية Boulainvilliers هذا الفارق بنظرية مؤداها أن النبلاء أخلاف الغزاة الفرنجة، وأن العامة (يقصد بهم الطبقة البرجوازية والطبقات الأخرى) ورثة الأهالى الكلت ـ الرومان. وقد لقيت هذه النظرية هجوم فولتير الذى وصف هؤلاء الأسلاف الفرنجة بأنهم «أشبه بالوحوش تطلب المرعى والمأوى والثياب القليلة تتقى بها الثلج»

مع ذلك فهناك جانب من الحقيقة فى النظرية. فمن المعروف أن النظام الاقطاعى قد قام فى أوروبا على أثر انهيار الامبراطورية الرومانية تحت جحافل البرابرة الجرمان، وتأسيسهم ممالك جديدة داخل حدود الإمبراطورية. فقد كان تأسيس هذه الممالك على أنقاض العالم الرومانى أوضح اشارة لانتهاء العصور القديمة وبداية العصور الوسطى، أو بداية عصر الإقطاع.

وترتب على الحروب الداخلية التى نشبت فى أعقاب هذه الغزوات بين الغزاة أنفسهم، أن أخذت السلطة المركزية فى التدهور، وظهرت طبقة جديدة من النبلاء من أتباع الملك سرعان ما ازدادت قوتها بسبب الامتيازات التى حصلت عليها، وأصبحت فى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يدها جميع السلطات، كالقضاء وتجنيد الجيش وجمع الضرائب وغيرها. وكانت هذه الطبقة هى التى توارثت الحكم فى فرنسا حتى بعد قيام الدولة القومية فى أوائل العصور الحديثة، التى قامت على أساس الولاء للملك الذى يمثل شخصية الأمة.

على أن نظرية الدم - من جانب آخر - لم تكن تمثل كل الحقيقة، لأن الملكية كانت قد أطاحت بهذا المفهوم ببيعها ألقاب الشرف لأفراد من الطبقة البرجوازية ممن يحيون حياة النبل، وذلك تحت افتقارها وحاجتها إلى المال. كما أن الأسر الإقطاعية نفسها قد أفسدت دمها النبيل بـ «تسميد أراضيهم» - على حد تعبيرهم الأنيق - بالزواج غير المتكافئ من وارثات برجوازيات.

وعلى ذلك فقد كان من المحال أن يزعم زاعم فى أواخر القرن الثامن عشر أن النبلاء - نقصد بهم أفراد الطبقة الإقطاعية - يتميزون بيولوجيا عن بقية السكان.

وقد انقسمت طبقة النبلاء إلى عدة أجنحة تتناقض مصالحها تناقضا بينا. فإلى جانب الانقسام العرقى السالف الذكر، كان هناك انقسام حسب الوظيفة الاجتماعية.

فقد كانت الأسر الحربية Noblesse d'épée تحتقر الموظفين الحكوميين وأعضاء البرلمان الذين رفعوا إلى مرتبة النبلاء. وهؤلاء يحتقرون نبلاء المدن من سراة البورجوازيين الذين اشتروا وظائف شرفية تضفى على شاغلها نبلا شخصيا أو وراثيا.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كذلك كان هناك انقسام بين نبلاء البلاط ونبلاء الأقاليم، نتيجة مباشرة لسياسة المركزية التى اتبعها لويس الرابع عشر.

ذلك أن المعاشات والمنح والوظائف كانت وقفا على أفراد أسر البلاط والمقيمة فى فرساى فى الغالب، وهم قلة يتراوح عددهم بين ٤ آلاف و ٢٠ ألف من بين مجموع النبلاء، البالغ عددهم ٤٠٠ ألف. وكان هؤلاء يختارون من أسر نبلاء السيف العريقة. وكانت هذه الطبقة من نبلاء البلاط تبدى الاحتقار لجلافة نبلاء الريف!. أما هؤلاء فكانوا يكنون الاحتقار الصريح لنبلاء البلاط الذين يسمونهم «المتحذلقين من ذوى الحلل المذهبة الذين يحيطون بالملك».

يضاف إلى ذلك أن ثراء طبقة النبلاء، وموارد دخلها، وعاداتها وتقاليدها المقررة، كانت تتفاوت من إقليم لآخر تفاوتا هائلا. فلم يكن ثمة شبه بين صورة النبيل الريفى الخامل فى Brit-tany وبين مزارعى سهل تولوز الأثرياء، أو نبلاء إقليم بوردو Bor-deaux المشتغلين بزراعة الكروم، أو أرستقراطيى ليون ذوى العقلية الصناعية. كما كان إلى جانب الدوق أورليان Orlean، الذى كان من أغنى أغنياء فرنسا، نبلاء أقاليم يحرثون أرضهم الصغيرة الرقعة بأنفسهم.

على أن النبلاء، رغم هذا الاختلاف والتناقضات الكبيرة داخل صفوفهم، كانوا سواء فى التمتع بمركز ممتاز فى المجتمع، قائم على زعم أنهم طبقة ملاك إقطاعية، تشارك فى الحكومة الملكية، وتخدم الملك فى الحرب، وتحفظ النظام فى الريف.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكانت هذه الطبقة فى مجملها تملك خمس الأراضى فى فرنسا. وكانوا معفون من ضريبة التاى Taille العقارية، وهى أقدم الضرائب المباشرة، ومن السخرة الملكية لبناء الطرق وصيانتها التى عممت فى القرن الثامن عشر.

وقد حاول الملك لويس الرابع عشر وخلفاؤه فرض الضرائب على النبلاء، ولم تنجح محاولاتهم الا نجاحا يسيرا. فقد فرضت ضريبتان: هما ضريبة الرءوس Capitation والضريبة العشرينية أو ضريبة الدخل Vigntieme على جميع الرعايا نظريا، ولكن الاقطاعى كان يعفى منها على جزء من أرضه المزروعة إذا زرعها بنفسه، وعلى مروجة وبساتينه وكرومه.

يضاف إلى ذلك أن مناصب الحكم المهمة كانت مخصصة للنبلاء الإقطاعيين، كمناصب القيادة فى القوات المسلحة، ومناصب السفراء، والمناصب العليا فى الكنيسة. ففى هذه المجالات جميعها كانت أعلى المراكز حكرا للأسر الإقطاعية الكبرى بفرساى، فى حين كانت وظائف الدرجة الثانية منها حكرا على نبلاء الريف.

على هذا النحو كانت الطبقة الإقطاعية تشترك فى الحكم، فى حين كانت الطبقة البرجوازية، التى لم تكن تقل ثراء عنها، وإن كانت ثروتها تتركز فى التجارة والصناعة ـ محرومة منه. ومن ثم فقد كان من الضرورى أن يقوم الصراع بين الطبقتين.

وفيما يتصل بالطبقة البورجوازية، فقد استطاعت استغلال حاجة الملكية المتزايدة للمال فى شراء بعض الوظائف المدنية والعسكرية فى الدولة، وحرمان الإقطاعيين، الذين عجزوا عن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المزايدة عليها منها. وبلغ سلطان المال مبلغا لم يكن معه بد ـ حتى فى فرساى نفسها ـ من السماح للبورجوازيين بالجلوس على مائدة القمار الملكية، للاحتفاظ بعدد اللاعبين!

• وقد أقيمت فى حكم لويس السادس عشر ـ على الأخص ـ سلسلة من السدود لصد التيار البورجوازى الداهم. ولكن الصعوبات لم تكن هينة، لأن النبلاء المدينين للبورجوازيين أرادوا استخدام نفوذهم لخدمة دائنيهم البرجوازيين.

وفى الحقيقة أن دخول البورجوازيين فى صفوف النبلاء كان يتزايد من قبل الثورة الفرنسية بقرنين من الزمان. فقد أسفرت الأبحاث التى أجريت فى ذلك الحين عن تأييد ما قدره نيكير Necker من أن نصف النبلاء تقريبا فى عام ١٧٨٩م كانوا قد حصلوا على ألقاب النبل خلال القرنين السابقين!

وهنا يجدر ملاحظة أن هذين القرنين قد شهدا نمو البورجوازية الأوروبية فى ظل الدولة القومية، وأن البورجوازية فى ذلك الحين كانت أكبر عون للملكية فى مواجهة أمراء الإقطاع. وفى خلال القرن الثامن عشر الميلادى كان دخول أفراد من الطبقة البورجوازية فى صفوف الطبقة الإقطاعية الفرنسية يسير بخطى حثيثة بسبب ثراء هذه الطبقة البورجوازية وافتقار التاج.

ويمكن القول إن البورجوازية كانت تتكون من ثلاثة أجنحة:

الجناح الأول، جناح أصحاب المهن الحرة.

والجناح الثانى، جناح رجال المال والأعمال.

وأما الجناح الثالث فجناح أصحاب السفن والتجارة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفيما يتصل بالجناح الأول، فإن الملكية الفرنسية كانت قد أعانت على تطوير الطبقة الوسطى من المشتغلين بالقانون والإدارة، تحقيقا لأهدافها. وكثيرا ما كانت هذه الطبقة فى الماضى حليفا لها ضد أشراف الإقطاع. وقد أتاح النظام القديم بمحاكمه التى لا حصر لها وبيروقراطيته الواسعة، العمل وفرصة الثراء لأمثال هؤلاء الرجال، والدخول فى صفوف طبقة النبلاء فى النهاية.

ويمكن القول بوجه عام إن موقف المحامين والموظفين الملكيين من الطبقة الإقطاعية كان موقف التطلع لا الخصومة! ولم يتبدل هذا الموقف إلى الخصومة إلا حين أخذت أبواب الدخول فى الطبقة الاقطاعية تغلق فى وجوههم واحدا وراء الآخر. وقد غير اثنان من هؤلاء المحامين اسميهما من Derobespierre, Danton إلى De Robespierre, d'Anton وهما يجهلان ما يخبئه القدر! والأمثلة المشابهة كثيرة.

أما رجال المال والأعمال فقد شقوا طريقهم فى الحياة، تعينهم حينا الإنعامات أو الترخيصات أو الاحتكارات، ولكن بوجه الإجمال خارج إطار الإقطاع، أى إطار الملك والحكومة، والنبلاء، والفلاحين.

ومع ذلك فإن أرفع فئات رجال المال والأعمال، وهم المصرفيون، ساقتهم الظروف إلى اتصال أوثق بالحكومة الملكية، وانتهى الأمر بالحكومة إلى الاعتماد على معونتهم.

فقد استؤنف تأجير التزام جمع الضرائب فى سنة ١٧٢٦م، وبالتدريج أصبح الملتزمون العموميون Fermiers generaux الذين تعاقدوا لجمع هذه الضرائب فرعا من الحكومة ذاتها تقريبا.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وعندما عجز التاج ابتداء من عام ١٧٥٠م عن رد التأمين للملتزمين عند نهاية عقدهم، بات هؤلاء دائنين للحكومة باستمرار، واستغلوا ضعف التاج في شراء حق توريث وظائفهم لأبنائهم، الأمر الذى جعل هذه الفئة طبقة منغلقة تقريبا رثيقة الصلة بالحكومة، تزوج بناتها لأرقى النبلاء.

فلما ساء المركز المالى للحكومة، أضيف إلى مواردها من الملتزمين العموميين قروض من السوق المالية الدولية، فأفضى هذا إلى اتصال نفر من المصرفيين الدوليين بالتاج، وأبرز هؤلاء نيكير Jaques Necker.

ويلى هؤلاء الماليين، الذين كانوا وثيقى الصلة بالحكومة، أصحاب السفن والتجار. ولم يكن هؤلاء بأقل امتناعا على الإغراء، الذى زين لهم اعتزال أعمالهم وبناء البيوت الريفية والحياة على طريقة النبلاء!. وإن كانوا أقل من المحامين ميلا إلى اعتبار الوصول إلى مراتب الشرف والنبل، النهاية الممكنة الوحيدة لحياتهم المهنية الناجحة.

ومع ذلك فإن إقبال أثريائهم على شراء ألقاب الشرف قد جعل نيكير يأسف قائلا: «إننى لا أتردد فى تأكيد القول بأن هذه النزعة تعطل نمو التجارة الفرنسية بأسرها، فالتجارة هى من أهم الأسباب التى ساعدت كثيرا من الأمم، التى لا تلحظ فيها فوارق المركز الاجتماعى بمثل هذه الحدة، على التفوق على فرنسا فى كثير من الميادين».

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على أن نيكير قد نسى أن تطلع هذه الطبقة إلى ألقاب النبل، والدخول فى طبقة النبلاء كان له ما يبرره، وهو ارتباط وظائف الحكم المهمة بالنبالة!

فهذه الطبقة حين كانت تشترى ألقاب النبل، كانت فى الوقت نفسه تدفع بنفسها إلى مراكز السلطة. لذلك نلاحظ أن اهتمام هذه الطبقة لم يقتصر على المركز الاجتماعى وحده، بل تعداه إلى الحرية المدنية والتحرر من نير الحكومة المستبدة.

على أنه لما كانت الحكومة النيابية فى النظام القديم ترتكز على «البرلمانات» (المحاكم العليا) ومجالس الطبقات الإقليمية، التى كانت معاقل للرجعية الإقطاعية، فقد وجدت الطبقة البرجوازية نفسها فى حيرة: فمهاجمة الحكم المطلق معناها اطلاق يد الطبقة الإقطاعية التى تتناقض مصالحها معها وتفردها. ولذلك كان الحل هو محاولة الدخول فى صفوف الطبقة الإقطاعية ومشاركتها فى الحكم!

على كل حال فقد لقى هذا الهجوم البرجوازى مقاومة عنيدة من الطبقة الإقطاعية. وقد بلغت هذه المقاومة أشدها فى عهد لويس السادس عشر. فقد نجحت جهود هذه الطبقة والحكومة الملكية متضافرة، وشيئا فشيئاً، فى سد معظم الثغرات التى تنفذ منها البرجوازية إلى الحكم.

وكانت الملكية قد فطنت إلى المفهوم الذى تحمله الطبقة البرجوازية عن الديموقراطية أو الحكومة النيابية، وهو مفهوم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يستهدف سلطات الملك وسلطات النبلاء معا، لا سلطان النبلاء فقط، لذلك فسرعان ما أخذ الملك يتجه أكثر فأكثر إلى صفوف النبلاء ليملأ منهم كراسى الأسقفيات الشاغرة، كما قرر أن تكون جميع الترقيات إلى مناصب الكنيسة، من أبسط الأديرة إلى أغناها، وقفا على النبلاء، وما وافت سنة ١٧٨٩م حتى كان جميع الأساقفة بالتأكيد من النبلاء.

على أن أروع انتصار للطبقة الإقطاعية على البرجوازية كان «قرار سيجور Segur» سنة ١٧٨٦م، الذى قصر تعيين نبلاء الجيش ـ فيما عدا استثناءات قليلة ـ على من يثبتون انحدارهم من أربعة أجيال من النبلاء!

ولما كان نبلاء البلاط بصفة خاصة يختارون من أسر نبلاء السيف العريقة كما ذكرنا، فقد كانوا وحدهم الذين استفادوا من هذا القرار على حساب النبلاء الجدد البورجوازيين ونبلاء الأقاليم المغمورين، وسرعان ما غزا أبناء أسر البلاط الكليات الحربية الخمس التى أنشئت فى سنة ١٧٧٧ لينتفع بها نبلاء الأقاليم. وفى سنة ١٧٨٨م تقرر أن تكون قيادة الفرق العسكرية (من الناحية الفعلية) وقفا على نبلاء البلاط.

وبذلك قضى على آمال النبلاء الجدد من البورجوازيين تماما، فإن انغلاق الطبقة الإقطاعية على هذا النحو قد حرمهم من منافع عملية بالغة الأهمية، كان مركزهم من قبل يتيحها لهم. فنشأ نتيجة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لذلك تناقض حاد فى المصالح بين الفريقين، وزادت حدة التناقض بين نظام المراتب الاجتماعى والبناء الاقتصادى للبلاد.

ثم زاد الأمر أن التجار والصناع على السواء، كانوا يعانون من المكوس والحواجز الجمركية الداخلية، التى كان النبلاء مسئولين عن بعضها مسئولية مباشرة، والتى دافعت عنها البرلمانات ومجالس الطبقات الإقليمية أمام محاولات الملكية لفرض الوحدة فى جميع أرجاء فرنسا، هذا فضلا عن نظام طوائف الحرف الفاسد الذى يعوق سوق العمل. وبذلك أصبح النظام الحكومى والإقطاعى يقف عقبة أكيدة فى طريق تقدم هذه الطبقة وباتت تتوق لقلبه والتخلص منه.

(٢) التناقض بين الطبقة الإقطاعية والفلاحين :

بعد أن انتهينا فى إيجاز من عرض التناقض بين الطبقة الإقطاعية والطبقة البورجوازية، ننتقل لعرض التناقض بين الطبقة الإقطاعية والفلاحين.

كان أكثر من عشرين مليونا من السكان الفرنسيين، البالغ عددهم ٢٦ مليونا، يعيشون على الأرض الزراعية فى أواخر القرن الثامن عشر. وكانت المسألة الزراعية فيها على جانب كبير من التعقيد.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فقد تفردت فرنسا عن غيرها من دول أوربا بوجود الامتيازات الإقطاعية جنبا إلى جنب مع طبقة من الفلاحين الذين يعتبرون ملاكا لأراضيهم إلى حد كبير. وكان قلة منهم فقط هى التى ملكت من الأرض ما يكفى لإعالة أسرهم على مدار السنة، أما الغالبية الكبرى فكانوا من الفلاحين الإجراء، أى الذين يملكون مساحة من الأرض لا تكفيهم غلتها ويضطرون إلى العمل أجراء – جزءاً من السنة، وكانت نسبة منهم قادرة على استئجار مساحة من الأرض إذا أضيفت إلى الأرض التى يملكونها كفتهم غلتها.

أى كان هناك ثلاث فئات: مالك تكفيه غلة أرضه، ومالك قادر على استئجار أرض إلى جانب أرضه، ومالك مضطر إلى تأجير عمله.

وكان إطعام أسرة واحدة يقتضى زرع عشرين فدانا من الأرض الجيدة، ولما كانت غالبية الفلاحين أفقر من أن تستطيع استئجار أراض إلى جانب الأراضى التى تملكها، وعاجزة عن اقتناء البهائم والأدوات الزراعية، فقد أصبح معظمهم مشاركين للمالك يعملون بطريقة المزارعة metayers، أى يزودهم بالبهائم والأدوات مقابل نصف المحصول وقدر من الخدمة فى أرضه عادة.

وكان على الفلاحين أن يؤدوا كثيرا من الواجبات ذات الأصل الإقطاعى، التى كانت تمثل فى وقت من الأوقات العلاقة القائمة بينهم وبين سادتهم الإقطاعيين، ولكنها أصبحت الآن، بعد أن فقدت كل معناها الاجتماعى، مجرد أعباء مثيرة للسخط.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكانت الامتيازات الإقطاعية نوعين: نوع يتعلق بالأرض، ونوع يتعلق بالأشخاص.

أما النوع الذى يتعلق بالأرض فيتمثل فى الرسوم التى تدفع عند بيع قطعة أرض، أو التى تدفع عند تعيين حدود كل مزرعة، أو الرسوم المحصلة عينيا على مختلف المحصولات وقت الحصاد.

أما النوع الثانى الذى يتعلق بالأشخاص، فيتمثل فى احتكار الشريف للطاحون ومعصرة النبيذ والمخبز، ومنع الغير من ذلك، وفى المحاكم الإقطاعية التى تعزز سلطة الشريف، فضلا عن مده بمورد للدخل، وفى حق برج الحمام الذى يخول للشريف إطعام حمامه على حساب الفلاح، ثم حقوق الصيد التى كانت أهميتها تتمثل فى إتلاف أرض الفلاح. هذا فضلا عن جباية المكوس عند عبور الجسور أو السير فى الطرق، والخدمات العسكرية والمدنية وأنواع الخدمات التى كان مكلفا بها أهل الإقطاعية.

ولقد كانت هذه الامتيازات الإقطاعية تمثل بالنسبة للشريف الإقطاعى مورد دخل إضافى، ووسيلة للهيمنة على الجماعات الفلاحية، وسلاحا لنزع أملاك الفلاحين الذين أغرقتهم متأخرات الإيجار المتراكمة عليهم فى الديون لسادتهم الإقطاعيين.

وكانت لوائح الأطيان Terries التى تعدد حقوق السيد، تجدد باستمرار منعا لسقوط الحقوق القديمة بالتقادم، وأحيانا لتحويل التقليد إلى سابقة قانونية! وتمكن بعض الاقطاعيين الذين استعانوا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بمحامين تخصصوا فى القضاء الإقطاعى من اكتشاف حقوق لم تنفذ منذ سنوات كثيرة، فاستطاعوا أن يطا لبوا بمتأخراتها

وقد أسفر هذا الضغط «الإقطاعى» المتزايد عن سيل من الاتهام والقضايا، وأعمال العنف من جانب الفلاحين، فتفاقمت بذلك التوترات الاجتماعية فى الريف.

هذا على كل حال يمثل جانبا واحدا من التناقض بين الفلاحين والنبلاء، وهو الحقوق الإقطاعية. أما الجانب الآخر فيتمثل فى عدم المساواة فى الحقوق والواجبات أمام القانون.

فقد أشرنا إلى أن النبلاء كانوا يعفون من ضريبة التاى Taille، وهى الضريبة العقارية المفروضة على الأراضى والمسكن، ومن السخرة الملكية لبناء الطرق وصيانتها، وضريبة الرءوس Cap-itation وضريبة الدخل Vigntieme. وبذلك تعدى سخط الفلاحين النبلاء إلى النظام نفسه: نظام العلاقة الإنتاجية الذى يسند مصالح هؤلاء النبلاء.

فإذا ما بلغنا سنة ١٧٨٩م وجدنا جانبا كبيرا من الريف قد تهيأ للثورة. لقد كان العدو الحقيقى لأغلب الفلاحين هو مالك الأرض الكبير، نبيلا كان أو بورجوازيا أو مزارعا حرا، الذى يهددهم جشعه بانتزاع أراضيهم.

ولكن أهم مالك فى القرية هو الشريف الإقطاعى، الذى كان مسئولا عن عبء الرسوم الإقطاعية المتزايد. وكان إعفاؤه من

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الضرائب الملكية وعدم دفع نصيبه الكامل منها، سببا فى زيادة وطأتها وثقلها على كاهل الفلاحين.

وكانت المحاكم الإقطاعية تسند الشريف، الذى كان استغلاله للامتيازات الطبقية استغلال المحترفين، عبئا ثقيلا على كواهل الفلاحين، فى حين لم تكن الإدارة الملكية تعير تظلمات الفلاحين إلا أذنا صماء. وهكذا تهيأ الريف للثورة.

(٣) التناقض داخل الكنيسة وبينها وبين الفلاحين:

كانت الكنيسة الفرنسية فى القرن الثامن عشر هيئة شبه مستقلة استقلالا ذاتيا، تتدخل فى حياة المجتمع السياسى والاجتماعى والاقتصادى على جميع المستويات، وتفلت فى الوقت نفسه من هيمنة الدولة.

ومع أن الكهنة لم يتجاوز عددهم ١٠٠ ألف، فإنهم ملكوا عشر الأرض، فضلا عن التمتع بدخل لايستهان به من العشور المفروضة على الفلاحين، وكانوا يحكمون أنفسهم بمجامع تجتمع مرة كل خمس سنوات.

وكان للكنيسة إدارتها الخاصة، وهى مسئولة عن ماليتها. وكانت معفاة من الضرائب. ولكنها قدمت منحة للتاج استطاعت بها أن تفرض الضغط المالى على الحكومة، عن طريق التهديد بقطع هذه المعونة للخزانة أو خفضها

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولم تكن الكنيسة مستقلة ذاتيا وحسب، بل إنها مارست كثيرا من السلطة التى طالبت بها الحكومات المدنية فيما بعد. فقد كانت تهيمن على التعليم هيمنة تكاد تكون تامة، وكان الإعلام فى قبضتها جزئيا، لأن منبر الكنيسة كان الوسيلة الوحيدة لنشر الدعوة لسياسات الحكومة على جمهور كبير معظمه من الأميين. أضف إلى ذلك أن الكنيسة كانت فى استطاعتها منع المطبوعات التى ترى فيها خطرا على الدين أو الأخلاق.

ولم تكن الكنيسة مالكة كبيرة للأرض فحسب، بل مصدرا للعمالة فى المدن، وعلى سبيل المثال فقد كانت الطوائف والطرق الدينية تمد معظم المستشفيات بموظفيها.

وكان النبلاء والبورجوازيون قد تربوا فى مدارسها، والسكان جميعا يحتفلون بأعيادها الدينية، وكانت أملاكها تشغل أجزاء كبيرة من المدن، ففى تولوز Toulouse فى الجنوب وأنجيه Angers شغلت المبانى الكنسية وحدائقها نحو نصف المدينة.

وكان نظام الكنيسة الفرنسية مرآة تعكس نظام المجتمع العلمانى! فقد فرق هذا النظام تفرقة حادة بين القيادة الكهنوتية الحاكمة والقاعدة من رجال الدين المعسرين. وكانت هذه التفرقة تقوم أساسا على شرف المولد.

فقد كان الأساقفة كلهم من النبلاء، كذلك كانت رئاسة كثير من المجامع الكهنوتية «والبيوت الدينية» للرجال والنساء، حكرا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

للطبقة الإقطاعية دون غيرها، بل كثيرا ماكان رؤساء الأديرة ورئيساتها ونظار الكنائس يعينون وهم بعد أحداث! وشاع الجمع بين المناصب، وكفلت الرواتب الكنسية السخية والمنافع المتجمعة رزقا مربحا لرجال الدين النبلاء.

وقد عين بعض كهنة المجامع الصغيرة فى مناصبهم بفضل أسراتهم البورجوازية القوية، ولكن الغنائم الكبرى ظلت بعيدة عنهم. فقد كانت العشور تنقل لصالح الأديرة أو كهنة الكاتدرائيات، ويترك للخورى Curé إعانة بسيطة، مما دعا الكثيرين منهم إلى استكمالها عن طريق القيام بعمل إضافى متواضع،

أما القساوسة الوكلاء Vicaires الذين لم يتيسر لهم هذا العمل الإضافى فكانوا يعيشون فى فقر مدفع.

وإلى جانب التناقض الداخلى داخل الكنيسة بين الأساقفة النبلاء ورجال الدين من المراتب الصغرى، فقد قام التناقض بينها وبين الفلاحين. فقد شاركت الكنيسة - بوصفها مالكة كبرى للأرض، ومالكة ملكية إقطاعية - فى إدارة أملاكها إدارة غلبت عليها روح الكسب، الأمر الذى رأى فيه الفلاحون جشعا وبخلا قبيحا.

وقبل الثورة الفرنسية كان رجال الطبقة الدنيا من الكهنة قد أخذوا يهاجمون ماسموه «بتسلط النبلاء الأرستقراطى داخل الكهنوت»، ويطالبون بالمزيد من النفوذ داخل المجامع الخمسية. وقد أفضى تمرد» الخوارنة» عام ١٧٨٠م، الذى طالبوا فيه بتمثيل أكبر فى مكاتب الأسقفيات، إلى إعلان ملكى حرم عليهم «تشكيل أى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اتحاد أو حلف» (وهو مثال آخر لاستعداد الملك تسخير اهتمامه بالدين لمصالح الطبقة الأرستقراطية!). ولما كان قسس الأبرشيات يسيطرون فى الغالب على مسامع جمهور كنائسهم، متمتعين بعطف الناقدين المثقفين لكبار رجال الدين، فقد ضاعف هذا التصدع فى صفوف الكنيسة من الخطر على رؤساء الدين.

وقد أتيح لكهنة أنجيه Angers فيما بعد الحصول للقساوسة على كل المقاعد الأربعة فى مجلس طبقات الأمة فى ١٧٨٩م.

وقد بلغت التوترات الكامنة داخل الكنيسة ذورتها فى عام ١٧٨٨م حين خرج المجمع الكهنوتى على تحالفه التقليدى مع التاج، وانضم إلىَ النبلاء فى الهجوم على الملكية. فقد أسفرت هذه المحاولة السياسية التى قام بها رجال الدين عن تفاقم الصراعات الداخلية وتحريض القساوسة على التحالف بدورهم مع البورجوازية.

(٤) التناقض بين الإقطاعيين والملكية :

تمتد جذور التناقض بين الإقطاع والملكية إلى العصور الوسطى، حين أخذت السلطة المركزية فى التدهور نتيجة للحروب الداخلية التى نشبت بين الممالك الجرمانية التى تأسست على أنقاض الإمبراطورية الرومانية، وظهرت طبقة جديدة من النبلاء من أتباع الملك حصلت على امتيازات واسعة، واستجمعت فى يدها جميع السلطات كالقضاء وجمع الضرائب. وقد سارع كثير من

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

صغار الملاك إلى التنازل لها عن أملاكهم حتى يعيشوا فى حمايتها.

ومنذ ذلك الحين كان النزاع يدب بين الملكية وأمراء الإقطاع، كلما ظهر ملك قوى الشخصية يرغب فى تقوية سلطة التاج على حساب أمراء الإقطاع.

ولكن لما كان الإقطاع مرتبطا وقائما على أوضاع أقتصادية معينة وعلاقات اقتصادية معينة، فلم يكن من الممكن تحطيم سلطة أمراء الإقطاع إلا بعد تغيير هذه الأوضاع الإقتصادية وتغير العلاقات الاقتصادية معها.

وهو ماحدث بعد ظهور الطبقة البورجوازية، التى قامت على أساس التجارة والصناعة بدلا من الزراعة، وما صحب نشأة هذه الطبقة من قيام المدن التجارية التى اتسع نشاطها وازدهرت ازدهارا كبيرا. فقد وقع التناقض بين هذه الطبقة والطبقة الإقطاعية بسبب القيود والحواجز الإقطاعية التى تعرقل حركة التجارة.

ولذلك فقد تحالفت الطبقة البورجوازية مع الملوك ضد الأمراء الإقطاعيين الذين أخذ نفوذهم فى التدهور منذ الحروب الصليبية، وهكذا راحت سلطات الأمراء الإقطاعيين تتجمع فى يد الملك، وبدأت الملكيات تقوى وتتركز فى الحدود التى تجمعها فى معظم الأحيان لغة واحدة وجنس واحد ومذهب دينى واحد.

منذ ذلك الحين أخذ التناقض المزدوج بين الملكية وأمراء الاقطاع من جهة، وبين البورجوازية وأمراء الإقطاع من جهة أخرى، يفعل فعله فى حركة التاريخ.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ففيما يختص بالصراع بين الملكية وأمراء الإقطاع، فقد رفع أمراء الإقطاع شعار الديمقراطية فى مواجهة الأوتوقراطية، أو شعار مشاركة الشعب في الحكم فى مواجهة الحكم المطلق. ولكن الحكم الديمقراطى كان يعنى فى نظرهم حكم طبقة النبلاء وحدها.

وفيما يختص بالصراع بين البورجوازية والإقطاع، فقد رفعت البورجوازية أيضا شعار الحكم الديمقراطى فى مواجهة الحكم المطلق وحكم أمراء الاقطاع، ولكن الحكم الديموقراطى كان فى نظرهم يعنى حكم طبقتهم وحدها دون غيرها من طبقات الشعب الأدنى مرتبة.

وقد شهد القرن السابع عشر صراعا داميا بين الملكية والإقطاع فى عهد ريشيليو Richelieu ومازاران Mazarin، ولكن فى القرن الثامن عشر كان الحكم المطلق فى فرنسا يسير فى طريق الاضمحلال. صحيح أن الجهاز الإدارى المركز الذى أنشأه ريشيليوومازاران ولويس الرابع عشر ظل يحكم الدولة من فرساى، وأن «الإرادة الملكية» أو «الخطابات المهورة» Lettre de Cachet ظلت أهم عامل فى تقرير كل ناحية تقريبا من نواحى السياسة الخارجية والاقتصادية والدينية، ولكن نبلاء البلاط لم يلبثوا أن تسللوا إلى الحكم وأخذوا يحتكرون المناصب الوزارية. وما وافى عام ١٧٨٩م حتى كان جميع الوزراء من النبلاء، الا فردا واحدا هو نيكير المصرفى السويسرى.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى الوقت نفسه أخذت الأجهزة التى استخدمتها الملكية للسيطرة على الطبقة الأرستقراطية تتحول هى ذاتها إلى أجهزة أرستقراطية.

ولعل «البرلمانات» أبرز مثال على هذا التحول. فهذه المحاكم الثلاث عشرة، التى كان من المهام الموكولة إليها أيضا تسجيل أوامر الملك، لم تلبث أن تطلعت إلى حق النقض (الفيتو)، وأخذت المناصب الرئيسية فى برلمان باريس، حتى فى حكم لويس الرابع عشر، تتركز شيئا فشيئا فى بعض الأسر القضائية العريقة كأسرة لاموانيون La Moignon وغيرها.

ومن جهة أخرى فقد خلع التاج ألقاب النبل القابل للنقل على جميع مستشارى برلمان باريس سنة ١٦٤٤م. وقوى هذا الاتجاه فى القرن الثامن عشر، وامتد حتى هبط إلى الموظفين القضائيين المختصين بنظر العرائض، وهم موظفو التاج الذين كانت تختار من بين صفوفهم الكثرة الغالبة من النظار أو المفتشين الملكيين In-tendants. ونتيجة لذلك، فإن هؤلاء الموظفين الذين أوجدتهم الملكية وكلاء لها فى السيطرة على نبلاء الأقاليم، أصبحوا أنفسهم نبلاء!

على أن طبقة النبلاء لم ترض عن وضعها، رغم الانتصارات المحدودة التى أحرزتها، لأن أداة الحكم المركزى المطلق ظلت سليمة لم يمسها سوء. فمجالس الطبقات التى ماتت فى القرن السابع

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عشر لم تبعث من قبرها، ونبلاء الأقاليم لم يزد نفوذهم السياسى. وقد يكون المتصرف فى سياسة الحكومة نبيلا كالدوق دى شوازيل، ولكن أساليب الحكومة ظلت تعسفية شأنها من قبل. وكانت الإرادة الملكية أو الخطابات المختومة Lettre de Cachet مايزال فى وسعها الزج بالنبيل فى سجن الباستيل. ولم يكن لنبلاء البلاط أنفسهم سيطرة جماعية على سياسة الدولة.

ومن ثم فقد شهد القرن الثامن عشر محاولة متزايدة من مختلف صفوف النبلاء لتحدى الحكومة الملكية، فقد ندد نبلاء الأسر الكبيرة الموجودون فى فرساى «بالاستبداد الوزارى»، وزعمت البرلمانات أن لها حق نقض القوانين «غير الدستورية». أما نبلاء الأقاليم فطالبوا برد مجالس طبقاتهم الإقليمية.

يتضح إذن أن من أهم ألوان الصراع السياسى الذى ساد فرنسا فى القرن الثامن عشر، هو كفاح النبلاء الإقطاعيين ضد سلطة الحكم الملكى. وفى الواقع إن هذا الصراع كان هو الذى فجر الثورة الفرنسية. كما سوف نرى.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثانياً : النظرية الثورية (الأيديولوجية)

أوضحنا فى دراستنا السابقة توافر الخسائر الثورية فى المجتمع الفرنسى فى التناقضات بين الطبقات. أما النظرية الثورية فقد توافرت بشكل مافى صورة الأفكار والنظريات التى ظهرت فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر على يد بعض الفلاسفة والمفكرين.

ويهمنا توضيح الظروف الاقتصادية التى أفرزت هذه النظريات. فقد رأينا كيف تكونت الدولة الفرنسية على أنقاض النظام الإقطاعى، وكيف قامت هذه الدولة على أساس ولاء الفرد وولاء الأمة للملك الذى يمثل شخصية هذه الأمة. كما رأينا كيف لعبت البورجوازية التجارية دورا كبيرا فى هدم النظام الإقطاعى وإقامة الدولة القومية.

ولكن بعد حركة الكشوف الجغرافية والاستعمار، أخذت كميات من الذهب والفضة تتدفق على أوروبا تدفقا مستمرا، الأمر الذى أدى إلى ازدياد ثراء الطبقة البورجوازية ثراء فاحشا، واتساعها اتساعا كبيرا. وقد أدى هذا بدوره إلى تضاعف حاجة هذه الطبقة إلى المزيد من الحريات. وكان لابد أن يكون ذلك على حساب سلطات الملك.

فبدأ من ثم معنى جديد للدولة القومية، يلغى المعنى الأول الذى يقوم على وجوب الولاء المطلق للملك، ويحل محله الولاء

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

للحكومة التى تمنح الحريات للشعب. وكان هذا المعنى الجديد هو الذى عبرت عنه مجموعة الفلاسفة الذين ظهروا فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر، والذين تمثل أراؤهم ونظرياتهم فى مجملها هجوما على الحكم المطلق، وعلى المؤسسات السياسية والدينية التى تلتف حول هذا النظام.

ففى عام ١٧٤٨م ظهر كتاب مونتسكيو Montesquieu المسمى «روح القوانين» Esprit des Loits، وهو بحث عام فى أشكال الحكومة. وقد صار هذا الكتاب المعين الذى يتزود منه بالأفكار السياسيون الذين ألقيت على عاتقهم مهمة البناء السياسى لبلادهم. وقد تأثر به دستور الولايات المتحدة الأمريكية إلى حد بعيد، وإن كان الكتاب بدوره متأثراً لحد بعيد بالدستور الإنجليزى. وقد أثار فيه مونتسكيو نظرية فصل السلطات الثلاث: التنفيذية والتشريعية والقضائية، ضمانا للعدالة وصونا للحرية، وقد أشاد فيه بالحكومة المقيدة التى تخضع فى تصرفاتها لمجموعة من الضوابط.

وفى عام ١٧٦٤م نشر جان جاك روسو Rousseau، وهو فرنسى من أصل سويسرى من مدينة جنيف، كتاب العقد الاجتماعى "Le Contrat Social" وقد حاول فيه البرهنة على أن الصلة بين الفرد والدولة قد نشأت نتيجة تطور نقل الإنسان من نظام طبيعى Ltat Naturel تغلبت فيه رغبات الفرد الذاتية، إلى نظام اجتماعى Etat Social تنازل فيه الفرد عن رغباته وإرادته إلى المجتمع.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد ترتب على نزول جميع الأفراد عن رغباتهم وإراداتهم الخاصة إلى المجتمع أن أصبح هذا المجتمع نفسه الطرف الثانى فى العقد الاجتماعى، فى حين بقى الأفراد أنفسهم الطرف الأول فى هذا العقد. ولأن الأفراد تنازلوا عن إراداتهم للمجتمع وليس لفرد أو لهيئة معينة، فانهم يكونون متمتعين بكامل حريتهم، لأن التنازل تم بمحض اختيارهم وارادتهم. فالعقد يكفل من هذه الناحية تحقيق الحالة الطبيعية الأولى.

وفى الوقت نفسه، تنشأ عن نزول كل فرد عن إرادته الخاصة ورغباته الخاصة، إرادة عامة Volonté general هى التى يتمتع بها المجتمع وحده، ويصبح المجتمع هو وحده صاحب القوة والسلطان المطلق ومقر السيادة العليا Souveraineté – أى تبقى القوة والسلطة العامة التى هى قوة وسلطة الإرادة العامة.

وقد نشأ عن وجود هذا العقد الاجتماعى قيام الجماعة السياسية، وتكوين الجثمان السياسى الذى هو دعامة الدولة Etat، والذى تستند عليه الدولة فى تكوينها. ولما كانت الإرادة العامة هى القوة العامة، فللشعب أن يغير حكومته متى شاء، لأن كلمة الشعب فى هذه الحالة إنما تعبر عن رغبته وارادته العامة.

ومن ذلك يتضح أن نظرية روسو قامت على افتراض العقد، والحق فى الثورة، وسيادة الشعب. وهذه النظرية تهدم نظرية الحق الإلهى للملوك فى الحكم، وكل الحقوق التى استندت عليها الملكية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد كانت تعاليم روسو الثورية الجارفة، شعار الطبقة البورجوازية، وأصبحت إلهام كل الطبقات فى أثناء الثورة الفرنسية.

وفى ١٧٥١ نشر الفلاسفة أو الأنسيكلوبيديون - Diderot D Almbert - Helvetius - D'Holbach أول أجزاء موسوعتهم التى بلغت بين عامى ١٧٥١ ـ ١٧٦٥ سبعة عشر جزءا. وقد بحثوا فيها موضوعات مهمة مثل : الأرستقراطية، والسلطة Autorité والديمقراطية، والقانون، والحكومة، والرق، والملكية، والسياسة، والسيادة العليا Souverainté وغير ذلك. وكانت أكثر بحوثهم مستقاه من كتاب مونتسكيوروح القوانين. وعندما تحدث الانسيكلوبيديون عن «السلطة» هاجموا مبدأ حق الملوك الإلهى، واشترطوا لشرعية السلطة الملكية موافقة الشعب عليها، وهذه الموافقة الشعبية حتمية ولا سبيل إلى نبذها!

وفى عام ١٧٧٣م نشر البارون دولباخ D'Holbach كتابه "النظام الاجتماعى" Systeme Sociale، وقد تحدث فيه عن نظرية العقد الاجتماعى كما فعل روسو، وكان مما قاله إن هناك عقدا بين الشعوب وقادتها أو رؤسائها، على أساس أن يتعهد هؤلاء القادة بحكم الشعب حكما طيبا، فإذا لم يفعلوا تحرر الشعب من ارتباطه وتعهده، وصار هذا الارتباط والعهد باطلا. ثم هاجم دولباخ الملكية، وحمل حملة عنيفة على رجال الدين الذين اتحدوا مع الملوك الطغاة يستجدون منهم العطايا.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى عام ١٧٦٥م نشر فولتير Voltaire كتيبا بعنوان : «آراء جمهورية»، وصف فيه المجتمعات التى تخضع لاستبداد فرد واحد أو عدد من الأفراد، بأنها فقدت الشجاعة أو القدرة على حكم نفسها بنفسها (ومعنى ذلك حث المجتمعات على إظهار الشجاعة للتحرر من الاستبداد) وعرف الحكومة المدنية بأنها «إرادة الكل يقوم بتنفيذها شخص واحد أو جملة أشخاص تبعا لقوانين يدين الجميع بالخضوع لها». وعرف المساواة فى كتابه «عن الطبائع» Es-sai Sur Les Moeurs بأنها «تمتع الأفراد جميعهم على قدم المساواة بحقهم فى الحرية، وفى الملك، وفى حماية القانون لهم».

وإلى جانب هؤلاء الفلاسفة السياسيين قام فلاسفة اقتصاديون عرفوا فى وقتهم باسم الاقتصاديين Economists وأطلق عليهم بعد ذلك بزمن طويل اسم الفزيوقراط Physiocrats أو الطبيعيون. وعلى رأس هؤلاء فرنسواكسناى Francois Quesnay مؤسس هذه المدرسة. ثم مرسييه دى لاريفييه Merciers de la Riviers الذى وضع مذهب الفزيوكرات فى أسلوب علمى واضح. ثم الماركيزدى ميرابو Marquis de Mirabeau أبو خطيب الثورة المشهور.

ويعتقد الطبيعيون أن القوانين الاقتصادية ماهى إلا قوانين طبيعية. فالقوانين التى تتحكم فى الإنتاج والاستهلاك والتوزيع والأجور، تماثل القوانين التى تحكم التفاعلات الكيميائية وقوانين الجاذبية الأرضية وما إليه. وعلى ذلك يجب أن يقل تدخل الحكومة فى الحياة الاقتصادية إلى أدنى حد ممكن.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد اعتبر الطبيعيون أن الأرض هى أساس الثروة، أما الصناعة فهى مجرد تحويل المادة الأولية التى تنتجها الأرض، وبدونها لا توجد الصناعة. وكذلك التجارة، فماهى الا عملية نقل السلعة من مكان لآخر.

وبنوا على ذلك أن الطبقة الوحيدة المنتجة فى الدولة هى طبقة الفلاحين، وبما أن أصحاب الأراضى هم الطبقة التى تحصل على الناتج الصافى للزراعة، فيجب أن تتحمل هذه الطبقة وحدها عبء دفع الضرائب للحكومة.

ولما كان الإنتاج الزراعى هو أساس الثَرْوة، فيجب على الحكومة تشجيع هذا الإنتاج عن طريق فتح الأسواق للمنتجات الزراعية، وإزالة جميع العراقيل التى تقف فى وجه التجارة الداخلية، وأهمها إزالة الحواجز الجمركية وضرائب المرور بين المقاطعات. ولذلك كان شعار الطبيعيين هو «دع التجارة تمر» Lais-sez passer.

كما طالب الفيزيوقراط بإلغاء النقابات الطائفية، التى تحصر العمل فى فئة معينة هى أهل الحرفة أو الطائفة، واطلاق حرية العمل، مطلقين بذلك الشعار الثانى «دعه يعمل» Laissez faire.

وفى رأيهم أن الحقوق الطبيعية للأفراد، التى تتعلق بالتملك أو الملكية، هى: (أولا) حق الفرد فى امتلاكه نفسه، بمعنى حرية الإنسان فى استخدام كل مواهبه وكفاءاته والتصرف فيها.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويستتبع هذا الحق حق آخر هو «حق العمل»، أى حق الفرد فى أن يعمل. (ثانيا) حق الفرد فى المِلْكية، أى مِلْكية الأشياء التى أنتجها عمله وكانت ثمرة هذا العمل. (ثالثا) حق الفرد فى المِلْكية العقارية Proprieté Fonciere أى مِلْكية الأرض.

ولذا كان «تيرجو» Turgot أحد الذين اعتبروا من مدرسة الاقتصاديين أو الطبيعيين، (ولو أنه كان صاحب آراء أكثر اتصالا بمبادئ آدم سميث فى كتابه «ثروة الأمم» الذى اعتبر أن الأرض ليست وحدها مصدر الثروة، بل إن العمل Labour ورأس المال Cap-ital من مصادر الثروة كذلك). وقد تولى وظيفة مفتش فى الأقاليم Intendant ثم مراقبا عاما للمالية (وزيرا) سنة ١٧٧٤م. وقد اقترح إطلاق حرية تجارة الغلال، وإلغاء المكوس الداخلية بين مختلف المقاطعات، والغاء السخرة (تسخير الفلاحين فى إصلاح الطرق)، وإلغاء نقابات الطوائف والحرف.

ولكن برلمان باريس (الذى كان قد عطله لويس الخامس عشر بسبب شدة نضاله ضده، ونفى جميع قضاته، ثم أعاده لويس السادس عشر والبرلمانات الاقليمية فى أغسطس ١٧٧٤م) - رفض تسجيل هذه القوانين، واستخدم الملك حقه المعروف باسم (سرير العدل Lit de Justice) فى إرغام البرلمان على تسجيل هذه الأوامر والمراسيم، وذلك بالذهاب بنفسه إلى البرلمان، واعلان رئيس المجلس بحضوره رغبة الملك فى أن تصبح الأوامر قوانين.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على أن عصبة من البلاط، أسهمت فيها مارى أنطوانيت، تآمرت على تيرجو، ولم يكن للويس السادس عشر من قوة الشخصية ما يسمح له بمساندة وزيره بعد أن فقد محبة البلاط، فأعفاه من منصبه وعين نيكير» مراقبا للمالية بدلا منه فى ١٧٧٦م.

ولقد كان إلى جانب هؤلاء الفلاسفة والمصلحين الليبراليين مفكرون آخرون اشتراكيون مثل آبيه دى مابلى L'Abbé de Mably ومورللى Morelly ممن اعتبروا الملكية الفردية وخصوصا ملكية الأرض، أساس كل الشرور الاجتماعية والسياسية، وقد أدى بهم البحث إلى اقتراح أنظمة شيوعية واشتراكيه لعلاج هذه المساوئ.

وقد تأثر مابلى «بجمهورية» أفلاطون»، ثم بكتابه الآخر «عن القوانين» ودعا إلى شيوعيه الملك على أساس أن تصبح الدولة وحدها هى المالكة الفعلية لكل شىء، فتقوم بتوزيع ما تملكه على الأفراد، على قاعدة: «لكل حسب حاجته»، دون نظر إلى مواهبه أو كفاءته أو طاقته.

وكان عن طريق مابلى ومابسطه من آراء ونظريات أن صار لأفلاطون تأثير مباشر على الثورة الفرنسية ذاتها، ذلك أن «نادى اليعاقبة» كان يتخذ كتابات «مابلى» مرجعا أساسياً يعتمد عليه فى دعم آرائه وتأييد نشاطه، وبخاصة عندما كانت عقيدة اليعاقبة المهمة إلزام الدولة بإنشاء نوع من الحكم تسود فيه «الفضيلة»، وكانت آراء اليعاقبة الإشتراكية هى اعتبار الملكية الفردية أساس الشرور التى يعانى منها المجتمع.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أما رينال Raynal فلم يكن ذا آراء اشتراكية بارزة، ولكنه هاجم عدم المساواة فى توزيع الثروة، واعتبره منشأ البلاء فى كتابه الذى نشره ١٧٧٠م عن «التاريخ الفلسفى والسياسى لمراكز التجارة الأوروبية فى الهند الشرقية والغربية». كما هاجم رجال الدين والنبلاء والنظام الملكى فى فرنسا، وطالب بتطويع الدين للدولة.

وكان أهم ما تأثر به معاصرو «رينال» آراؤه عن الحرية، التى قسمها إلى طبيعية ومدنية وسياسية، واعتبرها أفضل نعم الله على الإنسان. كما هاجم فكرة الحق الالهى للملوك، التى أذاعها رجال الدين، وقال إن هذا الزعم ليس سوى «قيود من حديد تربط أمة بأسرها بقدمى رجل واحد، وفى وسعها أن تفرض الذل والهوان على أى شعب إذا سمينا أحد الطغاة «أبا» لهذا الشعب، ودعمنا بفضل هذا اللقب استبداده به».

على كل حال فإن قيمة هذه الكتابات للمفكرين أنها قدمت ـ كما ذكرنا ـ للثورة الفرنسية النظرية التى تهتدى بها فى عملها، والتى بدونها كان من المحتم أن تضل طريقها وتفقد هدفها. فضلا عن ذلك فقد كان لهذه الكتابات دور آخر لا تقل أهميته، هو أنها أحيت روح النقد فى الشعب الفرنسى، فأخذت الأوضاع والتقاليد التى كان ينظر إليها نظرة احترام وتقديس تفقد احترامها وقدسيتها لديه، حتى إذا نبذ الناس التقاليد المرعية إنهار البناء الاجتماعى دفعة واحدة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولقد كان أخطر تأثير لهذه الأفكار على النبلاء أنفسهم، الذين كانوا، رغم الامتيازات الهائلة التى يستحوزون عليها، يعتبرون أنفسهم محرومين من السلطة التى هى فى يد الملك.

فصارت هذه الطبقة تشجع البحوث والدراسات الخاصة بنظريات العقد الاجتماعى وحقوق الانسان، كما تشجع التمثيليات التى تظهر مساوئ المجتمع، وتنقد الامتيازات، وتحمل على السلطان المطلق، وتسخر من عجز رجال الحكم والدين على السواء.

وعندما حانت ساعة التغيير الثورى، بلورت الثورة أهدافها فى الشعار الثلاثى: الحرية، المساواة، الإخاء.

وكانت الثورة تقصد بالحرية بادئ الأمر، تأمين الفرد إزاء تصرفات الدولة. وبالمساواة المساواة فى الحقوق المدنية أمام القانون وإلغاء الامتيازات الخاصة. أما الإخاء فقد تمثل فى نظرهم فى الإخاء بين الأفراد والطبقات.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثالثاً : المفجـر الثـورى

انتصار الطبقة الإقطاعية

من أول أغسطس ١٧٨٦ - مايو ١٧٨٩م

سوف يدهش الكثيرون حين يعرفون أن أول من فجر الثورة الفرنسية لم يكن الصراع بين الطبقتين البورجوازية والملكية، وإنما الصراع بين الطبقتين الإقطاعية والملكية، وبمعنى آخر لم تكن الطبقة البورجوازية هى التى فجرت الثورة أولاً وإنما الطبقة الإقطاعية.

وكانت نقطة البداية هى إفلاس الملَكية وحاجتها إلى المال. وكانت المالية الملَكية، التى ظلت تعانى من النقص منذ حكم لويس الرابع عشر، قد انهارت فى النهاية تحت عبء حرب الاستقلال الأمريكية. ومن ثم فلم يعد مفر من زيادة الضرائب على الطبقتين المميزتين (النبلاء ورجال الكنيسة). وأتاح هذا لهما فرصة ذهبية لتحقيق انتصار نهائى على البقية الباقية من الحكم المطلق، باستعمال قوة المال لإكراه الملك على قبول ضرب من الحكم الدستورى يتيح لهما المشاركة بنصيب أوفر فى الحكم.

ففى أغسطس ١٧٨٦م قدم كالون Calonne، الذى كان قد عين مراقباً عاماً للمالية فى نوفمبر ١٧٨٣م، خططا خطيرة إلى لويس السادس عشر تستعيد بها الحكومة الملكية كفايتها المالية من جهة، وتسترجع بها السلطة التى كانت تتسلل من بين أيديها من جهة أخرى.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فقد اقترح كالون إلغاء الحواجز الجمركية الداخلية، وإطلاق الحرية التامة لتجارة الحبوب، وأداء المال بديلا من السخرة، وخفض وتعميم ضريبة الملح. وكان القصد من ذلك اجتذاب تأييد الاقتصاديين والرأى العام عمومًا.

على أن أخطر مافى خطة كالون محاولة أن يستبدل بالضريبة العشرينية التى يقتضى تجديدها تسجيل البرلمانات لها، ضريبة دائمة على الأرض يدفعها كل المالكين العقاريين دون نظر لمركز أصحابها، وكان غرضه من هذه الخطة الماكرة سد حاجة الملكية، فقد قدر أنها ستغل ٥٠ مليون ليرة فى عام ١٧٨٧م، قابلة للازدياد حسب ارتفاع قيمة الأرض. حيث كانت الضريبة من ٢ ـ ٥٪ حسب قيمة الأرض).

وبذلك يفقد نبلاء الرداء ماكان لهم من هيمنة على فرض الضرائب، وعلى السياسة الملكية تبعا لذلك، ومتى اطمأن الوزراء من ناحية المال، أصبحوا أحرارا فى إغفال احتياجات البرلمانيين.

كذلك تضمنت خطة كالون أن يتم تقدير الضرائب بمعرفة مجالس إقليمية جديدة بحيث تتناسب فيها قيمة الضريبة مع ملكية الأرض لامع المركز الاجتماعى. وبذلك تصبح الثروة هى مصدر النفوذ، أما النبالة فلا تضفى على صاحبها أى امتياز. وكان قصده من ذلك إرضاء البورجوازية واشعارها بأنها تشترك فى الإدارة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد كان من الطبيعى أن تثير هذه المقترحات الطبقة الإقطاعية، وأن تتنبه مجالس الطبقات الإقليمة والبرلمانات إلى خطر هذه المقترحات. فلو ألغيت التفرقة المالية بين أراضى النبلاء والأراضى العادية، لفتح هذا الإلغاء الباب لانقراض امتيازات الإقطاعين بكل ألوانها تدريجيا. ومن ناحية رجال الدين فلو قبلت خطة ضريبة الأرض لتَعّين عليهم أن يدفعوا مزيدا من المال، ولأحدث غرس هذا الاسفين المالى صدعا فى استقلالهم الجماعى كطبقة.

وعلى وجه الإجمال فقد أدرك النبلاء ورجال الدين أن الموافقة على ضريبة الأرض والمجالس الجديدة سوف يترتب عليها تعزيز سلطة الحكومة المالية والإدارية. وإدخال مفهوم جديد فى النظام الاجتماعى تكون فيه الثروة العقارية وحدها، وليس النبل، هى معيار الحقوق المدنية والالتزام المالى (مفهوم بورجوازى!) وهكذا شعرت البرلمانات أن الأرستقراطية المميزة هى آخر حصن ضد الحكم الملكى المطلق.

وقد جرت الأحداث على النحو الآتى: فقد فكر كالون فى دعوة مجلس من الأعيان ـ أى من كبار رجال الدين، ونبلاء الرداء، ونبلاء البلاط ـ لاستشارته فى مقترحاته، والحصول على موافقته، ليستخدمها أمام البرلمان دليلا على قبول ممثلى الأرستقراطية لسياسته.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولكن مجلس الأعيان الذى انعقد فى ٢٢/فبراير ١٧٨٧م - خذل كالون، وانهال عليه بالنقد بتحريض من لومنى دى بريين Lomenie de Brienne رئيس أساقفة تولوز الطامع فى الحلول محل كالون.

ورأى كالون أن يلجأ إلى الرأى العام فى نداء وزع مجانا فى جميع أنحاء فرنسا، وقرئ على منابر الكنائس تضمن «تشهيرا رهيبا برجال الدين والنبلاء». ولكن هذا الإجراء أفقده عطف الملكة مارى أنطوانيت التى وإن كانت تعى مايهدد السلطة الملكية من خطر، إلا أنها لم تكن تعطف على سياسة ترى الإستعانة بالرأى العام. فأقيل كالون فى ٨ إبريل ١٧٨٧م، وحل محله دى برين منافسه.

وعلى هذا النحو حققت الطبقة الأرستقراطية أول انتصاراتها فى صراعها مع الحكومة الملكية، فالأعيان الذين دعوا لتقديم المشورة لكالون أطاحوا به.

ولقد كان على بريين بعد تعيينه فى المنصب الجديد أن يواجه برلمان باريس، ولكن البرلمان كان قد شجعه فوز الأعيان، الذين كان بعضهم أعضاء فيه، فاتخذ موقفا راديكاليا لإحباط مشروع ضريبة الأرض، بأن قرر أنه غير مختص بالإذن بفرض ضرائب جديدة، وأن الإذن بهذه الضريبة يقتضى موافقة مجلس طبقات الأمة، وهو هيئة استشارية لم تجتمع منذ ١٦١٤م Etats Generaux.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولم يكن برلمان باريس برلمانا تمثيليا مثل البرلمانات الحديثة، وإنما كان عبارة عن هيئة محكمة قضائية مختصة بتسجيل أوامر الملك، ولكنه فى عام ١٦٤٤م فى عهد لويس الرابع عشر ووزيره مازاران، رفض تسجيل بعض الضرائب، وفى عام ١٧٤٨م رفض تسجيل عدد من الأوامر الملكية، وقدم مطالب إلى البلاط بفرض الإشراف على الضرائب وإلغاء وظائف المأمورين Intendants، وضمان حرية الأفراد ضد الحبس من غير محاكمة بطريق الخطابات المهورة Lettres de Cashet.

و إزاء رفض برلمان باريس الموافقة على فرض الضرائب الجديدة، أقدم لويس السادس عشر يوم ٦ أغسطس ١٧٨٧م على استخدام حقه المعروف باسم سرير العدل Lit de Justice. ولكن البرلمان أعلن بطلان قيد هذه القوانين، ثم أصدر أمرا بمقاضاة كالون، مما اضطره إلى الهرب إلى إنجلترا. وإزاء ذلك، عاقب الملك أعضاء البرلمان بنفيهم إلى تروای Troyes يوم ١٤ أغسطس١٧٨٧م، ولكن المحاكم الأخرى ذات السيادة أيدتهم.

وهنا اضطر بريين إلى التراجع، وقدم مشروعا جديدا بعقد قرض قيمته ١٢٠ مليونا من الليرات على خمس سنوات، على أن يجتمع مجلس طبقات الأمة فى عام ١٧٩٢م. ثم جعل الملك يقدم بسرعة هذا المشروع فى جلسة ملكية (أى باستخدام حق سرير العدل) يوم ١٨ نوفمبر ١٧٨٧م، دون أن يتخذ الإجراءات الشكلية التقليدية الخاصة بالدعوة لمثل هذا الاجتماع.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على أن هذا الاجراء أثار احتجاج دوق دور ليان Duc d'Or-leans، وأعلن الأعضاء بطلان قيد المشروع، فرد لويس بنفى دورليان واثنين من البرلمانيين، فدافع عنهم البرلمان، وهاجم الخطابات المختومة lettres de Cachet، وطالب بالحرية الفردية لرعايا الملك.

وعندئذ أخذ بريين يستعد لاتخاذ إجراء عنيف ضد البرلمان، ولكن البرلمان قطع الطريق عليه بالاتجاه إلى الرأى العام ليكتسب عطفه، ونشر إعلانا حدد فيه الحقوق المفروض أن يتضمنها دستور الملكية المتوارث، وهى أن فرض الضرائب كلها يجب أن يصوت عليها مجلس طبقات الأمة، وأن من حق الرعايا الفرنسيين كلهم ألا يقع القبض عليهم واحتجازهم بطريقة تعسفية، وأنه لايجوز عزل القضاة أو القبض عليهم دون إجراء قانونى صحيح، وأنه لايجوز التعدى على امتيازات الأقاليم الفرنسية.

وإزاء ذلك عمدت الحكومة إلى استخدام القوة. ففى ٥ مايو حاصرت قوة مسلحة قصر العدالة (مكان البرلمان) للقبض على اثنين من القضاة كانا وراء فكرة إصدار الحقوق السالفة الذكر، وقد تحدى أعضاء البرلمان الجنود لمدة ثلاث وعشرين ساعة استسلم بعدها الرجلان.

وفى ٨ مايو ١٧٨٨م أصدر لويس السادس عشر ستة مراسيم تقضى بتعديل النظام القضائى بأسره تعديلا راديكاليا، وبموجبها تقرر أن يعهد بتسجيل المراسيم الملكية إلى محكمة كلية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Cour Pleniere تتألف من أمراء البيت المالك وأشراف فرنسا Pairs de France (وهى هيئة أضيق كثيرا من هيئة اللوردات الإنجليز) وكبار موظفى التاج، فضلا عن القضاة.

كذلك تقرر أن تفقد البرلمانات جانبا كبيرا من عملها القضائى الخالص، وذلك بإنشاء ٤٧ محكمة استئنافية تصدر أحكاما نهائية فى جميع القضايا، عدا أكثرها خطورة. وتقرر أن يفقد السادة الإقطاعيون الذين لايحتفظون بمحاكم مستوفية للشروط، وسجون وموظفين قانونيين مدربين ـ حقهم فى إجراء القضاء. ثم عطلت دورة برلمان باريس. وبذلك حققت الملكية الانتصار على البرلمان.

حققت الملكية انتصارها على البرلمان. ولكن هذا الانتصار لم يكن له قيمة من الناحية الفعلية، فما دامت الحكومة عاجزة عن جمع القروض أو فرض الضرائب الجديدة، فإن انتصارها سوف يكلفها غاليا كالهزيمة!

وقد عقدت الحكومة الأمل على اجتماع غير عادى للمجلس الكهنوتى أن يمدها بإعانة قدرها ٨ ملايين ليرة، ولكنه أبدى احتجاجه على المحكمة الكلية، وأيد حجة البرلمان بأن مجلس طبقات الأمة هو مصدر السلطة المختصة بتقرير الضرائب الجديدة، ولم يتبرع للملك إلا بمبلغ ١٨٠٠٠٠٠ ليرة، توزع على سنتين.

وإزاء ذلك قال بريين : «مادام النبلاء ورجال الدين تخلوا عن الملك، حاميهم الطبيعى، فلابد من الارتماء فى أحضان العامة» (يقصد البورجوازية).

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولكن مقاومة النبلاء ورجال الدين كانت قد أخذت تتخذ أشكالا خطيرة، وقد ظهرت حالات تمرد فى باريس، ثم تفجرت المعارضة فى الأقاليم. وبذلك أبدت الطبقتان المميزتان استعدادهما للالتجاء إلى العنف. ولما كان مركز هاتين الطبقتين فى الجيش والإدارة معروفا، فقد كان معنى ذلك أن التاج لن يستطيع الاعتماد على ولاء خدامه!

وتتضح صورة ماحدث فيما كتبه القائم بالأعمال فى السفارة البريطانية فى أغسطس ١٧٨٨م، فقد كتب يقول: «لايمكن أن تجمع أية ضرائب فى دوفنييه Dauphiné ولا فى غيرها من الأقاليم، وفى كل يوم ترد الأنباء عن وقوع حركة جديدة من حركات التمرد والعصيان فى مختلف أرجاء المملكة».

وما لبثت مقاطعات عديدة أن اشتركت فى المطالبة بدعوة مجلس طبقات الأمة القديم الذى له وحده حق الموافقة على فرض الضرائب، كما أخذت بعض الأقاليم، التى كانت لها فى الماضى مجالس طبقات خاصة بها، تطالب الحكومة بإحياء هذه الهيئات أيضا. وطالب نبلاء الأقاليم، لاسيما فى الأطراف، باللامركزية، وبهيمنة الطبقات صاحبة الامتيازات على الأقاليم.

وفى بريتانى Bretagne كان موقف نبلائها عنيفا ضد مراسيم ٨ مايو ١٧٨٨م، فقد أعلن أحدهم (الكونت بوتريل) نيابة عن النبلاء أن ارتباط بريتانى بالتاج الفرنسى ليس الا ارتباط تعاقد، يبطل إذا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

انتهك الملك شروط الاتحاد الذى تم فى القرن السادس عشر. وبالطبع رفض البرلمان تسجيل المراسيم، وطلب دعوة مجلس الطبقات المحلى، واضطر الملك إلى الموافقة على دعوة مجلس الطبقات المحلى.

وقد أظهر برلمان بيارن Béarn نزعة انفصالية. فقد رفض تسجيل المراسيم الجديدة، ولما فُض البرلمان، هاجم الزراع والرعاة التابعون للنبلاء، الناظر الملكى وقائد الجيش، وأعادوا عقد البرلمان، الذى أصدر تصريحا احتج فيه على تطبيق مراسيم على منطقة «لم تصبح إقليما فرنسيا على الإطلاق!».

ويهمنا الوقوف قليلا عند تمرد بريتانى الذى أشرنا إليه، إذ نرى فيه إرهاصات بما وقع فيما بعد.

لقد كان الصراع إلى ذلك الحين يدور بين السلطة الملكية من جهة، وبين البرلمان ونبلاء السيف من جهة أخرى، فلما قبل الملك، إزاء الأحداث التى وقعت، دعوة مجلس الطبقات المحلى للانعقاد، وهو مجلس قوى كان مشتبكاً مع الإدارة الملكية خلال معظم القرن الثامن عشر، بدأت الطبقة البورجوازية فى التدخل.

وبدأت الخطوة الأولى من ثغر (نانت) التجارى الغنى، فقد وضعت الطبقة البورجوازية برنامجا ثورياً لمجلس الطبقات المحلى، كان إرهاصا بالمطالب التى تقدم بها فيما بعد النواب البورجوازيون

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى مجلس طبقات الأمة. وتتلخص فى: ضرورة مساواة ممثلى الطبقة الثالثة فى العدد مع مجموع ممثلى رجال الدين والنبلاء، وأن يصوت الكل مجتمعين معا.

فلما اجتمع مجلس الطبقات المحلى، كان الجانبان منقسمين انقساما حادا، فقد رفض ممثلو العامة المشاركة فى أعمال المجلس إلا إذا منحوا تمثيلا أوسع، وحق التصويت المشترك، وموافقة أصحاب الامتيازات على دفع نصيبهم فى الضرائب كاملا.

وتعطل التفاهم بعد هذا، ونشبت حوادث عنف متكررة، وزحف ٤٠٠ بورجوازى من «نانت» للدفاع عن زملائهم فى رين Rennes، وهناك حوصر النبلاء ثلاثة أيام فى مكان اجتماعاتهم فلما استأنف مجلس الطبقات اجتماعه فى فبراير بعد أن عطل فترة، أذنت الحكومة بزيادة ممثلى العامة إلى ثلاثة أمثالهم، وألف أعضاء هذه الطبقة «اتحادا بلديا» يربط بين مدن بريتانى. وقد لجأ النبلاء إلى الريف طلبا لتأييده ضد سكان المدن، ولكن دون جدوى.

ويتضح من ذلك أن ثورة بريتانى التى بدأت بعمل مشترك بين البرلمان والنبلاء دفاعا عن الامتيازات، أحدثت رد فعل قوى عند فريق من الطبقة البورجوازية فى المدن. وسنرى أن هذا الصراع، الذى يعتبر دليلا على عمق التناقضات الاجتماعية فى ١٧٨٨م - ١٧٨٩م سيكون له أيضاً أثر مهم فى سير مجلس طبقات الأمة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على كل حال فإن هذه الحوادث فى الأقاليم، كانت فى حد ذاتها برهانا على انهيار سلطة الملكية انهيارا غير عادى. ذلك أن الوزراء لم تبد منهم معارضة فعالة، وربما كان هذا راجعا لحد ما إلى أنهم لم يعودوا يملكون الأداة لفرض الطاعة لأوامرهم، وأنهم لم يكونوا يضمنون ولاء جنودهم.

وفى يوليو ١٧٨٨م اضطر بريين إلى التسليم بالفشل، ووافق على دعوة مجلس طبقات الأمة فى ١٧٨٩م. وما وافى أغسطس حتى كانت الحكومة على شفا الإفلاس.

وفى أواخر ذلك الشهر قدم بريين استقالته للملك، وحل محله نيكير. ولم يلبث هذا أن بدأ بإلغاء مراسيم ٨ مايو ١٧٨٨م، ودعوة البرلمان للانعقاد من جديد، استعدادا لعقد مجلس طبقات الأمة، الذى تقرر موعد اجتماعه فى أول مايو ١٧٨٩م. وكان هذا التنازل الأخير آخر ما سجلته الطبقة الإقطاعية من انتصارات إلى ذلك الحين.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رابعاً : انتصار البورجوازية

مجلس طبقات الأمة

انتصرت الطبقة الإقطاعية انتصارا حاسما على الملكية بحملها إياها على دعوة مجلس طبقات الأمة للانعقاد. ولم تدر أنها بهذا النصر قد حفرت قبرها.

وللحقيقة أن برلمان باريس كان قد وضع الضمانات الكافية لينعقد مجلس طبقات الأمة على النحو الذى يتفق مع مصلحة الطبقة الإقطاعية. فأضاف عند تسجيل المرسوم بدعوة مجلس طبقات الأمة هذه العبارة: «طبقا للنظام الذى اتبع فى عام ١٦١٤م»!

ومعنى ذلك أن يكون لكل طبقة من الطبقات الثلاث: النبلاء، ورجال الدين، والعامة، عدد متساو من الممثلين، وتصوت كل طبقة على حدة، ويكون لكل منها حق نقض قرارات الطبقتين الأخريين.

ولكن هذا القرار كان اشارة إلى انتهاء الحرب بين الطبقتين الإقطاعية والملكية، وابتدائها بين الطبقة الإقطاعية والطبقة البورجوازية فقد بادرت الطبقة البرجوازية. إلى قبول التحدى فى باريس، ومنها سرت حملتها إلى الأقاليم فى شتاء ١٧٨٨م - ١٧٨٩م.

وقد قامت حملة الطبقة البورجوازية على محورين:

الأول، مهاجمة امتيازات الطبقتين الأوليين، والمطالبة بأن تحل الكفاءة محل النسب.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والثانى، مهاجمة الأساس الذى ينعقد عليه مجلس طبقات الأمة السالف الذكر، والمطالبة بالتمثيل الضعفى double Repre-sentations (أى يكون عدد نوابها مساويا لعدد نواب الطبقتين الأخريين معا)، وفرض التصويت المشترك (أى اجتماع الطبقات الثلاث معا)، والأخذ بالتصويت الفردى لا حسب الطبقة (Deleberation par tête).

وقد أزعجت هذه المطالب الطبقة الإقطاعية، وخصوصا أمراء البيت المالك، الذين قدموا مذكرة إلى الملك يوم ١٢ ديسمبر ١٧٨٨م، أوضحوا فيها أن «الدولة فى خطر»، وأن هناك ثورة تستعد للقيام ضد نظام الحكم، وأن الطبقة الثالثة (يقصدون البورجوازية) قدمت بالفعل اقتراح إلغاء الحقوق الإقطاعية. فهل يمكن لجلالتكم الموافقة على إذلال نبلائكم البواسل العريقين المحترمين الذين بذلوا الدماء فى سبيل وطنهم ومليكهم؟» ثم قالت المذكرة: «لتكف الطبقة الثالثة عن مهاجمة حقوق الطبقتين الأوليين، ولتقتصر على المطالبة بتقليل الضرائب التى قد تكون ثقيلة عليها».

ومن هذه المذكرة يتضح أن تكتيك الطبقة الاقطاعية هو إظهار مطالب البورجوازية بمظهر الهجوم على الملكية، وإظهار النبلاء بمظهر «المدافعين الطبيعيين عن العرش»، وذلك لإغراء الملك على قبول الدعوة للتحالف على أساس تسليم سلطته للنبلاء، وعندئذ فإن هذه الطبقة تتمكن من تعبئة موارد الحكومة المركزية، لاسيما الجيش ـ ضد المنافسين الجدد.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على أن خطة نيكير قامت على استخدام الطبقة الثالثة لكبح جماح الطبقتين المميزتين، لذلك فقد قدم تقريرا لمجلس الوزراء، أيد فيه مبدأ «التمثيل الضعفى»، كما أيد بعض المسائل الأخرى مثل أن يكون عدد النواب متناسبا مع عدد سكان ومساحة كل قسم إدارى، وإطلاق الحرية لكل طبقة لتختار ممثليها من بين أهل الطبقات الأخرى إذا شاءت ذلك.

ولكنه لم يذهب فى تأييد الطبقة الثالثة (البورجوازية) إلى حد الموافقة على وجهة نظرها فى طريقة التصويت، فلم يتعرض لذلك بشئ. وكان إغفال هذه المسألة من جانبه، وعجز الملَكية بعد ذلك عن حسمها لصالح الطبقة الثالثة، مما فجر الموقف وأشعل الثورة.

وعلى كل حال فقد وافق مجلس الوزراء على تقرير نيكير، وصدر به مرسوم فى ٢٧ ديسمبر ١٧٨٨م، وجرت الانتخابات لمجلس طبقات الأمة على هذا الأساس.

اجتمع مجلس طبقات الأمة فى ٥ مايو ١٧٨٩م وهو يحمل كل التناقضات الاجتماعية التى سلف بيانها.

فالإكليروس كانوا منقسمين على أنفسهم، وكانت الأغلبية فيهم من قساوسة الأبروشيات الذين ينتمون إلى الطبقة الثالثة، ولم ينتخبوا فى حالات كثيرة أساقفتهم النبلاء. وكان عدد هؤلاء الآخرين قليلا بالنسبة لعدد القساوسة، فقد بلغ عددهم ٨٣ نائبا من مجموع ٢٩١.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أما الطبقة الثانية، النبلاء، فقد انقسموا بين نبلاء متحررين، وهم قلة لا يتجاوز عددهم ٥٠ من ٢٧٠، وأغلبية لم تكن متفقة على رأى. وإن كان أعضاء البرلمانات منهم قد أدركوا أن انعقاد مجلس الأمة سيشكل خطرا مميتا على البرلمانات، وغدوا تواقين لفض هذا المجلس الذى بذلوا فى عقده الكثير من الجهد والتعب، على وجه السرعة. كما أدركت طبقة النبلاء على وجه العموم أنها لاتستطيع الاعتماد على تأييد الإكليروس لها تأييدا غير مشروط.

أما الطبقة الثالثة، فكان ثلثاها من رجال القانون والإدارة، وكانت نسبة النواب من رجال الأعمال والمصارف لاتتجاوز ١٣٪، أما نسبة ملاك الأراضى والزراع والأعيان فقد بلغت ١٠٪. وكان ممثلو الطبقة الثالثة ـ مع ذلك ـ متجانسين تجانساً نسبيا، بمعنى أنه لم يكن بينهم ممثلين للبروليتاريا فى المدن والريف أو للحرفيين الصغار.

فقد اتجهت عملية الانتخاب إلى حرمان هؤلاء فى المدن والريف من التمثيل النهائى، واستبعاد المطالب التى تقدموا بها فى الكراسة العامة للدائرة التى تتضمن مطالب الناخبين. فضلا عن ذلك فإن الفلاحين، الذين كانوا أكبر عددا، انتخبوا عنهم أعضاء من طبقة البورجوازية نظرا لقلة تعليمهم وعدم قدرتهم على الحديث وكتابة العرائض.

ومعنى ذلك أن ممثلى العامة كانوا ينتمون إلى الطبقة البورجوازية وحدها، وبالتالى كانت نظرتهم إلى الأهداف الكلية نظرة متشابهة فى مجملها فقد كانوا يريدون أن يستبدلوا بالمجتمع

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القائم مجتمعا يقوم على أفكار «التنوير» السياسية والاقتصادية وعلى تجربة الحكم الدستورى فى بريطانيا، والغاء جميع الإمتيازات التى يضيفها شرف المولد، ويتطلعون إلى نصيب من السلطة السياسية لأنفسهم. وان كان الخلاف مع ذلك كان قائما بين ممثلى هذه الطبقة (البورجوازية) حول وسائل تحقيق هذه الأهداف، أى حول التكتيك.

فقد كان هناك دعاة التوفيق، الذين رأوا أن الاكتفاء بحل وسط لتحقيق الأهداف الأساسية، خير من الضغط لإحراز نصر نهائى يجلب الفرقة والفوضى.

فى حين كان هناك المتطرفون، الذين رأوا أن الاشتباك مع النبلاء إن لم يكن مع الملك نفسه، أمر لا مفر منه، ولذا كان همهم الاحتفاظ باتصالاتهم بالجماهير، التى سيحتاجون لتأييدها إذا تطلب الأمر الالتجاء إلى امتحان القوة.

ولقد كان مونييه Mounier و مالويه Malouet، أكبر أنصار التوفيق، فى حين كان الأسقف سييس Sieyes يتزعم فريق المتطرفين. ولقد كان ميرابو Mirabeau، الذى اختارته الطبقة الثالثة ليكون من بين نوابها، متطرفا بطبعه، ولكنه كان يميل للتوفيق بحكم اقتناعه.

وعلى كل حال ففى ذلك الوقت كان الخطر فى مواجهة الطبقتين المميزتين قد وحد ممثلى العامة فى جبهة واحدة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فقد اجتمع مجلس طبقات الأمة ـ كما ذكرنا ـ يوم ٥ مايو ١٧٨٩م. وكانت الخطوة الأولى قبل البدء فى العمل هى أن ينظر فى صحة انتخاب أعضائه. وقد أعلن نواب الطبقة الثالثة معارضتهم فى أن تقوم كل طبقة من الطبقات على حدة بعملية الفحص. على أن الطبقتين المميزتين لم توافقا، وأخذتا فى فحص صحة نيابة أعضاء كل طبقة على حدة، فامتنع ممثلو الطبقة الثالثة. وبذلك أصبح مجلس طبقات الأمة مشلولا. وظلت الحكومة على الحياد.

وأرادت طبقة النبلاء وضع الطبقة الثالثة أمام الأمر الواقع، فأعلنت يوم ١١ مايو ١٧٨٩م أنها قد أتمت تشكيلها. على أن طبقة الاكليروس انقسمت على نفسها، فقد أيدت نسبة كبيرة منها الطبقة الثالثة.

وفى يوم ١٠ يونيو ١٧٨٩م، وطبقا لاقتراح سييس قام ممثلو الطبقة الثالثة بتوجيه دعوة أخيرة للطبقتين المميزتين، للانضمام إليهم فى عملية فحص صحة نيابة الأعضاء فى مجلس واحد، وإلا فإنهم لن يقروا بصحة تمثيل من لا يحضر، وفى يوم ١٢ يونيه بدأت عملية الفحص بالمناداة على أسماء النواب من الطبقات الثلاث. وتبين فى يوم ١٦ يونية أن ستة عشر نائبا من رجال الدين قد انضموا إلى العامة. ولكن طبقة النبلاء ظلت صامدة.

وعندئذ قرر نواب الطبقة الثالثة أن المجلس صار يضم أكثرية نواب الأمة، وأنه لذلك يعتبر «مجلسا شرعيا وقانونيا»، ولا يتفق فى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وضعه هذا مع تسميته بمجلس طبقات الأمة، بل يجب تسميته بالجمعية الوطنية» Assemblée Nationale، وكان الغرض من ذلك أن يكون ذلك إعلانا لحقهم فى التكلم باسم الأمة والتصرف باسمها. وقد قررت التسمية فى ١٧ يونية ١٧٨٩م. وفى ١٩ يونية قرر رجال الدين بأكثرية ١٤٩ ضد ١٣٧ الانضمام إلى العامة والاجتماع معهم فى مجلس واحد. وبذلك بدا أن الطبقة البورجوازية قد حققت نصرها على طبقة النبلاء.

على أن الطبقة البورجوازية بعملها هذا، قد قدمت فى نفس الوقت خدمة للنبلاء، ذلك أن اتخاذها اسم «الجمعية الوطنية» كان يتضمن إنكارا لحق الملك فى تحديد الشكل الذى يجب أن يتخذه مجلس الطبقات.

فلما أعطت الجمعية الوطنية لنفسها فى اليوم التالى حق الموافقة على فرض الضرائب كذلك، أصبح فى إمكان النبلاء التوجه إلى الملك منتحلين صفة المدافع عن سلطته ضد الطبقة الثالثة المتمردة. وقد أفلح النبلاء فى كسب الملكة مارى أنطوانيت أولا، ثم لويس السادس عشر.

ويبدى بعض المؤرخين حيرتهم لهذا الموقف من جانب الملكة مارى أنطوانيت ولويس السادس عشر، نظرا لأن المعركة كانت قائمة أساسا بين النبلاء والملكية. وفى اعتقادنا أن الموقف الراديكالى للطبقة الثالثة باعتبار أنفسهم ممثلين عن الأمة جمعاء،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والمضى فى ذلك قُدما، قد هدد بقلب النظام القديم، خصوصا اذا راعينا مطالب هذه الطبقة التى عبرت عنها فى كراسات المطالب - أو العرائض - لكل دائرة Les Cahiers de Doléances du Tiers - Etat، والتى تتضمن إحداث تغييرات ثورية فى الميدان السياسى والاجتماعى.

فقد اتفقت هذه الكراسات على أن تكون الملكية دستورية، يكون فيها وزراء الملك مسئولين أمام مجلس منتخب يهيمن على مالية الدولة، والقضاء على الحواجز الطبقية، والمساواة فى حق التعيينات فى الوظائف الملكية فى الجيش والبحرية، وإلغاء الأعباء الإقطاعية والقضاء الإقطاعى، والمطالبة ببيع أراضى الكنيسة، والكف عن دفع المال لكنيسة روما.. إلى آخر هذه المطالب التى تقلب النظام القديم رأسا على عقب.

ولقد كانت الملكية تأمل، إذا عقد مجلس طبقات الأمة على النظام القديم المعدل، أن تتمكن الطبقة البورجوازية من إحداث التوازن المطلوب مع المطالب الإقطاعية، وتبقى للملكية سيطرتها ونفوذها. ولكن الإجراء الذى اتخذته الطبقة الثالثة بانتحالها لنفسها حق التصرف باسم الأمة، رغم أنف الملك والطبقتين المميزتين - أكثر من ذلك انتحالها لنفسها حق الموافقة على الضرائب، كان معناه أن السيادة قد أصبحت للطبقة الثالثة باسم الأمة. لذلك رأى لويس السادس عشر أن استعانته بهذه الطبقة ضد النبلاء أشبه بالمستجير من الرمضاء بالنار.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لذلك أمر فى ٢٠ يونية ١٧٨٩م بأن تعقد جلسة ملكية Seance Royale يحضرها نواب الطبقات الثلاث مجتمعين يوم ٢٣ يونية ١٧٨٩م ليظهر مشيئته فى هذه الجلسة.

وخوفا من تطورات مفاجئة قبل الاجتماع، أغلقت صالة اجتماع البورجوازية بحجة إعدادها للجلسة الملكية.

وهنا أدرك النواب البورجوازيون أن الخطر يهددهم، فعقدوا اجتماعهم فى اليوم نفسه (٢٠ يونية ١٧٨٩م) فى ملعب التنس Jeu de Pomme، وشرعوا فور اجتماعهم يحلفون يمينا وضع صيغته مونييه، بأنهم سوف يستمرون فى الاجتماع، فى أى مكان تختاره الظروف لهم، ولن يتفرقوا حتى يضعوا دستورا للمملكة على أسس متينة. ووقع الحاضرون على هذا التعهد أو الميثاق، الذى صار يعرف باسم «ميثاق ملعب التنس» Le Serment، وكان بين الموقعين تسعة من القساوسة.

وفى اليوم التالى اجتمعوا فى كنيسة سانت لوى Saint louis حيث انضم إليهم ١٤٤ من القساوسة، و ٤ من كبار رجال الدين، واثنان من النبلاء.

وفى يوم ٢٣ يونيه ١٧٨٩م انعقدت الجلسة الملكية، ثم أعلن لويس السادس عشر استعداده ليصبح ملكا دستوريا حقيقيا، فلا تجمع القروض ولا الضرائب دون موافقة مجلس طبقات الأمة، كما

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أبدى استعداده للبحث فى إلغاء الخطابات المهورة، واتخاذ الخطوات لرفع الرقابة عن الصحف. ومعنى ذلك النهاية الحقيقية لحكم البوربون المطلق فى فرنسا.

على أن أهم الفقرات من وجهة نظر الطبقتين المميزتين، أن لويس أعلن أيضا بطلان قرارات «الجمعية الوطنية» السالفة الذكر، وقال إنه «يريد أن يظل التمييز القديم بين طبقات الدولة الثلاث كاملا، لأنه مرتبط ارتباطا أساسيا بدستور مملكته» – ومعنى ذلك اجتماع كل طبقة على حدة!.

ومع أنه أجاز حدوث مناقشة مشتركة فى بعض الشئون ذات المصلحة العامة، إلا أنه استثنى من تلك الشئون مايلى: (١) حقوق الطبقات الثلاث الدستورية التى لها من قديم الزمن. (٢) الدستور الذى سوف يعين مجلس طبقات الأمة التالى شكله. (٣) الملكيات الإقطاعية. (٤) حقوق الطبقتين المميزتين المادية وامتيازاتهما الشرفية.

كما أعلن الملك أن الملْكية فى جميع صورها دون استثناء ستحترم على الدوام، وخص بالذكر تحت اسم الملْكية: العشور، والخراج، والحقوق والفروض الإقطاعية، وعلى العموم جميع الحقوق والامتيازات المادية أو الشرفية المتصلة بالأراضى أو الإقطاعيات أو الأشخاص.

بل إن الملك وافق على استشارة مجلس طبقات الأمة فى التعيينات التى قد تخلع النبالة الشخصية أو الوراثية على

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أصحابها!. وهكذا تستطيع الطبقتان المميزتان أن تؤملا فى سد كثير من الأبواب التى تتمكن بها البورجوازية من بلوغ مراتب الشرف!

على هذا النحو اختار لويس السادس عشر أن يكون استسلامه للطبقة الإقطاعية وليس للطبقة البورجوازية. ومعنى ذلك أنه لم يعد للبورجوازية من سبيل للمساواة فى الحقوق سوى طريق الثورة.

لذلك حين طلب الملك إلى ممثلى الطبقات بعد ذلك أن ينفصلوا عن بعض، وأفهمهم أنه سيفض المجلس إذا لم يخضعوا، انسحب النبلاء وغالبية رجال الدين، ولكن نواب البورجوازية رفضوا الإنسحاب!

ومن الطريف أنهم استفادوا من ثورة برلمان باريس الاقطاعى فى مرحلة صراع النبلاء ضد الملك، فحين جاء كبير أمناء القصر يذكرهم بأمر الملك، رد عليه بايى Bailly (عالم فلكى) قائلا: لايمكن للأمة المجتمعة هنا أن تصدر اليها أوامر!». وعلق سييس قائلا: «أيها السادة انكم اليوم كما كنتم بالأمس، لقد اجتمعنا على أن نحصل للشعب الفرنسى على حقوقه. فلنمض فى مباحثاتنا»!

وهكذا اعتبر ممثلو البورجوازية ـ كما حدث من قبل فى البرلمان ـ أن الجلسة برئاسة الملك كانت باطلة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثم وقف ميرابو وقال لكبير الأمناء كلمته المشهورة «اذهب ياسيدى، وبلغ مولاك أننا لن نغادر هذا المكان إلا على أسنة الحراب»! ثم اتخذ المجتمعون قرارا، اقترحه ميرابو، يقضى بأن يعلن النواب حصانتهم ضد المحاكمة، بأغلبية ٤٩٣ صوتا ضد ٣٤.

وإزاء هذا الموقف الذى كان يهدد بتطورات لم تكن الملكية مستعدة لها، فضل لويس السادس عشر عدم تنفيذ تهديده بفض المجلس بالقوة.

وفى اليوم التالى (٢٤ يونيه ١٧٨٩م) انضمت غالبية رجال الدين و ٤٧ من النبلاء إلى ممثلى البورجوازية، وعلى رأسهم الدوق دورليان d' Orleans. وفى يوم ٢٧ نصح لويس السادس عشر رجال الدين والنبلاء بالخروج على أوامره السابقة والانضمام إلى العامة! وبذلك بدا أن الثورة البورجوازية القانونية والسليمة، التى حققها رجال القانون البورجوازيون بطرق استعاروها من البرلمان الاقطاعى، قد نجحت! وفى يوم ٧ يوليو اختار المجلس لجنة للدستور.

وفى يوم ٩ يوليو ١٧٨٩م غيرت الجمعية اسمها للمرة الثانية إلى «الجمعية التأسيسية» Assemblée Constituante.

وفى يوم ١١ يوليو قدم لافاييت La Fayette مشروعه الخاص بإعلان حقوق الإنسان.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢ ـ ثورة الصان كيلوت والطبقة الفلاحية

بعد انتصار البورجوازية على الملكية فى يوم ٢٧ يونية ١٧٨٩م، اعتقد الكثيرون أن الثورة قد انتهت دون أن تراق نقطة دم واحدة. ولكن فرنسا كانت على أعتاب ثورة من أكثر الثورات دموية فى التاريخ.

ذلك أن الملكية لم تتراجع إلا خوفا من أعمال العنف التى قد تحدث فى باريس، ولم تذعن إلا لكسب الوقت. وكانت السياسة التى تدور فى دهاليز فرساى أن لويس سيحل الجمعية التأسيسية، وأن الجيش كفيل بتنفيذ الأوامر الملكية.

وبالفعل فإن تحركات القوات المسلحة كانت توحى بأن الملكية ستقوم بانقلاب، فقد استدعيت ست فرق من الجيش فى ٢٦ يونيو ١٧٨٩م، وعشر فرق أخرى فى أول يوليو، وكان معظمها من الجنود الألمان والسويسريين المحصنين نسبيا ضد الدعاية الثورية. وكان من المتوقع أن تتخذ هذه القوات مراكزها قرب باريس بين ٥ و ١٨ يوليو ١٧٨٩م. أما كيفية الاستعانة بها فكانت رهنا بنتيجة الصراع على الرأى داخل القصر.

وهنا أحس النواب أنهم فى خطر يهدد بالعصف بآمالهم، وشعروا بأن حريتهم، بل حياتهم فى خطر. وكان اتحاد الطبقات

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الثلاث قد غير ميزان القوى داخل الجمعية، فإن سمعة «المعتدلين» من النبلاء وكبار رجال الدين أتاحت لهم تولى بعض المراكز القيادية داخل الجمعية، فقد انتخب رئيس أساقفة فيين (Bishop of Vienne)، بأغلبية ٧٠٠ صوت من ٧٩٣ وكان ثلاثة من السكرتيرين الستة المنتخبين أيضا من المعتدلين. ومعنى ذلك أن روح الاعتدال كانت قد أخذت تتغلب على الجمعية.

وفى يوم ٨ يوليو ١٧٩٨م التمست الجمعية من الملك إعادة الجنود، الذين بدءوا يظهرون فى المناطق المجاورة لباريس، من حيث أتوا. ولكن الملك أجاب فى يوم ١١ يوليو بالرفض.

وفى المساء ذاته من يوم ١١ يوليه ١٧٨٩م، قام الملك بطرد نيكير وأمره بمغادرة فرنسا، كما طرد جميع الوزراء ماعدا اثنين، وشكل مجلس وزراء رجعيا برئاسة البارون دى بريتوى Bretéuil، وهو من المعروفين بعدائهم الشديد للثورة. وقد أحسن توقيت الحركة، لأن يوم ١٢ يوليو التالى كان يوم أحد لا تجتمع فيه الجمعية.

وتوقع الجميع أن يعقب ذلك حل الجمعية التأسيسية وغزو الجيش للعاصمة، لولا أن الثورة البروليتارية انفجرت فى ذلك الوقت بالذات لتنقذ الجمعية التأسيسية وتنقذ معها الثورة البورجوازية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ففى ذلك الحين كانت خمائر الثورة تتجمع داخل الطبقة البروليتارية (العمالية) بسبب سوء الحالة الاقتصادية الذى بلغ ذروته فى عام ١٧٨٩م.

فيجمع المؤرخون على أن الفتنة والاضطراب كانا لابد واقعين فى فرنسا خلال صيف ١٧٨٩م، حتى ولو لم تقع هذه الأحداث السياسية. ذلك أن محصول عام ١٧٨٨م كان قد أفناه البرد المتساقط، فارتفع ثمن الخبز طوال الشتاء، وعندما حل الربيع كانت المؤن قد نفدت وانتشرت المجاعة، ونهبت قوافل الطعام وهى تحاول اختراق القرى الجائعة ونشبت الفتن فى الأسواق.

وازدادت الحالة سوءاً فى الفترة الحرجة السابقة للمحصول الجديد، وكثر القتال على الخبز، وفرغت الورش من عمالها، وكان العمال والصناع يضيعون الوقت الطويل فى الكفاح للحصول على نصيب ضئيل من الخبز، الأمر الذى فوت عليهم الأجر الذى يشترون به مئونة الغد!

وفى آخر أبريل قام سكان «سانت أنتوان» بمهاجمة مصانع ريفيون وهنريو Reveillon، وقد تصايح فيها المشتركون بالهتافات السياسية تأييدا للطبقة الثالثة، مما يدل على أن الأزمة السياسية والأزمة الاقتصادية قد أصبحتا مترابطتين فى عقول العمال الباريسيين.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد تلت فتنة ريفيون فترة هدوء نسبى فى باريس، ولكن خمائر الثورة البروليتارية كانت موجودة وتتزايد. وكانت الطبقة البورجوازية تعرف ذلك وتنوى الاستفادة منها عند اللزوم فى مواجهة الانقلاب الملكى الذى كان يدبر فى ذلك الحين ضد الجمعية التأسيسية.

وقد بدأت الطبقة البورجوازية تستعد للمعركة مع الملكية منذ أوائل يوليو ١٧٨٩م، مع توقع الانقلاب الملكى. فقد حشد الرأسماليون وأصحاب الدخول قواهم لتأييد الجمعية الوطنية، واستعانوا فى الدفاع عنها بجميع الأسلحة القوية من مال ونفوذ واتصالات.

وكان من الخطوات التى اتخذت اكتساب رجال الحرس الفرنسى، بإطعام المتحمسين منهم، وإيوائهم ودفع رواتبهم، فضلا عن رشوة المترددين

وكما استخدمت البورجوازية، المال، فقد اضطلعت بالتنظيم. ففى يوم ٤ يوليو كون الناخبون، الذين اختاروا نواب مجلس طبقات الأمة، من أنفسهم ناديا سياسيا لتجنيد جيش باريسى من المتطوعين، وكان هؤلاء الناخبون فى غالبيتهم من الطبقة البورجوازية، إذ كان هناك أربعة مصرفيين و ٢٦ تاجرا، ١٥٤ محاميا، و ١٣ طبيبا وجراحا، و ٤٣ تاجر تجزئة، و١٨ معلما من معلمى الحرف.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى ليلة ١١ - ١٢ يوليو ١٧٨٩م، مع ذيوع الشائعات عن قرب وقوع انقلاب حكومى، أخذت البورجوازية تحرك البروليتاريا لأعمال العنف. ففى تلك الليلة هوجم أربعون جمركا من الجمارك الأربعة والخمسين المحيطة بالمدينة، وأحرقت إحراقا تاما. وكان المسئولون عن هذه الحوادث صناعا وعمالا، ولكن الحركة دبرت من أعلى، كما يرجح الكثيرون.

وفى اليوم التالى ١٢ يوليو ١٧٨٩م وصلت الأنباء بطرد نيكير فى حين كانت باريس فى حالة من الهيجان وقريبة من الثورة، ولما كان العمال فى يوم عطلة، فقد أخذوا يتجمهرون فى الباليه رويال Palais Royal، وهو المكان الذى اعتاد الباريسيون وقتذاك الاجتماع فيه وقت الأزمات.

وهناك أخذ كاميل ديمولان Camille Desmoulins، وهو محام شاب وكاتب وخطيب قوى التأثير، يلهب، وغيره من الخطباء مشاعر الجماهير بالخطب النارية التى انتهت بالتحريض على حمل السلاح. وأخذت جموع عديدة تقتحم مخازن السلاح، بعد أن حملت تمثالين نصفيين لنكير وأورليان.

ثم بدا أن الحركة سوف تفلت من سيطرة البورجوازية حين اقتحم بوابات باريس فى نفس الليلة ١٢ ـ ١٣ يوليو ١٧٨٩م جيش من الشحاذين وقطاع الطرق، وأحرقوا البوابات، وتدفقوا على العاصمة ينهبون ويسلبون!

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولكن البورجوازية سارعت للسيطرة على الموقف. ففى نفس الليلة توجه الناخبون إلى دار البلدية Hotel de Ville للاستيلاء على السلطة المحلية، وكانوا ٣٧٩ ناخبا، وقاموا بتأليف لجنة دائمة Co-mite Permanante من ٢٤ عضوا، تسلمت الإدارة فى العاصمة.

وتقرر البدء فى إنشاء جيش من المتطوعين، حيث يقدم كل حى من أحياء المدينة، البالغ عددها ٦٠ حيا، مائتى متطوع، يسجلون ويسلحون.

وفى اليوم التالى ١٣ يوليو ١٧٨٩م، كان الناخبون قد بدءوا فعلا فى فرض شئ من النظام على الحركة الثورية للبروليتاريا، تعاونهم فى ذلك فرقة كاملة من الحرس الفرنسى وغيرهم من الجنود الذين تركوا الجيش وانضموا إلى الحرس الوطنى.

وفى مساء نفس اليوم تم وضع الخطط التفصيلية لإنشاء الحرس الوطنى من المدنيين ومن رجال الحرس الفرنسى الذين انضموا تحت لواء الثورة. وقد روعى أن يكون هذا الحرس حرسا بورجوازيا بحتا، بمعنى أنه كان مؤلفا من المواطنين المحترمين من ذوى المساكن الثابتة دون غيرهم، ومنهم خيرة مواطنى المدينة، وبورجوازيون كبار، وماليون، وقساوسة، ومحامون، ورهبان!

ولإبعاد الفقراء منه، تقرر أن يتخذ زيا عسكريا يكلف الرجل من رجاله خمسة جنيهات إنجليزية تقريبا! وألزم المتطوع منذ البدء

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بالخدمة يوما من كل أربعة أيام، مما أبعد العمال الأجراء بطبيعة الحال!

ثم أخذت اللجنة التنفيذية للناخبين فى تسليح جيشها البورجوازى بالسلاح والبارود! وفى يوم ١٤ يوليو ١٧٨٩م (أى اليوم التالى) حين نفد السلاح والبارود، سار وفد كبير يقوده أحد أعضاء اللجنة قاصداً «الأنڤاليد Hotel des Invalides» (ملجأ مشوهى الحرب فى باريس) للمطالبة بالبنادق الموجودة فى الترسانة، وحاول المأمور إثناء عزمهم دون جدوى، فنهبوا ترسانته، وغنموا مابين ٢٨٠٠٠ و ٣٢٠٠٠ بندقية، و ٢٠ مدفعا، عززوا بها قوتهم.

ثم اتجهوا فى اليوم نفسه ١٤ يوليو ١٧٨٩م، إلى حصن «الباستيل» Bastille، الذى اشتهر فى أوروبا كلها بأنه معقل سجناء الدولة، وذلك للوصول إلى مخزن البارود فيه. ولو كان «دى لونيه» De Launey محافظ السجن، قد اقتدى بمأمور الأنفاليد، لما كان احتلال الباستيل أكثر من حدث آخر من أحداث الفتنة الجارية، ولكنه رفض أن يفتح أبوابه، وفتح النار على الجماهير، وبذلك تأزم الموقف، ولم يعد يرضى الجماهير سوى اقتحام الحصن والاستيلاء عليه عنوة.

وفى ذلك الوقت كان الموقف قد أفلت فعلا من الناخبين. فقد تعزز موقف المهاجمين، الذين كانوا فى معظمهم من الطبقة العاملة الساكنين فى ضاحية سانت أنطوان المجاورة، بفصائل من الحرس

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفرنسى المسلحة بمدفعية ضعيفة وقوات من الحرس الوطنى، وسلم دى لونى بعد مقاومة دامت خمس ساعات، رغم أن أهم حصونه ظلت مسلحة، ورغم أنه لم يفقد من قواته سوى قتيل واحد مقابل ٩٨ قتيلا و٧٣ جريحا فى صفوف المهاجمين.

وكان الاستيلاء على الباستيل له صدى العمل الحربى الضخم، وتجاوبت به أرجاء أوروبا كلها، إذ تهاوى بسقوطه رمز الطغيان والأوتوقراطية الملكية تحت ضربات تحالف البورجوازية والبروليتاريا المظفرة.

وسرعان ماشكل الناخبون حكومة بلدية كاملة، واختير بايى Bailly، وهو عالم فلكى مرموق، عمدة للمدينة فى يوم ١٦ يوليو ١٧٨٩م، وأسند إلى لافاييت رئاسة الحرس الوطنى.

ولم يلبث تحالف البرولتياريا مع البورجوازية المصممة على تأييد الجمعية التأسيسة فى باريس، أن انتقل إلى المدن الأخرى. ففى رين Rennes، حين سمعت بطرد نيكير، نهبت الجماهير البروليتارية والبورجوازية الترسانة، ورفض الجنود إطلاق النار عليها. وفى كان Caen استولت حركة مماثلة على القلعة، وهاجمت محكمة الملح البغيضة. وفى الهاڤر استولت الجماهير على الترسانة البحرية، وسلمت قلعة بوردو للثوار. وفى كثير من المدن أزيحت الأوليجاركيات البلدية القديمة، وحل محلها لجان من بين ناخبى مجلس طبقات الأمة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولم تمض أسابيع حتى فقدت الحكومة الملكية سيطرتها على الأقاليم، وأخذت المدن تتلقى أوامرها فى الشئون المهمة من الجمعية التأسيسة دون غيرها. وفى معظم الحالات كانت أى حركة ثورية تقودها البورجوازية لا تلقى مقاومة من الجيش. وأمكن بفضل تشكيل الميليشيات البورجوازية Milices Bourgeoises حفظ النظام وخلق عسكرية.

ولم يلبث الفلاحون فى الريف أن فجروا الثورة الزراعية. وكانت الرسوم الإقطاعية التى يتقاضاها الإقطاعيون تشتد وطأتها على كواهل الريفيين فى أوقات المجاعة، فأفضت أنباء الثورة فى باريس إلى ثورات واسعة فى أواخر يوليو فى ريف نورماندى وفى فرانش كومتيه Franche Comté وفى الألزاس وغيرها، وهاجم الفلاحون قصور النبلاء وأحرقوا الوثائق الإقطاعية التى احتوت على الدليل القانونى على حقوق النبلاء. وفى كثير من الحالات أحرقوا معظم القصر نفسه. ورفض الفلاحون بصفة عامة دفع العشور والرسوم الإقطاعية، بل والإيجارات.

وقد ألقى النبلاء مسئولية إثارة هذه الثورة الفلاحية على البورجوازيين، الذين أنكروا دورهم فى هذه الثورة، واتهموا النبلاء بأنهم يحاولون تشويه الثورة بحمل الريف على العنف لكى يشلوا حركة الجمعية التأسيسة.

ومهما يكن من شأن هذا الخلاف، فالحقيقة أن البورجوازية كانت هى المستفيد الأول من الثورتين البروليتارية والفلاحية على النحو الاتى:

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ففيما يتصل بالثورة البروليتارية التى قادتها البورجوازية، فقد أنقذت الجمعية التأسيسية من الانقلاب الذى كان يدبره القصر.

فقد سارع الملك لويس السادس عشر إلى الاستسلام فى اليوم التالى مباشرة لسقوط الباستيل، أى فى يوم ١٥ يوليو ١٧٨٩م، وذهب إلى الجمعية التأسيسية، وأعلن سحب قوات الجيش، وأعلن للنواب أن أشخاصهم مصونة بالرغم من كل ما حدث، وطلب منهم معاونته لتأمين سلامة الدولة.

وفى نفس اليوم أسقط الوزارة، وفى اليوم التالى ١٦ يوليو ١٧٨٩م، استدعى نيكير، وفى اليوم التالى ١٧ يوليو ذهب بنفسه إلى باريس فى عربة بسيطة تحيط به جماعات الحرس الوطنى البورجوازى، حتى وصل إلى دار البلدية، وهناك وافق على تعيين «بايى» عمدة لباريس، ولافاييت قائدا للحرس الوطنى.

وكان الملك مرتديا شارة الباريسيين ذات اللونين الأزرق والأحمر بجوار الشارة البيضاء «الجو كارد» Gocarde، فكان بذلك منشأ الشارة المثلثة الألوان. وكتب السفير الإنجليزى فى باريس يقول: «يستطيع المرء الآن أن يقول إن الملك قد أصبح ملكا دستوريا، وإن فرنسا من هذه اللحظة قد أصبحت بلدا متحررا».

هذا فيما يختص بنتائج الثورة البروليتارية. أما فيما يختص بالثورة الفلاحية، فإن نتيجتها المباشرة كانت سقوط النظام الإقطاعى. وكانت مشكلة إخماد هذه الثورة أمام الجمعية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التأسيسية عويصة، فإذا التمست استخدام الجيش النظامى من الملك، فسيتيح ذلك له فرصة استرداد بعض السلطة التى فقدها، وإذا لجأت إلى استخدام الحرس الوطنى، فقد يُحدث ذلك انشقاقا فى صفوف البورجوازية، فحين شدد المعتدلون فى ضرورة إعادة الأمن إلى نصابه، ذكَّر روبسبير وبعض نواب بريتانى الجمعية بأنها فى خطر التنكر للثورة الشعبية التى تدين لها بالفضل فى إنقاذها.

وكان الحل الذى فرض نفسه هو إرضاء الفلاحين. وذلك منشأ يوم ٤ أغسطس ١٧٨٩م التاريخى.

فقد قرر نادى بريتون Club Breton أن يقترح النبلاء المتحررون التخلى طوعا واختيارا عن بعض امتيازاتهم الإقطاعية. وفى مساء ٤ أغسطس ١٧٨٩م وقف النبلاء يتنازلون عن امتيازاتهم وحقوقهم الإقطاعية، وتدفقت التنازلات بسرعة تعذر معها على سكرتيرى الجلسة ملاحقتها! وبمقتضى هذه التنازلات تم إلغاء الحقوق الإقطاعية الشخصية، وإلغاء التقاضى الإقطاعى، وتحويل ضريبة العشور إلى ضريبة يمكن شراؤها، وافتداء الحقوق ـ أى إلغاء الحقوق الإقطاعية فى نظير تعويض يدفع لأصحابها ـ وتقرير المساواة فى دفع الضرائب وفى شغل الوظائف العامة.

وعلى هذا النحو أعلنت قرارات ٤ أغسطس ١٧٨٩م المساواة المدنية التى رفضها لويس السادس عشر فى ٢٣ يونيو ١٧٨٩م.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٣ ـ الجمعية الوطنية التأسيسية

على كل حال، فمما سبق يتضح أن قوى الثورة البورجوازية قد أصبحت تتمثل فى «الجمعية الوطنية التأسيسية» والبلديات البورجوازية Communes فى المدن، وعلى رأسها بلدية باريس. ولما كانت القيادة مع ذلك ظلت فى يد الجمعية التأسيسية، فمن المهم أن نلقى نظرة داخل هذه الجمعية لمعرفة إنجازاتها، والقوى المحركة فيها، وتحولاتها وفقا للأحداث.

وقد سبق أن بينا أن الجمعية التأسيسية كانت مكونة من ثلاث طبقات: رجال الدين، والنبلاء، والبورجوازيين. وكان من الطبيعى أن يمثل نواب كل طبقة فيها مصالح الطبقة التى ينتمون إليها، وإن كان هذا لا يمنع أنه وجد بين النبلاء ورجال الدين من انضموا إلى الطبقة البورجوازية فى نضالها، لتغيير صورة المجتمع الفرنسى بحيث يتفق مع الوضع الاقتصادى للطبقات أو العلاقات الانتاجية الفعلية.

وكان شعور الفزع قد ساور نواب الطبقة البورجوازية حين سمعوا بنبأ الثورة فى باريس، ولكن لم يلبث أن حل محله شعور الرضا حين أمكن التغلب بسرعة على أخطار أعمال العنف التى يقوم بها العمال والغوغاء بفضل الحرس الوطنى.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولكن الشعور العام، بعد أن أدت هذه الثورة غرضها فى إنقاذ الجمعية من الانقلاب الملكى، هو أنها يجب أن تنتهى – أو كما عبر أحد النواب (ديكينوا Duquenoy) قائلا: «إننى شخصيا أرى أن فترة من الفوضى كانت ضرورية، ولكننى أيضا أرى أنها يجب أن تنتهى»!

على أن رضا النواب البورجوازيين سرعان ما أفسدته ثورة الفلاحين فى الريف، ذلك أنهم كانوا فى ذلك الحين ـ بعد أن ابتعد شبح الانقلاب الملكى ـ قد عكفوا على وضع الدستور الذى كانوا يعتبرونه علة وجودهم الأولى، فإذا بثورة الفلاحين تقوم، بما فيها من تهديد محتمل للملكية.

وقد عبرت الصيحات التى انطلقت فى الجمعية عن مشاعر النواب تجاه هذه الثورة، فقد صاح أحدهم: إنها حرب الفقراء ضد الأغنياء»!. وصاح آخر: «إن الملكية بشتى أنواعها فريسة لأشد ألوان اللصوصية إجراما». وانتهى الرأى إلى أن يتنازل الإقطاعيون عن امتيازاتهم طوعا لإخماد الثورة يوم ٤ أغسطس ١٧٨٩م.

وكان سقوط النظام الإقطاعى لصالح الفلاحين ولصالح البورجوازيين على السواء – كما ذكرنا، فقد أغدقت النظم والقوانين الجديدة مغانم عظيمة على الطبقة البورجوازية الثرية المتعلمة، التى كان أفرادها ـ دون غيرهم ـ هم الذين يحتمل أن يجنوا نفعا كبيرا من تيسير افتداء الحقوق الإقطاعية، ومن الحق – المخول إسما ـ لجميع المواطنين، فى شغل جمع الوظائف المدنية والعسكرية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى نفس اليوم ٤ أغسطس ١٧٨٩م وافقت الجمعية الوطنية التأسيسية على استصدار «إعلان حقوق الإنسان والمواطن»، وفى ٢٦ أغسطس ١٧٨٩م اعتمد الإعلان فى صفته النهائية، وقد حمل ملامح الطبقة البورجوازية التى أصدرته، كما حمل ملامح الظروف السياسية التى صدر فيها.

فقد نص على أن «الناس يولدون أحراراً ومتساوين فى الحقوق، ويظلون كذلك». ولكن من جهة أخرى اعترف بوجود الفوارق أو الميزات الاجتماعية، التى ذكر أنها تقوم لمنفعة عامة».

كذلك حرص الإعلان على تقرير حماية الملْكية الفردية، فنص على أنها «حق طبيعى» من حقوق الإنسان، وأنه «لايجوز حرمان أى فرد من الملْكية التى هى حق مقدس لايمس إلا إذا اقتضت ذلك بجلاء ضرورة عامة».

وبالإضافة إلى ذلك فقد اشتمل إعلان الحقوق على أهم المبادئ التى نادى بها فلاسفة الثورة: الحرية، المساواة، سيادة الأمة، فصل السلطات، الإرادة العامة» وقد وصفه لورد أكتون بأنه كان أقوى من كل جيوش نابليون!.

وقد كان إعلان حقوق الإنسان مقدمة للدستور الذى أخذت الجمعية الوطنية التأسيسية فى بحثه، والذى انقسم النواب حوله انقساما خطيرا.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فمع أنه كان هناك تسليم بأن الحكم سوف يكون ملكيا، الا أن الخلاف دار حول مقدار السلطة التى يملكها الملك فى الدستور، وحول مقدار السلطة التشريعية. فقد كان من رأى أنصار الملَكية الدستورية إقامة سلطة تنفيذية قوية للدفاع عن الأموال والأملاك وإخماد الاضطرابات، وذلك عن طريق إعطاء حق الفيتو المطلق للملك Veto-absolu على جميع قرارات السلطة التشريعية، وانقاص السلطة التشريعية ذاتها بإنشاء مجلس أعلى (مجلس شيوخ) يكون له حق الفيتو المطلق على القوانين. وكان على رأس هؤلاء مالويه، ومونيه، ولالى تولينداال Lally - Tollendal.

أما الراديكاليون، وعلى رأسهم ديبور Duport ولا ميت Lameth وبارناف Barnave فكانوا على استعداد لقبول مجلس أعلى، ولكن بشرط ألا يخول حق الفيتو المطلق على القوانين، وإعطاء الملك حق الفيتو المطلق شرط ألا يخول سلطة حل المجلس.

وقد أدى فشل التوفيق بين الاتجاهين إلى انقسام الطبقة البورجوازية، فأخذ المعتدلون يتقربون إلى الطبقة الأرستقراطية، فى حين أخذ الراديكاليون يتجهون إلى الطبقات الثورية فى باريس ليرهبوا بها الجمعية التأسيسية. واستخدم ميرابوطائفة من المهيجين لتحريض جماهير باريس ضد تقرير حق الفيتو ومجلس الشيوخ.

وانتهى الأمر بانتصار الرأى الراديكالى، ورفضت الجمعية يوم ١١ سبتمبر ١٧٨٩م فكرة إنشاء المجلس الأعلى، كما أعطت

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الملك حق الاعتراض Veto المؤقت، بحيث يسقط إذا أقر المجلس التشريعى القوانين دورتين من أدوار انعقاد المجلس.

وكما حدث فى يونيو ١٧٨٩م، فقد تمخض انتصار الراديكاليين الآن عن صراع مع الملك. فقد رفض لويس السادس عشر إصدار إعلان حقوق الإنسان ومراسيم ٤ أغسطس ١٧٨٩م، وإزاء ذلك طالبت الجمعية بالإجماع أن يصدق الملك على مراسيمه تصديقا واضحا وتأزم الموقف.

وكما حدث فى يونيو ويوليو ١٧٨٩م، استدعى الملك الجيش، فأشعل وصوله الثورة فى باريس، فقد أولم البلاط بمناسبة وصول فرقة الفلاندر Flanders وليمة حضرتها الأسرة الملكية، وانحدر الاحتفال فيها إلى درك المظاهرات المخمورة المعلنة عن حماس الملكيين، فكانت هذه الحفلة بمثابة المهماز الذى دفع باريس إلى العمل.

فقد أخذ الصحفيون والكتاب والخطباء الشعبيون يطالبون بالزحف على فرساى لإبعاد الملك عن تأثير بلاطه الفاسد، وهو ماتم يوم ٥ أكتوبر ١٧٨٩م حين توجهت مظاهرة من النساء إلى فرساى تتبعهن فصيلة كبيرة من الحرس الوطنى يقودهم لافاييت.

وكانت أولى نتائج هذا الغزو الباريسى موافقة لويس السادس عشر على جميع المراسيم التى وافقت عليها الجمعية التأسيسية، وإعلانه قبول مواد الدستور وإعلان حقوق الإنسان.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكان يصحب لافاييت ممثلان للبلدية تضمنت مطالبهما عودة الملك معهما إلى باريس. ولم يجد الملك مفرا من الإذعان بعد أن شق بعض الجمع المحتشد طريقه عنوة إلى داخل القصر وكاد يهدد حياة الملكة.

وفى الفترة التالية كان الخوف من استيلاء الجماهير الشعبية على الثورة يدفع الكثيرين من البورجوازيين الثوريين إلى التصالح مع الملك. وكان شعار هؤلاء أن الثورة لاتستطيع السير بأمان إلى أبعد مما كان الملك على استعداد للسير فيه.

وقد بدأ هؤلاء تحركهم منذ أغسطس ١٧٨٩م حين حض أنصار الملكية الدستورية الملك على مغادرة فرساى، وفى مايو ١٧٨٩م أصبح ميرابو، أكفأ خصوم البلاط، مستشارا ملكيا مأجورا للدفاع عن حقوق الملكية داخل الجمعية. وفى الشهر التالى تأسس نادى ١٧٨٩م المحافظ النزعة ـ والذى كان ردا على نادى اليعاقبة ـ وأصبح المأوى السياسى لأمثال لافاييت وبايى وسييس وتاليران.

بل إن راديكاليى ١٧٨٩م وهم: الاخوان لاميت وبارناف، وديبور دخلوا فى مفاوضات مع البلاط فى ربيع ١٧٩١م! فلما حل يونيو ١٧٩١م، لم يبق على موقف ١٧٨٩م المتشدد غير حفنة من النواب المتطرفين، وأصبح أكثر الراديكاليين السابقين مصممين على إنهاء الثورة والمصالحة مع الملك!

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى الوقت نفسه كان ضرب الكنيسة، باعتبارها دعامة من دعامات النظام القديم، يؤدى إلى انقسام آخر. وكان من أعضاء الجمعية عدد كبير من الذين اعتنقوا آراء فولتير وأصحاب الموسوعة.

وقد أسفر الهجوم على الكنيسة عن إلغاء الأديرة وطوائف الرهبان، ومصادرة أموالهم فى نظير معاشات لأصحابها، وإصدار قانون الكنيسة المدنى فى ١٢ يوليو ١٧٩٠م، وبمقتضاه صار كل الأساقفة ينتخبون بواسطة الأمة، ولايعينهم البابا، وتعدل توزيع الأسقفيات حسب الوحدات الإدارية. ومن قبل ذلك فى ديسمبر ١٧٨٩م كان المجلس قد أصدر، تحت اقتراح تاليران، قرارا ببيع أملاك الكنيسة.

وقد أدت هذه القوانين إلى فصل رجال الدين عن الثورة، وتحالفهم مع أعدائها، وخصوصا عندما رفض الكثيرون حلف اليمين على اتباع القانون، وأعلن البابا استنكاره له، وأخذت الجمعية ترغم رجال الدين المخالفين أو المستنكرين على حلف يمين الطاعة للدستور كضمان لولائهم للثورة، مما أدى إلى اشتداد المعارضة للثورة بتأييد الفلاحين، الذين ساءهم تدخل الجمعية الوطنية فى شئون الدين والعبادة، وأدى ذلك إلى إشعال الحرب الأهلية الدينية فى البلاد من ١٧٩١م إلى اتفاق ١٨٠١م بين نابوليون والبابا.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد كانت نتيجة لهذه الانقسامات، أن انتقلت قيادة الحركة الثورية من الجمعية الوطنية والأوتيل دى فيل إلى منظمات شعبية جديدة.

فقد ألف قادة قسم الكورديلييه Cordelier (احد أحياء باريس) بزعامة «دانتون» ناديا شعاره «العين اليقظة»، تحدى البلدية وأعلن غيرته الثورية فى كل مناسبة. وتحول النادى البريتونى Club Breton إلى نادى اليعاقبة، وعلى رأسه مكسميليان روبسبير، وكانت كتابات ديمولان ومارا تعلن عن عدم ثقتهما فى السلطة، والتنديد بمؤامرات أعداء الثورة. وألف فوشيه حلقته الاجتماعية، التى كان يبشر فيها بخليط من الماسونية والمسيحية الاجتماعية، وانضم ألوف إلى هذه الحلقة. وبدأ قادة جدد يتحدثون إلى مجتمع جديد.

ومن ناحية أخرى فإن تحول الغالبية فى الجمعية الوطنية إلى جانب التعاون مع الملك للأسباب التى ذكرناها، قد جعل لويس السادس عشر يميل إلى الثقة فى استعادة سلطته فى النهاية، ولذلك فقد رفض الاشتراك فى المؤامرات التى كان يدبرها النبلاء المهاجرون لإشعال نيران الحرب الأهلية والاستعانة بالغزو الأجنبى للبلاد. وأهمها مؤامرة أغسطس ١٧٩٠م التى دبرها الكونت دارتوا أخو الملك.

على أنه فى خريف عام ١٧٩٠م كان يلوح أن لويس قد فقد الثقة فى قدرته على استعادة سيطرته على الثورة، خصوصا بعد أن اضطر إلى الموافقة على قانون الاكليروس المدنى فى ٢٤ أغسطس ١٧٩٠م. ولذلك قرر القضاء على الثورة بالقوة العسكرية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عن طريق الهرب من باريس إلى الحدود الشرقية، والاتصال بجيشه فى متز Metz، ليكره الإمبراطور النمسوى المتردد على التدخل لصالحه.

وفى يوم ٢٠ يونيه ١٧٩١م قام بتنفيذ خطته، ولكنه أوقف فى فارين Varennes، وأعيد وأسرته إلى باريس تحت الحراسة يوم ٢٥ يونية ١٧٩١م.

وقد قدر لهذه المحاولة الملكية الفاشلة أن تكون نقطة تحول فى تاريخ العلاقة بين قوى الثورة.

فحتى ذلك الحين لم تكن ثورية اليسار المتطرف قد ذهبت به إلى حد التفكير فى الجمهورية، وإنما كان الصراع يدور حول توزيع السلطة بين الملكية والبورجوازية، والقدر الذى يسمح به لهذا أو تلك. ولكن بعد كشف هرب لويس برزت فكرة خلع الملك لتقسم اليسار نفسه.

فمع أن الجمعية خولت لنفسها كل السلطات، وأمرت الوزراء بتنفيذ المراسيم دون تصديق الملك، وقررت إيقاف الملك ووضعه تحت الحراسة، وأن يستمر وقفه حتى تفرغ من الدستور. إلا أنه كان هناك إحجام عام تقريبا عن خلع الملك.

ولكن الجماهير الباريسية التى تحرضها الصحافة المتطرفة والنوادى الشعبية، والتى أطلق عليها خصوصًا اسم «الصان كيلوت» Sans - Culottes (أى الذين ليس لهم بنطلونات ركوب كتلك التى يرتديها النبلاء) طالبت بمحاكمة الملك وعقابه.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكان من رأى زعماء نادى اليعاقبة، وهو موطن اليسار، أن الملك بهربه قد خسر تاجه، وطالبوا إما يتنصيب عاهل جديد وإما بأن تنشأ الجمهورية.

ولكن هذا الرأى فرق وحدة نادى اليعاقبة، فانشقت الغالبية الكبرى من أعضائه من النواب ليؤلفوا نادى الفويان Feuillants (نسبة إلى المكان الذى صاروا يجتمعون فيه وهو دير الوراقين (فويان). ولم يتركوا فى نادى اليعاقبة سوى خمسة أو ستة أعضاء، على رأسهم روبسير.

وبذلك أصبح اليمين هو المسيطر، ويمثل الغالبية العظمى. ولذلك حين أعد نادى الكورديلييه عريضة يطالب بخلع الملك ومحاكمته، ووضعها على مائدة فى ميدان «شان دى مارس» Chemps de Mars لجمع التوقيعات عليها من الصان كيلوت، يوم ١٧ يوليو ١٨٩١م، قام بايى ولافالييت، بتشجيع من الجمعية الوطنية، بحصد الجماهير على يد فصيلة من الحرس الوطنى البورجوازى.

وقد وضعت الدماء التى سالت فى شان دى مارس حدا فاصلا بين الملكيين الدستوريين والجمهوريين الثوريين. فمن ناحية فإن الملكيين الدستوريين أصبحوا الآن على استعداد للنزول للملك فى الدستور عما أبوا النزول عنه فى ١٧٨٩م .

وقد شرح بتيون Pétion دوافع هؤلاء بقوله: «إن البورجوازية تبتعد عن الشعب، وإنها لخوفها من انحدار الثورة إلى حرب بين المالكين والمحرومين تحاول أن تصل إلى اتفاق مع الأرستقراطية».

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى ١٨ يوليو ١٧٩١م أصدرت الجمعية قانونًا وحشيًا لحفظ النظام، قامت البلدية بتنفيذه. وظل الحكم العرفى ساريا ثلاثة أسابيع، جرت المحاولات أثناءه لإسكات زعماء الصان كيلوت، وفر دانتون إلى إنجلترا، واختبأ ديمولان وسانتير Santerre فى باريس، واستولت السلطة البورجوازية على مطابع مارا الذى كان قد توفى فجأة فى ٢ أبريل ١٧٩١م، ففقدت الملكية بوفاته أكبر نصير لها، وقبض على آخرين.

ومن ناحية أخرى فإن روبسبير وبتيون Pétion على رأس نادى اليعاقبة تزعما النضال ضد تنقيح الدستور، واستطاعا كسب تأييد غير معهود. فلم تنفذ الجمعية غير شطر ضئيل من مشروعات التعديل. وقد استطاع روبسبير الحصول على قرار من الجمعية بمنع أعضائها من أن يكونوا ناخبين أو نوابا فى الجمعية التالية التى تجرى الانتخابات لها على أساس الدستور الجديد، وفى يوم ١٣ سبتمبر ١٧٩١م صدق الملك على الدستور، الذى حرم من حق الانتخاب أكثر من ٥/٤ سكان فرنسا البالغ عددهم ٢٤ مليونا، وأعيد الملك إلى وظائفه.

وفى ٣٠ سبتمبر ١٧٩١م أصدرت الجمعية الوطنية التأسيسية قرارا بانفضاضها واجراء الانتخابات للجمعية التشريعية As-semblée Legislative.

وعلى هذا النحو أسفرت هذه المرحلة من مراحل الثورة البورجوازية عن نتيجتين: الأولى : انقسام الثورة بين يمين دستورى ملكى، ويسار ثورى جمهورى، والثانى انتصار اليمين.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٤ ـ الجمعية التشريعية

عندما اجتمعت الجمعية التشريعية فى أول أكتوبر ١٧٩١م، كانت كتلة اليمين هى أكبر الكتل، فقد كان عدد من انتمى منهم إلى نادى الفويان Feuillants ٣٣٤ نائبا. وقد انضم إليهم الأخوان لاميت Lameth وبارناف Barnave وديبور Duport.

وفى اليسار كان يوجد (أولا) اليعاقبة وعلى رأسهم روبسبير الذين بدءوا بعدد لايزيد على ١٣٦ نائبا، (ثانيا) الجيروند Girondins الذين سموا بذلك لأن أصل نوابهم من إقليم الجيروند، وعلى رأسهم برسو Brissot، فيرينيو Vergniaud، وجاديه Guadet ورولان.

وكان الجيروند واليعاقبة ثوارا يتشابهون مزاجا وأصلا اجتماعيا (بورجوازية صغيرة) وعقيدة سياسية.

وإلى أقصى اليمين، كان يوجد لافاييت وإخوانه من مؤيدى الملكية.

وقد قامت فلسفة الجيروند على أن انقسام المجتمع الفرنسى قد أصبح أعمق من أن يتيح التوفيق بين عناصره، ومن ثم فإن سلامة قضية الثورة تقتضى سحق خصومها دون هوادة. وقد عبرت مدام رولان عن ذلك بقولها:

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

«إن الحرب الأهلية ستكون مدرسة عظمى للفضيلة العامة. إن فى السلام نكسة لنا».

ومن ثم فقد ركز الجيروند هجومهم على النبلاء المهاجرين، الذين كانوا قد أخذوا فى مغادرة فرنسا بعد انتقال لويس السادس عشر إلى باريس، فيما يعرف باسم «الهجرة الكبرى»، La grande Emegrante، إلى الإمارات الألمانية على نهر الراين فى ماينز Mainz وكوبلنز Coblentz، وكونوا جيشا عبر الحدود.

وقد حمل الجيروند الجمعية فى ٨ نوفمبر ١٧٩١م على اصدار مرسوم يقضى بالحكم بالإعدام على جميع المهاجرين الذين يظلون بالخارج بعد أول يناير ١٧٩٢م، وعلى وضع ممتلكاتهم تحت الحراسة.

وفى ٢٩ نوفمبر ١٧٩١م طلبوا إلى لويس السادس عشر أن يرسل إلى منتخب تريف Treves يطلب اليه تفريق تجمعات المهاجرين – رغم أن هذا الطلب قد يؤدى إلى إعلان الحرب على النمسا، حيث كان منتخب تريف Treves أميرا من أمراء الامبراطورية.

وكان «بريسو»، الذى تزعم الجيروند، يرى أن الحرب وسيلة للتعجيل ببلوغ الثورة إلى ذروتها، وإكراه الملك على التسليم للجيروند.

وقد التقى مع الجيروند فى نظرية الحرب هذه اليمين المتطرف الممثل فى لافايت وأعوانه والبلاط الملكى، ولكن لأهداف مختلفة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تماما. فقد اعتقد هؤلاء أن الحرب لن تؤدى إلى إلغاء سلطة الملك كما يأمل الجيروند، وانما ستؤدى إلى تدعيم سلطته، لأنهم سيتولون قيادة الجيوش، وستيح لهم ذلك فرصة استخدام القوات المسلحة التى تحت قيادتهم للقضاء على أعداء النظام. وهكذا اتحد الملكيون والثوار على شن الحرب كأداة لحل مشاكل السياسة الداخلية.

على أن اليعاقبة وقفوا موقف المعارضة للحرب، وعلى رأسهم روبسبير وديمولان ومارا وكوتون Couton، ودانتون، على أساس أنه من المستبعد أن تأتى نتيجة الحرب فى صالح الثورة، وأن سياسة الحرب ماهى إلا شرك ينصبه القصر. ولكن هذه الجماعة المعارضة التى أطلق عليها ـ فيما بعد ـ اسم «الجبليون» Montagnards، فشلت فى الحصول على تأييد الجمعية.

ولقد حققت نتيجة الحرب حدس الجيروند بالفعل، ولكن لأسباب مختلفة، أى لأسباب ترجع إلى هزيمة القوات الفرنسية وليس لانتصارها.

ذلك أن القوات الفرنسية كانت قد شلت حركتها فوضى الجنود وهرب كثير من ضباطهم، وبالتالى فلم تفشل فقط فى الهجوم على بلجيكا كما كان مقررا، بل عجزت عن صد الغزو.

ومن ثم اعتمد الدفاع عن البلاد على تجنيد الجيوش الشعبية، التى تألفت فى المراحل الأولى من مراحل الحرب من عمال المدن أى الصان كيلوت.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولقد كانت قوة «الصان كيلوت» السياسية كبيرة كما رأينا، ولكن حد من تأثيرهم انصرافهم أكثر الوقت إلى كسب رزقهم، فلم يزد دورهم إلى ذلك الحين على دور الكورس فى مسرحية الثورة، كما حدث فى يوليو ١٧٨٩م وفى «الشان دى مارس» Chemps de Mars.

ولكن هذا الدور لم يلبث أن دخل مرحلة جديدة الآن بعد ازدياد الاعتماد عليهم فى الدفاع عن باريس من جهة، ثم بعد ذلك حين فُتحت إباحة التصويت للمواطنين السلبيين (الذين ليس لهم حق الانتخاب) فى ١٤ أغسطس ١٧٩٢م أمامهم أقسام باريس وغيرها من المدن المهمة، وأتاحت لهم فرصة الاجتماعات المحلية حيث يستطيعون التدخل فى الأحداث فى أرضهم، والضغط بقراراتهم على البلدية وعلى الجمعية.

وفى البداية لعب الجيروند دورهم المتطرف حين اعترض الملك على مشروعين: أحدهما موجه ضد الكهنة العصاة، والثانى بقرار انشاء معسكر قرب باريس من ٢٠ ألف من المتطوعين القادمين من الأقاليم (لدعم سيطرة الجيروند)، مما أدى إلى سقوط وزارة الجيروند يوم ١٥ يونيه ١٧٩٢م.

فقد تحالف الجيروند مع اليعاقبة، وأسفرت المحالفة عن مظاهرة يوم ٢٠ يونيو ١٧٩٢م التى غزت قصر التويلرى وكادت تفتك بالأسرة المالكة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على أن الجيروند سرعان ما تقاعسوا عن «إبلاغ الثورة قمتها» ـ حسب تعبيرهم ـ بالاطاحة بالملكية، حين وجه الدوق برونسڤيك Brunswik، القائد الأعلى للجيش البروسى، بناء على طلب مارى أنطوانيت، إنذارا يوم ٢٥ يوليو ١٧٩٢م اعتبر فيه أهل باريس مسئولين عن سلامة الأسرة المالكة، مما أثار الهياج فى العاصمة.

ففى هذه اللحظات الحاسمة كان الجيروند يتفاوضون مع القصر لحمله على قبول وزارة جيروندية، ومن ثم فقد رأوا أن الأزمة الحربية ليست الوقت المناسب للإطاحة بالملكية أو لتغيير الدستور، وتحولوا فجأة إلى الدفاع عن العرش والوقوف ضد خلع الملك، بعد أن هيأت سياستهم الشعب لذلك!، وفى الوقت نفسه تردد الجبليون خوفا من فشل الثورة إذا قامت.

وهكذا انتقلت المبادرة إلى يد الصان كيلوت الباريسيين. ففى تلك الأثناء كانت الجمعية قد استدعت المتطوعين، الذين أطلق عليهم اسم الاتحاديين (الفدراليين) Fédérés من الأقاليم ليشهدوا احتفالات ١٤ يوليو ١٧٨٩م فى طريقهم إلى الجبهة. وقد حضر هؤلاء، وكان بينهم متطوعو مرسيليا الذين وصلوا وهم ينشدون المارسيليز Mar-seillaise، الذى ألفه أحد ضباط سلاح المهندسين (روجيه دى ليل Roujet de L'Isle تحت اسم نشيد حرب جيش الراين.

ولم يرض الاتحاديون بالرحيل عن باريس قبل أن يضربوا ضربتهم، ففى يوم ١٧، ٢٣ يوليو ١٧٩٢م تقدموا بطلبات إلى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الجمعية بوقف الملك، وكونوا لجنة مركزية ولجنة تنفيذية عليا سرية أدخلوا فيها عددا من قادة باريس لضمان الاتصال بأقسام باريس.

وفى ٣ أغسطس تألفت مظاهرة من أقسام باريس على رأسها بتيون عمدة العاصمة (من الجيروند) تطالب الجمعية التشريعية بخلع الملك، وفى ٦ أغسطس ١٧٩٢م كرر هذا الطلب وفد من المتطوعين، ومنح الجمعية مهلة إلى يوم ٩ أغسطس ١٧٩٢م، ولكن الجمعية التى تمثل البورجوازية رفضت الإذعان لدكتاتورية الصان كيلوت.

وعلى الفور عبأ الاتحاديون والحرس الوطنى، الذى كان قد فتح أبوابه لجميع المواطنين، وفقد لذلك صفته البورجوازية البحتة، صفوفهم، وأرسلت أقسام باريس مندوبين عنها إلى مقر الأوتيل دى فيل، حيث طردوا المجلس البلدى، ونصبوا أنفسهم كومونا ثوريا على رأسه دانتون، ثم استدعوا قائد حرس القصر واعتقلوه فور وصوله.

وعندما بدأ خطر الهجوم على قصر التويليرى يتجلى، ترك الملك وأسرته القصر ووضع نفسه تحت حماية الجمعية، وسرعان ماوقع الهجوم المشهور يوم ١٠ أغسطس ١٧٩٢م على التويليرى على يد الصان كيلوت، والذى أسفر عن سقوطه، كما سقط الباستيل يوم ١٤ يوليو ١٧٨٩م على أيديهم أيضا.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وإذا كان سقوط الباستيل قد أنقذ الجمعية التأسيسة، فإن سقوط التويليرى قد أسقط الجمعية التشريعية، التى هرب أكثر من نصف أعضائها. ومنذ ذلك التاريخ اكتسب الكومون، أو المجلس البلدى الجديد، أهمية تفوق أهمية الجمعية التأسيسية والمؤتمر الوطنى بعدها.

فلقد تقدم الجيروند ليجنوا ثمار الثورة التى زرعها غيرهم، والتى وقفوا فى وجهها، فألفت الجمعية التشريعية وزارة جديدة منهم فيما عدا دانتون الذى عين وزيرا للعدل. وفى ظل غياب الأغلبية المحافظة وحق الفيتو الملكى، استصدر الجيروند قرارات بوقف الملك، وبانتخاب مؤتمر ذى سيادة فورا يختار أعضاؤه بالتصويت العام للذكور، ويكون له الفصل فى تنظيم الدولة فى المستقبل ومراجعة الدستور، وأصبح الجيروند أحرارا فى تنفيذ برنامجهم الراديكالى، فأصدروا لصالح الفلاحين عددا من القوانين على رأسها مرسوم ٢٥ أغسطس ١٧٩٢م الذى ألغى جميع المكوس المستحقة للاقطاعيين مالم يبرز المنتفعون حججهم الأصلية. فتم بذلك تحقيق مطالب الفلاحين كاملة.

ولكن «الكومون»، الذى أصبح على رأسه روبسبير، والذى كان يضم عمالا يبلغون ضعفى المحامين، والذى كان يستند إلى تأييد الصان كايوت، ظلت له اليد العليا، فى حين أصبح لدانتون اليد العليا فى الوزارة. وقد أرغمت الجمعية التشريعية على إقرار

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التغيير الذى حدث فى مجلس البلدية، وإقرار «الكومون» الثورى الذى رفع عدد أعضائه من ٦٠ إلى ٢٨٨.

وسرعان ما طالب «الكومون» بخلع الملك وعقاب من حاربوا فى صفه على يد محكمة خاصة، فألفت الجمعية هذه المحكمة على مضض بعد أن هدد روبسبير النواب باسم الكومون بأن الشعب ساكن ولكنه ليس نائماً!.

وفى نفس الأثناء تدخل الموقف الحربى، الذى ساء فجأة، ليدفع الثورة إلى منحنى آخر. فقد عبر الجيش البروسى الحدود الفرنسية بقيادة برونسڤيك Brunswik فى ١٦ أغسطس ١٧٩٢م، ولم ينقض الشهر حتى وصلوا إلى فردان Verdun، آخر حصن يسد الطريق إلى باريس، وبدا أن الحرب ستفضى بالثورة إلى كارثة.

وهنا أخذ الكومون ومجلس الوزراء تحت زعامة دانتون فى إعداد وسائل الدفاع المستميت عن باريس، ودفعت الهزائم المتلاحقة بالجيش الفرنسى، والشك فى وجود خيانة وراءها، إلى محاولة تأمين الثورة فى الداخل، عن طريق إرهاب الأعداء الداخليين.

وبينما كانت السجون تغص بالمسجونين، كان الكومون، الذى انتزع من الجمعية كل شئون الدفاع عن باريس، فى شغل بالحصول على جيش من المتطوعين. ومرة أخرى استجاب الصان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كيلوت، وزحف من باريس فى أسابيع ثلاثة ٢٠ ألفا دفاعا عن الثورة.

وفى أثناء ذلك راجت الإشاعات بأن أعداء الثورة المسجونين سوف ينتهزون فرصة غياب المحاربين من الصان كيلوت للهرب من السجن والاستيلاء على باريس حتى يصل البروسيون، وخلصت منشورات مارا إلى النتيجة المنطقية، وهى ذبح المسجونين!

وفى ٢ سبتمبر ١٧٩٢م أعيد تنظيم لجنة الخلاص العام التابعة للكومون لضم مارا إلى عضويتها، وبدأت فى عصر ذلك اليوم فرق الصان كيلوت تحاصر السجون وتذبح المسجونين، واستمرت المذابح أربعة أيام ذهب ضحيتها حوالى الألفين.

ولكن أهم نتائجها أنها عملت على التفرقة بين زعماء الثورة - أى بين الجيروند واليعاقبة - كما سممت العلاقات بين الجيروند والصان كيلوت، فبينما أصبح الصان كيلوت فى نظر الجيروند مرتبطين بالقتل والفوضى، اعتبر الجبليون مذبحة السجون «حادثا عارضا سيئا فى مسرحية عظيمة»! وأن وقف المذابح، حتى لو كان ممكنا، كان يتطلب تعبئة نفس قوى النظام التى ارتكبت حادث «الشان دى مارس» (البورجوازية)، ولو حدث ذلك لانهارت فى أثناء ذلك عملية الدفاع القومى التلقائية، ولشهدت باريس دخول الحراب الأجنبية وإعادة نظام ١٧٨٨م.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٥ ـ المؤتمـــــر الوطنى

اجتمع المؤتمر فى ٢١ سبتمبر ١٧٩٢م، فى اليوم التالى لمعركة فالمى Valmy، التى أنقذت فرنسا، وذلك بعد انتخابات اعتبر فيها كل فرنسى بلغ الـ ٢١ عاما مواطنا عاملا Citoyen Active.

قد صار الجيروند هم حزب اليمين المتطرف، وكانوا قد حصلوا على الغالبية بسبب سيطرتهم على الأقاليم التى كانت تعارض سيطرة باريس.

وفى أقصى اليسار كان يجلس نواب باريس: روبسبير، ودانتون، وكاميل ديمولان، ومارا، وفيليب المساواة، وكولو ديربوا Collot d'Herbois، مع حوالى ثلاثين عضوا آخرين عرفوا بسبب ارتفاع المكان الذى جلسوا فيه باسم الجبل Montagnards.

أما المستقلون فأطلق عليهم اسم السهل Plain أو المستنقع Le Marais.

ولقد كان الجيروند والجبليون على اتفاق تام تقريبا فى مسائل السياسة، وتعلقهما المخلص بالثورة، والجمهورية، وكراهة الامتيازات، والعداء للاكليروس. ولكن الشكوك كانت تقوم بينهما، فبينما اعتقد الجبليون أن الجيروند على استعداد لأية تسوية مع

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القوى المحافظة، بل الملكية، فى سبيل الحكم، كان الجيروند مؤمنين بأن روبسبير وأصحابه يتطلعون إلى دكتاتورية دموية.

وقد أدى العداء المرير بينهما إلى شلل المؤتمر، وفى النهاية حمل كل من الفريقين على قبول حلفاء خطرين: فقد قبل الجيروند محالفة الملكيين، وقبل الجبليون محالفة الصان كيلوت.

وكانت المحالفة الأخيرة على وجه الخصوص قاضية على الخصمين، فينسب إلى دانتون قوله: «هؤلاء الجيروند هم الذين أكرهونا على أن نرتمى فى أحضان الصان كيلوتية التى التهمتهم، والتى ستلتهمنا جميعا، والتى ستلتهم نفسها».

وكان الجيروند هم الذين بدءوا المعركة حينما شنوا هجوما مريرا على خصومهم الجبليين، بسبب دورهم فى مذابح سبتمبر١٧٩٢م، وطالبوا بنصب المشانق للشناقين والمحرضين، وهاجموا بصفة خاصة دانتون وروبسبير ومارا «كثلاثى» ذى أطماع خطيرة يريد تأسيس حكم دكتاتورى.

ولكن دانتون وروبسبير ومارا استطاعوا تدحيض الاتهامات ضدهم، وعمدوا إلى خطة يكشفون بها خصومهم لإسقاطهم، وهى المطالبة بمحاكمة الملك كعدو للأمة، وإعدامه، حتى إذا حاول هؤلاء الدفاع عن الملك اتهمهم الجبليون بأنهم ملكيون.

وبالفعل، فمع أن «الجيروندين» جميعا كانوا يعتبرون الملك خائنا للثورة، إلا أنهم انقسموا فى موضوع محاكمته. ومعظم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المعارضين فى إعدامه إنما عارضوا لأسباب تقوم على المصلحة لا على العدالة، ولكنهم جلبوا بمعارضتهم الشبهات فى ميولهم الملكية دون أن يستطيعوا إنقاذ لويس!. وكانت النتيجة هى هزيمتهم فى المؤتمر.

وقد أقنعت هذه الهزيمة الأولى الكبرى محترفى السياسة الطموحين من أمثال «فوشيه» Fouché بنقل ولائهم إلى اليعاقبة، ومن قبل كان نواب أكفاء، مثل كارنو Carno وبارير Barere وغيرهم، قد أخذوا ينجذبون إلى الجبليين واحداً وراء الآخر، وأما زعماء الصان كيلوت فى أقسام باريس الذين غاظتهم اتهامات الجيروند العلنية المتكررة لباريس بأنها وكر الفوضى، فقد انقلبوا مهاجمين لنوابهم الذين حاولوا إنقاذ الملك.

وفى أثناء ذلك كان الجبليون يطالبون بإعدام الملك دون أى محاكمة، وكان يقود هذا الطلب روبسبير وسان جوست Saint just، وقد بررا ذلك بأن الملك المخلوع هو مصدر خطر على أى نظام جمهورى.

وأخيرا تمت محاكمة الملك أمام المؤتمر ابتداء من ١٣ ديسمبر ١٧٩٢م، وانتهت بإدانته بالإجماع تقريبا. وعند أخذ الرأى بالمناداة على الأسماء، وأمام إرهاب جماهير الصان كيلوت المحتشدة فى القاعة على نوع العقوبة، اقترع ٤٣٣ من ٧٢١ إلى جانب الإعدام، ومن هؤلاء فيليب دورليان (أو فيليب المساواة) وفيرنيو الجيروندى رئيس المجلس، وتم بالفعل تنفيذ الحكم يوم ٢٠ يناير ١٧٩٣م.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على أن موافقة الجيروند على إعدام الملك لم تنقذهم، فقد تزايد عداء الجبليين وكومون باريس لهم، وصار للمتطرفين من الجبليين، خصوصا شوميت Chaumette وايبير Heber نفوذ عظيم فى «الكومون»، فى حين أخذ روبسبير ومارا يحركان الصان كيلوت للتخلص من الجيروند.

وحانت الفرصة لطعن الجيروند حين انهزم «ديموريه» Du-mouriez أمام النمساويين والبروسيين فى موقعة نيروبندن Near-winden فى ١٨ مارس ١٧٩٣م، ثم فى لوفان Louvin فى ٢١ مارس ١٧٩٣م، ووقع هدنة مع القائد النمساوى يخلى بموجبها بلجيكا فى مقابل تعهد النمساويين بعدم اختراق الحدود الفرنسية، وعندما قدم إليه وزير الحربية الفرنسية وأربعة مندوبين للتحقيق معه فى هذه الخيانة، سلمهم إلى العدو، وحاول الزحف على باريس وضرب المؤتمر، ولكن قواته رفضت، فانضم إلى الأعداء فى ٥ ابريل١٧٩٣م.

فلما كان ديموريه dumouriez شديد الصلة بالجيروند، فقد اشتد هجوم الجبليين على هؤلاء بسبب خيانته.

وفى الحقيقه لقد آمن الجبليون فى ذلك الحين بأن المؤتمر لن يستطيع قيادة سفينة الثورة إلا بالتخلص من زعماء الجيروند، وأن الأمن العام يتطلب قيام حكومة دكتاتورية، ولما كان أعداؤهم يهددونهم، ويمكنهم أن يتهموهم فى أى وقت، فإن أمنهم الشخصى كان فى خطر. وكان الترابط فى ذلك الحين قد تزايد بين الصان كيلوت وأقسام الكورديليه.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولكن الجيروند من جانبهم تحالفوا مع حزب الوسط (السهل)، ووجه الحزبان الاتهام ضد مارا، الذى كان قد أعد عرائض شعبية فى نادى اليعاقبة تطلب القبض على ٢٢ عضوا من الجيروند، ولكن محكمة الثورة برأت مارا يوم ٢٤ إبريل ١٧٩٣م، فاقترح جاديه (من الجيروند) إلغاء كومون باريس، وإحلال رؤساء الأقسام محل الكومون، ولكن بارير Barére اقترح حلا وسطا بتأليف لجنة من اثنى عشر من الجيروند لفحص مسلك الكومون وفحص حوادث مذابح سبتمبر ١٧٩٢م، وقبضت هذه اللجنة فى ٢٤ ـ ٢٦ مايو ١٧٩٣ على إيبير وفارليه Varlet وأربعة آخرين.

ولكن القبض على هذه العناصر الشعبية أثار جماهير الصان كيلوت، فحاصرت التويليرى حيث ينعقد المؤتمر، وأرغم على إطلاق سراح المعتقلين، وإلغاء لجنة الاثنى عشر. ولكن الجيروند أعادوا تأليف اللجنة فى اليوم التالى.

وكانت النتيجة حركة ٣١ مايو ـ ٢ يونية ١٧٩٣م الثورية، وهى ثالث حركات التمرد الباريسى، وآخر ما نجح منها (والأوليان ١٤ يوليو ١٧٨٩م سقوط الباستيل و ١٠ أغسطس ١٧٩٢م سقوط التويليرى)، فقد ألفت أقسام باريس لجنة تنفيذية من تسعة، معظم أفرادها مغمورون من الصان كيلوت، ومنهم فارليه، وعينت هانريو Hanrio لقيادة الحرس الوطنى، وأوقفت الكومون، ثم أعادت اليه السلطة فورا، وانضمت إليه، وحركت مظاهرة انتهت بإلغاء المؤتمر لجنة الإثنى عشر للمرة الثانية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى مساء اليوم التالى قدمت اللجنة للمؤتمر طلبا بالقبض على زعماء الجيروند، وعددهم ٢٩ زعيما، فاكتفى المؤتمر بإحالة الطلب إلى لجنة الخلاص العام Cometé de Salut Publique التى تأسست فى ٦ أبريل ١٧٩٣م ولكن الكومون أصر على طرد الجيروند.

وفى يوم ٢ يونية ١٧٩٣م حاصرت المؤتمر فرق مختارة من الحرس الوطنى تحت قيادة هانريو، وطلبت القبض على أعضاء لجنة الاثنى عشر، وعلى زعماء الجيروند، وانتهز مارا الفرصة فأعد قائمة بأسماء النواب الذين يراد حبسهم، وضم أعضاء لجنة الاثنى عشر، ثم اثنين آخرين، ومن بينهم فرينيو، وجاديه، وجنسونيه Gensonné، وبريسو، وبتيون، وغيرهم، وواصل المؤتمر مطالبة الكومون بمحاكمة الجيروند.

وأخيرا تقرر، بناء على اقتراح كوتون التحفظ على ٢٩ من زعماء الجيروند فى منازلهم، واستطاع آخرون الهرب، وبذلك أصبح حكم البلاد فى يد الجبليين، وإن استمر المؤتمر فى عمله.

انتقل الحكم إلى يد الجبليين، وفى الأيام الستة التالية كانوا قد استطاعوا إنجاز مشروع الدستور، الذى كانت قد بدأت فيه اللجنة التى ألفها المؤتمر لهذا الغرض من قبل، والتى كانت مؤلفة فى غالبيتها من الجيروند، واعتمد المؤتمر هذا الدستور فى ٢٤ يونيو ١٧٩٣م، وعرف باسم دستور السنة الثانية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكان غرض الجبليين الأساسى من الإسراع بإصدار الدستور، نفى تهمة الطغيان عن أنفسهم التى ألصقها بهم الجيروند، ولذلك فما كاد يتحقق هذا الغرض حتى اكتفى الجبليون بذلك. فلم يوضع هذا الدستور موضع التنفيذ أبدا، وإن كان مبدأ التصويت العام للذكور، الذى أخذبه، أصبح منذ ذلك التاريخ جزءا من التقاليد الراديكالية الفرنسية.

وفى الفترة التالية كان الصراع الاجتماعى يحتدم فى فرنسا، وصدرت فى عهد الجبليين التشريعات الاجتماعية المهمة فى هذا المجال.

ففى ١٠ يونيو ١٧٩٣م صدر الأمر بتقسيم الأراضى المشاعة بالتساوى اذا طلب ذلك ثلث أهل القرية. وفى ١٧ يوليو ١٧٩٣م صدر قانون ينص على إلغاء جميع الرسوم والحقوق الإقطاعية دون تعويض وتدمير جميع حجج الملكية الإقطاعية. وفى ٢٥ فبراير ١٧٩٤م صدر قرار تفسيرى لقانون ١٧ يوليو ١٧٩٣م السالف الذكر بإلغاء جميع الالتزامات، التى تشوب العقد فيها فى الأصل «أقل شائبة إقطاعية». فنزع بناء على ذلك ملكية كثير من البورجوازيين الذين تشبهوا بالإقطاعيين عند التعاقد! وقد وصف هذا القانون بأنه «ثورة داخل ثورة».

ويمكن الاستشهاد بنص مشروع «لوبيلليتييه» Le Pelletier وهو نائب جبلى قتله ملكى وقت إعدام الملك، مثالا على الأفكار الجبلية «التقدمية» فى النصف الأول من ١٧٩٣م.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فقد ذكر فيه «أن ثورات السنوات الثلاث الماضية صنعت كل شئ لطبقات المواطنين الأخرى، ولم تصنع شيئاً تقريبا لطبقة ربما كانت هى أهم الطبقات، وهم المواطنون من طبقة البروليتاريا، الذين لا يملكون سوى كدهم. لقد قضى على الإقطاع، ولكن لغير مصلحتهم، لأنهم لا يملكون شيئاً من هذه الحقول المحررة، وقد أعيدت المساواة المدنية، ولكنهم لم يعطوا تعليما ولا تدريبا».

مع ذلك فلم يتردد الجبليون فى مهاجمة جاك رو Roux عضو الكومون وعضو نادى الكورديلييه المتطرف اجتماعيا، والذى يسيطر على الصان كيلوت، عندما اتهم نواب الجبل بأنهم يشرعون القوانين لصالح الأغنياء، ويتغاضون عن المساوئ «التى كان يندى لهاجبين الحكم المطلق لو وقعت فى آخر أيام سلطانه الهمجى»، ولا تحرك قلوبهم الدموع والآهات التى تنبعث من الفقراء» – ففى ٢٠ يونيو ١٧٩٣م ذهب وفد من اثنى عشر رجلا من كبار الساسة، منهم روبسبير وبيوفارين Billaud-Varenne، وكوللو ديربوا-Collotd Herbois، وإيبر Hebert، وتوريو Thuriot من نادى اليعاقبة، وأقنعوا الكورديليين بطرده.

فى ذلك الحين كانت فرنسا تهددها الثورات من الداخل، والغزو من الخارج. فقد انتشرت الثورات ضد المؤتمر الوطنى فى ليون ومارسيليا وطولون ونيم Mimes، وتسلحت فى الشمال مقاطعة كالفادوس Calvados لإعادة الملكية، وهاجمت جيوش فندية Vendée مدينة نانت للسيطرة على نهر اللوار وإنشاء اتصالات مع إنجلترا.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومن الناحية الأخرى، فقد انهزمت جيوش الثورة فى كل مكان، فسقطت ماينز فى ٢٣ يوليو ١٧٩٣م، واجتاز الجيش النمسوى الحدود زاحفا على كونديه Condé وفالنسيين Valencienne فسقطتا يومى ١٥، ٢٨ يوليو١٧٩٣م، وانفتح بذلك الطريق للمرة الثانية إلى باريس.

وفى الوقت نفسه كان الجيش الإنجليزى يزحف على دنكرك، والبروسيون على فيسنبورج Wissenbourg ولانداو، كما هزم الاسبان الفرنسيين فى البرانس، وغزا ٢٠ ألفاً من البدمونتيين (البيمونتيين) فرنسا من ناحية الألب، وأعلنت الحكومة الإنجليزية الحصار على القوات الفرنسية، وباتت العاصمة مهددة بالمجاعة.

ثم وقعت كارثة كبرى، هى تسليم طولون المتمردة المدينة والترسانة والأسطول فى ٢٧ أغسطس ١٧٩٣م للأسطول الانجليزى بقيادة هود Hood، ومناداتها بلويس السابع عشر ملكا، وهكذا انتقل إلى أيدى العدو بضربة واحدة ودون إطلاق رصاصة واحدة ٢٦ بارجة من ٦٥ بارجة للجمهورية، و ١٦ فرقاطة من مجموع الفرقاطات البالغة ٦١.

وفى الوقت نفسه وقع حادث قتل مارا، معبود الصان كيلوت، على يد شارلوت كورداى Charlott Corday، ليقنع الجبليين أن خصومهم تخلوا عن كل ضوابط السلوك المتحضر.

وكانت النتيجة العامة لهذه السلسة الطويلة من الخيانة والاغتيال والهزيمة، أن أقتنع الجبليون بعدة أمور:

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(الأول)، أن على الجمهورية أن تخشى خيانة قوادها القدامى أكثر من خشيتها من نقص الكفاءة المحتمل فى قوادها الوطنيين.

(ثانيا) أن وطنيى عام ١٧٨٩م من الطبقة البورجوازية قد سئموا الثورة، وتحالفوا الآن مع النبلاء ضد الثورة، وأصبح الدفاع عن فرنسا هنا بتصميم عدد قليل من الجبليين، بمعاونة جماهير الصان كيلوت فى المدن التى لم يبق غيرها من القوى الثورية التى يمكن الركون إليها.

(ثالثا) أن الدفاع الوطنى يجب أن يقترن بتحسين الأحوال الاجتماعية للصان كيلوت، الذين يجب أن تصان حياتهم وأقواتهم بالقوة من نشاط المضاربين.

(رابعا) ضرورة الضرب على يد الخونة والمضاربين فى الأقوات والقواد الخونة. ومن ثم فالنصر، وإرضاء الصان كيلوت، والإرهاب، هذه الثلاثة جوانب لمضمون واحد.

فى ذلك الحين كانت لجنة الخلاص العام Comité de Salut Public هى أهم أجهزة الحكم فى فرنسا، وقد أنشئت فى ١٦ أبريل ١٧٩٣م بعد أن عجزت لجنة الدفاع العام عن الوفاء بالغرض الذى أنشئت لأجله، وقد ظل يسيطر عليها دانتون، الذى وقف نشاطه على تجنيد المواطنين، وتجهيز الجيش، واتخاذ التدابير الدبلوماسية التى يأذن بها المؤتمر.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبعد انقلاب ٢ يونيه ١٧٩٣م، الذى أسقط الجيروند، تغير ميزان القوى فى هذه اللجنة، بإقصاء دانتون ودعاة التوفيق. فقد سقطت عنه عضوية اللجنة حين عرضت الأسماء على المؤتمر فى ١٠ يوليو ١٧٩٣م ليصدر قراره بإعادة تشكيل اللجنة وفقا للعرف المتبع، بعد أن تقرر إنقاص أعضائها من ١٦ عضوا إلى ٩ أعضاء فقط، زيدوا إلى ١٢.

وبذلك أصبحت اللجنة تتألف من هذا التاريخ من غلاة الجبليين، مثل روبسبير، وسان جوست، وكوتون، وبيوفارين، وكوللو ديربوا وبارير Barere وكارنو Carnot. وسيطرت على شئون الحكم فى فرنسا، وحكمت البلاد حكما دكتاتوريا مدة سنة من يوليو ١٧٩٣م إلى يوليو ١٧٩٤م.

وقد انقسمت هذه اللجنة إلى هيئتين: هيئة حاكمة من روبسبير وسان جوست وكوتون (الثالوث) وكوللو ديربوا وبيوفارين – والأخيران أكثر تطرفا. ثم هيئة تنفيذية يهمنا فيها كارنو، الذى أسند إليه تنظيم الجيش وتدبير النصر، وبارير.

وقد واصلت لجنة الخلاص العام دعم سلطتها فى المؤتمر وفى البلاد طوال خريف ١٧٩٣م. وفى ١٠ أكتوبر ١٧٩٣م أصدر المؤتمر مرسوماً يفوض فيه اللجنة فى الإشراف على الوزراء والقواد والهيئات الإدارية، وأرجأ تطبيق الدستور الجديد حتى يعود السلام إلى ربوع البلاد.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولم يكن فى نية الحكومة الثورية أن يشاطرها السلطة أى طبقة من طبقات المجتمع، ولذلك لم يستطع الصان كيلوت منذ الآن أن يباشروا السلطة المحلية، ولا بوصفهم وكلاء أو عملاء مطيعين للحكومة المركزية. ولما حاول شوميت فى أول ديسمبر أن يؤكد إشراف كومون باريس على اللجان الثورية للأقسام، نُبه بحدة إلى التزام النظام، ومنذ ذلك الحين اتخذ الكومون موقف الدفاع. وتركزت القوة السياسية للصان كيلوت فى الهيئات نصف المستقلة، وهى الأقسام والنوادى.

وفى ظل هذا التركيز للسلطة لليعاقبة، تمكنوا من التحول من مركز الدفاع إلى الهجوم، وإحراز الانتصارات. فقد أخمدوا الثورة فى ليون، واسترجعوا طولون على يد بونابرت، وهزموا النمسويين، وأعادوا فتح بلجيكا، وغزوا هولندا، وحرروا كل بقعة فى الوطن من الغزاة.

أما فى الحقل الداخلى فقد بدأ عهد الإرهاب الثانى بقانون المشبوهين فى ١٧ سبتمبر ١٧٩٣م، لتعقب ومطاردة أعداء الثورة والمشتبه فى أمرهم، فغصت السجون بأكثر من خمسة آلاف مشتبه فى أمره، وبدأت محكمة الثورة، التى تألفت فى ١٠ مارس ١٧٩٣، عملها فى ظل فلسفة بارا Barras القائلة بأن تبدأ بقتل خصومك على المقصلة حتى لا يقتلك بها هؤلاء.

فأعدم نواب الجيروند، الذين طردوا من المؤتمر فى ٣١ مايو ١٧٩٣م، ومنهم فرينيو وبريسو، كما أعدم بايى، وبارناف، وجاديه، ومدام رولان، ثم فيليب دورليان d'Orléan، أو فيليب المساواة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وجاءت أعنف حركات القمع فى تاريخ الثورة بعد انتصار قوات الحكومة فى الحرب الأهلية فى ليون وطولون وحول مصب نهر اللوار.

ففى ليون Lyon استخدم فوشيه Fouché وكوللو ديربوا المدافع لحصد الضحايا بعد أن وجدا أن المقصلة أبطأ مما ينبغى! وبلغ عدد القتلى فوق الألفين.

وفى نانت Nantes قتل كاريه Carrer بالرصاص ثلاثة آلاف، وأغرق ١٥ ألفا فى اللوار Loire عمدا، عدا ثلاثة آلاف تركوا فى السجون يموتون بوباء.

وعقب استرداد طولون، وكان مساعد قائد القوات الحكومية هو نابوليون بونابرت، قتل بالرصاص بأمر بارا Barras وفريرون Freron ٨٠٠ فى الأسابيع الثلاثة الأولى.

على أنه بزوال خطر الغزو عن فرنسا، وبعد التخلص من أعداء الثورة الداخليين بإعدام الجيروند والقضاء على الثورات الداخلية ـ أخذ الإرهاب يفقد مبرراته تدريجيا، ولم يلبث أن أخذ يقسم الجبليين.

وفيما يختص بدانتون زعيم الجناح اليمينى اليعقوبى، فقد أخذ ينادى بالعودة إلى النظام وسياسة الرحمة بأعداء الثورة المهزومين، وقد أيده فى ذلك كاميل ديمولان، زعيم الهجوم على

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الباستيل (وهو يعقوبي بمعنى كذلك)، وذلك علي منبر المؤتمر الوطني، وعلي صفحات صحيفة أنشأها باسم «الكورديلييه القديم». ولقيا تأييدا من البورجوازية. ولكنهما فقدا سمعتهما بسبب الانحلال والبذخ الذى تميزت به حياتهما الشخصية.

وفى الوقت نفسه وقف حزب مارا، الذى فقد رئيسه فى ١٣ يوليو ١٧٩٣م، موقف التطرف بزعامة ايبير، وملأ أنصار هذا الحزب نادى الكورديلييه، وسيطروا على الكومون، ونشرت آراءهم صحيفة إيبير المشهورة: الأب دوشين Pere Duchêne ذات التأثير على الصان كيلوت.

ووقف روبسبير موقف الوسط علي رأس نادى اليعاقبة، ومعه سان جوست وكوتون وبيو فارين وكوللوديربوا، وصمم على القضاء على الحزبين، على أساس انهما يهددان بوجودهما الجمهورية والثورة.

وقد تحالف روبسبير مع حزب دانتون اليمينى للقضاء على ايبير وحزبه المتطرف أولا. وفي ١٣ مارس ١٧٩٤م قبض على قادة الإيبيريين بعد أن قرأ سان جوست اتهاما ضدهم فى المؤتمر، وفى ٢٤ مارس ١٧٩٤م أعدموا، وكانوا تسعة عشر، على رأسهم إيبير.

وبعد أسبوع واحد استدار روبسبير الى اليمين، فاعتقل دانتون وكاميل ديمولان فى ٣١ مارس ١٧٩٤م، وفى ٥ أبريل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١٧٩٤م أعدم دانتون وديمولان ومعهما ١٢ آخرون. وفى ١٣ منه تبعهم شوميت Chaumette وأرملتا ديمولان وإيبير.

وبذلك دانت السلطة لروبسبير دون منازع، وخضع له الكومون، ولم يجسر المؤتمر على مناقشة سلطانه. وفى خلال ربيع ١٧٩٤م زادت سرعة القمع السياسى واتسعت بمقتضى قرارات المؤتمر الوطنى فى ٢٢ بريريال Prairial (المراعى) الموافق ١٠ يونية١٧٩٤م فئات أعداء الشعب التى ينطبق عليها تعريف المشبوهين.

على هذا النحو بلغت لجنة الخلاص العام أوج قوتها. وحينئذ لاحت بوادر الصراع فى داخلها. وينسب البعض هذا الصراع إلى تضارب السياسات، فيرى أن روبسبير بعد أن حققت الثورة أغراضها، رأى أنه من الواجب إنهاء عهد الإرهاب، حتى يبدأ حكم الفضيلة الذى أراده روبسبير وصار يدعو له، فتألفت المعارضة ضده من اتحاد جميع المتطرفين ضده من أنصار: بيوفارين وكوللوديربوا، ومن بقايا أنصار دانتون.

وهنا عول روبسبير على التخلص من معارضيه، فاستصدر «كوتون» من المؤتمر الوطنى فى ١٠ يونيو ١٧٩٤م قرارات ٢٢ بريريال السالف الذكر، وتتضمن حق لجنة الخلاص العام فى تقديم أى نائب من نواب المؤتمر الوطنى يكون مشتبها فى أمره إلى المحاكمة، بدلا من الإجراء السابق الذى يقضى بأن يصدر أولا قرار الاتهام من المؤتمر نفسه. وفى ٢٢ يوليو ١٧٩٤م اقترح سان جوست فى المؤتمر إنشاء دكتاتورية برئاسة روبسبير.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى ٢٦ يوليو ١٧٩٤م ألقى روبسبير خطابا عنيفا فى المؤتمر الوطنى حمل فيه على معارضيه حملة شديدة، فوصفهم بأنهم خونة ولصوص وملحدون ومتهتكون، ولكنه لم يحدد أحدا بالإسم. فاعتبر أعضاء المؤتمر هذا الخطاب تهديدا لكل منهم.

وفى اليوم التالى حين وقف سان جوست يدافع عن خطاب روبسبير، طغى صياح النواب على صوته، وكان على رأس المقاطعين كوللوديربوا وبيوفارين وتاليان Tallien، وصاح بيوفارين بالمؤتمر أن عليه إما أن يترك أعضاءه يقتلون، وإما أن يقتل ويحطم روبسبير.

ولما كان روبسبير وأنصاره لم يتخذوا العدة بالاتفاق على تدبيرات خاصة مع الكومون ضد خصومهم، فقد أسقط فى أيديهم. وبعد مناقشة سادتها الفوضى، وافق المؤتمر على القبض على روبسبير وسان جوست وكوتون. فانضم إلى هؤلاء باختيارهما «أوجستين»، شقيق روبسبير الأصغر، وليبا LEBAS صديقه، فنقل الخمسة إلى السجن.

ولكن كومون باريس سرعان ما تحرك وحرض أقسام باريس على التمرد، وأصدر الأمر بإطلاق سراح روبسبير وزملائه، ونقل هؤلاء فى مظاهرة كبيرة إلى دار البلدية.

ولكن المؤتمر قرر الالتجاء إلى القوة المسلحة، وأصدر قرارا بوضع روبسبير وهانريو وأقسام باريس خارج القانون، وبتسلم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بارا قيادة قوات المؤتمر المسلحة (الجيش) وتولى هنريو HANRIOT الدفاع عن دار البلدية فى وجه الهجوم، فى حين انقسمت أقسام باريس على نفسها، وهدأ أكثرها.

وانتهت المعركة بانتصار قوات المؤتمر، وأعدم روبسبير وأخوه أوجسطين وسان جوست وهانريو وكوتون وغيرهم يوم ٢٨ يوليو ١٧٩٤م. وبذلك انتهى عهد الإرهاب.

هذه هى النقطة التى يختم بها كثير من المؤرخين قصة الثورة. لقد بدأت المعركة كما رأينا داخل اليسار نفسه، حين انقسم إلى يمين (دانتون) ووسط (روبسبير) ويسار (ايبير) واستطاع روبسبير أن يضرب اليسار واليمين، فأضعف معسكر اليسار كله. ومالبثت بقايا اليمين واليسار اليسارى أن تحالفت مع «السهل» على إغراق الوسط اليسارى، وبذلك أكل اليسار نفسه.

وهذا يفسر ماحدث بعد سقوط روبسبير، فمع أن العنصر الفعال الذى أسقط روبسبير هو اليمين واليسار اليسارى، إلا أن اليمين هو الذي تقدم ليجنى ثمار انقلاب ٩ تيرميدور (٢٧ يوليو ١٧٩٤م). وقد ساعد على ذلك أن سقوط روبسبير قد تم على جثة الكومون - ومعنى ذلك انتصار المؤتمر على القوى الثورية التى تؤيد الكومون، قوى الصان كيلوت، فهى ضربة مزدوجة.

ولما كان السهل (أو الوسط) فى المؤتمر قد أصبح يمثل أكبر قوة بعد ضعف اليسار، وتصفية اليمين من قبل، ولما كان قد عانى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من إرهاب اليسار الذى اضطره إلى التصويت إلى جانبه تحت ضغط قوى الكومون، حتى تهدد الإرهاب فى عهد روبسبير حياة النواب بالخطر، فلذلك سرعان ما رأى طريق النجاة فى التحالف مع اليمين.

وفى ذلك الحين كان تحسن الموقف الحربى يساعد الوسط على الاستغناء عن هيئة خلقها آسفا وأطال فى أجلها بدافع الخوف، وهى لجنة الخلاص العام، ولذلك فقد اختزلت فى اليوم التالى على الفور اختصاصات هذه اللجنة، وقصرت سلطتها على الحرب والدبلوماسية، وأمر ثلاثة من أعضائها بالاستقالة كل شهر، وحظر إعادة انتخابهم فورا، ونزع من اللجنة سلطة تقديم النواب مباشرة للمحاكمة أمام المحكمة الثورية، فأمن النواب على حياتهم، وطرد جان بون أندريه Jean Bon André وبريور Prieur(دى لامارن).

أما الباقون من أعضاء اللجنة القديمة فقد استقال من الهيئة الحاكمة بيوڤارين وكوللوديربوا، وبارير، فى أول سبتمبر ١٧٩٤م، واستقال من الهيئة التنفيذية كل من كارنو، وبريور، ولنديه Lindet فى ١٠ أكتوبر١٩٧٤م، تاركين أعداءهم فى مكان القيادة. وفى ٥، ١٠ أغسطس ١٧٩٤م صدر قراران بإطلاق سراح المقبوض عليهم بنص قانون المشبوهين، وباستبدال جميع المحلفين وكل قضاة المحكمة الثورية تقريبا، وبلغ عدد المطلق سراحهم فى باريس وحدها عشرة آلاف!

وعلى ذلك فقد بدا أن عقارب الساعة أخذت تدور إلى الوراء، ولو إلى الماضى الدانتونى، ولكن أفراداً من التيرميدوريين، ومنهم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إرهابيون سابقون مثل فريرون Freron وبارا Barras ـ بطلا مذبحة طولون ـ وتاليان Tallien، ساروا إلى أبعد من ذلك، فاعتنقوا سياسة رجعية إلى حد عدواني، وبدءوا يهاجمون حلفاءهم السابقين.

فظهرت تحت رعاية فريرون حركة الشبيبة الذهبية Jeuness do-rée من أبناء البورجوازيين الكبار لتعقب اليعاقبة والاقتصاص منهم، وسيطر اليمين على جميع أقسام باريس تقريبا خلال الخريف بفضل عنف الشبيبة الذهبية. وفى ٩ نوفمبر ١٧٩٤م قام هؤلاء بهجوم على نادى اليعاقبة، واستطاع اليعاقبة صد الهجوم بعد نضال شديد، ولكن الحكومة أمرت بإغلاق نادى اليعاقبة محتجة بالنظام العام.

وفى ٨ ديسمبر ١٧٩٤م قرر المؤتمر إعادة النواب الذين اعتقلوا لاحتجاجهم على القبض على الجيروند. وقد زاد عودة ضحايا الإرهاب هؤلاء من الضغط فى طلب توقيع العقوبات على الإرهابيين. وفى ٨ مارس ١٧٩٥م قرر المؤتمر إعادة الجيروند الباقين على قيد الحياه، والذين اعتبروا من قبل خارجين على القانون، كما قرر إلغاء الاحتفال بذكرى ٣١ مايو ١٧٩٣م. وقد اتخذ هذا القرار بعد أسبوع من القبض على كوللوديربوا وبيوفارين وبارير وفاديه Vadier وفوكييه تانفيل Fouquier Tinville النائب العام، وحوكم تانفيل فى ٢٨ مارس ١٧٩٥م وأعدم، كما أعدم ١٥ من زملائه فى محكمة الثورة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أما الاتجاه فى الأقاليم فكان شبيها بالاتجاه فى باريس، من حيث بدء حركة الانتقاض فى الخريف واشتدادها. وكان الصان كيلوت فى كل مكان يجلون عن مناصب السلطة التى شغلوها فى العام السالف، ويحل محلهم مبعوثون جدد.

ازداد إهمال المؤتمر لحاجات الصان كيلوت فى سياسته، حتى بلغ اليأس بجماهير الصان كيلوت خلال ربيع ١٧٩٥م حدا لم يعد عنده مندوحة عن القيام بعمل عنيف، ولكن المهيجين من الصان كيلوت حُرموا من وسيلة العمل الثورى الفعال، إذ أعوزتهم القيادة البورجوازية، وأعوزهم الكومون الذى ينسق نشاطهم، بل أعوزتهم السيطرة على الأقسام.

ولذلك حين غزا جمع منهم المؤتمر فى أول أبريل ١٧٩٥م (حركة ١٢ جيرمينال Germinal (أى النبت) مطالبين بالخبز وتطبيق دستور ١٧٩٣م، وإطلاق سراح كوللوديربوا وزملائه، وتسريح الشبيبة الذهبية، تم طرد الثوار من التويلرى دون عناء، بتعاون الشبيبة الذهبية وجنود الأقسام بقيادة الجنرال بيشيجرو Pichegru.

وكانت نتيجة التمرد ازدياد الرجعية السياسية بسرعة فوق سرعتها، فوافق المؤتمر على نفى كوللو، وبيو، وبارير، إلى غيانا، وقبض على ثمانية من الجبليين البارزين.

وكان قرار لوكوانتر Cointre وتوريو Thuriot، وهما من قدامى زعماء حركة الانتقاض التيرميدورية، إشارة إلى المدى الذى صمم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المؤتمر على أن يذهب إليه فى نقضه للماضى. وكان القمع أثقل وطأة على الصان كيلوت، فأعلنت حالة الحصار فى باريس، وقبض على زعماء حركة ١٢جرمينال (أول أبريل ١٧٩٥م).

على أن حركة القمع لم توقف هياج الصان كيلوت نظرا لتدهور الموقف فى التموين، ولما أطار الجوع صواب الصان كيلوت قاموا بثورة أخرى. ففى ٢٠ مايو ١٧٩٥م (أول بريريال) Prairial (المراعى) عبأ حى سانت انطوان Saint - Antoine قواته، وألفت كتائبه الثلاث من الحرس الوطنى القوة الرئيسية التى غزت المؤتمر مرة أخرى، ولكن الفرصة ضاعت هذه المرة أيضا للافتقار إلى القيادة.

وكانت حركة بريريال كحركة جرمينال أساساً حركة صان كيلوتية. وانهارت محاولة لتنظيم كومون متمرد جديد حين قرر المؤتمر اعتبار كل من يرفض مبارحة دار البلدية خارجا على القانون، وللمرة الأولى منذ ١٧٨٩م استعدت الحكومة القوات النظامية للهجوم على الثوار الباريسيين بقيادة مينو وموراMenou, Murat. وما أقبل عصر ٢٣ مايو ١٧٩٥م حتى كانت الحركة قد انهارت.

وقد قمع تمرد بريريال قمعا صارما، فتألف مجلس عسكرى - وهو أول مجلس يستخدم ضد الثوار الباريسيين - وحكم بالإعدام على ٣٦ من المتهمين، منهم ستة نواب.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكان فى إعادة تنظيم الحرس الوطنى بطريقة تقصى عنهم جماهير الصان كيلوت، ما أكمل هزيمتها الساحقة، فلم تنشب فى باريس بعدها حركة شعبية كبرى حتى ١٨٤٨م!

على أن قتلة الملك مع ذلك لم يكونوا ليستطيعوا الذهاب بعيدا فى ردتهم الكبرى، إلى حد إعادة الملكية!، وفى الوقت نفسه فإن الملكية لم تكن لتضع يدها فى يد قتلة الملك، حتى لو أرادوا!

فحين نصب الكونت دى بروفانس de Provence أكبر أخوى الملك لويس السادس عشر نفسه ملكا بعد وفاة لويس السابع عشر الطفل فى ٨ يونيه ١٧٩٥م، أصدر فى ٢٤ يونيه ١٧٩٥م بيانا ضد الثورة توعد فيه بعقاب قتلة الملك، ورد الطبقات الثلاثة إلى سابق مكانها، وإعادة البرلمانات وسلطة الكنيسة. ثم تمت مؤامرة ملكية لإعادة الملكية عن طريق الغزو من الخارج، ولكن المؤامرة فشلت، وهزم الجيش الملكى.

وكان رد فعل المؤتمر استدارته من جديد نحو اليسار أمام تهديدات الملكيين، ولكنها عودة لم تذهب بعيدا، فقد قبض على الصحفيين الملكيين، وأعينت الصحافة الجمهورية، وبذلت محاولة للقبض على الشبيبة الذهبية، وجاء الآن دور الصان كيلوت ليسقوا الشبيبة الذهبية كئوس العذاب.

ولكن السلطات شددت فى الوقت نفسه جهودها لإقصاء البقية الباقية من الجبليين عن الانتخابات القادمة، وقبض على

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عشرة منهم فى ٨ أغسطس ١٧٩٥م، وكان من بينهم حتى فوشيه الحذر.

ثم وضع مشروع دستور جديد يرمى للحد من سلطة الصان كيلوت، وحماية جمهورية محافظة من أن يهددها نظام ملكى أو دكتاتورية. ولم ينص الدستور على أن يكون على رأس الدولة ملك ولا رئيس جمهورية ولا قنصل، وإنما لجنة مؤلفة من عشرة أعضاء تحل محل لجنة الخلاص العام، وتسقط عضوية واحد من أعضائها كل عام، وقد عرفت هذه اللجنة باسم حكومة الإدارة أو الديركتوار.

ولما كانت هزيمة الصان كيلوت والجبليين هزيمة نهائية، وفى الوقت نفسه كانت هزيمة اليمين الملكى الدستورى هزيمة نهائية أيضاً، فإن النتيجة التى أسفر عنها كل هذا الصراع الهائل، هى انتصار الوسط الجمهورى، وهو انتصار لم يقتصر على المجال السياسى بل والمجال الاقتصادى والاجتماعى أيضاً.

وفى ٢٤ أكتوبر ١٧٩٥م، اجتمع «المؤتمر الوطنى» للمرة الأخيرة فى قصر التويليرى، وأعلن انتهاء مهمته. وفى ٢٦ أكتوبر ١٧٩٥م، انفض «المؤتمر الوطنى»، وأصبح الدستور الجديد، الذى يحرم الشعب من المشاركة فى إدارة شئونه، فى موضع التنفيذ، ودخلت الثورة الفرنسية فى طور جديد.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الثامن

حروب الثورة ونابليون

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حـــروب الثورة ونابليون
حـــروب الثـــورة

شعرت أوروبا بالخطر من مبادئ الثورة الفرنسية، فأخذت تتهيأ لحربها بدعوى «الدفاع عن حق الملوك الإلهى وحق الأسرات فى الحكم. وفى الوقت نفسه أيقظت مبادئ الثورة الفرنسية فى الشعب الفرنسى روح الوطنية والعزة والتطلع إلى المجد، فأخذت الثورة بنظرية الوصول بفرنسا إلى حدودها الطبيعية، وهى التى كانت تنظر إلى فرنسا باعتبارها غالة القديمة، التى كانت تصل حدودها إلى نهر الراين وجبال الألب وجبال البرانس وشواطئ المحيط الأطلنطى. وبذلك تجمعت لدى الطرفين الرغبة فى الحرب.

ولم تلبث أن برزت الأسباب عندما قبضت الثورة على الملك لويس السادس عشر فى «فارين» Varennes، فسارع ملك بروسيا وإمبراطور النمسا إلى الاجتماع فى بيلنيتز Pillnitz فى أغسطس ١٧٩١م، وأعلنا أنهما لن يترددا فى استخدام كل الوسائل لقمع الثورة وتعزيز سلطة الملكية.

وفى الوقت نفسه فإن الأمراء الألمان فى مقاطعة الألزاس الذين كانوا يتمتعون بامتيازاتهم الإقطاعية بمقتضى معاهدة وستفاليا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Westphalia، رفضوا الخضوع لقرار إلغاء الإقطاع الذى اتخذته الثورة الفرنسية، واعتبروا هذا القرار غير مقيد لهم وإنما هو مقيد فقط للأمراء الفرنسيين.

هذا فى الوقت الذى تجمعت فيه جيوش المهاجرين الفرنسيين بقيادة أمراء الإقطاع فى مقاطعات الراين، خاصة فى كوبلنز، تحت إمرة الكونت دارتوا أخى الملك، وفى ورمز worms تحت إشراف البرنس دى كونديه conde وفى تريف Treves استعدادا للهجوم على فرنسا.

وعلى ذلك أرسلت الجمعية التشريعية فى أكتوبر ١٧٩١م تحذيراتها إلى النمسا وإلى المهاجرين المتآمرين على سلامة البلاد، فأجابت النمسا بعقد تحالف مع بروسيا فى برلين فى ٧ فبراير ١٧٩٢م، وبإرسال تحذير إلى فرنسا بضرورة ضمان حقوق الأمراء الألمان، وإعادة مقاطعة أفينيون Avignon إلى البابا، واتخاذ الإجراءات السريعة لقمع الدعاية الثورية التى تهدد سلامة الدول المجاورة. وأرسل برونسويك Brunswik القائد البروسى بلاغا فى ٢٥ يولية ١٧٩٢م توعد فيه باريس بالدمار إذا أصيبت العائلة المالكة الفرنسية بسوء.

وعلى ذلك، وعلى الرغم من أن الجيش الفرنسى القديم كان قد انحل بسبب مهاجرة الكثيرين من الضباط النبلاء، فإن فرنسا اعتمدت على حماسة أبناء الثورة الفرنسية، وكونت جيشا أسرع

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بالزحف على بلجيكا، ولكن هذا الجيش لم يلبث أن رد، وتبعته قوات «برونسويك» بعد فترة سمحت بإعادة تنظيمه فى ١٩ أغسطس ١٧٩٢م، فاستولت على كثير من المدن حتى وصلت إلى تلال فالمى Valmy، لكن الجيش الفرنسى ثبت فى مواقعه.

ولما كانت تصرفات روسيا فى الشرق فى ذلك الحين تثير قلق النمسا وبروسيا، فلذلك اتفق «برونسڤيك» مع قائد الجيش الفرنسى «ديموريه» Dumoriez على أن ينسحب دون قتال. وبذلك دخلت «موقعة ڤالمى» التاريخ باعتبارها من أهم مواقع التاريخ على الرغم من صغرها، لما بثته فى الثورة الفرنسية من روح الثقة بالنفس التى دوخت أوروبا فيما بعد.

على أن تقدم قوات «برونسڤيك» فى الأراضى الفرنسية قبل موقعة فالمى كان قد أتاح الفرصة للثوار لاغتصاب السلطة من بلدية باريس فى ليلة ١٠ اغسطس، ولاعتقال الملك لويس السادس عشر وسجنه مع أسرته فى الهيكل القديم.

ولما وافت الأنباء بسقوط فردان، مفتاح باريس، قامت مذابح سبتمبر ١٧٩٢م التى قتل فيها ١٥٠٠ من الإقطاعيين، وانحلت الجمعية التشريعية، وقام المؤتمر الوطنى فى ٢٠ سبتمبر ١٧٩٢م الذى أعلن إلغاء الملكية فى ٢١ سبتمبر ١٧٩٢م، وإعلان الجمهورية فى ٢٥ سبتمبر ١٧٩٢م، وقرر إعدام الملك فى ١١ يناير ١٧٩٣م، ونفذ فيه الحكم فى ٢١ يناير ١٧٩٣م.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على أن إعدام لويس السادس عشر أفزع ملوك أوروبا، فأعلن البلاط الإنجليزى الحداد على وفاته، وقطع العلاقات الدبلوماسية مع فرنسا. فأعلن المؤتمر الوطنى الحرب على إنجلترا فى أول فبراير ١٧٩٣م، وفى اليوم نفسه أعلن الحرب على هولندا، وفى ٧ مارس أعلن الحرب على أسبانيا.

وقد مهد ذلك لتكوين التحالف الدولى الأول ضد فرنسا، فقد أعلنت الدولة البابوية الحرب على فرنسا، وتبعتها نابولى، وفلورنسا، والبندقية، ثم الإمارات الألمانية، وصارت إنجلترا هى الروح المحركة للتحالف الدولى، وأعلنت أن هدفها هو العودة بالحالة فى أوروبا إلى ما كانت عليه قبل الحرب، وحرمان فرنسا من ثمرات انتصاراتها فى سنة ١٧٩٢م.

وعلى ذلك زحف جيش من النمساويين وحلفائهم قوامه مائة ألف بقيادة دوق كوبورج Cobourg النمساوى على بلجيكا وماينز، وهزم القوات الفرنسية بقيادة «ديموريه» فى موقعة « نيرڤيندين» Neerwinden فى ١٨ مارس ١٧٩٣م، ثم فى «لوڤان» Louvin فى ٢١ مارس ١٧٩٣م. فوقع ديموريه اتفاقا مع العدو يخلى به بلجيكا فى مقابل تعهد النمساويين بعدم اقتحام الحدود الفرنسية.

ولما كان قد ساءه ما فعله دانتون والمندوبون اليعاقبة فى بلجيكا من نهب البلاد باسم نشر المبادئ الجمهورية، كما ساءه إعدام الملك، فقد انقلب على الثورة، ووجه نداء إلى الجيش الفرنسى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بالزحف على باريس لتخليص فرنسا، ولكن الجيش رفض نداءه، واعتبره المؤتمر الوطنى خائنا للوطن.

على أنه فى ذلك الحين كانت الجيوش الفرنسية على خط الراين بقيادة كوستين Custine تلقى الهزيمة، فانسحبت من فرانكفورت، وويرمز Worms، وسبير، وارتد «كوستين» إلى «لانداو» فى أول أبريل، وتوقف البروسيون عند «ماينز».

وفى هذه الظروف اتفق زعماء التحالف الدولى الأول فى «أنتويرب» فى ٩ أبريل ١٧٩٣م على تقسيم الإمبراطورية الفرنسية، على أساس أن تحتفظ إنجلترا بدنكرك والمستعمرات الفرنسية، وتحتفظ النمسا بإقليم أرتوا والفلاندر الفرنسية، وتحتفظ بروسيا باسترجاع الألزاس واللورين، واستيلاء أسبانيا على نافار وروسيون Roussillon.

فسقطت «ماينز» فى يد البروسيين فى ٢٣ يوليو ١٧٩٣م، كما سقطت «كونديه» Condé وفالينسيين Valenciennes فى ١٥ و ٢٨ يوليو١٧٩٣م، فانفتح الطريق مرة ثانية إلى باريس، وزحف الإنجليز على دنكرك، ،والبروسيون على «فايسينبيرج» Weissenberg ولانداو، وهزم الأسبان الفرنسيين فى البرانس، وغزا جيش بيدمونت فرنسا من ناحية الألب، وأعلنت الحكومة الإنجليزية الحصار على كل الموانى الفرنسية، وباتت باريس مهددة بالمجاعة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى هذه الظروف أنشئت فى فرنسا تلك الحكومة التى دخلت التاريخ باسم حكومة «لجنة الخلاص العام» Comité du Salut Public التى فرضت دكتاتوريتها على البلاد مدة عام تقريبا من يوليو ١٧٩٣ إلى يوليو ١٧٩٤، وهى الدكتاتورية التى عرفت باسم «دكتاتورية حزب الجبل».

وقد خدمت الظروف هذه الحكومة عندما دب النزاع بين النمسا وبروسيا بعد استيلاء بروسيا على ماينز، فمنع هذا النزاع زحف بروسيا على باريس. كما دب النزاع بين القائد النمساوى «كوبورج» والقائد الإنجليزى «دوق يورك» الذى كان يحاصر بقواته دنكرك، فلم يقدم مساعدته للإنجليز، الأمر الذى اضطر معه الإنجليز إلى رفع الحصار عن دنكرك فى ٦ سبتمبر ١٧٩٣م. وانهزم الإنجليز وجيش هانوفر فى معركة كبيرة فى «هوندشوتين» Hondschoten فى ٨ سبتمبر ١٧٩٣م.

أما الفرنسيون فقد انتصروا على النمساويين فى « ڤاتيجنيز» Wattignies فى ١٦ أكتوبر ١٧٩٣م، وكانوا قد تمكنوا من قبل بقيادة «هوش» Hoche من هزيمة جيش نمساوى - بروسى فى ٢٥ سبتمبر١٧٩٣م، وأرغم «بيشجرو» Pichegru النمساويين بقيادة « ڤيرمسر» Wurmser على الارتداد عبر الراين. واسترجعت جيوش هوش وبيشجرو ڤايسينبيرج. Weissenberg.

وقد استمرت انتصارات فرنسا على قوات التحالف الدولى الأول، فانتصر «جوردان Jourdan على جيش الحلفاء فى موقعة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

«فلوراس» Fleuras فى ٢٦ يونيو ١٧٩٤م، واتصل بجيش الشمال بقيادة «بيشيجرو»، فدخل الفرنسيون بروكسل فى ٩ يوليو، وتقهقر الحلفاء بقيادة الدوق يورك صوب هولندا، فاحتل الفرنسيون بلجيكا بأكملها، وتهيأ جيش «بيشيجرو» لغزو هولندا، فى حين طارد جوردان «النمساويين صوب الراين، وهزمهم هزيمة كبيرة فى «ريرموند» Ruremonde وأرغمهم على عبور الراين إلى الضفة الألمانية فى ٥ أكتوبر ١٧٩٤م، وسقطت كولن Koln وكوبلنز فى أيدى الفرنسيين، فى حين سلمت «تريف» لجيش الموزيل Moselle.

وقبل نهاية أكتوبر كان الفرنسيون قد سيطروا على مجرى الراين بأكمله من «ويرمز» إلى «نيمجوين» Nimeguen.

كذلك انتصر الفرنسيون على حدود سردينيا وأسبانيا، وعبر جيش «بيشيجرو» نهر الموز Meuse فى أواخر ١٧٩٤م، وفى ١١ يناير ١٧٩٥م هاجم الإنجليز والهولنديين فى نيمجوين ، وأرغمهم على الانسحاب بخسارة كبيرة، ودخل «بيشيجرو» أمستردام فى ٢٠ يناير ١٧٩٥م، وواصل الإنجليز تقهقرهم شرقا إلى «بريمين» Bremen حيث أبحروا منها إلى إنجلترا.

وبذلك تم غزو هولندا دون معارك، اذ رحب الهولنديون بالغزاة الفرنسيين، وجعلت فرنسا هولندا جمهورية باسم جمهورية باتافيا Batavia على نمط الجمهورية الفرنسية، وعقدت معها معاهدة فى مارس ١٧٩٥م.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى خلال ذلك كانت النمسا وبروسيا قد اتفقتا فى ٣ يناير ١٧٩٥م على تقسيم بولندا (التقسيم الثالث). ومنذ مايو ١٧٩٤م تخلى ملك بروسيا فردريك الثانى عن حلفائه لتعويض خسارته عن طريق الاشتراك فى هذا التقسيم، وهو ماتم بالفعل. وحتى يمكنه التفرغ لهذه المسألة عقد صلح بال Basle مع فرنسا فى ٥ أبريل ١٧٩٥م، وأما أسبانيا فقد عقدت الصلح مع فرنسا كذلك فى ٢٢ يوليو ١٧٩٥م، ونالت فرنسا نصف جزيرة سان دومنجو Santo Do-mingo فى الهند الغربية، وعقدت توسكانيا الصلح مع فرنسا، كما عقدت معها «هس كاسل»، وهى إحدى الإمارات الألمانية، معاهدة فى أغسطس ١٧٩٥م.

وبذلك تحطم التحالف الدولى الأول الذى تشكل ضد فرنسا بعد إعدام لويس السادس عشر، ولم يبق فى حرب مع فرنسا سوى إنجلترا والنمسا وسردينيا.

حروب حكومة الإدارة

لم يكد ينفض المؤتمر الوطنى، وتتأسس حكومة الإدارة فى ٢٠ أكتوبر ١٧٩٥م على أساس دستور العام الثالث (١٧٩٥م) حتى قررت حكومة الإدارة الرجوع إلى الخطط العسكرية التى وضعتها لجنة الخلاص العام التى أعدها كارنو Carnot لمهاجمة النمسا.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فأعدت ثلاثة جيوش للزحف على فينا فى وقت واحد، الأول جيش السامبر والموز Sambre & Meuse بقيادة «جوردان»، والثانى جيش الراين والموزيل Moselle بقيادة «مورو» Moreau، وجيش إيطاليا بقيادة الجنرال بونابرت Bonaparte الذى تولى القيادة فى ٢ مارس ١٧٩٦م واتخذ مقر إقامة قيادته فى سافون Savon فى ١٠ أبريل ١٧٩٦م بعد أن تزوج من جوزيفين بوهارنيه فى ٩ مارس ١٧٩٦م.

على أن الجيش النمساوى بقيادة الأرشيدوق شارل Archduke Charles لم يلبث أن هزم جيش جوردان، وأرغمه على التقهقر إلى نهر الراين فى سبتمبر ١٧٩٦م، فاضطر مورو إلى التقهقر هو الآخر، بعد أن اخترق الغابة السوداء، وارتد إلى الألزاسAlsace فى ٢٥ أكتوبر ١٧٩٦م. وبذلك تعلقت أبصار فرنسا بالحملة الإيطالية بقيادة الجنرال بونابرت. وقد كانت هذه الحملة هى أساس مجد بونابرت.

فقد بنى خطته على مهاجمة جيش النمساويين المكون من ٤٠ ألفا مع ألفين من البيدمونتيين (جيش سردينيا) على أساس الالتحام مع كل جيش على حدة، وبدأ بإنزال الهزيمة بجيش سردينيا فى عدة مواقع، وفرض على سردينيا هدنة «شيراسكو» Cherasco فى ٢٨ أبريل ١٧٩٦م، التى تحولت إلى صلح باريس فى ١٥ مايو ١٧٩٦م، ونالت فرنسا بمقتضاه سافوى ونيس. Savoy & Nice.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثم تفرغ لمهاجمة النمساويين، فهزمهم عند جسر لودى Lodi فى ١٠ مايو ١٧٩٦م، بعد أن هددهم بالالتفاف حول جيشهم. وكانوا قد انسحبوا تاركين إقليم الميلانيز Milanais يسقط من غير قتال، لملاقاة بونابرت عند نهر الأدا Adda، ولكنه هزمهم عند جسر لودى كما ذكرنا، ودخل ميلان فى ١٤ مايو، وأخذ فى محاصرة مانتوا Mantua.

ومن هذا الموقع عقد بونابرت المعاهدات مع بارما Parma و«مودينا Modena» (فى ١٧ مايو) وأملاك الدولة البابوية، التى نزلت لفرنسا عن بولونيا Bologna، وفرارا Ferrara، وأنكونا An-cona، فى ٢٣ يونية ١٧٩٦م، وجنوة فى ٩ أكتوبر ١٧٩٦م.

وأنشأ من كل هذه الأراضى جمهوريتين: «جمهورية ما وراء نهر البو Cispadane» فى ١٦ أكتوبر ١٧٩٦م، وتتكون من بولونيا وفرارا ومودينا . ثم جمهورية «عبر نهر البو» Trans padane فى سهل لمباردى فى ٩ يوليو ١٧٩٧م. وقد انضمت الجمهوريتان فى جمهورية واحدة فى ١٥ يوليو ١٧٩٧م باسم جمهورية ماوراء جبال الالب Cisalpine.

وفى خلال ذلك انتصر بونابرت على النمساويين فى كاستيليونى Castiglione فى ١٥ أغسطس ١٧٩٦م، و«بسانو» Bas-sano فى ٨ سبتمبر ١٧٩٦م، وأركولا Arcola فى ١٧ نوفمبر ١٧٩٦م، وريفولى Rivoli فى يناير ١٧٩٧م.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

واستطاع بونابرت، فى تلك الأثناء، أن يمد أهل كورسيكا بالمساعدات التى مكنتهم من طرد الإنجليز من جزيرتهم فى نوفمبر ١٧٩٦م.

وقد كان بعد معركة ريفولى أن سقطت مانتوا فى ٢ فبراير ١٧٩٧م، وبعدها اتجه بونابرت إلى معاقبة البابا «بيوس السادس» Bius VI الذى أظهر عداء للفرنسيين،و فاضطر البابا إلى عقد صلح تولينتينو Tolentino فى ١٩ فبراير ١٧٩٧م، وبمقتضاه أرغم البابا على دفع خسائر الحرب الطائلة.

وقد كان بعد ذلك أن عبر بونابرت جبال الألب فى مارس وأبريل ١٧٩٧م لكى يلتقى مع الأرشيدوق شارل، حتى وصل إلى ليوبين Leoben، ولكن نظرا لأن أهالى البندقية ثاروا ضد الفرنسيين، وتهيأ أهالى التيرول لحمل السلاح، فقد خشى بونابرت من قطع خط الرجعة عليه، وقبل الدخول فى مفاوضات مع النمساويين أدت إلى توقيعهم على ما عرف باسم «مقدمات صلح ليوبين» فى ١٨ أبريل ١٧٩٧م The Preliminary Peace of Leoben وبمقتضاه نزل النمساويون لفرنسا عن بلجيكا ولباردى، واحتفظوا بمانتوا، ودلماشيا، وإستريا Istria، والبندقية. وترك أمر الصلح مع الإمبراطورية.

فى تلك الأثناء كان الموقف الداخلى فى فرنسا يهيئ لظهور الملكية. فقد أتت انتخابات الهيئة التشريعية المؤلفة من مجلس

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الخمسمائة ومجلس الشيوخ، وهى التى فرضها دستور ١٧٩٥م الذى قضى بتغيير ثلث أعضاء الهيئة التشريعية كل عام، بأعضاء يمينيين يمثلون مصالح الطبقة البورجوازية والمهاجرين الملكيين الذين يريدون إنهاء الحرب وعقد السلام السريع.

وقد تألف من هؤلاء البورجوازيين والملكيين والكاثوليكيين المنضمين إليهم اتحاد أو حزب يطلق عليه اسم «حزب الكليشيان». Clichyens نسبة إلى شارع كليشى الذى كان به مقرهم، أخذ يسعى بموافقة دوق دى بروفنس (الملك لويس الثامن عشر) فى ١٠ مارس ١٧٩٧م، للحصول على الأغلبية فى الهيئة التشريعية.

وبالفعل نجح هؤلاء نجاحا ساحقا فى انتخابات المجالس الابتدائية فى ٢١ مارس ١٧٩٧م والمجالس الانتخابية فى ٩ أبريل، بتأييد كل من النمسا وإنجلترا، وانتخب «بيشيجرو» رئيسا لمجلس الخمسمائة.

وفى الوقت نفسه سعى هؤلاء للحصول على الأغلبية فى حكومة الإدارة باستغلال دستور ١٧٩٥م الذى يقضى بسقوط عضو واحد من الهيئة التنفيذية كل عام، ولكن الجمهوريين فى حكومة الإدارة تمكنوا من الاحتفاظ بالأغلبية، وكونوا ما عرف باسم «الثلاثية الدكتاتورية»، المؤلفة من «بارا Barras ولا ريفييه ليبو» La Révilliére Lépeaux - وروبل Reubell، فى مواجهة «كارنو» و«وبارتليمى» الملكيين.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبذلك نشأ تناقض بين المجلسين المكونين من اليمينيين الملكيين، وحكومة الإدارة المكونة غالبيتها من الجمهوريين، وقد حاول المجلسان التخلص من الثلاثية الدكتاتورية عن طريق توجيه الاتهام ضد الثلاثة، ولكنهم تمكنوا من احتلال مكان المجلسين والقبض على بارتليمى فى حين هرب كارنو، واستصدروا من المجلسين قرارا بإلغاء انتخاب ١٤٥ نائبا، ونفى ٥٣ نائبا آخرين منهم كارنو، وبارتليمى، وبيشيجرو، ووضع الجيش تحت سلطان وإشراف بونابرت وأوجيرو Augereau قائد بونابرت وغيرهم من أصدقاء بارا.

عرف هذا الانقلاب الذى قضى على حزب الكليشيان والملكيين باسم «انقلاب فريكتيدور (Fructidor سنة ٥ (الثمر)» الموافق ٤ سبتمبر ١٧٩٧م) وتثبت وضع بونابرت بعد إعلان تأييده للثلاثية الدكتاتورية، ووصل إلى حد إبداء استعداده لعبور الألب والعودة إلى باريس لحماية الجمهورية، وإيفاده أحد قواده، وهو أوجيرو فى ٨ أغسطس ١٧٩٧م لقيادة الجنود بها.

فى ذلك الحين كان بونابرت بعد الانتصارات التى حصل عليها فى إيطاليا، يعيش فى ميلان بعد أن أنشأ بها بلاطا حقيقيا، فلما نجح الجمهوريون فى الاحتفاظ بالسلطة فى حكومة الإدارة بانقلاب فريكتيدور، وأصبح لبونابرت نفوذ ملموس فى باريس، سارع النمساويون بعقد الصلح وإبرام معاهدة كامبو - فورميو Campo

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Formio مع حكومة الإدارة فى ١٧ أكتوبر ١٧٩٧م، الذى نزلت فيه النمسا لفرنسا عن الأقاليم البلجيكية، واتفق على انعقاد مؤتمر فى راشتات Rastadt لعقد الصلح مع الإمبراطورية (ألمانيا)، واحتفظت النمسا بأراضى البندقية حتى نهر أديج، Adige مع مدينة البندقية، واستيريا Istria ودالماشيا، واحتفظت فرنسا بجزر الأيونيان، واعترفت النمسا بجمهورية ماوراء الألب.

وتضمنت المعاهدة مواد سرية تنص على موافقة النمسا على التخلى عن الشاطئ الأيسر لنهر الراين من بال إلى اندرناخ An-dernach بما فيه «ماينز» لفرنسا، وبأن تكون الملاحة فى الراين مشتركة بين ألمانيا وفرنسا، وتعويض الأمراء الذين فقدوا إماراتهم بالتخلى عن الضفة الغربية للراين فى الأراضى الألمانية، وعلى أن تستخدم فرنسا نفوذها لتحفظ للنمسا سالزبورج والمنطقة من بافاريا Bavaria الواقعة بين سالزبورج والتيرول ونهر الإن The Inn وبين السالزا The salza. وضمان كل من فرنسا والنمسا بعدم حصول بروسيا على أية أراض فى مقابل الأراضى التى فقدتها بالتخلى عن الضفة اليسرى للراين.

وفيما يتعلق بالصلح مع الإمبراطورية، الذى تُرك لمؤتمر يعقد فى راشتات، فقد عقد هذا المؤتمر فى ١٦ ديسمبر ١٧٩٧م، ووافق فيه مندوبو الولايات الألمانية والنمسا فى ٩ مارس ١٨٩٨م على التنازل لفرنسا على كل الشاطئ الأيسر لنهر الراين باستثناءات

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بسيطة. فربط هذا الصلح حدود فرنسا الطبيعية بالشاطئ الأيسر لنهر الراين.

على هذا النحو لم يبق من أعداء فرنسا بعد ذلك سوى إنجلترا، ومن هنا اتجهت أنظار حكومة الإدارة منذ عام ١٧٩٧م إلى غزو مصر وفتح قناة السويس لتحويل تجارة الهند من طريق رأس الرجاء الصالح إلى طريق البحر الأحمر، وهدم السيادة التجارية لبريطانيا، وإنشاء قاعدة لغزو ممتلكاتها فى الشرق.

ومن هنا أصدرت حكومة الإدارة فى يوم ١٢ أبريل ١٧٩٨م أمرها إلى الجنرال بونابرت بغزو مصر، وخرجت الحملة من طولون فى يوم ١٩ مايو ١٧٩٨م، وبذلك غاب بونابرت عن الساحة الأوروبية.

فى ذلك الحين تجمعت الأسباب لقيام التحالف الدولى الثانى، حين دخل القائد الفرنسى روما فى ١٥ فبراير ١٧٩٨م وأنشأ الجمهورية الرومانية، الأمر الذى أثار حفيظة النمسا الكاثوليكية.

وفى الوقت نفسه انقلب ملك نابولى فردنند الرابع على فرنسا، وأخذ يبذل المساعدات للأسطول الإنجليزى بقيادة اللورد نلسون Nelson فى البحر المتوسط، وفى ٨ نوفمبر ١٧٩٨م قام بالجهوم على الجمهورية الرومانية، وفى أول ديسمبر ١٧٩٨م تحالف مع إنجلترا.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكانت تركيا فى ٩ سبتمبر ١٧٩٨م قد أعلنت الحرب على إنجلترا بسبب الحملة الفرنسية على مصر فى شهر يوليو السابق، وقرر القيصر بول الأول فى روسيا مؤازرة تركيا فى ٧ أكتوبر ١٧٩٨م، وأخذ يحث النمسا على قطع علاقاتها مع فرنسا.

وفى أكتوبر ١٧٩٨م غزت جيوش النمسا مقاطعة جريزون Grisons فى سويسرا (أو الجمهورية الهلفيتية). وفى ١٦ نوفمبر من نفس العام دخلت النمسا فى محالفة مع إنجلترا تقوم على أساس تحرير سويسرا، واسترجاع لمباردى للنمسا، واحتفاظ النمسا بالبندقية، وإعادة فرنسا إلى حدودها السابقة، وإنشاء دولة حاجزة قوية على حدود فرنسا الشمالية تتكون من بلجيكا وهولندا، وإعادة الحال فى ألمانيا إلى ما كانت عليه.

وهكذا تألف التحالف الدولى الثانى ضد فرنسا، وصارت جبهة القتال حينئذ ممتدة من هولندا إلى نابولى، وتواجه فرنسا بجيش قوامه ٤٠٠ ألف جندى.

وقد سارع الفرنسيون بالاستيلاء على توسكانيا، ثم على مملكة نابولى فى ٢٣ يناير ١٧٩٩م التى أنشئوا منها جمهورية لم تعمر، ولكن النمساويين بقيادة الأرشيدوق شارل انتصروا على جيش الجنرال جوردان Jourdan فى موقعة ستوكاش Stockach فى ٢١ مارس ١٧٩٩م، وأرغموه على الارتداد على نهر الراين، كما عجز جيش فرنسى بقيادة الجنرال شيريه Schérer عن عبور نهر الأديج فى لمباردى، واضطر إلى التقهقر حتى الأدا Adda.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى ١٧ أبريل ١٧٩٩م ألحق القـــائد الروسى الجنرال سوفوروف Suvorov الهزيمة بالفرنسيين بقيادة مورو، الذى خلف شيريه فى القيادة، عند كاسانو Cassano، وأخذ يواصل تقدمه فى شمال إيطاليا، فهزم الفرنسيين بقيادة ماكدونالد Macdonald فى تربيا Trebbia فى ١٧ ـ ١٩ يونيه ١٧٩٩م، كما هزم جيش جوبير Joubert فى نوفى Novi فى ١٥ أغسطس ١٧٩٩م. وقتل جوبير فى المعركة.

على أن الموقف فى سويسرا وفى الأراضى المنخفضة كان فى صالح الفرنسيين. فقد عبر الجنرال سوفوروف الألب عبر ممر سانت جوثارد St. Gothard، لكى يتحد مع الجيش الروسى الثانى بقيادة كورساكوف، الذى حل محل الأرشيدوق شارل فى سويسرا.

ولكن كورساكوف لقى الهزيمة على يد الجنرال ماسينا Mas-séna وطرد من زيورخ، وعجز الجنرال سوفوروف عن استعادة الوضع فى سويسرا، واضطر إلى التقهقر صوب اقليم Grisons بجيش فقد مدفعيته وعتاده ويكاد يتضور جوعا، وواصل ماسينا التقدم وتهديد جناح الأرشيدوق شارل الذى كان يتأهب لغزو فرنسا من الراين.

وكان جيش إنجليزى روسى بقيادة دوق يورك فى تلك الأثناء قد نزل على الشاطئ الهولندى فى سبتمبر ١٧٩٩م، ولكنه اضطر إلى الانسحاب لعدم التعاون بين الإنجليز والروس بشكل فعال،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولهزيمته فى بيرجين Bergen أمام الفرنسيين بقيادة الجنرال برين Brune. وفى ١٨ أكتوبر ١٧٩٩م عقد اتفاق ألكمار Alkmar الذى سمح للبريطانيين فى هولاندا بالانسحاب إلى انجلترا فى سلام فى ٣٠ نوفمبر ١٧٩٩م. وبذلك تم إنقاذ فرنسا.

وقد كان بعد أربعة أيام من هذا الاتفاق أن انسحب الروس من التحالف الدولى الثانى فى ٢٢ أكتوبر ١٧٩٩م بسبب استيائهم من تصرف حلفائهم، خصوصا النمساويين.

ولكن فى خلال ذلك كان الأسطول التركى الروسى قد تمكن من انتزاع جزر أيونيان Ionian من يد الفرنسيين فى مايو ١٧٩٩م، وأعيد تنظيم الجزر فى جمهورية تحت اسم Septinsular تحت الحماية التركية والضمان الروسى. (ظل الروس يحتلون هذه الجزر حتى عام ١٨٠٧م).

كان بسبب الهزائم التى لقيها الجيش الفرنسى فى إيطاليا، تدهور مركز حكومة الإدارة، ووقوع الصدام بينها وبين الهيئة التشريعية، التى سرعان ما استعادت مكانها القوى الأول بعد نجاح عدد كبير من اليعاقبة ونجاح عدد آخر من الفريكتدوريين فى الانتخابات التى جرت فى مايو ١٧٩٩م، واستطاعت عزل بعض أعضاء حكومة الإدارة، التى أصبحت تتكون من بارا وسييس، وجوهييه Gohier، وروجيه ديكو Roger Ducos ومولان Moulins، فيما عرف باسم «إنقلاب بريريال سنة ٧(المراعى)» الموافق ١٨ يونيه ١٧٩٩م.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولكن النزاع استمر بين السلطتين التشريعية والتنفيذية على نحو أصبح يقتضى وجود حكومة قوية قادرة على إعادة النظام والسلام إلى فرنسا.

فى ذلك الحين كان «سييس» عضوا فى حكومة الإدارة، وكان يشاركه الرأى روجيه ديكو وبارا وأكثر الوزراء، وأكثرية مجلس الشيوخ الذى كان من أعضائه جوزيف شقيق بونابرت، وكان لوسيان شقيق بونابرت الآخر هو رئيس مجلس الخمسمائة. وقد اتفق الجميع على تدبير إنقلاب يقضى على حكومة الإدارة وعلى دستور العام الثالث. بالاستعانة ببعض رجال الأعمال للإنفاق على الانقلاب، ونظرا للصلة بين سييس وبونابرت فقد اتجهت إليه أفكاره للمشاركة فى دعم الحركة بالقوة العسكرية، بعد أن أصبح بطلا قوميا بسبب الحملة الإيطالية.

وكان بونابرت قد غادر مصر فى ٢٢ أغسطس ١٧٩٩م وفى ١٣ أكتوبر وصل إلى باريس، فوجد الكمثرى ناضجة - كما قال - فقد اكتملت الاستعدادات لتنفيذ الانقلاب يوم ٨ نوفمبر. وفى صبيحة يوم ٩ نوفمبر اجتمع مجلس الشيوخ، الذى كانت الأغلبية فيه لحزب سييس، وقرر الانتقال بالهيئة التشريعية إلى سان كلو ST. Cloud لإحباط مؤامرة مزعومة، وعهد إلى بونابرت بقيادة القوات العسكرية بباريس وما حولها لدفع الخطر الموهوم.

وهناك أرغمت حكومة الإدارة على الاستقالة، وتولى بونابرت تطهير المجلسين من المعارضين بحجة أنهم صنائع الإنجليز، ودخل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الجنود بسلاحهم وعلى رأسهم الجنرال مورا Murat والجنرال لوكلير «ليطردوا هذه العصابة عن بكرة أبيهم» - كما طلب منهم بونابرت. ثم أصدر الباقون قرارا بتأليف حكومة مؤقتة لإدارة شئون البلاد ريثما يتم وضع دستور جديد، عهد أمره إلى لجنة من المجلسين تحت إشراف الحكومة المؤقتة.

وقد عرف هذا الانقلاب باسم «إنقلاب بريمير Brumair سنة ٨ (الضباب)» الموافق ١٠ نوفمبر ١٧٩٩، وبه تقرر إلغاء حكومة الإدارة، وإنشاء «لجنة قنصلية تنفيذية مؤلفة من سييس، وروجيه ديكو، وبونابرت، على أن يمارس هؤلاء الثلاثة سلطة الإدارة، وحلف القناصل الثلاثة يمين الولاء أمام مجلس الشيوخ للجمهورية التى لا تتجزأ وللحرية والمساواة وللنظام النيابى.

حروب عهد القنصلية

بذلك انتهى عهد حكومة الإدارة، وبدأ عهد القنصلية The Consulate، أو جمهورية القنصلية، التى كانت إنهاء للثورة الفرنسية. فوضع دستور جديد يقضى بوضع السلطة التنفيذية فى يد ثلاثة قناصل ينتخبون بواسطة مجلس الشيوخ لمدة عشر سنوات، وتقرر أن تعهد هذه السلطة فى المدة الأولى إلى بونابرت، وكامباسيريه Cambacérés ولوبران Lebrun، على أن يكون بونابرت قنصلا أول، ويكون له حق إعلان الحرب، وإمضاء المعاهدات، وإبرام القوانين،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وانتخاب الوزراء وكبار الموظفين، ورياسة الجيش والإدارة بفروعها. وكان القنصلان الآخران بمثابة مساعدين له.

ولم يلبث بونابرت أن وجه همه لمحاربة النمسا وإنجلترا اللتين بقيتا، بعد انسحاب روسيا من الحلف الدولى الثانى، تناصبان فرنسا العداء.

وبالنسبة للنمسا، التى حلت محل الروس فى إيطاليا، فقد اجتاز بونابرت جبال الألب من سويسرا، وانحدر إلى سهول لومباردى، فهدد مواصلات النمساويين، واضطرهم إلى التراجع، ثم لاقاهم فى سهل مارينجو Marengo حيث دارت معركة من أكبر معارك التاريخ، انتهت بهزيمة النمساويين فى ١٤ يونية ١٨٠٠م، فارتدوا فى اليوم التالى إلى ما وراء المنشيو Mincio وأخلوا لومباردى وبيدمونت بمقتضى اتفاق ألكسندرا يوم ١٥ يونية ١٨٠٠م.

وأعاد بونابرت تأسيس جمهورية ما وراء الألب Cisalpine فى ١٧ يونيه ١٨٠٠م وهى التى اتسعت بضم إقليم نوفاريه Novarais. وعين الجنرال جوردان حاكما على بيدمونت. وفى ٨ أغسطس تمكن بونابرت من تأكيد سياسته السويسرية، فأمر بحل حكومة الإدارة فى الجمهورية الهلفتية وعين رينهارد Reinhard مندوبا ساميا.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى الوقت الذى زحف بونابرت بجيشه عبر جبال الألب ليحرز نصر مارينجو الحاسم، كان جيش آخر بقيادة الجنرال مورو Mo-reau، وهو جيش الراين، يعهد إليه بالتوغل فى ألمانيا والزحف بطريق نهر الدانوب إلى فينا. وقد قام بمناورات بارعة فى باڤاريا حتى وصل إلى أولم Ulm فى ١٩ يونية ١٨٠٠م، وتمكن من قطع خط الرجعة على الجيش النمساوى بقيادة الجنرال كراى Kray، الذى طلب مرغما فى ١٥ يولية ١٨٠٠م وقف العمليات العسكرية حتى يخلى باڤاريا، وعندئذ عرض الإمبراطور فرانسيس الثانى Francis II عقد مؤتمر للصلح تدعى إليه إنجلترا، وهوما وافق عليه الفرنسيون.

وقد عقد هذا المؤتمر فى لونيفيل Lunéville يوم ٢٤ أغسطس. وعندما طال أمد المفاوضات أمر بونابرت باستئناف العمليات العسكرية، فاستطاع الجنرال مورو إلحاق الهزيمة بالجيش النمساوى فى واقعة هوهينليندين Hohenlinden فى ٣ ديسمبر ١٨٠٠م، وعندئذ انفتح الطريق إلى فينا، وفى الوقت نفسه كان جيش الجنرال برين Brune (جيش ماوراء الألب) قد تقدم حتى تريفيزو Treviso فى إقليم البندقية فى ١٥ يناير ١٨٠١م، فى حين كان الجنرال مورا Murat يدعم قوات الاحتلال الفرنسى فى تسكانيا.

وفى يوم ٩ فبراير ١٨٠١م تم إبرام صلح لونيڤيل Lunéville، وبمقتضاه تنازلت الإمبراطورية الرومانية المقدسة، (الجرمانية) عن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كل الشاطئ الأيسر لنهر الراين لفرنسا، وتعويض الأمراء عن أراضيهم فى أملاك الكنيسة الكاثوليكية فى ألمانيا، وجدد الإمبراطور التنازل عن المقاطعات البلجيكية والأراضى حتى حد نهر الراين.

واعترف باستقلال جمهورية ما وراء الألب، التى ضمت إليها إقليمى ڤيرونيه Veronais وحوض البو Poiésine، وذلك بعد أن كانت قد ضمت إليها إقليم نوفاريه Novarais، الذى اقتطع من بيدمونت، حتى يفتح لجمهورية ماوراء الألب طريق ممر «سيمبلون» Simplone. كما ضمت إليها المقاطعات البابوية (أو الرسولية) Le-gations.

واعترفت النمسا باستقال جمهوريات Batavia باتافيا (هولندا) و «هلفتيا» Helvetia سويسرة، وليجوريا Liguria (جنوة)، وحصل دوق مودينا، الذى كان قد فقد دوقيته فى صلح كامبو فورميو، على برايسجاو Breisgau فى ألمانيا.

كما نص على أن ينال دوق توسكانيا تعويضا فى ألمانيا يتمثل فى مطرانية سالزبورج Salzbourg، بعد تحويلها إلى إمارة علمانية ذات صوت فى انتخاب الإمبراطور. وأما غراندوقية توسكانيا Tus-cany ذاتها فقد أُنشئت منها مملكة إتروريا Etruria وأُعطيت إلى لويس دوق بارما. ومن ناحية أخرى احتفظت النمسا بأملاكها القديمة فى البندقية حتى نهر الأديج.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولم تذكر معاهدة «لونيفيل» شيئاً عن ملك نابولى، أو ملك سردينيا (بيدمونت) أو البابا، الأمر الذى جعل مصيرهم ومصير بلادهم فى يدبونابرت.

وعلى ذلك امتدت حدود فرنسا حتى نهر الراين، فأُنشئت مديريات أربع جديدة باسم مديريات الراين منذ ١٩ مارس ١٨٠١م، وهى مديريات: الرور Roer، والسار Saar، والراين – موزيل، Rhine Moselle - ومونت تونير Mont - Tonnerre.

وكان بونابرت فى الوقت الذى كان يتهيأ فيه لمفاوضات الصلح فى لونيفيل قد عقد معاهدة مع أسبانيا فى سان إلديفونسو San Il-defonso، وتنازلت أسبانيا بمقتضاها لفرنسا عن لويزيان Lui-siana، فى أمريكا الشمالية، نظير أن ينال لويس دوق بارما، وهوابن شقيق ملكة أسبانيا ماريا لويزا، وعدا بإنشاء مملكة إيطالية له تتألف من توسكانيا والمقاطعات البابوية فى أول أكتوبر ١٨٠٠م.، وفى ٢٠ مارس ١٨٠١م بعد صلح لونيفيل، ابرم معاهدة أرانخويز Aranjuez مع ملك أسبانيا شارل الرابع، تأكدت بها شروط معاهدة إلديفونسو.

وفى ١٨ مارس ١٨٠١م أبرم فرديناند الأول ملك نابولى معاهدة فلورنسا Florance التى تنازل بمقتضاها عن الأقاليم التى كانت له فى تسكانيا وعن جزيرة إلبا Elba، ووافق على احتلال الفرنسيين لقلاعه، وعلى إغلاق موانيه فى وجه السفن الإنجليزية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ونظرا لضعف الأسطول الفرنسى، وعدم قدرته على التغلب على الأسطول الإنجليزى، ألف بونابرت حلفا بحريا فى يناير ١٨٠١م مع روسيا والدنمارك والسويد وبروسيا، التى أحفظها توقيف إنجلترا لسفنها وتفتيشها بحثا عن مهربات إلى فرنسا، وقد عرف باسم الحلف الشمالى The Northern Convention. ولكن القيصر بول أغتيل فى ٢٣ مارس ١٨٠١م، وضرب الأسطول الإنجليزى مدينة كوبنهاجن فى ٣ أبريل، وحطم الأسطول الدنماركى، فانفرط عقد الحلف الشمالى على الأثر.

ولما كان التباطؤ فى إبرام الصلح مع فرنسا لا يخدم المصالح الإنجليزية فى العالم الجديد، بعد أن أعطت أسبانيا فرنسا لويزيانا لتتخذ منها قاعدة لمناوأة تجارة الإنجليز فى أمريكا، فلذلك وقعت إنجلترا مع فرنسا صلح أميان Amiens فى ٢٥ مارس ١٨٠٢م، وبه تنازلت إنجلترا عن كل فتوحاتها فى أثناء الحرب إلى فرنسا، وحلفائها، فيما عدا ترينيداد Trinidad التى تنازلت عنها اسبانيا، وسيلان التى تنازلت عنها باتافيا، واعترفت فرنسا بجمهورية الجزر السبعة الأيونية، ووعدت إنجلترا بعودة جزيرة مالطة إلى فرسان القديس يوحنا، وأن تضمن استقلال هذه الجزيرة كل من بريطانيا والنمسا وأسبانيا وروسيا وبروسيا. ثم حصل الاتفاق على أن تعود مصر إلى تركيا، وتعهدت فرنسا بإخلاء مملكة الصقليتين (أى نابولى)، وإعادة أملاك البرتغال.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد آثار صلح أميان سخط البرلمان الإنجليزى، فى الوقت الذى أرضى فرنسا، فاتخذ مجلس التربيون قرارا جماعيا يوم ٦ مايو ١٨٠٢م، بتوجيه الشكر والتقدير للقنصل الأول، وفى ٨ مايو قرر مجلس الشيوخ (السناتو) مد قنصلية بونابرت عشر سنوات أخرى تبدأ مباشرة بعد انقضاء السنوات العشر الأولى، ولكن بونابرت أصر على أن يكون للأمة صوت فى تولية منصبه مدى الحياة، وهو ما تم الاستفتاء عليه وأعلن مجلس الشيوخ نتيجته يوم ٢ أغسطس ١٨٠٢م.

حروب الإمبراطور نابوليون

وقد كان ذلك مقدمة لتنصيب بونابرت إمبراطورا باسم نابوليون الأول Napoleon I ، وتتويجه يوم ٢ ديسمبر ١٨٠٤م، الأمر الذى أزعج أوروبا، خصوصا بعد التغييرات السياسية التى حصلت فى أيام القنصلية فى ألمانيا وإيطاليا وهولندا وسويسرا، والتى كان من المنتظر بعد تحول القنصلية إلى إمبراطورية أن تصبح تغييرات مشروعة تهدد بزوال العهد القديم كلية، بكل ما يشتمل عليه من حقوق وامتيازات للملوك الشرعيين.

وظهرت بوادر هذا الخوف والقلق عندما امتنع اصحاب التيجان الشرعية فى أوروبا عن تهنئة نابوليون بتتويجه إمبراطوراً، فيما عدا ملك أسبانيا وحده فرديناند السابع.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد تلى ذلك مباشرة تأليف التحالف الدولى الثالث The Third Coalition ضد فرنسا من إنجلترا وروسيا والنمسا والسويد.

فقد عقدت معاهدة بين روسيا وإنجلترا فى ١١ أبريل ١٨٠٥م عرفت باسم معاهدة سان بترسبورج، تقضى بوجوب عودة فرنسا إلى حدودها القديمة، وإنشاء دول حاجزة كثيرة على حدود فرنسا، هى هولندا بعد ضم بلجيكا، وبيدمونت بعد ضم ليجوريا، وبارما، ولمباردى، ثم بروسيا. وأن ينال القيصر تعويضا فى بولندا.

ولم تلبث النمسا أن لحقت بروسيا وإنجلترا، عندما وجدت نابوليون قد حول جمهورية ماوراء الألب بعد أشهر من تعيينه إلى مملكة سماها مملكة إيطاليا، وتوج نفسه على المملكة فى ميلان فى ٢٥ مايو ١٨٠٥م، وعين ابن زوجته جوزيفين، وهو يوجين بوهارنيه، نائبا للملك. ثم لم يلبث أن ضم إلى الأملاك الفرنسية جنوة فى ٤ يونيه ١٨٠٥م، وأعطى «بيومبينو» «ولوقا» Lucca إلى زوج شقيقته اليزا، وجعل من مملكة إيطاليا، وجمهورية ليجوريا، وجنوة، مديريات فرنسية، أدمجت فى فرنسا فى ٣٠ يونيه ١٨٠٥م.

ففى ذلك الحين كان نابليون يعد العدة لغزو إنجلترا، فأنشأ منذ عام ١٨٠٣م معسكرا عند بولونى، وأرسل السفن المعدة لنقل الجنود إلى الموانى الشمالية، وأعد سبعة جيوش للغزو، وكان على كل من هولندا وأسبانيا والبرتغال تزويد هذا الجيش بالإمدادات المالية وبالسفن. ولكى يخلى بحر المانش من الأسطول الإنجليزى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تظاهر نابليون بإرسال حملة إلى جزر الهند الغربية، وخرجت لهذا الغرض بالفعل السفن الفرنسية.

ولكن أمير البحر نلسون استطاع أن يلحق بالأسطول الفرنسى على مسافة عشرين ميلا من قاعدة الميناء الأسبانى قادش Cadiz بالقرب من الطرف الأغر، وألحق به الهزيمة يوم ٢١ أكتوبر ١٨٠٥م، ولم يستطع نابوليون بعد هذه المعركة التى قضت على أسطوله أن يعيد بناء البحرية الفرنسية، فأصبحت إنجلترا صاحبة السيطرة فى البحار.

وقد انتهزت النمسا مشغولية نابوليون بهذه العمليات البحرية، لشن الحرب على فرنسا، فزحف إمبراطورها فرنسوا الثانى على بافاريا، وعبر نهر الإن Inn أحد فروع الدانوب فى ٧ سبتمبر ١٨٠٥م، وفى ٩ سبتمبر ١٨٠٥م استولى على ميونيخ.

على أن نابوليون استطاع تحويل قواته الضخمة من بحر المانش إلى نهر الراين، للزحف صوب الدانوب، وكان زحفا سريعا أوصل «الجيش الأعظم» بعد عشرين يوما إلى ماينز، ثم احتل أوجزبورج Augsburg، فقطع مواصلات النمساويين بعاصمتهم فينا، وأحاط بهم، مما اضطرهم إلى التسليم فى «أولم» فى ٢٠ أكتوبر ١٨٠٥م، وبلغ عدد النمساويين الذين سلموا فى أولم ٢٩ ألف جندى. وفى يوم ١٣ نوفمبر ١٨٠٥م دخل نابوليون فيينا.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهنا طلب الإمبراطور فرانسوا الثانى الهدنة، ولكن نابليون اشترط انسحاب القوات الروسية، التى قدمت لنجدته، من كل أراضى النمسا، وعندما رفض الروس الجلاء، شرع نابوليون فى مطاردتهم. وعندئذ اتجه القيصر إسكندر إلى بروسيا، التى كانت قد أذنت للقوات الروسية بالزحف عبر أراضيها فى سيليزيا لمساعدة النمسا.

ولكن نابوليون التقى بالقرب من قرية أوسترليتز Austerlitz فى صبيحة يوم ٢ ديسمبر ١٨٠٥م، بالقوات الروسية النمساوية، وأنزل بها هزيمة بالغة كانت كافية لإنهاء التحالف الدولى الثالث.

فقد طلبت النمسا الصلح، وتقهقر قيصر روسيا عبر بولندا، وشعرت إنجلترا - بالرغم من نصر الطرف الأغر - بالهزيمة، فقد قال وليم بيت رئيس وزرائها: «لقد لحقت الإصابة بى أنا كذلك فى أوسترليتز Austerlitz.

وفى المعاهدة التى عقدت بين النمسا وفرنسا فى برسبورج Pressburg وهى «معاهدة بريسبورج» فى ٢٦ ديسمبر ١٨٠٥م، نزلت النمسا لفرنسا عن دالماشيا وكل البندقية لتضم إلى مملكة إيطاليا، كما تنازلت عن إستريا ماعدا تريستا Triesta، وهذه الأقاليم تصل بالسيطرة الفرنسية إلى بحر الأدرياتيك. ثم أخذت فرنسا من النمسا كل الطرق المؤدية إلى نهر الراين، وهى أقاليم : التيرول، وفورالبيرج Vorarlberg (إلى الغرب من التيرول) وترينتان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(أو ترينت Trent). ولم تنل النمسا تعويضا عن ذلك غير سالزبورج. كما اعترفت النمسا بـ «بادن» Baden وبڤيرتيمبيرج Wurttemberg كمملكتين.

وكان معنى ذلك أن أتمت معاهدة بريسبورج عملية انهيار الإمبراطورية الرومانية المقدسة، والقضاء عليها نهائيا. وقد وقع فرانسوا الثانى على هذه المعاهدة بوصفه «إمبراطوراً لألمانيا والنمسا». ولكن لم تمض ستة أشهر حتى كان قد خسر لقب إمبراطور ألمانيا.

أما بالنسبة لبروسيا، فإن نابوليون كان قد عقد مع النمسا بعد موقعة أوسترليتز معاهدة شونبرون Schoenbrunn فى ١٥ ديسمبر ١٨٠٥م، وبمقتضاها أعطيت هانوفر لبروسيا، فى مقابل تنازل هذه عن «أنسباخ Ansbach إلى بافاريا، وعن كليف Cleves، ونيوشاتيل Neufchâtel، إلى فرنسا.

ولكن لم يكد نابوليون يعود إلى فرنسا حتى رفض فريدريك وليم الثالث التنازل عن أنسباخ، وطالب بمدن إتحاد الهانسا: بريمين، وهمبورج، ولوبيك، وأعلن عزمه على البقاء فى احتلال هانوفر حتى وقت إقرار السلام العام. وعندئذ أخذ نابوليون يتهيأ لحملة جديدة، فاضطر فريدريك وليم إلى التصديق على نصوص معاهدة شونبرون فى باريس فى ١٥ فبراير ١٨٠٦م.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبسبب هذه الانتصارات المدوية، قرر نابوليون فى ٢٦ فبراير ١٨٠٦م إقامة قوس نصر Arc de Triomphe تكريما «للجيش الأعظم» الذى جعل فرنسا تشعر بالفخار والمجد.

وفى تلك الأثناء كان نابوليون قد أنهى حكم البوربون فى نابولى منذ ٢٦ ديسمبر ١٨٠٥م، وعين أخاه الأكبر جوزيف بونابرت ملكا على نابولى، فانسحبت أسرة البوربون إلى صقلية تحت حماية الأسطول الإنجليزى، ولم يعد مستقلا فى أملاكه بإيطاليا غير البابا، ولكن نابوليون قيد استقلال رئيس الكنيسة الأعلى بأن أملى عليه السياسة الخارجية التى يتبعها.

أما ألمانيا، فقد عمل نابوليون على ربط الأسر الحاكمة فى ألمانيا الجنوبية بالأسرة الحاكمة فى فرنسا، فقد أنشأ على ضفة نهر الراين الأسفل غراندوقية برج Berg وكليف، التى أعطاها لمورا، زوج شقيقته كارولين، فى ١٥ مارس ١٨٠٦م. وزوج يوجين بوهارنيه ابن زوجته جوزيفين، من الأميرة أوجيستا Augusta إبنة مكسمليان الأول ملك بافاريا فى ١٤ يناير ١٨٠٦م. ثم زوج شقيقه جيروم بونابرت من كاترين ابنة ملك ڤيرتيمبرج فى ٢٣ أغسطس ١٨٠٧م. وفى ٢٦ مايو ١٨٠٦م نصب شقيقه لويس، زوج هورتنس ابنة الإمبراطورة جوزيفين، ملكا على هولندا.

وفى يوم ١٢ يوليو ١٨٠٦م وقع نابوليون المعاهدة التى تأسس بموجبها «اتحاد الراين»، وهو أجرأ تعديل إقليمى أحدثه نابوليون

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى ألمانيا، وقد تألف من ١٦ عضوا هم: ملكا بافاريا وڤيرتيمبرج، وغراندوقيات بادن، وهس Hesse ودرمشتات، وبرج، ثم كبير مستشارى الإمبراطورية الألمانية (الأمير كارل دالبرج) وعشرة أمراء آخرون من أصحاب الامارات الصغيرة.

وتبع ذلك انضمام جميع الأمراء الآخرين، فيما عدا النمسا وبروسيا وبرونسڤيك Brunswick وناخب هيس Hesse . وبذلك وقع جزء كبير من ألمانيا تحت السيطرة الفرنسية.

وقد اعتبرت بروسيا اتحاد الراين تهديدا مباشرا لسيطرتها ولنفوذ اسرة براندنبرج فى ألمانيا الشمالية، فقرر فردريك وليم الثالث فى ٩ أغسطس ١٨٠٦م التعبئة العامة، وفى ٢٦ سبتمبر بعث بانذار إلى نابوليون تنتهى مدته فى ٨ أكتوبر، وزحف الجيش البروسى عبر أراضى سكسونيا قاصدا إلى الراين.

وقد واجه نابوليون ذلك بوضع قواته فى مواجهة البروسيين فى خط يمتد من جوتا Gotha إلى بينا Jena التى قصد الاستيلاء عليها، وقطع مواصلات البروسيين ببرلين العاصمة عن طريق السيطرة على كبارى نهر السال، وعندما حاول البروسيون عبور النهر، منعتهم المدفعية الفرنسية التى أقامها الفرنسيون على المرتفعات الغربية.

وسرعان ما ألحق بهم الجيش الفرنسى بقيادة «دافو Davout هزيمة حاسمة عند بينا Jena، على الرغم من تفوق الجيش

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البروسى، وذلك فى يوم ١٤ أكتوبر ١٨٠٦م، وكافأ نابوليون دافو على هذا النصر بإعطائه لقب «دوق أورشتاد» Auerstadt – وهو الاسم الثانى للموقع الذى دارت فيه المعركة – وذلك فى ١٤ أكتوبر ١٨٠٦م.

لم تلحق الهزيمة فى موقعة يينا بالجيش البروسى وحده، بل لحقت بالأمة البروسية قاطبة، فبينما كان الجيش البروسى يلقى سلاحه أمام العدو الذى كان يطارده فى بوميرانيا Pomerania وميكليمبورج Mecklembourg، سلمت ستيتين Stettin فى ٢٨ أكتوبر ١٨٠٦م، ومجدبرج فى ٨ نوفمبر ١٨٠٦م، وكاسترين Cus-trin. وفى يوم ٢٧ أكتوبر ١٨٠٦م دخل نابوليون برلين.

ولم يلبث نابوليون أن أصدر فى برلين مراسيم برلين الشهيرة التى أعلن بها حصار الجزر الإنجليزية، وحرم على كل الدول الأوروبية الإتجار معها، كما حرم عليها فتح موانئها للسفن الإنجليزية، وقد صدرت هذه المراسيم يوم ٢١ نوفمبر ١٨٠٦م وعرفت باسم الحصار القارى أو Blocus Continental أو النظام القارى (Continental System).

فى تلك الأثناء كان فردريك وليم الثالث قد انسحب فى تقهقره إلى كونيجزبيرج Konigsberg فى انتظار ألكسندر الأول قيصر روسيا الذى كان يزحف بجيشه صوب نهر الفستيولا، وعندما علم نابوليون باحتشاد الروس عند النهر، غادر برلين إلى بولندا فى الأيام الأخيرة من شهر نوفمبر ١٨٠٦م التى استقبل فيها استقبالا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حافلا، فأنشأ آلايا بولنديا من الفرسان البولنديين، واتخذ مقره فى وارسو التى وصل إليها فى ١٩ ديسمبر ١٨٠٦م، حيث تعرف على مارى فالفسكا Walweska، وأخذ يدير الإمبراطورية من وارسو.

وفى منتصف يناير ١٨٠٧م قام الجيش الروسى بهجومه، تحت قيادة الجنرال بينيجسين Pennigsen، وفى طريقه إلى كونيجزبيرج توقف عند «أيلو» Eylau، حيث دارت موقعة عظيمة وسط الثلوج المتساقطة فى ٨ فبراير ١٨٠٧م، وكاد يقضى على القوات الفرنسية بقيادة الجنرال أوجيرو Augereau، وكاد الفرسان الروس يأسرون نابوليون لولا هجمات الجنرال مورا Murat الذى استطاع اختراق صفوف المشاة الروس، وكفل النصر وصول «دافو» و «ناى» Ney وبذلك تكون الجيش الأعظم.

ولما كانت دانزيج تشكل خطرا على ميسرة الجيش الأعظم، فقد أخذ نابوليون فى حصارها منذ نهاية مارس١٨٠٧م، وفى يوم ٢٦ مايو ١٨٠٧م سلمت دانزج Danzig. ثم اتجه شرقا لمقابلة الروس.

وعند فريدلاند Friedland، وفى يوم ١٤ يونيه ١٨٠٧م، وهو يوم ذكرى واقعة مارنجو، أنزل هزيمة ساحقة بالروس، واضطر قائدهم Pennigsen بينيجسين إلى الفرار بفلول جيشه صوب نهر النيمين Niemen والتخلى عن كونيجزبرج Konigsberg، فدخلها جيش الجنرال سولت Soult فى ١٧ يونيه، واحتل الفرنسيون جميع اراضى القطر حتى نهر نييمين Niemen.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد سارعت كل من روسيا وبروسيا إلى عقد هدنة، وفى خلالها تقابل القيصر اسكندر ونابليون وسط نهر النيمين، واتفقا على شروط معاهدة تيلسيت Tilsit فى ٧ يولية ١٨٠٧م بين فرنسا وروسيا، وبين فرنسا وبروسيا، فى ٩ يوليو ١٨٠٧.

وفى هذا الصلح فقدت بروسيا كل أراضيها غرب نهر الإلب Elbe والولايات البولندية التى كانت قد ضمتها إليها فى تقسيم ١٧٩٣م[١]، ثم الجزء الجنوبى من بروسيا الغربية. فى حين حصلت سكسونيا على كوتبس Cottbus وصارت دانزج مدينة حرة تحت حماية سكسونيا وروسيا المشتركة.

وبقيت بروسيا مكونة من أربعة أقاليم فقط هى: دوقية براندنبرج ، ودوقية بوميرانيا، وسيليزيا Silesia العليا، وسيليزيا السفلى ـ أى بالمساحة التى كانت عليها مملكة بروسيا فى بداية سنة ١٧٧٢. وهكذا فقدت بروسيا نحو نصف مساحتها ونصف عدد سكانها الذين أصبحوا أقل من خمسة ملايين نسمة.

وقد أضاف نابوليون إلى الأقاليم التى تنازلت عنها بروسيا غرب نهر الإلب الجزء الاكبر من هانوفر، وأسس من هذه الأراضى مملكة وستفاليا Westphalia ونصب عليها جيروم أخاه الأصغر،

---

(١) هو التقسيم الثانى. وكانت بولندا قد قسمت ثلاث مرات: التقسيم الأول فى أغسطس ١٧٧٢م بين روسيا وبروسيا والنمسا. والتقسيم الثانى فى يناير ١٧٩٣م بين روسيا وبروسيا، والتقسيم الثالث فى أكتوبر ١٧٩٥م بين الدول الثلاث.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كما ألف من ولايات بروسيا البولندية دوقية وارسو تحت حكم ناخب سكسونيا الذى صار ملكا. وأعطيت بياليستوك Bialystok لروسيا. وتعهد فريدريك وليم بإغلاق بلاده فى وجه السفن الإنجليزية.

وفى المعاهدة التى وقعت بين فرنسا وروسيا فى ٧ يولية ١٨٠٧م، اعترف القيصر اسكندر بهذه الأقاليم التى انتزعت من بروسيا، وذكر فيها أن نابوليون اقترح بالفعل إزالة بروسيا من الوجود كلية حتى يصبح نهر الفستيولا هو الحد الفاصل بين الإمبراطوريتين الفرنسية والروسية، ولكن نابوليون احترم رغبة القيصر فى استبقاء بروسيا الولايات الأربع السالفة الذكر.

كما ذكرت المعاهدة الطريقة التى أراد بها نابوليون تقرير مصير الأراضى المأخوذة من بروسيا، وهى إنشاء مملكة وستفاليا، ودوقية وارسو، واعترف فيها القيصر بكل هذه الترتيبات، كما اعترف بتلك التى أجراها نابوليون فى ألمانيا وإيطاليا.

كما تخلى القيصر عن كتارو Cattaro على ساحل الأدرياتيك الشرقى جنوب دالماشيا وجزر الأيونيان السبع، ووعد بالاعتراف بجوزيف بونابرت ملكا على نابولى (الصقليتين) إذا حصل نابوليون على جزر البليار Balearic (وتشمل جزر : منوركا ومايوركا وبالما) من ملك أسبانيا وأعطاها لملكها فرديناند أو جزيرة كريت تعويضا له. وكان القيصر قد رفض التصديق على معاهدة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقعها مندوبه الكونت دوبريل فى باريس فى يوليو من العام السابق بشأن كتارو والأيونيان والبليار.

ويعتبر صلح تيلسيت الحد الذى بلغت عنده الإمبراطورية الفرنسية فى عهد نابوليون أقصى اتساعها، فقد احتل الجنود الفرنسيون دانزج المدينة الحرة، وبروسيا حتى تدفع الغرامة المفروضة عليها، واعترف القيصر نفسه بالتغييرات الإقليمية التى أحدثها نابوليون فى ألمانيا بإنشاء اتحاد الراين، ومملكة وستفاليا، كما اعترف بمملكة هولندا وبشقيق نابوليون لويس بونابرت ملكا عليها، وبمملكة نابولى فى إيطاليا وملكها جوزيف بونابرت. وكتب الكونت دى سيجور (كبير الأمناء) فى مذكراته يقول:

«إن الإمبراطور فى خلال ثمانية عشر شهرا اشتبك فى مائة واقعة، وأربع معارك كبيرة، وحطم أربعة جيوش، وخلق ستة ملوك جدد هم: ملكا بافاريا وفرتمبيرج سنة ١٨٠٦م، وملك سكسونيا سنة ١٨٠٧م، وأصبح ثلاثة من أفراد أسرته ملوكا: جوزيف بونابرت، ملكا على نابولى، ولويس بونابرت ملكا على هولندا سنة ١٨٠٦م، وجيروم بونابرت ملكا على وستفاليا سنة ١٨٠٧م. وتحولت جميع الدول الكبرى فى القارة الأوروبية من بطرسبورج إلى نابولى، الذين تحالفوا ضده بمسعى إنجلترا، ضد هذه الدولة.

وقد اعترف نابوليون بأن أسعد أيام حياته كانت هى التى اقترنت بهذه الانتصارات السياسية والعسكرية التى توجتها معاهدات تيلسيت، فقد سئل فيما بعد، وهو بمنفاه فى سانت

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هيلانه St. Helena عن أسعد الأوقات في حياته، فأجاب بأنها كانت في تيلسيت «فقد كنت متوجا بأكاليل النصر، أملى القرارات وأسن القوانين، ويحف بى الأباطرة والملوك كأنهم من رجال حاشيتى».

وتعتبر الفترة من عام ١٨٠٧م إلى عام ١٨١٤م هى سنوات الانحسار. ذلك أن استمرار الإمبراطورية الفرنسية التى أسسها نابوليون كان متوقفا على أمرين، الأول: نجاح الحصار القارى لإنجلترا، والثانى: استمرار التحالف الفرنسى الروسى. وهو ما لم يتحقق.

وبالنسبة للحصار القارى، فقد رأى نابوليون أنه ما دامت إنجلترا تجد منفذا فى ولايات البابا، وفى شبه الجزيرة الأيبيرية، خصوصا بعد معركة الطرف الأغر Trafalgar (٢١ أكتوبر ١٨٠٥م) التى أرست السيادة البريطانية فى البحار، فلا سبيل لنجاح هذا الحصار. ولكنه اصطدم فى محاولته التغلب على هاتين العقبتين بالشعور الدينى وبالكنيسة من جهة، وبالشعور القومى من جهة أخرى.

ففى يوم ١٢ ديسمبر ١٨٠٧م أصدر نابوليون مرسوم ميلان Milan الذى كان استكمالا لمراسيم برلين، وبه اعتبر أية سفينة أملاكا إنجليزية اذا خضعت لتفتيش السفن الإنجليزية أو أرغمت على الرحلة إلى إنجلترا أو دفعت إتاوة إلى الحكومة الإنجليزية، وتعامل على هذا الأساس مهما كانت جنسيتها.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتنفذا لمراسيم برلين وميلان، ولتضييق الحصار القارى المضروب على إنجلترا، احتلت القوات الفرنسية روما فى ٢ فبراير ١٨٠٨م. ولم تمض أسابيع قليلة حتى كانت قد أدمجت فى مملكة ايطاليا مقاطعات: أنكونا وأوربينو Urbino التى انتزعت من املاك البابوية. وفى ١٧ مايو ١٨٠٩م أصدر نابوليون من فيينا قرارا يقضى بأنه لم يعد ثمة مبرر لبقاء السلطة الزمنية للبابا، وقرر ضم الأملاك البابوية إلى الإمبراطورية الفرنسية، وأن تكون روما مدينة حرة وتابعة للإمبراطورية. وقد أجاب البابا على ذلك فى ١٠ يونيه ١٨٠٩م بحرمان نابوليون من غفران الكنيسة. وفى يوم ٦ يوليو ١٩٠٩م ألقى القبض على البابا نفسه، ونقله إلى سافونا Savona (إلى الغرب من جنوة) وقد أثارت هذه الاستطالة على مقام البابوية ثائرة الأمم الكاثوليكية.

أما بالنسبة لشبه الجزيرة الأيبيرية، فقد عقد نابوليون اتفاقا مع أسبانيا على أن تشترك معه فى غزو البرتغال واقتسامها فيما بينهما، وقد تولى الجنرال جونو Junot مهمة احتلال البرتغال، فاحتل لشبونة فى ٣٠ نوفمبر ١٨٠٧م.

ولكن نابوليون لم يلبث أن عمل على احتلال أسبانيا بحجة منع الإنجليز من النزول فى أراضيها عن طريق جبل طارق، فاجتاز القائد مورا Murat جبال البرانس، واحتل المواقع الاستراتيجية والحصون فى أسبانيا الشمالية، وزحف على العاصمة مدريد واحتلها فى ٢٣ مارس ١٨٠٨م.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وعندما ثار الأسبانيون على ملكهم، وأجبروه على النزول عن العرش لابنه فرديناند السابع، أرغم نابوليون الأب والابن على النزول عن العرش فى ٥ ـ ١٠ مايو ١٨٠٨م، ونصب جوزيف بونابرت ملكا على أسبانيا، وأحل محله فى نابولى قائده مورا ملكا على الأخيرة.

على أن الشعب الأسبانى رفض الرضوخ للأمر الواقع والإذعان لما اعتبره إهانة لحقت بشرف الأمة، فقام بالثورة يوم ٢ مايو ١٨٠٨م، وهو اليوم الذى اشتهر فى تاريخ الثورة الاسبانية باسم «دوس مايو» Dos Mayo، وأعلن الحرب حتى الموت ضد الفرنسيين.

وتمكن الجيش الأسبانى من إنزال هزيمة ثقيلة بالفرنسيين فى «بايلين Baylen فى يولية ١٨٠٨م وفقد الجيش الفرنسى ثلاثة آلاف جندى ووقع ١٨ ألفا أسيرا، وقام بعدها جوزيف بونابرت بأيام قلائل على إخلاء اسبانيا حتى نهر الإبرو فى الشمال.

وقد شجعت هذه الهزيمة التى نزلت بالجيوش الفرنسية البرتغال على إعلان الثورة، الأمر الذى شجع بدوره الحكومة الإنجليزية على إرسال جيش بقيادة ويليسلى Wellesley نزل عند مصب نهر موندیجو Mondego يوم ٢ أغسطس ١٨٠٨م، وانتصر على جيش «جونو» عند فيميرو Vimeiro فى ٢١ أغسطس ١٨٠٨م، فاضطر «جونو» الى عقد اتفاق كينترا Cintra فى ٣٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أغسطس١٨٠٨م بإخلاء البرتغال، على أن تحمله السفن الإنجليزية مع جيشه إلى فرنسا. وفى ١٢ سبتمبر ١٨٠٨م احتل الانجليز لشبونة، وفى ٣٠ سبتمبر لم يبق ثمة جندى فرنسى فى البرتغال.

وقد واجه نابوليون هذه النكسة بأن جهز ثلاثة جيوش من خيرة جيوشه المدربة. ولكن قبل الذهاب إلى اسبانيا اجتمع بالقيصر إسكندر فى إيرفورت Erfurt فى سبتمبر ١٨٠٨م، وحضر الاجتماع أربعة ملوك و ٣٤ أميرا ، ووقع اتفاق ايرفورت الذى تناول الموقف فى بروسيا وبولندا وفقا لاتفاق تيلسيت، كما شمل مصير الإمبراطورية العثمانية.

وغادر نابوليون باريس يوم ٢٩ أكتوبر ١٨٠٨م على رأس ١٧٠ ألف مقاتل، حيث أعاد فتح أسبانيا بعد أن أنزل عدة هزائم بالجيش الأسبانى، وفى يوم ٩ ديسمبر ١٨٠٨م دخل مدريد، وأعاد أخاه جوزيف على عرش أسبانيا مرة أخرى.

ومالبث أن أصدر عدة قرارات اصلاحية أنهى بها الحقوق الإقطاعية، وألغى محكمة التفتيش، وأغلق ثلثى الأديرة، ثم طارد النجدات الإنجليزية التى أرسلت بقيادة السيرجون مور Moor حتى كورونا Corunna فى شمال البرتغال.

على أن قيام الأسبانيين بالثورة كان له أثره فى تحريك روح المقاومة فى الشعوب الألمانية. وقد تصدت النمسا لإنقاذ الوطن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الألماني، فأعادت تنظيم جيشها، وفي يوم ١٠ أبريل ١٨٠٩م دخل الجيش النمساوي أراضي اتحاد الراين واقتحم حدود بافاريا.

ولكن نابوليون خرج يوم ١٣ أبريل ١٨٠٩م على رأس جيش يكاد يكون بتمامه جيشا جديدا، يتألف ثلث قواته من فرق أجنبية (ألمانية)، واشتبك مع النمساويين في سلسلة من المعارك دارت رحاها من ١٩ إلى ٢٣ أبريل ١٨٠٩م، كانت أهمها في إيكموهل Eckmuhl في ٢٢ أبريل، والثانية في إيبيرزبرج Ebersberg في ٣ مايو، ودخل نابوليون فيينا للمرة الثانية في ١٣ مايو ١٨٠٩م.

ثم تعقب خصومه إلى واجرام Wagram بعد أن عبر الجيش الفرنسي نهر الدانوب يوم ٤ يوليو ١٨٠٩م، وقد بلغ عدده ١٥٠ ألف جندي، وهناك دارت المعركة الشهيرة عند «واجرام» يوم ٦ يولية ١٨٠٩م، وأسهم فيها نخبة من القواد الفرنسيين: دافو Davout، وماسينا Massina، وماكدونالد، ومارمون Marmont، وأودينو Oudinot وحقق فيها الجيش الفرنسي الانتصار بخسائر باهظة، واضطر فرانسوا الأول إمبراطور النمسا إلى توقيع الهدنة في زنايم Znaim في ١١ يوليو ١٨٠٩م.

ثم وقعت النمسا صلح «فيينا» في ٤ أكتوبر ١٨٠٩م، وبه نزلت عن سالزبورج إلى بافاريا ، كما تخلت عن جزء من بوهيميا إلى ملك سكسونيا، وعن غاليسيا الغربية إلى دوق وارسو، وعن غاليسيا الشرقية إلى الروسيا. وأخذت فرنسا تريستا وما حولها

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من الأراضى النمساوية فى شمال الأدرياتيك، وأصبحت النمسا بفضل هذه المعاهدة التى عرفت باسم معاهدة شونبرون Schon-brunn مجرد دولة ثانوية تخضع لسلطان نابوليون.

على أن مشكلة وراثة العرش وعدم إنجاب ابن لنابليون من زوجته جوزيفين، لم تلبث أن دفعته إلى الزواج من مارى لويز من أسرة هابسبورج، الأمر الذى كان له تأثيره فى إنهاء المحالفة مع روسيا بعد أن تحولت سياسة نابوليون إلى مصادقة النمسا.

وهنا قرر رأى القيصر وحكومته نقض معاهدة تيلسيت وفتح ثغور بلادهم للتجارة الإنجليزية فى سنة ١٨١٠م. وكان ذلك هو ما جعل نابوليون يتحول إلى مهاجمة روسيا. فقام بالحملة الروسية المشئومة على روسيا فى صيف عام ١٨١٢م، التى أوصلته إلى دخول موسكو فى ١٤ سبتمبر ١٨١٢م، ولكنه اضطر إلى الانسحاب منها بعد أن لم يبق من جيشه الذى يربو على ٦٠٠ ألف جندى سوى ١٠٠ ألف فقط.

وكانت هذه الهزيمة بداية الكارثة، فقد قام الشعب البروسى يطالب بالانضمام إلى روسيا حتى يأخذ بثأر بينا، ويهدم النظام القارى الذى عطل مصالحه، فأبرمت الحكومة البروسية مع روسيا معاهدة كاليش Kalisch فى ٢٨ فبراير ١٨١٣م، ثم اشتركت فى الحرب ضد فرنسا.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد واجه نابوليون ذلك بتجهيز جيش جديد يتألف من زهرة شبان فرنسا، وأسرع إلى مقابلة أعدائه فى ألمانيا بعد نهاية أبريل ١٨١٣م فى جيش يبلغ تعداده ١٨٠ ألفا، وقام بالانتصار عليهم فى «لوتزن» Lutzen فى ٢ مايو ١٨١٣م و «بوتزن» Bautzen فى ٢١ مايو ١٨١٣م، كما احتل دافو Davout هامبورج. وعقدت على أثر ذلك الهدنة فى بليزفيتز Pleswitz على أن تستمر من ٤ يونيه إلى ٢٦ يولية، ثم امتدت بعدها إلى ١٠ أغسطس ١٨١٣م.

وفى يوم ٦ يونية ١٨١٣م جرى لقاء نابوليون ووزير النمسا متيرنيخ Metternich أدرك منه أن النمسا لا محالة منضمة إلى أعدائه، وعندها صاح صيحته المشهورة: «لقد كان من الحمق البالغ أن أتزوج أميرة نمساوية»!

وقد تحقق حدسه، فقد قامت مفاوضات بين النمسا والروسيا وبروسيا انتهت بعقد اتفاق رايشنباخ Reichenbach فى ٢٧ يونيه ١٨١٣م.

وفى يوم ١٢ أغسطس ١٨١٣م أعلنت النمسا الحرب على فرنسا، وكانت جيوش الحلفاء ثلاثة: جيش الشمال بقيادة برنادوت، وجيش سيليزيا بقيادة بلوخر Blucher، وجيش بوهيميا بقيادة شفارزنبرج، واشتبك الفريقان فى سلسلة من المعارك انتهت بهزيمة شفارزنبرج فى معركة درسدن فى ٢٧ أغسطس ١٨١٣م أمام نابوليون، ولكن الحلفاء سجلوا انتصارات على قواد نابوليون.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فانتصر برنادوت على جيش أودينو Oudinot فى جروس - بيرين Groos - Beeren فى ٢٣ أغسطس ١٨١٣م، وانتصر بلوخر على ماكدونالد فى كاتزباخ Katzbach فى ٢٦ أغسطس ١٨١٣م، وانتصر الروس على ڤاندام Vandamme فى كولم kulm فى ٢٩ - ٣٠ أغسطس ١٨١٣م، وانهزم ناى Ney فى دينڤيتز Dennewitz فى ٦ سبتمبر ١٨١٣م. وفى ٨ أكتوبر ١٨١٣م انضمت انجلترا إلى التحالف، وفى ٨ أكتوبر ١٨١٣م خرجت بافاريا من اتحاد الراين وانضمت إلى جيوش الحلفاء.

وما أن تلقى الحلفاء نجدات جديدة من روسيا، حتى حشدوا قواتهم فى سهول لايبزج Leipzig فى مؤخرة الفرنسيين، حتى يقطعوا عليهم خط الرجعة عند تقهقرهم إلى فرنسا، وعندما وصل نابوليون إلى لايبزج دارت معركة فيما بين ١٦ و ١٩ أكتوبر ١٨١٣م عرفت باسم «حرب الأمم»، فانهزم فيها نابوليون، واضطر إلى التراجع إلى ماوراء الراين.

عندئذ رأى نابوليون امبراطوريته الشامخة تتداعى، فقد نهضت ألمانيا وإيطاليا وفتحتا بلادهما للغزاة، وأسرعت هولندا إلى إعادة حكم بيت أورانج، وعقدت نابولى صلحا منفردا مع النمسا.

وانتهز ولنجتون Wellengton (ويليسلى) الفرصة، وكان قد سبق له أن انتصر على الفرنسيين فى أسبانيا فى سلامنكا Sal-amanca فى ٢٢ يوليو ١٨١٢م، وفى فبراير ١٨١٣م عندما اضطر

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سولت إلى سحب جزء كبير من الجيش الفرنسى إلى ألمانيا، تقدم ولنجتون وهزم المارشال جوردان فى فتوريا Vittoria فى ٢١ يونية ١٨١٣م.

وقد عرض الحلفاء على نابوليون فى فرانكفورت فى أول نوفمبر ١٨١٣م عقد صلح على أساس عودة فرنسا إلى حدودها الطبيعية: الألب، والراين، والبرانس، واستقلال ألمانيا وهولندا وإيطاليا عن فرنسا، وإرجاع أسرة البوربون إلى أسبانيا. ولكنهم تذرعوا بعدم وصول رد نابوليون بالسرعة اللازمة للتراجع عن هذا العرض، وأعلنوا أنهم يحاربون نابوليون لا الشعب الفرنسى، وزحفوا على باريس بطريق المارن والسين والبرانس، وتعاهدوا فى شومون Chaumont فى ٩ مارس ١٨١٤م على مواصلة الحرب حتى يحققوا هدفهم، وأن يبقى هذا التحالف مدة عشرين عاما لحماية السلام فى أوروبا.

وفى يوم ٣١ مارس سنة ١٨١٤م سقطت باريس، وتنازل نابوليون عن العرش بدون قيد أو شرط، ومنحه الحلفاء جزيرة إلبا Elba، وأعطيت زوجته مارى لويز Marie Louise دوقية بارما، واحتفظ نابوليون بلقب امبراطور، ووصل إلى «إلبا» يوم ٤ أبريل ١٨١٤م. على أن نابوليون عندما علم بالاستياء فى فرنسا من عودة حكم البوربون، فر من إلبا، وعاد إلى فرنسا يوم أول مارس ١٨١٥م، ولكنه هزم فى ووترلو فى ١٨ يونية ١٨١٥م، وتنازل عن العرش، وسجن فى جزيرة سانت هيلانه St. Helena، واستمر بها حتى مات فى عام ١٨٢١م.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مراجع للاستزادة

(أولا) المراجع العربية والمترجمة

السيد رجب حراز، الدكتور: عصر النهضة (القاهرة١٩٧٤م).

بالمر، روبرت: تاريخ العالم الحديث، جزءان، ترجمة محمود حسن الأمين (الموصل ١٩٦٤م).

بانيكار، ك. م: آسيا والسيطرة الغربية، ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد (دار المعارف ١٩٦٢م).

برنو، ريجـــين: البورجوازية فى شتى مراحلها، ترجمة أنعام الجندى (بيروت).

بولز، تشستر : قضية السلام، ترجمة جورج عزيز (دار المعارف ١٩٥٧م).

بونومـــاريوف : موجز تاريخ الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفيتى (موسكو ١٩٧٠م).

بين، تشستر: الشرق الأقصى، ترجمة حسين الحوت (سلسلة الألف كتاب ٥٩).

جرانت وتمبرلى: أوروبا فى القرنين التاسع عشر والعشرين، جزءان، الأول ترجمة بهاء فهمى، والثانى ترجمة محمد على أبو درة ولويس إسكندر (القاهرة ١٩٦٧م).

جمال حمدان، الدكتور: استراتيجية الاستعمار والتحرير (كتاب الهلال).

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جوكوف وآخرون: العالم الثالث (موسكو ١٩٧١م).

رينوفان، بيير: تاريخ العلاقات الدولية ١٨١٥ – ١٩١٤م، ترجمة دكتور جلال يحيى (دار المعارف).

زاهر رياض، الدكتور: استعمار القارة الأفريقية واستقلالها (دار المعرفة ١٩٦٦م).

ستيفه، فردريك : حقيقة الحرب العظمى، ترجمة محمود إبراهيم الدسوقى.

صلاح العقاد، الدكتور: الحرب العالمية الثانية (مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٣م).

عبدالحميد البطريق، الدكتور: التيارات السياسية المعاصرة ١٨١٥ – ١٩٦٠ (القاهرة ١٩٨٠م).

عبدالكريم أحمد، الدكتور: القومية والمذاهب السياسية (القاهرة).

فرحات زيادة وإبراهيم فريجى: تاريخ الشعب الأمريكى (مطبعة جامعة برنستون ١٩٤٦م).

فيشر، هربرت: أصول التاريخ الأوروبى الحديث، ترجمة: الدكتورة زينت عصمت راشد، والدكتور عبد الرحيم مصطفى (دار المعارف ١٩٦٢م).

فيشر، هربرت : تاريخ أوروبا فى العصر الحديث، ترجمة أحمد نجيب هاشم، ووديع الضبع (دار المعارف ١٩٤٦م).

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كـــار، أ. هـ. : ثورة البلاشفة، جزءان، ترجمة عبدالكريم أحمد (القاهرة ١٩٧٠م).

كسنجر، هنرى: مفهوم السياسة الخارجية الأمريكية، إعداد د. حسين شريف (القاهرة ١٩٧٤م).

كينان، جورج : روسيا تتخلى عن الحرب، ترجمة عادل شفيق (القاهرة ١٩٦٦م).

كنج، بولتن : الوحدة الإيطالية، ترجمة طه الهاشمى (القاهرة).

كـــول، ج.هـ. : تاريخ الفكر الاشتراكى، الجزء الأول من المجلد الرابع، ترجمة عبدالكريم أحمد (القاهرة).

كـــــول، ج. هـ : الاشتراكية والفاشية، ترجمة عبدالحميد الإسلامبولى.

لودفـيج، امـيل : نابليون، ترجمة محمود إبراهيم الدسوقى (القاهرة ١٩٤٦م).

لودندورف : مذكرات لودندورف (جزءان).

لينين : مذكرات لينين عن الحروب الأوروبية، ماضيها وحاضرها، ترجمة أحمد رفعت.

لينين : موجز حياته (موسكو ١٩٦٩م).

محمد أنيس، الدكتور، والسيد رجب حراز، الدكتور: مدخل تاريخ الأمريكتين (دار النهضة العربية ١٩٦٤م).

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

محمد فؤاد شكرى، الدكتور : ومحمد أنيس، الدكتور، أوروبا فى العصور الحديثة، الجزء الأول (الأنجلو ١٩٦١م).

محمد فؤاد شكرى، الدكتور: الصراع بين البورجوازية والاقطاع ١٧٨٦ - ١٨٤٨) جزءان (دار الفكر العربى - ١٩٥٨م).

محمد فؤاد شكرى، الدكتور: ألمانيا النازية (دار الفكر العربى ١٩٤٨م).

نور الدين حاطوم، الدكتور: حركة القومية الألمانية (القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٠م).

نيفينز، آلان وكوميجر، هنرى ستيل: تاريخ الولايات المتحدة، ترجمة مصطفى كمال (مكتبة مصر).

هامبسون، نورمان : التاريخ الاجتماعى للثورة الفرنسية، ترجمة فؤاد أندراوس (دار الكاتب العربى).

هاو ، سونيا : فى طلب التوابل، ترجمة محمد عزيز رفعت (القاهرة، سلسلة الألف كتاب).

هربرت، كريستوفر : بنيتو موسولينى، تعريب خيرى حماد (دار المعارف ١٩٦٥م).

هوبسون، ج. أ : الامبريالية، ترجمة عبد الكريم أحمد (القاهرة).

وزارة الحربية المصرية : الحرب الباردة وأصولها ١٩١٧ - ١٩٦٠م (٥ أجزاء) ترجمته شعبة البحوث العسكرية ١٩٦٤ - ١٩٦٨م.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يبيبافانوف، وفيدوسوف: تاريخ الاتحاد السوفيتى – ترجمة خيرى الضامن ونقولا طويل (موسكو).

يونان لبيب، الدكتور، ورءوف عباس، الدكتور، وعبدالعظيم رمضان، الدكتور: أوروبا فى عصر الرأسمالية (دار الثقافة العربية ١٩٩٠م).

يونان لبيب، الدكتور، ورؤف عباس، الدكتور، وعبد العظيم رمضان، الدكتور : أوروبا فى عصر الإمبريالية (دار الثقافة العربية ١٩٨٦م).

مجلة السياسة الدولية (١٩٦٤ – ١٩٨٥م).

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Curtin, P.,D., Imperialism., U.S.A. 1971.

Davenport, Marcia, Garibaldi Father of Modern Italy, New York 1957.

Deutscher, Isaac, The Great Contest, Russa and the West, U.S.A. 1961.

Dolbeare, Kenneth and Edelman, Marray, American Palitics, U.S.A. 1974.

Duroselles, J.B., Histoire Diplomatique de 1919 á nos jours, Paris, 1953.

Faulkner, H.U., American Political and Social History; New York 1944.

Fisher, H.A.L., History of Europe, London 1942.

Fulbright, J.W., The Pentagon Propaganda Machine, New York 1970.

Garthoff, Raymond L., Soviet Strategy in the Nuclear Age, New York 1962.

Grant, A. J. and Temperley, Harold, Europe in the Nineteenth and Twentieth Centuries (1789 - 1950), London 1953.

Hopkins, Harry, The White House Papers of Harry Hopkins. London 1949.

Howe, E., Sonia, In Quest of Spices, London 1946.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(ثانيا) المراجع الأجنبية

Adams, Sherman, First Hand Report, the Story of Eisenhower

Administration, New York 1961.

Anderson, M.S., Europe in the Eighteenth Century, London 1961.

Andrews, G. M., The Colonial Period of American History, New Haven 1934.

Beloff, M., Europe and the Europeans, London 1957.

Burckhardt, Jacob, The Civilization of the Renaissance in Italy, U.S,A. 1970.

Carr, E. H. International Relations Since the Peace Treaties, 1940.

Carter, Herz and Ranney, Major Foreign Powers, U.S.A. 1957.

Churchill, Winston, The Second World War, (6 vols), U.S.A. 1948 - 1953.

Ciano, Ciano's Diaries, London 1947.

Club, Oliver E., The United States and the Sino - Soviet Bloc in Southeast Asia, Washington 1962.

Coombs, Philip, The Fourth Dimension of Foreign Policy, U.S.A. 1964.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Samsonov, A., a Short History of the USSR, 2 vols. Moscow 1965.

Schmidt, Helmut, Defence or Retaliation, Hamburg 1961.

Shirer, William, The Rise and Fall of the Third Reich, London 1962.

Smirnov S.R., A History of Africa 1918 - 1967, Translated from the Russian by Lempert L.O., Moscow 1968.

Spanier, John W., American Foreign Policy Since World War II, New York 1960. 1962.

Taylor, A.J.P., The Origins of the Second World War.

Taylor, Maxwell, The Uncertain Trumpt, New York 1959.

Tomson, David, World History 1914 - 1968, Oxford 1969.

Truman, Harry, 1945, Years of Decisions, Memoirs by Harry S. Truman, 2 vols., U.S.A. 1965.

Vermeil, Edmond, Germany's Reichs, translated by E.W. Dickes, London 1944.

Wilmot, Chester, The Struggle For Europe, London 1952.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Hughes, E.J., America The Vinciple, Penguin 1959.

Kennan, George F., American Diplomacy, 1900 - 1950, Chicago 1951.

Kennedy, John, To Turn The Tide, U.S.A. 1962.

Kirk, The Middle East in the War, London 1950.

Kissinger, Henry, White House Years, U.S.A. 1979.

Langer, William L., An Encyclopedia of world History, U.S.A. 1948.

Link, Arthur S., American Epoch, New York 1961.

Lippmann, Walter, The Cold War, New York 1947.

Mallin, Jay, Caribbean Crisis. U.S.A. 1965.

Mollenhoff, Clark R., The Pentagon, New York 1972.

Mosely, Philip, The Kremlin and World Politics, New York 1960.

Perkins, Dexter, The American Approach to Foreign Policy, Harvard 1952.

Roberts, P.E., History of British India, Oxford 1952.

Robertson, Charles, International Politics since World War II, U.S.A. 1966.

Rothstein, Andrew, Peaceful Coexistence, Penguin 1955.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الكشافات

أولاً : الأعـــلام .
ثانياً : الأماكن والبلاد .
ثالثاً : الهيئات والمجتمعات .
رابعاً : الأحداث التاريخية .

★ قام بإعداد هذه الكشافات:

د. يواقيم رزق

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أولا : كشاف الأعلام

— أ —

أبو العلاء المعرى: ٧٠

أدريان (البابا) Adrian: ١٦٧

آدم سميث: ٣١٤

إدوارد السادس: ١٧٤

أرسطو: ٥٥، ٦٤، ٦٥، ٨٣

أرياس باربوسا Arias Barbosa: ٩٧

إسكندر (القيصر): ٤٢٥، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٧

إسكندر السادس (البابا): ١١٠ - ١١١، ١٥٥، ١٥٨، ٢٣٥

أفلاطون: ٦٥

ألبرخت Albrecht: ١١٨، ١١٩

ألبوكيرك Albuquerque: ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩

ألدومانو تزيو Aldus Manutius: ٦٧

الزامورين: ٢١٦

ألفارادو: ٢٣٧

ألفاريز كابرال Alvarez Cabral: ٢١٤، ٢١٥

ألفونسو الأول: ١٤٥

ألفونسو الثانى: ١٥٥

الفونسو الخامس: ٦٦، ١٥٤

ألريك فون هاتن Von Hutten: ١٢٥

إليزا: ٤٢٥

إليزابيث (الملكة): ٨٨، ١٧٩، ٢٦٠

إليزابيث (ابنة هنرى الثانى ملك فرنسا): ١٨٠

أمريجو فسبوتشى Amerigo Vispucci: ٢١٥، ٢٣٢

أنطونى فان ديمين: ٢٤٦

أنطونيو ليبريكسا Lebrixa: ٩٧

أوتو الكبير Otto the great: ١٤٣

أوجيرو Augereau: ٤٠٩، ٤٣٠

أورا نجزيب (الإمبراطور) Aurangzeb: ٢٦٧

أولريك زفينجلى Ulrich Zwingle: ١١٥، ١٣٤

إيبير Heber: ٣٧٥، ٣٧٩، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٨

ايرازموس، ديزيديريوس Erasmus, Desiderius: ٩٥، ٩٦، ٩٩، ١١٣

إيزابيللا Isabella: ٤٤، ٢٣٧

إيدياس سيليفيوس بيكرولومينى: ٦٩

— ب —

باخوس Bacchus: ٧٦

بارا Barras: ٣٨٣، ٣٩٠، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٤، ٤١٥

بارتيليمى: ٤٠٨، ٤٠٩

بارثلوميوديياز Bartholomew Diaz: ٢١٣
بارناف Barnave: ٣٦٣، ٣٨٣
باريـر Barere: ٣٧٤، ٣٧٦، ٣٨٢، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١
بالباو Balbao: ٢٣٦
باليو لوجوس Palaeulugos: ٦١
باولو دياز Paulo Diaz: ٢٢٤
بـايـيـى Bailly: ٣٣٩، ٣٤٨، ٣٥٠، ٣٥٧، ٣٦١، ٣٨٣
بتيون Petion: ٣٦١، ٣٦٢، ٣٧٧
برامانتى Bramante: ٧٨
بريسو Brissot: ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٨٣
برونسڤيك (الدوق) Brunswik: ٣٦٧، ٣٧٠، ٣٩٨، ٣٩٩
برين (جنرال) Brune: ٤١٤، ٤١٨
بريين: ٣٢٨
بسمارك: ٩، ٨٨
بلتيمور Boltimore: ٢٦٢
بلوتارك: ٦٥
بلوخر Blucher: ٤٤٠
بنزون: ٢٣٥
بوتريل (الكونت): ٣٢٥
بوجيو براتشيولينى Poggio Bracciolini: ٦٩
بوسايدون Poseidon: ٧٤
بوكاشيو: ٧٢
بول الأول (القيصر) Paul I: ٤١٢
بول الثالث (البابا): ٧٥، ١٧٣
بولس الثانى (البابا): ٦٧
بولس الرابع (البابا): ١٧٧
بولس (الرسول): ١١٦
بوليبيوس Polybius: ٦٤
بونسى دى ليون: ٢٣٩
بونيفاس الثامن (البابا) Bonifas: ١١٨
بياتريشى Beatrice: ٧١
بيانونى (أسرة) Pianoni: ٨٨
بيروتزى Beruzzi: ٧٨
بيزارو: ٣٣، ٢٣٧، ٢٤٠
بيشيجرو (جنرال) Pichegru: ٣٩١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٨، ٤٠٩
بينيجسين (جنرال) Pennigsen: ٤٣٠
بيوس السادس (البابا) Bius VI: ٤٠٧
بيوڤارين Billaud-Varenne: ٣٧٩، ٣٨٢، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١

- ت -

تاليان Tallien: ٣٨٧.
تاليران Talleyrand: ٣٥٧
تاونى Tawney: ١٨٧
تزيانو تيتيان Tizano Titian: ٧٥
تشوسر Chaucer: ٧٢

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

توريو Thuriot: ٣٧٩، ٣٩١

توماس أكويناس Thomes Aquinas: ٥٦

توماس ليناكر Linacre: ٩٥

توماس مور Thomas Moore (السير): ٨٧، ٩٥

توماس مونزر Munzer: ١٢٣، ١٢٧

تيرجو Turgot: ٣١٤

- جـ -

جاديه Guadet: ٣٦٣، ٣٧٧، ٣٨٣

جارجانتوا Gargantua: ٧١

جاك رو Roux: ٣٧٩

جاك كوجاز Jaque Cojas: ٩٣

جاليليو Galileo: ٨١

جان بون أندريه Jean Bon André: ٣٨٩

جان بيترزكوين: ٢٤٦

جان جاك روسو Jean Jaques Rous-seau: ٨٧، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١

جريجورى تيفرناس Tifernas: ٩٢

جريجورى السابع: ١٤١

جميز Gomes: ٢٢٣

جنسونيه Gensonné: ٣٧٧

جوبى Jopé: ١١٠

جوبيتر Jupitar: ٥٩

جوبير Joubert: ٤١٣

جوردان Jourdan: ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٥، ٤١٢، ٤١٧، ٤٤٢

جوزيف بونابارت: ٤٣٢، ٤٣٦، ٤٣٧

جوزفين بوهارنيه Josephine Beauhar-nais: ٤٠٥، ٤٢٣، ٤٢٧، ٤٣٩

جوفيانوس بونتانوس Jovianus Ponta-nus: ٦٦

جون كابوت Cabot: ٢٥٨، ٢٦٠

جون كوليت John Colet: ٩٥

جون لاسكاريس John Lascaris: ٩٢، ٩٣

جون مور (سير) Moor: ٤٣٧

جونو Junot: ٤٣٥، ٤٣٦

جوهان رويخلن Johann Reuchlin: ١٠٠، ١١٣

جوهييه Gohier: ٤١٤

جويست ليبس Joest Lips: ٩٩

جيان جاليازو Gian Galeazzo: ١٥٤

جيراردوس ميركاتور Gerardus Mer-cator: ٨٠

جيروم أليانديز Jerom Aleander: ٩٢، ٩٣

جيروم بونابارت: ٤٣٣

جيل إيانس Gil Eanes: ٢١٣

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

چيز Guise(دوق): ١٧٣
چيمس (القديس): ٢١٩
چيمس الأول James I: ٢٦١
چيمس الثانى: ٢٨٤
چيمس الخامس (ملك اسكتلندا): ١٧٣
چيوفانى بوكاشيو Boccaccio: ٦٠
الچيوكوندا La Gioconda: ٧٣
چيوم بوديه Guillaum Budé: ٩٣

— ح —

حنا الثانى: ١٥٤

— د —

دارتوا (الكونت): ٣٥٩، ٣٩٨
داڤـو Davout: ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٨، ٤٤٠
دانتـون Danton: ٢٩٢، ٣٥٩، ٣٦٥، ٣٦٨، ٣٧٠، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٨١، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٨، ٤٠٠
دانتى Dante: ٦٠، ٧٠، ٧١
داود (النبى): ٧٦
دوبريل (كونت): ٤٣٣
دوبليه Dupleix: ٢٧٠
دوشين (الأب) Pére Duchêne: ٣٨٥
دوق أورليـــان: ١٥٥، ١٥٦، ٢٨٩، ٣٢٣، ٣٤٠، ٣٤٥
دوق دى شوازيل: ٣٠٧
دوق ساڤوى: ١٨٠
دوق وارسو: ٤٣٨
دوق يورك (القائد): ٤٠٢ ـ ٤١٣
دولباخ (البارون) D'Holbach: ٣١١
دوناتيللو Donatello: ٧٦
دون چوان: ١١٠، ١١١
دون كويكزوت Don Cuixote: ٧٢
دون كـيشـوت Don Quichotte: ٧٢، ٩٧
دى بروفانس (كونت) De Provence: ٣٩٣، ٤٠٨
دى بريتوى (بارون) Bretéuil: ٣٤٢
ديبور Duport: ٣٦٣
دى تشينو جـيبرتى Lorenzio di cino Ghiberte: ٧٦
دى روبيرڤال Roberval: ٢٥٤
دى سوتو: ٢٣٩
دى سيجور (كبير الأمناء): ٤٣٣
دى فاكا: ٢٣٩
دى لونيه De Launez: ٣٤٧
ديكاميرون De Cameron: ٦٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

دى كوندیه (البرنس) De Condé: ٣٩٨

ديكينوا Duquenoy: ٣٥٣

دى مابلى De Mably: ٣١٥

ديموريیه Dumouriez: ٣٧٥، ٣٩٩، ٤٠٠

ديمولان: ٣٥٩، ٣٦٥، ٣٧٢، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦

دينيس دياز Dinis Diaz: ٢١٣

دييجو كام Diego Cam: ٢١٣، ٢٢٤

— ر —

رافاييللو سانتزيو Raffaello Sanzio: ٧٥، ٧٨

رالى، والتر (سير) Sir Walter Raleigh: ٢٦١

رامبرانت Rembrandt: ٩٩

روبر كلايف Robert Clive: ٢٧٠

روبسبير: ٣٥١، ٣٥٩، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٥، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٩، ٣٨٢، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩

روبل Reubell: ٤٠٨

روجر بيكون Roger Bacon: ٥٦، ٨٢

روچيه ديكو Roger ducos: ٤١٤، ٤١٥

رولان مدام Roland: ٣٦٣، ٣٨٣

روميو وچولييت: ٩٦

ريتشارد الأول: ٢٧

ريسندى Resende: ٩٧

ريشيليو Richelieu: ٤٥، ٨٨، ٣٠٥

رينال Raynal: ٣١٦

رينهارد Reinhard: ٤١٧

— س —

ساڤونا رولا Savonarola: ٨٤

سان جوست Saint Just: ٣٧٤، ٣٨٢، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨

سباستيان ديلكانو Sebastian del Cano: ٢٣٦

سبنسر (ادموند) Spenser: ٧٢، ٩٦

سرفانتيز Cervantes: ٧٢، ٩٧

سكستوس الرابع (البابا) Sixtus IV: ٦٧

سليمان القانونى (السلطان): ١٦٨، ١٧٠، ١٧١

سوڤوروف (جنرال) Suvorov: ٤١٣

سييس (الأسقف) Sieyes: ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٥٧، ٤١٤، ٤١٥

— ش —

شارل (الأرشيدوق) Archduke Charles: ٤٠٥، ٤٠٧، ٤١٢، ٤١٣

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

شارل (الكاردينال): ١٧٣
شارل أنجو Anjou: ١٥٣
شارل الثامن: ٩٢، ٩٣، ١٤٤، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦
شارل الثاني (ملك فرنسا): ٨٨، ٢٦٦
شارل الخامس: ٧٥، ٨٩، ٩٠، ٩٧، ٩٨، ١٢٢، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٢، ١٦٣، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٣، ١٧٦، ١٧٧، ٢٣٦، ٢٣٧
شارل (ملك انجلترا): ٣٧، ٢٨٤
شارل الرابع: ٤٢٠
شارلوت كورداى Charlot Corday: ٣٨٠
شڤارزنبرج: ٤٤٠
شكسبير Shakespeare, W.: ٧٢، ٩٦
شومييت Chaumette: ٣٧٥، ٣٨٣، ٣٨٦
شيريه (الجنرال) Schérer: ٤١٢، ٤١٣
شيزار: ١١٠، ١١١
شيشيرون Cicero: ٦٣

— ص —

صموييل دى شامبلان Samuel de Champlain: ٢٥٥

— ع —

عبدالعظيم رمضان (دكتور): ٣، ١٢
عثمان (آل): ٩
عطيل: ٩٦
عمانويل Emanuel I (الملك): ٢١٥، ٢٢٣

— ف —

ڤاديه Vadier: ٣٩٠
ڤارليه Varlet: ٣٧٦
فاسكو داجاما Vasco da Gama: ٢١٣، ٢١٥، ٢١٦، ٢٣٥
ڤالديمار الثالث Waledemar: ٣٢
ڤانوزا Vanozza: ١١٠
فاوستس Faustus: ٩٦
فرانزفون سيكينجن Franz Von Sick-ingen: ١٢٥
فرانسوا الأول Francois I: ٩٣، ٩٤، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢
فرانسوا الثانى: ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦
فرانسوا (دوق جيز): ١٧٧، ١٧٨
فرانسوا رابيليه Rabelais: ٧١، ٩٣
فرانسيس بيكون Francis Bacon: ٨٣
فرانسيس الثانى (الإمبراطور): ٤١٨

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فرانسيسكو دالميدا (نائب الملك): ٢١٧
فرانسيسكو سفورزا Francesco Sforza: ١٥٤، ١٧٠
فرانشيسكو بترارك Petrarch: ٥٨، ٥٩، ٦٠
فرانشيسكو فيليلفو Francesco Filelfo: ٦٤
ڤرجيليوس Virgilius: ٧١
فرچينيا Virginia: ٢٦٤
فردريك Frederick (الأكبر): ٨٨
فردريك الثاني: ٤٠٤
فردريك وليم الأول: ٢٨٥، ٤٢٦، ٤٣٢
فرديناند الأول Ferdinand: ٤٢٠
فرديناند الثاني: ١٥٥، ١٥٦، ١٥٩، ١٦٠
فرديناند الرابع: ٤١١
فرديناند السابع: ٤٢٢، ٤٣٥
فرديناند سكيفيل Schefill: ٥١
فرديناند (ملك أسبانيا): ١٦١، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥
فرديناند (ملك أراجون) Aragon: ٨٩، ١٣٢، ١٤٥، ١٥٤، ١٧٦
فرناندو دى بو Fernando Poo: ٢١٣
فرناندو كوتينو (الدون) Cotino: ٢١٨
فريرون Freron: ٣٩٠
فرينيو Vergniaud: ٣٦٣، ٣٧٤، ٣٧٧، ٣٨٣
فلافيو بلوندى: ٦٩
ڤنديه Vendée: ٣٧٩
فوشيه Fouché: ٣٥٩، ٣٧٤، ٣٨٤، ٣٩٤
فوكييه تانفيل Fouquier Tinville: ٣٩٠
ڤولتير Voltaire: ٣١٢، ٣٥٨
ڤولتير (جيرهارد جيرهاردسون): ١١٣
فيليب دورليان (فيليب المساواة): ٣٧٤، ٣٨٣
فيليب دى كومين Phillipe de Commines: ٩٣
فيليب الثانى (ملك أسبانيا): ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٩٥
فيليب سدنى: ٩٦
فيليب ميلانكتون Philip Melanchton: ١٢٣، ١٣٠
فيليبو برونيلليسكى Fillippo Brunelleschi: ٧٩

— ق —

قسطنطين (الإمبراطور): ٦٨

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

— ك —

كاترين دى مديتشى Medicci: ٨٧

كاترين فون بورا (الراهبة) Von Bora: ١٢٩

كارتييه چاك (رحالة فرنسى) Jacques Cartier: ٢٥٤

كارل دالبرج: ٤٢٨

كارنو Carno: ٣٧٤، ٣٨٢، ٣٨٩، ٤٠٤، ٤٠٨، ٤٠٩

كاريه Carrer: ٣٨٤

كافور Cavour: ٩

كالون Calonn: ٣١٨، ٣٢١

كامباسيريه Cambacérés: ٤١٦

كراى (جنرال) Kray: ٤١٨

كرستوفر مارلو Christopher Marlowe: ٩٦

كريزو لوراس Chrysoloras: ٦١، ٦٢

كلاوديوس بطليموس Claudius Ptolemaeus: ٨٠

كلمنت السابع Clement VII: ٩٠، ٩٧، ١٦٨، ١٦٩

كوبرنيكوس Copernicus: ٨١

كوبورج (دوق) Coburg: ٤٠٠، ٤٠٢

كوتون Couton: ٣٦٥، ٣٨٢، ٣٨٥، ٣٨٧

كورتيز Cortes: ٣٣، ٢٣٧، ٢٣٨

كورساكوف: ٤١٣

كورنادو: ٢٣٩

كوزيمو دى ميدتشى (الأمير) Cosimo de Medicci: ٦٤

كوستين Custine: ٤٠٣

كولو ديربوا Collot d'Herbois: ٣٧٢، ٣٧٩، ٣٨٢، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٩٠، ٣٩١

كولومبوس: ٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥

كوليت Collet: ٩٥، ٩٦

— ل —

لاريفيير ليبو La Revilliere Lépeaux: ٤٠٨

لافاييت La Fayette: ٣٤٠، ٣٤٨، ٣٥٠، ٣٥٦، ٣٥٧، ٢٦٢

لالى توليندال Lally-Tollendal: ٣٥٥

لاميت Lameth: ٣٦٣

لوب دى ڤيجا Lope de Vega: ٩٧

لوبران Lebrun: ٤١٦

لودوڤيكو سيفورزا Ludovico Sforza: ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٦٠

لورا Laura: ٥٩

لوڤان Louvin: ٤٠٠

لورنزو ڤالا Lorinzo Valla: ٦٨

لورنزو مديتشى: ٨٩

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لوكريزيا Lucrezia: ١١٠
لوكوانتر Le Cointre: ٣٩١
لومني دى بريين Lomeni de Brienne: ٣٢١
لنديه Lindiet: ٣٨٩
لويس (دوق بارما): ٤٢٠
لويس بونابارت: ٤٣٣
لويس التاسع: ١٥٣
لويس الثالث عشر: ٤٥
لويس الثامن عشر: ٤٠٨
لويس الثانى عشر: ١٤٤، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٩، ١٦١
لويس الحادى عشر: ٩١، ٩٣، ١٤٤، ١٥٤
لويس الخامس عشر: ٣١٤
لويس دى كاميونس De Cameons: ٩٧
لويس الرابع عشر: ٤٤، ٨٨، ٩٤، ٢٥٥، ٢٨٣، ٢٨٩، ٣٠٥، ٣١٨، ٣٢٢
لويس السابع عشر: ٣٩٣، ٤٠٠
لويس السادس عشر: ٢٩١، ٢٩٤، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٨، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٥١، ٣٥٦، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦٤، ٣٧٤، ٣٩٣، ٣٩٧
ليبا Lebas: ٣٨٧
ليو العاشر (البابا) Leo: ٧٥، ٨٩، ١١٨، ١١٩، ١٢٢، ١٦١، ١٦٢، ١٦٤
ليوناردو داڤنشى Leonardo Da Vinci: ٧٣، ٧٤
ليونردو برونى Leonardo Bruni: ٦٨

— م —

ماجلان: ٢٢٠، ٢٣٦، ٢٣٧
مارا Marat: ٣٥٩، ٣٦٢، ٣٦٥، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٦، ٣٨٥
مارتن لوثر Martin Luther: ١١٥، ١١٦، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥
مارجريت (أخت ملك فرنسا): ١٨٠
ماركس: ١٠
مارسيللو فيتشينو Marsilo Ficino: ٦٦
مارى أنطوانيت: ٣١٥، ٣٢١، ٣٣٥، ٣٦٧
مارى تيودور Mary Tudor: ١٧٦، ١٧٧، ١٧٩
مارى (دوقة برجنديا): ٩٨، ١٦٥
مارى ستيوارت: ١٧٣، ١٧٤
مارى لورين Mary of Guise: ١٧٣، ١٧٤

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ماريا لويزا: ٤٢٠، ٤٣٩، ٤٤٢
مازاران (كاردينال) Mazarin: ٣٠٥، ٣٢٢
ماسينا (جنرال) Massina: ٤١٣، ٤٣٨
ماكدونالد Macdonald: ٤١٣، ٤٣٨، ٤٤١
ماكوا Makua: ٢٢٧
ماكيافيللي، نيكولا Niccola Machia-velly: ٨٣، ٨٥، ٨٦، ٨٧
مالويه Malouet: ٣٣٣، ٣٥٥
مايكل أنجلو Michel Angelo: ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٨، ٧٩
متيرنيخ Metternich: ٤٤٠
المسيح (السيد): ٧٤، ١١٧، ١٢١، ٢١١، ٢١٥
مكبث Macbeth: ٩٦
مكسيميليان Maximilian (الإمبراطور الألماني): ٨٤، ٩٨، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥
مورا Murat: ٣٩٢، ٤١٥، ٤١٨، ٤٢٧، ٤٣٠، ٤٣٥، ٤٣٦
مورو Moreau: ٤٠٥، ٤١٨
موريس Morris (ناخب سكسونيا): ١٧٥، ١٧٦
موسى Moses: ٧٦
مولان Moulins: ٤١٤
موناليزا Monalisa: ٧٣
مونتاني Montaigne: ٧١، ٩٣
مونتسكيو Montesquieu: ٣٠٩
مونييه Mounier: ٣٣٣، ٣٥٥
ميدوسا Medusa: ٧٤
ميرابو Mirabeau: ٣٣٣، ٣٤٠، ٣٥٥، ٣٥٧
مير حسين: ٢١٦
مينتيزوما Mentezuma: ٢٣٨
مينو Menou: ٣٩٢

— ن —

نابليون Napoleon: ٨، ٨٨، ٣٥٤، ٣٥٨، ٣٨٣، ٣٩٦، ٣٩٧، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٩، ٤١١، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢
نلسن Nelson: ٤١١، ٤٢٤
نوح: ٧٥
نيقولا الخامس (البابا): ٦٨، ١١٣، ٢١١، ٢١٤، ٢٣١
نيكير Necker: ٢٩١، ٣٠٥، ٣٣١، ٣٤٥، ٣٤٨، ٣٥٠

- هـ -

هاملت: ٩٦

هانريو Hanrio: ٣٧٦، ٣٨٧، ٣٨٨

هنرى تيودور Tudor, Henry: ١٤٤

هنرى الثانى (ملك فرنسا): ٨٧، ١٣٢، ١٧٢، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٨٠

هنرى الثامن: ٨٨، ١٦٠، ١٦١، ١٦٣، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٧١، ٢٦٠

هنرى الملاح Henry the Navigator: ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢٢٣

هود Hood: ٣٨٠

هوش Hoche: ٤٠٢

هوميروس Homer: ٦٠

هيرودوت Herodotus: ٦٤

- و -

وارن هيستنجز Warren Hastings: ٢٧١، ٢٧٤

ولسلى (الماركيز) Wellesley, Marquess: ٢٧٢، ٤٣٦

ولنجتن (دوق) Wellington: ٢٧٢، ٤٤١، ٤٤٢

وليم أورانج William of Orange:

وليم بن William Penn: ٢٦٣

وليم بت Pitt: ٤٢٥

وليم جروسين Grocyn: ٩٥

وليم ليلى Lilly: ٩٥

- ى -

يوچين بوهارنيه: ٤٢٣

يهوذا الأسخريوطى Iscariota: ٧٤

يوحنا (القديس): ٢١٠

يوحنا الأول: ٢١٠

يوحنا إيك John eck: ١٢٠

يوحنا تتزل John Tetzel: ١١٦، ١١٩، ١٢٠

يوحنا الثالث (ملك البرتغال): ٢٣٧

يوحنا (القديس) Orester John: ٢١٠

يوحنا چوتنبرج Gutenberg: ٥١، ١٠٩

يوحنا كالڤن John Calvin: ١١٥، ١٣٤، ١٣٥، ٢٦٢

يوحنا المعمدان Baptist: ٧٦

يوليوس پومبونيوس لايتوس Julius Pomponius Laetus: ٦٧

يوليوس الثانى (البابا): ١١٠، ١١١، ١٥٨، ١٥٩، ١٦١

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثانياً: الأماكن والبلاد

– أ –

أبلاش (جبال) Appalachians: ٢٥٦

أتيكا: ٦٤

أثيوبيا: ٢١٩

الأدا (نهر) Adda: ٤٠٦، ٤١٢

الادرياتيك (بحر): ٤٢٥، ٤٣٢، ٤٣٩

أديج (نهر) adige: ٤١٠، ٤١٢

أراجونه Aragon: ٦٦، ٦٨، ٨٩، ١٤٤، ١٤٥، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥

الأراضي المنخفضة: ٣٣، ٩٨، ٩٩، ١٠٧، ١٣٥، ١٤٥، ١٦٣، ١٦٦، ١٧٩، ١٨١، ٢٤٤، ٢٥٤، ٤١٣

أرتوا: ١٦٧، ١٧١، ١٧٢، ٤٠١

أركوت Arcot: ٢٧١

أركولا Arcola: ٤٠٦

إسبانولا: ٢٣٤، ٢٣٦

أسبانيا: ٢٩، ٣٥، ٥٢، ٦٩، ٧٢، ٩٠، ٩٨، ١٤٤، ١٤٥، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٥، ١٦٠، ١٦١، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٧٣، ١٧٧، ١٧٩، ١٨٠، ١٨٧، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٨، ٢٣٢، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٤١، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٥٢، ٢٥٣، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧

استراليا: ٢٠٤، ٢٤٥، ٢٥٨

إستريا Istria: ٤٠٧، ٤١٠، ٤٢٥

اسكتلندا: ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤

الإسكندرية: ١٨٨

إسكندياوه: ٣١

آسيا: ١٨٧، ١٩٣، ١٩٧، ١٩٨، ٢٠٠، ٢٠٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢٣، ٢٣٠، ٢٦٥، ٢٦٩، ٢٧٤، ٢٧٦

آسيا الصغرى: ١٨٨

أشبيلية Seville: ٩٧

أفريقيا: ٩، ١٨٧، ١٩٣، ١٩٤، ٢٠٠، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٣، ٢١٥، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣١، ٢٤٢، ٢٥٧، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٧٦

أڤينيون (مقاطعة) Avignon: ٣٩٨

أكسفورد: ٩٥

إلبا Elba: ٤٢٠، ٤٤٢

الألزاس: ٣٤٩، ٣٩٨، ٤٠١، ٤٠٥

ألمانيا: ٩، ١٠، ٣٠، ٥١، ٥٢، ٩٩، ١٠٠، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١١٥، ١٢١، ١٢٧، ١٢٩، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٦٥، ١٧٠، ١٧٢، ١٧٣، ٢٨٢، ٤١٠، ٤١٢، ٤١٩، ٤٢٢،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٣٣، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢
الموز (نهر) Meuse: ٤٠٣، ٤٠٥
الهاڤر: ٣٤٨
الإمارات الألمانية: ٣٦
إمارة براندنبرج Brandenburg: ٢٨٣
أمريكا الجنوبية: ٣٤، ١٨٧، ١٩٣، ٢٠٥، ٢٣١، ٢٣٦، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٥٥
أمريكا الشمالية: ٣٥، ١٩٨، ٢٠٨، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٦٠، ٢٦٥، ٤٢٠، ٤٢١
أمريكا الوسطى: ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩
أمستردام: ٢٢٣، ٢٤٦، ٢٥٩، ٤٠٣
الإن (نهر) Inn: ٤١٠، ٤٢٤
أنتويرب (مدينة) Antwerp: ١٤٥، ٢٢٢، ٢٢٣، ٤٠١
إنجلترا: ٦، ٢٧، ٣١، ٦٥، ٧٢، ٩١، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ١٠٦، ١٣٣، ١٤٤، ١٦١، ١٦٣، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٧١، ١٧٢، ١٧٤، ١٧٦، ١٧٨، ١٧٩، ١٩٣، ٢٥٤، ٢٦٠، ٢٨٣، ٢٨٤، ٣٢٢، ٣٦١، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٤، ٤٠٨، ٤١١، ٤١٢، ٤١٤، ٤١٧، ٤١٨، ٤٢١، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٣٤، ٤٣٥
أنجو Anjau: ٩١
أنجولا: ٢٢٤، ٢٢٥
أندرناخ Andernach: ٤١٠
أندونيسيا: ١٩٥، ١٩٩، ٢١٩، ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٥١، ٢٦٦
أنسباخ Anspach: ٤٢٦
أنكونا Ancona: ٤٠٦
أوجسبرج Augsburg: ١١٨، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٧٦، ٤٢٤
الأودر (نهر) Oder: ٣١
أوربينو Urbino: ٦٥
أورليان: ٥٥
أورليانز Orleans: ١٤٤
أوربا: ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٥، ١٦، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٤٩، ٥٢، ٥٥، ٦٣، ٦٥، ٧٠، ٧٢، ٧٨، ٨٧، ٩٦، ١٠٣، ١٠٥، ١٢٠، ١٢٦، ١٣٣، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٥٢، ١٥٦، ١٦٥، ١٦٨، ١٧١، ١٧٥، ١٨٥، ١٨٨، ١٩١، ١٩٧، ١٩٨، ٢١٤، ٢٢٢، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٩، ٢٥٤، ٢٥٨، ٢٦٥، ٢٦٨، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٣٤٨، ٤٠٠، ٤٢٢، ٤٤٢
أوسترلتز Austerlitz: ٤٢٥
أولم Ulm: ٤١٨، ٤٢٤
أيبيريا (جزيرة): ٩٦، ٩٧، ٢٤٤

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إيزلبن (قرية) Eisleben: ١١٥
إيطاليا: ٧، ١٠، ٢٣، ٢٤، ٢٧، ٢٨، ٣٠، ٤٩، ٥٠، ٥٢، ٥٥، ٥٨، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٦، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٧، ٨٨، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٤، ٩٦، ٩٧، ٩٩، ١٠٧، ١٥٢، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٩، ١٦١، ١٦٢، ١٦٥، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٠، ٢٥٨، ٤٠٥، ٤١٤، ٤١٧، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٥، ٤٣٣، ٤٣٥، ٤٤١، ٤٤٢
إيلو Eylau: ٤٣٠
أيونيان (جزر): ٤١٠، ٤١٤

- ب -

باتافيا (جمهورية) Batavia: ٤١٩
بادن (دوقية): ١٢٦، ١٣٠، ٤٢٦، ٤٢٨
بارما Parma: ١٧٣، ٤٠٦، ٤٢٣
باريس: ٥٢، ٥٥، ٩٢، ١٧١، ١٧٨، ٢٥٣، ٢٥٦، ٢٧١، ٣٢٤، ٣٢٩، ٣٤١، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥٢، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٦٠، ٣٦٢، ٣٦٤، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٨٠، ٣٨٣، ٣٨٧، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٩، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٩، ٤١٥، ٤٣٧، ٤٤٢
باڤاريا: ٤١٨، ٤٢٨، ٤٣٣، ٤٣٨
باڤيا Pavia: ٦٥، ١٦٧
بال Basle: ١١٢
باليه رويال Palais Royal: ٣٤٥
البحر الأحمر: ١٨٨، ٢١٩، ٢٢٧، ٢٦٦، ٤١١
البحر البلطيقي: ٣١، ١٩١، ٢٨٢
بحر الشمال: ٣١
بحر الصين: ١٩٦
البحر الكوري: ١٩٦
البحر المتوسط: ١٩١، ٤١١
بحيرة نياسا: ٢٢٨
البرازيل: ٢٠٧، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٦، ٢٤٥
براندنبرج Brandenburg: ١١٨، ٤٢٨، ٤٣١
البرانس (جبال): ٣٨٠، ٣٩٨، ٤٠١، ٤٣٥، ٤٤٢
البرتغال: ٣٥، ١٤٧، ١٨٧، ١٩٥، ٢١٦، ٢٢٠، ٢٣٢، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٧، ٢٦٠، ٤٢١، ٤٢٣، ٤٣٥، ٤٣٧

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

برج (غراندوقية) Berg: ٤٢٧، ٤٢٨

برجـاندى Burgundy: ٩١، ١٤٤، ١٦٧، ١٦٩، ١٧٢

برزخ دارين Darien: ٢٣٦

برلين: ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٥

بروسـيـا: ٨٨، ٢٨٣، ٢٨٥، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٤، ٤١٠، ٤٢١، ٤٢٣، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٨، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٧، ٤٤٠

بروفانس: ١٧١

بروكسل: ١٧٨، ٤٠٣

برونسڤيك Brunswick: ٤٢٨

بريتـانى Brittany: ٩١، ١٤٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٥١

بريس Presse: ١٨٠

بريستول: ٢٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١

بريطانيـا: ٢٠٣، ٢٥٢، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٧١، ٢٧٦، ٢٧٧، ٤١١، ٤٢١

بريمين Bremen: ٤٢٦

بسانو Bassano: ٤٠٦

بكين Peking: ٢٧٦

بلچـيكا: ٣١، ٢٤٤، ٢٥٤، ٣٦٥، ٣٧٥، ٣٨٣، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤١٢، ٤٢٣

البليار (جزر) Balearic: ٤٣٢، ٤٣٣

بليزڤيتز Bleswitz: ٤٤٠

بليموث Plymouth: ٢٦١

بمبا Pempa: ٢٢٦

البندقـية: ٦٢، ٧٣، ٧٩، ٩٩، ١٥١، ١٥٥، ١٥٧، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٧، ١٦٨، ١٨٨، ٤٠٠، ٤٠٧، ٤١٠، ٤١٢، ٤١٨، ٤٢٥

بنسلڤانيا: ٢٦٣، ٢٦٤

البنغال: ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧١

بنما: ٢٣٦، ٢٣٩

البو (نهر) Po: ٤٠٦، ٤١٩

بوردو Bordeaux: ٢٨٩

بورما: ٢٧٤

بوڤين Beauvines: ١٧٩

بولندا: ٤٠٤، ٤٢٣، ٤٢٥، ٤٣٧

بولونيـا: ٥٥، ١٥٩، ١٦٠، ١٦٤، ٤٠٦

بولونى (ثغر): ١٧٤

بوليڤيا: ٢٣٩

بومباى: ٢٦٦، ٢٦٧

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بوميرانيا Pomerania: ٤٢٩، ٤٣١
بوندشيري Pondichery: ٢٥٦، ٢٦٩، ٢٧١
بويـيون Bouillon: ١٧٩
بوينوس أيرس Buenos Aires: ٢٤٠
بياكنزا Piacanza: ١٧٣
بياليستوك Bialystok: ٤٣٢
بيت المقدس: ١٧٣
بيدمونت: ١٥٧، ١٧١، ٤٠١، ٤١٧، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢٣
بيرجين Bergen: ٤١٤
بيرو: ٢٣٧، ٢٣٩، ٢٥٠
بيرودچيا Perugia: ٦٧
بيزا Pisa: ٢٧، ١٥٥، ١٥٦، ١٦٠
بيكاردى Picardy: ٩١، ١٦٦
بيلنتز Pillnitz: ٣٩٧

- ت -

تربيا Trebbia: ٤١٣
تركيا: ٤١٢، ٤٢١
تروای Troyes: ٣٢٢
تريستا Trieste: ٤٢٥، ٤٣٨
تريف Treves: ٣٩٨، ٤٠٣
ترينتان (ترينت) Trent: ٤٢٥
تزفيكاو Zwikau: ١٢٣
تشيتاجونج Chitagong: ٢٦٦
تكساس: ٢٣٩
تل كاييتولين: ٥٩
تومبوكتو Tombouctou: ٢١٣
تورين: ١٥٥، ١٧١
توسكانيـا: ٧٠، ١٥٥، ٤٠٤، ٤١٢، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠
تول Toul: ١٧٥، ١٧٦، ١٨١
تولوز: ٢٨٩، ٣٠١، ٣٢١
تيرول: ١٢٦، ١٧٦، ٤١٠، ٤٢٥
تيرونان Terounanne: ١٧٩
تيونفيل Thionville: ١٧٩

- ج -

چاكرتا: ٢٤٧
جامبيا: ٢٢٦، ٢٧٧
جاوه: ١٩٦، ٢٢٠، ٢٤٨، ٢٥١
جايتا Gaeta: ١٥٨
جبل طارق: ٤٣٥
جرافيلين Gravelines: ١٧٩
جزر آزور Azores: ٢١٣، ٢٣٥
جزر الأنتيل: ٢٣٤، ٢٣٥
جزيرة اندامان Andaman: ٢٤٧
جزيرة أمبونيا Ambonia: ٢٤٧، ٢٤٨
جزيرة باندا Banda: ٢٤٧

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جزر بهاما Bahama: ٢٣٤

جزيرة ديو Diu: ٢١٦، ٢١٧، ٢٢١، ٢٤٧

جزيرة سان دومنجو Santo Domingo: ٤٠٤

جزيرة فلوريدا: ٢٣٦

جزر مادييرا Madeira: ٢١٣

جزيرة ملوكا Moluccas: ٢٤٧

جزيرة موريشيوس Mauritius: ٢٤٥، ٢٧٧

جزر الهند الشرقية: ١٤٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٨، ٢٠٦، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦

جزر الهند الغربية: ٢٥٥

جسر لودى Lodi: ٤٠٦

جمايكا Jamaica: ٢٣٤، ٢٣٥

جمهورية مصر العربية (مصر): ٥، ٢٠٧، ٢١٠، ٢١١، ٢١٦، ٤١١، ٤٢١

جنوه Genova: ٢٧، ١٦٤، ١٦٧، ٢٣٤، ٢٦٠، ٤٠٦، ٤١٩، ٤٢٣

چنيف: ٣٠٩

چوا Goa: ٢١٨، ٢٢١

جواتيمالا: ٢٠٦، ٢٣٧، ٢٣٨

جواديلوب Guadeloup: ٢٥٥

جوتا Cotha: ٤٣٠

چورچيا Georgia: ٢٦٤

جيانا Guiana: ٢٤٥، ٢٥٥

- ح -

الحبشة: ٢١٠

حصن چيمس: ٢٧٧

- خ -

الخليج العربى (الفارسى): ٢١٩، ٢٢٧

- د -

دار البلدية Hotel de Ville: ٣٤٦

دانزج Danzig: ٣٧، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٣

الدانمارك: ٣٠، ٣٢، ١٣٣، ٤٢١

الدانوب (نهر): ١٧٠

دامڤيللرز Demvillers: ١٧٩

دلماشيا: ٤٠٧، ٤١٠، ٤٢٥، ٤٣٢

دنكرك: ٣٨٠، ٤٠١

دوفنييه Dauphiné: ٣٢٥

الدكن (بلاد) Deccan: ٢٧٠

دوقية برجنديا: ٩٨

ديلاوير (نهر) Delaware: ٢٦٣، ٢٦٤

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- ر -

راتيزبون Ratisbon: ١٣١

الرأس الأخضر (راس فردى) Cape Verde: ٢١٣، ٢٣٥

رأس بوجادور Bojador: ٢١٢، ٢١٣

رأس الرجاء الصالح: ٣٣، ٢١٣، ٢٣٦، ٤١١

رأس سان أوغسطين: ٢٣٦

رأس سان روك: ٢٣٢

راڤنا Ravenna: ٦٧، ١٥٩

الراين (نهر): ٣١، ١٢٦، ١٧٤، ٢٤٤، ٣٦٤، ٣٩٧، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٥، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٨، ٤٢٠، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٣٨، ٤٤١، ٤٤٢

رود أيلاند Rohd Island: ٢٦٢، ٢٤٤

روديسيا الجنوبية: ٢٢٧

الرور (مديرية) Roer: ٤٢٠

روسيا: ١٠، ٣٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٣٩٩، ٤١٢، ٤١٧، ٤٢١، ٤٢٣، ٤٢٥، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤١

روسيون Roussillon: ٤٠٣

روڤوما (نهر) Rovuma: ٢٢٦، ٢٢٨

روما: ٥٠، ٥٩، ٦٨، ٧٩، ٨٤، ٨٩، ١٠٨، ١١١، ١١٣، ١١٥، ١١٦، ١١٨، ١٢١، ١٣٠، ١٥٥، ١٦٤، ١٦٩، ٣٣٧، ٤١١، ٤٣٥

رومانيا Romagna: ١٥١، ١٥٩

الرون (نهر): ١٨٠

رونوك (جزيرة) Roanoke: ٢٦١

ريرموند Ruremonde: ٤٠٣

ريڤولى Rivoli: ٤٠٦

ريمينى Rimini: ١٥٩

رين Rennes: ٣٤٨

ريودى جانيرو: ٢٣٢، ٢٣٦

- ز -

زمبيزى (نهر) Zambezi: ٢٢٧

زنزبار Zanzibar: ٢٢٦، ٢٢٨

- س -

ساحل الذهب: ٢٠١، ٢٢٦، ٢٧٦

ساحل العاج: ٢٠١

ساحل غانة: ٢٠١، ٢٤٥

السار (مديرية) Saar: ٤٢٠

السال (نهر): ٤٢٨

ساڤونا Savona: ٤٣٥

سافون Savon: ٤٠٥

سافوى Savoy: ١٨٠، ٤٠٥

سالزبورج: ١٢٦، ٤١٠، ٤٢٦

سالوتزو (ماركيزيه) Saluzzo: ١٨٠

سالرنو: ٥٥

السالزا Salza: ٤١٠

سانت أوغسطين (بلدة) St. Augustine: ٢٣٩

سانت أنتوان (حى): ٣٤٣، ٣٩٢

سانت جوثارد (نفق) St. Gothard: ٤١٣

سانتو دومينجو Santo Domingo: ٢٣٧

سان كانتان San Quentin: ١٧٨، ١٧٩

سانت لورانس (نهر): ٢٥٤

سانت هيلانة St. Helena: ٤٣٣، ٤٤٢

ساو باولو Sao Paulo: ٢٢٥

سبيير Speier: ١٢٩، ١٣٠، ١٣٢، ٤٠١

سبته Ceuta: ٢١٠

ستراسبورج Strassburg: ١٠٧

ستوكهولم: ٥٢

سردينيا: ١٥٣، ١٥٤، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٢٠

سقطرى Socotra: ٢١٩

سكسونيا: ١١٥، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٦، ١٣٢، ١٧٥، ٤٢٨، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٨

سلفادور Salvador: ٢٠٦، ٢٣٨

سوازيلاند: ٢٢٨

سورات: ٢٦٦، ٢٦٧

سوفالا Sofala: ٢١٣، ٢٢٦، ٢٦٧

سومطره: ٢٣٧، ٢٤٨، ٢٥١

السويد: ٣٣، ١٠٦، ١٣٣، ٢٦٣، ٢٨٣، ٤٢٣، ٤٢٥

سويسرا: ١٣٤، ١٦٣، ٢٨٢، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٧، ٤١٩، ٤٢٢

سهل لمبارديا: ٥٠

سيام: ١٩٧

سيراليون: ٢٢٦

سيلان: ١٩٥، ٢٠٧، ٢٢١، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٧٤، ٤٢١

سيليزيا: ٤٢٥، ٤٤٠

سيمبلون (ممر): ٤١٩

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- ش -

شامبورد Chambord: ١٧٤، ١٧٥

شاندرناجور Chandernagore: ٢٥٦، ٢٧١

شومون Chaumont: ٤٤٢

شيلى Chile: ٢٣٩، ٢٤٠

- ص -

صقلية: ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٩، ٤٢٧

الصين: ١٩٥، ١٩٨، ٢٠٠، ٢٠١، ٢١٩، ٢٢١، ٢٥١، ٢٦٨، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦

- ط -

الطرف الأغر Trafalgar: ٤٢٤

طليطلة: ٢٩

طولون: ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨٣، ٣٨٤، ٤١١

- غ -

الغابة السوداء: ٤٠٥

غانه: ٢٢٣، ٢٧٦

غرناطة: ٥، ١٤٥

غينيا: ٢١٢

غينيا البرتغالية: ٢٢٦

- ف -

فارتبرج Wartburg: ١٢٢، ١٣١

فارين Varennes: ٣٦١، ٣٩٧

فالمى (تلال) Valmy: ٣٩٩

فالنسيا Valencia: ٥٢

فالنسيين Valencienne: ٣٨٠، ٤٠١

فاينزا Faenza: ٦٧، ١٥٩

فستولا (نهر) Vistula: ٣١

الفرات (نهر): ١٨٨

فرانش كومتيه Franche Comté: ٣٤٩

فرانكفورت Frankfurt: ١٠٧، ٤٠١

فرايدوالد Friadwald: ١٧٦

فرچينيا Virginia: ٢٦١، ٢٦٤

فردان Verdun: ١٧٥، ١٧٦، ١٨١

فرساى Versailles: ٢٨٩، ٣٠٧، ٣٤١، ٣٥٦، ٣٥٧

فرنسا: ٦، ٢٣، ٢٨، ٤٥، ٥٥، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٨٤، ٨٧، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٩، ١٢٨، ١٣٢، ١٣٥، ١٤٤، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢٥١، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦،
٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٧١، ٢٧٦،
٢٧٧، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٥،
٢٨٧، ٢٨٨، ٢٩٣، ٢٩٧، ٣٢١،
٣٢٤، ٣٤٢، ٣٦٢، ٣٦٤، ٣٧٩،
٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٤، ٣٩٧،
٣٩٨، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٤، ٤٠٥،
٤٠٦، ٤٠٧، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢،
٤١٤، ٤١٥، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢،
٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٧، ٤٢٨،
٤٣٢، ٤٣٨، ٤٤٠، ٤٤٢

فلاندرز Flanders: ١٦٧، ١٧٢، ٤٠١

فلورنسا Florence = Firenze: ٥٠، ٦١، ٦٥، ٦٦، ٦٨، ٦٩، ٧٣، ٧٦، ٧٩، ٨٨، ٨٩، ٩٩، ١٥١، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٧، ١٦٨، ٤٠٠

فنزويلا Venezuela: ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٤٠

فورا لبيرج Voralberg: ٤٢٥

فورنوفو Fornovo: ١٥٦

فوسيل Vaucelles: ١٧٦

فونتينبلو Fontainebleu: ٩٤

فيرارا Ferrara: ١٥١، ١٥٩، ٤٠٦

فيرتنبورج Wurttenburg: ٤٢٦، ٤٢٨، ٤٣٣

فيرونيه Veronais: ٤١٩

فيسنبورج Wissenbourg: ٣٨٠

الفيليبين: ٢٣٦، ٢٤٤

فيينا: ٤٠٥، ٤١٩، ٤٢٤، ٤٣٥، ٤٣٨

فيين Vienne: ٣٤٢

- ق -

قادش Cadiz: ٤٢٤

قاليقوط Calicout: ٢١٤، ٢١٧، ٢٢١

القاهرة: ٢١٩

القسطنطينية: ٦٣، ٦٤، ٦٥، ١٧١، ١٨٨

قشتالة: ٢٩، ١٤٤، ١٤٥، ٢٠٢، ٢٣٨

قصر البابا فى روما: ٦٤

قصر اللوفر: ٩٤

قلعة سان أنجلو: ١٦٩

قلعة سانت چورچ: ٢٦٧

قلعة ڤارتبرج Wartburg: ١٢٢

قلعة كونتشين: ٢٢١

قناة السويس: ٤١١

- ك -

الكاب (الرأس) Cape: ٢٤٥، ٢٧٦

الكابيتول Capitol: ٥٩

كاتدرائية سيينا: ٧٦

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كارنات Carnatic : ٢٧١
الكارناتيك (منطقة) : Carnatic : ٢٧٢
كارولينا: ٢٦٢ ، ٢٦٤
كاريكال Karical : ٢٥٦
كارنثيا Carinthia : ١٢٦
كاسانو Cassano : ٤١٣
كاستيليونى Castiglione : ٤٠٦
كالڤادوس Calvados : ٣٧٩
كاليفورنيا: ٢٣٩
كاليه: ١٤٤ ، ١٧٨ ، ١٧٩
كامبرى Cambrai : ٨٩ ، ١٦٩
كان Caen : ٣٤٨
كانتون Canton : ٢٧٦
كلكتا : ٢٧١
كلوه Kilwa : ٢٢٦
كليف: ٤٢٩
كامبراى: ١٧٥
كمبردج: ٩٥
كندا: ٢٥٥ ، ٢٥٦
كنساس Kensas : ٢٣٩
كوبا: ٢٠٧
كوبلنتز Coblentz : ٣٦٤
كوبنهاجن: ٤٢١
كورسيكا: ١٧٦ ، ١٨٠ ، ٤٠٧
كولومبو Colombo : ٢٤٦ ، ٢٤٧
كولومبيا: ٢٠٦ ، ٢٤٠
كولن (كولونى) Koln : ٥٥ ، ٤٠٣
كونيكتيكات Connecticat : ٢٦٢ ، ٢٦٤
كونديه Condé : ٣٨٠ ، ٤٠١
الكونغو (نهر) : ٢١٣ ، ٢٢٤
كيبيك Quebec : ٢٥٥

- ل -

لابرادور Labrador : ٢٥٨ ، ٢٦٠
لابلاتا (نهر) : ٣٢ ، ٢٣٦
لانداو: ٣٨٠ ، ٤٠١
لايبزج Leipzig : ٤٤١
لشبونه Lisbon : ٩٧ ، ٢٣٢ ، ٤٣٥
لمبـاردى Lombardy : ١٥٥ ، ١٦٤ ، ١٦٩ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤١٢ ، ٤١٧ ، ٤٢٣
لندن: ٥٢ ، ٢٥٩ ، ٢٦١
لوبيك Lubeck : ٣١ ، ٤٢٦
لورنسو دالميدا D'almeida : ٢١٦
اللورين: ٤٠١

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لوڤارا Lovara: ١٦٧

لوڤان Louvin: ٣٧٥

لوكاتيليه Le Catelet: ١٧٩

لوكسمبورج: ١٧١

لويزيانا (مستعمرة): ٢٥٥، ٢٥٦، ٤٢٠، ٤٢١

ليجوريا (جمهورية) Liguria: ٤١٩، ٤٢٣

ليما Lima: ٢٣٩

ليوبين Leoben: ٤٠٧

ليون: ٢٩، ٣٧٩

ليون الفرنسية: ٢٩، ٣٨٤

- م -

ماتشيراتا Mecerata: ٦٧

مارتينيك Martinique: ٢٥٥

مارسيليا: ٣٨٠

مارنجو Marengo (سهل): ٤١٧

مارينبورج Marienburg: ١٧٩

ماساتشوستس Massachusettes: ٢٦٢، ٢٦٤

مالابار Malabar: ٢١٤، ٢١٧

مالطة (جزيرة): ٤٢١

مالندى Malindı: ٢١٤، ٢٢٦

مانتوا Mantua: ١٥١، ١٥٩، ٤٠٦، ٤٠٧

مانشستر: ١٩٧

مانهاتن Manhatten: ٢٦٣

ماهى Mahe: ٢٥٦

مـــاينز Mainz: ٥٢، ٣٦٤، ٣٨٠، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤١٠، ٤٢٤

مجد برج Magdeburg: ١١٨، ١٣٢، ٤٢٩

المجر: ٩، ١٢٩، ١٦٨

المحـــيط الأطلنطى: ٢٠٣، ٢٥٦، ٢٦٠، ٣٩٩

المحيط الهادى: ١٩٦، ٢١٤، ٢١٧، ٢١٩، ٢٣٦،

المحيط الهندى: ٢١٦، ٢٧١

مدراس Madras: ٢٦٧، ٢٧٠

مدريد: ٥٢، ٤٣٥، ٤٣٧

مدغشقر: ٢٢٨

المسسبى (نهر) Mississippi: ٢٣٩، ٢٥٥

مسقط: ٢٢٨

مضيق السوند Sound: ٣٠، ٣٢

مقاطعة بروڤانس Provence: ١٦٦

مقاطعة جرينتش الشرقية Green-wich: ٢٦٧
مقاطعة دوفينيه Dauphiné: ١٦٦
مقديشو Magadiscio: ٢٢٦
المكسيك: ٢٣٨، ٢٥٥
مكسيكو Mexico: ٢٣٨
الملايو: ٢١٩
ملعب التنس Jeu de Pomme: ٣٣٧
ملقا Malacca: ١٩٦، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٤٦
منطقة الكارناتيك Carnatic: ٢٧٢
مودينا Modena: ٤٠٦، ٤١٩
موزمبيق: ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨
موسكو: ٤٣٩
مولوقوس Moloccos: ٢٣٦
مولهاوسن Mulhausen: ١٢٧
مومباسا Mombasa: ٢٢٦
مونتاليينو Montalieno: ١٨٠
مونتريال: ٢٥٥
مونت تونير Mont Tonnerre: ٤٢٠
مونتميدى Montmedy: ١٧٩
مونفيرات Monferrate: ١٨٠
موندیجو (نهر) Mondego: ٤٣٦
مونوموتابا (مملكة): ٢٢٧
ميتز Metz: ١٧٥، ١٧٦، ١٨١، ٣٦٠
ميريلاند Maryland: ٢٦٢، ٢٦٤
الميلانيز Milanes: ١٨٠، ٤٠٦
ميلان: ٥٠، ٦١، ٨٩، ١٥١، ١٥٢، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٧، ١٨٠، ٤٠٦، ٤٠٩، ٤٢٣، ٤٣٥
مين Maine: ٩١

- ن -

نابولى: ٦٥، ٦٨، ٨٩، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦١، ١٦٢، ١٦٥، ١٦٧، ١٦٩، ١٧١، ١٧٢، ١٧٧، ١٨٠، ٤٠٠، ٤١١، ٤١٢، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٣٢، ٤٣٣
ناڤار Navarre: ١٦٠، ١٦٢، ١٦٧، ٤٠١
نانت (ثغر): ٣٢٦، ٣٧٩، ٣٨٤
النمسا: ٩، ١٢٦، ١٢٩، ٢٨٥، ٣٦٤، ٣٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٤، ٤٠٨، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٧، ٤٢١، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نهر اللوار: ٣٨٤
نهر موزيل Moselle: ١٧٤
نهر اليانجتسى: ٢٧٦
نورماندى: ١٦٦
نورمبرج Nuremberg: ١٠٧، ١٣١
نوڤاريه Novarais: ٤١٩
نوڤاسكوشيا Novscotia: ٢٥٥، ٢٦١
نوڤجورود Novgorod: ٣١
نوڤى Novi: ٤١٣
نيجيريا: ٢٧٧
نيس Nice: ٤٠٥
نيكاراجوا: ٢٣٨
النيل (نهر): ١٨٨، ٢١٢
نيم Nim: ٣٧٩
النيمين (نهر): ٤٣٠، ٤٣١
نيوأمستردام Nieu Amesterdam: ٢٤٦
نيو إنجلند: ٢٦٢
نيوجرسى New Jersey: ٢٦٤
نيوزيلاند: ٢٤٥
نيوشاتيل Neushatel: ٤٢٦
نيوفوندلاند Newfoundland: ٢٥٨، ٢٦٠
نيوكاسيل: ٢٦٣
نيونيذرلاند (هولنده الجديدة): ٢٦٢، ٢٦٤
نيوهامبشير Newhampshire: ٢٦٢، ٢٦٤
نيويورك: ٢٦٤

- هـ -

هام Ham: ١٧٩
هامبورج: ٣١، ٤٢٦، ٤٤٠
هانوڤر: ٤٢٦
هايتى Haiti: ٢٠٦، ٢٣٤، ٢٣٧
هدسون Hudson (نهر): ٢٦٣
الهرم: ١٢
هرمز: ٢١٩
هزدن Hesden: ١٧٩
هس Hesse: ١٣١، ٤٢٨
هلڤتيا (جمهورية) Helvetia: ٤١٩.
الهند: ١٤٧، ١٩٥، ٢٠٠، ٢٠١، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٨، ٢٢١، ٢٢٨، ٢٣١، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٥٦، ٢٦٨، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٤، ٢٧٦، ٣١٦، ٤١١
هولندا: ١٩٣، ٢٤٤، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢٧٦، ٢٨٣، ٣٨٣، ٤٠٠، ٤٠٣،
٤١٢، ٤١٤، ٤١٩، ٤٢٢، ٤٢٣،
٤٤٢

هونج كونج: ٢٧٤

هوندوراس: ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٨

- و -

وارسو: ٤٣٠، ٤٣٢

الولايات المتحدة الأمريكية: ٩

ورمز Worms: ٣٩٨، ٤٠١

وستفاليا: ٤٣٢، ٤٣٣

ووترلو: ٤٤٢

ولمنجتون Wilmington: ٢٦٣

اليابان: ٩، ١٩٥، ٢٢١

يانون Yanaon: ٢٥٦

يورك: ٢٨

يوست Yuste: ١٧٧

يينا Jena: ٤٢٨

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثالثاً: الهيئات والمجتمعات

- أ -

اتحاد الراين: ٤٢٧

اتحاد الهانسا: ٤٢٦

الاتحاديون (الفيدراليون) Fédérés: ٣٦٧

الأزتك (قبائل) Aztec: ٢٣٨

أسرة أراجون Aragon: ١٥٣

أسرة أفيز Avis: ١٤٥

أسرة أوتيماتي Ottimati: ٨٩

أسرة البوربون: ٤٢٧، ٤٤٢

أسرة جيز Guise: ١٧٢، ١٧٣

أسرة رومانوف Romanof: ٩، ٢٨٤

أسرة فالوا Valois: ١٤٤، ١٥٣، ١٦٢، ١٦٥

أسرة فسكونتي Visconti: ٥٠

أسرة كابيه Capet: ١٤٤

أسرة لاموانيون La Moignon: ٣٠٦

أسرة مديتشي Midicci: ١٦٠، ١٦١، ١٦٢

أسرة هابسبورج Habsburg: ٩، ١٤٥، ١٥٣، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٨، ١٧٠، ١٧٤، ١٧٥، ٢٨٢، ٢٨٥، ٤٣٩

أسرة هوهنزلرن Hohenzollern: ٩، ٢٨٥

الأكاديميات: ٦٥

الأكاديمية الأفلاطونية: ٦٦

الأكاديمية الرومانية Accademia Romana: ٦٧

الأكاديمية الفلورنسية: ٦٦

إمبراطورية المارائا Maratha: ٢٧٢

الانفاليد (ملجأ مشوهي الحرب) Hotel des Invalides: ٣٤٧

أوتيل دي ڤيل: ٣٥٩، ٣٦٨

- ب -

برلمان باريس: ٣٠٦، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٩

برلمان بيارن Béarn: ٣٢٦

بلدية باريس: ٣٥٢

بيت أنجو: ١٥٣، ١٥٤

بيت أورانج: ٤٤٢

بيت فوجرز Fuggers: ١١٨

بيت لانكستر: ١٤٤

بيت يورك York: ١٤٤

البيوريتان (جماعة): ٢٦٢

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- ت -

تيودور (أسرة): ٩٤

- ج -

الجامعات: ٥٥

جامعة انجولشتات Ingolstadt: ١٢٠

جامعة ايرفورت Erfurt: ١١٥

جامعة باريس: ٥٥، ٩٢

جامعة بولونى: ٣٩

جامعة سالامانكا Salamanca: ٩٧

جامعات شمال أوربا: ٥٥

جامعة فلورنسا: ٦١

جامعة ليدن Lyden: ٩٨

جامعة مونبيليه: ٥٥

جامعة ويتنمبرج Wittenburg: ١١٥، ١٢٢

الجبليون Montagnards: ٣٦٥، ٣٧١، ٣٧٣، ٣٧٥، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨٤، ٣٩١، ٣٩٤

الجمعية التأسيسية Assemblée constituante: ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٦٩

الجمعية التشريعية Assemblée legislative: ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٨، ٣٩٩

الجمعية الوطنية Assemblée nationale: ٣٣٥، ٣٣٨، ٣٥٢، ٣٥٤، ٣٥٩، ٣٦١، ٣٦٢

الجيرونديون Girondins: ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٨١، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٩٠

- ح -

الحرس الوطنى: ٣٤٨، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٦، ٣٦٨، ٣٧٦، ٣٩٢، ٣٩٣

حركة ١٢ جيرمينال Germinal: ٣٩١، ٣٩٢

حركة الشبيبة الذهبية Jeunesse d'oree: ٣٩٠، ٣٩١

حزب الكليشان Clichyens: ٤٠٨، ٤٠٩

حصن الباستيل Bastille (سجن): ٣٠٧، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٦٩، ٣٧٦، ٣٨٥

حكومة الإدارة: ٤٠٤، ٤٠٨، ٤١٠، ٤١١، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦

الحكومة الملكية: ٣٠٧

- د -

دير القديس ماركو: ٦٤

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- س -

السفارة البريطانية: ٣٢٥

السهل (حزب) Plain: ٣٧٢، ٣٧٦، ٣٨٨

- ش -

شركة أمستردام: ١٩٧

شركة بليموث Plymouth: ٢٦١، ٢٦٢

الشركة العامة للتجار الألمان General Company of German Merchants: ٣٢

شركة لندن: ٢٦١

شركة الهند الشرقية الفرنسية: ٢٧١

شركة الهند الشرقية الإنجليزية: ١٩٩، ٢٦٥، ٢٦٨، ٢٧٠

شركة الهند الشرقية المتحدة The East India Company of the United Netherlands: ٢٢٣، ٢٤٦

شركة الهند الغربية الهولندية: ٢٤٥

- ع -

عصبة الأمم: ١٠

العصبة الهانسية (عصبة المدن الهانسية): ٣٢، ٣٣

- ف -

الڤاتيكان: ٦٤، ٧٥

فرقة الفلاندرز Flanders: ٣٥٦

فرسان القديس يوحنا: ٤٢١

- ق -

قصر التويللرى: ٣٦٦، ٣٦٨، ٣٧٦، ٣٩١، ٣٩٤

- ك -

الكنيسة: ١٩، ٢٦، ٣٩، ٤٠، ٥٢، ٥٤، ٥٥، ٦٢، ٧٢، ٧٣، ٩٣، ٩٦، ١٠٠، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٨، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٦، ١٢١، ١٢٢، ١٣٣، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٥٨، ١٧٢، ٢٣١، ٢٩٥، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣١٨، ٣٣٥، ٣٥٨، ٣٩٣، ٤١٩، ٤٢٧، ٤٣٤، ٤٣٥

كنيسة سستين: ٧٤، ٧٥

كنيسة القديس بطرس الجديدة: ٧٨، ٨٩

كوليج دى فرانس Le College de France: ٩٣

الكويكرز (جماعة): ٢٦٣

- ل -

لجنة الخلاص الوطنى Cometé'de Salut Publique: ٣٧٧، ٣٨٠، ٣٨٢، ٣٨٦، ٣٨٩، ٤٠٢

- م -

المجالس الإبتدائية: ٤٠٨

المجالس الإنتخابية: ٤٠٨

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مجالس الطبقات: ٣٠٦
مجلس الأعيان : ٣٢١
مجلس الأمة (أنظر مجلس طبقات الأمة)
المجلس البلدى: ٣٦٨، ٣٧٠
مجلس بيزا: ١٦١
مجلس التريبون: ٤٢٢
مجلس الخمسمائة : ٤٠٨، ٤١٥
مجلس الشيوخ: ٤٠٨، ٤١٥، ٤١٦، ٤٢٢
مجلس طبقات الأمة Etats generaux: ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣١، ٣٣٤، ٣٣٧، ٣٤٨
مجلس الطبقات المحلى: ٣٢٧
المجلس الكهنوتى: ٣٢٤
مجلس الوزراء: ٣٣١، ٣٧٠
محاكم التفتيش الأسبانية: ٩٧، ٤٣٧
المحاكم الدينية: ٣٩
محكمة الثورة: ٣٧٦، ٣٨٣، ٣٩٠
المحاكم العليا: ٢٩٤
محاكم الدبلاء: ٣٩
محكمة النقابات الطائفية: ٢١
مدارس الأديرة: ٥٤
مدارس الكاتدرائيات: ٥٤، ٥٥
مدرسة أثينا: ٧٦
مدرسة البندقية: ٧٥
مدرسة دوبليه الاستعمارية: ٢٧٠
مدرسة دوناتللو الفنية: ٧٦
مدرسة فلورنسا: ٧٥
مدرسة سان بول: ٩٥
المدن البورجوازية: ٢١
مطرانية سالزبورج Salzbourg: ٤١٩
مكتبة أكسفورد: ٦٥
مكتبة أوربينو: ٦٥
مكتبة باڤيا: ٦٥
مكتبة سان ماركو: ٦٥
مكتبة الفاتيكان: ٦٥
مملكة السيخ Sikhs: ٢٧٣
مملكة القديس يوحنا: ٢١٠
منتخب تريف Treves: ٣٦٤
المؤتمر الوطنى: ٣٧٩، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٩٤، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠٤

- ن -

نادى بريتون Club Breton: ٣٥١، ٣٥٩
نادى الفويان Feuillants: ٣٦١
نادى الكورديليه: ٣٧٩، ٣٨٥
نادى اليعاقبة: ٣٥٧، ٣٥٩، ٣٦١،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٣٧٩، ٣٨٥، ٣٩٠
النقابات الطائفية: ٢٠
- هـ -
هيئة الأمم المتحدة: ١٠
- ى -
اليعاقبة: ٣٦٣، ٣٦٦، ٣٧٤، ٣٧٦،
٣٨٣، ٣٩٠، ٤٠٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رابعاً: الأحداث التاريخية

- أ -

اتفاق ألكسندرا: ٤١٧

اتفاق ألكمار Alkmar: ٤١٤

اتفاق رايشنباخ Reichenbach: ٤٤٠

اتفاق كينترا Cintra: ٤٣٦

انقلاب برومير Brumair: ٤١٦

انقلاب فركتيدور Fructidor: ٤٠٩

- ت -

تتويج العذراء: ٧٥

التجلي Transfiguration: ٧٥

التحالف الدولي الثاني: ٤١١، ٤١٢، ٤١٤

التحالف الدولي الثالث-The Third Co-alition: ٤٢٣، ٤٢٥

- ث -

ثورة برلمان باريس: ٣٣٩

الثورة البروليتارية: ٣٤٢، ٣٤٩، ٣٥٠

الثورةالبورجوازية فى إنجلترا: ٦

ثورة الصان كيلوت: ٣٤١، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧١، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٨٠، ٣٨٣، ٣٨٨، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣

الثورة العظمى فى إنجلترا: ٦

الثورة الفرنسية: ٧، ٨، ١٢٦، ١٣٦، ١٦٣، ٢٨٢، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٩١، ٣٠٢، ٣٠٧، ٣١٥، ٣١٦، ٣٩٤، ٣٩٧، ٣٩٨

الثورة الفلاحية: ٣٤٣، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥٣

- ح -

الحرب الأهلية: ٩، ٢٦٤، ٣٥٩، ٣٦٤

حرب الثلاثين عاما: ٦، ٢٨٢

الحرب العالمية الأولى: ٩

الحروب الإيطالية: ٨٨، ١٢٨، ١٤٦، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٦١، ١٦٢، ١٦٥، ١٧٠، ١٧٢، ١٧٩، ١٨٥

حروب المائة سنة: ٩١، ٩٥، ١٤٤، ١٧٨

حروب الوراثة الأسبانية: ٦

حروب الوردتين: ١٤٤

حركة الإصلاح الدينى Reformation: ٦، ٨٩، ٩٠، ٩٧، ١٠٠، ١٠١، ١٠٣،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١٠٦، ١١٢، ١١٤، ١١٥، ١٣٣، ١٧٠

حركة الأنابابتيين Anabaptists: ١٢٣، ١٢٧

حركة الكشوف الجغرافية: ٧، ١٤٦، ١٤٧، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧

الحلف الشمالي The Northern Convention: ٤٢١

حلف كمبراى League of Cambrai: ١٥٨

حلف كونياك المقدس Gognac: ١٦٨، ١٦٩

الحملة الفرنسية: ٤١٢

- س -

سقوط القسطنطينية: ٦٢

- ش -

شامبورد Chambord: ١٧٤

- ص -

صلب المسيح: ٧٥

صلح أميان Amiens: ٤٢١، ٤٢٢

صلح باريس ٤٠٥

صلح باساو Passau: ١٧٦

صلح بال Basle: ٤٠٤

صلح توليتينو Tolentino: ٤٠٧

صلح تيلست Tilsit: ٤٣٣، ٤٣٧، ٤٣٩

صلح ڤينا: ٤٣٨

صلح كاتو كامبريسيس: ١٧٩، ١٨٠، ١٨١

صلح كامبرى: ١٧١

صلح كامبو فورميو: ٤١٩

صلح لونيڤيل Lunéville: ٤١٨، ٤٢٠

صلح هس كاسل: ٤٠٤

صلح وستفاليا (معاهدة) Westphalia ١٤٦، ١٧٩، ٢٨٢، ٢٨٣، ٣٩٧

- ع -

عيد الشهداء All Saints day: ١١٩

- ف -

فتنة ريفيون: ٣٤٤

- م -

مجمع ورمز: ١٣٠

مذابح سبتمبر ١٧٩٢: ٣٧٦

مذبحة سان بارثولوميو Saint Parthol-omew's Day Massacre: ١٣٦

مذبحة طولون Toulon: ٣٩٠

مرسوم ميلان Milan: ٤٣٤

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مسألة بارما Parma: ١٧٥
معاهدة أرانخويز Aranjuez: ٤٢٠
معاهدة أوترخت Utrecht: ٢٦٤، ٢٧٧
معاهدة باساو Passau: ١٣٢
معاهدة بريسبورج Pressburg: ٤٢٥، ٤٢٦
معاهدة بيكين: ٢٧٦
معاهدة توردوسيلاس Tordosellas: ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٥
معاهدة تيان تسين Tientsin: ٢٧٦
معاهدة تيلست Tilsit: ٤٣١
معاهدة إلديفونسو Il-Defonso: ٤٢٠
معاهدة سان بترسبورج: ٤٢٣
معاهدة شامبورد Chambord: ١٣٢
معاهدة شونبرون Schonbrunn: ٤٢٦، ٤٣٩
معاهدة غرناطة: ١٥٧
معاهدة فرايادوالد: Friadwald: ١٧٥، ١٧٦
معاهدة فلورنسا: ٤٢٠
معاهدة كاليش Kalisch: ٤٣٩
معاهدة كاتو كامبريسيس Cateau-Cambresis: ١٥٣
معاهدة كرسبى Crespy: ١٧٢
معاهدة مدريد: ١٦٧، ١٦٩
معاهدة نانكنج Nanking: ٢٧٥
معاهدة نوين Noyon: ١٦٤
معركة أجناديللو Agnadello: ١٥٩
معركة أساى Assaye: ٢٦٨، ٢٧٢
معركة باڤيا Pavia: ١٢٨
معركة بلاسى Plassey: ٢٦٧، ٢٦٩، ٢٧١
معركة درسدن: ٤٤٠
معركة ريڤولى Rivoly: ٤٠٦
معركة سيمباخ Sempach: ١٤٦
معركة الطرف الأغر Trafalgar: ٤٣٤
معركة ڤاتيجنيز Wattignies: ٤٠٢
معركة ڤالمى Valmy: ٣٧٢، ٣٩٩
معركة فلوراس Fleuras: ٤٠٣
معركة موهلبرج Muhlberg: ١٣١، ١٧٤
معركة هوندشوتين Hondschoten: ٤٠٢
معركة هوهنليندين Hohenlinden: ٤١٨
معركة واجرام: ٤٣٨
مؤتمر برلين: ١٨٨٤ ـ ١٨٨٥: ٩
مؤتمر راشتات: ٤١٠
مؤتمر فينا: ٨
موقعة أوسترليتز: ٤٢٦

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

موقعة بيانكى Piankie : ١٧٤
موقعة ستوكاش Stockach : ٤١٢
موقعة فرانكينهاوسن Frankenhau-
sen : ١٢٨
موقعة مارنجو : ٤٣٠
موقعة مارينيانو Marignano : ١٦٣
موقعة مورجارتين Morgrten : ١٤٥
موقعة نيرويندين Neerwinden :
٣٧٥ ، ٤٠٠
موقعة بينا : ٤٢٨
ميثاق ملعب التنس Le Serment :
٣٣٧

- هـ -

الهجرة الكبرى La grande Eme-
grante : ٣٦٤
هدنة شيراسكو Cherasco : ٤٠٥
هدنة نيس Nice : ١٧١ ، ١٧٢

- و -

الوحدة الإيطالية : ٩

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من أهم الأعمال العلمية المنشورة للمؤلف

١ - تطور الحركة الوطنية فى مصر (١٩١٨ - ١٩٣٦) (القاهرة: دار الكاتب العربى ١٩٦٨) .

٢ - تطور الحركة الوطنية فى مصر (١٩٣٧ - ١٩٤٨) - مجلدات (بيروت : دار الوطن العربى ١٩٧٣)

٣ - الصراع الاجتماعى والسياسى فى مصر من ثورة يوليو إلى أزمة مارس ١٩٥٤ . (القاهرة : مكتبة مدبولى ١٩٧٥) .

٤ - عبد الناصر وأزمة مارس . (القاهرة : دار روز اليوسف ١٩٧٦) .

٥ - الجيش المصرى فى السياسة (١٨٨٢ - ١٩٣٦) (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧) .

٦ - صراع الطبقات فى مصر (١٨٣٧ - ١٩٥٢) . (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٨) .

٧ - الصراع بين الوفد والعرش (١٩٣٦ - ١٩٣٩) . (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٩) .

٨ - الفكر الثورى فى مصر ، قبل ثورة ٢٣ يوليو . (القاهرة: مكتبة مدبولى ١٩٨١) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٩ - المواجهة المصرية الاسرائيلية فى البحر الأحمر (١٩٤٩ - ١٩٧٩) :

الطبعة الأولى (القاهرة : دار روز اليوسف ١٩٨٢) .

الطبعة الثانية (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦).

١٠ - الاخوان المسلمون والتنظيم السرى . (القاهرة : دار روز اليوسف يناير ١٩٨٣) .

١١ - الصراع بين العرب وأوروبا ، من ظهور الاسلام إلى انتهاء الحروب الصليبية . (القاهرة : دار المعارف ١٩٨٣) .

١٢ - حرب أكتوبر فى محكمة التاريخ . (القاهرة : مكتبة مدبولى ١٩٨٤).

١٣ - مذكرات السياسيين ، الزعماء فى مصر . (القاهرة : دار الوطن العربى ١٩٨٤) .

١٤ - تحطيم الآلهة ، حرب يونيو ١٩٦٧ . (جزءان) (القاهرة : مكتبة مدبولى ١٩٨٤) .

١٥ - الغزوة الاستعمارية للعالم العربى ؛ وحركات المقاومة . (القاهرة : دار المعارف) .

١٦ - مصر فى عصر السادات (الجزء الأول) (القاهرة : مكتبة مدبولى ١٩٨٦) .

١٧ - مذكرات سعد زغلول ، تحقيق ، الجزء الأول (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧) .

١٨ - مصطفى كامل فى محكمة التاريخ:

الطبعة الأولى (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة تاريخ المصريين رقم ١ سنة ١٩٨٧) .

الطبعة الثانية (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة تاريخ المصريين سنة ١٩٩٤).

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١٩ - أكذوبة الاستعمار المصرى للسودان :

الطبعة الأولى (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة تاريخ المصريين رقم ١٣ سنة ١٩٨٨) .

الطبعة الثانية (القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة ١٩٩٦).

٢٠ - مذكرات سعد زغلول ، تحقيق ، الجزء الثانى . (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨) .

٢١ - مذكرات سعد زغلول ، تحقيق ، الجزء الثالث . (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٩) .

٢٢ - مصر فى عصر السادات ، الجزء الثانى . (القاهرة : مكتبة مدبولى ١٩٨٩) .

٢٣ - مذكرات سعد زغلول ، تحقيق ، الجزء الرابع . (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠) .

٢٤ - الاجتياح العراقى للكويت فى الميزان التاريخى (القاهرة : الزهراء - ١٩٩٠) .

٢٥ - حرب الخليج فى محكمة التاريخ . (القاهرة : الزهراء- ١٩٩٠) .

٢٦ - العلاقات المصرية الاسرائيلية (١٩٤٨ - ١٩٧٩) (القاهرة : سلسلة تاريخ المصريين ٤٩ سنة ١٩٩١) .

٢٧ - مذكرات سعد زغلول ، تحقيق ، الجزء الخامس . (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢) .

٢٨ - الصراع الاجتماعى والسياسى فى عصر مبارك . (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢٩ - تاريخ الاسكندرية فى العصر الحديث . (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣، سلسلة تاريخ المصريين عدد ٦١).

٣٠ - تاريخ مصر والمزورون . (القاهرة : الزهراء - ١٩٩٣) .

٣١ - أوهام هيكل وحقائق حرب الخليج. (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣).

٣٢ - قصة بناء المواطنة الخليجية. (القاهرة : مركز المنار للنشر والدراسات الاعلامية ١٩٩٣).

٣٣ - الصراع الاجتماعى والسياسى فى عصر مبارك، الجزء الثانى (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣).

٣٤ - الإخوان المسلمون والتنظيم السرى، الطبعة الثانية (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣).

٣٥ - مذكرات سعد زغلول، تحقيق، الجزء السادس (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣).

٣٦ - الصراع الاجتماعى والسياسى فى عصر مبارك، الجزء الثالث (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤)

٣٧ - الصراع الاجتماعى والسياسى فى عصر مبارك، الجزء الرابع، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤).

٣٨ - الصراع الاجتماعى والسياسى فى عصر مبارك، الجزء الخامس، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥).

٣٩ - جماعات التكفير فى مصر (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥).

٤٠ - مصر قبل عبدالناصر (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥).

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٤١ - أوراق فى تاريخ مصر (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥).

٤٢ - هيكل والكهف الناصرى (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥).

٤٣ - مصر فى عصر مبارك «الجزء السادس» (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥).

٤٤ - مصر فى عصر مبارك «الجزء السابع» (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥).

٤٥ - رحلات مؤرخ (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦).

٤٦ - مذكرات سعد زغلول، تحقيق، الجزء السابع (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦).

٤٧ - تاريخ أوروبا والعالم فى العصر الحديث، من ظهور البورجوازية الأوروبية إلى الحرب الباردة «الجزء الأول» من ظهور البورجوازية الأوروبية إلى الثورة الفرنسية [القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦].

٤٨ - تاريخ أوروبا والعالم فى العصر الحديث، من ظهور البورجوازية الأوروبية إلى الحرب الباردة «الجزء الثانى» من تسوية مؤتمر ڤيينا إلى تسوية مؤتمر ڤرساى [القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦].

٤٩ - تاريخ أوروبا والعالم فى العصر الحديث، من ظهور البورجوازية الأوروبية إلى الحرب الباردة «الجزء الثالث» من من قيام النازية فى ألمانيا إلى الحرب الباردة [القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦].

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مع آخرين :

١ - مصر والحرب العالمية الثانية ، مع الدكتور جمال الدين المسدى والدكتور يونان لبيب رزق (القاهرة : مؤسسة الأهرام ١٩٧٨) .

٢ - تاريخ أوروبا فى عصر الرأسمالية ، مع الدكتور يونان لبيب رزق ود . رءوف عباس . (القاهرة : دار الثقافة العربية ١٩٨٢) .

٣ - تاريخ أوروبا فى عصر الامبريالية ، مع الدكتور يونان لبيب رزق ود.رءوف عباس . (القاهرة : دار الثقافة العربية ١٩٨٢).

كتب مترجمة :

١ - تاريخ النهب الاستعمارى لمصر ، (١٧٩٨ - ١٨٨٢) تأليف جون مارلو . (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦)

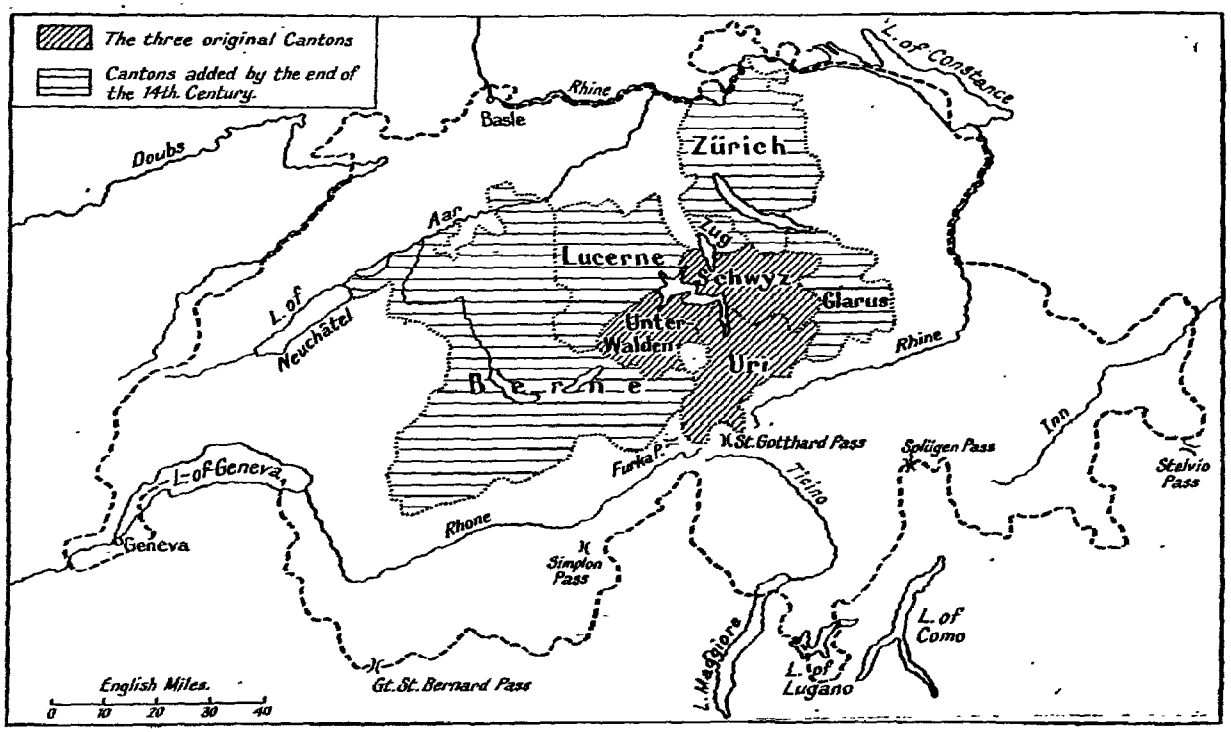

THE GROWTH OF SWITZERLAND.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

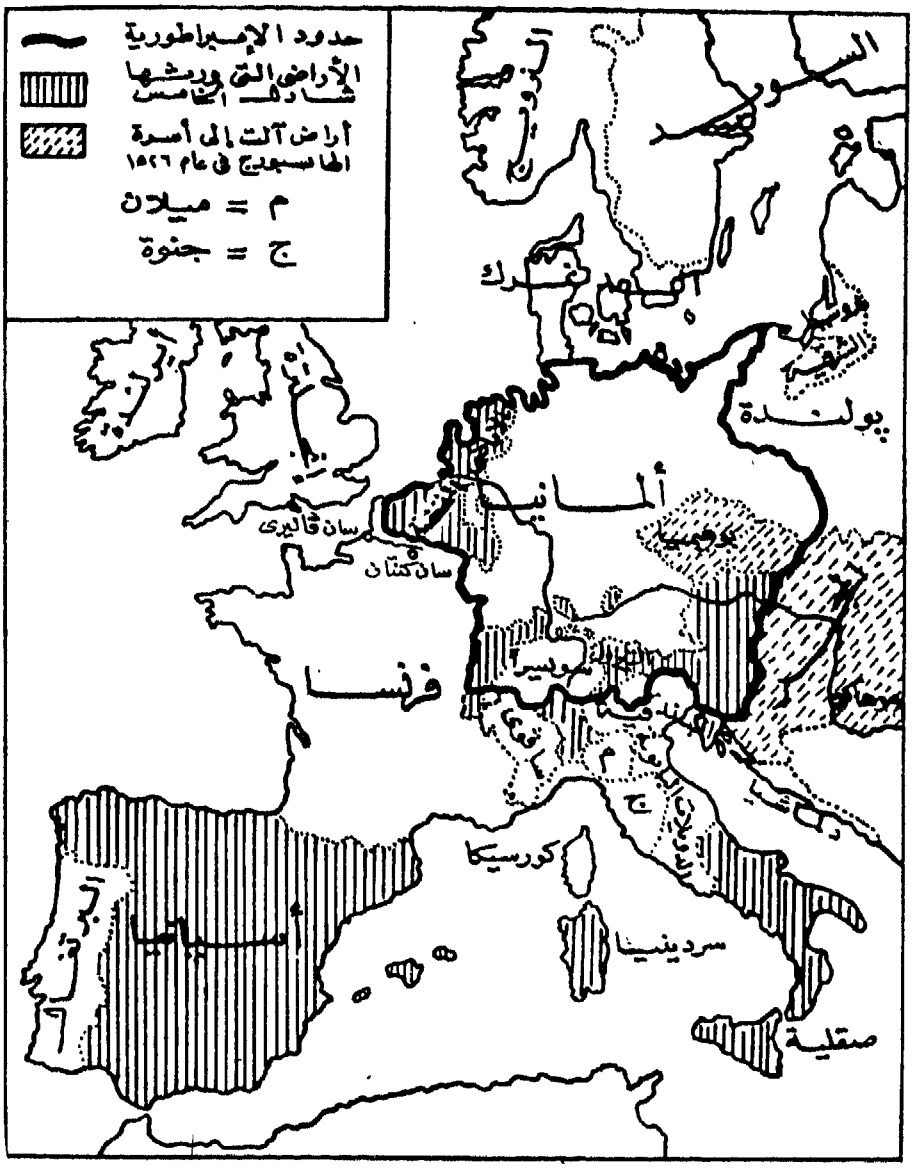

إمبراطورية شارل الخامس في عام ١٥٢٥

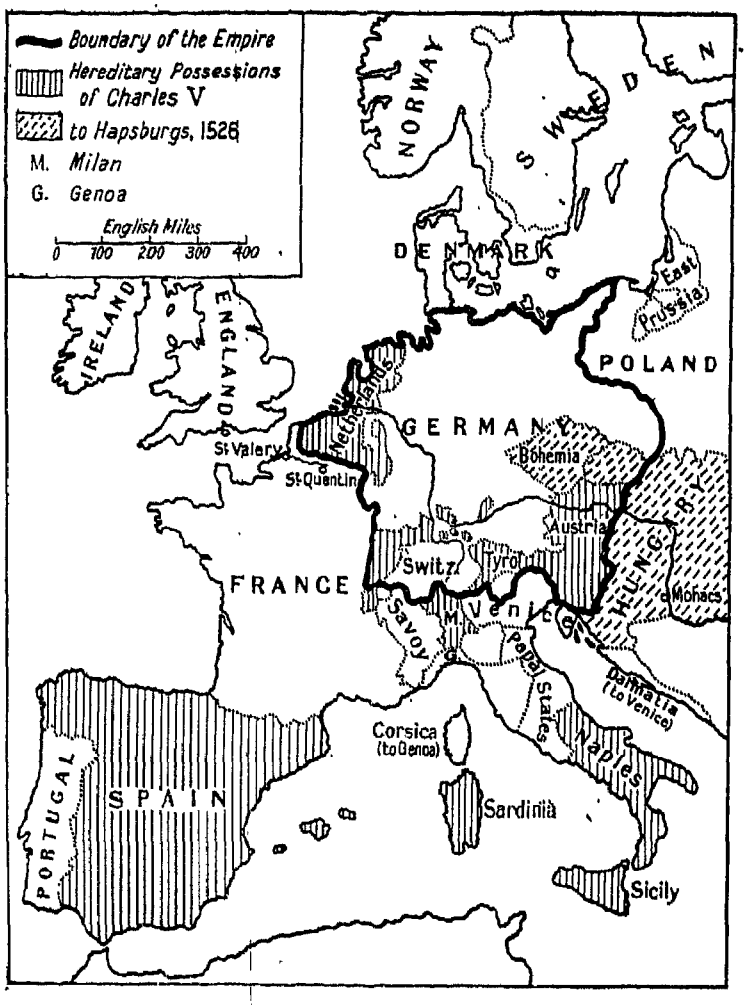

THE EMPIRE OF CHARLES V, 1525.

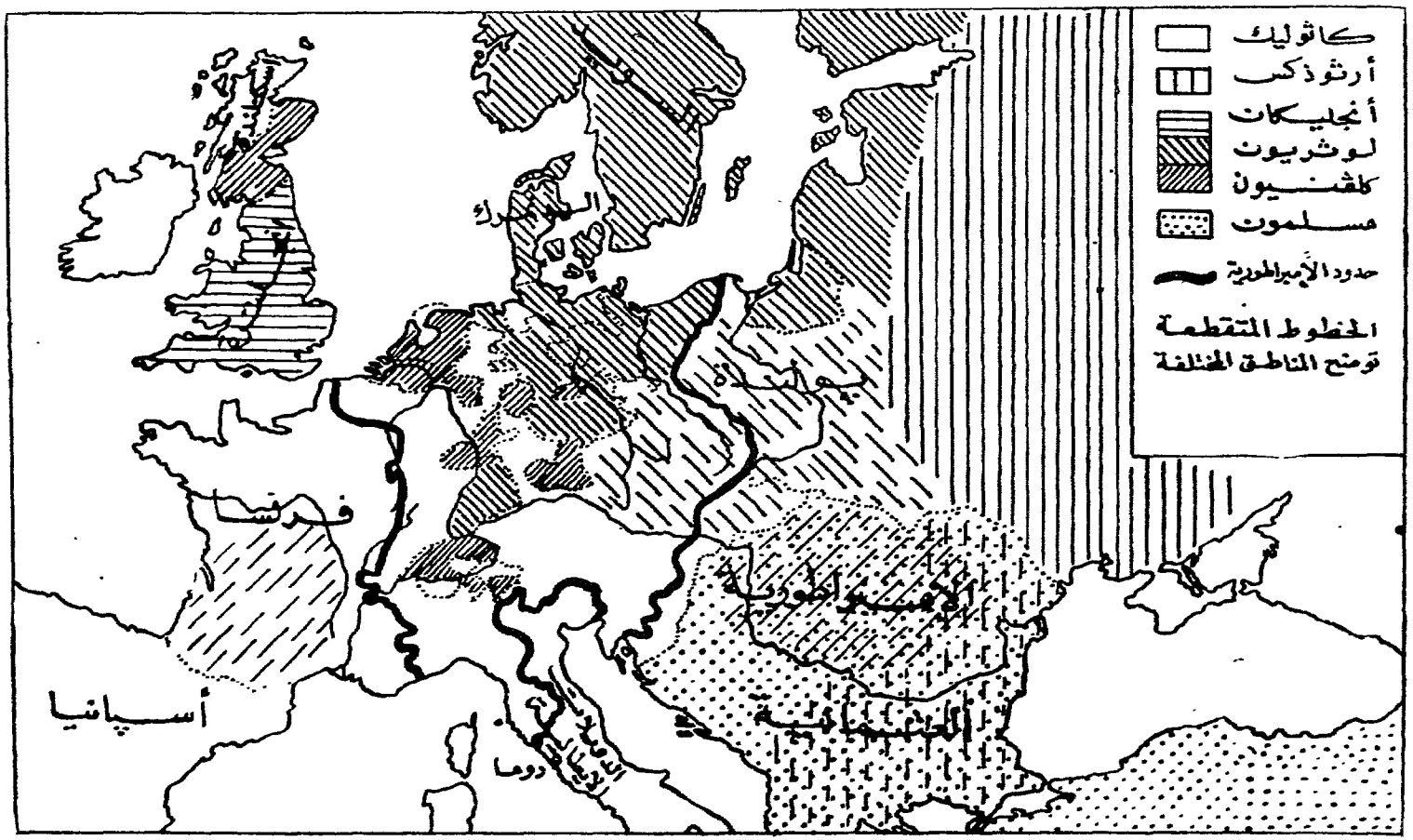

توزيع الكاثوليك والبروتستانت فى أوروبا فى عام ١٦١٠

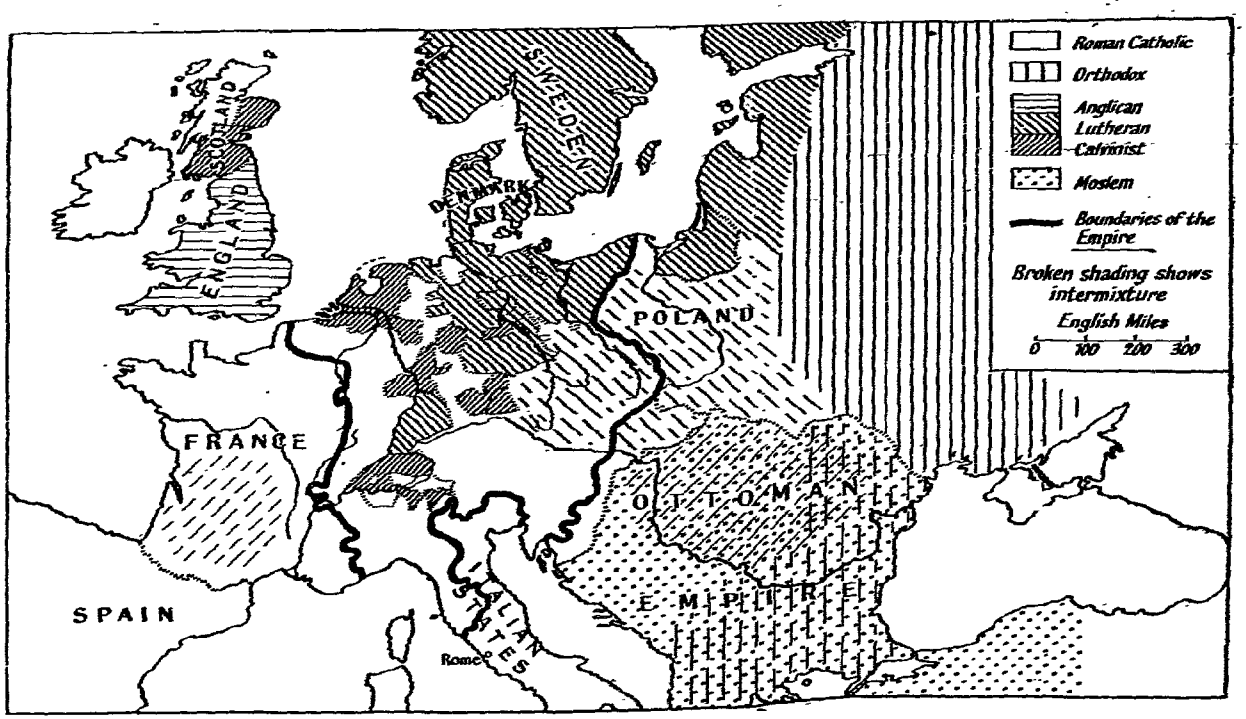

CATHOLIC AND PROTESTANT EUROPE, 1610.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

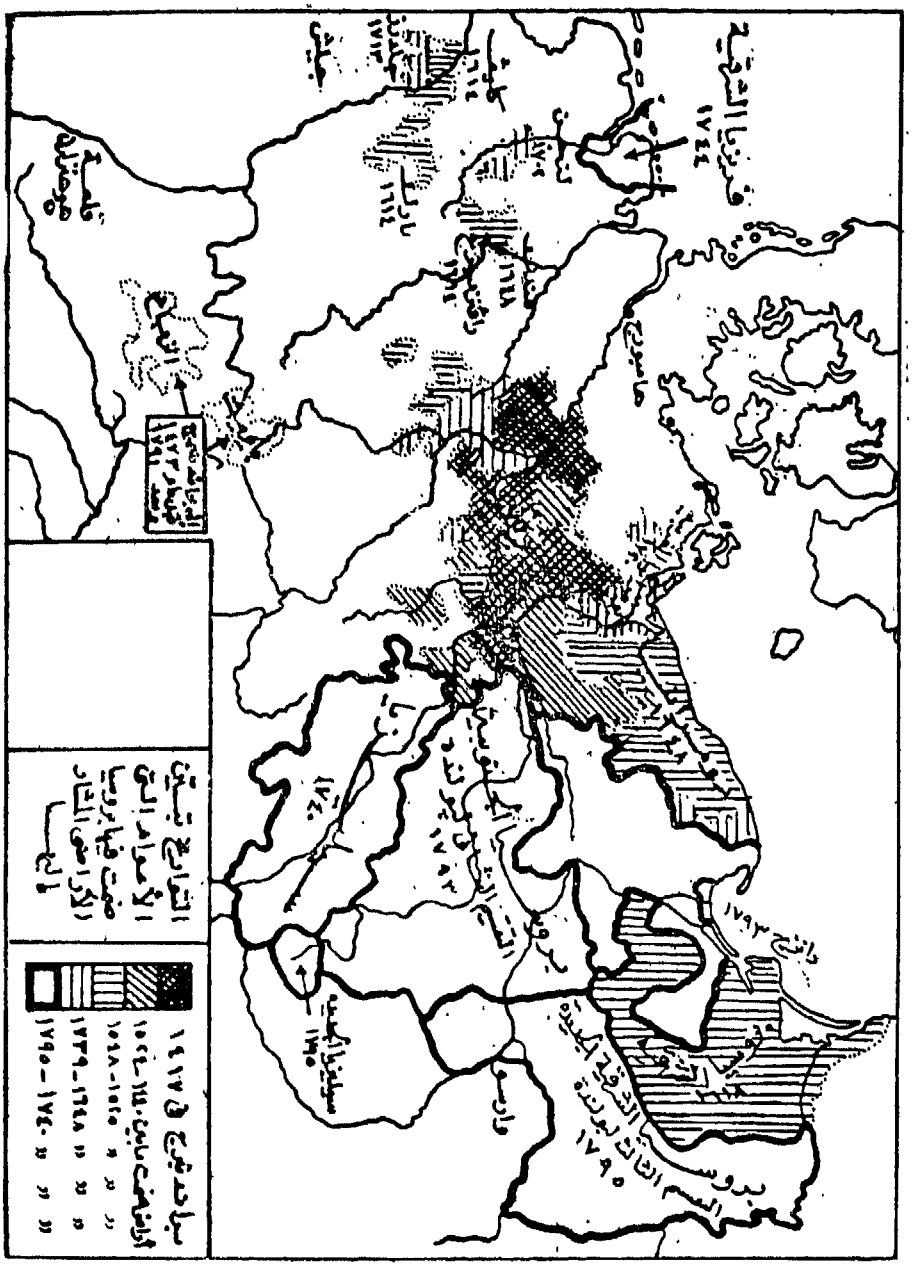

اتساع رقعة براندنبرج ببروسيا

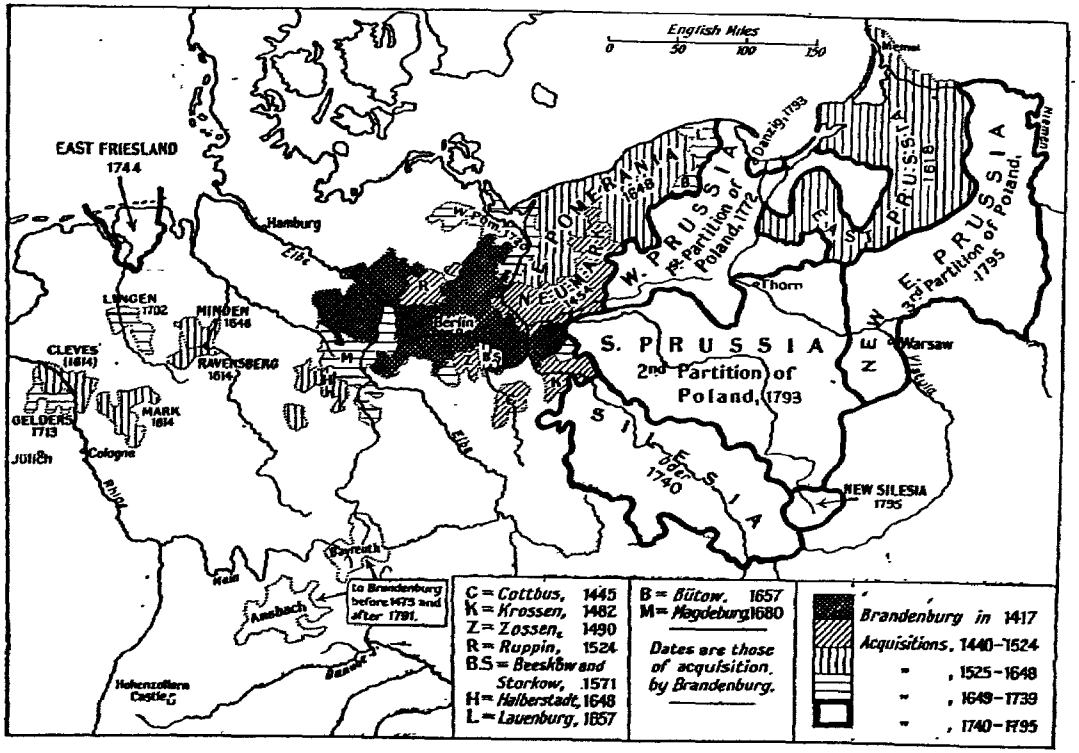

THE GROWTH OF BRANDENBURG PRUSSIA:

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

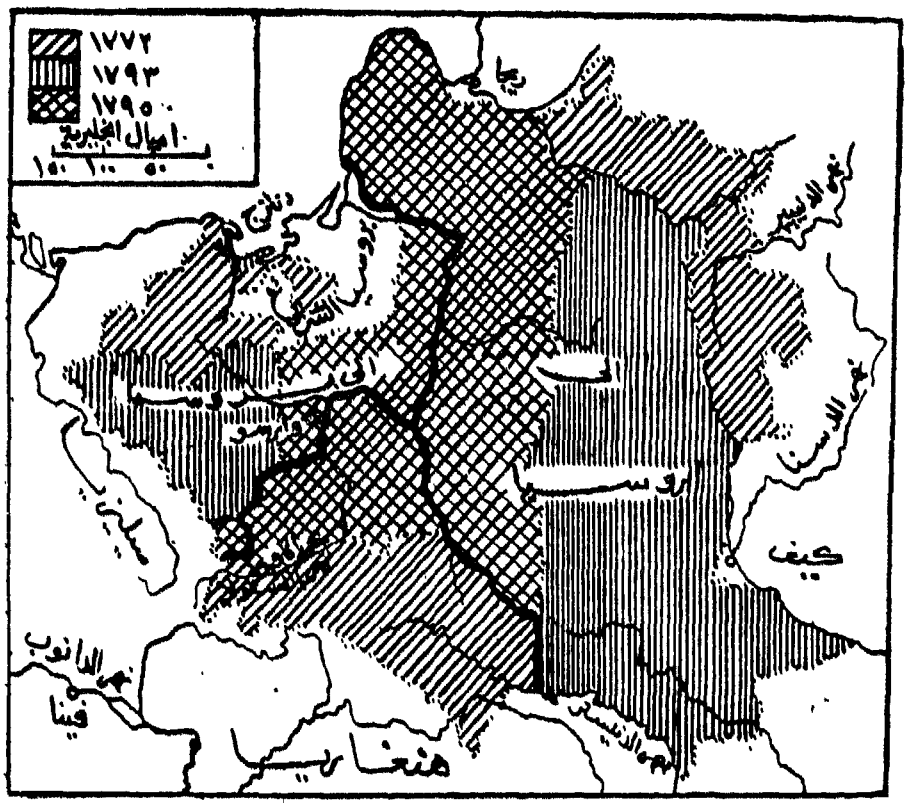

تقسيم بولندا

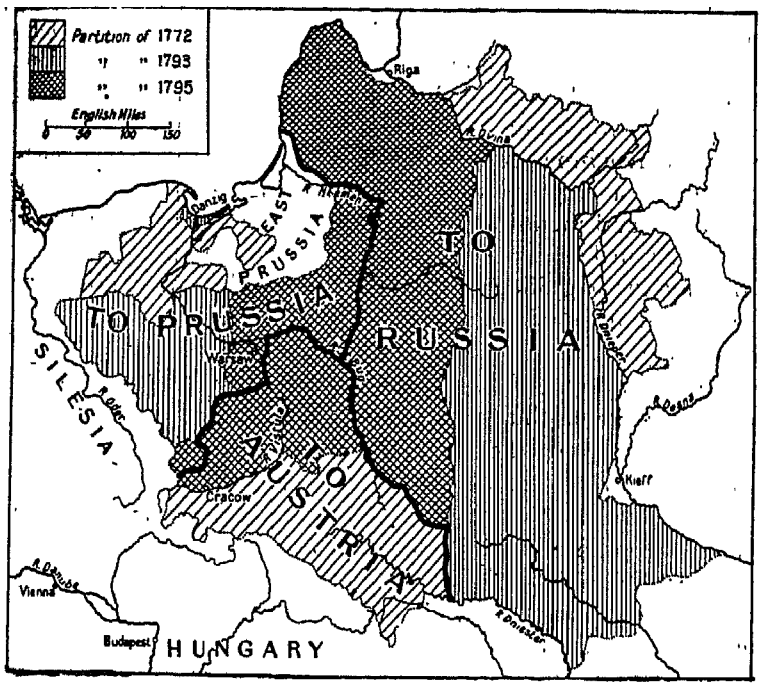

THE PARTITIONS OF POLAND.

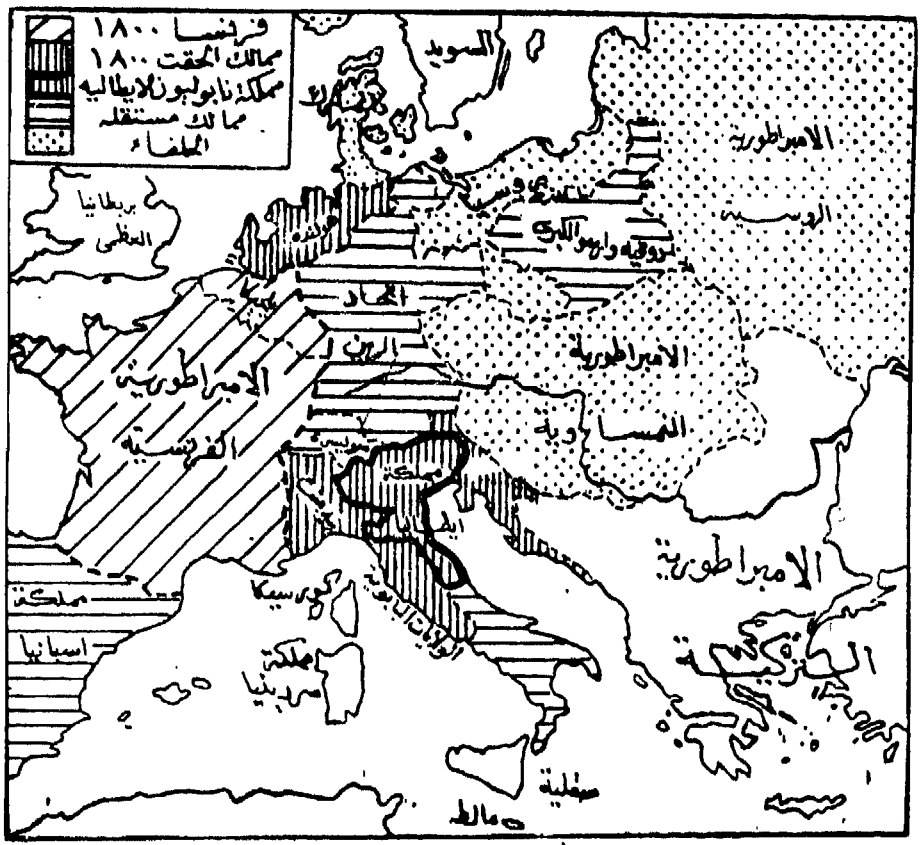

فتوحات نابليون

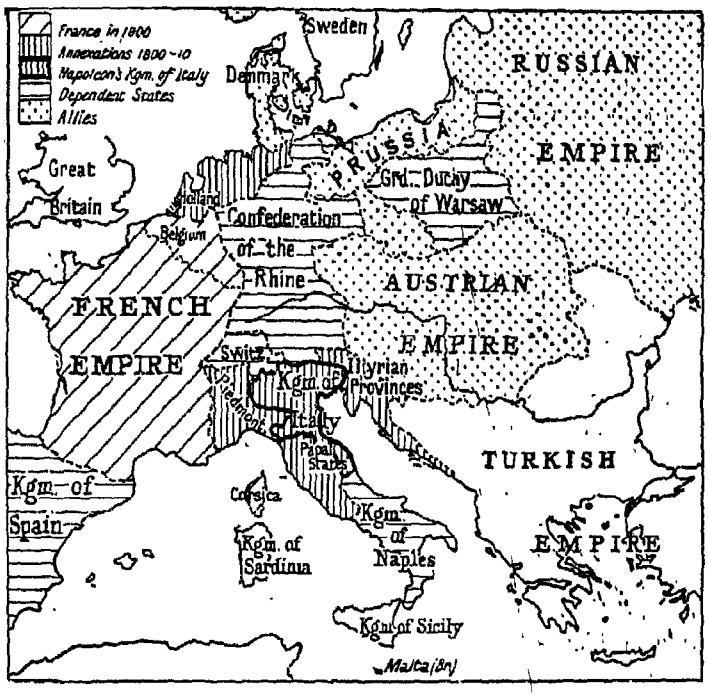

THE CONQUESTS OF NAPOLEON.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

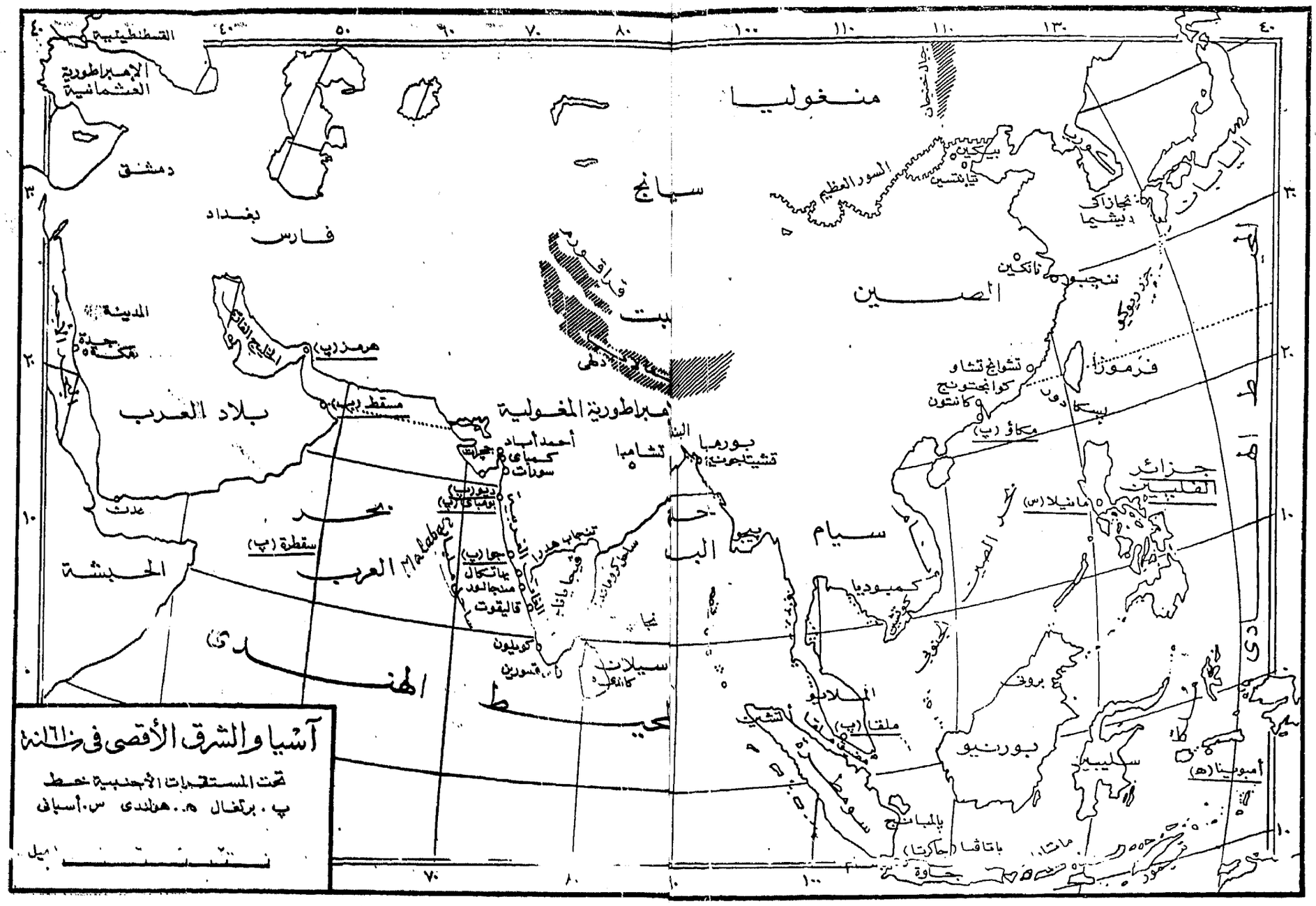

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فهرس تفصيلى

تقديم ٥

الفصل الأول

ظهور الطبقة البورجوازية الأوروبية وتطورها ١٣

النقابات الطائفية ٢٠

المدن البورجوازية ٢١

عصبة المدن الهانسية ٣٠

زحف الحياة البورجوازية على أوروبا ٣٣

البورجوازية والاستعمار ٣٤

ظهور البورجوازية الصناعية ٣٦

البورجوازية القانونية ٣٨

البورجوازية الزراعية ٤٠

البورجوازية البيروقراطية ٤٣

الفصل الثانى

عصر النهضة الأوروبية ٤٧

أولاً : النهضة فى إيطاليا ٥٠

(١) حركة إحياء الدراسات اليونانية واللاتينية، أو الحركة الإنسانية ٥٢

ـ الفلسفة الكنسية ٥٣

ـ الفلسفة المدرسية ٥٤

ـ سقوط التفكير المدرسى وقيام الحركة الإنسانية : ٥٦

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(أ) إحياء التراث القديم ——— ٥٧
- الطور اللاتينى ——— ٥٧
- الطور الإغريقى ٦١
(ب) جمع المخطوطات ——— ٦٣
(جـ) إنشاء المكتبات العامة والخاصة ——— ٦٤
(د) الأكاديميات ——— ٦٥
(٢) تقدم علم التاريخ ——— ٦٨
(٣) ظهور اللغات الحديثة ——— ٦٩
(٤) تطور الفنون الجميلة ——— ٧٢
(٥) تقدم العلوم ٧٩
(٦) تطور الفكر السياسى ——— ٨٣
(٧) أفول النهضة فى إيطاليا ——— ٨٨
- العامل الأول، الحروب الإيطالية ٨٨
- العامل الثانى، حركة الإصلاح الدينى ٨٩

ثانياً : النهضة خارج إيطاليا ٩١
١ - النهضة فى فرنسا ——— ٩١
٢ - النهضة فى إنجلترا ——— ٩٤
٣ - النهضة فى شبه جزيرة أيبريا ٩٦
٤ - النهضة فى الأراضى المنخفضة ٩٨
٥ - النهضة فى ألمانيا ٩٩

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الثالث ١٠١

حركة الإصلاح الدينى

أولا: الطبقة البورجوازية والإصلاح الدينى ١٠٣

ثانياً : الإصلاح الدينى فى ألمانيا: ١٠٦

١ - أسباب الإصلاح الدينى ١٠٦

٢ - حركة الإصلاح الدينى من الداخل ١١٢

أ - يوحنا روخلين ١١٣

ب - ديزيديروس إيرازموس ١١٤

٣ - حركة الإصلاح من الخارج ١١٥

أ - حركة مارتن لوثر ١١٥

ب - حركة الأنابابتيين ١٢٣

جـ - حركة الفرسان ١٢٤

د - ثورة الفلاحين ١٢٥

هـ - مارتن لوثر وثورة الفلاحين ١٢٧

٤ - شارل الخامس والحركة اللوثرية: ١٢٩

- المرحلة الأولى ١٢٩

- المرحلة الثانية ١٣٠

- المرحلة الثالثة ١٣٠

- المرحلة الرابعة ١٣١

- المرحلة الخامسة ١٣٢

ثالثاً : الإصلاح الدينى خارج ألمانيا ١٣٣

- أولريك زفينجلى ١٣٤

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- جون كلفن ---------- ١٣٤

الفصل الرابع
ظهور الدول القومية ١٣٧

الفصل الخامس ١٤٩
الحروب الإيطالية
الدور الأول (١٤٩٤ - ١٥١٥م) ---------- ١٥٣
الدور الثانى (١٥١٥ - ١٥٥٩م) ---------- ١٦٢

١ - المرحلة الأولى ١٥١٥ - ١٥١٩م ---------- ١٦٣
٢ - المرحلة الثانية ١٥١٩ - ١٥٢٩م ---------- ١٦٥
٣ - المرحلة الثالثة ١٥٢٩ - ١٥٤٧م ---------- ١٧٠
٤ - المرحلة الرابعة ١٥٤٧ - ١٥٥٢م ---------- ١٧٢
٥ - المرحلة الخامسة ١٥٥٢ - ١٥٥٩م ---------- ١٧٦

الفصل السادس
الكشوف الجغرافية والموجة الاستعمارية الأولى
من القرن ١٥ إلى القرن ١٨ ١٨٥

أولاً : الملامح العامة للاستعمار فى هذه المرحلة ١٨٥
ثانياً : تعاقب الأدوار الاستعمارية : ٢٠٨
(١) الاستعمار البرتغالى. ٢١٠
(٢) الاستعمار الأسبانى ٢٣٤
(٣) الاستعمار الهولندى ٢٤٤

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(٤) الاستعمار الفرنسى ٢٥٣
(٥) الاستعمار البريطانى ٢٥٩

الفصل السابع

الثورة الفرنسية ٢٧٩

(١) تمهيد : القرنان السابع عشر والثامن عشر ٢٨١

(٢) الثورة الفرنسية ٢٨٧

أولاً : المجتمع الفرنسى عشية الثورة الفرنسية: ٢٨٧

١ - التناقض بين البوجوازيين والإقطاعيين ٢٨٨

٢ - التناقض بين الطبقة الإقطاعية والفلاحين ٢٩٧

٣ - التناقض داخل الكنيسة وبينها وبين الفلاحين ٣٠١

٤ - التناقض بين الإقطاعيين والملكية ٣٠٤

ثانياً : النظرية الثورية (الأيديولوجية): ٣٠٩

ثالثاً : المفجر الثورى، انتصار الطبقة الاقطاعية (أول أغسطس ١٧٨٦ - مايو ١٧٨٩م) ٣١٩

رابعاً : انتصار الطبقة البورجوازية : ٣٣٠

١ - مجلس طبقات الأمة ٣٣٠

٢ - ثورة الصان كيلوت والطبقة الفلاحية ٣٤٢

٣ - الجمعية الوطنية التأسيسية. ٣٥٣

٤ - الجمعية التشريعية ٣٦٤

٥ - المؤتمر الوطنى : ٣٧٣

- الصراع بين الجيروند والجبل ٣٧٤

- محاكمة لويس السادس عشر وإعدامه ٣٧٥

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- انقلاب ٢ يونيه ١٧٩٣م وسقوط الجيروند ٣٧٧
- دكتاتورية حزب الجبل ٣٧٨
- لجنة الخلاص العام ٣٨٢
- عهد الإرهاب الثانى ٣٨٤
- انقسام الجبل وسقوطه ٣٨٥
- انقلاب ٩ تيرميدور وسقوط الجبل (٢٧ يوليو ١٧٩٤م) ٣٨٨
- حركة ١٢ جرمينال (أول أبريل ١٧٩٥م) ٣٩٢
- حركة أول بريريال (٢٠ مايو ١٧٩٥م) ٣٩٣
- نهاية المؤتمر الوطنى فى ٢٦ أكتوبر ١٧٩٥م ٣٩٥

الفصل الثامن

حروب الثورة ونابوليون ٣٩٧
- حروب الثورة ٣٩٩
- حروب حكومة الإدارة ٤٠٦
- حروب عهد القنصلية ٤١٨
- حروب الإمبراطور نابوليون ٤٢٤

- مراجع للاستزادة :

- الخرائـــط :

١ ـ نمو سويسرا (بالإنجليزية) المرجع Fisher, History of Europe

٢ ـ امبراطورية شارل الخامس فى عام ١٥١٥، المرجع: فيشر: أصول التاريخ الأوروبى الحديث.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٣ ـ امبراطورية شارل الخامس فى عام ١٥٢٥ (بالإنجليزية)، المرجع Fisher, Op. cit.

٤ ـ توزيع الكاثوليك والبروتستانت فى أوروبا فى عام ١٦١٠، المرجع: فيشر: المرجع المذكور

٥ ـ أوروبا البروتستانتية والكاثوليكية فى عام ١٦١٠ (بالإنجليزية) المرجع: Fisher, Op. cit.

٦ ـ اتساع رقعة براندنبورج بروسيا: المرجع: فيشر: المرجع المذكور.

٧ ـ نمو براندنبورج بروسيا (بالإنجليزية) المرجع : Fisher, Op. cit.

٨ ـ تقسيم بولندا، المرجع: فيشر: المرجع المذكور : Fisher, Op. cit.

٩ ـ تقسيم بولندا (بالإنجليزية).

١٠ ـ فتوحات نابليون، فيشر: المرجع المذكور.

١١ ـ فتوحات نابليون (بالإنجليزية) Fisher, Op. cit.

١٢ ـ آسيا والشرق الأقصى فى سنة ١٦١٠، المرجع: بانيكار: آسيا والسيطرة الغربية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٣٨٠٤/١٩٩٦

I.S.B.N- 977 - 01 - 5044 - 4

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يختلف هذا الكتاب عن كتب المدرسة التقليدية التى تنظر إلى التاريخ من منظور سياسى فتقلبه على قدميه وتقدم فيه النتائج على المقدمات. فهو يبدأ بظهور الطبقة البورجوازية التى غيرت وجه الحياة فى أوروبا والعالم، ويتتبع نتائج ظهور هذه الطبقة. كما تمثلت فى النهضة الأوروبية، وحركة الإصلاح الدينى، وظهور الدول القومية على أنقاض الاقطاع. ويتناول تطلع هذه الدول القومية إلى التوسع داخل أوروبا وخارجها مما يؤدى إلى نشوب الحروب الإيطالية من جهة، وإلى الكشوف الجغرافية والحركات الاستعمارية من جهة أخرى.

ويتعرض الكتاب للتطورات التى أحدثتها هذه الطبقة البورجوازية فى النظام السياسى فى أوروبا، وانتقالها به من نظام الملكية المطلقة إلى نظام الملكية المستبدة الدستورية فيما عدا فرنسا، الأمر الذى يؤدى إلى نشوب الثورة الفرنسية للقضاء على بقايا الاقطاع واسقاط الحق الإلهى للملوك فى الحكم، فتهب الأسر الحاكمة فى أوروبا للقضاء على الثورة الفرنسية، وتنشب حروب الثورة ونابوليون التى تنتهى بهزيمة نابوليون، وإعادة الدول المنتصرة تقسيم العالم فى مؤتمر فيينا سنة ١٨١٥م، فيبدأ عصر الثورات القومية والدستورية الذى ينتهى بتوحيد إيطاليا على يد كافور وألمانيا على يد بسمارك، ويشتعل التنافس الاستعمارى بين الاستعمار الجديد والاستعمار القديم على نحو يؤدى إلى نشوب الحرب العالمية الأولى التى تسقط فيها أربع امبراطوريات.

وتقوم ألمانيا النازية بعد الحرب على أنقاض القيصرية، فتشعل نيران الحرب العالمية الثانية التى تنتهى بهزيمة الفاشية والنازية، وانقسام العالم إلى معسكرين رأسمالى واشتراكى، وتنشب بين المعسكرين حرب من نوع جديد هى الحرب الباردة فى ظل التوازن الذرى، ويظهر العالم الثالث ودول عدم الانحياز، ويتغير العالم القديم.

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢
الجزء الثانى

تاريخ أوروبا والعالم
فى العصر الحديث

Bibliotheca Alexandrina
0115256

د. عبد العظيم رمضان

الهيئة المصرية
العامة للكتاب

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تاريخ أوربا والعالم في العصر الحديث

من ظهور البورجوازية الأوروبية إلى الحرب الباردة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تاريخ أوربا والعالم الحديث

من ظهور البورجوازية الأوروبية إلى الحرب الباردة

الجزء الثانى

من تسوية مؤتمر فيينا ١٨١٥
إلى تسوية مؤتمر فرساى ١٩١٩

د. عبد العظيم رمضان

الهيئة المصرية العامة للكتاب

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الغلاف للفنان

جمال قطب

الإخراج الفنى

صبرى عبد الواحد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تقديم

يسرني أن أقدم للقارئ هذا الكتاب عن تاريخ أوروبا والعالم الحديث، من ظهور الطبقة البورجوازية الأوروبية إلى الحرب الباردة، ويشتمل على تسعة قرون، تبدأ بالقرن الحادى عشر وتنتهى بالقرن العشرين. وهذه القرون التسعة تضم بين ضفتيها تاريخ العالم الحديث بكل سماته وخصائصه ومعالمه التى تميزه عن العالم الوسيط.

ومعنى ذلك أن هذا الكتاب يختلف عن كتب المدرسة التقليدية فى كتابة التاريخ، سواء فى أوروبا أو مصر، التى تنظر إلى التاريخ من منظور سياسى بحت، وتفسر كل ما يطرأ عليه من تغييرات وتطورات اقتصادية واجتماعية فى ضوء هذا المنظور، فتقلب التاريخ رأساً على عقب، وتقدم فيه النتائج على المقدمات، وتخلط الأحداث السياسية مع الأحداث الاقتصادية والاجتماعية دون تمييز.

وقد تمثل ذلك فيما جرى من خلاف بين فرق المدرسة التقليدية حول بداية التاريخ الحديث. فالبعض بدأ بعصر النهضة فى القرن الرابع عشر، على أساس أنه مرحلة انتقال بين العصر الوسيط والعصر الحديث. والبعض الآخر بدأ بالقرن الخامس عشر على أساس أن هذا القرن هو الذى وقعت فيه الأحداث التى أثرت فى مجرى التاريخ، ففيه سقطت القسطنطينية فى أيدى الأتراك العثمانيين سنة ١٤٥٣م، وسقطت غرناطة فى أيدى قوات فرديناند وإيزابيلا سنة ١٤٩٢م، وبذلك بدأ التاريخ الحديث.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على أن البعض بدأ التاريخ الحديث بالقرن السادس عشر، على أساس أنه القرن الذى ظهرت فيه الدولة الحديثة وحركة الإصلاح الدينى، وما نتج عن هذين الحدثين العظيمين من حروب.

والبعض الآخر بدأ بالقرن السابع عشر، على أساس أنه القرن الذى وقعت فيه حرب الثلاثين عاماً، والثورة العظمى فى إنجلترا، وتفوق فرنسا، وحروب الوراثة الأسبانية. بل إن بعض المدارس السوفيتية حددت بداية التاريخ الحديث بالثورة البورجوازية فى إنجلترا فى القرن السابع عشر.

وواضح أن هذه المدارس تقدم التاريخ مقلوباً على رأسه، إذ تقدم النتائج على المقدمات ـ كما ذكرنا ـ فعصر النهضة كان نتيجة وليس مقدمة للتاريخ الحديث، وظهور الدول القومية الحديثة وحركة الإصلاح الدينى وحرب الثلاثين عاماً، والثورة العظمى فى إنجلترا، وتفوق فرنسا، وحرب الوراثة الأسبانية ـ هذه كلها نتائج لتغيير علاقات الإنتاج التى بدأت بظهور الطبقة البورجوازية فى أوروبا فى رحم المجتمع الاقطاعى، وتغييرها علاقات الإنتاج من علاقات إنتاج إقطاعية إلى علاقات إنتاج بورجوازية، وبذلك تغير البناء الفوقى تغيراً كلياً، وهو ما يمثل التاريخ الحديث.

فالتاريخ الحديث هو تاريخ الطبقة البورجوازية بقدر ما يعتبر تاريخ العصور الوسطى هو تاريخ الطبقة الإقطاعية، والعصور التاريخية تبدأ بتغير علاقات الإنتاج، ولا تبدأ بأحداث سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية، فهذه العلاقات تمثل البناء التحتى الذى ينبنى فوقه البناء السياسى والعسكرى والقانونى والدينى والفنى والأدبى والفكرى والعلمى والعلاقات الدولية وكل ما يكوِّن الحضارة البشرية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومن هنا كان علينا فى هذا الكتاب أن نقيم التاريخ على قدميه بعد أن كان مقلوباً على رأسه. فنبدأ بالطبقة البورجوازية الأوروبية التى غيرّت وجه الحياة فى أوروبا والعالم، وصبغتها بصبغتها، وننتقل إلى نتائج ظهور هذه الطبقة فى البناء الفوقى، المتمثلة فى النهضة الأوروبية التى نشأت على يد الطبقة البورجوازية فى المدن التجارية فى إيطاليا، وما أحدثته من تغيير فى الفكر والفلسفة والعلوم والفنون والاعتقاد.

ثم ننتقل إلى حركة الإصلاح الدينى باعتبارها إحدى نتائج ظهور الطبقة البورجوازية، وما قامت به من إعادة النظر فى الحياة الدينية التى كانت خاضعة للكنيسة فى العصور الوسطى، بحكم سيطرتها على الدين وقراءة الإنجيل، وامتلاكها وسائل الإنتاج.

ثم ننتقل بعد ذلك إلى ظهور الدول القومية كنتيجة لتحطيم حواجز الإقطاع على يد الطبقة البورجوازية، واتجاه هذه الدول القومية إلى إثبات ذاتها عن طريق التوسع فى أوروبا، الأمر الذى يؤدى إلى «الحروب الإيطالية»، وكذلك التوسع خارج أوروبا، وهو ما يؤدى إلى حركة الكشوف الجغرافية والمرحلة الاستعمارية الأولى، وهى الحركة التى قامت على يد الطبقة البورجوازية ولم تقم على يد الطبقة الإقطاعية التى كانت بعيدة بتفكيرها عن التطلع إلى ما وراء البحار.

ثم يمضى تاريخ العالم الحديث على يد الطبقة البورجوازية، فتغير النظام السياسى فى أوروبا الذى كان قائماً على أساس نظام الملكية المطلقة فى القرن السابع عشر، إلى نظام الملكية المستبدة المستنيرة فى القرن الثامن عشر، والذى كان سائداً فى دول أوروبا فيما عدا فرنسا، فتنشب الثورة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفرنسية بفكر قومى واجتماعى جديد يستهدف القضاء على بقايا الإقطاع، وهدم الطبقة الإقطاعية وإسقاط الحق الإلهى للملوك فى الحكم الذى ساد فى القرنين السابع عشر والثامن عشر، وقيام الدولة القومية على أساس تشخيص الشعب للدولة وليس الملك كما كان الحال منذ بداية العصر الحديث.

ولكن يترتب على هدم الحق الإلهى للملوك فى الحكم أن تهب الدول والأسر الحاكمة فى أوروبا التى تستشعر الخطر، لمحاربة الثورة الفرنسية، وإخماد فكرها الثورى حتى لا ينتقل إلى الدول التى تحكمها، وبذلك تفسح المجال لظهور نابليون للدفاع عن مبادئ الثورة الفرنسية، وإعادة تقسيم أوروبا على أساس هذه المبادئ، فتنقسم أوروبا بين النظم الديموقراطية والنظم الاستبدادية. ولكن النظم الاستبدادية تنتصر على نابليون، وتعيد فى مؤتمر فيينا الذى عقد بعد هزيمة نابليون، الأسر الحاكمة الاستبدادية القديمة.

وهنا يتغير تاريخ أوروبا بالحركات القومية والدستورية التى تتصارع مع النظم الاستبدادية التى فرضت سيطرتها من جديد على أوروبا، وتتلقى هذه الحركات دعماً من علاقات الإنتاج البورجوازية الجديدة التى ظهرت بعد أن هدمت الثورة الفرنسية علاقات الإنتاج الإقطاعية القديمة، فيحدث التطابق بين علاقات الإنتاج ووسائل الانتاج، ويترتب على ذلك الثورة الصناعية التى انتقلت بالبورجوازية الأوروبية إلى مرحلة جديدة من حياتها، هى مرحلة توحيد السوق الداخلية فى البلاد التى نضجت لهذا التوحيد، وتحقيق وحدتها القومية بالتالى.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لذلك تتحقق الوحدة الإيطالية على يد كافور، وفى ألمانيا على يد بسمارك. وفى الولايات المتحدة يكون انتصار الشمال الرأسمالى فى الحرب الأهلية الأمريكية بداية تحقيق الوحدة القومية الأمريكية على أسس راسخة. وفى اليابان تتمكن البورجوازية اليابانية الصناعية من نقل اليابان من مرحلتها الإقطاعية إلى المرحلة الرأسمالية.

وكل ذلك يدفع البورجوازية فى العالم الصناعى، بعد توحيد سوقها الداخلية، إلى البحث عن أسواق جديدة، ولكنها تختلف عن الأسواق القديمة فى المرحلة التجارية فى أنها أسواق للحصول على المواد الخام اللازمة للصناعة بأرخص الأسعار، وتسويق المنتجات الصناعية التى تضخها مصانع أوروبا وأمريكا واليابان بأغلى الأسعار.

ويتطلب الصراع على الأسواق فى أواخر القرن التاسع عشر عقد الاتفاقات الاستعمارية من جديد لتقسيم الأسواق، فيتم تقسيم أفريقيا فى مؤتمر برلين فى عام ١٨٨٤م و١٨٨٥م، وفى الوقت نفسه تقوم التحالفات الأوروبية وفقاً لمبدأ توازن القوى، ولكن كل ذلك يفشل فى منع الحرب، فتنشب الحرب العالمية الأولى فى عام ١٩١٤م وتستمر أربع سنوات.

وعندما تنتهى الحرب العالمية الأولى تكون قد اختفت الإمبراطوريات الأربع التى ظلت تملأ صفحات التاريخ الأوروبى بالحروب، وهى: إمبراطورية النمسا والمجر، والإمبراطورية العثمانية، والإمبراطورية الروسية، والإمبراطورية الألمانية، وتسقط بذلك أسرتا «الهابسبورج» وآل عثمان، وأسرة رومانوف، وأسرة هوهنزوليرن.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتتعلم البورجوازية الغربية الدرس، فتعيد تقسيم العالم من جديد على أسس قومية، بعد أن أصبحت الدولة القومية لا محيص عنها لتوحيد السوق الداخلى، وتأتى بنظام دولى جديد هو نظام عصبة الأمم، وتحاول وضع العملاق الألمانى فى قمقم باقتطاع أطرافه وضمها إلى الدول القومية المجاورة. وفى الوقت نفسه ينهار النظام الإقطاعى والرأسمالى فى روسيا بانتصار الثورة الاشتراكية فى أثناء الحرب.

وهنا يظهر، كرد فعل مضاد له، النظام الفاشى فى ألمانيا النازية وإيطاليا الفاشية، ويكون هذا النظام الفاشى تعبيراً عن دكتاتورية الطبقة البورجوازية لحماية نفسها من النظام الشيوعى. ويؤدى الصراع الاستعمارى من جديد بين الدول الليبرالية والشيوعية من جهة، والدول الفاشية من جهة أخرى، إلى الحرب العالمية الثانية، بعد فشل نظام عصبة الأمم وعجزها عن منع الحرب.

وتنتهى الحرب بهزيمة الدول الفاشية والنازية، وانتصار الدول الليبرالية والشيوعية، وتحاول الدول المنتصرة تقسيم العالم من جديد على أسس القومية، وتقيم على أنقاض عصبة الأمم نظام هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن.

ولكن التناقض بين النظم الليبرالية والنظم الشيوعية يدفع إلى صراع دولى على أساس جديد، وهو الأساس الأيديولوجى، حيث تواجه البورجوازية الغربية أكبر تحد لها على مدى تاريخها من جانب نظام يقوم على طبقة البروليتاريا، وتكاد تتحقق نبوءة ماركس بأن البورجوازية فى نموها تنمو معها بذور فنائها، وهى الطبقة العاملة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويؤدى هذا الصراع إلى نوع جديد من الحروب لم تشهده البشرية، وهى الحرب الباردة. وهى التى نختم بها هذا الكتاب.

وسوف يلاحظ القارئ أن هذا الكتاب، على الرغم من أنه يدور فى إطار أيديولوجى، فإنه يتبع المنهج التاريخى من ناحية تقسيماته التى تقوم على أساس زمنى، وهو أمر طبيعى استلزمه تتبع النشاط السياسى والاقتصادى والاجتماعى للبورجوازية الأوروبية، والذى كان يحدث بشكل تكاملى ومراحل تترتب على مراحل.

وبالنسبة لكتاب فى هذا الحجم كان من الضرورى إعطاء أولويات فى التناول، وتوسيع فى بعض الموضوعات وتضييق فى بعضها الآخر، وفقاً لرؤية المؤرخ. كما تطلب ذلك التركيز على بعض الموضوعات والاكتفاء بالإشارة إلى موضوعات أخرى فى شكل تحليلى. وهذا ما يميز الكتب عن الموسوعات التاريخية، فهدفنا هو أن يلم القارئ بما طرأ على العالم الحديث من تطور تاريخى فى إطار كتاب محدود بصفحاته وليس فى إطار موسوعة تتكون من مجلدات.

وقد حرصت حرصاً شديداً على أن أتبع كل اسم أجنبى بحروفه اللاتينية، لأنها الأساس فى النطق، ولأن تعريب الأسماء يخضع لاجتهادات المؤرخين وفقاً لاتساع معرفتهم باللغات المختلفة، وبالتالى فإن معرفة الأسماء وفقاً لحروفها العربية فيه تضليل كبير للقارئ الذى من الأفضل له أن يعرف الشكل الأجنبى الذى هو الأساس. وإن كان ذلك لم يمنعنا من كتابة الأسماء التى تعورف عليها بين المؤرخين وفقاً لاجتهاداتهم، اعتماداً على أن إثبات النص الأجنبى فيه الكفاية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهذا ما دعانى إلى تقديم الخرائط فى غالبيتها فى هذا الكتاب بلغتها الإنجليزية، اعتماداً على أننى قدمت للقارئ اسم البلد بالحروف اللاتينية إلى جانب الحروف العربية، وبالتالى فلا صعوبة أمامه فى العثور على بغيته فى الخرائط الأجنبية. هذا فضلاً عن أن الخرائط الأجنبية أكثر دقة ولا لبس فيها ولا غموض. ووجودها فى هذا الكتاب يغنى القارئ عن اللجوء إلى الكتب الإنجليزية التى قد يصعب حصوله عليها. وقد آثرت وضع الخرائط جميعها فى نهاية الكتاب لسهولة الرجوع إليها فى فهرس الكتاب.

وقد ذيلت الكتاب بعدد كبير من المراجع لمن يرغب فى الاستزادة، واعترافاً بفضلها فى تحضير مادة هذا الكتاب، وهى كتب إنجليزية، ومترجمة عن الإنجليزية أو الفرنسية أو عربية. وقد أودعت فى هذا الكتاب خلاصة خبرتى فى تدريس التاريخ الأوروبى وتاريخ العالم فى الجامعات المصرية إنطلاقاً من المادية التاريخية التى أرى أنها أقوى أداة لتفسير التاريخ.

والله الموفق ...

أ. د. عبدالعظيم رمضان

الهرم فى ١٥ يوليو ١٩٩٦م

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل التاسع

تسوية مؤتمر فيينا

سبتمبر ١٨١٤ - يونية ١٨١٥م

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل التاسع

تسـوية مؤتمـر فيينـا
سبتمبر ١٨١٤ - يونية ١٨١٥م

كان على أثر انتهاء الحروب النابليونية أن عقد مؤتمر من الدول الأوروبية المتحالفة Congress فى فيينا لمعالجة المشكلات السياسية التى نجمت عن هذه الحروب، وإعادة بناء الخريطة الأوروبية.

ولما كان هذا المؤتمر قد ألقى بظله على أوروبا طوال القرن التاسع عشر تقريبا، فيهمنا فى البداية أن نقدم بعض الملاحظات المتعلقة به.

أولاً : أن هذا المؤتمر لم ينعقد لإبرام الصلح، لأن شروط الصلح كان قد تم وضعها فى معاهدة باريس الأولى فى ٣٠ مايو ١٨١٤م، وبذلك أصبحت الحرب منتهية فعلا وقانونا بين فرنسا والدول المتحالفة ضدها - وانما انعقد المؤتمر للبحث فى شئون أوروبا العامة وتسوية المشكلات التى تجمعت عن هذه الحروب الطويلة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثانياً : أنه على الرغم مما سوف نجده من تناقض فى تسوية فينا، فمن الممكن اعتبارها بداية قرن من التقدم والاستقرار والتوسع، لأنها استهلت أطول فترة لم تعكرها حرب شاملة – فترة لم تعرفها أوروبا منذ أيام السلم الرومانى فى القرنين الأول والثانى بعد الميلاد.

ثالثاً : أن الغرض من عقد المؤتمر لم يكن إعادة تنظيم شئون أوروبا على قواعد جديدة باعتبار أن النظام الأوروبى «قد انهار من أساسه نتيجة لحروب الثورة ونابليون»، وإنما اجتمع المؤتمر لإعادة النظام القديم بعد إجراء بعض التحسينات عليه، فقد كان هذا النظام فى نظر ساسة أوروبا فى ذلك الحين ـ وهو الذى يقوم على احترام السلطات الحكومية، وتمجيد التقاليد، والمحافظة على التوازن ـ خير نظام وجد ليضمن سيادة القانون.

رابعاً : أن إصرار ساسة فيينا على إعادة الحال فى أوروبا إلى ماكان عليه، مع تجاهل أثر الثورة، قد أدى إلى اعتبار فترة انعقاد المؤتمر، ثم الفترة التى شهدت رجوع الملكيات السابقة إلى الحكم، والعودة إلى الأنظمة القديمة عموما، عهد الرجعية فى أوروبا.

وكان الأصل فى نشأة هذا المؤتمر أنه نص فى معاهدة باريس الأولى ٣٠ مايو ١٨١٤م فى مادتها الـ ٣٢، على أن تتعهد الدول

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المشتركة فى الحرب من كلا الطرفين، بإرسال مندوبيها فى خلال شهرين إلى فينا، للاجتماع فى مؤتمر عام لوضع التسوية التى تضمنتها نصوص هذه المعاهدة.

وعلى ذلك صار المؤتمر يتألف من الدول التى وقعت معاهدة باريس الأولى، وكانت سبعة، هى: بريطانيا، وروسيا، والنمسا، وبروسيا، والسويد، واسبانيا، والبرتغال.

على أن النشاط فى المؤتمر انحصر، بموجب اتفاق بين الدول الكبرى، بين أربع دول فقط، هى: بريطانيا، وروسيا، والنمسا، وبروسيا، التى تألف منها ماعرف باسم لجنة الأربعة. ثم نجح تاليران فى اجتماع المؤتمر أن يجعل الدول توافق على انضمام فرنسا إلى هذه اللجنة التى تحولت إلى «لجنة الخمسة».

وكانت لجنة الخمسة هذه هى المؤتمر فعلا التى استأثرت بإنجاز القرارات فى المسائل المهمة. وعندما انتهى المؤتمر من أعماله انضمت ثلاث دول أخرى هى: السويد، واسبانيا، والبرتغال إلى الدول الخمس فى التوقيع على قرار المؤتمر النهائى Final Act فى ٩ يونيه ١٨١٥م.

وقد شهد مؤتمر فيينا عدد عظيم من الشخصيات التاريخية، على رأسهم مترنيخ Metternich وزير النمسا، الذى تمكن من السيطرة على شئون القارة الأوروبية فترة طويلة من الزمن، حتى عرف نظام المراقبة والمقاومة للشعوب الذى فرضه باسم «نظام مترنيخ».

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد تفرع عن المؤتمر عدد من اللجان الأخرى لدراسة الموضوعات التفصيلية وإعداد البيانات اللازمة.

ومن هذه اللجان لجنة الثمانية التى وقعت القرار النهائى فى ٩ يونية ١٨١٥م. وكانت مهمتها تلقى القرارات والبحوث الخاصة بالمسائل الأوروبية المهمة. وقد درست هذه اللجنة موضوع «تجارة الرقيق»، ومسألة «الاتحاد السويسرى».

ثم «اللجنة الألمانية»، ومهمتها بحث شئون ألمانيا ووضع دستور لها.

ثم لجنة الإحصاءات، ومهمتها تعداد السكان فى الأرض التى يراد استبدالها وإعطاؤها كتعويض كجزء من التسويات.

وقد اشتهر من سكرتارية المؤتمر اثنان «فردريك فون جينتز» Gentz الروح الشريرة المتسلطة على مترنيخ، وشيطانه الذى لايفارقه، والآخر «دى مارتنس» Martens وهو صاحب مجموعة معروفة للمعاهدات الدولية.

وقد تناول المؤتمر مسائل تسع :

١ ـ المسألة البولندية السكسونية.

٢ ـ حدود الراين.

٣ ـ بلجيكا وهولندا.

٤ ـ الدانمارك والسويد.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٥ ـ سويسرا.

٦ ـ إيطاليا.

٧ ـ الاتحاد الألماني.

٨ ـ الأنهار الدولية.

٩ ـ تجارة الرقيق.

وقد قامت تسوية فينا على عدة أسس :

أولاً : مبدأ توازن القوى.

ثانياً : التعويضات الإقليمية.

ثالثاً : الحق الشرعي للملوك.

رابعاً : تأمين أوروبا من الخطر الفرنسي.

وبالنسبة لمبدأ توازن القوى – فقد أُرجعت فرنسا إلى حدودها السابقة، التي كانت عليها قبل حروبها الأخيرة (أي إلى حدود عام ١٧٩٢م)، لإعادة التوازن الدولي في أوروبا. وحرصت التسوية على عدم إعطاء ميزات لأية دولة أخرى من الدول العظمى تجعلها قوية بالدرجة التي تمكنها من السيطرة بمفردها على شئون أوروبا، أو القدرة على المغامرة بالحرب وإحراز النصر على الدول الأخرى.

وكانت هناك مجموعتان من الدول العظمى:

المجموعة الأولى : في غرب أوروبا، وهي بريطانيا وفرنسا.

والمجموعة الثانية : في شرق أوروبا وهي روسيا وبروسيا والنمسا.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد اتخذ مبدأ التعويضات لخدمة مبدأ التوازن الدولى،وذلك بتعويض الدولة العظمى عما تفقده من أراض تستوجبها التسوية بأراض أخرى، بحيث تكون النتيجة النهائية حصول كل دولة عظمى على الأراضى التى كانت فى حوزتها عام ١٨٠٥م، أو ما يعادلها.

وقد نفذ ذلك بكل دقة، إلا فى حالة روسيا التى كانت تتفاوض من مركز قوة، بسبب وجود مائتى ألف من جنودها فى بولندا. فنالت أكثر مما نالته مثيلاتها من الدول الكبرى.

وبناء على ذلك حصلت روسيا على فنلندة من السويد، ثم على بسارابيا من تركيا، وبسطت سلطانها على دوقية وارسو، التى أنشأها نابليون فى الأراضى البولندية التى كانت أصلا فى حوزة روسيا والنمسا، وقد استولت روسيا عليها فى أثناء حرب التحرير من ١٨١٣ ـ ١٨١٥م، فاستطاعت بذلك أن تنفذ إلى وسط أوروبا.

أما النمسا التى أرادت توحيد قوتها فى وسط وجنوب أوروبا وبعيدة عن كل اتصال مباشر بفرنسا – فقد رفضت استرداد ممتلكاتها فى بلجيكا، لبعدها وصعوبة الدفاع عنها، ونالت تعويضا عنها فى شبه الجزيرة الإيطالية، التى كان مترنيخ يريد أن يجعل منها مجرد تعبير جغرافى ليس إلا، فاسترجعت إقليم الميلانيز (لامباردى) الذى خضع لها منذ معاهدة أوترخت ١٧١٣م، كما حصلت على البندقية ودلماشيا وكافة الجزر التى كانت لجمهورية البندقية ١٧٩٧م، ماعدا جزر أيونيان. وقد أصبحت النمسا بفضل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

استيلائها على البندقية وشاطئ الأدرياتيك دولة بحرية. كما استولت على التيرول وسالزبورج.

أما بروسيا فقد أخذت من الدانمارك بوميرانيا السويدية Pomerania مقابل تنازلها للدانمارك عن دوقية لونبرج Lauenburg. كما حصلت على مقاطعة وستفاليا Westphalia (على الراين) بدلا من سكسونيا التى كانت تريدها بدلا من نصيبها من المقاطعات البولندية، وحصلت فى منطقة الراين على تعويض يتمثل فى الإمارات الكنسية القديمة التى كان نابليون قد استولى عليها فى «ماينز» وتريف وكلونيا، مع غيرها من المطرانيات. وهذا إلى جانب عدد كبير من الإمارات العلمانية، والمدن الإمبراطورية الحرة التى كان نابليون قد استولى عليها أيضا. فتألف من هذه جميعها مقاطعة الراين السفلى، وهى أراض ألمانية الدم واللسان. ومن الغريب أن بروسيا لم تتحمس لهذه النتيجة الأخيرة التى جعلت منها فى النهاية البطلة القومية لألمانيا فى مواجهة فرنسا!

أما بريطانيا فقد احتلت جزيرة هلجولاند Helgoland (فى بحر الشمال) من أملاك الدانمارك. ثم احتفظت بمالطة، وجزر الأيونيان، ومستعمرة الرأس الهولندية، وسيلان، وديمارارا (فى جوايانا Gui-ana البريطانية)، وسان لوشيا، وتوباجو، وترينيداد Trinidad.

وبالنسبة لفرنسا فقد أحاطها المؤتمرون بحلقة من الدول القوية لمنعها من استئناف اعتدائها، فضموا بلجيكا إلى هولندا تحت تاج

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أورانج Orange (اتفق الحلفاء فى معاهدة باريس الأولى على إعادة هولندا إلى الوجود وتوسيع أراضيها، وأعطوا الأراضى الواقعة على ضفة الراين اليسرى إلى بروسيا ـ كما رأينا. ثم دعموا استقلال سويسرا بضمان حيادها. ثم أعطوا جنوا Genoa إلى بيدمونت لتقويتها على الحدود الشرقية الجنوبية بالنسبة لفرنسا. وكان ذلك تطبيقا لمبدأ تأمين أوروبا من الخطر الفرنسى.

أما مبدأ الحق الشرعى للملوك فقد طبق بالنسبة للممالك التى نحىً نابليون أصحابها عن عروشهم وضمها إلى فرنسا، وذلك فيما عدا الأسر الحاكمة التى كان يسنوء المؤتمر رجوعها، أو التى أراد توزيع أملاكها فى شكل تعويضات تعطى للدول التى تولى المؤتمر التصرف فى أملاكها. (وقد جرى ذلك كله دون أخذ رأى الشعوب، وفقا لما أخذ به العرف الدبلوماسى فى القرن الثامن عشر).

فأعيدت أسرة سافوى Savoy إلى مملكة بيدمونت – ساردينيا Sardinia - Piedmont وضمت إليها جمهورية جنوة كما ذكرنا. وأصبحت لامباردى والبندقية إقليمين تابعين لآل هابسبرج Habs-burg. وفى نابولى توج فردينانند الأول، أحد المطالبين بعرش البوربون، ملكا على الصقليتين The Two Sicilies. فى حين ظهرت فى وسط إيطاليا الولايات البابوية من جديد تحت الحكم الدنيوى للبابا بيوس السابع. كذلك انتصر مبدأ الحق الشرعى فى شبه جزيرة أيبريا باستعادة فرديناند السابع للعرش الأسبانى،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وخضوع البرتغال لأسرة براجانزا Braganza (جون السادس ١٨١٦ ـ ١٨٢٦م).

وقد كان مبدأ الحق الشرعى هو الورقة الرابحة التى اتخذها تاليران فى إعادة فرنسا غير مبتورة إلى أسرة البوربون.

* نتائج مؤتمر فينا :

١ ـ ترتب على عودة الملوك والأمراء السابقين إلى حكوماتهم القديمة، ورجوع النظام القديم، أن انتشرت الملكيات المطلقة فى أوروبا بعد المؤتمر، فلم يزد عدد الدول التى كان لها دستور تقيد حكومتها على ستة فقط هى: إنجلترا، وفرنسا، والأراضى المنخفضة، والجمهوريات السويسرية الأرستقراطية التى يضمها اتحاد سويسرة الكونفديرالى، والنرويج، ومملكة بولندا الجديدة. وحتى هذه الدساتير أبقت السلطة الفعلية فى يد الملك أو فى يد أرستقراطية صغيرة.

٢ ـ ترتب على مبدأ التوازن الدولى والتعويضات قيام دول غابت فيها روابط اللغة والجنس والشعور بالمصلحة المشتركة والهدف المشترك أو الاتفاق فى المذهب، مثل النمسا التى أصبحت تضم بين حدودها مجموعة من الأمم لايربط بينها رابط.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كما ترتب على هذين المبدأين أيضا تجزئة إيطاليا وألمانيا وبولندة ـ الأمر الذى أدى إلى قيام أحزاب وطنية فيها لتحقيق الأهداف القومية والديمقراطية. ولما كانت إمبراطورية النمسا تضم فى حدودها كما ذكرنا أكبر مجموعة من الأمم ذات الأهداف القومية والديمقراطية، التى يهدد تحقيقها كيان الإمبراطورية نفسه، فقد اهتمت النمسا قبل غيرها من الدول باتخاذ الإجراءات السريعة والحازمة من أجل القضاء على هذه الحركات الثورية.

وقد لخص مترنيخ الموقف فى قوله: «إن غرض الجماعات الثورية واحد لايتغير، وهو قلب كل نظام حكومى قانونى قائم. فالواجب على الملوك أن يقابلوا هذا بمبدأ واحد لايتغير أيضاً، هو المحافظة على كل نظام قانونى قائم».

«ولم يلبث أن نشب ذلك الصراع المستعر، الذى استمر طيلة القرن التاسع عشر، عندما صارت بلجيكا تطالب بالانفصال عن هولندا، والنرويج عن السويد، وصارت بولندا تنشد استقلالها، وتحاول كل من إيطاليا وألمانيا تحقيق وحدتها. ثم صارت الثورة فى الدويلات الأقل أهمية تسعى للتخلص من حكامها الرجعيين، وإنشاء الحكومات الوطنية والقومية الدستورية، والتحرر من السيطرة الأجنبية المفروضة عليها.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٣ ـ ترتب على زيادة نفوذ النمسا فى شبه الجزيرة الإيطالية، فى الوقت الذى كانت تتمتع بنفوذ كبير فى ألمانيا، نظرا لأن الإمبراطور النمساوى كان رئيس الاتحاد الكونفدرالى بها ـ أن تأخرت وحدة إيطاليا، وتعطل اتحاد ألمانيا لمدة خمسين عاما تقريباً، أى حتى ١٨٧٠ - ١٨٧١م.

٤ ـ ترتب على انسحاب النمسا من الحدود الفرنسية ـ بتخليها عن بلجيكا ـ ثم حصول بروسيا على بعض الأقاليم الواقعة على نهر الراين ـ أن أصبح منوطا ببروسيا حق الدفاع عن ألمانيا عموما، فارتفع شأن بروسيا، ثم انتقلت إليها تدريجيا الزعامة فى ألمانيا حتى صارت قبلة أنظار الدويلات والإمارات الصغيرة التى تطلعت إليها فى الدفاع عنها، واضطرت بروسيا إلى إنشاء جيش قوى لتأدية هذه المهمة. يضاف إلى ذلك أن منح بروسيا أقاليم متفرقة فى أنحاء ألمانيا، قد جعلها مرغمة على العمل لربط هذه الأقاليم بعضها ببعض، فكان ذلك البداية السياسية التى أفضت إلى تشييد صرح الاتحاد الألمانى.

٥ ـ بالرغم من عيوب تسوية فينا، فقد نجحت فى تحقيق الغرض المباشر منها، الذى كانت الدول التى وقعتها تهدف إليه، وهو إقامة نظام دائم للتوازن الدولى، وهو نظام استطاع، على الرغم مما طرأ عليه من تبدل بسيط بانفصال بلجيكا عن هولندا سنة ١٨٣١م، وتمكن إيطاليا من الخطو خطوة كبيرة نحو وحدتها

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى سنتى ١٨٥٩، ١٨٦٠م ـ أن يخدم السلام لمدة طويلة، فلم يعكر صفو السلام فى هذه الفترة سوى قيام حرب القرم ١٨٥٣ ـ ١٨٧٦م، وفيما عدا هذه الحرب التى وقعت فى ميادين بعيدة، فلم تنشغل الشعوب والدول بحروب كبيرة.

وفى الحقيقة أن نظام التوازن الدولى، الذى أقامته تسوية فينا، لم يتصدع إلا بقيام الحرب السبعينية بين ألمانيا وفرنسا، والتى فقدت فيها فرنسا الألزاس واللورين بعد أن استولت عليها الإمبراطورية الألمانية الجديدة بقيادة المستشار بيسمارك ١٨٧١م.

٦ ـ كان بفضل السلام الدائم والطويل الذى أوجدته التسوية أن تهيأت الفرصة لقيام وانتشار الثورة الصناعية فى أوروبا، وتبعاً لذلك، نمو النظام الرأسمالى فى إنجلترا ثم فى سائر أوروبا.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل العاشر

الحركات القومية والدستورية في القرن التاسع عشر

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الحركات القومية والدستورية في القرن التاسع عشر

(١) الفكرة القومية :

تعرض مفهوم الدولة القومية التى ظهرت على انقاض النظام الاقطاعى، لتغيير كبير منذ القرن ١٧، كنتيجة لازدياد ثراء الطبقة البورجوازية ثراء فاحشا عن طريق تدفق كميات الذهب والفضة على أوروبا بعد حركة الكشوف الجغرافية والاستعمار.

فلم يعد الأساس فى قيام هذه الدولة هو ولاء الأفراد للملك الذى يمثل شخصية هذه الدولة، وإنما أصبحت تقوم على أساس الولاء للحكومة التى تمنح الحريات للشعب. وبمعنى آخر بعد أن كان الملك هو الذى يشخص ويمثل الدولة القومية، أصبحت الأمة هى التى تشخص الدولة القومية.

وتلك هى الفكرة القومية الحديثة التى تعنى أن الدولة تطابق الأمة، أو أن الأمة والدولة يجب ان تكونا متطابقتين، كما تعنى أن الأمة يجب أن تحكم نفسها بنفسها.

ومن ذلك يتضح فى جلاء أن الديموقراطية «الليبرالية» تعتبر الوجه الآخر «للقومية»، لأنه بينما تدعو القومية إلى ضرورة تحرير الأمة من السيطرة الأجنبية، وإقامة الحكومة الوطنية، فإن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الديموقراطية الليبرالية تدعو إلى أن تتمتع الأمة، بعد التحرر من السيطرة الأجنبية، بحق حكم نفسها بنفسهاعن طريق دستور يجعلها مصدر السلطات.

وهنا يجدر بنا أن نوضح بعض الملاحظات :

أولاً :

أن هذه الفكرة القومية الحديثة لم تنشأ إلا بعد التطور الذى لحق معنى «الأمة»، والذى دار بها دورة كاملة، حيث كان مفهومها فى البداية هو مفهوم «الجماعة السياسية» التى تعيش تحت حكم ملك واحد يشخص الدولة، حتى ولو كانت تنتمى إلى أمم شتى بالمعنى الحديث، وبذلك كان مفهوم الأمة يقترب من مفهوم الدولة بمعنى معين.

ولكن هذا المفهوم تغير إلى مفهوم الجماعة القومية»، أى التى تربط بين أفرادها مجموعة من الخصائص والمقومات تتعدى مجرد تواجدها فى ظل دولة واحدة تحت حكم ملك واحد، والتى تسعى للاستقلال بنفسها فى إطار دولة ديموقراطية تكون لها فيها الكلمة العليا وليس للملك أو أى سلطة أخرى. وهو مفهوم يجعل الأمة والدولة شيئاً واحدا بمعنى مختلف عن المعنى الأول، سواء بالنسبة للأمة أو الدولة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثانياً :

أن الحركات القومية الحديثة بمعناها المكتمل لم تظهر تلقائيا، وإنما أفرزها فكر فلسفى نظرى تناول هذه الفكرة بالتفسير فى السنوات السابقة على الثورة الفرنسية. وقد نشأ هذا الفكر فى مدرستين:

المدرسة الأولى :

هى المدرسة الفرنسية، وهى مدرسة القومية الواعية، أو القومية الإرادية. وقد خرجت إلى الوجود بعد ١٧٦٠م. بعد أن نشر روسو فى ١٧٦٢ كتابه المشهور عن «العقد الاجتماعى»، ثم كتابه الآخر عن «الحكومة فى بولندة».

وتعتبر هذه المدرسة نتاجا للتطور التاريخى الخاص بفرنسا، وهو تاريخ بلاد تكونت من عوامل مختلفة، وامتزجت امتزاجا تاماً لتصبح كلا واحداً، تحت تأثير ترابط واندماج سياسى ترتب عليه أن «الدولة» و «الأمة» و «القومية» أصبحت كلها مدلولات لشئ واحد. وفى هذه المدرسة كانت القومية «عقدا» أبرمته إرادة المتعاقدين الحرة الطليقة.

المدرسة الثانية :

هى المدرسة الألمانية. وهى مدرسة القومية اللاإرادية، وأبرز مفكريها هردر Herder. وهى أيضا نتاج تطور تاريخى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

خاص بألمانيا، فهى بلاد افتقرت إلى الاندماج والرباط السياسى، وكانت مكونة من شعب استقر فى رقعة ممتدة من نهر الراين غربا إلى نهر الأودر شرقا، وظل بمنأى عن كل غزو أجنبى أو سيطرة أجنبية عليه، ولم ينتم لبلد معين، وإنما لعدد من البلدان، واستمر خاضعا لتأثير فكرة الإمبراطورية فى العصر الوسيط، وهى فكرة تتخطى حدود الدولة بالضرورة.

فالإمبراطورية تتخذ مكانها فوق كل الدول، والإمبراطور يتخذ مكانه فوق كل الملوك، والإمبراطور هو الذى يمثل الفكرة المسيحية فى عالم السياسة كما يمثل البابا هذه الفكرة فى عالم الدين.

ومن ثم فإن القومية ـ حسب هذه المدرسة ـ استندت إلى شئ آخر هو «اللغة»، التى تمثلت فيها وحدة الأصل عند هذا الشعب، والتى تعتبر العنصر البدائى المشترك.

والأمة ـ من ثم ـ عبارة عن «كائن حى ينمو تحت تأثير قوة عليا»، وتتأكد فيه بعض الصفات الوراثية، وهى رابطة اللغة والعادات والتقاليد. فالأفراد ينتمون لنفس القومية حين تكون لهم نفس الصفات المشتركة،حتى ولو لم يعوا هذا الترابط، ولم يظهروا رغبة فى المعيشة المشتركة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وعلى هذا النحو، بينما كانت القومية فى المدرسة الفرنسية نتاج إرادة وعقد، فإن القومية فى المدرسة الفرنسية هى من صنع الطبيعة، ونتاج حياة تاريخية، ولا إرادة للإنسان فيها.

ولاريب أن هذا المفهوم للقومية فى المدرستين الفرنسية والألمانية قد تطور مع الزمن خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، ولكن أساس كل منهما ظل ثابتاً، وقد طبعا الحركات القومية فى هذين القرنين، من حيث الارتباط الحر والإرادة المشتركة واللغة.

ثالثاً :

أنه وإن كانت الفكرة القومية الحديثة قد أفرزها فكر فلسفى نظرى وعوامل إقتصادية معينة، فإن هذا لايعنى أن القوميات ذاتها قد نشأت نتيجة لهذا الفكر وتلك العوامل، وإنما كانت لهذه القوميات أصولها التاريخية.

وبمعنى آخر، أنها كانت موجودة بالفعل، ولكن الشعور بها كان غائبا، فكانت مهمة النظرية هى إيقاظ ذلك الشعور. وبعض هذه القوميات كانت متداخلة مع غيرها بحيث يتعذر تمييز حدودها اللغوية، كشعوب البلاد السلافية Slavonic، أو التى تتألف منها إمبراطورية الهابسبرج Habsburg وتلك كانت آخر القوميات التى اكتمل شعورها بذاتها.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولكن إلى جانب هذه كانت توجد أمم أخرى متميزة احتفظت بذاتيتها القومية، ولكنها فقدت ذاتيتها السياسية منذ أزمنة طويلة، لخضوعها لسيطرة دولة أجنبية، مثل بلاد اليونان، وهذه يستمر وجودها دون أن يكون لها شعور بهذا الوجود.

وإلى جانب هذين النوعين كانت هناك دول مصطنعة، تدخلت فى تأسيسها أصلا عوامل سياسية وقانونية معينة، ثم تمكنت بتوافر عاملى الوقت والاستمرار، إلى جانب تضافر مؤثرات أخرى، من إدماج العناصر المختلفة فيها وخلق أمة معينة، كالأمة البروسية، والأمة السويسرية، والأمة البلجيكية، والأمة الأمريكية.

(٢) الحركات القومية قبل الثورة الفرنسية :

ففى الفترة التى كان يجرى فيها البحث النظرى فى القومية، كانت بوادر الحركات القومية قد ظهرت فى عدة بلدان.

ففى اليونان، بدأت حركة قومية فى أثناء حرب الروس ضد العثمانيين سنة ١٧٧٠م، كان لها أثر كبير فى شبه جزيرة المورة وفى جزر الأرخبيل.

وفى أوروبا الشمالية، وفى إسكندیناوة، بدأت تظهر الفكرة القومية منذ سنة ١٧٦٠م حينما ظهرت أولى الأساطير الخرافية عن الأبطال والآلهة الإسكندناوية (المثولوجيا). ثم نشر «شوننج» Gerh-ard Schoning فى سنة ١٧٧٢م تاريخا للنرويج. ثم ظهرت بعد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

شهور أنشودة قومية نرويجية تدعو الشعب النرويجى إلى التحرر من سيطرة الدانمارك الطويلة عليه. وفى سنة ١٧٧١م ظهرت فى فنلندة أنشودة من الطراز نفسه تدعو للتحرر من سيطرة السويد.

وفى ألمانيا كتب جوته Goethe فى موضوع القومية الألمانية فى سنة ١٧٧٣م.

وفى الأراضى المنخفضة الجنوبية، التى كانت من الأملاك النمساوية، بدأ إحياء تسمية «بلجيكى».

وفى بولندا، التى قسمت عام ١٧٧٢م بين روسيا والنمسا وبروسيا، تشبث الشعب البولندى بقوميته، على الرغم من أن هذه القومية كانت لاتزال مبهمة وقتذاك لحد ما. ثم زاد تمسكه بهذه القومية بالرغم مما حدث من تقسيمات تالية على دفعتين: فى ١٧٩٣م بين روسيا وبروسيا، وفى ١٧٩٥م بين روسيا وبروسيا والنمسا.

وفى الولايات المتحدة كان صمويل آدمز Samuel Adms يعد فى عام ١٧٧٢ ـ ١٧٧٣م برنامجا لاستقلال الولايات المتحدة.

ولقد كانت نتيجة لاشتعال الثورة الفرنسية، ومحاولة بونابرت، وليد الثورة، أن يخضع أوروبا لسيطرة فرنسا، بدعوى إشاعة الروح القومية، وإذاعة المبادئ الحرة – أن تولد وعى جديد فى الشعوب التى لم تعرف بعد هذا الوعى القومى الديمقراطى، كما تأصل هذا الوعى من جانب آخر فى الشعوب التى كانت من قبل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تحس بذاتيتها.

على أنه ينبغى علينا أن نميز فى الحركات القومية فى تلك الفترة بين ثلاثة أنواع:

النوع الأول : وقد نشأ كرد فعل ضد السيطرة النابليونية، كما هو الحال فى حركات المقاومة ضد السيطرة النابليونية فى أسبانيا وهولندا وروسيا.

والنوع الثانى : وقد نشأ متأثرا بالثورة الفرنسية ومبادئها، ومستعينا بها ضد السيطرة الأجنبية. كما هو الحال بالنسبة لسويسرا.

والنوع الثالث : وقد نشأ كرد فعل لتسوية فينا، التى أغفلت العامل القومى وتجاهلت مبادئ الثورة الفرنسية.

(٣) الحركات القومية ضد السيطرة النابوليونية :

بالنسبة لهذا النوع من الحركات، فقد نشأ كرد فعل «وطنى» ضد السيطرة النابليونية. ويتمثل ـ كما ذكرنا ـ فى أسبانيا وهولندا وروسيا.

وقد بدأت الثورة فى أسبانيا فى المقاطعات التى لم تحتلها فرنسا، مما يدل على أن الشعور القومى كان أساس قيامها، ولكنه نشأ كرد فعل وطنى ضد السيطرة النابليونية على التراب

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأسبانى. وقد اشترك فى المقاومة ضد الفرنسيين: النبلاء والإكليروس والفلاحين، فضلا عن الجيش النظامى. كما تميزت الثورة بانتشارها فى جميع أرجاء شبه الجزيرة الأيبيرية كلها، وتميزت بتبادل العنف بين الأسبانيين والفرنسيين.

على أنه لما كانت لاتوجد بورجوازية كبيرة فى أسبانيا إلا فى بعض الموانى، خاصة «قادش» Cadiz، فإن الثورة فى مجموعها كانت تهدف إلى عودة النظام القديم - وبمعنى آخر أنها اكتسبت صفة رجعية. ومع ذلك فقد استطاعت البورجوازية الأسبانية رغم ضعفها وضع دستور ١٨١٢م، الذى اعتبر صورة من دستور فرنسا سنة ١٧٩١م، والذى أصبح أساسا للانقسامات السياسية فى أسبانيا فى النصف الأول من القرن التاسع عشر.

أما فى روسيا، فيسمى الروس عادة حرب ١٨١٢م بالحرب الوطنية. وقد ظهر الطابع القومى فى حرب ١٨١٢م فى إجماع الرأى العام الروسى على رفض المفاوضات التى حاول نابليون الدخول فيها مع حكومة القيصر ألكسندر. كما تظهر فى الحقيقة التالية، وهى أن حركة المقاومة الشعبية ضد الجيش الفرنسى، وإبادة المدن والقرى أمام الجنود الفرنسيين، والمجاعة - هى التى سببت هزيمة الجيش الفرنسى بصفة رئيسية، وليس البرد القاسى وحده. لأن شتاء ذلك العام لم يكن قاسيا مدة طويلة، ولأن البرد لم يبدأ إلا بعد أن وصلت الجيوش الفرنسية فى تقهقرها إلى «سمولنسك» Smolensk وبعدها. وعندما هلك الجيش تقريبا كان الطقس معتدلا.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أما فى هولندا، فقد تمثلت الحركة القومية فيها فى رفض الهولنديين إدخال القانون المدنى الفرنسى والقوانين الفرنسية وإدخال الضرائب الفرنسية عام ١٨١٣م. ثم انفجرت الثورة فى لاهاى وأمستردام فى ١٧ أكتوبر ١٨١٣م، ودعى أمير أورانج إلى العودة وقيادة الحركة.

(٤) الحركات القومية والدستورية المتأثرة بالثورة الفرنسية:

فإذا انتقلنا إلى النوع الثانى من الحركات القومية، وهى الحركات التى تأثرت بالثورة الفرنسية واستعانت بها، فتتمثل فى ثورة بولندا ضد الحكم الروسى فى ٢٤ مارس ١٧٩٤م. ونمت واتسعت بعد قيامها.

وقد قامت هذه الثورة على أكتاف الأساتذة المثقفين فى جامعتى كراكاو وفيلنا Cracow - Vilna، وكان عمادها الطبقة البورجوازية فى وارسو. ولكنها انتهت إلى الفشل وإلى تقسيم بولندا الثالث فى ٣ يناير ١٧٩٥م.

كما يتمثل هذا النوع أيضا فى سويسرة، التى لم يكن لها وقتئذ شكل الدولة الحديثة، وإنما كانت أشبه «بحلف» بين الولايات، أو «الكانتونات» السويسرية، لتبادل الدفاع، كما لم تكن هذه المحالفة تشمل كل الولايات أيضا!.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد تبدى تأثرها بالثورة الفرنسية فى ظهور الرغبة الحاسمة فى الظفر بالحقوق الديموقراطية، وفى قيام المواطنين السويسريين المتغيبين خارج البلاد ـ وخصوصا فى فرنسا ـ بدعوة فرنسا إلى التدخل السياسى أو العسكرى. وقد أمكن بفضل هذا التدخل بالفعل انشاء جمهورية سويسرية على شكل دولة واحدة، تضم فى حدودها كل الولايات.

على أن خروج سويسرة للمرة الأولى إلى عالم الوجود لم يكن معناه أنه قد صار بها شعور قومى، وإنما اكتمل هذا الشعور بعد وقت طويل.

(٥) الحركات القومية والدستورية فى عصر مترنيخ :

ويبدأ هذا النوع من الحركات القومية بعد تسوية فينا ـ كما ذكرنا ـ وتمتد هذه الحركات على طول القرن التاسع عشر والنصف الأول للقرن العشرين، وهى متأثرة بمبادئ الثورة الفرنسية فى القومية والديموقراطية، وتتمتع، وخصوصا منذ منتصف الثلاثنيات، برسوخ أسسها العقائدية واكتمال الشعور القومى فيها.

وكنا قد أوضحنا أن الدول الكبرى فى مؤتمر فيينا قد أرست تسوياتها على مبادئ التوازن الدولى، والتعويضات، والحق

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الشرعى للملوك، دون اكتراث برغبة الشعوب. وفى تلك الأثناء كان نابليون قد فر من جزيرة إلبا فى أثناء إنعقاد المؤتمر.

وبعد هزيمته فى واترلو فى ١٨ يونيه ١٨١٥م، رأت هذه الدول تجديد المحالفة بينها على أساس اتحادها للقيام بعمل مشترك، الغرض منه اتقاء أية أفكار قد تهدد السلام العام من جانب فرنسا فى المستقبل، ثم المحافظة على التسوية النهائية التى تمت فى فينا لعدم تكدير السلم كذلك فى أوروبا.

فعقدت لذلك معاهدة. «التحالف الرباعى» فى نفس يوم توقيع معاهدة باريس الثانية مع فرنسا فى ٢٠ نوفمبر ١٨١٥م، وهى المعاهدة التى تعتبر الأساس العملى الذى قام عليه نظام الاتحاد الأوروبى فى السنوات التالية. وكان الذى وقع المعاهدة: روسيا، وبروسيا، والنمسا، وإنجلترا.

وقد نص هذا التحالف على أن تبادر كل دولة عضو فى التحالف بتقديم ستين ألف مقاتل لمساعدة أى عضو آخر يقع عليه أى هجوم، وعقد اجتماعات دورية لفحص المسائل التى تمس مصالح أعضائه المشتركة، ولتوطيد السلام فى أوروبا.

وفى ٢٦ ديسمبر ١٨١٥م كان قد صدر إعلان الحلف المقدس المشهور Holy Alliance، الذى أذاعه القيصر ألكسندر، الذى أراد أن يتخذ من الدين أساسا تقوم عليه العلاقات بين الدول!.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد وقعت على الحلف كل من روسيا وبروسيا والنمسا، ورفضت إنجلترا الإنضمام إليه بدعوى أن الدستور يمنع الملك أو الوصى على العرش من فعل ذلك.

ومع أن مترنيخ Metternich لم يأخذ هذا الحلف مأخذ الجد، بل وصفه بأنه «طبل أجوف»، إلا أنه أدرك إمكان الإعتماد عليه فى الجمع بين الدول الموقعة على وثيقته، والتقريب بينها على أساس التحالف الرباعى، الذى كان يعمل على تحويله إلى أداء فعالة للتدخل فى شئون الدول الداخلية، وقمع الثورات فيها، بحجة صيانة النظام والسلام فى أوروبا!

ففى الفترة من ١٨١٨م إلى ١٨٢٣م أخذ مترنيخ يبذل قصارى جهده كى يجعل من «الحلف المقدس» أداة فعالة تفرض النظام البوليسى على بقية الدول، وتسيطر على شئونها الداخلية، لإرغامها على البقاء فى نطاق نظام سياسى لايتغير، بإخماد الحركات الدستورية والقومية وتأييد الحكومات المستبدة.

ففى مؤتمر «إكس لاشابل» Aix - La - Chapelle، الذى عقد فى سبتمبر ١٨١٨م، للفصل فى مسألة جلاء قوات الاحتلال عن فرنسا، وإدخالها فى نظام التحالف الرباعى ـ تقرر مبدأ التدخل بطلب من الدولة ذات الشأن، حيث نص فى تصريح ١٥ نوفمبر ١٨١٨م على جواز عقد «اجتماعات جزئية» لبحث شئون الدول الأخرى إذا طلبت هى ذلك، وفى حضورها إذا لزم الأمر.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كما أقنع مترنيخ القيصر ألكسندر الأول، الذى كان قد منح بولندا دستورا فى ٢٧ نوفمبر ١٨١٥م، وافتتح فى وارسو أول دايت Diet لمملكة بولندا الجديدة فى ٢٧ مارس ١٨١٨م - بنبذ هذه الآراء الليبرالية ظهريا.

كذلك استمال فردريك ويليم الثالث ملك بروسيا إلى سياسته، مهددا بانسحاب النمسا من الاتحاد الألمانى إذا امتنعت بروسيا عن تأييد سياسته.

ثم استطاع مترنيخ أن يبسط نظامه على سائر ألمانيا عندما انعقد «مؤتمر كارلسباد» Carlsbad فى أغسطس ١٨١٩م وحضره مندوبون من النمسا، وبروسيا، وباڤريا، وبادن، وناساو، وڤرتمبرج، ومكلنبرج، وهيس، وساكس ڤايمار Saxe - Weimar – فقد استصدر طائفة من القرارات الرجعية، التى عرفت باسم «مرسومات كارلسباد» Carlsbad Decrees، وأصبحت قوانين فدرالية عندما أجازها «دايت» هذا الاتحاد فى فرانكفورت فى ٢٠ سبتمبر ١٨١٩م، ثم لم تلبث أن تأيدت فى المؤتمر الذى عقد فى فيينا برئاسة مترنيخ وحضره وزراء الولايات والإمارات الألمانية، وصدر بها «قرار فينا النهائى» Vienna Final Act. فى ١٥ مايو ١٨٢٠م، وبموجبه وضعت الجامعات تحت إشراف الحكومات لمراقبة المواد التى تدرس بها من الناحية السياسية، وأنشئت الرقابة على الصحف، وأقيمت لجنة فى «ماينز» مهمتها البحث عن المحرضين الثوريين، وإرشاد الحكومات المحلية إليهم.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى مؤتمر «تروباو» Troppau، الذى عقد فى نوفمبر ١٨٢٠م، وضعت دول الحلف المقدس مبدأ التدخل، وكان ذلك بسبب قيام الجنود الأسبانيين فى قادش بالثورة فى أول يناير ١٨٢٠م مطالبين بدستور ١٨١٢م، وانتشار الثورة بعد ذلك فى البلاد، ثم اشتعال ثورة أخرى عسكرية فى نابولى فى شهر يوليو ١٨٢٠م، واضطرار ملكها فرديناند الأول إلى قبول دستور ١٨١٢ الأسبانى أساسا لدستور مثله - ففى هذا المؤتمر وضعت دول الحلف المقدس الثلاث: روسيا وبروسيا والنمسا فى ١٩ نوفمبر ١٨٢٠م «مبدأ التدخل» بشكل سافر.

فقد نص «بروتوكول تروباو» على أن الدول التى يحدث تغيير فى حكوماتها بسبب قيام ثورة فيها، ويترتب على هذا التغيير تهديد الدول الأخرى، تفقد بحكم الضرورة عضويتها فى التحالف الأوروبى، وتظل خارج التحالف إلى أن يجىء الوقت الذى يعطى الموقف الداخلى فى هذه الدول الضمانات اللازمة لتأييد النظام القانونى والاستقرار.

وقد انضمت فرنسا إلى هذا التصريح خشية العزلة. أما إنجلترا فإن وزير خارجيتها «كاسلريه» Castlereagh كانت سياسته تقوم على رفض مبدأ التدخل، وقصر التحالف على الغرض الذى أقيم لأجله - وهو منع وقوع الاعتداء على عضو من أعضائه، والمحافظة على السلام.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومالبثت سياسة التدخل أن دخلت دورها التطبيقى فى مؤتمر «ليباخ» Laibach الذى عقد بين ٨ يناير و ١٢ مارس ١٨٢١م، للبت فى المسألة الإيطالية بحضور فرديناند ملك نابلى، الذى حضر لطلب مساعدة الدول ضد شعبه!

فقد قرر المؤتمر، الذى تكون من أعضاء الحلف المقدس الثلاثة: النمسا وروسيا وبروسيا، إلغاء دستور نابلى. ثم عهد ثلاثتهم إلى النمسا بمهمة تنفيذ ذلك بالقوة العسكرية!. وبالفعل ذهب جيش نمساوى إلى نابلى حيث أخمد الثورة الدستورية، وأعاد إلى فرديناند سلطته الدستورية.

وقبل أن يختتم المؤتمر أعماله، وصله نداء آخر من ملك سردينيا لنجدته ضد رعاياه الثوار! فأرسلت النمسا جيشها لإخماد الثورة فى بيدمنت، وهزمت الثوار فى واقعة نوڤارا، فى ١٨ أبريل ١٨٢١م، واحتل «الغزاة» تورين Turin العاصمة، وأعيد النظام القديم.

وفى مايو ١٨٢١م انفض المؤتمر بعد أن أعد منشورا إلى الحكومات الأوروبية، أوضح فيه سياسة الحلف المقدس قائلاً : «إن التغييرات النافعة والضرورية من الناحيتين التشريعية والإدارية، والتى تحدث داخل الدول، يجب أن تأتى من جانب أولئك الذين أعطاهم الله مسئولية الحكم فى هذه الدول!».

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على أن الحركات القومية والدستورية لم تنقطع. ففى أثناء انعقاد المؤتمر فى ليباخ، جاءت الأنباء بقيام الثورة فى بلاد المورة. وفى الوقت نفسه استطاع الثوار فى أسبانيا انتزاع دستور من الملك فرديناند السابع، أقيمت بفضله الحكومة الدستورية فى مدريد. هذا فى حين كانت الثورة مشتعلة فى المستعمرات الأسبانية فى أمريكا اللاتينية.

وبسبب هذه الاضطرابات، تقرر إعادة عقد المؤتمر فى فيرونا Verona فى خريف العام التالى ١٨٢٢م لمعالجة مسائل أسبانيا وإيطاليا والمورة.

وفى هذا المؤتمر أظهر المندوبون الفرنسيون عزم حكومتهم على التدخل، ليس فقط لإخماد الثورة فى أسبانيا، بل وإخمادها كذلك فى مستعمراتها الأمريكية. وقد أيدتها روسيا والنمسا وبروسيا. وفى ١٩ نوفمبر ١٨٢٢م وجهت هذه الدول إنذارا إلى مجلس «الكورتيز» الأسبانى، وسحبت سفراءها من مدريد، وفى ٢٨ يناير ١٨٢٣م أعلن لويس الثامن عشر الحرب على أسبانيا، واحتل مدريد فى ٢٤ مايو ١٨٢٣م.

وفى ٣١ اغسطس ١٨٢٣م استسلم الكورتيز دون قيد أو شرط إلى الملك فرديناند السابع، بمقتضى معاهدة «تروكاديرو» Troc-adero، وعاد فرديناند إلى عاصمة ملكه على أسنه الرماح الفرنسية!

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد مضت فرنسا، التى أصبحت الآن دولة رجعية، خطوة أخرى، فأرادت التدخل بين أسبانيا ومستعمراتها الثائرة فى كوبا وبويرتوريكو Buerto Rico. كما أرادت ايضا تنصيب أمراء فرنسيين من آل بوربون فى المستعمرات الأسبانية التى حصلت على استقلالها الفعلى: فى المكسيك، وبيرو، «وبوينوس آيرس» Buenos Aires.

ولكن وقف فى وجه هذا التدخل جورج كاننج Canning، وزير خارجية بريطانيا، الذى سار على سياسة سلفه «كاسلريه» فى مبدأ عدم التدخل إلا إذا حدث مايخل بالتوازن الدولى.

وفى الوقت نفسه كانت الولايات المتحدة تنظر بغير عين الارتياح للتطورات الأوروبية التى أفضت إلى تدخل فرنسا فى المسألة الأسبانية، وساءتها المشروعات الفرنسية.

وهكذا التقت رغبة بريطانيا مع رغبة الولايات المتحدة. ولذلك اقترح كاننج اشتراك الحكومتين الإنجليزية والأمريكية فى اتخاذ إجراء لمنع فرنسا من التدخل فى شئون المستعمرات الأسبانية فى أمريكا.

ولكن وزير الخارجية الأمريكى «جون كوينزى آدمز» John Quency Adams رفض العمل المشترك خشية أن يتخذ شكلا يدل على أن الدولتين تتعهدان ضمنيا بعدم الاستيلاء على قسم من

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أملاك أسبانيا فى أمريكا، الأمر الذى يغل يد الولايات المتحدة فى المستقبل عن الاستيلاء على بعض الأقاليم التى تريدها، مثل تكساس، وكوبا.

لذلك انفرد الرئيس «مونرو» بإصدار تصريحه المشهور Monroe Doctrine فى ٢ ديسمبر ١٨٢٣م إلى الكونجرس، والذى أوضح فيه أن الولايات المتحدة لاترغب فى التدخل فى شئون أوروبا السياسية، ولاتريد من الدول الأوروبية التدخل فى شئون العالم الجديد السياسية، وأنها لن تتردد فى محاربة أية دولة تحاول فرض سيطرتها.

وهكذا تحطمت سياسة التدخل على صخرة المسألة الأسبانية الأمريكية.

كذلك تحطمت هذه السياسة على صخرة أخرى هى المسألة البرتغالية ـ البرازيلية. وكانت الثورة قد امتدت من أسبانيا إلى البرتغال سنة ١٨٢٠م، وبعد عامين أعلن دون بدرو Don Pedro، أكبر أبناء الملك يوحنا السادس، نفسه إمبراطورا دستوريا على البرازيل فى مايو ١٨٢٢م.

وهنا أراد الرجعيون فى البلاط البرتغالى الاستعانة بفرنسا، التى أحيا تدخلها الناجح فى شئون أسبانيا الآمال فى صدورهم. فى حين طلب الدستوريون مساعدة بريطانيا العسكرية. ولكن كاننج اكتفى بإرسال أسطول إلى نهر التاجوس Tagus، معلنا أنه، وقد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

امتنع عن التدخل، قد بات على فرنسا أن تمتنع بدورها! وقد فهمت فرنسا، فلم ترسل جيشها إلى لشبونه، كما لم ترسل أية قوات إلى البرازيل، وانتصرت سياسة كاننج.

ولم تلبث هذه السياسة أن انتصرت أيضا فى عام ١٨٢٦م، حين طلب الرجعيون من أسبانيا التدخل فى النزاع القائم بينهم وبين الإمبراطور بدرو فى البرازيل، فعادت بريطانيا وأعلنت أنها لن تجيز لغيرها التدخل مادامت هى لاتريد التدخل، وأرسل كاننج قوة بريطانية إلى البرتغال، فحال هذا الموقف الحاسم دول التدخل الأسبانى.

وفى تلك الأثناء كانت الثورة تنشب فى اليونان الخاضعة للسيادة العثمانية، لتلقى مصيرا مختلفا بحكم الروح الصليبية فى الدول العظمى الأوروبية.

وقد قامت فى البداية فى ياسى ببلاد «البغدان» (ملداڤيا) Mol-davia فى مارس ١٨٢١م بقيادة إبسلانتى Ypsilanti. وكان هدفها، ليس فقط تحرير المقاطعات الدانوبية الأفلاق (أو ولاشيا Wal-lachia) والبغدان، التى سكنها الرومانيون والبلغار، بل وطرد العثمانيين من أوروبا كلها، وإعادة إمبراطورية اليونان القديمة. ولكن الجيوش العثمانية أوقعت الهزيمة بالثوار فى موقعة «دراجشان» Dragashan فى ١٩ يونيه ١٨٢١م، وانتهت الثورة فى الأفلاق، كما أمكنها إخماد الثورة فى البغدان بسهولة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على أن حركة «إبسلانتى» سرعان ماجعلت اليونانيين يقومون بالثورة فى بلاد المورة Morea وفى الجزر اليونانية هذه المرة، فى أبريل ١٨٢١م، وامتدت عبر مضيق كورينثة Corinth إلى الشمال منتشرة فى مقدونيا وتراقيا Thessaly، وهدفها هذه المرة تحرير اليونانيين، وإنهاء سيطرة شعب أجنبى عليهم يختلف عنهم فى الجنس واللغة والدين. وبين سنتى ١٨٢١ ـ ١٨٢٥م كان النجاح حليف الثوار بسبب تفوقهم البحرى، وتدفق المتطوعين من أوروبا.

ولكن السلطان محمود الثانى استعان بقوات محمد على، والى مصر لإخماد الثورة، فنزل ابنه إبراهيم باشا بالمورة فى فبراير ١٨٢٥م، وأنزل الهزيمة بالثوار، ثم سرعان ما أخذ يستولى بسرعة على المواقع حتى أصبحت المورة بأكملها تقريبا تخضع للعثمانيين.

ولكن فرنسا وبريطانيا وروسيا لم تلبث أن أبرمت فيما بينها بعد ذلك بشهر واحد، «معاهدة لندن» فى ٦ يوليو ١٨٢٧، وذلك على أساس «بروتوكول بطرسبرج»، الذى أبرم فى ٤ إبريل ١٨٢٦م بين روسيا وإنجلترا، والذى وضع تسوية للمسألة اليونانية على قاعدة إعطاء اليونان الحكم الذاتى مع بقاء التبعية العثمانية، وأرسلت أساطيلها إلى خليج «نفارينو Navarino» فى ٢٠ أكتوبر ١٨٢٧م، حيث وقعت موقعة نفارينو البحرية المشهورة، التى تحطم فيها الأسطولان المصرى والعثمانى، والتى كانت الخطوة الأولى فى استقلال اليونان.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أما الخطوة الثانية فقد جاءت نتيجة لقيام الحرب بين روسيا والدولة العثمانية فى ١٨٢٩م، بعد أن أعلن السلطان محمود الثانى الجهاد ضد الدول المتحالفة عقب نكبة نفارينو. وقد هزمت الدولة العثمانية، وعقدت مع روسيا معاهدة أدريانوبل Adrianople (أدرنه) فى ١٤ سبتمبر ١٨٢٩م، وبمقتضاها صارت الأفلاق والبغدان إمارتين مستقلتين استقلالاً فعلياً، وإن بقيتا تحت السيادة العثمانية. وأصبحت بلاد اليونان مستقلة استقلالا ذاتيا تحت السيادة العثمانية.

ولكن اليونانيين رفضوا البقاء تحت السيادة العثمانية، فأعادت الدول الكبرى النظر فى المسألة اليونانية ثانية، وأسفرت المباحثات بين إنجلترا وروسيا وفرنسا عن عقد «بروتوكول لندن» فى ٣ فبراير ١٨٣٠م الذى ينص على أن تصبح اليونان دولة مستقلة، تتمتع بكل الحقوق السياسية والإدارية والتجارية المرتبطة بالاستقلال التام. وأعيد رسم حدود الدولة اليونانية الجديدة، فأدخلت فى نظامها بعض الجزر فى بحر إيجه. وفى ٧ مايو ١٨٢٢م تم رسم حدود اليونان مرة أخرى فى «معاهدة لندن» بين الدول الثلاث بشكل أضاف إليها مساحة جديدة، ولم تملك تركيا إلا أن توافق على هذه الحدود فى اتفاق القسطنطينية فى ٢١ يوليو ١٨٣٢م.

* * *

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولم تلبث الثورتان الفرنسيتان فى يوليه ١٨٣٠م وفبراير ١٨٤٨م أن لعبتا دورا مهما فى تحريك الثورات القومية فى أنحاء أوروبا.

وكانت ثورة يوليو ١٨٣٠م فى فرنسا قد قامت على أثر انتهاك شارل العاشر، ملك فرنسا، للحريات الدستورية للشعب الفرنسى، وإصداره مراسيم بحل البرلمان وتكميم الصحافة، وذلك لإخماد المعارضة البرلمانية ـ مما استفز أهل باريس ودفعهم للقيام بالثورة.

وفى خلال أيام ثلاثة هرب الملك، ولكن تمكنت البورجوازية الفرنسية من إنقاذ الموقف من السقوط فى أيدى الطبقات الجماهيرية والعودة إلى الجمهورية، بترشيح (لويس فيليب) البوربونى، من فرع أورليان، ليكون ملكا دستوريا.

وعلى أثر قيام هذه الثورة، تحركت الثورات الأخرى فى أوروبا. فقد نظم الثوريون الإيطاليون الثورات على أمل التأييد الفرنسى، ولكن قامت القوات النمساوية بقمع هذه الثورات فى بارما ومودينا وروما.

كما وقعت الاضطرابات فى الولايات الألمانية، مما أجبر بعض الأمراء على الرضوخ لمطالب شعوبهم، ولكن سرعان ما أدى القمع المضاد الصارم من جانب الحكومتين النمساوية والبروسية إلى إخماد هذه الحركات فى جميع أنحاء وسط أوروبا.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى بلجيكا التى كانت تحت حكم النمسا، ثم ضمتها «تسوية فينا» إلى هولندا فى مملكة واحدة تحت أسرة أورانج، كان البلجيكيون يبغضون الهولنديين بغضا شديدا، وكانت الحركات القومية فيها فى البداية قاصرة على المطالبة بالانفصال الإدارى عن هولندا، ولكن الملك الهولندى أصر على احتلال بروكسل قبل إجابه هذه المطالب. فنشب القتال فى شوارع العاصمة البلجيكية ثلاثة أيام من ٢٣ إلى ٢٦ سبتمبر ١٨٣٠م، وأسفر عن طرد تلك القوات، وانتشرت الثورة فى بلجيكا كلها، وشكل الثوار حكومة مؤقتة، ودعوا «مؤتمرا وطنيا» إلى الانعقاد، وأعلنوا أن المقاطعات البلجيكية قد انفصلت عن هولندا وتؤلف دولة مستقلة.

وقد افتتح المؤتمر الوطنى البلجيكى فعلا فى ١٠ نوفمبر ١٨٣٠م ببروكسل. حيث كان الأعضاء يميلون بمشاعرهم إلى فرنسا، وأعلنوا خلع بيت أورانج وخلو العرش، واختيار الملكية الوراثية المقيدة شكلا للحكومة المقبلة.

على أن الدول الخمس الكبرى أخطرت المؤتمر الوطنى بضرورة الإبقاء على بيت أورانج، وهددت باحتلال الجيوش المتحالفة للبلاد، فرفض المؤتمر الاستسلام. ودب الخلاف بين فرنسا وإنجلترا، وكان الحل الوسط هو إعلان حياد بلجيكا الدائم وتعهد الدول الخمس بكفالته.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولكن المؤتمر البلجيكى رفض أيضا، واختار الإبن الثانى للويس فيليب ملكا على بلجيكا، وحينئذ وجهت الدول الخمس إنذارا نهائيا للمؤتمر فى أول يونيه ١٨٣١م، تراجع على أثره المؤتمر، وانتخب ليوبولد الذى كان مقيما فى إنجلترا ملكا على البلاد.

على أن هولندا سيرت قواتها مرة أخرى إلى بلجيكا فى أغسطس ١٩٣١م، فرد لويس فيليب بتسيير القوات الفرنسية إلى بروكسل واحتلالها. وانتهى الأمر، بعد أن اعترضت بريطانيا اعتراضا شديداً على فرنسا، إلى تسوية المسألة البلجيكية فى معاهدة الدول الخمس مع بلجيكا، الموقعة فى ١٥ نوفمبر ١٨٣١م. ولما رفض ملك هولندا، قام جيش فرنسى ـ إنجليزى بطرد الهولنديين نهائيا من بلجيكا (١٨٣٢ ـ ١٨٣٣م).

وبعد ست سنوات ـ أى فى ١٩ ابريل ١٨٣٩م ـ أبرمت الدول الخمس العظمى معاهدة نهائية أقرت استقلال بلجيكا وأسبغت عليها نظام الحماية الدائمة، وكانت تلك المعاهدة هى نفسها قصاصة الورق الشهيرة التى مزقتها ألمانيا بغزوها بلجيكا فى سنة ١٩١٤م.

أما بولندا فإن معاهدة «كاليش» Calisch فى ٢٨ فبراير ١٨١٣م بين (روسيا وبروسيا) كانت قد أعطت روسيا حق التصرف فيها. وعندما عقد مؤتمر فيينا، أراد القيصر إسكندر

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأول أن يضم غراندوقية وارسو، التى أنشأها نابليون، إلى بقية أجزاء بولندا، التى كانت روسيا قد استولت عليها منذ أيام تقسيم بولندا فى القرن ١٨، فى معاهدات التقسيم الثلاث المعروفة فى ١٧٧٢، ١٧٩٣، ١٧٩٥م - والغرض من ذلك أن يتسنى بعث بولندة القديمة إلى الوجود ثانية. وكان القيصر يريد أن يمنحها دستورا ديمقراطيا ويقيم بها حكومة برلمانية، ويجمع بينها وبين روسيا فى اتحاد تحت تاج القيصر الشخصى فقط.

وقد حقق مؤتمر فينا رغبة القيصر، فاستولت روسيا على بولندة فيما عدا «بوزن» Pozen وبروسيا الغربية اللتين انضمتا إلى بروسيا، وغاليسيا التى انضمت إلى النمسا، وكراكاو التى أصبحت مدينة حرة. وأعلن القيصر عن عزمه على حكمها كمملكة لها كيانها القومى، ومنحها دستورا تحرريا تقدميا منذ نوفمبر ١٨١٥م، واكتسب بذلك تأييد كثير من الوطنيين البولنديين، وافتتح «الدايت الأول Diet» فى ٢٧ مارس ١٨١٨م.

على أن القيصر، تحت تأثير مترنيخ، وتأثير الحركات القومية فى ألمانيا، لم يلبث أن أعاد الرقابة على الصحف فى ١٨١٩م، ومع أن الدايت انعقد مرة اخرى فى ١٨٢٠م، إلا أن القيصر إسكندر لم يلبث أن حله، وامتنع طوال خمس سنوات عن دعوة المجلس الجديد للانعقاد.

لذلك فسرعان ما أخذت الجمعيات السرية تنمو وتقوى. ولما نشبت ثورة فرنسا فى يوليو ١٨٣٠م، أثارت حماسا كبيرا فى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نفوس البولنديين. فانتقلت الجمعيات السرية إلى صفوف ضباط الجيش، وسرعان ما أدت الاستعدادات التى أخذ نيقولا يتخذها لإخماد الثورة فى فرنسا وبلجيكا فى تلك الأثناء إلى نشوب حركة تحرر فى البلاد، فحدث عصيان فى وارسو فى ٢٩ نوفمبر ١٨٣٠م، وانسحبت القوات الروسية من العاصمة، وتألفت حكومة بولندية مؤقتة مناهضة للروس قبيل نهاية العام، وفى يناير ١٨٣١م خلع البولنديون القيصر.

على أن الروس لم يلبثوا أن دخلوا المملكة البولندية فى جيوش جرارة واستولوا على العاصمة فى سبتمبر ١٨٣١م، وألغوا الدستور نهائيا فى فبراير ١٨٣٢م، وقدر لبولندا أن ترضخ مدة ربع قرن لحكم استبدادى عنيف فقدت فيه حياتها السياسية.

كانت هذه على كل حال الحركات الثورية بعد ثورة يوليو ١٨٣٠م فى فرنسا، وقد قمعت هذه الثورات، فيما عدا الثورة البلجيكية، التى كان لها وضع خاص بسبب مركزها بالنسبة لفرنسا وإنجلترا معا، وايثار الدولتين حل مسألتها بدلاً من الحرب بينهما. وفى سنة ١٨٣٣م كان فى وسع مترنيخ أن يهنئ نفسه بأن نظامه «لايتأثر بالنار البتة»!.

(٦) الحركات القومية والدستورية بعد سقوط مترنيخ :

على أنه كما حدث بعد ثورة يوليو ١٨٣٠م فى فرنسا من انتشار الحركات القومية والدستورية، فكذلك حدث بعد ثورة فبراير

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١٨٤٨م فى فرنسا ـ وهى الثورة التى أسقطت ملكية أورليان وأقامت الجمهورية الثانية.

فقد اشتعلت الثورة فى فينا ـ قلب النظام الرجعى ـ واسقطت مترنيخ، الذى هرب من البلاد فى ١٣ مارس ١٨٤٨م بعد انضمام الجنود للمتظاهرين، كما انتشرت الثورة فى جميع ممتلكات آل هابسبرج وعملت على تمزيق الإمبراطورية.

فقد اتخذ الدايت المجرى دستورا مستقلا فى مارس ١٨٤٨م، ونظم الكروات لجنة دستورية مهمتها العمل من أجل الحكم الذاتى، وطالب التشيكيون بجمعية تأسيسية، وعقد مؤتمر لجميع السلاف فى براج.

وفى ايطاليا، من ميلانو إلى نابولى، أخذت تغلى بالإضطرابات عندما وصلت الأنباء فى مارس بفرار مترنيخ. وعملت الثورات التى قامت فى وقت واحد فى البندقية وميلان على طرد النمساويين. وفى «تورين» صدرت الأوامر لجيش «سردينيا» لمساندة الحرب فى سبيل القومية، ودفع الحماس الشعبى فى روما ونابولى «بيوس التاسع» و «فرديناند الثانى» إلى إرسال الفصائل لمطاردة النمسويين المتقهقرين، واجتاحت شبه الجزيرة موجة من الحماس الوطنى.

ويهمنا هنا أن نوضح بخصوص هذه الحركات القومية تدخل جملة عوامل أدت إلى إنضاج هذه الحركات واكتمال الشعور القومى فيها، وعلى رأس هذه العوامل العامل الاقتصادى.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ذلك أن تقدم الإنتاج الصناعى فى القرن التاسع عشر كان قد دفع رجال الأعمال إلى البحث عن اسواق: إما عن طريق التوحيد، كما فى ألمانيا وإيطاليا، وإما عن طريق الانفصال والاستقلال، كما فى المجر.

فقد أدت فترة خمسة عشر عاما من تطبيق نظام الاتحاد الجمركى الذى توصلت إليه الولايات الألمانية بقيادة بروسيا فى عام ١٨٤٤م، وشمل كل ألمانيا ـ وهو النظام المعروف باسم الزولفراين Zollverein ـ من الخدمات لقضية الوحدة الألمانية أكثر مما أداه نصف قرن من الخطب والأحاديث. فقد ترتب على هذا الاتحاد ازدهار تجارة الفحم والحديد والمنسوجات، وسيطرة النظام الجمركى على الأسواق الداخلية، ودعم تنظيماته فى سكسونيا ووستفاليا وسيليزيا والروهر. فلما أثرت طبقة رجال الصناعة فى هذه المناطق، راحت تحاول تحطيم الحواجز الأخيرة التى تحول دون تحقيق الوحدة الكاملة، وعندئذ ظهر المثل الأعلى للألمان، وهو وطن جرمانى موحد.

وقد ظهر تفكير مماثل فى أوساط رجال الصناعة فى «بيدمنت» وفى «لومباردى» و «البندقية.» فقد أدركت البورجوازية الإيطالية فى الأربعينيات، والتى عانت من منافسة الصناعة الإنجليزية، ومن الصناعة الألمانية التى أخذت تنهض حينذاك، أن توحيد إيطاليا سيجلب لها الرخاء، لأن الصناعة مثل العلم، لا ينهض فى اطار دويلات صغيرة مفككة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد لعبت الثورة التى حدثت فى وسائل المواصلات البرية فى ألمانيا وإيطاليا دورا فى نمو الشعور القومى بها، لا لمجرد ربطها فقط بين المصالح الاقتصادية لرجال الصناعة والتجارة عبر الحدود السياسية، وإنما لأنها سهلت تبادل الآراء ونشر الصحف.

وقد لعبت المصالح الاقتصادية كذلك - ولكن بشكل مختلف - دورا مؤكداً فى حركة القوميات فى النمسا. وهى حركة تختلف عن الحركتين الألمانية والإيطالية، من حيث أن محتواها إنفصالى لا وحدوى. فالحركة القومية المجرية قد أسهمت فى قيامها الرغبة فى ضمان الاستقلال للمنتجات المجرية بالنسبة للبلاد النمسوية. وكانت الدعاية المجرية تحرك جمهورها بالمكاسب التجارية، معلنة أنه يمكن للمجر، بموقعها الجغرافى وبكمية منتجاتها وتعددها، أن تحصل على مزايا واسعة إذا حصلت على استقلالها، أما إذا فشلت حركة الاستقلال، فستستمر النمسا فى احتكارها للسوق.

وكذلك الأمر بالنسبة لحركة التحرر القومى للأقليات السلافية، التى تتكون بصفة خاصة من الفلاحين الخاضعين للسيطرة الاجتماعية لكبار الملاك الألمان أو المجريين، والتى كانت تعرض عليهم إمكانية الحصول على تحسين أحوالهم.

على أن العوامل الإقتصادية لم تكن دائما عاملا حاسما فى هذا الشأن، فإن رجال الصناعة التشيكيين فى داخل النمسا مثلا كانوا يعرفون أن إنشاء دولة مستقلة يهدد بفقدهم سوق البلاد الألمانية!

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد لعب العامل الدينى دورا مهما أيضا فى صالح حركة القوميات. فقد لعب الدور الأول فى أيرلندا الكاثوليكية ضد إنجلترا البروتستنية. وفى بولندا الروسية وفى بولندا البروسية كان نفوذ رجال الدين الكاثوليك هو روح المقاومة للسيطرة الأجنبية. كما كان أيضا كذلك فى كرواتيا ضد النفوذ المجرى، وفى بلاد البلقان ضد الدولة العثمانية.

وقد كون مازينى منذ ١٨٣٤م، فى نطاق مشروعه القومى، إلى جانب لجنته الإيطالية لجانا بولندية وألمانية، وكان يميز فى شعوب القارة بين ١٣ أو ١٤ مجموعة قومية يجب على كل منها أن تصبح دولة، وتختفى الإمبراطوريتان النمسوية والعثمانية.

وتتميز القوميات فى هذه الفترة بالتعصب. ففى نفس الوقت الذى كانت فيه بعض القوميات تطالب بحقها القومى فى تكوين الدولة القومية والحكم الدستورى، كانت تطالب بحقها التاريخى أيضا لصالح فرض إرادتها على قوميات أخرى!

وقد أدى هذا إلى تصادم بين القوميات لصالح القوى الأجنبية المسيطرة. فمن عجائب المتناقضات أن نجد أن الصربيين والكرواتيين والرومانيين قد راحوا يحاربون فى النهاية لصالح النمسا ضد المجر، بغية تأمين حقوقهم القومية.

ففى ثورة المجر عام ١٨٤٨م (١٤ مارس) والتى أوصلتها إلى الاستقلال بعد سقوط مترنيخ، أوضح كوشوط Kossuth زعيم المجر

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ان المجريين لن يمنحوا فى ممتلكاتهم أية حقوق عنصرية للصربيين أو الكرواتيين أو الرومانيين، وأخذ يتسلح علنا لسحق الصربيين والكرواتيين الثائرين.

ومن الجانب الآخر، فإن جوزيف جلاكيش Jellacic زعيم الكرواتيين كان يؤلب الصربيين والكرواتيين ضد المجر، وقد عينته الحكومة النمساوية حاكما لكرواتيا لهذا الغرض، وبإسهاماته الأساسية أمكنها إخماد ثورة المجر.

على كل حال، فعلى الرغم من نجاح الرجعية فى ألمانيا والنمسا فى الإنتصار على الثورات القومية والدستورية، وعلى الرغم من أن إلغاء الجمهورية فى فرنسا قد جاء سريعا بعد أن قامت الإمبراطورية الثانية وعلى رأسها نابليون الثالث - فإن ذلك لم يوقف الحركات القومية والدستورية، فكان النجاح حليف هذه الحركات إلى النهاية.

فقد تمتعت المجر بدستور أقام نظام الحكم الثنائى فى إمبراطورية النمسا والمجر تحت اسم الحل الوسط فى يولية ١٨٧٦م.

وأعلنت الجمهورية الثالثة فى فرنسا فى سبتمبر ١٨٧٠م، وصدر دستورها فى فبراير ١٨٧٥م.

وفى إيطاليا، عندما تمت وحدتها سنة ١٨٧٠م، اتخذ الطليان دستورا لهم (دستور بيدمونت) الذى أصدره ملك سردينيا «شارل ألبرت» فى مارس ١٨٤٨م.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى ألمانيا، بعد إتحادها، أعلن دستور الإمبراطورية الجديدة فى إبريل ١٨٧١م.

وفى شبه جزيرة «أيبريا» صار لأسبانيا دستور بعد جملة تقلبات منذ ١٨٤٥م. وكذلك صدر فى البرتغال بعد كفاح طويل «القانون الإضافى» بمثابة دستور لها منذ ١٨٥٢م.

وتركزت الرجعية فى كل من الإمبراطورية العثمانية وروسيا القيصرية. وفى ذلك فإن هاتين الإمبراطوريتين لم تنجوا من أثر الحركات القومية والدستورية.

فقد اضطرت الدولة العثمانية تحت ضغوط الدول الأوروبية إلى استصدار «خط شريف كلخانة» فى ٣ نوفمبر ١٨٣٩م، الذى يكفل لمختلف رعايا الدولة، دون تمييز بين مسلم ومسيحى، المساواة أمام القانون، ويؤمن هؤلاء جميعهم على أرواحهم وأعراضهم وأموالهم، ويتناول ضروب الاصلاح التى لم يكن هناك مناص من أن تأخذ بها الدولة العثمانية إذا رغبت فى مؤازرة الدول الأوروبية لها من أجل المحافظة على كيانها.

ولقد تجددت هذه الوعود من جانب الدولة العثمانية للسبب نفسه بعد ذلك، فصدر «خط شريف» آخر فى فبراير ١٨٥٦م يشتمل على هذه الضمانات.

ثم إن الأحرار العثمانيين انتزعوا من السلطان عبد الحميد الثانى فى ديسمبر ١٨٧٦م دستورا، لم يلبث أن ألغى، ثم أعيد عقب

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الثورة التى قامت بها «جمعية الاتحاد والترقى» فى يولية ١٩٠٨م، وعزل الاتحاديون السلطان عبد الحميد فى ابريل ١٩١٩م.

وحينما كان الأحرار العثمانيون يناضلون فى سبيل الدستور، كانت الإمبراطورية العثمانية ذاتها تسير فى طريق الانحلال، نتيجة تغلغل المذهب القومى بين الشعوب المتبانية التى تألفت منها هذه الإمبراطورية.

ومما تجب ملاحظته أن نجاح الحركات القومية فى هذه الشعوب قد اقترن كذلك بنجاح الحركات الدستورية. فبعد انفصال اليونان واستقلالها عام ١٨٣١م صدر دستورها سنة ١٨٤٤م، وتلاه دستور آخر أكثر ديموقراطية سنة ١٨٦٤م. وفى سنة ١٨٦٩م نالت دستورا آخر تعرض لعدة تقلبات فى السنوات التالية.

كذلك فإن رومانيا، بعد أن صارت إمارة تحت السيادة العثمانية سنة ١٨٦١م، صار لها دستور منذ ١٨٦٦م، ثم حصلت على استقلالها سنة ١٨٧٨م، وأدخلت على دستورها تعديلات أكثر اتفاقا مع المبادئ الديموقراطية سنة ١٨٨٤م.

وقد أعلن استقلال الجبل الأسود Montenegro فى سنة ١٨٧٨م، مثل رومانيا، وأنشئ به فى السنة التالية ١٨٧٩م مجلس دولة تشريعى يتألف من ثمانية أعضاء، نصفهم بالتعيين والنصف الآخر بالانتخاب.

وأعطيت بلغاريا الحكم الذاتى تحت السيادة العثمانية فى مؤتمر برلين سنه ١٨٧٨م، مثل رومانيا والجبل الأسود، ثم صار

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لها دستور فى السنة التالية ١٨٧٩م. وفى ١٩٠٨م انتهز البلغار فرصة انتشار الفوضى فى أرجاء الإمبراطورية العثمانية عقب ثورة الاتحاديين فأعلنوا استقلال بلادهم فى أكتوبر ١٩٠٨م.

كذلك نالت «ألبانيا» استقلالها فى معاهدة بوخارست سنة ١٩١٣م.

أما روسيا القيصرية فكانت ميدانا لحركات كبيرة قام بها الأحرار، وأخفقت جميعها، وظلت القيصرية رمزا للاستبداد والرجعية فى أوروبا زمنا طويلا.

فقد رأينا كيف منح القيصر إسكندر بولندا سنه ١٨١٥م دستورا كان أعظم ما عرفته فى ذلك الحين، ولكنه سرعان ما اعتدى على الدستور. وعندما قام البولنديون بثورتهم سنه ١٨٣٠م، متأثرين بثورة يوليو فى فرنسا، أخمدها القيصر نقولا الأول (١٨٢٥ - ١٨٥٥م) وألغى الدستور نهائيا فى فبراير ١٨٣٢م، وقدر لبولندا أن ترضخ مدى ربع قرن للحكم الاستبدادى.

على أن الروح القومية البولندية ظلت لا تقهر. وقد قدر لضم «كراكاو» إلى النمسا فى ١٨٤٦م أن يكون عاملا فعالا على شعب بولندا. فقد سمحت النمسا للبولنديين فى غاليسيا بما يشبه الحكم الذاتى، وفى ظل هذا الحكم نما الشعور القومى، وأصبحت «كراكاو» مركزا للثقافة والفن والأدب البولندى والدعوة التحريرية، فقامت الثورة من جديد فى بولندا فى يناير ١٨٦٣م، واستطاعت فى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البداية أن تحقق بعض النجاح، حتى إنها تقدمت إلى وراء حدود بولندا داخل الأراضى الروسية الخالصة، ولكن روسيا بتأييد «بسمارك» لم تلبث أن أخمدت الثورة.

ولم تقف القيصرية هذا الموقف من بولندا فقط، بل وقفته داخل بلادها ذاتها، أى فى روسيا. فقد قضى القيصر نقولا الأول، عقب اعتلائه العرش بعد وفاة أخيه الإسكندر الأول، على ثورة الديسمبريين» سنة ١٨٢٥م. وهم من الروس الأحرار من رجال الطبقة الأرستقراطية والضباط الذين اشتركوا فى الحرب ضد نابليون الأول وزاروا باريس وتأثروا بالثورة الفرنسية ومبادئها، وساءهم أن يرفض القيصر الأول منح روسيا دستورا على غرار ما فعل مع بولندا، فانتهزوا وفاته بعيدا فى القرم، وجمعوا حولهم الحرس القيصرى، وراحوا يطالبون بالدستور فى ديسمبر ١٨٢٥م. فكان نصيب خمسة منهم الإعدام شنقا، فى حين نفى الباقون إلى سيبريا!

ولقد سمحت القيصرية بعد ذلك بتحرير رقيق الأرض سنة ١٨٦١م. وأدخلت بعض الإصلاحات فى الحكومة المحلية فى سنوات ١٨٦٤، ١٨٦٥، ١٨٧٠م. ومع ذلك فقد بقى الحكم أوتوقراطيا فى عهد القيصر إسكندر الثانى (١٨٥٥ ـ ١٨٨١م).

ثم زادت حدة الأوتوقراطية عندما ألقى الثوريون قنبلة على القيصر إسكندر الثانى، قضت على حياته فى ١٣ مارس ١٨٨١م.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكان هؤلاء قد كونوا جمعية سرية سموها «إرادة الشعب» Na-rodnaya Volya بغرض إرهاب الحكومة، والتخلص من كبار الموظفين المسئولين باغتيالهم. ثم انتهى الأمر باغتيال القيصر نفسه. وكان من بين الذين قبضت عليهم الحكومة عقب هذا الحادث وأعدمتهم «إسكندر أوليانوف»، شقيق لينين الأكبر.

وقد ترتب على اغتيال القيصر تعطيل كل إصلاح فى روسيا حتى سنة ١٨٠٤م. فاشتدت وطأة الأوتوقراطية فى عهد القيصر اسكندر الثالث (١٨٨١ ـ ١٨٩٤م)، ولم يُجب القيصر نقولا الثانى (١٨٩٤ ـ ١٩١٧م) شيئا من مطالب الأحرار، واستمر الحال على ذلك حتى قامت الحرب الروسية ـ اليابانية فى ١٩٠٤ ـ ١٩٠٥م، والتى هزمت فيها روسيا، فعم السخط البلاد، ونظم الثوريون بزعامة لينين وتروتسكى إضرابا عاما فى أكتوبر ١٩٠٥م، فاضطر القيصر إلى إصدار دستور فى ٣٠ أكتوبر من السنة نفسها وعد فيه باحترام حرية الفرد، وحرية الاجتماعات، والتمهيد لإنشاء برلمان يتمتع بالسلطة التشريعية إلى جانب الإشراف على تنفيذ القوانين وعلى الإدارة.

واجتمع مجلس الدوما الأول Duma فى ١٩٠٦م، ولكن القيصرية لم تشأ التخلى عن سلطاتها القديمة، فقيدت حقوق واختصاصات المجالس التالية وهى: مجلس الدوما الثانى ١٩٠٧م، ومجلس الدوما الثالث ١٩٠٧م ـ ١٩١٢م ثم مجلس الدوما الرابع ١٩١٢م.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وعلى ذلك فما كادت تهزم القيصرية فى الحرب العالمية الأولى، حتى أشعل البلاشفة الثورة فى أكتوبر ١٩١٧م بزعامة لينين، وانهارت القيصرية، ثم أعدم القيصر فى يوليو ١٩١٨م. وفى ١٩٢٣م صدر دستور اتحاد الجمهوريات الإشتراكية السوفيتية، ثم اعتمد دستور معدل جديد لهذه الجمهوريات فى ديسمبر ١٩٣٦م. وعلى هذا النحو تحققت الديمقراطية فى الاتحاد السوفيتى، ولكن بمعنى مختلف، هو ديمقراطية أوسع الطبقات فى المجتمع السوفيتى، وليس ديمقراطية الطبقة البوروجوازية.

أما فكرة القومية، التى جاءت بها الثورة الفرنسية، بمعنى تمتع الشعوب بالسيادة، وحكم نفسها بنفسها، فقد حاول الروس تحقيقها فى إنشاء اتحاد الجمهوريات الإشتراكية السوفيتية كما أوضحه دستورهم سنة ١٩٣٦م، ويتألف هذا الإتحاد من ١١ جمهورية فدرالية لها دساتير وحكومات متشابهة هى: روسيا Rus-sia وأوكرانيا Ukrania، وروسيا البيضاء White Rus-Pyelorussia، وأرمينيا Armenia، وجورجيا Georgia، وأزربيجانAzarbaijan، وأوزبيكستان Uzbekistanوكازاكستان Kazakstan، تركمنستان Turkmenistan، تاجيكستان Tajikistan، وكيرغيزيا Kirghizia.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الحادى عشر

الانقلاب الصناعى والتنافس الاستعمارى فى القرن التاسع عشر

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الانقلاب الصناعى والتنافس الاستعمارى فى القرن التاسع عشـــر

يرتبط الانقلاب الصناعى بالإنقلاب الميكانيكى، كما أنه إحدى نتائجه وآثاره، ذلك أن الاختراعات الميكانيكية المعتمدة على الطاقة المحركة كان من الطبيعى أن تؤثر بالضرورةعلى الصناعة، وتحدث فيها ثورة قفزت بالإنتاج إلى ذرى لم يسبق له مثيل فى التاريخ.

على أن هذه الثورة الصناعية لم تلبث أن أثارت مسألة توزيع المنتجات فى الأسواق. وهذه بدورها أدت إلى قيام المنافسة الاستعمارية بين الإمبراطوريات الصناعية الكبرى بحثا عن الأسواق، وتبع ذلك كله ظهور مشكلات اجتماعية واقتصادية خطيرة لم يعرفها العالم من قبل.

وقد بدأت الثورة الصناعية الميكانيكية فى القرن التاسع عشر. وكانت إنجلترا مهد هذا الانقلاب، لأن الإنجليز تمكنوا فى أثناء حروب الثورة ونابليون من إتقان مخترعاتهم الآلية، وبعد ١٨١٥م انتشر الانقلاب الصناعى فى بقية أوروبا.

وقد سبقت فرنسا وبلجيكا غيرهما من الدول، ثم دخلت ألمانيا فى هذا المضمار متأخرة بعد اتمام اتحادها. وفى سائر البلدان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سار الانقلاب الصناعى الميكانيكى سيرا بطيئاً، فبقيت الزراعة ميدان النشاط بين أغلب الشعوب، فى حين بقيت بلدان أوروبا الشرقية الجنوبية فى البلقان وتركيا وروسيا القيصرية بعيدة عن الانقلاب الصناعى فى هذا القرن.

ظلت بريطانيا مصنع العالم طوال ١٠٠ عام. ولكن فى عام ١٩٠٠م قضت ألمانيا والولايات المتحدة، على التفوق البريطانى. وكانت موارد هذه الدول الثلاث: بريطانيا وألمانيا والولايات المتحدة وتجهيزها الصناعى، مما وضعها فى المرتبة الأولى. وفى المرتبة الثانية كانت فرنسا وروسيا والنمسا وإيطاليا، التى ، وإن كانت جميعها دولا كبرى، إلا أن صناعتها لم تكن تسد احتياجاتها.

وفى المرتبة الثالثة كانت توجد بقية دول العالم التى كانت تتفاوت بين أمم متقدمة صناعيا ولكنها ضعيفة عدديا، مثل بلجيكا، وإمبراطوريات قوية عددياً ولكنها ضعيفة صناعيا، مثل الصين.

أما اليابان فلم يكن مركزها الصناعى مما يمكن التنبؤ به فى السنوات العشر الأخيرة من القرن التاسع عشر، ولكن لم تلبث التكنولوجيا الحديثة أن أظهرت مدى السرعة الرهيبة التى تستطيع بها تغيير المركز الصناعى والحربى لأمة قوية العزم.

وفى عام ١٨٨٠م لم يقتصر مقياس القوة على إنتاج الآلات الصناعية فحسب، وإنما تعداه إلى تصدير هذه الآلات. وكانت

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بريطانيا والولايات المتحدة وألمانيا هى الدول المصدرة الرئيسية حينذاك، فكانت تنتج مجتمعة $\frac{٤}{٥}$ الآلات التى تباع فى السوق العالمى، وظلت تزيد من احتكارها حتى الحرب العالمية الأولى. ولكن فى خلال ذلك حدث تغير مهم، ففى عام ١٨٨٠م كان نظام الأسبقية كالآتى: بريطانيا، فألمانيا، فالولايات المتحدة، ولكن عام ١٩١٣م أصبح كالآتى: ألمانيا والولايات المتحدة وبريطانيا. هذا من ناحية تصدير الآلات، أما من ناحية الإنتاج الإجمالى، ففى عام ١٩١٣م كانت الولايات المتحدة تصنع $\frac{١}{٢}$ الآلات الصناعية التى يستهلكها العالم، ولكنها كانت تحتفظ بـ $\frac{٩}{١٠}$ إنتاجها الضخم من الآلات فى وطنها، وكانت ألمانيا تصنع الخمس، وبريطانيا الـ $\frac{١}{٨}$.

ولقد كان نتيجة انتشار الانقلاب الصناعى فى هذا القرن، فى الوقت الذى ظهرت فيه الدول القومية نتيجة صراعها مع الإمبراطوريات الرجعية، أن هذه الدول، بعد أن أصبحت دولا صناعية كذلك، أخذت تناضل فيما بينها من أجل الاستيلاء على الأسواق التجارية والمستعمرات اللازمة لتسويق منتجاتها. وقد ارتبطت هذه الرغبة فى الاستيلاء على الأسواق برغبة لاتقل عنها خطورة، وهى رغبة التمتع بارتفاع السمعة السياسية، وذلك نتيجة لنمو الشعور القومى.

وعلى ذلك تميزت السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر بهذا الصراع الذى استمر على أشده مدة طويلة (١٨٧٠ـ ١٩١٤م)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وصار متوقعا أن يؤدى فى النهاية إلى قيام حرب بين هذه الدول المتنافسة.

وكما أثرت الثورة الفرنسية على حياة الفرد وتوجيه فكره، فقد أثر الانقلاب الصناعى فى أسلوب حياة الفرد من الناحيتين الاقتصادية والسياسية.

ذلك أن انتشار السكك الحديدية، واستخدام التجار النقل المائى، لم يلبث أن أدى إلى سهولة الاتصال وسرعته فى داخل الوطن الواحد، وبينه وبين الأقطار المختلفة، ثم إنه قرب بين مواطن الإنتاج ومراكز الصناعة وبين البلدان المختلفة التى توجد بها الأسواق التى يجرى تسويق المنتجات فيها.

ولما كان من المتعذر نقل الآلات الضخمة من أماكنها، فقد نشأت مراكز الصناعة الجديدة فى الأماكن الغنية بمواردها الخام، خصوصا الفحم والحديد، وجذبت إليها هذه المراكز السكان من كل مكان، واستقر هؤلاء بجوار مصانعهم ومعاملهم.

وقد نجم عن ذلك ظهور مشكلات اقتصادية واجتماعية خطيرة، بسبب ظروف العمل الشاقة الناتجة عن رغبة أصحاب المصانع فى الثراء السريع، والتى عانى منها العمال من جهة، وبسبب ما وفرته المصانع الكبرى والمدن الصناعية من الرابطة الضيقة التى تجمع بين العمال فى داخل المصنع، وتسهل ترابطهم من أجل قضية مشتركة من جهة ثانية، وبسبب التنافس المرير بين الرأسماليين

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

داخل المجتمع الواحد، الذى كان يتيح لكبارهم ابتلاع صغارهم من جهة ثالثة.

وهكذا فى الوقت الذى فيه كان يتزايد عدد العمال وتتوثق روابطهم، كان يقل عدد الرأسماليين ويشتد التنافس بينهم. ومن ثم كان من الطبيعى أن يدب الصراع بين هاتين الطبقتين: صراع حول البقاء.

وقد برزت الاشتراكية فى ذلك القرن لمعالجة التناقض الأساسى بين هاتين الطبقتين، ولكن الماركسية كانت وحدها هى التى قدمت للطبقة البروليتارية النظرية العلمية التى تتضمن قوانين حركة الصراع، والمنهج العلمى للعمل فيما أثارته لإسقاط الطبقة الرأسمالية والاستيلاء على الحكم.

وفى الوقت نفسه، وعلى مستوى الدول كان التنافس يدب بين الدول الصناعية من جهة، وبينها وبين الدول التى تمثل بالنسبة لها أسواقا لتسويق منتجاتها من جهة أخرى.

وبالنسبة للتناقض داخل الدول الصناعية، أو بين بعضها وبعضها الآخر، فكان ثمرته الحرب العالمية الأولى. فقد ترتب على المنافسة الشديدة على الأسواق، أن أقيمت الحواجز الجمركية، وفرضت الضرائب العالية على السلع المستوردة من الخارج لحماية الأسواق المحلية والإنتاج المحلى، ونجم عن ذلك أن قلت الأسواق اللازمة لتصريف التجارة الخارجية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولما كان الإنتاج فى الدول الصناعية لايزال فى زيادة مضطردة، فقد أدى إلى المنافسة فى التجارة تبعا لذلك، وصار من المتوقع نزول الأسعار بشكل يعرض الاقتصاد الوطنى للخطر، وقد تضافرت هذه العوامل المختلفة على إشعال نيران الحرب بين الدول المتنافسة، وخصوصا بين إنجلترا وألمانيا.

أما بالنسبة للتنافس بين الدول الصناعية على الأسواق، فكان ثمرته حركة الاستعمار فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر.

ففى الربع الأخير من هذا القرن كانت جميع الدول الكبرى تسعى للحصول على مستعمرات جديدة، وخاضت جميعها، ماعدا النمسا والمجر، حروبا استعمارية مع الدول لتوسيع أملاكها فى القارات الأخرى.

فخلال جيل واحد ضمت أملاك دول أوروبا المنتصرة الواسعة خمس مساحة الأراضى الموجودة على سطح الكرة الأرضية، وعشر سكانها ـ وهو أقصى حد للتوسع الأوروبى فيما وراء البحار خلال خمسة قرون.

كذلك تم فى جيل واحد تقسيم أفريقيا التى تبلغ مساحتها أربعة أضعاف مساحة أوروبا، إذ اشتد السباق لاستعمارها بعد عام ١٨٨١م عندما استولت فرنسا على تونس، ثم استولت بريطانيا على مصر عام ١٨٨٢م، وتطلب إخضاع السودان ١٥ عاما.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى أكتوبر عام ١٨٨٤م أرسلت ١٤ دولة مندوبيها إلى برلين للاتفاق على تقسيم أفريقيا، وهى ألمانيا، والنمسا، وهولندا، وبلجيكا، والدانمارك، والسويد، وأسبانيا، والبرتغال، وإنجلترا، وفرنسا، والولايات المتحدة الأمريكية، وروسيا، وإيطاليا، وتركيا، ولم تنس أن تسبغ على عملها البشع مسحة المدنية، وذلك بالزعم بأن هدفها إلغاء تجارة الرقيق! ومعنى ذلك تسويغ استرقاق البلاد الأفريقية بحجة الرغبة فى تحرير رقيقها!

وقد تم الاتفاق فى مؤتمر برلين الذى استمر إلى فبراير ١٨٨٥م على تنظيم تقسيم القارة على النحو الآتى:

١ ـ عدم فرض أى دولة حمايتها على منطقة من مناطق القارة دون أن تعلن ذلك إلى الدول الأخرى الموقعة على هذا الاتفاق!

٢ ـ عدم إعلان أى دولة استحواذها على منطقة من المناطق دون أن تؤيده باحتلال فعلى لهذه المنطقة!

ومنذ هذا الوقت بدأ الاندفاع على أجزاء أفريقيا يأخذ شكلا خطيراً فى مدى العشر السنوات التالية.

وقد فضلت بريطانيا وألمانيا وإيطاليا وبلجيكا أن تلجأ إلى منح استغلال الأجزاء التى تريدها إلى شركات استغلالية، وتقوم الحكومة بمنحها الحماية والمساعدة المالية، فى حين لجأت فرنسا إلى سياسة استعمارية مباشرة معتمدة على عطف الدول عليها بعد هزيمتها فى حرب السبعين.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومع هذا الاتفاق، فقد دفع التنافس على الأراضى الأفريقية بعض الدول الكبرى إلى حافة الحرب أكثر من مرة فى نهاية القرن التاسع عشر.

فقد أدى ضم فرنسا لتونس عام ١٨٨١ إلى معاداة الإيطاليين الذين كانوا يطمعون فى الاستيلاء على موقع قرطاجة القديم، ودفعهم إلى الاتفاق مع ألمانيا والنمسا فيما عرف باسم «الحلف الثلاثى» عام ١٨٨٢م.

وكاد الصدام بين إنجلترا وفرنسا فى أعالى النيل (مسألة فاشودة) فى عام ١٨٩٨م أن يؤدى إلى قيام الحرب بينهما.

كما نتج عن المنازعات الألمانية حول مراكش سلسلة من الأزمات بين عامى ١٩٠٥، ١٩١٢.

وكان من الطبيعى أن تؤدى محاولة الدول الاستعمارية الاستيلاء على الأوطان الأفريقية إلى عدد من الحروب المحلية والمحدودة مع شعوب هذه الأوطان، فامتلأت هذه الفترة من ١٨٨٠ إلى عام ١٩٠٠م بالقتال فى الصحراء والأدغال.

كما دخلت قبائل الريف، والسنجال، والهوفا، والتوريج، والأشانتى، والباسوتو، والزولو، والماتابيل، وغيرها من القبائل فى قتال مع البيض لم تحقق فيه نصرا.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكان الأحباش وحدهم هم الذين احتفظوا باستقلالهم، إذ ردوا فى عام ١٨٨٧م القوات الإيطالية الغازية التى أتت من أرتيريا. وكانت موقعة «عدوة» من أشنع الهزائم التى منيت بها دولة بيضاء فى القرن الـ ١٩.

ويمكن إدراك مدى التوسع الاستعمارى فى أفريقيا فى الربع الأخير من القرن الـ ١٩ وحتى عام ١٩١٤م بالمقارنة بين مساحة الأراضى الأفريقية التى أصبحت تحت السيطرة الاستعمارية الأوروبية فى أوائل وأواخر هذه الفترة.

ففى عام ١٨٧٨م كانت الحكومات الأوروبية تسيطر على مايزيد على عشر القارة. وفى عام ١٩١٤م كانت تسيطر على $\frac{9}{10}$ أراضيها. وكان الفرنسيون يسيطرون على أكبر كتلة، فقد بلغت مساحة الإمبراطورية الفرنسية الأفريقية التى تمتد من الجزائر إلى ساحل العاج، ومن السنغال إلى السودان، ضعف مساحة فرنسا عشرين مرة، وفاقت مجموع ممتلكات بريطانيا الأفريقية!

وفى نهاية القرن التاسع عشر قال جول فيرى Jules Ferry رئيس وزراء فرنسا: «إن شعوب أوروبا إنما تطمع فى الإستيلاء على مستعمرات لأغراض ثلاث هى: الطمع فى خاماتها، والاستحواذ على أسواقها لبيع ما تنتجه من مصنوعات، وأخيرا استثمار رءوس الأموال الفائضة بها. ولا يمكن تحقيق هذه الأهداف إلا باستغلال الأرض والسكان لمصلحة الدولة صاحبة السيادة».

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهذا القول يوضح أن استعمار أفريقيا كان ثمرة الانقلاب الصناعى فى أوروبا والثمرة المرة لشعوب أفريقيا! أما استعمار آسيا، فكان قبل الانقلاب الصناعى بوقت طويل، إذ كان ثمرة المغامرات التجارية بالدرجة الأولى، وقام على أكتاف البورجوازية التجارية، فى حين قام استعمار أفريقيا على أكتاف البورجوازية الصناعية والمالية الاحتكارية.

على أن هذا لايعنى أن آسيا لم تظفر بنصيب من البلاء الاستعمارى، ولم تتأثر تأثيراً بنتائج الإنقلاب الصناعى. فقد قدر لها أن تشارك أفريقيا مصيرها فى تلك السنوات التى زحفت فيها الإمبريالية.

وكان البريطانيون قد سيطروا على الهند من قبل، وفى عام ١٨٨٦م ضموا بورما العليا إلى الهند باعتبارها إقليما منها. وفى عام ١٨٨٥م كادت الحرب تنشب بينهم وبين الروس حول أفغانستان، التى أراد الروس احتلالها ليقفزوا منها على الهند.

وبسبب هذا الصدام تحول الروس إلى الصين بدلا من الهند، وولى القيصر وجهه عام ١٨٩٢م نحو الصين، وبنى الخط الحديدى عبر منشوريا ترقبا لانهيار السلطة فى الصين، ولكن مشروعاته انتهت بهزيمة كبيرة على يد دولة فتية هى اليابان.

وفى عام ١٨٨٣ أتم الفرنسيون استيلاءهم على الهند الصينية من كمبوديا Cambodia إلى تونكين Tongking، واخترقوا إقليم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يونان Yunnan الصينى وحصلوا على إقليم كوانجشوKuangchow بالإيجار عام ١٨٩٨م.

وفى عام ١٨٩٤م استطاع اليابانيون بهجومهم على الصين أن يفصلوا كوريا ويضموا فرموزا، وأن يستولوا تقريبا على شبه جزيرة لياو تونج Liaotung.

إلا أن هذا المكسب الأخير كان يهم الروس والألمان والفرنسيين، واستطاعت هذه الدول إقناع اليابان بإعادته إلى الصين.

وقد دفع هذا الطمع الاستعمارى من جانب الدول الكبرى الصينيين إلى المقاومة على يد جمعية سرية تدعى جمعية الملاكمين «البوكسرز» Boxers، قامت تقتل المبشرين والتجار الأوروبيين. وهنا زحف جيش دولى على بكين، ونهب قصر الإمبراطورية التى شجعت البوكسرز، وفرض تعويضا فادحا. وكانت الدول الاثنتى عشرة التى اشتركت فى إعادة حسم الأمور فى الصين تضم اليابان والولايات المتحدة.

وفى بداية القرن العشرين كانت مدمرات ست دول كبرى، هى: بريطانيا وفرنسا وألمانيا وروسيا واليابان والولايات المتحدة تجوب مياه الشرق الأقصى، ولكن أكثر الدول اهتماما بالصين بين هؤلاء الأوصياء كانت اليابان وروسيا، إذ لكل منهما حدود متاخمة على بحر اليابان، وقد أدى تنازعهما إلى الصدام المسلح عام ١٩٠٤م.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الثاني عشر

الوحدة الإيطالية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الوحدة الإيطالية

تعتبر الوحدة الإيطالية ثمرة من ثمار الثورة الفرنسية وحكم نابليون. لقد كانت إيطاليا قبل غزو نابليون مجرد اسم جغرافى، فقد كانت مقسمة إلى إمارات إقطاعية يحكمها أمراء إقطاعيون، وبالتالى فإن هذا النظام الإقطاعى كان من شأنه تفتيت الشعور القومى.

وعندما غزا نابليون إيطاليا، قضى على سلطة الأمراء الإقطاعيين، وقضى بذلك على الدويلات العشر فى شبه الجزيرة الإيطالية، فمهد الطريق لظهور طبقة بورجوازية بعد زوال الحواجز الإقطاعية، وكانت هذه الطبقة البورجوازية هى التى حملت لواء الدعوة للوحدة الإيطالية.

وكما رأينا فقد تجاهل مؤتمر فيينا الشعور القومى الذى عمل نابليون على تشجيعه بوازع من أصله الإيطالى، ولإقامة حاجز إيطالى فى مواجهة النمسا، ومن هنا كانت النمسا نفسها هى التى عملت على إعادة إيطاليا إلى أوضاعها السياسية التى كانت عليها قبل الثورة الفرنسية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فقد استولت النمسا على مقاطعة لومبارديا (لومباردى) Lombardy. التى كانت خاضعة لها منذ عام ١٧١٣م، كما استولت على البندقية وجزرها التى كانت تمتلكها، واستعادت تريستا وساحل دالماشيا، وأصبحت النمسا بفضل استيلائها على البندقية وجانب كبير من شاطئ الأدرياتيك الشرقى، دولة بحرية.

أما بقية الإمارات الإيطالية، فقد أعيد ملك بيد مونت (ولقبه الرسمى: ملك سردينيا)، وهو من أسرة سافوى، إلى مملكته، وكان قد طالب بضم مقاطعة لومبارديا إليه، ولكنه لم يوفق، وألحق به جزء من سافوى، كماضم إليه أيضا جمهورية جنوة Genoa القديمة.

وأعيدت ولايات البابا إليه، وأعيد الملك فرديناند البوربونى إلى نابولى قاعدة ملكه، بعد أن ضم إلى ملكه جزيرة صقلية أيضا، وقد تعهد ألا يمنح لرعيته دستورا أكثر مما هو ممنوح للومبارديا والبندقية.

كما عقدت النمسا معاهدات مع أمراء توسكانيا ومودينا وبارما (فى الغرب من الولايات البابوية) تضعهم تحت نفوذها، وأقامت حاميات نمساوية فى قلاعهم.

وعلى هذا النحو قسم مؤتمر فيينا إيطاليا إلى ثمانية أجزاء، وهى: مملكة بيد مونت Biedmont، والمقاطعات النمساوية فى الشمال، (وتتكون من لومبارديا والبندقية) ودويلات الكنيسة،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ودوقيات توسكانيا وموديا وبارما ولوكا Lucca فى الوسط، ومملكة نابولى (أو The two Ciclies الصقليتين) فى الجنوب.

وأعطيت بارما إلى مارى لويز الأميرة النمساوية وأرملة نابليون، وأعطيت لوكا إلى الأميرة مارى لويز البوربونية التى كانت تحكم بارما قبل الثورة الفرنسية، وأعيدت الدويلات الأخرى إلى أصحابها القدامى فيما عدا البندقية التى حصلت عليها النمسا، وجنوة التى ضمت إلى مملكة بيدمونت.

وقد أصابت هذه التغييرات مصالح الطبقة البورجوازية الإيطالية التى أزدهرت فى عهد نابليون، بعد أن أعيدت الحواجز الإقطاعية، وأصيبت تجارتها بالكساد من جرّاء المكوس الجمركية التى عادت بين الدويلات، فأخذت تتوق إلى إزالة هذه الحواجز عن طريق الوحدة.

وفى الوقت نفسه، كان العسكريون متشبعين بالأفكار الثورية الديمقراطية، وقد سخطوا من جرّاء ضياع الحريات الاجتماعية، وعودة الترقيات إلى الضباط الذين أعادتهم تغييرات مؤتمر فيينا من المنفى.

وازداد الاستياء فى المقاطعات الخاضعة للنمسا فى لومبارديا، بعد أن أسندت المناصب العليا إلى النمساويين والتيروليين، وضربت مصالح رجال الصناعة الذين كانت صناعتهم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تخضع للرسوم الجمركية عند دخولها إلى النمسا فى حين كانت سوق لومبارديا مفتوحة للسلع النمساوية.

وقد أفرز ذلك كله حزبا مكونا من البورجوازيين والأشراف فى ميلان، كان رئيسه كانفالونييرى Canfalonieri الذى كان يجتمع بأحرار إنجلترا وفرنسا.

وتزايد السخط فى نابولى التى تعهد ملكها فرديناند - كما رأينا - لمترنيخ بحكم بلاده بلا دستور، بعد أن فتحت أبواب إيطاليا أمام التجارة الأوروبية، وزاحمت البضائع الأجنبية المصنوعات الوطنية، فضعفت صناعة الأقطان والمشروبات، فضلا عما أصاب تجارة الحبوب والزيوت من الكساد، وأصيبت مصالح الطبقة البورجوازية التجارية والصناعية فى الصميم، وبدأ الفلاحون يتذمرون بسبب عودة الحقوق الإقطاعية.

فى ذلك الحين ظهر تشكيل جديد بزعامة جمعية الكاربوناري Carbonari (أى حارقو الفحم) وهى جمعية سرية تشبه فى مراسمها وتشكيلاتها تشكيلات الماسونية، ظهرت فى نابولى، وساعد على إيجاد أنصار لها من مختلف الأحزاب تعاليمها الديمقراطية الاشتراكية ونزعتها المسيحية.

وقد انتشرت هذه الجمعية من نابولى فى الجنوب إلى الشمال فى بيدمونت وبارما ولومبارديا، وأخذ هؤلاء يدبرون المؤامرة الكبرى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التى هيأت لثورة ١٨٢٠م ضد الملك فرديناند فى نابولى. ولكن نجح النمساويون بسهولة فى إخمادها. كما لقيت انتفاضات أخرى فى بارما ومودينا والولايات البابوية فى ١٨٣١م نفس المصير.

وقد أدى فشل الكاربوناري فى قيادة الثورة إلى قيام تنظيم جديد أكثر حيوية، وهو تنظيم «إيطاليا الفتاة» الذى ألفه ماتزينى Mazzini الذى ولد فى جنوة، وكان عضوا فى جماعة الكاربوناري، ونفى بسببها فى عام ١٨٣١م، ويعتبر من زعماء حركة البعث Risorgimento التى نادت بتوحيد إيطاليا.

وكان يرى أن سبب فشل ثورة الكاربوناري ناشئ من أن قادتها كانوا محدودى الكفاية والإبداع، ولم يكن لديهم أى برنامج معد ليباشروا تنفيذه عند إسقاط الحكومات الاستبدادية، وقد اعتقد أنه آن الآوان لظهور قيادات شابة وأفكار شابة، وكان شعاره «اتركوا المجال للشباب» وضعوهم على رأس الثورة، وأقنعوهم بمقدرتهم، وأطلقوهم فى وجه النمساويين.

وقد اختلفت جمعية «إيطاليا الفتاة» عن «الكاربوناري»، فى أن الجماعة الأخيرة كانت تطلب من أعضائها الطاعة العمياء، فى حين كان ماتزينى يطلب من الأعضاء العمل حسب اقتناعهم الشخصى. ولما هرب من سجنه فى عام ١٨٣١م والتجأ إلى فرنسا، راجت كتاباته فى جميع أنحاء إيطاليا، وأخذت مدرسته الجديدة تقوم مقام «الكاربوناري»، إذ خلب منهجه الشباب الإيطالى الذى كان ينتظر بفارغ الصبر ظهور الزعيم، وأخذ أنصاره يزدادون يوما

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بعد يوم، وكان يرى أن الثورة لا يمكن أن تنجح بدون اشتراك عامة الشعب، وكانت فكرة ماتزينى أن تكون إيطاليا الجديدة «جمهورية» «وموحدة»، لأن حالة إيطاليا وتقاليدها وجميع ذكرياتها الخالدة متمركزة فى فكرة «الجمهورية».

على أن الوحدة الإيطالية فى نظر ماتزينى كانت أثمن من الجمهورية، وكان مؤمنا بإمكان بعث إيطاليا الموحدة، وأخذ يبشر برسالة الوحدة حتى أصبحت إنجيل الأمة، وسرى إيمان ماتزينى إلى الناس فأصبحوا يعتقدون أن إيطاليا لن تستطيع أن تكون قوية إلا بالوحدة.

وكان ماتزينى، كأكثر الكاربوناريين، يعتبر بيدمونت مؤهلة لقيادة الحركة القومية، فلما تولى شارل ألبرت Charles Albert العرش، وجه إليه ماتزينى رسالة يدعوه فيها لأن يكون على رأس الوطنيين، ولكن شارل ألبرت أصدر عليه حكما قاسيا، فما كان من ماتزينى إلا أن دعا إلى الثورة، متصورا أن الثورة على أبواب البلاد، وأنه ما يكاد ينفخ فيها حتى يهرع المتطوعون للانضمام إلى الحركة، ثم ينضم الجيش البيدمونتى إلى الثورة، ويستولى على لومبارديا، ويجبر شارل ألبرت على ترؤس الحركة أو الخلع.

على أن الحكومة فى بيدمونت اكتشفت المؤامرة، ولجأت إلى القسوة فى البطش برجالها، وتألفت المحاكم العرفية، وقاد شارل ألبرت عملية الاضطهاد بنفسه.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولم يحفل ماتزينى بهذا الفشل، بل اجتمع فى سافوى على رأس ٧٠٠ من المبعدين وأعد ثورة ثانية، فاجتمع فى سويسرا جيش من المبعدين من جميع الأقطار الإيطالية، وزحفوا على سافوى، وعلى رأسهم الجنرال المنفى «رمارينو»، فى حين حاول البحار الشاب غاريبالدى إثارة الأسطول، ولكن بطأه وعجزه أضاعا الفرصة، وتشتت القوة بعد بعض المناوشات فى فبراير ١٨٣٤م.

فى تلك الأثناء برزت إلى جانب تنظيم «إيطاليا الفتاة» حركة قومية معتدلة يقودها مثقفون تختلف طريقتهم فى الحصول على الاستقلال عن طريقة «إيطاليا الفتاة»، فقد كانوا ملكيين ينفرون من المؤامرات والثورات، ويرون فيها ذريعة تستخدمها الحكومات الرجعية للمضى فى التدابير الاستبدادية، وكانوا يعتمدون على الملوك فى الإصلاح، ويرون أن الزمن لم يحن بعد لاستخدام العنف.

وقد انقسم هؤلاء المعتدلون إلى فريقين، الفريق الأول، كان كاثوليكيا، وقد أطلق أعضاؤه على أنفسهم اسم «الجلفى الجديد» Guelfe، وكان على رأس هؤلاء جيوبيرتى Gioberti، وهو راهب من أهل تورينو.

ولم يكن جيوبيرتى يؤمن بالوحدة الإيطالية، فقد كان يرى تعذر تحقيقها بصورة سليمة بسبب الانقسام الذى أصاب إيطاليا منذ زمن بعيد وفعل فعله، كما كان يعتقد أن تأسيس الوحدة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الإيطالية بالقوة جريمة، ولكنه كان يرى إقامة اتحاد بين الدول الإيطالية برئاسة البابا العليا. وهو ما يضمن دخول روما وممتلكات البابا فى الاتحاد.

أما المجموعة الثانية من الوطنيين المعتدلين، فكانت ترى فى مملكة بيدمونت معقد آمالها فى الاتحاد، وكان على رأسها « قيصر بالبو» الذى نشر كتابا فى باريس سنة ١٨٤٣م بعنوان: «آمال إيطاليا». وكان بالبو تلميذا لجيوبرتى، ولكنه يختلف عنه فى تعليق آماله على تورينو بدلا من بابا روما، وكان كتابه موجها للملك شارل ألبرت يحرك به وطنيته، ولم يكن بالبو يؤمن بالوحدة الإيطالية أيضا، وإنما بالاتحاد الإيطالى، غير أن هذا الاتحاد لم يكن ليتم مادام النمساويون يحتلون البلاد، ومن هنا تأتى أهمية وضرورة الاستقلال الوطنى.

كذلك كان على رأس هذه المجموعة «دازيجليو»Dazeglio صديق بالبو الذى قام بنشر آرائه، وكان يؤمن بزعامة بيد مونت ويكره بابا روما، وقد ندد بالثورات المحلية الصغيرة التى لا تؤدى إلى الاستقلال، وإنما تمكن الحكومات من سحقها وتسوغ حجتها فى إنزال الاضطهاد بالأحرار، مبينا أنه ليس من حق أقلية أن تفرض مستقبل شعب.

وقد أصبح دازيجليو بفضل هذه الآراء زعيما لأنصار شارل ألبرت الذين يعلقون آمالهم على ملك بيدمونت وأصبح الذين يتوقون إلى رؤية إيطاليا حرة ينضمون إلى صفوف المعتدلين الذين ثبت

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أنهم كانوا أقدر على تحقيق الوحدة الإيطالية من جماعة كاريوناري وإيطاليا الفتاة، وقد أطلق عليهم اسم العمليين.

وعلى هذا النحو انقسم الرأى العام فى الولايات الإيطالية بين أنصار الملكية وأنصار الجمهورية - أى بين أنصار ملكية بيدمونت، وأنصار ماتزينى الذين يؤمنون بالجمهورية.

فلما نشبت الثورة فى فرنسا عام ١٨٤٨م، وامتدت عدواها إلى النمسا فى مارس ١٨٤٨م، واضطر مترنيخ إلى الفرار، قامت الثورة فى لومبارديا فى شمال إيطاليا ضد الحكم النمساوى فى ١٧ مارس ١٨٤٨م، وأجبر الوطنيون فى عاصمتها ميلانو الحامية النمساوية بقيادة راديسكى Radesky على الجلاء بعد خمسة أيام من الثورة.

وفى نفس الوقت تقريبا تم طرد حكومتى بارما ومودينا (وقد كانتا نمساويتين فى حقيقة الأمر).

وفى ١٧ مارس ١٨٤٨م قامت الثورة فى البندقية، وأطلق الوطنيون سراح الزعيم الوطنى مانين Daniel Manin الذى سارع بإعلان الجمهورية.

وهكذا توقف الأمر فى نجاح الثورة على موقف شارل ألبرت ملك بيد مونت (وهى القاعدة الحقيقية لمملكة سردينيا)، فأصدر فى ٢٣ مارس ١٨٤٨م بيانا لشعبى لومبارديا والبندقية يعلن فيه وقوفه

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إلى جانبهما، ثم أعلن الحرب على النمسا، وعبر الجيش السردينى نهر تتشينو Ticino لتعقب النمساويين ومساندة الثائرين فى لمبارديا، واضطرت حكومات توسكانيا وروما ونابولى إلى إصدار الأوامر لجيوشها بالزحف، للاشتراك فى حركة تحرير إيطاليا، واعتقد الناس أن الوحدة الإيطالية أتية.

على أن هذا الأمل لم يتحقق تحت عاملين: الأول، أن الولايات الإيطالية كانت تفتقر إلى الوحدة الحقيقية، فقد سارع فرديناند ملك نابولى إلى سحب جيوشه، وكذلك فعل دوق تسكانيا.

وفى الوقت نفسه رفض البابا بيوس التاسعBius IX الاشتراك فى الحرب ضد النمسا، على أساس أنه بابا يحب جميع الشعوب ويساوى بينها! فانقلب بذلك على تاريخه، إذ كان صاحب مبادئ حرة أثارت دهشة مترنيخ حتى اعتبر ظهور بابا ذى مبادئ حرة «أعظم كارثة فى هذا العصر»! وبعد هذا الانقلاب أضطر البابا إلى الفرار من روما.

وسرعان ما أقيمت جمهورية ثورية أسند الحكم فيها إلى ثلاثى يتألف من ماتزينى وسافى Saffi وأرميللينى Armillini ـ وإن كان ماتزينى هو الموجه الفعلى لسياسة الجمهورية. كما جاء غاريبالدى، الذى صار يعتبر بطل إيطاليا، فوضع سيفه تحت تصرف الحكومة الثلاثية. ومن روما راح ماتزينى وغاريبالدى يتحديان سلطة النمسا والبابا باسم الله وباسم الشعب.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أما العامل الثانى فهو موقف الملك شارل ألبرت، الذى أصبح الآن وحده فى الميدان بعد تخلى الولايات الإيطالية عنه، وكان فى وسعه التقدم بعد الانتصارات التى حققها على النمساويين، ولكنه تردد، وقد سمى لذلك بالملك المتردد Retentenna، والتاريخ يعرفه بصفة عامة باسم «هاملت سافوى»The Hamlet of Savoy. وقد أضعف شأن الحركة الإيطالية باقتصارها على شمال إيطاليا، وكان همه ألا يعطى للجمهوريين الفرصة، وأن يضم لومبارديا إلى بيدمونت قبل تحقيق النصر.

وكان النمساويون بعد طردهم من ميلانو قد تقهقروا إلى الشرق بعد أن حققت القوات الإيطالية بعض الانتصارات، وأعظمها الاستيلاء على حصن بيشبييرا Pescbiera المهم.

على أن النمساويين ظلوا يسيطرون فى الرباعى الشهير: «فيرونا» Verona وبيشبييرا Pescbiera ولينياجو Legnago ومانتورا Mantora على مواقع حصينة أتاحت للجيش النمساوى طريقا مأمونا للاتصال بالنمسا وتلقى الإمدادات، كما وجدوا فى «راديتسكى» رغم تجاوزه الثمانين من عمره، قائدا يعترف له أعداؤه بالبراعة، وكان مستوى النظام والكفاءة فى جيش النمسا أعلى كثيراً منه لدى الإيطاليين. ومن هنا لم يكن ثمة ما يمكن أن ينقذ الإيطاليين من الهزيمة الكاملة سوى انهيار السلطة النمساوية انهيارا كاملا شمال الألب.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وسرعان ما اقتربت النهاية عندما اكتمل استعداد «راديتسكى» لشن هجوم مضاد، فالتحم بالإيطاليين فى يوم ٢٥ يوليو ١٨٤٨م فى ساحة القتال بكستوزا Custozza، وهى الساحة التى قدر لهم أن يصابوا فيها بضربة قاضية مرتين، فأنزل بهم هزيمة فادحة مما اضطر شارل ألبرت إلى الانسحاب إلى ميلانو، ودخل النمساويون ميلانو من جديد، واضطر شارل ألبرت إلى عقد هدنة من شروطها الموافقة على إعادة لومبارديا إلى النمسا.

وهنا أعلن ماتزينى أن الحرب الملكية قد انتهت، وأن الأوان قد آن لحرب الشعب أن تبدأ، ورفع علما نقش عليه شعاره المفضل: «الله والشعب».

لم تكن الهدنة التى وقعت على أثر الاحتلال النمساوى لميلانو تسوية نهائية لمستقبل إيطاليا، فقد طالب البرلمان فى تورينو بإستئناف الحرب، وهددت جنوة بإعلان الجمهورية إذا قبلت شروط النمسا، فلم يجد شارل ألبرت بدا من مواجهة النمساويين من جديد، ولكن الجيش البيدمونتى بقيادة شارل ألبرت لقى الهزيمة فى معركة نوفارا Novara فى ٢٣ مارس ١٨٤٩م، وهى هزيمة اقترنت ببعض الشك فى خيانة بعض قواده.

وهنا أعلن شارل ألبرت أنه قد ضحى بكل شئ فى سبيل إيطاليا، وأنه لما كان قد غدا العقبة الرئيسية فى طريق الصلح، فقد قرر النزول عن العرش، لابنه فيكتور عمانويل الثانى. وهجر شارل ألبرت بلاده إلى البرتغال حيث توفى بعد أشهر قليلة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كان على اثر هذه الهزيمة أن عادت الرجعية إلى الولايات الإيطالية، فقد استطاع فرانسوا الأول ملك نابولى إعادة النظام الرجعى فى نابولى أولا، وتمكن ، بمساعدة النمسا، من عبور المضيق إلى صقلية التى كان الثوار قد أعلنوا فيها قيام دولة مستقلة ذات نظام دستورى، فأخمد الثورة. وبقيت جمهوريات توسكانيا والبندقية وروما.

وبالنسبة لتوسكانيا فإنها كانت قد تمكنت من إقامة جمهورية فيها بزعامة الشاعر «جورازى» Guerazzi، ولكن النمسا تدخلت فى أمرها، وأعادت فيها النظام القديم.

أما البندقية فقد أخضعتها النمسا بدورها، ونفت بطلها «مانين».

وأما روما فقد تنازعت النمسا وفرنسا على إخضاعها وإعادتها إلى البابا، ولكن لويس نابليون رئيس الجمهورية الفرنسية أراد أن يكسب لصفه الكاثوليك فى فرنسا، فأرسل حملة على روما قامت بغزوها. وقد دافع عنها ماتزينى، وغاريبالدى دفاع الأبطال، ولكن المدينة سقطت، وفر غاريبالدى وصحبه، وعاد البابا إلى عرشه.

ولم يبق فى إيطاليا كلها فى نهاية عام ١٨٤٩م مملكة دستورية غير بيدمونت، التى باتت الآمال معقودة عليها لتحقيق الوحدة الإيطالية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكانت بيدمونت عند حسن الظن بها، فقدظل فكتور إيمانويل يحافظ على الدستور وعلى الراية المثلثة الألوان (رمز الوحدة) ويأوى الأحرار، ومن هؤلاء مانين بطل البندقية، الذى أنشأ جمعية اسمها «الوحدة الإيطالية» تعمل من أجل الوحدة بزعامة بيدمونت. ومنهم أيضا غاريبالدى. وبلغ من تزايد توافد الأحرار على بيدمونت أن زاد عدد سكانها نحو الخمس!

وقد اختار فكتور إيمانويل الثانى لمعاونته الوزير كافور (١٨١٠ ـ ١٨٦١م) Camillo Benso di Cavour الذى كان من أكثر المتحمسين للحكم الدستورى، وهو من أبناء تورين، وأسس فى عام ١٨٤٧م جريدة أسبوعية باسم Resorgimento أى البعث، وقد استدعاه إيمانويل الثانى فى عام ١٨٥٠ للاشتراك فى الوزارة، وفى ١٨٥٢م عينه رئيسا للوزراء.

وقد كانت خطة كافور للوحدة هى تقوية بيدمونت اقتصاديا وعسكريا حتى تستغنى عن أية نجدة تأتى من أمراء إيطاليا بعد أن ثبت تخليهم عن بيدمونت وقت الحرب. وقد استطاع بالفعل عن طريق الأخذ بيد الصناعة والتجارة وفرض الضرائب على أملاك الكنيسة أن يقوى اقتصاد بلاده على نحو مكنه من إعداد تسعين ألفا من الجنود الذين تمرنوا على النمط البروسى.

كذلك تخلى كافور عن فكرة الاعتماد على إيطاليا وحدها فى التحرير، وهى الفكرة التى كانت تعتنقها كل الجماعات الإيطالية التى كانت تقول: «إيطاليا تقوم بذلك وحدها» "Italia Fara da se".

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لقد أدرك كافور أن إيطاليا لا تستطيع الوقوف وحدها فى وجه النمسا القوية، فعمد إلى إرضاء الدول وجلب ثقتها، وأخمد ثورات ماتزينى حتى لا تنفر منه الحكومات الراغبة فى السلام والنظام.

ولما قامت حرب القرم Crimean War (١٨٥٤ ـ ١٨٥٦م) عرض على كل من إنجلترا وفرنسا الاشتراك معهما ضد روسيا، وانتصر معهما فى معارك كثيرة، فغسل عار هزيمة نوفارا.

ولما انعقد مؤتمر الصلح فى باريس عام ١٨٥٦م، جلس بجانب مندوبى الدول العظمى، وإن لم يكن قد دعى رسميا إلى المؤتمر، وأسمعهم صوت إيطاليا، وعرض قضيتها ضد النمسا، وتقرب من نابليون الثالث، الذى نشأ على حب إيطاليا واندمج فى صفوف الكاربوناري وتعهد بالعمل على توحيد إيطاليا إذا ولى العرش.

على أن خطة كافور فى الاستعانة بفرنسا كادت تتعرض لنكسة عندما ألقى إيطالى يسمى أورسينى Orsini ثلاث قنابل على نابليون الثالث وزوجته فى باريس، وهما ذاهبان إلى الأوبرا يوم ١٤ يناير ١٨٥٨م، وقبض على أورسينى. ولكن الجانى لم يلبث أن أرسل من سجنه نداء إلى الامبراطور يتوسل إليه فيه أن يذكر إيطاليا، وأنه مادامت إيطاليا محرومة من استقلالها فلن يكون هناك سلام فى أوربا.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهنا بعث الإمبراطور يطلب لقاء كافور فى حمامات بلومبيير Plombère فى ٢٠ يولية ١٨٥٨م، واتفقا على أن تساعد فرنسا بيدمونت فى حربها ضد النمسا، بشرط أن تبدأ الأخيرة بالعدوان، وأتفقا على أنه عند انتصار الحليفين تنفذ الشروط الآتية:

١ ـ تضم لومبارديا والبندقية لبيدمونت، وكذلك الدوقيات وبعض أجزاء ولايات البابا فى شمال إيطاليا، ويصبح فكتور إيمانويل ملكا على مملكة شمال إيطاليا.

٢ ـ يضاف الجزء الباقى من ولايات البابا ـ ما عدا روما وماجاورها ـ إلى توسكانيا، وتتكون منها جميعا مملكة إيطاليا الوسطى.

٣ ـ يتكون اتحاد إيطالى من كل من مملكة شمال إيطاليا ومملكة إيطاليا الوسطى بالإضافة إلى مملكة نابولى والولايات البابوية، بزعامة البابا ترضية له عن خسارة معظم أملاكه.

٤ ـ تتنازل بيدمونت لفرنسا عن نيس وسافوى لتوسيع حدود فرنسا إلى جبال الألب.

وبناء على هذا الاتفاق أخذ كافور فى استفزاز النمسا لكى تعلن الحرب على بيد مونت، وذلك عن طريق الإيعاز إلى الصحف فى بيد مونت بالطعن فى الحكومة النمساوية وبالتنديد بها، وفتح اكتتابات لتعزيز الجيش، وإزاء ذلك أرسلت النمسا إنذارا الى كافور تطلب فيه تسريح الجيش ونزع سلاحه فى ثلاثة أيام.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهنا تقاطر المتطوعون على بيد مونت، وتقدم غاريبالدى إلى الملك متطوعا رغم ميوله الجمهورية، فعقد الملك له لواء المتطوعين.

وفى أبريل ١٨٥٩م زحفت الجيوش النمساوية على بيد مونت، فاعتُبرت معتدية فى نظر أوربا، وتقدمت فرنسا لمساندة حليفتها «وتحرير إيطاليا من الألب إلى الأدرياتيك»، وكون غاريبالدى من المتطوعين فرقة «صيادى الألب» لمهاجمة جناح الجيش النمساوى، وانتصر نابليون وفكتور إيمانويل على الجيش النمساوى فى ماجينتا Magenta فى ٤ يونية ١٨٥٩م، وسولفرينو Solferino فى ١٤ يونية ١٨٥٩م.

على أن تطور الأوضاع فى إيطاليا فى أثناء الحرب، وتغير الموقف الدولى، ضغطا على يد نابليون لإيقاف الحرب دون استشارة كافور.

فقد أعلنت الولايات الوسطى انضمامها إلى بيدمونت على أثر الحرب، مما هدد بظهور وحدة إيطالية قوية. وفى الوقت نفسه استغاثت النمسا بروسيا وإنجلترا، واستنكر الرأى العام فى فرنسا إضعاف سلطة البابا عن طريق فقد بعض أملاكه فى إيطاليا الوسطى.

وعلى ذلك طلب نابليون الثالث مقابلة الإمبراطور النمساوى فرانسوا جوزيف، فقابله فى «فيلافرانكا» Villafranca، يوم ١١

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يولية ١٨٥٩م، وعقد معه هدنة، واتفقا على شروط الصلح، بغير استشارة بيد مونت، وهى الشروط التى عرفت باسم «صلح زيوريخ» ١٨٥٩م، وبمقتضاها تنزل النمسا عن لومبادريا إلى بيدمونت، وإرجاع حكام توسكانيا ومودينا وبارما إلى عروشهم، بعد أن كانوا قد طردوا منها وطلبت شعوبهم الانضمام إلى بيد مونت كما ذكرنا، وتأليف اتحاد من كل إيطاليا تحت رئاسة البابا، على أن تدخل البندقية ضمن هذا الاتحاد كإقليم تابع للنمسا.

على هذا النحو لم تنل بيد مونت من الحرب غير لومبارديا، إذ بقيت البندقية للنمسا، وتقرر عودة حكام الولايات الوسطى إلى عروشهم، وهنا قدم كافور استقالته إلى الملك فيكتور عمانويل الثانى احتجاجا على قبول الملك «المعاهدة الحقيرة».

على أنه عندما أبى الشعب الثائر فى مودينا وبارما وتوسكانيا ورومانيا Romagna الخضوع لأحكام المعاهدة، وأصر على رغبته فى الانضمام إلى بيدمونت، أرضى ذلك كافور، فعاد إلى رياسة الوزارة فى يناير ١٨٦٠م، وأخذ يعمل على إجابة طلب هذه الولايات.

ولما كان نابوليون لم يحصل على نيس وسافوى بسبب عدم تنفيذه كل شروط بلومبيير»، فقد عرض عليه كافور ضم الولايات الوسطى إلى بيد مونت فى مقابل حصوله على نيس وسافوى، فقبل بشرط استفتاء الأهالى فى هذا الانضمام، وقد جاءت نتيجة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الاستفتاء فى صالح الانضمام إلى بيدمونت. وعلى الرغم من أن اسم المملكة الرسمى كان لايزال مملكة سردينيا، فقد باتت تعرف باسم «إيطاليا».

وفى الوقت نفسه أُخذت أصوات أهل نيس وسافوى، فكانت فى جانب الانضمام إلى فرنسا، وعلى ذلك تنازل كافور عن نيس وسافوى لفرنسا.

وكانت نيس هى مسقط رأس غاريبالدى، الأمر الذى جعله يكره كافور، وكانت سافوى مسقط رأس أسرة الملك فيكتور إيمانويل، وهى التى كانت تسمى أسرة سافوى Savoy، وكانت شارتها صليبا أحمر فوق ترس، وقد بقى الترس والصليب فى وسط علم إيطاليا المثلث الألوان رغم ضم سافوى لفرنسا.

على كل حال فقد بقى خارج الوحدة كل من مملكة نابولى والبندقية وأملاك البابا بما فيها روما.

وبالنسبة لنابولى وصقلية اللتين كانتا تكثر فيهما الثورات لاستبداد ملكهما، فقد عمد كافور إلى تحريك الثورة فيهما، وأرسل غاريبالدى سرا فى مايو ١٨٦٠م ومعه ألف من المتطوعين من «ذوى القمصان الحمراء» نزل فى صقلية واستولى عليها دون عناء، وعبر البوغاز ونزل أرض نابولى، ودخل عاصمتها دخول المنتصر يوم ٧ سبتمبر ١٨٦٠م.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى ذلك الحين كان البابا يعد جيشا لمحاربة بيد مونت ليسترجع منها رومانيا، وأعلن الجهاد الدينى عليها، فأتاح بذلك الفرصة لكافور لضم الممتلكات البابوية، وتقدم الملك فيكتور إيمانويل الثانى بجيشه، وشتت جيش البابا عند «كاستيلفيداردو» Castelfidardo فى ١٨ سبتمبر ١٨٦٠م، واحتل ممتلكات البابا عدا روما، إذ كانت فيها حامية فرنسية، وجرى استفتاء شعبى انتهى لصالح الانضمام إلى بيد مونت فى نوفمبر ١٨٦٠م.

وتقدم الملك بعد ذلك إلى نابولى، حيث كان غريبالدى يريد إنشاء جمهورية فيها متأثراً بأفكار ماتزينى، ولكنه عدل عن رأيه وطلب إلى الناس الاتحاد تحت لواء الملك، ودخل الملك وغاريبالدى مدينة نابولى فى عربة واحدة، وفتحا معاً ما بقى من حصون البلاد.

وقد تلا ذلك إجراء استفتاء شعبى فى الوحدة مع بيدمونت، فكان الاستفتاء لصالح الوحدة. وفى ١٨ فبراير ١٨٦١م اجتمع المجلس النيابى الجديد فى تورينو، وكانت كل إيطاليا ـ فيما عدا البندقية وروما ـ ممثلة فيه، فاستبدل باسم «مملكة سردينيا» (بيدمونت) «مملكة إيطاليا»، ونودى بفكتور إيمانويل الثانى ملكاً على إيطاليا «بفضل الله وإرادة الأمة».

ولكن بعد أربعة أشهر فقط، أى فى ٦ يونية ١٨٦١م، مات كافور بعد أن وحد إيطاليا بالدستور، ولقبه المؤرخون ببسمارك إيطاليا، وإن كان بسمارك وحد ألمانيا بالحديد والدم.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد بقى على إتمام الوحدة الإيطالية ضم البندقية، التى كانت لاتزال تابعة للنمسا، وروما التى كانت تحت سيطرة البابا.

أما البندقية فقد ضمت إلى مملكة إيطاليا بعد هزيمة النمسا أمام جيوش بروسيا سنة ١٨٦٦م.

وأما روما فقد بقيت فى يد البابا حتى نشوب حرب السبعين (١٨٧٠م) بين فرنسا وبروسيا، وانسحاب الجيوش الفرنسية منها، فدخل الجيش الإيطالى روما فى ٢٠ سبتمبر ١٨٧٠م. وقد دخلها الملك فرداً عادياً لا كملك، احتراماً للبابا. وقد جرى استفتاء شعبى فى روما طبقاً لما جرى فى الولايات السابقة، فصوتت الغالبية العظمى لصالح الانضمام للمملكة، وبذلك تمت الوحدة الإيطالية.

على أن البابا لم يعترف بهذا الانضمام، وظل يعتبر نفسه - هو ومن تلاه من البابوات - سجيناً فى قصره بالفاتيكان، ورفض أن ينزل عن سلطته الزمنية، واستمر ذلك حتى سوى هذا النزاع فى أثناء الحكم الفاشى فى إيطاليا فى «اتفاقية لاتران» فى ١١ فبراير ١٩٢٩م، وهى الاتفاقية التى عقدت فى قصر البابا المعروف باسم قصر Lateran، وقد اعترفت فيها الحكومة الإيطالية بالكاثوليكية الرومانية باعتبارها دين إيطاليا الرسمى، وبمدينة الفاتيكان Vatican City كدولة مستقلة ذات سيادة. وفى عام ١٩٤٨ أكد الدستور الإيطالى هذه الاتفاقية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الثالث عشر

الوحـــدة الألمانيـــة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الوحـــــدة الألمانيـــــــة

(أولاً) لماذا تاخرت الوحدة الألمانية :

لم تشهد ألمانيا حتى القرن التاسع عشر ظهور الدولة المركزية الموحدة كما حدث بالنسبة لإنجلترا وفرنسا وأسبانيا فى أوائل العصور الحديثة. فعلى الرغم من خضوع معظم أجزائها للإمبراطورية الرومانية المقدسة التى تتوارثها أسرة الهابسبرج ومقرها فينا، فإن هذه الإمبراطورية لم تكن دولة قومية، بل فدرالا (اتحادا) فضفاضا كان يضم فى القرن الثامن عشر ١٨٠٠ وحدة سياسية ذات طابع إقطاعى.

فطبقا لما أورده باسانت Bassant فى كتابه «موجز تاريخ ألمانيا من ١٨١٥ ـ ١٩٤٥م»، فإن هذه الوحدات السياسية كانت تضم ٧٧ إمارة علمانية و ٥١ مدينة حرة و ٤٥ قرية حرة و ١٤٧٥ وحدة يحكمها فرسان امبراطوريون لا يخضعون لأحد إلا للإمبراطور ويحكمون مائتى ميل مربع. وكان حكام هذه الوحدات السياسية يتراوحون بين ملوك ودوقات ومركيزات وكونتات وبطاركة وأساقفة وفرسان أحرار.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكان الأمراء يحكمون دولا أجنبية بجانب أراضيهم الألمانية، وحتى الإمارات الصغيرة كانت تدعى أنها أمم منفصلة، كما فعلت كالنبرج سنة ١٧٩٤م، التى طلب مجلس الدايت فيها من حاكمها الملك جورج الثالث ملك بريطانيا أن يعلن حياد «أمة كالنبرج» فى الحرب ضد فرنسا، وكان جيش كالنبرج لا يتجاوز ٢٢ من الفرسان و ١٤٠ من المشاة!

وهذه الحقيقة التاريخية تدفع إلى بحث أسبابها.

فيقول «ساباين Sabine» إن السبب فى تأخر الوحدة الألمانية وتفتت ألمانيا يرجع إلى ضعف الامبراطورية الرومانية المقدسة التى لم تستطع أن تتحول إلى دولة موحدة فى ألمانيا.

ويذكر «باسانت» أن السبب فى عدم تحول الإمبراطورية الرومانية المقدسة إلى دولة قومية هو احترامها لسيادة الوحدات السياسية فيها، التى كان لها الحق فى عقد معاهدات مع الدول الأجنبية، وبذلك قضت على الأساس الذى تقوم عليه السلطة المركزية.

وفى الواقع أن الامبراطورية الرومانية المقدسة لم تكن تعتبر نفسها ممثلة لأمة واحدة، فقد كانت مثل الدولة العثمانية تشمل جنسيات مختلفة. فضلا عن أنها لم تكن تظلل ألمانيا كلها، فإن بعض الممالك الألمانية المهمة، مثل بروسيا، كان يقع جزء منها داخل الإمبراطورية وجزء آخر خارجها، وذلك حسب ظروف الوراثة والضم التى مرت بها المملكة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ذلك أن الدويلات فى ألمانيا قد تشكلت حسب الأوضاع الأسرية للملوك والأمراء. فقد كانت تتسع أحيانا نتيجة الارتباط بالزواج، أو تتقلص نتيجة الحروب.

ويتفق الرأى على أن حركة الإصلاح الدينى كان لها تأثير حاسم فى تأخر وحدة ألمانيا. ذلك أن هذه الحركة، التى صاحبها تدمير الامتيازات الإقطاعية ودعم الدولة المركزية فى كل من فرنسا وإنجلترا، قد أدت فى ألمانيا إلى العكس، وهو تدعيم الامتيازات الإقليمية بحيث أصبحت الوحدات الإقطاعية تتمتع بنفس الحقوق التى للدول الكبرى الجديدة من الناحية النظرية على الأقل.

ويقول فيجيس Figgis إن الاختلافات الدينية العميقة بين أجزاء الإمبراطورية الرومانية قد ساعدت على استمرار تفتتها، وأدت مع الوقت إلى تحول الأمراء إلى حكام سياديين. ويعتبر صلح «أوجزبرج» سنة ١٥٥٥م، الذى سمح لكل حاكم بأن يختار الكاثوليكية أو البروتستانتية مذهبا لإقليمه، عاملا قويا فى تأكيد التمزق، ثم حرب الثلاثين عاما من ١٦١٨م إلى معاهدة وستفاليا ١٦٤٨م، والتى كانت ألمانيا بصفة خاصة هى مسرحها، فأصابت المانيا بالدمار الشامل وكان لها أثر مميت على وحدة ألمانيا.

يضاف إلى هذا السبب سبب آخر هو العداء الشديد المتأصل بين طبقات الشعب الألمانى، ووجود هوة واسعة تفصل بين الطبقات العليا والطبقات الدنيا.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فقد تميزت الأرستقراطية الألمانية بعزلتها واحتقارها الشديد لعامة الشعب، مما أدى إلى تميز المجتمع الألمانى بالانقسام الشديد، حتى بعد ظهور الطبقة المتوسطة فى معظم المدن الألمانية الكبرى. وإن كانت الحركة القومية الألمانية ستشهد تقاربا بين الطبقة الحاكمة القديمة «اليونكرز» وجماهير الشعب الألمانى على حساب الطبقة المتوسطة..

فضلا عن ذلك فإن أحد جوانب أفكار حركة الاستنارة التى ظهرت فى القرن الثامن عشر هو جانب العالمية، وقد كان لهذا الجانب تأثير بالغ فى معظم مفكرى ألمانيا، الذين اتجهوا إلى استنكار القومية والمشاعر المحلية عموما.

ويقول هيرتز Herts إن الكتاب والمفكرين الألمان قد تبرءوا من وصمة القومية السياسية. وأورد على لسان ليسينج Lessing قوله: «إن حب الوطن ليس سوى ضعف بطولى، يسرنى أننى لم أصب به». كما أورد على لسان شيللر Schiller قوله: إن «واجب الفليسوف الشاعر ألا ينتمى إلى أى شعب». وعن جوته قوله إن العداوات القومية تشتد بين الطبقات الدنيا وتختفى عند المستوى الأعلى من الثقافة. وكان هردر أكثر صراحة فى ذلك، فقد أعلن أنه من الأفضل أن تكون ألمانيا مقسمة، لأن ذلك يتيح لكل إقليم إبراز خصائصه.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(ثانياً) عوامل نمو القومية الألمانية :

على أنه رغم هذه العوامل المسئولة عن تأخر مشاعر القومية الألمانية، فإن هذه المشاعر القومية قد توافرت لها وقتذاك ظروف أخرى ساعدت على نموها.

فعلى الرغم من أن التطرف غير العادى فى المشاعر المحلية قد سبب تأخر الوحدة القومية، فإنه كان له أيضا جوانبه الطيبة، فقد أدى إلى تنافس الملوك والنبلاء والحكام فى إنشاء جميع أنواع المؤسسات الثقافية. وكان من يُضطهدون بسبب دينهم أو آرائهم فى ولاية، يجدون ملجأ فى ولاية أخرى قريبة تكون أكثر تسامحا، مما أدى إلى شعور مواطن المقاطعة الصغيرة بأنه من السهل أن يصير مواطنا على نطاق اوسع من نطاق المقاطعة الصغيرة أو الولاية الصغيرة.

فضلا عن ذلك، فعلى الرغم من تجاهل الحركة الفكرية والأدبية الألمانية فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر لكل صور المشاعر القومية، فإنها مع ذلك أسهمت بشكل حاسم فى خلق القومية الثقافية الألمانية التى كانت خطوة مهمة فى تطور الدولة القومية الحديثة.

ويتفق المؤرخون على الدور الكبير للثورة الفرنسية ونابليون فى نمو القومية الألمانية، ويمكن تحديد الجوانب الآتية التى أثرت منها الثورة الفرنسية فى نمو القومية الألمانية:

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأولها، رد الفعل القومى ضد الحكم الفرنسى. فعندما قامت الثورة الفرنسية لم تكن المشاعر القومية الألمانية قد تبلورت بعد كما رأينا، وقد استقبل المفكرون الألمان، الذين كانوا يعتبرون أنفسهم مواطنين عالميين أفكار مبادئ الثورة الفرنسية فى الحرية والإخاء والمساواة، باعتبارها فجراً جديداً للبشرية. ولم يقتصر الأمر على صفوة المثقفين، بل شمل فئات مختلفة من السياسيين والأرستقراطية العليا والجيش. ولكن عندما اجتاحت جيوش نابليون ألمانيا، وأطاحت بحكوماتها، وأساء الفرنسيون معاملة الألمان عموما، أخذت المشاعر القومية تنمو مصطحبة بكراهية لفرنسا وثورتها ومبادئها.

وفى الحقيقة أن سياسة نابليون كان من شأنها أن تولد النزعة القومية من وجهين:

الوجه الأول، إرغام الشعوب الخاضعة على تطبيق القوانين والإدارة الفرنسية واستخدام اللغة الفرنسية، لغة رسمية إلى جانب لغاتها الخاصة، وتغيير دساتيرها وقوانينها وحكامها بصورة تحكمية تخضع لإرادة الإمبراطور، وكذلك فتح أسواقها للمنتجات الفرنسية دون قيود، فى حين كانت منتجاتها ممنوعة من دخول فرنسا إلا بتعريفة جمركية مرتفعة، فضلا عن أن جميع البلاد التى ضمت والتابعة كانت مرغمة على تقديم إسهامات ضخمة، وأن تضع تحت تصرف الإمبراطور نابليون فرقا كبيرة من الجند

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لاستخدامها فى الغزوات تخفيفا لأعباء الحرب عن كاهل الشعب الفرنسى، مما أدى إلى نمو الروح القومية المعادية لفرنسا وتحولها إلى موجة عاتية أغرقت العالم.

ومن ناحية أخرى، فقد كان لتطبيق القوانين الفرنسية المصطبغة بفكرة المساواة فى الثورة الفرنسية أثر مهم آخر، وإن كان بشكل غير مباشر، فى إزالة العوائق الداخلية التى كانت تعرقل الشعور القومى فى البلاد المفتوحة، مثل: إلغاء الامتيازات الطبقية، ونظام القنانة، وبقايا القيود الإقطاعية، وتحقيق المساواة الدينية، وإزالة العوائق التجارية، وتحسين المواصلات. كما أخمدت هذه القوانين كل الأنظمة التى تحد من السلطة المطلقة، مثل المجالس الإقليمية «الدايت»، كما أخمدت الحكم الذاتى للمدن والاستقلال الكنسى وروح الحرية فى البحث والتربية والأدب والصحافة فى كل مكان ظهرت فيه.

ومعنى هذا الكلام أن سياسة نابليون فى الوقت الذى كانت تساعد على الوحدة القومية داخل البلاد المفتوحة، فإنها كانت توجه هذه المشاعر للقومية توجيها عدائيا نحو الإمبراطورية الفرنسية..

وبالنسبة لألمانيا فمن المعروف أن نابليون قد تمكن من إخضاع مناطق شاسعة فى ألمانيا، كما أذل أكبر دولتين ألمانيتين وهما بروسيا والنمسا، وأدى إستخدام الآلاف من الألمان فى الفتوحات، وضرب الألمان بعضهم ببعض فى المعارك ضد بروسيا والنمسا،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إلى لفت نظر الشعب الألمانى إلى طبيعة الحكم النابليونى الأجنبى، فساد شعور الكراهية نحو الفرنسيين مما أفاد الحركة القومية الألمانية..

وفى نفس الوقت فإن عمليات الإدماج الهائلة للدويلات الألمانية التى تمت فى عهد الثورة الفرنسية وحكم نابليون قد خدمت الوحدة القومية الألمانية، فقد أزال نابليون الإمبراطورية الرومانية المقدسة سنة ١٨٠٦م، وأجرى عملية إدماجات كبيرة فى ألمانيا الغربية، حيث كانت توجد أكثر المناطق تجزئة وانقساما بوجود دول بارونات الإمبراطورية والإمارات الكنسية، ونتيجة هذه التغيرات الاندماجية تناقص عدد الدول الألمانية إلى ٨٠ تقريبا بعد أن كان يبلغ ٢٤٨.

كذلك فقد انتزع نابليون من النمسا معظم ممتلكاتها الشخصية فى ألمانيا، التى كانت موزعة فى نقاط صغيرة فى الإمبراطورية، مثل مدن الحدود الرينانية، وعدد من الأملاك الصغيرة فى منطقة الغابة السوداء، فضلا عن عديد من المدن الصغرى الأخرى.

وبذلك خرجت النمسا من ألمانيا، واستحالت الإمبراطورية الرومانية المقدسة إلى إمبراطورية النمسا وحدها، وبدأت النمسا تبتعد عن ألمانيا وتجعل لنفسها حياة خاصة منذ مؤتمر فينا.

كذلك أبعد نابليون السويد عن ألمانيا بعد أن كانت تملك فيها بوميرانيا Pomerania (على البلطيق) وأقصيت العناصر الأجنبية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى أواخر عهد الإمبراطورية هبط عدد الدويلات الألمانية من ٨٠ إلى ٣٨ فقط. وقد كانت هذه خطوة ضخمة ومهمة، لأن ألمانيا لم تعد إلى تجزئتها بعد ذلك، ولم تعد فيها دول كنسية ومدن حرة، حتى لم يبق فى ألمانيا النابليونية سوى ثلاث دويلات صغيرة يبلغ عدد سكانها ٥٠٠٠ نسمة بفضل أسباب شخصية.

وقد بدأ نابليون بأن أنشأ أولا «الاتحاد الرينانى» فى ١٢ يوليو ١٨٠٦م، ليحل محل الإمبراطورية المقدسة. وكان يضم ١٦ أميرا من ألمانيا الغربية والجنوبية، ثم وسع هذا الاتحاد فى السنوات التالية بحيث شمل ٣٧ عضوا، أى مايقارب جميع الدول الألمانية عدا بروسيا والنمسا.

وقد جعل نابليون لهذا الاتحاد دستورا يحدد حقوق الدول الأعضاء وواجباتها، ومجلسا استشاريا أعلى يعرف باسم «الدايت»، وأعلن نابليون نفسه حاميا لهذا الاتحاد.

وليس ثمة شك فى أن هذه التغيرات الاندماجية قد هدمت الروابط التى تقوم عليها خصائص كل دويلة من الدويلات. وقضت على التقاليد التى يمكن أن تتأسس عليها مشاعر قومية محلية، فضلا عن أن انتزاع قسم ضخم من الطبقة النبيلة الألمانية من بارونات وفرسان الإمبراطورية المقدسة التابعين للإمبراطور، من أراضيهم الخاصة، قد حرمهم من قوميتهم المحلية، ولم تعد ثمة قومية يمكن أم ينتموا إليها سوى القومية الألمانية.

وفى هذه الظروف غير المفكرون الألمان آراءهم بالنسبة للفكرة العالمية التى سيطرت عليهم، فقد خرج فيخته Fichte

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(١٧٦٢ ـ ١٨١٤م) بآراء جديدة أخرجت الفكرة القومية الألمانية من غموضها السابق، وحاول التوفيق بينها وبين الفكرة القومية. فقد رأى أن الثقافة الفرنسية قد استنفدت أغراضها بعد أن بلغت أرقى مراحلها، وحان الوقت ليواصل الشعب الألمانى هذه المهمة. وقد وصف «الألمان» بأنهم «جميع المتحدثين بهذه اللغة».

أما جيته Goethe (١٧٤٩ – ١٨٣٢م) وشيلر Shiller (١٧٥٩ ـ ١٨٠٥م) فقد يئسا من فكرة العالمية، فقد عاد شيلر ينادى بأن لكل شعب عبقريته الخاصة فى فهم الحرية والمساواة، وللشعب الألمانى بحكم ثقافته وعبقريته المختلفة أن يشكل آراءه الخاصة فى الحرية والمساواة..

أما شتاين Stein (١٧٥٧ ـ ١٨٣١م) المصلح الكبير البروسى، الذى نظم الخدمة العسكرية الإجبارية، وابتدع نظام الخدمة القصيرة، فقد كانت فكرته تمثل فكرة الوحدة القومية الألمانية فى مفهومها الأسمى. وكان فى ذلك متقدما كثيرا عن الآخرين فى وجهة نظره هذه، ومتقدما عن الرأى العام الذى بقى غير مبال بفكرة القومية!

(ثالثاً) حركة القومية الألمانية من مؤتمر فيينا إلى ١٨٤٨م

بانهيار حكم نابليون فى أوروبا وانعقاد موتمر فيينا سنة ١٨١٤ ـ ١٨١٥م، بدأ عهد جديد فى أوروبا عرف باسم العهد الرجعى، ساد فيه رد فعل الحكومات ضد الحركات التحررية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والقومية. وقد ذكرنا كيف تجاهل مؤتمر فيينا مبدأ القوميات وأخذ بقاعدة التعويض، وكيف أن تعويضات النمسا كانت معظمها فى إيطاليا، فى حين حصلت بروسيا على تعويضاتها فى ألمانيا، فقد ضمت إليها النصف الشمالى من سكسونيا، وكذلك عددا من الإمارات والمقاطعات عند نهر الراين، وبذلك تهيأ السبيل لزعامة بروسيا لحركة الوحدة الألمانية، وزاد ابتعاد النمسا عن هذه الزعامة.

وكنا قد رأينا كيف أن الإمبراطورية الرومانية المقدسة كانت تشمل أجزاء كبيرة من ألمانيا ومن النمسا معا، وبالتالى فإن كلتا الدولتين كان لها الحق فى التحدث باسم الوطن الألمانى.

وهذا ما نشاهده فى أثناء حرب السنوات السبع (١٧٥٦ ـ ١٧٦٣م) ففى النزاع الذى قام بين فردريك الثانى ملك بروسيا والإمبراطورة ماريا تريزا Maria Theresa ـ إمبراطورة النمسا، حول اقليم سيليزيا ـ كان كل من العاهلين يتحدث باسم مصلحة «الوطن الألمانى»!

فقد كان فردريك الأكبر يطالب بسيليزيا ليضمها إلى الوطن الألمانى، في حين كانت إمبراطورة النمسا ترى أن ضم النمسا لسيليزيا هو أدعى للمحافظة على الوطن الألمانى من فردريك وحلفائه الفرنسيين الذين ساعدوه على انتزاع سيليزيا.

وفى سنة ١٧٦٩م تباحث فردريك والإمبراطورة حول تحالفهما لحماية الوطن الألمانى. وعندما انفرد فردريك بتأليف «عصبة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأمراء» سنة ١٧٨٥م ضد جوزيف الثانى إمبراطور النمسا، كان يتذرع بالدفاع عن «الحريات الألمانية».

على أن تسوية فيينا سنة ١٨١٥م بتعويض النمسا فى إيطاليا، وتعويض بروسيا فى ألمانيا، قد دفعت ببروسيا إلى مركز الصدارة فى حركة القومية الألمانية.

وأصل دولة بروسيا هو مقاطعة براندنبورج Brandenburg التى كانت تنحصر بين نهرى الموز Meuse والإلب Elbe. ففى القرن الخامس عشر ظهر على هذه المقاطعة بيت هوهنزولرن Ho-henzollern الذى اتخذ من براندنبرج قاعدة لتوسعه، حتى أصبح يحكم ألمانيا بأسرها.

وفى أثناء القرن السادس عشر لم يقدر لحكام براندنبورج أن يلعبوا دورا مهما فى مجرى الحياة الأوروبية، ولكن فى بداية القرن السابع عشر استطاع ناخب براندنبورج جون سيجيسموند Si-gismund أن يوسع أملاكه فى الدوقيات المطلة على الراين، وهى كليفز Cleves ومارك Mark وريفنزبرج Ravensberg.

وفى سنة ١٦١٨م توفى دوق بروسيا، وهو أحد أقربائه، فاستولى على دوقية بروسيا، وبذلك أصبحت أملاكه تمتد فى غرب ألمانيا على نهر الراين الأدنى وقطاع على البلطيق فيما وراء الڤستولا.

وفى نفس العام (١٦١٨م) نشبت حرب الثلاثين سنة (١٦١٨ ـ ١٦٤٨م) وأصبحت براندنبورج وبروسيا نهبا لجيوش الدول الرئيسية المتحاربة، وهى السويد والنمسا.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولكن باعتلاء فردريك وليم Frederick William سنة ١٦٤٠م، الذى يعتبر أحد ساسة القرن السابع عشر العظماء، العرش تحول الموقف لصالح بلاده. فقد تركزت سياسته على الانسحاب من الصراع الأوروبى تدريجيا، والتركيز على سياسة الحياد، وإنشاء جيش قوى.

ونتج عن ذلك أنه حين عقد صلح وستفاليا Westphalia المشهور سنة ١٦٤٨م، كان فى وضع يسمح له بالحصول على قدر كبير من الغنائم، إذ حصل على أربع أسقفيات مدنية ألمانية، إلى جانب الجزء الشرقى من دوقية بوميرانيا على البلطيق، فأصبحت دولته تتكون من ثلاث مقاطعات هى : براندنبورج فى الوسط ودوقية بروسيا بعيدا جهة الشرق، وفى الغرب فى جهة الراين تقع الدوقيات الصغيرة: كيلفز Cleves ورافنزبورج Ravensburg.

وقد استعان فردريك بالنموذج الفرنسى فى عهد ريشيلو ومازازان ولويس الرابع عشر، فى إحلال الملكية المطلقة محل الملكية الإقطاعية، عن طريق إدماج المقاطعات الرئيسية الثلاث السالفة الذكر فى وحدة لها جيش عام وإدارة مدنية عامة. وأسس جيشا عظيما جيد التدريب والإعداد.

وعند وفاته كانت بروسيا قد أصبحت بفضل إصلاحاته دولة، لاينقصها إلا أن تصبح ملكية. وهذا هو ما حصل فى عهد ابنه فردريك الثالث الذى أقنع الإمبراطور ليوبولد Leopold I إمبراطور

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

النمسا، بتلقيبه ملكا، وتوج فى ١٨ يناير سنة ١٧٠١م ملكا، وأصبح يحكم تحت اسم الملك فردريك الأول فى بروسيا.

وفى عهد ابنه الملك فردريك وليم الأول (١٧١٣ ـ ١٧٤٠م) استطاع بفضل توجيه عنايته لتنظيم الجيش والإدارة، الإرتفاع ببروسيا الدولة الصغيرة إلى صفوف الدول الأوروبية الكبرى من الناحية العسكرية.

على أن وجود دولتين ألمانيتين قويتين هما: بروسيا والنمسا، لم يلبث أن أدى إلى نشوب الصراع بينهما على زعامة ألمانيا.

فقد انتهز فردريك الأكبر ملك بروسيا النزاع على العرش الإمبراطورى بين ماريا تيريزا ودوق بافاريا ـ وكانت لفردريك ادعاءات فى سيليزيا كما ذكرنا ـ فهاجم سيليزيا ليحصل عليها بالقوة واستولى عليها ١٧٤٠ – ١٧٤٢م.

وانتهزت فرنسا وأسبانيا وبافاريا وسكسونيا فرصة هجوم فردريك وكونت حلفا ضد النمسا، ثم وقعت ماريا تريزا الصلح مع فردريك على أساس الاعتراف له باحتلال سيليزيا.

ولكن ما كادت تنتهى حروب الوراثة الأسبانية War of Austrian Succession (١٧٤٠ ـ ١٧٤٨م) بمعاهدة إكس لاشابل Aix - La Chapelle سنة ١٧٤٨م، التى اعترفت بماريا تيريزا الوارثة الوحيدة لأبيها الإمبراطور شارل السادس، حتى أدركت ماريا تيريزا أن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العدو الاساسى للنمسا ليس هو فرنسا بل بروسيا، ومن ثم اتجهت إلى التحالف لأول مرة مع فرنسا عدوتها اللدودة، وهو ما اعتبره المعاصرون «ثورة دبلوماسية»، وعقدت حلفا ضد بروسيا مكونا من فرنسا وروسيا والسويد وسكسونيا.

وقد تمخض عن هذه الثورة الدبلوماسية حرب السبع سنوات (١٧٥٦ ـ ١٧٦٣م) التى كادت تقضى على بروسيا، لولا انسحاب روسيا وفرنسا من الحلف، فاضطرت ماريا إلى عقد الصلح سنة ١٧٦٣م، وهو الذى عرف باسم صلح «هوبيرتسبورج» Hubertsburg واعترفت ماريا لفردريك بسيليزيا. ولم تكد تمضى عشر سنوات حتى تمكن فردريك عند تقسيم بولنده ١٧٧٢م من الحصول على بروسيا الغربية عدا دانزج.

وعلى هذا النحو، وقبل الثورة الفرنسية، كانت زعامة ألمانيا لا تزال بعيدة عن الاستقرار فى يد أى من النمسا أو بروسيا.

ثم كانت فترة الثورة الفرنسية وإمبراطورية نابليون، فشغلت الدولتان بالصراع ضد نابليون. ولكن حين استؤنف الصراع بعد مؤتمر فيينا كانت أوضاع الدولتين قد تغيرت.

فمن جانب، فإن حصول بروسيا على بعض الأقاليم الواقعة على نهر الراين قد جعل حق الدفاع عن ألمانيا مرتبطا ببروسيا، فارتفع شأنها تدريجيا، وانتقلت إليها تدريجيا الزعامة فى ألمانيا بعد أن أصبحت قبلة الدويلات والإمارات الصغرى التى تطلعت

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إليها فى الدفاع عنها. فضلا عن ذلك فإن إعطاء بروسيا-أقاليم متفرقة فى ألمانيا قد جعل بروسيا مرغمة على العمل من أجل ربط هذه الأقاليم ببعضها البعض، فكان ذلك بداية السياسة التى أفضت إلى قيام الاتحاد الألمانى فى ١٨٧٠ - ١٨٧١م.

ومن الجانب الآخر، فقد أقر المؤتمر وضع «الدايت» الألمانى على ما هو عليه، وهو المجلس الاستشارى الذى يمثل فيه جميع الأمراء الذين يسلمون بزعامة الإمبراطورية الرومانية المقدسة القديمة، وكان بعضهم قبل سنة ١٨٠٦م له حق انتخاب الإمبراطور من أسرة هابسبرج.

وقد انتهى نظام الإنتخاب بمقتضى الدستور الإتحادى الذى وضعته تسوية فيينا، فصار الاتحاد الكونفدرالى الألمانى يتألف من أربع وثلاثين إمارة، زادت واحدة فصارت خمسا وثلاثين فى سنة ١٨١٦م. فبقى «الدايت» بذلك رمزا على حقوق الملوك الموروثة فى الامبراطورية بصرف النظر عن جنسياتهم، إذ كان يمثل فيه ملوك أجانب مثل ملك إنجلترا بحكم إمتلاكه هانوفر، وملك الدينمارك بحكم امتلاكه مقاطعتى شليزڤيج Schleswing وهولشتاين Holstein.

على أنه عندما أعطيت رياسة الاتحاد إلى النمسا، تمكنت من السيطرة على الدويلات الألمانية الصغيرة، وترتب على ازدياد هذا النفوذ، فى الوقت الذى كانت النمسا فى عهد مترنيخ تقود السياسة الأوروبية، أن تعطل اتحاد ألمانيا مدة خمسين عاما تقريباً.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وعلى هذا النحو، ففى الوقت الذى هيأ فيه مؤتمر فيينا لبروسيا الفرصة لتتزعم حركة الوحدة الألمانية، فإنه من جانب آخر قيد هذه الفرصة بالنفوذ النمسوى بالشكل السالف ذكره.

وبطبيعة الحال فلم يكن ذلك ليوقف حركة الوحدة الألمانية، وإنما أخرها فقط ـ كما ذكرنا ـ نصف قرن. فعلى الرغم من نظام بروسيا الرجعى، إلا انها كانت الدولة التى اتخذت أول إجراء عملى فى سبيل وحدة ألمانيا.

ففى ذلك الحين، كانت كل ولاية فى ألمانيا تستقل بفرض الضرائب والرسوم الجمركية على الواردات التى تخترق حدودها، فرأت بروسيا أن تمحو تلك الحواجز الجمركية، وإقامة وحدة جمركية فى الأراضى البروسية ذاتها، وأصدرت بذلك قانونا فى مايو ١٨١٨م.

غير أنه وجدت فى داخل الأراضى البروسية ٢٧ منطقة تابعة لاثنتى عشرة دولة ألمانية خارجية، وكانت كل منطقة من هذه المناطق محاطة بالجمارك البروسية.

ومن جهة أخرى، كان النظام الضريبى يتضمن تعريفات ترانزيت على البضائع الخارجية التى تجتاز الأراضى البروسية، وكانت هذه الرسوم مصدر إيراد كبير للحكومة البروسية، ووسيلة ضغط بيدها على الدويلات المجاورة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فلما وضعت بروسيا تعريفة الترانزيت الموحدة لأقاليمها، صرخت الدول التى أضيرت بها، واحتجت على الحكومة البروسية فى مؤتمرى كارلسباد Karlsbad وفيينا. ولم تجد المناطق المحاطة بالأقسام البروسية بدا من الدخول فى مفاوضات مع الحكومة البروسية للدخول فى التعريفة الجمركية البروسية.

فلما دخل الوزير فون موتز وزارة المالية فى ١٨٢٥م، إهتم بإدخال المناطق التى مازالت تقاوم بعد فى التعريفة البروسية، وتكللت جهوده فى هذا السبيل بالنجاح، بالمعاهدة التى وقعتها بروسيا مع دوقية هس ـ دارمشتات Hesse - Darmstadt الكبرى، وانضمت بمقتضاها الأخيرة إلى النظام الجمركى البروسى. وكان قانون الجمارك البروسى لعام ١٨١٨م أساسا للتعريفة الجمركية فى الدولتين. وهكذا فإن ما كان تعريفة جمركية بروسية، أصبح اتحادا جمركيا (زولفراين Zollverein).

وقد اصطدمت بروسيا بمعارضة من الداخل والخارج. فمن الداخل تألف اتحاد جمركى بين بافاريا وفرتمبورج فى الجنوب فى يناير ١٨٢٨م. كما تألف اتحاد جمركى ثالث فى الوسط ضم ١٧ دولة ووقع فى فرانكفورت، وكانت الدول المهمة فيه هانوفر وساكسونيا Saxony، وهس ـ كاسل Hesse - Kassel. ومن الخارج حرضت إنجلترا والنمسا على مقاومة الإجراءات البروسية، الأولى لتعارض مصالحها الإقتصادية مع الاتحاد الجمركى، والثانية خوفا من زيادة قوة بروسيا فى ألمانيا.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على أن بروسيا تغلبت على اتحاد الجنوب، وعقدت معه معاهدة فى ١٨٣٣م دخلت بموجبها بافاريا وفرتمبرج فى اتحاد جمركى مع الزولفراين. ثم دخلت ساكسونيا، وبادن Baden، وهس Hesse، وناساو Nassau وفرانكفورت. ومن قبل دخلت هس - كاسل فى الاتحاد الجمركى مقيمة بذلك رابطة بين جزأى الدولة البروسية. وفى عام ١٨٣٦م كان الاتحاد يضم ٢٥ دولة تؤلف فريقا جمركيا موحدا، وفى سنة ١٨٤٤م كان الاتحاد يضم من الناحية العملية جميع ألمانيا، فيما عدا النمسا الألمانية، وهانوفر Hanover، وأولدنبورج Oldenburg وميكلينبورج Mecklenburg والمدن الهانسية Hansa الثلاث.

ويتضح من ذلك أن الزولفراين لم يبدأ كعمل سياسى كما يعتقد البعض، وإنما بدأ كعمل مالى ضريبى، ولم يكن من عمل سياسيين قوميين وانما من عمل إداريين اقتصاديين بروسيين.

ولكن إقامة اتحاد اقتصادى وثيق يضم الغالبية العظمى من دول الاتحاد الكونفدرالى الألمانى، تحت زعامة بروسيا، كان نصرا سياسيا لاشك فيه على النمسا، وكانت هذه الوحدة الاقتصادية خطوة مهمة نحو الوحدة السياسية والعسكرية لألمانيا، خصوصا بعد أن تدعم نظام الزولفراين نتيجة مد خطوط السكك الحديدية، وصدرت باسمه مجلة خاصة كانت لسان حاله، وتفرغ المفكر الاقتصادى فردريك ليست لتحرير هذه المجلة، وفى رأيه أن العامل الاقتصادى من أقوى الدعائم لتكوين الأمة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(رابعاً) حركة الوحدة الألمانية ١٨٤٨ - ١٨٥٠م :

على كل حال فلم تلبث حركة الوحدة الألمانية أن دخلت مرحلة سياسية جديدة بثورات ١٨٤٨م - التى أشعلتها الثورة الجماهيرية التى انطلقت فى باريس فى ٢٤ فبراير ١٨٤٨م. فقد سقط مترنيخ فى فيينا يوم ١٣ مارس ١٨٤٨م، وانتشرت الثورات الدستورية والقومية فى كل مكان.

وكان اتجاه الحركات الثورية فى ألمانيا إلى إلغاء القوانين الاستثنائية ومشاركة الشعب فى الحكم، وإصلاح الإتحاد الكونفدرالى الألمانى بشكل يؤدى إلى الوحدة الألمانية. وقد تحقق المطلبان الأولان حين أصدر «الدايت» قرارا بإلغاء القوانين الإستثنائية، وقررت أكثر الدويلات الألمانية تطبيق المبادئ الدستورية..

أما بالنسبة لإصلاح الاتحاد الكونفدرالى، فقد كان الشعور قبل حركة ١٨٤٨م عاما بضرورة هذا الاصلاح، وأخذت المؤتمرات الألمانية تطالب بتشكيل برلمان ألمانى، وصدرت فى يوليو ١٨٤٧م فى كولونيا جريدة ألمانية تحت اسم «الصحيفة الألمانية»، للدعوة إلى هذه الحركة الثورية.

وقد رأى فردريك وليم الرابع الاستجابة إلى هذه الحركة، لتوجيه الأفكار إلى الوحدة القومية وصرفها عن القضايا الليبرالية، فاقترح على مترنيخ فى نوفمبر ١٨٤٧م مشروعا لإصلاح الاتحاد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الكونفدرالى، تناول فيه إعادة تنظيم الدايت بشكل تتخذ فيه القرارات بتصويت الأكثرية (بدلا من الإجماع)، وإنشاء محكمة اتحادية، ووحدة التشريع الاقتصادى، وإصلاح الجيش الاتحادى.

فلما انتشرت الثورات فى ألمانيا فى أعقاب ثورة باريس ١٨٤٨م، اجتمع سبعة من زعماء الأحرار فى هايدلبرج Heidelberg واتفقوا على عقد مجلس قومى، ودعوا كل من اشترك فى مجالس ألمانيا السياسية إلى حضور هذا المجلس.

وقد انعقد هذا المجلس التحضيرى من ٦٠ عضوا فى فرانكفورت، وسن قانونا انتخابيا انتخب على أساسه أول مجلس نواب جديد على مستوى قومى. وفى ١٨ مايو ١٨٤٨م انعقد هذا البرلمان الجديد فى فرانكفورت.

وكانت تلك هى المرة الأولى التى يتخطى فيها الشعب الملوك والأمراء، وينعقد مجلس نواب منتخب من الأهالى على هذا المستوى القومى.

وقد وصف المجلس نفسه فى ٢٧ مايو ١٨٤٨م بأنه «هيئة إرادة الأمة الألمانية وانتخابها لتأسيس وحدة ألمانيا وحريتها السياسية»، ووافق على اقتراح بأن يقوم المجلس بنفسه بتشكيل حكومة لجميع ألمانيا، أسند رئاستها إلى الأرشيدوق يوحنا John النمسوى، نائب الإمبراطورية، كما قرر تشكيل جيش قومى باقتطاع ٢٪ من الجيوش المحلية، وصوت على إنشاء أسطول بسبب تفوق الأسطول الدنماركى على البروسيين فى البلطيق.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كذلك فقد تبنى برلمان فرانكفورت النظرية التاريخية واللغوية فى القومية، وأراد أن يضم إلى ألمانيا جميع البلاد الناطقة بالألمانية. فرحب بالقرار البروسى الذى يفصل المناطق الناطقة بالألمانية من بروسيا البولندية. وطلب إلى حكومة الأراضى المنخفضة حذف الدستور الهولندى فى ليمبرج Lemberg ولوكسمبورج باعتبارهما ألمانيتين، وطالب بالتيرول Tyrol والكانتونات Cantons السويسرية الشرقية. وطالب البعض بالألزاس Alsace باسم اللغة. كما تحمس للمطالبة بشلزڤيج وهولشتاين من الدنمارك.

وقد أثارت هذه النزعة عداء الرأى العام الأوروبى ضد البرلمان، بسبب هذه النزعات التوسعية.

ثم أخذ البرلمان فى مباشرة عمله الأساسى وهو إعداد دستور الإمبراطورية. واتخذ فى أكتوبر ١٩٤٨م مبدأين أساسيين:

أولهما، أنه لا يمكن لأى جزء من ألمانيا أن يتحد مع بلاد غير ألمانية فى دولة واحدة.

ثانياً، أنه إذا كان لبلد ألمانى ولبلاد غير ألمانية سيد واحد، فإن علاقاتها لا تكون إلا اتحادا شخصيا.

وقد انقسم الرأى بخصوص ما إذا كانت النمسا تدخل فى الاتحاد الألمانى أم تخرج بولاياتها المختلفة من ذلك الاتحاد. ففى ١٨٤٩م تأسس فريق يسمى «الألمان الكبار»، من رأيه أنه يجب على

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ألمانيا احتواء النمسا، وأن يتبادل إمبراطور النمسا وملك بروسيارئاسة الاتحاد كل ثلاثة أعوام.

ولكن تألف فى مواجهة هذا الفريق فريق آخر يسمى «الألمان الصغار»، يرى تأليف دولة ألمانية خاصة دون النمسا، على أن تكون فى شكل إمبراطورية وراثية.

وقد تغلب الرأى الثانى بعد أن أصرت النمسا على أن تدخل بكامل أقاليمها، سواء منها الأقاليم الألمانية والأقاليم غير الألمانية فى الاتحاد، مما كان يعنى تجاهل المبدأ القومى، وسيطرة النمسا على ألمانيا.

فاتجه البرلمان نحو بروسيا، وأصدر فى ٢٧ مارس ١٨٤٩م دستورا ينص على الآتى:

تشكل الدول الألمانية، فيما عدا النمسا، إمبراطورية اتحادية، تحافظ فيها كل دولة على سيادتها فى بعض القضايا، وتمثل الحكومة الإمبراطورية ألمانيا تمثيلا دبلوماسيا فى الخارج، وتوجه السياسة الخارجية، وتنظم الجيش، وتتولى السلطة التشريعية والسلطة الاقتصادية العامة، ويعهد بهذه الحكومة إلى إمبراطور وراثى دستورى له القيادة العليا للجيوش. ويتألف البرلمان (الرايخستاج Reichtag) من مجلسين: مجلس الدول، ومجلس الممثلين. وفى ٢٨ مارس جرى انتخاب الإمبراطور فردريك وليم الرابع إمبراطوراً للاتحاد.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وعلى هذا النحو كان دستور برلمان فرانكفورت ثورة تاريخية كبرى، لأنه وحد ألمانيا فى إمبراطورية برلمانية، كما طرد النمسا من ألمانيا. وكان الوقت مناسبا للإمبراطور فردريك وليم الرابع لترؤس ألمانيا، وقبول التاج الإمبراطورى، ولكن فردريك وليم رفض هذه الفرصة لسببين :

السبب الأول : أن التاج المعروض عليه إنما هو معروض من مجلس شعبى لا من مجلس أمراء، وبالتالى فهو «تاج غير مشرف»! وقد كتب يقول: «لا أملك أن أقول نعم، ولا أملك أن أقول لا، لأنه ليس لديكم شئ تقدمونه إلىّ. إن هذه المسألة مما تحتاج إلى تسوية بين أمثالى».

أما السبب الثانى : فهو ما رآه فردريك وليم من أن النمسا يجب ألاّ تطرد من ألمانيا، لأنها ضرورة لألمانيا. وقد رد يقول :

«إن النمسا تملك التاج الإمبراطورى، وستظل تحتفظ به، وستكون بروسيا سيف الإمبراطور». وكتب يقول:

«مادام هناك أمل فى الإبقاء على وحدة ألمانيا، والحفاظ على السبعة والثلاثين مليون نمسوى، وبقاء آل هابسبرج على رأس الإمبراطورية المسيحية وألمانيا، فلن أقبل التاج الإمبراطورى.

وفى ٢٧ إبريل ١٨٤٩م أعلن فردريك وليم رفض التاج الذى قدمه له برلمان فرانكفورت، وكان معنى ذلك إلغاء برلمان فرانكفورت. وهكذا أخفق تحقيق الوحدة الألمانية بالطريق الشعبى.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على أن فردريك وليم الرابع لم يلبث أن دفع الثمن غاليا لرفض التاج الذى قدمه برلمان فرانكفورت، واحتقاره للشعوب. ففى أعقاب هذا الرفض أراد فـــردريك صنـع الوحـــدة الألمانيـــة عن طريق الحكومـــات، وذلك بإقـــامـــة دولة فـــدراليـــة تحل مـــحل الاتحـــاد الكونفدرالى السابق، ويكون هو لها زعيما عسكريا. فدعا فى بداية مايو ١٨٤٩م الدول الألمانية إلى إرسال مندوبين إلى برلين لمناقشة إصلاح الاتحاد الكونفدرالى.

وفى ٢٦ مـايو ١٨٤٩م أعـد اتحـاد الملوك الثـلاثة: بروسـيـا وساكسونيا وهانوفر مشروع دستور أبلغوه إلى الحكومات لقبوله، على أن يعرض فيما بعد على مجلس شعبى. وقد قبل هذا الدستور ٢٨ أميرا، ووضع مـوضع التطبيق فى ١٥ أكتوبر ١٨٤٩م، وعرف هذا الاتحاد باسم «الاتحاد الضيق».

على أن النمـســا لم تلبث أن قـامت فى وجـه هذا الاتحـاد، واســتـعـانت بدول الجنوب التى عـارضت التـــفـوق البـروسى، وخصوصا بافاريا وفرتمبرج. وانفصلت عنه ساكسونيا وهانوفر.

وبذلك أصبح الاتحاد الضيق عبارة عن اتحاد يجمع بروسيا مع الدول الألمانية الصغرى، أمـام الدول الأربع الجنوبية الكبرى التى تساندها النمسا. وفقد لذلك صفته القومية، وأصبح مجرد عصبة بروتستنتية فى مواجـهة الدول الكاثوليكية الجنوبية التى اعتصمت بالنمسا. ولم تلبث النمسا أن أعادت إنشاء «الدايت» بشكل جديد فى فرانكفورت.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثم جاءت الفرصة للنمسا لإذلال بروسيا، حين قامت الثورة فى «كاسل» بسبب سياسة ناخب هس الرجعية، وكان من حق بروسيا ـ طبقا للتقليد القديم السابق لعام ١٨٤٨م – إخماد هذه الثورة، كما أن دستور الاتحاد الضيق كان يعطيها هذا الحق أيضا، ولكن الناخب استنجد «بالدايت »الذى اختار بافاريا لتقوم بهذا العمل الفدرالى بدلا من بروسيا! وعندما احتج فردريك وليم، اتفقت النمسا مع ملوك ساكسونيا وفرتمبرج وباڤاريا على أن معارضة بروسيا لقرار «الدايت» يخلق «حالة حرب».

وفى الوقت نفسه، حصلت النمسا من الروسيا على وعد بمساندة السياسة النمسوية. ثم وجهت إنذارا فى نوفمبر ١٨٥٠م إلى فردريك وليم يطالبه بجلاء الجيوش البروسية عن هس.

وفى الاجتماع الذى عقد فى أولمتز Olmutz بين رئيس الوزراء البروسى مانتوفيل Mantueffel ورئيس الوزراء النمسوى الداهية شفارتسينبيرج Schwarzenberg قبل الجانب البروسى التخلى عن الاتحاد البروسى، والاعتراف «بالدايت» الألمانى الذى بعث بشكل جديد فى فرانكفورت، وأما بالنسبة لدستور ألمانيا فى المستقبل فيجب أن يعرض لمناقشة فى مؤتمرات مفتوحة فى جميع دول ألمانيا. ولم يكن القرار الأخير إلا ستارا لإخفاء تراجع بروسيا المخزى.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهكذا فى أولمتز دفع فردريك وليم الرابع ثمن رفضه التاج الذى قدمه برلمان فرانكفورت، وتأجلت فرصة بروسيا لتحقيق وحدة ألمانيا، لتحقيق وحدة ألمانيا حتى تهيأ السبيل لذلك بفضل سياسة بسمارك، سياسة الدبلوماسية والحرب.

(خامساً) حركة الوحدة الألمانية من ١٨٥٠ - ١٨٦٢م :

فى الفترة من ١٨٥٠م إلى سبتمبر ١٨٦٢ حدثت جملة تطورات مهمة:

أولاً : نهضت الصناعة الألمانية نهضة كبيرة، حتى ليمكن القول إن الحركة الصناعية الألمانية قد بدأت فى هذا التاريخ. فقد بدأت بنمو إنتاج الفحم، حتى وصلت ألمانيا منذ سنة ١٨٥٠م إلى الصف الثانى فى أوروبا كمنتجة للفحم بعد بريطانيا مباشرة. كما تضاعف عدد أفراد القوى العاملة إلى ثلاثة أضعاف. وفى صناعات النسيج ازداد عدد الأنوال بمقدار خمسة أضعاف بين ١٨٥٠ و ١٨٦٠م. وفى صناعة السكر ارتفع عدد المصانع من ٩٦ مصنعا سنة ١٨٤٧م إلى ٢٤٧ مصنعا فى سنة ١٨٦٠م. كما زادت خطوط السكك الحديدية من ٦٠٠٠ ك م سنة ١٨٥٠ إلى ١٤٠٠٠ سنة ١٨٥٦م. ثم زادت إقامة شبكات السكك الحديدية بين مختلف البلاد الألمانية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ونتج عن هذه الصناعة نمو الطبقة البورجوازية نموا كبيرا، وكان من الطبيعى أن يهدف هؤلاء البورجوازيون من كبار الصناعيين والتجار إلى انشاء دولة موحدة لتكون سوقا طبيعية لمنتجاتهم.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد أخذ مركز النمسا يتحرج بعد هزيمتها فى الحرب التحريرية التى قامت بينها وبين كل من كافور ونابليون الثالث، والتى انتهت باستيلاء بيدمونت على لمباردى وبارما «بصلح ڤيلافرنكا». فمع أن هذه الحرب كانت فرصة لبروسيا لإزاحة النمسا من الميدان، إلا أنها خشيت أن تقلب فرنسا، بتزايد قوتها، الوضع السياسى الذى أرسته معاهدات فيينا، ولذلك اكتفت بحشد ست قطع من الجيش البروسى على الراين. وقد أفلح هذا الخطر على الجيش الفرنسى فى الحد من نتائج صلح ڤيلافرنكا لصالح فرنسا.

وقد أثارت أزمة ١٨٥٩ هذه الرأى العام فى ألمانيا الذى أحس بالحاجة إلى الوحدة، ولكن هزيمة النمسا أدت إلى ارتفاع شأن بروسيا. ومع أنه وجه لوم إلى بروسيا لعدم قيامها بواجبها كدولة ألمانية فى نجدة النمسا، إلا أن الرد جاء بأن النمسا لم تكن تحارب فى مصلحة ألمانية، بل للحفاظ على لومباردى والبندقية وهما إقليمان إيطاليان.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وعلى كل حال فإن إحراز حركة الوحدة الإيطالية انتصارها الكبير فى ١٨٥٩ ـ ١٨٦١م تحت قيادة كافور، قد جعل الأصوات ترتفع فى ألمانيا بالوحدة، واتجه التفكير إلى بروسيا لتقوم بدور «بيدمونت» فى توحيد ألمانيا.

فى ذلك الحين كانت مقاليد الأمور فى بروسيا قد انتقلت من يد فردريك وليم الرابع الذى أصيب بمرض عقلى، إلى يد أخيه منذ سنة ١٨٥٨م. وفى سنة ١٨٦١م توفى فردريك وليم وخلفه أخوه تحت اسم «وليم الأول».

وقد أدرك وليم الأول أنه لا سبيل إلى زعامة بروسيا لألمانيا إلا عن طريق بناء جيش قوى. فعقد النية على إصلاح الجيش إصلاحا شاملا، وقدم للبرلمان البروسى فى سنة ١٨٦٠م مشروعا بإطالة التجنيد، وتجنيد كل من يصل إلى السن القانونية، وزيادة عدد الجيش إلى ١٩٠ ألفا فى حالة السلم و ٤٥٠ ألفا فى حالة الحرب.

على أنه لما كان ذلك يستدعى نفقات باهظة، فقد عارض البرلمان فى ذلك، ولما حل الملك هذا البرلمان وأجرى إنتخابات جديدة، جاء البرلمان الجديد بأغلبية معارضة للحكومة. وهنا أصبح أمام ملك بروسيا إما أن يخضع لهذه الأغلبية، وبذلك يتوطد الحكم الدستورى على حساب برنامج الجيش، وإما أن يتنازل عن العرش لابنه الذى كانت ميوله الليبرالية، وكان الحل الذى انتهى إليه الملك تحت ضغط العناصر المحافظة هو استدعاء بسمارك لتولى الوزارة فى سبتمبر سنة ١٨٦٢م.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(سادساً) بسمارك وحركة الوحدة الألمانية :

ولد أوتو فون بسمارك Otto von Bismarck ١٨١٥ ـ ١٨٩٨م في براندنبورج من أسرة أرستقراطية من أصحاب الارض (اليونكرز) وتخرج في جامعة بوتنجن في هانوفر سنة ١٨٣٥م. وعندما وقعت أحداث ١٨٤٨م اقترح على الملك إخماد الثورة بالقوة، وطلب منه السماح له باستخدام فرقة من فلاحيه للقضاء عليها. وفي ١٨٤٩م انتخب لأول مرة عضوا في البرلمان البروسي الجديد. وكان موقفه متشددا ضد الأغلبية الليبرالية. وبعد حل برلمان فرانكفورت عين مندوبا لبروسيا في «الدايت» الألماني. وفي ١٨٥٩م عين سفيرا لبروسيا في موسكو. وفي مايو ١٨٦٢م عين لفترة سفيرا لبروسيا في باريس، ثم استدعي لتولي الوزارة.

ومنذ بداية حكمه عبر عن حقيقة اتجاهه نحو الوحدة القومية، عندما صرح بأن ألمانيا لا تتطلع إلى بروسيا في تحقيق الوحدة بسبب ما تتمتع به من حكم ليبرالي، وإنما لقوتها، وأن المسائل الكبرى في ذلك العصر، كمسألة الوحدة، لا تتحقق بالخطب وقرارات الأغلبية كما حدث في سنة ١٨٤٨ و ١٨٤٩م، ولم يؤد إلى نتيجة ـ وإنما تتحقق «بالدم والحديد».

على هذا النحو أعلن بسمارك سياسته في تحقيق الوحدة الالمانية، وهي القوة. على أن بسمارك لم ينجح بواسطة القوة وحدها، بل بواسطة القوة والدبلوماسية معا. وتقوم شهرته في الحقيقة، لا على خلق الظروف، بل على الاستفادة الذكية من الظروف بالدرجة الأولى، وخصوصا في المراحل الأولى.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويمكن تتبع سياسته التى أدت فى النهاية إلى تحقيق الاتحاد الألمانى على النحو الآتى :

أولاً : فى البداية حارب بسمارك اتجاه النمسا لتدعيم سلطانها وتقويته فى ألمانيا.

وكانت النمسا قد وجهت دعوة لعقد اجتماع الأمراء الألمان فى فرانكفورت، لبحث مشروع قدمته لاصلاح الدستور التعاهدى الألمانى. وكان إمبراطور النمسا يرى أنه يستطيع بتحدثه مع الأمراء الألمان أنفسهم، لا مع مندوبيهم، التوصل إلى غاياته بشكل أفضل.

ولكن بسمارك أحس بأن إصلاحات تنفذ بإرشاد النمسا وبتسليم بروسيا، لن تكون نتيجتها إلا تدعيم سلطان النمسا وتقويته فى ألمانيا، ولذلك اتجهت خطته إلى عدم تمثيل بروسيا فى فرانكفورت، لإحباط المشروع النمساوى وهو فى المهد، واستطاع أن يحصل على موافقة ملك بروسيا الشيخ قسرا، بعد أن هدد باستقالته.

وعندما افتتح المؤتمر فى ١٤ أغسطس ١٨٦٣م كان واضحا أنه لايمكن إصلاح الاتحاد الألمانى دون رضاء بروسيا، وعندما أبلغت النمسا بروسيا بمشروع الاصلاح فى ٢٢ سبتمبر ١٨٦٣م أجابت بروسيا بوضع ثلاثة شروط:

١ ـ مساواة بروسيا للنمسا فى الحقوق فى الاتحاد، أى تكون رئاسة الاتحاد مناوبة بين بروسيا والنمسا.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢ ـ أن يكون لبروسيا الحق فى رفض إعلان الحرب على دولة أخرى حتى لو قرر البرلمان الفيدرالى الحرب. ومعنى ذلك أن تحتفظ بروسيا باستقلال سياستها الخارجية.

٣ ـ ألا تتنازل عن حق من حقوقها إلا لبرلمان يمثل الأمة الألمانية بأسرها.

وعندما طلبت النمسا من جميع الحكومات الألمانية تشكيل الاتحاد دون رضاء بروسيا، رفض الأمراء ذلك لأنهم لم يتصوروا اتحادا ألمانيا بدون بروسيا.

وقد كانت أهمية هذا القرار هو اقتناع الرأى العام الألمانى بأن لا وحدة ممكنة بأى شكل من الأشكال إذا لم تدخل فيها بروسيا، وكان هذا الاقتناع مهماً جدا للمستقبل.

وهنا يلاحظ أن المصالح المادية للشعوب الألمانية كانت مرتبطة فى الحقيقة بالاتحاد الجمركى (الزولفراين) الذى تشكل تحت إدارة بروسيا. ولم تشارك فيه النمسا.

ثانياً : فى نفس العام ١٨٦٣م سنحت الظروف لبسمارك لتأمين حدود بروسيا الشرقية فى أى صراع تخوضه ضد النمسا، وذلك عندما اندلعت الثورة فى بولندا الروسية، وقمعت قمعا عنيفا. فقد استفز هذا القمع الرأى العام فى فرنسا وإنجلترا والنمسا، واتفقت الدول الثلاث على تقديم مذكرة إلى روسيا تحضها فيها على منح بولندا استقلالها الداخلى، ودعيت بروسيا إلى تأييد هذا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المطلب. على أن بسمارك لم يكتف فقط برفض الاشتراك فى تقديم هذه المذكرة، بل وقع مع روسيا اتفاقية حربية تحمل فى ظاهرها دلائل اهتمامهما المشترك فى بسط الأمن بين شعب مشاغب، فضمن بسمارك منذ تلك اللحظة تحالفه مع روسيا..

وفى الحقيقة أن بسمارك وهو يفعل ذلك، لم تكن عينه فقط على حدوده الشرقية، وإنما كانت عينه أيضا على الجزء البولندى الخاضع لبروسيا.

ففى ذلك الحين، كان بسمارك يرى أن الحل الوحيد للمشكلة البولندية فى بلاده هو فى تحويل البولنديين إلى بروسيين بأقل تأخير مستطاع، والقضاء على لغتهم، وإزالة ثقافتهم القومية من الوجود.

ولم يكن يسمح بطرح هذه المسألة على مؤتمر دولى، بل لقد ذكر أنه يؤثر على ذلك سلخ أراضى الراين نفسها! وعلى كل حال فيلاحظ أن بسمارك فى هذا المسألة لم يخلق الظروف لتدعيم علاقة بروسيا، وأنما احسن استخدام الظروف.

ثالثاً : ولم تلبث أن برزت فى العام التالى ١٨٦٤م، مشكلة شلزڤيج وهولشتاين، لتقدم لبسمارك فرصة أخرى تتبدى فيها مهارته السياسية، وتدفع ببروسيا خطوة أخرى على طريق تزعم حركة الوحدة الألمانية.

وكانت هاتان الدوقيتان الواقعتان فى شمال شرقى ألمانيا فى شبه جزيرة چاتلاند Jutland، تابعتين لملوك الدانمارك شخصيا منذ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١٤٩٠م، وان لم تكونا جزءا من مملكة الدانمارك. وكانت شلزفيج التى تقع شمال هولشتاين يبلغ عدد سكانها ٣٩٥ ألفا منهم ١٥٠ ألفا يتكلمون الألمانية، فى حين كان سكان هولشتاين يبلغ عددهم ٥٤٠ ألف نسمة، ولغتهم الألمانية. وكانت هولشتاين من قبل جزءاً من الإمبراطورية الرومانية المقدسة، واعترفت بها معاهدة فيينا سنة ١٨١٥م عضوا فى الاتحاد الكونفدرالى (التعاهدى) الألمانى The Germanic Confederation.

ومنذ أن ظهرت الحركات القومية فى القرن التاسع عشر، وجدت فى الدوقيتين حركة تنزع إلى الارتباط بالإتحاد الألمانى، فى الوقت الذى كانت الدنمارك تتوق إلى ضمهما.

وفى عهد فردريك السادس ملك الدنمارك (١٨٠٨ ـ ١٨٣٩م) حاول إدماج الدوقيتين نهائيا فى مملكته، ولكن محاولته ووجهت بمعارضة بيت أوجستنبورج Augustenburg، الذى كان يطمع فى الوصول إلى العرش عند انقضاء نسل الذكور فى البيت الدنماركى الحاكم طبقا للقانون فى هاتين الدولتين.

ولكن فى عام ١٨٤٦م اعترف كرستيان الثامن (١٨٣٩ ـ ١٨٤٨م) بحق أخته الأميرة شارلوت وورثتها فى حكم دوقيتى شلزويج وهولشتاين بعد وفاة ابنه، وقد أثار هذا العمل غضب الدوقيتين اللتين كانتا تتوقان إلى خضوعهما لحاكم ألمانى. وثار الألمان فى الدوقيتين عندما بدأت القوات الدنماركية فى احتلال شلزفيج، وألفوا حكومة مؤقتة فى «كييل» فى ٢٤ مارس ١٨٤٨م. وأيدهم برلمان فرانكفورت.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأفسح ذلك لحربين خاضهما الجيش البروسى ضد الدنمارك، وقد انتهتا بعقد مؤتمر فى لندن ضم بريطانيا وبروسيا والنمسا وروسيا وفرنسا والسويد والدنمارك، وتم الاتفاق فى البروتوكول الذى وقع فى ٨ مايو ١٨٥٢م The London Protocol على تثبيت وراثة العرش وحكم شلزفيج وهولشتاين، مع عدم المساس بحقوق الاتحاد الألمانى فى هولشتاين، ووقعت بروسيا مع النمسا على هذه المعاهدة، وأما الدوق أوجستنبرج المطالب بالعرش، فقد قبل تعويضا كبيرا لقاء تنازله عن مطالبه ودعاويه، ولم يدع الاتحاد الألمانى لتوقيع المعاهدة، كما لم توقع الدوقيتان.

على أنه لم تكن تمضى عشرون عاما على المعاهدة حتى نسى فردريك السابع ملك الدنمارك بنود البروتوكول، وأصدر فى ٣٠ مارس ١٨٦٣م دستورا تضمن إدماج شلزفيج فى مملكته، ومنح هولشتاين الاستقلال الداخلى.

وعند ذلك استنجدت هولشتاين «بالدايت» الألمانى، الذى اعتبر نفسه مطلق اليد نظرا لأنه لم يشترك فى توقيع معاهدة لندن ولم يوافق عليها، وتقدم ابن الدوق أوجستنبرج الذى تنازل عن العرش، معلنا أن تنازل أبيه ليس ملزما له.

وقد رد فردريك السابع ملك الدنمارك على ذلك فى ١٣ نوفمبر ١٨٦٣م بإصدار دستور آخر ضم فيه الدوقيتين نهائيا إلى مملكة الدانمارك، وبذلك نقض بروتوكول لندن ١٨٥٢م.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى سياق هذه التعقيدات، توفى فردريك السابع بعد يومين، وخلفه الأمير كريستيان التاسع الذى وضع الدستور الأخير موضع التنفيذ.

وقد كانت تلك هى الظروف التى انتهزها بسمارك للقيام بسلسلة من المناورات التى أدت فى النهاية إلى سقوط الدوقيتين فى يد بروسيا. فمع أنه كان أحد الموقعين على بروتوكول لندن، وبالتالى فقد كان ملزما بالاعتراف بكريستيان التاسع، إلا أنه اعتزم العمل عل محاربته.

ففى ذلك الحين قرر «الدايت» الألمانى، لسان حال الاتحاد، الاعتراف بأوجستنبرج أميرا على شلزڤيج وهولشتاين، وطلب إلى الدنمارك أن تجلو عن دوقيتى شلزڤيج وهولشتاين ولاونبرج Launburg. وكانت القوات التى تحت تصرف الاتحاد قوات ضعيفة ولذلك انتهز بسمارك الفرصة للتدخل، وعرض على النمسا الاشتراك فى الحرب، ومع أن النمسا لم يكن لديها أى سبب مباشر للاشتراك، نظراً لأنها كانت دولة متعددة القوميات، وكان من الخطر أن تتدخل لصالح ألمان الدوقيات باسم القومية - إلا أنها خشيت انفراد بروسيا بنجدة ألمان الدوقيات وتقاعسها هى عن ذلك، وتم الاتفاق فى يناير ١٨٦٤م على تقديم إنذار نهائى إلى الدنمارك بإلغاء دستور نوفمبر. وقد صيغ فى أسلوب يجعل قبوله مستحيلاً!

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وسار كل شئ طبقا للخطة الموضوعة، فقد رفضت الدنمارك الإنذار، وتقدمت جيوش بروسيا والنمسا لغزو الدوقيتين، وأكره كريستيان على طلب الصلح، ونزل للدولتين الألمانيتين عن حقوقه فى شلزفيج وهولشتاين، وفى دوقية لاونبرج الصغيرة.

ثم اختصت بروسيا بإدارة شلزفيج، واختصت النمسا بهولشتاين فى معاهدة جشتاين Gastein سنة ١٨٦٥م.

وهكذا أحبط بسمارك دعاوى بيت أوجستنبرج، رغم رأى غالبية الأمة الألمانية.

على أن بسمارك لم يكن جادا فى التقسيم، لأن شلزفيج التى اختص بادارتها كانت تقع فى الطرف الشمالى الأقصى، وتفصلها عن بقية ألمانيا هولشتاين، فضلا عن أن غالبية سكانها يتكلمون الدنماركية، فى حين كانت هولشتاين التى اختصت بها النمسا ألصق بألمانيا، كما أن سكانها جميعا كانوا ألمانيين. يضاف إلى ذلك أن برزخ كييل كان يقع وسط الدوقيتين، وكان فى نية بسمارك حفر قناة تخدم أغراض بروسيا الاقتصادية، وكان التقسيم على هذا النحو يعرقل مشاريعه. لذلك فلم يكن مفر من الحرب مع النمسا، وبات يترقب فرصة للاحتكاك بها..

على أنه قبل أن يفعل ذلك كان عليه أن يعزل النمسا ويدعم موقفه. ولما كان مطمئنا من ناحية حدود بلاده الشرقية مع الروس، فقد اتجه همه إلى ضمان حياد فرنسا ومعاونة إيطاليا لبلاده.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبالنسبة لفرنسا فقد تقابل بسمارك مع نابليون الثالث فى بياريتز Biarritz فى ٣٠ سبتمبر ١٨٦٥م، بعد فشل الحملة الفرنسية فى المكسيك، مستغلا أمل نابليون الثالث فى تعويض هذه الهزيمة بنجاح فى ميدان آخر، وأبدى استعداده للنظر فى توسيع رقعة فرنسا إذا ما ضمن حيدتها فى الحرب القادمة بينه وبين النمسا، وموافقتها على عقد تحالف بروسى إيطالى.

وأما بالنسبة لإيطاليا. فقد اشترى بسمارك مساعدتها بوعدها بضم مقاطعة البندقية إليها، وأبرم التحالف البروسى الايطالى فى ٨ أبريل ١٨٦٦م بالفعل، وبمقتضاه رضيت إيطاليا أن تعلن الحرب على النمسا، بشرط ألا تعقد بروسيا الصلح مع النمسا قبل ضم البندقية إلى إيطاليا.

ثم أقدم على خطوة لكسب ولاء الشعوب الألمانية، فتقدم فى اليوم التالى لإبرام التحالف البروسى الإيطالى، بمشروع إلى «الدايت» الألمانى بإصلاح عام للاتحاد التعاهدى الألمانى، ودعوة الناخبين إلى انتخاب برلمان ألمانى «تنتخبه الأمة الألمانية كلها بواسطة الانتخاب المباشر على أساس حق الانتخاب للجميع، للنظر فى مقترحات الحكومات لإصلاح الدستور الفيدرالى. وكان غرضه من هذا المشروع الثورى (لم يكن أى قطر من الأقطار الألمانية قد عرف حق الانتخاب المباشر للجميع حتى ذلك الوقت) أن تثبت بروسيا أنها تهتم فعلا بمصالح الأمة الألمانية ورغباتها، وبذلك تلتف حول بروسيا فى صراعها المقبل.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى تلك الأثناء كانت الأحوال فى هولشتاين تنبئ بقرب الصدام مع النمسا، فإن الدوق أوجستنبرج كان يقوم بدعاية ضد معاهدة جشتاين بتشجيع السلطة النمسوية، فطلبت حكومة بروسيا إلى الحكومة النمسوية قمع هذه الدعاية، ولكن النمسا ردت بأن كل دولة منهما حرة فى العمل داخل منطقة إدارتها.

وفى أول يونيو ١٨٦٦م حدث ما كان يتوقعه بسمارك. فقد قررت الحكومة النمسوية إحالة قضية شلزفيج وهولشتاين إلى «الدايت». فاعترض بسمارك بأن هذا القرار يعد انتهاكا للمعاهدة التى أبرمت بين النمسا وبروسيا فى يناير ١٨٦٤م بمناسبة قضية الدوقيتين، وأمر القوات البروسية بدخول هولشتاين.

فردت النمسا بعرض الأمر على «الدايت»، على اعتبار أن هولشتاين هى عضو فى الاتحاد الألمانى، وطلبت إلى الحكومات الألمانية إعلان الحرب على بروسيا.

وهنا انقسمت الدول الألمانية بين النمسا وبروسيا، فبينما وقفت دول الجنوب وبعض دول الوسط ودولة واحدة هى هانوفر فى ألمانيا الشمالية إلى جانب النمسا، وقفت الدول الأخرى الصغيرة إلى جانب بروسيا.

وفى يونيو ١٨٦٦م قطعت العلاقة بين النمسا وبروسيا، وفى الأسبوع الأول من الحرب سحقت بروسيا المقاومة النمساوية التى جابهتها فى الشمال الغربى من ألمانيا، واستولى البروسيون على سكسونيا وهانوفر، والتقوا مع الجيش النمساوى فى بوهيميا عند

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سادوا Sadowa (Koniggratz)، حيث دارت معركة من أكبر معارك التاريخ يوم ٣ يوليو ١٨٦٦م انتصر فيها الجيش البروسى انتصارا حاسما.

وأما إيطاليا فقد برت بوعدها فى محاربة النمسا، ولكنها هزمت برا فى كستوزا Custozza وبحرا فى Lissa. وأرادت القوات البروسية الزحف على فيينا، ولكن بسمارك السياسى الكبير، لم يشأ إذلال النمسا توقعا منه للحرب التالية مع فرنسا، ورغبة فى إعادة المصادقة مع النمسا لتحييدها فى الحرب مع فرنسا كما حيد الأخيرة فى حربه مع النمسا.

لذلك أصر على إبرام الصلح مع النمسا بشروط لا تحط من شرفها، وأبرمت معاهدة براج Prague فى ٢٣ اغسطس ١٨٦٦م، وبها ضمت بروسيا هانوفر، وبعض أجزاء بافاريا، وكذلك هس ـ درمشتات، وشلزڤيج وهولشتاين، ومدينة فرانكفورت، وأصبحت زعيمة اتحاد ألمانى شمالى يشمل كل الإمارات الواقعة شمال نهر الماين Main، مع معارضة النمسا لهذا الاتحاد.

أما الإمارات التى فى جنوبى النهر، فتكون منها اتحاد جنوبى ألمانى. ولم يشأ بسمارك مراعاة لشعور هذه الحكومات إكراهها على الانضمام إلى اتحاد الشمال، وكان من رأيه أن اتحادا شماليا هو أقصى ما تستطيع بروسيا أن تطمع فى هضمه فى هذه المرحلة، ومع أن الولايات الألمانية الجنوبية كانت قد انضمت إلى النمسا، إلا أنه لم يفرض عليها غرامات حربية، بل إنه لم يسلبها أى أرض. وقد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لقى جـزاء اعـتـداله، فـإنه قـبل أن ينتـهى أغسطس ١٨٦٦م كـانت بافـاريا وفـيرتمبرج وبادن قـد أبرمت اتفاقـيات حـربية مع حكومة بروسيا.

أمـا بالنسبة لإيطاليا، فقد انتزعت البندقية من النمسا وضمت إليها مكافأة لها. وبذلك تمت الوحدة الإيطالية.

ولم يلبث بسـمـارك أن اسـتـدار إلى فـرنسـا. ذلك أن نابليـون الثـالث أراد فى شـتـاء ١٨٨٦ ـ ١٨٦٧م الحـصـول على مكافـأة لوقـوفـه مـوقف الحـيـاد فى الحـرب. ولكن بسـمـارك أنذره بأن أى تعديل من جـهة حدود الراين مـعناه الحرب، وعندئذ ولى نـابوليون الثالث وجـهـه شطر لوكسـمبورج، حيث اسـتمـال ملك هولندة الذى كان يسيطر عليها ليبيع له حقه فيها، ولكن بسمارك الذى كان يعد لوكسـمبورج مفتاح ألمانيا الجنوبية، وقف فى وجـه هذه المحاولة، فترتب على ذلك أزمة حادة انتهت بحل وسط. فقد اجتمع مؤتمر من الدول الكبرى فى لندن يوم ٧ مـايو ١٨٦٧م، حيث أبرمت «مـعاهدة لندن» فى ١١ مـايو ١٨٦٧م التى خـرجت بهـا لوكسـمـبـورج من الاتحـاد الألمانى، وأصـبحت دوقـية مـحايدة تضمن حيـادها الدول الكبرى تحت السيادة الاسمية لهولندا.

وأحست فـرنسـا بالمهـانة العميقة وبأن الخطوات التى خطاها بسمارك نحو توحيد ألمانيا سوف تهدد مستقبل فرنسا، وكانت فـرنسـا من قبل تعـتقد أن الخطر من جـهة توحيد ألمانيـا يأتى من جـانب النمسـا لا بروسـيـا باعـتـبـارها الدولة الأقوى، ولذلك وقف

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نابليون الثالث على الحياد بين بروسيا والنمسا فى الحرب الدائرة بينهما على أمل إضعاف الدولتين كل منهما الأخرى، ثم تقدم ليفرض شروطه. فلما تحقق النصر لبروسيا فى سرعة خارقة، أعلن تيير وزير الحربية الفرنسية أنه يجب توقيف بروسيا عند هذا الحد، وأجاب بسمارك بنشر مفاوضاته مع نابليون بعد معركة سادوا، التى طلب فيها نابليون منحه بعض الأراضى على شاطئ الراين الأيسر كترضية له، ورفض بسمارك ذلك، فظهر بسمارك فى عين الولايات الجنوبية الأربع التى كانت تختلف عن الشمال فى الدين والثقافة، فى مظهر المدافع عن السيادة الألمانية، وسارعت إلى الدخول فى الزولفران، فألف بسمارك منها ومن الرايشستاج Reichstag الألمانى الشمالى برلمانا جمركيا Zollparlament يحضره ممثلو الولايات الجنوبية، فكان هذا البرلمان الجمركى برلمانا لجميع ألمانيا.

وفى ذلك الحين تقدمت المسألة الأسبانية لتشعل نيران الحرب الروسية والفرنسية. ففى سبتمبر سنة ١٨٦٨م قامت ثورة فى أسبانيا أسفرت عن طرد ملكتها ايزابيللا Isabella، وقرر الثوار أن تكون حكومة أسبانيا ملكية دستورية. فاختير أخيرا الأمير ليوبولد من أسرة «هوهنزولرن ـ سيجمارينجن» Hohenzollern - Sigmar-ingen ليكون ملكا، ولكن هذا الاختيار أهاج فرنسا التى خشيت أن يؤدى تولى بروسى عرش أسبانيا إلى توحيد الدولتين البروسية والأسبانية وإعادة دولة شرلمان وقلب التوازن الدولى.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومع أن الملك وليم نفض يده من مسألة العرش الأسبانى، كما تخلى الأمير ليوبولد عن اعتلاء العرش، إلا أن فرنسا، التى كانت تريد الحرب، طلبت من ملك بروسيا أن يتعهد بألاّ يعود مستقبلا إلى الموافقة على ترشيح هذا الأمير لعرش أسبانيا، الأمر الذى كان يشكل إهانة لملك بروسيا قابلها بالرفض.

وهنا انتهز بسمارك الفرصة ليظهر رفض وليم فى شكل يهين الأمة الفرنسية، فأعلنت حكومتها الحرب على بروسيا فى ١٩ يوليو ١٨٧٠م، وهى الحرب المشهورة فى التاريخ التى انتهت بهزيمة فرنسا هزيمة ساحقة، ووقوع نابليون الثالث فى الأسر خلال شهر واحد، وانتهت بإبرام الصلح الذى أجبرت فيه فرنسا على النزول عن الألزاس واللورين فى معاهدة فرانكفورت يوم ١٠ مايو ١٨٧١م.

وقد كان تأثير هذا النصر حاسما على الحركة القومية الألمانية، فقد ابتدأت المفاوضات بين بسمارك والدويلات الألمانية، وانتهت فى نهاية نوفمبر ١٨٧١م بانضمام ولايات الجنوب إلى الاتحاد الالمانى الشمالى. ودعى الملك وليم William ليعتلى عرش الاتحاد الألمانى بلقب «إمبراطور» ألمانيا، وتوج رسميا فى ١٨ يناير ١٨٧١م فى قاعة المرايا فى قصر فرساى Versailles وسط احتفالات النصر على فرنسا، وبذلك تمت وحدة ألمانيا.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الرابع عشر

تطور الولايات المتحدة
فى القرن التاسع عشر

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تطور الولايات المتحدة في القرن التاسع عشر

يمكن تقسيم التاريخ الأمريكى إلى ثلاثة أقسام رئيسية: القسم الأول: من ابتداء استعمار أمريكا حتى الاستقلال. والثانى: من الاستقلال حتى الحرب الأمريكية الأسبانية ١٨٩٨م، والثالث: بعد ذلك حتى الآن. وسوف نعالج القسم الأوسط فقط من هذا التاريخ.

ولكى نمهد لهذا القسم نقول إنه عند منتصف القرن الثامن عشر كانت قد تكونت على الشاطئ الشرقى لأمريكا الشمالية ثلاث عشرة مستعمرة بريطانية، نتيجة الهجرة الأوروبية المتواصلة عبر الاطلنطى لعناصر تنتمى إلى جنسيات وديانات متعددة.

وهذه المستعمرات بترتيب امتدادها من الشمال إلى الجنوب هى: نيو هامبشير New Hampshir ، وماساتشوستس Massachusetts ، ونيويورك New York ، وروود آيلاند Rhode Island، وكونيكتكات Con-necticut، وبنسلفينيا Pennsylvania، ونيو چيرسى New Jersy، وديلاوير Delaware، وميريلاند Maryland، وفيرچينيا Virginia، ونورث كارولاينا North Carolina، وساوث كارولاينا South Carolina، وجورجيا Georgia .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد طبق على هذه المستعمرات نظام «الميثاق الاستعمارى» المتمثل فى المذهب التجارى Mercantile System الذى يحظر على سكان المستعمرات الاتجار مع أية دولة غير الوطن الأم، أو استخدام سفن تابعة لدولة أجنبية، لأن هدف الاستعمار هو بالدرجة الأولى خدمة سكان الوطن الأم.

ولما كانت هذه القيود من شأنها إلحاق الضرر بالمهاجرين، خصوصا وكانت تشمل تحريم الاشتغال بالصناعة، وذلك فى الوقت الذى اتسعت فيه هذه المستعمرات سكانيا وعمرانيا. فقد أدى ذلك إلى ردود فعل تطورت من المطالبة بالتمتع بالحقوق التى يتمتع بها سكان الوطن الأم، إلى المعارضة فى فرض الضرائب، ثم إلى المقاومة، ثم إلى تنظيم المقاومة عن طريق الاتحاد بين المستعمرات الثلاث عشرة، ثم إلى الصدام مع الحكومة البريطانية والبرلمان البريطانى، ثم إلى إعلان الاستقلال فى ٤ يوليو ١٧٧٦م، ثم إلى حرب الاستقلال مع إنجلترا، حيث كانت فرنسا تقدم المعونة لأمريكا، ثم إلى الانتصار وعقد معاهدة باريس فى ٣ سبتمبر ١٧٨٣، التى اعترفت فيها إنجلترا باستقلال الولايات المتحدة.

وعند توقيع معاهدة باريس عام ١٧٨٣م كان من الممكن أن تنحصر حدود الولايات المتحدة بين جبال الأبلاتشيان The Appalachians والمحيط الأطلنطى، ولكنها كانت منذ اللحظة الأولى لاستقلالها «كالطفل المحظوظ» ـ حسب تعبير بعض المؤرخين ـ فقد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تمتعت الدولة الجديدة بمساحات هائلة تمتد من المحيط الأطلنطى إلى المسيسبى Mississippi، ومن البحيرات العظمى شمالا إلى خط العرض ٣١ جنوبا.

وفى خلال عشرين عاما، زادت هذه المساحة بشراء لويزيانا Louisiana من نابليون بونابرت (بمبلغ ١٥ مليونا من الدولارات) وهى التى كان قد حصل عليها من أسبانيا بالتنازل وخشى وقوعها فى يد انجلترا، ففضل ببيعها للولايات المتحدة فى ٣ أبريل ١٨٠٣م.

ولم تلبث أن لحقت فلوريدا Florida، التى كانت تقع على الحدود الجنوبية للولايات المتحدة والى شرق المسيسبى بلويزيانا. ذلك أن الجزء الغربى منها كان قد وقع فى يد رجال الحدود الأمريكيين، وفى عام ١٨١٠م قامت الثورة ضد الحكم الأسبانى، فأمر الرئيس «ماديسون» Madison باحتلال هذا الجزء. وبقى الحكم الأسبانى فى فلوريدا الشرقية بعض الوقت، ولكن قبضة الحكم الأسبانى كانت واهية. وفى ١٨١٩م تخلى الأسبان عنها للولايات المتحدة مقابل خمسة ملايين دولار، وترتب على ذلك اجلاء الهنود الحمر عن مواطنهم فى شرقى نهر المسيسيبى. مما أدى إلى قيام المدن الكبرى فى الشمال من هذه المنطقة مثل كليفلاند Cleveland، وديترويت Detroit، وشيكاغو Chicago.

وقد توقف التوسع الأمريكى بعض الوقت، ولكن لم تمض فترة طويلة على عملية غرب فلوريدا حتى تكررت بالنسبة لمنطقة تكساس Texas الواقعة غرب لويزيانا، فهناك تحرك رجال الحدود

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأمريكيون إلى داخل هذه المنطقة التى كانت قبضة المكسيك فيها مهتزة، وانتهى الأمر بضم ولاية تكساس إلى الولايات المتحدة.

وعندما توانى المكسيكيون عن الاعتراف باتحاد تكساس مع الولايات المتحدة، قامت الحرب بين الولايات المتحدة والمكسيك فى عام ١٨٤٦م، وترتب على انتصار الولايات المتحدة فى هذه الحرب توسع آخر فى المساحة الإقليمية لها، فأضيفت إليها كاليفورنيا California، وأجزاء من أريزونا Arizona، ونيومكسيكو New Mexico، ونيفادا Nevada، ويوته Utah

وفى العقد الرابع من القرن التاسع عشر سويت الخلافات التى كانت قائمة بين مين Maine وكندا البريطانية بمعاهدة وبستر - أشبرتون«Webster Ashburton» التى أبرمت عام ١٨٤٢م، فأصبحت الحدود الشمالية للولايات المتحدة أكثر دقة ووضوحا. وبنفس هذه المعاهدة أضيفت مساحة كبيرة فى مينيسوتاMinnesota إلى الأراضى الأمريكية.

وإلى أقصى الغرب اتفقت الولايات المتحدة وبريطانيا على ترك أراضى أوريجون Oregon حرة مفتوحة لأهالى كل من الدولتين. وفى عام ١٨٤٦م تم الاعتراف بالخط ٤٩ حدا فاصلا بين أراضى الدولتين، فأصبحت المنطقة الواقعة جنوب هذا الخط - باستثناء جزيرة فانكوفر Vancouver - جزءا من الولايات المتحدة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكان العمل الذى اختتم به التوسع نحو الغرب هو شراء جيمس جادسدن Gadsden فى سنة ١٨٥٣م إقليماً صغيراً فى الجنوب الغربى كان ضروريا لإنشاء خط سكة حديد عبر القارة، وهو الآن جزء من أريزونا الجنوبية.

ثم كان شراء الآسكاAlaska من روسيا فى عام ١٨٦٧م، فأخضع للولايات المتحدة منطقة أخرى مهمة.

على هذا النحو استكملت الولايات المتحدة مساحتها أو توسعها القارى قبيل عام ١٨٥٣م ـ أو عام ١٨٦٧م إذا أدخلنا فى اعتبارنا منطقة الآسكا. وتكون قد ضمت فى خلال سنوات أربع فقط ما يزيد على مليون من الأميال المربعة.

وقبيل نهاية هذه الفترة كانت قد بدت مظاهر الاهتمام داخل الولايات المتحدة بالأراضى التى تقع وراء الحدود الأمريكية. ففى خلال العقد الثالث من القرن التاسع عشر كانت الإرساليات الأمريكية قد مدت نفوذها فى جزر هاواى Hawaiian Island، وسيطرت على الحكومة الملكية هناك التى كان نظامها بدائيا. وفى عام ١٨٥٣م وقعت فعلا معاهدة تقضى بضم الجزيرة إلى الولايات المتحدة، ولكن مجلس الشيوخ لم يصادق عليها. وبعد ذلك بعشرين عاما أبرمت معاهدة مع ملك هاواى ربطت اقتصاد هاواى بالاقتصاد الأمريكى ربطا محكما.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى العقد السابع بدأت الحكومة الأمريكية تظهر اهتماما بجزر ساموا Samoa فى جنوبى المحيط الهادى. وفى عام ١٨٨٩م دخلت هذه الجزر فى نوع من الحكم الثلاثى بين الولايات المتحدة وبريطانيا وألمانيا، وذلك عندما أرادت ألمانيا الاستيلاء على هذه الجزر. وفى عام ١٩٠٠م، وعلى أثر حرب أهلية نشبت فى الجزر، اقتُسمت بين الولايات المتحدة وألمانيا فقط، وبذلك تم للولايات المتحدة الاستيلاء على ميناء «باجو باجو» المهم فى ساموا.

وفى نفس الوقت، وفى سنة ١٨٨٧م، نالت الولايات المتحدة فى هاواى حق استخدام ميناء بيرل هاربر Pearl Harbor كقاعدة بحرية. وتلى ذلك بعد ١٢ عاما استيلاء الأمريكيين المستوطنين بالجزيرة على مقاليد الحكم، وتحويلها إلى ملْكية الولايات المتحدة.

وفى العقد الثالث، وفى العقد الخامس أيضا، ثم فى الفترة من ١٨٦٨م إلى ١٨٧٨م، ارتفعت الأصوات فى الولايات المتحدة منادية بضم كوبا Cuba، وهو ماتحقق عام ١٨٩٨ كثمرة من ثمار الحرب الأمريكية الأسبانية، التى انتهت بالاستيلاء أيضاً على بويرتو ريكو وجوام والفليبين.

وقد ترتب على انتقال هذه الأمبراطورية إلى الولايات المتحدة دون خسارة تذكر أن أصبحت هذه الدولة من الدول العظمى فى ذلك الحين.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى ذلك الحين كانت الولايات المتحدة تعمل على بسط نفوذها وسيطرتها على أمريكا اللاتينية. وقد رأينا فى دراسة سابقة كيف أصدر الرئيس مونرو فى ٢ ديسمبر ١٨٢٣م تصريحه المشهور، الذى أعلن فيه أن أى تدخل من جانب دول أوربا العظمى فى العالم الجديد سوف يعتبر عملا عدائيا نحو الولايات المتحدة تقاومه بالقوة.

وقد تبع هذا التصريح بتصريح آخر، بمناسبة الخلاف مع روسيا حول الشاطئ الغربى، أعلن فيه مونرو «أن القارتين الأمريكيتين بحكم الأحوال المتسمة بالحرية والاستقلال التى وضعناها واحتفظنا بها، لايمكن أن تعتبرا نفسيهما من الآن فصاعدا خاضعتين لأى استعمار فى المستقبل من جانب أية قوة أوروبية».

وفى أواسط العقد الخامس ظهرت عبارة «مبدأ مونرو». وفى العقد السادس، عندما انتهز نابليون الثالث فرصة الحرب الأهلية فى المكسيك لإقامة نظام ملكى فيها تحت إمرة الأمير ماكسمليان Maximilian النمساوى، قاوم الأمريكيون هذه المحاولة باسم «مبدأ مونرو» بمجرد انتهاء الحرب الأهلية الأمريكية، وإن لم يذكر المبدأ بالاسم فى هذا الصدد. ولم يشأ نابليون الثالث الدخول فى الحرب مع الولايات المتحدة، فتراجع، وفشل النظام الملكى الذى أقامه.

وفى السنوات التالية اتسع نطاق مبدأ مونرو، فربط الرئيس هايز Hayes بينه وبين معارضة إنشاء قناة تربط بين المحيطين وتكون تحت رقابة أية دولة أوروبية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كما أن الرئيس كليڤلند Cleveland ذهب إلى أبعد من ذلك فى سنة ١٨٩٥م. فحين وقع النزاع بين بريطانيا وفنزويلا على الحدود بين هذه الجمهورية وجيانا البريطانية، حاولت الولايات المتحدة التوسط، ولما رفضت بريطانيا، وجهت حكومة الرئيس كليفلند مذكرة شديدة اللهجة إلى بريطانيا اتهمتها فيها بمخالفة مبدأ مونرو، ومعلنة حق الولايات المتحدة فى التصميم على الالتجاء إلى التحكيم فى الخلاف، واضطرت بريطانيا عندما اقترب خطر الحرب بين البلدين إلى قبول التحكيم.

وقد مضى الرئيس تيودور روزفلت Theodore Roosevelt خطوة أبعد، حين أكد أن مبدأ مونرو قد يضطر الولايات المتحدة إلى أن تفرض نوعا من قوة البوليس الدولى فى العالم الجديد إزاء الدول المفككة، التى قد يتهددها تدخل القوى الأوروبية إذا لم يفرض هذا النظام البوليسى. وكان ذلك إرهاصا بالدور البوليس الذى تلعبه الآن فى العالم كله!

على كل حال، ففى ذلك الحين، وعلى مدى القرن التاسع عشر كان المجتمع الأمريكى يمر عبر تحولات هائلة على المستويين الاقتصادى والسياسى، حكمتها بصفة رئيسية ظروف الهجرة، واختلاف المناطق الجغرافية، وتنوع أنشطة السكان الاقتصادية. فقد رأينا كيف تركزت الهجرة إلى العالم الجديد فى القسم الشرقى من أمريكا الشمالية، وقد انتشرت هذه الهجرة واقامة المستعمرات من الشمال إلى الجنوب دون ترتيب. ثم انتقلت الهجرة إلى الغرب بعد الاستقلال.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد حددت البيئة الجغرافية النشاط الاقتصادى للسكان.

ففى القسم الشمالى، حيث لم تهئ الطبيعة المساحة الكافية من الأراضى الزراعية، اضطر السكان إلى العمل التجارى والصناعى، وتكونت طبقة رأسمالية على جانب كبير من القوة.

وفى الجنوب، حيث كانت توجد المساحات الزراعية الشاسعة تكونت طبقة كبيرة من كبار الملاك.

أما فى الغرب، فقد تكونت طبقة من صغار المزارعين لأسباب تمتزج فيها ظروف الهجرة والبيئة الطبيعية والعوامل السياسية.

وقد ترتب على هذا الاختلاف فى أنشطة السكان الاقتصادية، وارتباطهم بمناطق جغرافية معينة من البلاد، أن التناقضات الطبيعية التى يخلقها عادة اختلاف الأنشطة الإقتصادية، اكتسبت فى الولايات المتحدة صبغة إقليمية خاصة إلى جانب الصبغة الأساسية الاقتصادية، وعلى نحو أدى إلى قيام الحرب الأهلية بين سنتى ١٨٦١ ـ ١٨٦٥م.

فمن ناحية، فإن مصالح الرأسماليين فى الشمال قد أملت عليهم الإلحاح على الكونجرس لإطلاق حرية الهجرة إلى الولايات المتحدة، لكى يتسنى لهم إيجاد عدد كبير من العمال بأجور بخسة، وإقامة الحواجز الجمركية لحماية المصنوعات الناشئة.

كما أضعفت، من جانب آخر، من اهتمامهم باقتناء الرقيق، بل أتاحت لهم النظر إلى مسألة الاسترقاق من زاوية إنسانية، فأصبح

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عتق العبيد بصورة تدريجية مبدأ الولايات الشمالية الغربية، ومنع القانون إدخال الاسترقاق فى الجهات التى أصبحت فيما بعد ولايات أوهايوOhio، وانديانا Indiana، وإلينويز Illinois، وميشيجان Michigan، ووسكانسين، Wisconsin .

وفى سنة ١٨٠٨م ألغى الاتجار بالرقيق، وقامت جمعيات لعتق العبيد وإرجاعهم إلى أفريقيا، ونجحت بالفعل فى إعادة بعض الزنوج واستعمارهم ليبريا Liberia فى غرب أفريقيا، وأصبحت ليبريا جمهورية أعلن استقلالها سنة ١٨٤٧.

أما من ناحية كبار الملاك فى الجنوب، فإن مصالحهم قد أملت عليهم معارضة إقرار الحواجز الجمركية، وذلك حتى تتوافر الأسواق التى يمكنهم فيها بيع محصولاتهم بأثمان أعلى، وابتياع حاجاتهم بأسعار أدنى، وقد توافرت هذه الشروط فى أسواق أوروبا، وخاصة إنجلترا.

ومن ناحية أخرى فإن الاسترقان فى الجنوب كان من الدعائم الأولية فى الاقتصاد ـ تماماً كما أن العمال فى الشمال كانوا من الدعائم الأولية فى الاقتصاد ـ ولذلك فقد عارضوا أهل الشمال فى طلبهم منع الاسترقان أيضاً، وأخذت تنمو فى نفوسهم النزعة الانفصالية التى تمثلت فى ذلك الحين فى المدافعة عن حقوق الولايات، ومنع تدخل الحكومة المركزية فى إدارة الشئون الاقتصادية فى البلاد.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكان من الطبيعى أن يؤيد صغار الملاك فى الغرب مطالب كبار الملاك فى الجنوب، لتماثل الأسباب.

على أنه إلى جانب هذا التناقض بين أهل الشمال من جهة وأهل الجنوب والغرب من جهة أخرى، كان يوجد تناقض آخر بين أهل الغرب من جهة وأهل الشمال والجنوب من جهة أخرى. فعندما أثيرت مسألة الأراضى الغربية وكيفية استيطانها وتوزيعها، أراد صغار المزارعين والصناع الحصول على تلك الأراضى الزراعية دون مقابل. وقد أثار ذلك معارضة كل من أصحاب الصناعات فى الشمال وكبار ملاك الأراضى فى الجنوب، لأن ذلك يؤدى إلى أن يفقد أصحاب الصناعات عمال مصانعهم، ممن يطمعون فى التمليك وانشاء المزارع. كما أنه قد يؤدى - من وجهة نظر كبار ملاك الأراضى - إلى أن يكثر عدد الولايات التى لا تأخذ بمبدأ الاسترقاق، فتصبح السيادة لها، ويفقدون بذلك مكانتهم.

على كل حال فقد كان التناقض الرئيسى هو الذى يتمثل بين الشماليين والجنوبيين، وقد أخذ يتبلور حول مسألة الرقيق. والسبب فى ذلك اقتران هذه المسألة بالقوة الاقتصادية للجنوبيين، وآثارها على امتلاك السلطة السياسية، فبينما أراد الشماليون سلب الجنوبيين مصادر قوّتهم الاقتصادية والسياسية. تشبث الشماليون بوجود الرقيق دفاعا عن مصالحهم الاقتصادية، التى كانت تعكس آثارها على نفوذهم السياسى، فقد كان عدد العبيد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى ذلك الحين يزيد على الأربعة ملايين، وتقدر قيمتهم بعدة ملايين من الدولارات.

فى ذلك الحين كان حزب الويج Whigs يعبر عن مصالح الشماليين، فى حين كان الحزب الديموقراطى يعبر عن مصالح كبار الملاك وصغارهم، وكان الحزب الأخير هو الذى سيطر على الحكومة فى فترة توسع الولايات المتحدة نحو الغرب.

وقد ثار الخلاف حول مشكلة الاسترقاق فى المقاطعات الغربية، فبينما طالب كبار الملاك فى الجنوب بامتداد الاسترقاق إلى الغرب، عارض الشماليون وصغار المزارعين. وعندما عجز حزب الويج عن اتخاذ خط واضح من مشكلة الاسترقاق فى مقاطعتى كانساس Kansas ونبراسكا Nebraska، حين أجاز الكونجرس قانونا لتنظيم الحكومة فى كل منهما، أباح لسكانهما الدخول فى الاتحاد الامريكى بالصيغة التى ترتئيانها مع اتباع الاسترقاق أو العدول عنه ـ اجتمع فريق مكون من عناصر هذا الحزب ومن عناصر أخرى من الحزب الديموقراطى، التى أنكرت تسلط كبار المزارعين على حزبهم، ومن عناصر أخرى من المزارعين الصغار الذين ساءهم مطالبة الجنوب بامتداد الاسترقاق إلى الغرب ـ وألفوا فى فبراير ١٨٥٤م الحزب الجمهورى بغرض الحيلولة دون امتداد الاسترقاق إلى المقاطعات الغربية، وكان على رأس هذا الحزب إبراهام لنكولن، فقضى بذلك على حزب الويج.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وسرعان ما مضت الأمور فى طريق الحرب الأهلية، ففى مايو ١٨٦٠م اجتمع الحزب الجمهورى، وتم الاتفاق على ترشيح إبراهام لنكولن Abraham Lincoln للرياسة. ولما كان الديموقراطيون الجنوبيون قد اتفقوا على الانسحاب من الاتحاد الأمريكى إذا تمت الغلبة للنكولين، فحين تحقق ذلك بالفعل أعلنت «ساوث كارولينا»، زعيمة الولايات الجنوبية آنذاك، انسحابها من الاتحاد.

وفى خلال الشهر الأول من السنة التالية ١٨٦١م انسحبت أيضا كل من ولايات المسيسبى وفلوريدا وألاباما Alabama وجورجيا ولويزيانا وتكساس. وفى فبراير ١٨٦١م اجتمع مندوبون عن الولايات السبع واتفقوا على تشكيل الولايات الائتلافية الأمريكية، وانتخبوا جفرسون ديڤيز Jefferson Davis رئيسا مؤقتا.

وفى ١٥ أبريل طلب لنكولن إلى الولايات الموالية تجنيد ٧٥ ألف مقاتل من المتطوعين، فانفصلت على أثر ذلك كل من ولاية فرجينيا ونورث كارولينا وتنيسى Tennessee وأركانساس Arkansas عن الاتحاد، ودخلت فى الائتلاف الجنوبى. وبلغ عدد الولايات الائتلافية عند ابتداء النزاع إحدى عشرة ولاية تقابلها من الشمال ٢٣ ولاية اتحادية. واستمرت الحرب إلى ٩ أبريل ١٨٦٥م وانتهت بانتصار الشمال.

ولقد كان انتصار الشمال الرأسمالى الصناعى إيذانا بسطوة الرأسمالية والاحتكارات الصناعية الأمريكية، فانطلقت الولايات

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المتحدة بعد ذلك إلى ماوراء القارة بحثا عن مناطق النفوذ، وبرزت الروح الإمبريالية فى الحرب الأسبانية الأمريكية التى سبق ذكرها، والتى جنت الإمبريالية الأمريكية من ورائها إمبراطورية ضخمة بأقل الخسائر الممكنة، وبها انتقلت الولايات المتحدة إلى مصاف الدول العظمى، وبدأ عهد جديد فى التاريخ الأمريكى.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الخامس عشر

ظهور اليابان
فى القرن التاسع عشر

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اليابـــــان
فى القرن التاسع عشر

يمكننا أن نميز ثلاث مراحل فى تاريخ اليابان الحديث: المرحلة الأولى، مرحلة العزلة، وتبدأ منذ طرد البعثات التبشيرية المسيحية فى القرن السابع عشر، حتى منتصف القرن التاسع عشر. وفى هذه المرحلة كانت اليابان فى عزلة عن العالم، عدا مركز تجارى هولندى محدود فى نجازاكى Nagasaki.

أما المرحلة الثانية فتبدأ منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى انقلاب ٣ يناير ١٨٦٨م، وهى مرحلة التعرض للغزو الاستعمارى. وفى أوائل هذه المرحلة كانت الدول الغربية، التى فتحت أبواب الصين بالقوة بعد حرب الأفيون، قد فكرت فى الحصول على ميزات مشابهة فى اليابان، تتمثل فى اتفاقيات تجارية وإمكانية رسو السفن فى الموانى اليابانية.

وكانت دول شمال المحيط الهادى، وهى الولايات المتحدة بعد حربها مع المكسيك، ثم روسيا، على رأس الدول التى أظهرت اهتماما بهذا الموضوع.

وكان الأمريكيون أسبق فى التحرك. ففى ١٨٥٣، ١٨٥٤م زارت السفن الحربية الأمريكية اليابان، وانتزع الكومودور بيرى Perry

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى معاهدة «كانا واجا» فتح ميناء للتجارة الأمريكية، وفى سنة ١٨٥٨م فتحت خمسة موانى جديدة، من بينها يوكوهاما، علاوة على حق الدخول فى علاقات تجارية مباشرة مع الأهالى، وحق التمتع بالامتيازات الأجنبية، والاحتفاظ بتمثيل دبلوماسى لدى الحكومة اليابانية.

ثم حصلت إنجلترا وروسيا وهولندا على اتفاقيات مشابهة. وبذلك انفتحت اليابان للنفوذ الغربى، وتخلت عن سياسة العزلة التى انتهجتها مدة قرنين من الزمان!

وفى الفترة التالية دار الصراع الداخلى فى اليابان بين أنصار العزلة وأنصار الانفتاح. فبينما رأى كبار الإقطاعيين أن الانفتاح يهدد استقلال اليابان، وأن التعامل مع الدول الأجنبية سيحرم الأهالى من المواد الأولية اللازمة لمعيشتهم. كانت حكومة الشوجن Shogun (الحاكم الفعلى ومنصبه وراثى) ترى أن «فن الملاحة والوسائل الحربية والبحرية قد بلغت فى الدول العظمى أقصى نموها، وربما تنتهى حرب ندخلها مع هذه الدول إلى نجاح مؤقت، ولكن حين تهاجم أسلحتها بلادنا، فإننا سوف نخضع للنتائج، التى يسمح لنا بتكهنها المثال الماثل أمامنا فى الصين»!.

على أن جماهير الشعب حسمت الموقف بسبب ما أحست به سريعا من مساوئ فتح الأبواب للأجنبى فى المجال الاقتصادى خاصة، لأن عمليات الشراء التى قام بها الأجانب قللت من توافر المواد الأولية، وأدت إلى اختفاء قطع العملة الذهبية، لأن الأجانب

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اشتروا قطع الذهب لتباع فى الولايات المتحدة وأوروبا بربح وصل إلى ٥٠٪.

فارتفعت ـ من ثم ـ صيحة طرد الأجانب ضد حكومة الشوجن أولاً، وتمثلت فى حوادث اغتيال الوزراء، ثم اتجهت إلى الأجانب، فوقعت اثنتا عشرة عملية اغتيال فيما بين عامى ١٨٥٩، ١٨٦٢م مع حرق سفارتين.

وأخيرا أعطى الإمبراطور فى ٥ يونيو ١٨٦٣م أمره للشوجن بطرد البرابرة، وحدد للتنفيذ يوم ٢٥ يونيه.

على أن الدول الغربية سارعت بالتدخل، فقام الأسطول الإنجليزى بضرب مدينة «كاجوشيما»، وتوغلت الأساطيل الفرنسية والأمريكية فى مضيق سيمونوسيكى، الذى كان قد منع على السفن التجارية الأجنبية، وقامت بضرب القلاع وتحطيمها.

واضطر الإمبراطور إلى سحب مرسوم طرد الأجانب فى ٣٠ سبتمبر ١٨٦٣م. وعندما رفض التصديق ـ مع ذلك ـ على معاهدات ١٨٥٨م، قامت الأساطيل الغربية بمظاهرة بحرية جديدة أمام «أوساكا Osaka»، فاضطر الإمبراطور إلى التصديق، بل وحتى على قبول إضافات للمعاهدات فى ٢٤ نوفمبر ١٨٦٤م!

على أن الصراع أدى إلى انهيار النظام الشوجنى ليفسح الطريق أمام إعادة السلطة للعرش. وقد حدث ذلك بعد تولى الإمبراطور «موتسوهيتو» Mutsuhito العرش فى ٣٠ يناير ١٨٦٧م،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والذى كان مستشاروه من أنصار الانفتاح يرغبون فى إعادة تنظيم الحكومة والإدارة على أسس حديثة.

ففى ٣ يناير ١٨٦٨م استقال الشوجن فيما يشبه الانقلاب، وتنازل قادة الجيوش الإقطاعيون عن سلطاتهم شبه المستقلة، وألغى نظام الشوجنية، وأعلن عودة الحكم الإمبراطورى المباشر. وبعد الانقلاب مباشرة صدر مرسوم إمبراطورى يأمر الشعب اليابانى بالاعتراف بالحقوق والامتيازات التى منحت للأجانب.

وهنا نلاحظ أن الصراع بين الشوجنية والإمبراطورية لم يكن بين سياسة الإنغلاق والانفتاح، لأن الشوجنية كانت من أنصار الانفتاح، مثلها فى ذلك مثل الإمبراطورية.

ومعنى ذلك أن المسألة كانت صراعا على السلطة لا على المبادئ، وكان الانهيار الذى أصاب نظام الشوجنية بسبب سخط الشعب عليها لسياسة الانفتاح، هو الذى أغرى أنصار السلطة الإمبراطورية على هدمها لصالح الإمبراطورية.

وعلى هذا النحو تكون إحدى النتائج المهمة للتدخل الاستعمارى فى اليابان هو سقوط نظام الشوجنية، الذى ظل فى أسرة توكو جاوا من ١٦٠٠م، وعودة السلطة الفعلية للإمبراطور. وسيكون لذلك بدوره آثار حاسمة فى المرحلة التالية.

فى بداية المرحلة الثالثة لتاريخ اليابان الحديث، وهى التى تبدأ من ٣ يناير ١٨٦٨م، تكون سياسة الانفتاح على الغرب هى السياسة المقررة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولكن هناك فارقا مهما بين هذه السياسة وسياسة الانفتاح فى الصين. فبينما كانت هذه السياسة فى الصين تطبق على أساس فتح أبواب البلاد للنفوذ الأجنبى، مع احتفاظ البلاد بحياتها التقليدية، فقد كانت فى اليابان شيئاً آخر ـ هذا الشئ هو تجديد حياة البلاد ذاتها، وانتهاج أسلوب الحياة الغربية، والأخذ بالنظم الغربية، واستيحاء طرق الغربيين ووسائلهم التقنية، والانتقال من مستوى التخلف إلى التقدم.

وقد أقبلت اليابان على ذلك بمثابرة غريبة، وبسرعة فائقة نقلتها فى أقل من ربع قرن من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة كدولة من الدول العظمى، بل ودولة استعمارية كبيرة!

فقد أعيد تنظيم الأسطول اليابانى على نمط الأسطول البريطانى، ودرس قادة الجيش اليابانى الأساليب البروسية وساروا عليها، واقتبس رجال التربية الطرق الأمريكية، وطبقت محاكم القضاء والقوانين اليابانية الإجراءات الفرنسية والألمانية، وأصبحت اليابان فى عام ١٨٨٩م دولة دستورية لها مجلس نواب منتخب ومجلس للأمراء شبيه بالبرلمانات الأوروبية. وأعيد تنظيم الصناعة اليابانية بسرعة فائقة، وأرسلت بعثات من الطلبة إلى الخارج لدراسة الأساليب الفنية الغربية والتمكن منها، ولما عادت أخذت تخطط للسكك الحديدية وترسانات صناعة السفن والمصانع والبنوك والفنادق والمخازن الحكومية والصحف. وقلما شهد التاريخ أمة تكرس نفسها لمثل هذه المثابرة على هذا النحو.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولم تلبث السياسة الخارجية اليابانية أن أخذت تنهج نفس النهج الاستعمارى للدول الاستعمارية التى قاسته على أيديهم! وكان وجود الروس بقربهم فى سيبيريا الشرقية وفى المناطق البحرية قد دفعهم إلى المزيد من الاهتمام بالقوات المسلحة. وقد انصب اهتمامهم على إنشاء جيش وأسطول حديثين، وقد بلغ عدد الجيش فى عام ١٨٩٠م ـ ٢٤٠ ألف جندى فى وقت السلم، وأما البحرية، التى كانت غير موجودة تقريبا فى سنة ١٨٦٩م، فإنها قد أنشئت فى عشرين عاما. وفى سنة ١٨٨٦م أنشأ مهندس فرنسى أحواض صناعة السفن اليابانية.

ثم أخذت اليابان تتجه نحو التوسع تحت حجة دواعى الأمن! ونجحت فى الاستيلاء على الجزر التى يمكن أن تصبح قواعد عمليات ضد الأرخبيل اليابانى فى حالة وقوعها فى أيدى إحدى الدول العظمى. فقامت فى سنة ١٨٧٣م باحتلال جزر أوجا ساوارا Ogasawara التى كانت تحت العلم الأمريكى. وتخلت حكومة واشنطن عن هذا الأرخبيل بدون صعوبة للسيادة اليابانية.

وفى سنة ١٨٧٥م سيطرت على ريوكيو، التى كانت تابعة فى أوائل القرن ١٧ لأحد كبار الإقطاعيين اليابانيين، وأعلنت ضمها بعد أربع سنوات، رغم احتجاجات الحكومة الصينية.

وفى سنة ١٨٧٥م حصلت الحكومة اليابانية عن طريق المفاوضات على جزر كوريل Kuril التى كان للروس عليها بعض

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المنشآت، وتخلت الحكومة اليابانية فى نظير ذلك عن كل جزيرة سخالين Sakhalin لروسيا، والتى كانت خاضعة لنظام حكم مشترك روسى ـ يابانى منذ سنة ١٨٦٧م، كان مصدر مشكلات مختلفة.

وفى كوريا Korea استخدمت اليابان الأساليب التى انتهجها الاستعماريون نحوها منذ عشرين عاما. فحصلت فى فبراير ١٨٧٦م، تحت تهديد مظاهرة بحرية، على معاهدة تجارية مع ملك كوريا، تضمن لليابانيين الوصول إلى موانى كوريا الثلاثة، وتمنحهم نظاما للامتيازات القضائية. وفى يوليو ١٨٩٤م انتهزت اليابان فرصة اضطرابات فى كوريا فى أول أغسطس ١٨٩٤ لكى تقوم بإنزال قواتها فى هذه المملكة الخاضعة للإمبراطورية الصينية. وفى هذه الحرب اليابانية الصينية، ظهر تفوق جيش وبحرية اليابان.

وفى عام ١٨٩٥م، وبعد أن احتل اليابانيون كوريا وكذلك منشوريا الجنوبية ونجحوا فى النزول فى فورموزا Formosa، أخذوا يستعدون للهجوم على بكين Peking فاضطرت الحكومة الصينية فى ١٧ أبريل ١٨٩٥ إلى توقيع معاهدة Shimonoseki مع اليابان التى تخلت فيها عن سيادتها الاسمية على كوريا، وتنازلت عن فرموزا، وشبه جزيرة لياو تونج Liaotung فى منشوريا الجنوبية Monchuria.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على أن وجود اليابان فى شبه جزيرة لياوتونج قد وضعها فى مواجهة المشروعات الروسية. ولذلك فقد فرضت حكومة القيصر، بتأييد فرنسا وألمانيا، أمر إعادة النظر فى المعاهدة، فبقيت شبه الجزيرة مفتوحة للتوسع الروسى.

على أن اصطدام مصالح الدولتين فى منشوريا وكوريا لم يلبث أن أدى إلى قيام الحرب اليابانية ـ الروسية فى ١٩٠٤ ـ ١٩٠٥م. واستعدادا لهذه الحرب، وخوفا من حصول الروس على تأييد القوات البحرية الفرنسية لوجود علاقات تحالف بينهما، دخلت اليابان فى تحالف مع بريطانيا فى يناير ١٩٠٢م.

ولم تلبث أن قامت بالهجوم على الأسطول الروسى فى بورت آرثر Port Arthur فى ٨ فبراير ١٩٠٤م، فضمنت السيطرة البحرية. وتفوقت الجيوش اليابانية فى العمليات الحربية فى منشوريا، وقضت على الأسطول الروسى الذى كان قد حضر من أوروبا فى ٢٧ مايو ١٩٠٥م فى مضيق كوريا.

ومع أن الجيش الروسى كان فى حالة تسمح له بمواصلة المقاومة، ولكن ثورة ١٩٠٥م أجبرت القيصر على طلب الصلح، الذى تم بوساطة الولايات المتحدة، وبمقتضاه أعطت معاهدة السلام التى عقدت فى «بورتسموث» Portsmouth، اليابان بورت آرثر، والخط الحديدى فى جنوب منشوريا، وكذلك جنوب سخالين، وسمحت لها بإقامة حمايتها على كوريا.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكان هذا أول انتصار يحصل عليه شعب أصفر على البيض منذ بداية التوسع الأوروبى، وسمح لليابان بأن تضع أقدامها بثبات على القارة الآسيوية.

وفى عام ١٩١٣م كان الأسطول اليابانى يعد رابع أسطول فى العالم، وكان فى نفس مستوى القوات البحرية للولايات المتحدة تقريبا.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل السادس عشر

ظهور التحالفات الأوروبية قبل الحرب العالمية الأولى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ظهور التحالفات الأوروبية قبل الحرب العالمية الأولى

كان من أثر تحقيق الوحدتين الإيطالية والألمانية فى عام ١٨٧٠م، بروز دولتين عظميين إلى جانب الدول العظمى الاستعمارية القديمة، تطالبان بنصيبهما من المستعمرات، وتشاركان فى التنافس الاستعمارى. وفى الوقت نفسه ازدادت التناقضات الأوروبية القديمة، وازدادت معها أسباب فقدان الثقة والشك بين دول أوروبا.

وفى عصر يسود فيه مبدأ تحكيم القوة بشكل مطلق فى النزاع، أخذت تظهر سياسة الأحلاف الأوروبية الكبرى التى اصطنعها بسمارك، والقائمة على مبدأ توازن القوى، وبمقتضاه إذا نما حلف إلى درجة تهدد الحلف المنافس بالخطر، سارع هذا إلى تكوين حلف مضاد أقوى أو يوازيه فى القوة. وفى الوقت نفسه بدأ سباق التسلح بين التحالفات الكبرى على النحو الذى أدى إلى نشوب الحرب العالمية الأولى.

كانت الدول الكبرى قبل بروز ألمانيا وإيطاليا كقوتين كبيرتين تنقسم آحادا، ولكن خوف بسمارك من انتقام فرنسا لهزيمتها فى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حرب السبعين، دعاه إلى التودد إلى إمبراطورية النمسا والمجر، التى كان قد جاملها مجاملة عظيمة بعد سادوا. كما عقد أواصر الصداقة مع روسيا التى كان لحيادها فى الحروب الأوروبية أكبر الأثر فى تحقيق الوحدة الألمانية.

ومن هنا تكون الوفاق entente الذى عرف باسم «عصبة الأباطرة الثلاثة» Three Emperors' League فى برلين فى ١٢ سبتمبر ١٨٧٢م، وبه تمت عزلة فرنسا.

على أن التنافس الاستعمارى بين دول هذه العصبة لم يلبث أن أدى إلى تفسخها. وبالنسبة لألمانيا فقد كانت تسعى إلى استغلال موارد آسيا الصغرى، ومد خط سكة حديد برلين ـ بغداد، وإحراز التفوق الدبلوماسى فى القسطنطينية ـ وهى السياسة التى عرفت باسم: «الاندفاع نحو الشرق» Drang nach Osten. ولكن هذه السياسة كانت تتصادم مع مصالح روسيا التى كانت تسعى إلى السيطرة على بلغاريا والاستيلاء على القسطنطينية وضمها، وتقويض الإمبراطورية العثمانية ما أمكن. فى حين كانت إمبراطورية النمسا والمجر ـ على العكس من ذلك ـ ترغب فى اهتضام الصرب وضم سالونيك، لكن مع الاحتفاظ بالإمبراطورية العثمانية ما أمكن.

فلما انتصرت روسيا على الدولة العثمانية فى الحرب الروسية التركية (ابريل ١٨٧٧ ـ مارس ١٨٧٨م) وقف بسمارك فى وجه السياسة الروسية فى مؤتمر برلين (١٣ يونية ١٨٧٨م) وأرغمها مع

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الدول على تضحية مصالحها السلافية، فى حين عزز مطالب النمسا وأيد مطامعها فى البلقان، الأمر الذى أخذ القيصر معه ينسحب من العصبة تدريجيا، حتى انتهى الوفاق فى عام ١٨٨٧م قبل سقوط بسمارك بثلاثة أعوام.

على أن انسحاب روسيا التدريجى من الوفاق أدى بيسمارك إلى تعزيز علاقاته مع النمسا عن طريق إبرام معاهدة التحالف الثنائى بين ألمانيا والنمسا فى ٧ أكتوبر ١٨٧٩م The Austro - German Treaty، وهو التحالف لذى كان من ناحية الشكل حلفا دفاعيا، ولكنه نص على أنه إذا انضمت روسيا إلى فرنسا فإن الدولتين تعملان معا. وقد جدد هذا الحلف فى ١٨٨٣م، وفى فترات متعاقبة بعدها، وبعد عام ١٩٠٢م أصبح يتجدد من تلقاء نفسه فى نهاية كل ثلاث سنوات حتى عام ١٩١٤م.

على أن هذا التحالف الثنائى لم يلبث أن تحول إلى تحالف ثلاثى Triple Alliance Treaty بانضمام إيطاليا إليه فى ٢٠ مايو ١٨٨٢م، بعد أن أعلنت فرنسا حمايتها على تونس سنة ١٨٨١م، وأخذت تعمل للاستيلاء على أفريقيا الشمالية. فقد كان من أثر ذلك أن نشأ تناقض فى المصالح بين فرنسا وإيطاليا التى كانت ترغب فى السيطرة على الشاطئ المواجه لشواطئها وكانت تعتبر تونس مستعمرتها المرتقبة.

ومن هنا، وعلى الرغم من العداء التاريخى بين إيطاليا والنمسا - مما ورد ذكره فى فصل الوحدة الإيطالية - وعلى الرغم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من وجود تناقض فى المصالح معها فى شبه جزيرة البلقان، وشرق البحر المتوسط، والأراضى الإيطالية التى كانت ماتزال فى حوزة النمسا، فإن عامل التنافس الاستعمارى بين إيطاليا وفرنسا كان هو الذى تغلب، ودفع إيطاليا إلى الانضمام إلى التحالف الثنائى فى ٢٠ مايو ١٨٨٢م فى فيينا ليصبح حلفا ثلاثيا. وقد نص على أن تساعد النمسا وألمانيا إيطاليا فى حالة هجوم فرنسا عليها، وأن تساعد إيطاليا ألمانيا إذا هاجمتها فرنسا، أما فى حالة هجوم روسيا وفرنسا على واحد أو اثنين من الأطراف الموقعة فيجب أن تدخل كل الدول الموقعة الحرب متحدة.

وعلى هذا النحو ربط بسمارك ألمانيا بمعاهدات تحالف ودفاع ضد كل من روسيا وفرنسا فى نفس الوقت، وأصبح آمنا فى أوروبا.

فى ذلك الحين كانت مصالح روسيا وفرنسا قد أخذت تتقارب على الرغم من اختلاف النظام السياسى فى كل منهما. ففى حين كان هذا النظام فى روسيا ملكياً رجعياً، كان فى فرنسا جمهورياً ديموقراطياً، ولكن حاجة فرنسا إلى حليف ضد ألمانيا دفعها إلى التفكير فى روسيا. وفى نفس الوقت كانت روسيا فى حاجة إلى الأموال الفرنسية لإتمام مد شبكة السكك الحديدية، خصوصا مشروع سكة حديد سيبريا الذى يخترق آسيا إلى المحيط الهادى. وقد أدى هذا الاقتراب إلى إبرام وفاق ودى روسى فرنسى Entente Cordiale فى أغسطس ١٨٩١م.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى ٢٧ ديسمبر ١٨٩٣م ألحق بهذا الوفاق ميثاق عسكرى يقضى بمساعدة روسيا لفرنسا إذا هاجمتها ألمانيا، أو إيطاليا بمساعدة ألمانيا، ووعدت فرنسا باستخدام مليون وثلاثمائة ألف جندى، وتستخدم روسيا سبعمائة إلى ثمانمائة ألف جندى، ضد ألمانيا. وبهذا اكتمل الحلف الثنائى The Dual Alliance عمليا، وإن لم يكتشف نهائيا إلا فى عام ١٨٩٥، ليقف فى مواجهة التحالف الثلاثىThe Triple Alliance . وهكذا انقسمت أوروبا إلى معسكرين.

وفى السنوات العشر التالية كانت الأحداث فى أوروبا تدفع إلى تحالفات أخرى. ففى أول أغسطس ١٨٩٤م شنت اليابان الحرب على الصين، وانتزعت منها بمعاهدة شيمونوسيكى Shi-monoseki فى ١٧ أبريل ١٨٩٥م جزيرة فورموزا وشبه جزيرة «لياوتونج»، بما فيها بورت آرثر التى كانت روسيا تتحرق طمعا فيها.

وقد أزعج هذا الانتصار كلا من روسيا وفرنسا وألمانيا خشية قيام دولة كبرى فى الشرق الأقصى، فقدمت الدول الثلاث طلبا جماعيا إلى اليابان فى ٢٣ أبريل ١٨٩٥م بالانسحاب من شبه جزيرة «لياوتونج» وبورت آرثر، فانصاعت اليابان، وتقدمت روسيا فاستولت على بورت آرثر، فحصلت على ميناء فى المياه الدافئة، الأمر الذى دفع اليابان إلى محاولة الانتقام منها، واتجه بها إلى إنجلترا لكسب حيادها وتأييدها.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى الوقت نفسه كانت العلاقات بين إنجلترا وروسيا تتأثر بموقف روسيا المعادى لإنجلترا فى حرب البوير، التى قامت بين انجلترا وبين جمهوريات البوير فى الترنسفال Transvaalوولاية الأورنج الحرة Orange Free State، حتى فكرت روسيا فى التدخل. فقد أخذت إنجلترا تفتش عمن يستطيع موازنة النفوذ الروسى فى شمال الصين وفى الوقت نفسه يتيح لها فرصة سحب بعض قطع أسطولها من الشرق الأقصى لتعزيز قوات البحر المتوسط والمحيط الأطلنطى وتعزيز أسطولها فى بحر الشمال لمواجهة ألمانيا.

وكان ذلك فى الوقت الذى كانت اليابان تعد نفسها للحرب مع روسيا، عن طريق التحالف مع دولة كبرى.

لكل هذه العوامل وقعت إنجلترا مع اليابان فى ٣٠ يناير ١٩٠٢م معاهدة تحالف إنجليزية يابانية The Anglo-Japanese Alliance يعترف فيها كل من الطرفين بالأمر الواقع فى شرق آسيا، وخاصة فى كوريا والصين، وتتعهد بريطانيا بالتزام الحياد فى حالة وقوع حرب بين روسيا واليابان، وإذا تدخلت دولة أخرى (فرنسا) لمساعدة روسيا، تتدخل انجلترا لمساعدة حليفتها بقوة السلاح.

وقد أتاح هذا التحالف لليابان الانتصار فى الحرب التى شنتها ضد روسيا فى ١٠ فبراير ١٩٠٥م، إذ حال دون إقحام ألمانيا وفرنسا نفسيهما فى الحرب.

وفى ٥ سبتمبر ١٩٠٥م وقعت معاهدة بورتسماوث Ports-mouth للصلح بين روسيا واليابان، وبمقتضاها كان على روسيا أن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تسلم بورت آرثر وكوريا ومنشوريا ونصف جزيرة سخالين لليابان. وقد تجدد التحالف الإنجليزى اليابانى لخمس سنوات فى ١٢ أغسطس ١٩٠٥م.

فى الوقت الذى دفعت الظروف الدولية إلى إبرام التحالف الإنجليزى اليابانى، كانت تدفع من جهة أخرى إلى إبرام الوفاق الودى بين إنجلترا وفرنسا فى ٨ إبريل ١٩٠٤م. وكان العداء بين إنجلترا وفرنسا معروفا بسبب وقوف فرنسا ضد المطامع الاستعمارية الإنجليزية فى مصر من جانب، ووقوف إنجلترا موقف المعارض لجهود فرنسا الاستعمارية فى آسيا وفى أفريقيا من جهة أخرى. وقد بلغ التنافس ذروته فى «حادثة فاشودة» عندما تقدم «كتشنر» على رأس الجيش المصرى إلى أعالى النيل، وتقدم «مارشان» قائد الجيوش الفرنسية من غرب أفريقيا إلى فاشودة، ووقف الفريقان وجها لوجه فى ١٩ سبتمبر ١٨٩٨م، واضطرت فرنسا إلى إخلاء فاشودة، وإلى تحديد مناطق النفوذ البريطانى فى السودان فى ديسمبر ١٨٩٨م.

على أن الخطر الألمانى الناشئ من سياسة ألمانيا البحرية وتقدمها الصناعى والحربى ونزعتها إلى الفتح والاستعمار والتسلط على أسواق العالم، لم يلبث أن أخذ يدفع بإنجلترا إلى تسوية خلافاتها مع فرنسا، وتسوية المشاكل المختلف عليها فى الأرض الجديدة «نيوفوند لاند» New foundland وفى سيام Siam ومدغشقر Madagascar وغيرها، وأيضا تسوية المشاكل المتعلقة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بمصر ومراكش، على أساس اعتراف الدولتين بالحقوق المتبادلة لإنجلترا فى مصر ولفرنسا فى مراكش، فكان من هنا أن عقد الوفاق الودى Entente Cordiale بين إنجلترا وفرنسا فى ٨ أبريل ١٩٠٤م الذى شمل تسوية كل هذه المشاكل.

على هذا النحو أقلعت بريطانيا عن سياسة «العزلة المجيدة» Splended isolation عن دول القارة الأوروبية، بعد أن أحست بخطرها خلال حرب البوير (١٨٩٩ - ١٩٠٢م)، وأدركت أن التنافس مع فرنسا فى شمال أفريقيا ومع روسيا فى وسط آسيا يكلفها غاليا.

وفى ٣١ أغسطس عام ١٩٠٧م كان الوفاق الإنجليزى الفرنسى قد أدى إلى وفاق إنجليزى روسى The Anglo-Russion Entente تم بمقتضاه توزيع النفوذ بين الدولتين فى إيران، واعتراف روسيا بالمصالح البريطانية فى أفغانستان، ووعد كل من الدولتين باحترام وحدة أراضى مقاطعة التبت Tibet الصينية. وبذلك تحول الوفاق الودى الثنائى إلى وفاق ثلاثى يضم إنجلترا وفرنسا وروسيا An-glo-French-Russian Entente.

وبهذا انقسمت أوروبا مرة ثانية بين دول الوفاق الثلاثى الذى يضم إنجلترا وفرنسا وروسيا، ودول الحلف الثلاثى الذى يضم ألمانيا والنمسا وإيطاليا.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على أن روابط إيطاليا بالحلف الثلاثى كانت واهية. فمنذ عام ١٨٩٦م أبلغت إيطاليا حليفتيها بأنها لن تحارب معهما إذا كانت الحرب ضد بريطانيا وفرنسا. وفى عام ١٩٠٢م تعهدت إيطاليا فى معاهدة ألا تشترك فى هجوم على فرنسا. وعندما قررت النمسا فى ٧ أكتوبر عام ١٩٠٨م ضم البوسنة والهرسك العثمانيتين، اللتين كانتا تحت إدارتها بمقتضى معاهدة برلين ١٨٧٨م، مع معارضة الصرب هذا الضم، انتهزت ايطاليا الفرصة لتحقيق مطامعها فى برقة وطرابلس، عن طريق عقد اتفاق سرى مع روسيا ينص على تعاون الدولتين فى منطقة الشرق الأدنى ضد النمسا والمجر، وتأييد إيطاليا مطالب روسيا فى فتح المضايق بالبوسفور والدردنيل أمام السفن الروسية، وتعهدت روسيا بتأييد مطالب إيطاليا فى برقة وطرابلس.

والمهم هو أنه منذ عام ١٩٠٠م أخذ الصراع فى أوروبا يتخذ شكل تكتلات بعد أن كان فى الماضى يتخذ شكلا انفراديا، بمعنى أن الصراع لم يعد بين دول منفردة، وإنما بين تكتل فى مواجهة تكتل، وهو أمر جديد.

ففى الفترة من ١٨٧٠ إلى ١٩٠٦م كان هناك تهديد بالحرب بين دولتين، ولكنه لم يتخذ شكل تهديد بالحرب بين كتلتين، أى شكل تهديد بحرب عالمية. فقد كان هناك تهديد بالحرب بين روسيا والنمسا ١٨٨٦ - ١٨٨٨م، وبين روسيا وبريطانيا فى ١٨٧٧ و

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١٨٨٥ و ١٨٩٨م، وبين إنجلترا وفرنسا فى ١٨٩٨م، وبين ألمانيا وفرنسا فى ١٨٧٥ و ١٨٨٧ و ١٩٠٥م ـ ولكن هذا التهديد كان منحصرا فى الدولتين موضع النزاع، وكانت أوروبا متحدة تهدئ عادة من ثائرة الطرفين المتصارعين.

ولكن بعد عام ١٩٠٦م أصبح الصراع بين تحالفين. فقد وقعت منذ ذلك الحين أزمات بانتظام كل عام أو عامين حتى سنة ١٩١٤، وفى كل منها كان الوفاق الإنجليزى الفرنسى الروسى يواجه الحلف الألمانى النمساوى الإيطالى.

وقد كانت أخطر هذه الأزمات فى المغرب والبلقان. ففى المغرب كانت سيطرة الفرنسيين الاقتصادية قد استفزت الإمبراطور وليم الثانى، فتوقف بميناء طنجة فى ربيع ١٩٠٥م، وزار سلطان المغرب، وألقى خطابا دعا فيه إلى حرية التجارة وضمان حقوق متساوية لجميع دول المغرب.

ثم دعت الخارجية الألمانية إلى عقد مؤتمر لجميع الدول، وقد عقد المؤتمر فى الجزيرة الخضراء يوم ١٦ يناير ١٩٠٦م، وحضره مندوبو اثنتى عشرة دولة، وسرعان ما تحول إلى صراع دبلوماسى بين فرنسا وألمانيا، وفى هذا الصراع لقيت فرنسا التأييد الصريح من حليفتها روسيا وصديقتها الجديدة إنجلترا بمقتضى «الوفاق الودى»، وأيدتها من «دول الحلف الألمانى النمساوى الإيطالى» إيطاليا.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وحدث تقارب روسى إنجليزى بسبب تأييد الدولتين لفرنسا، ترتب عليه تحول الوفاق الودى فى أغسطس ١٩٠٧م إلى وفاق ثلاثى. ولم يؤيد ألمانيا سوى حليفتها النمسا، وكفلت فرنسا لنفسها العمل بمفردها فى المستقبل.

وفى هذا المؤتمر ظهر احتمال قيام حرب بين ألمانيا وبين كل من فرنسا وإنجلترا، وبحث العسكريون فى الدولتين الخطط المحتملة لهذه الحرب.

أما الأزمة الثانية فقد وقعت فى البلقان بعد عامين، أى فى عام ١٩٠٨م. وكانت المشروعات القومية فى البلقان تمثل قنبلة موقوتة فى ذلك الحين. فقد كان لكل دولة بلقانية أحلامها القومية. فاليونان كانت تأمل فى الاستيلاء على تراقيا وبعض جزر بحر إيجة وأجزاء من آسيا الصغرى، لتسترجع الإمبراطورية البيزنطية القديمة، وبلغاريا كانت تأمل فى الحصول على مقدونيا وتراقيا لتستكمل حدودها وتحصل على منفذ كاف على بحر إيجة. وأما رومانيا فكانت تطالب بضم ملايين الرومانيين فى ترانسلفانيا Transylvania وأجزاء من بساربيا Bessarabia. والصرب كانت تأمل فى تحرير أبناء جنسها داخل إمبراطورية هابسبرج، كما كانت تطمع فى الحصول على مراكز فى بحر الأدرياتيكى لتنفيذ مشروع الصرب الكبرى. وكانت إمبراطورية النمسا والمجر تقف فى وجه كل هذه الأمانى القومية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد انفجر الموقف عندما قررت إمبراطورية النمسا والمجر ضم البوسنة والهرسك كما ذكرنا، وفى الوقت نفسه حرضت بلغاريا على إعلان استقلالها عن الدولة العثمانية.

فلما كان هذا الإجراء الذى اتخذته النمسا يتعارض مع معاهدة برلين ١٨٧٨م، فقد اقترح الوزير الروسى «إسفولسكى » Isvolsky عقد مؤتمر دولى للنظر فى نتائج ضم المقاطعتين العثمانيتين، اللتين كان سكانهما سلاف. وقام هياج عنيف فى الصرب، إذ لم يكن لضم النمسا البوسنة والهرسك من معنى إلا إبعاد مليون صربى عن وطنهم الأم إبعادا أبديا، وانضمامها إلى الملايين الخمسة من الصربيين الكرواتيين الخاضعين لحكم النمسا والمجر.

وكانت روسيا تأمل من مطالبتها بعقد مؤتمر أوروبى، أن تحصل على موافقة الدول على حرية مرور سفنها فى مضيقى البوسفور والدردنيل، تعويضا عن استيلاء النمسا على البوسنة والهرسك. وفى ديسمبر ١٩٠٨م، أعلنت التعبئة لكى تحتفظ بهيبتها لدى شعوب البلقان.

وعلى هذا النحو بدت الحرب وشيكة الوقوع، وكان وزير خارجية روسيا «إسفولسكى» Isvolsky يأمل فى وقوف حليفتيه إنجلترا وفرنسا إلى جواره، ولكن فرنسا لم تبد تحمسا لدخول الحرب تأييدا لروسيا فى قضية لم يؤخذ رأيها فيها، وفى الوقت

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نفسه رفض اللورد جراى Gray فى إنجلترا أن يقطع عهدا لوزير خارجية روسيا بخصوص إعادة النظر فى البنود المتعلقة بالمضايق فى المؤتمر المزمع عقده، ونصح النمسا بإعادة النظر فى موقفها حتى يمكن تجنب عقد المؤتمر، وبالتالى تعويض روسيا.

وهنا قدم إيرنتال Aerenthal وزير خارجية النمسا حلا لإنقاذ ماء وجه الدول التى طلبت عقد المؤتمر، وهو دفع مبلغ مليونين ونصف جنيه تعويضا للسلطان من ممتلكاته الخاصة فى البوسنة، ورتبت بلغاريا الأمر كذلك على أن تدفع لتركيا تعويضا عن فقدانها حق السيادة عليها قدره خمسة ملايين من الجنيهات، وهو نصيبها فى «اكسبرس الشرق». وقد أنقذ هذا الحل ماء وجه روسيا، التى سارع وزير خارجيتها إسفولسكى بعرض تعويض تركيا بإنقاص هذا المبلغ من تعويضات الحرب التى لم تدفعها تركيا لروسيا.

وعلى هذا النحو فقد المؤتمر الأوروبى مبرر عقده، واقترحت الحكومة الألمانية على روسيا فى ١٧ مارس ١٩٠٩م أن يعلن «ايرنتال» قبول تركيا الضم، واقترحت على الدول أن تتبادل مذكرات تعترف فيها بكل ما حدث.

وعندما راوغ اسفولسكى فى قبول الاقتراح، طالبته الحكومة الألمانية برد قاطع، وهو ما يعنى تقديم إنذار نهائى! وأفهم الإمبراطور الألمانى وليم قيصر روسيا يوم ٢٣ مارس ١٩٠٩ أنه إذا كان ينوى أن يخوض حربا فى هذه الأزمة البلقانية، فعليه أن يحسب حساب ألمانيا!

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكان هذا التهديد كافيا، فقد قبل «اسفولسكى» الضم، وأذاعت الحكومة الألمانية فى الدول الكبرى نشرة تطلب فيها اعترافها كما فعلت ألمانيا وروسيا.

وقد قبلت فرنسا وإيطاليا الطلب الألمانى بشىء من الاحتجاج، أما «سير ادوارد جراى» فقد أعلن أن الاعتراف بالضم يجب أن يعقب تسوية الأمور بين النمسا والصرب، لا أن يسبقها، وبذلك توقف الأمر على موقف الصرب.

على أنه لم يكن فى وسع الصرب مقاومة النمسا بعد استسلام إسفولسكى، خصوصا وكان دعاة الحرب فى النمسا وقتذاك يروجون لفكرة أن «هذه إنما هى اللحظة المواتية لمواجهة الأفعى الصربية فى جحرها، وأن الحرب مع الصرب آتية لا محالة ومن الأفضل التعجيل بها»! وقدمت إنذارا نهائيا للصرب.

ولكن إنجلترا أقنعت إيرنتال بتأجيل الإنذار النهائى إلى آخر مارس ١٩٠٩م، وهنا أرسلت الصرب مذكرة إلى «إيرنتال» تقر فيها بأن ضم النمسا للبوسنة ليس فيه أى اعتداء على حقوقها، ووافقت على إنقاص جيشها إلى ما كان عليه فى عام ١٩٠٨م، ووعدت أن تتقبل الوضع القائم، والكف عن الدعاية المثيرة فى أراضى النمسا والمجر.

وبذلك انتهت الأزمة، التى هزت النظام القائم فى أوروبا هزا عنيفا، بانتصار التحالف الألمانى النمساوى على الوفاق الثلاثى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الروسى الفرنسى الإنجليزى، وحق للإمبراطور الألمانى بعد عام أن يزهو بأن النمسا حظيت بالعون من حليف مخلص وقف إلى جانبها ساعة الشدة بكامل عدته وسلاحه.

على أن الطريقة التى هزم بها الوفاق الثلاثى الروسى الفرنسى الإنجليزى، قربت ساحة الحرب بدرجة كبيرة، فقد هُزمت روسيا تحت تهديد السلاح الألمانى، ومنيت بالمهانة، وكان على الوفاق الثلاثى ألا يسمح بحدوث ذلك مرة أخرى، وجاءت أزمة أغادير فى يوليو ١٩١١م لتهيئ الفرصة لذلك.

ففى أبريل عام ١٩١١م انتهزت فرنسا فرصة الوضع الداخلى فى المغرب، فأرسلت حملة حربية إلى فاس لمساعدة السلطان، وقد أثار هذا العمل ألمانيا، التى اتفقت مع أسبانيا على أن عمل فرنسا فى المغرب يعرض قرار الجزيرة الخضراء ووحدة المغرب معه لخطر التمزق، وسارعت فى أول يولية ١٩١١م بإرسال الطراد الألمانى «بانتر» Panther إلى ميناء أغادير فى جنوب المغرب لحماية المصالح والرعايا الألمان هناك، وفسرت عملها بأنها تعتبر الآن قرار الجزيرة الخضراء ميتا، ولا تستطيع أن تقف موقف المتفرج مما يبدو أنه خرق واضح من فرنسا وأسبانيا لهذا القرار.

وقد أحدثت هذه المظاهرة البحرية الألمانية ردّ فعل عاجلاً فى باريس ولندن، فقد كان إرسال الطراد الألمانى للاستيلاء على ثغر على الأطلنطى أحسن وسيلة لإقناع إنجلترا بأن ألمانيا إنما تحاول بالقوة الحصول على قاعدة بحرية، كما فعلت فى «كياوشاو» Kiao-chau من قبل..

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى يوم ٤ يوليو ١٩١١م أبلغ جراى السفير الألمانى أن عملية أغادير خلقت موقفا جديدا. وأخذت إنجلترا وفرنسا فى تبادل الرأى إزاء ما يحتمل أنه خطر حقيقى، وأعلن لويد جورج، رئيس الوزارة الإنجليزية فى «مانشن هاوس» Mansion House فى ٢١ يوليو أن إنجلترا «لن تحتفظ بمكانها ومكانتها بين الدول الكبرى إذا عوملت وكأنها لاوزن لها فى مجموع الأمم، وأن السلام بهذا الثمن لن يكون إلا مذلة». وأنذر ألمانيا بأنه إذا كان لا محيص من فرض الحرب على فرنسا فلن تقف إنجلترا ساكنة.

وأدرك الجميع أن ألمانيا بعد خطاب «مانشن هاوس» سوف يكون عليها أن تقاتل أو تسلم. وقبل الشعب الألمانى التحدى، فعندما رأى الإمبراطور الألمانى يجتاز أحد الشوارع فى برلين صاح : «اثبت على موقفك ياوليم (أونتر دن ليندين Unter den Lin-den).

على أن الأزمة انتهت، بعد مفاوضات استمرت إلى ٤ نوفمبر ١٩١١م، باتفاقية أصبحت المغرب بمقتضاها فرنسية فيما عدا طنجة والمنطقة الأسبانية، ولم تحتفظ ألمانيا إلا «بالباب المفتوح» للتجارة، وعُوضت بشريطين كبيرين فى الكونغو الفرنسى، وغُلبت ألمانيا على أمرها فى المفاوضات بعد أن وقفت انجلترا بجانب فرنسا بكامل عدتها وسلاحها.

وقد استغلت كل من إيطاليا وبروسيا أزمة أغادير لتحقيق أطماعهما، فبينما كانت المفاوضات دائرة لحل الأزمة، وجهت إيطاليا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إنذارا نهائيا إلى تركيا يوم ٢٦ سبتمبر ١٩١١م، وأعلنت الحرب عليها بعد ثلاثة أيام، واحتلت شواطئ طرابلس وجزر «الدوديكانيز» (١٢ جزيرة فى بحر إيجة، أهمها رودس).

وقد أرغم نشوب الحرب فى البلقان فى أكتوبر ١٩١٢ تركيا على عقد صلح لوزان Lausanne مع إيطاليا، وأن تترك لها ما حصلت عليه من أسلاب فى طرابلس ودرنة وطبرق وبنغازى.

وقد ترك موقف ألمانيا من حرب إيطاليا مع تركيا أثرا سلبيا على وضع إيطاليا فى الحلف الثلاثى الألمانى النمساوى الإيطالى، فقد وقفت ألمانيا إلى جانب تركيا حرصا على صداقتها بها، الأمر الذى ساعد على خروج إيطاليا من الحلف فى أثناء الحرب العالمية الأولى، وإعلانها الحرب على ألمانيا.

أما روسيا فقد انتهزت فرصة النزاع وقدمت طلبا رسميا إلى القسطنطينية فى ديسمبر ١٩١١م بفتح مضيق الدردنيل أمام السفن الحربية الروسية، ولكن إنجلترا وفرنسا رفضتا تأييد المطلب، فرفضت تركيا طلب روسيا.

فى ذلك الوقت كان برنامج التسليح البحرى الألمانى يقوم على أن يكون لألمانيا أسطول بحرى مقاتل يكون أقوى من أى قوة بحرية تملكها أعظم دولة بحرية معادية، وقد وضع هذا المبدأ الجنرال فون تيربيتز» Tirpitz. وعندما قامت أزمة أغادير اقتنعت كل من إنجلترا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وألمانيا بأن الحرب سوف تكون السبيل الوحيد لحل أى خلاف فى المستقبل، وأخذت الدولتان فى التسابق البحرى.

وكان المبدأ الذى تتمسك به إنجلترا لامتلاكها ناصية البحار وحماية إمبراطوريتها الواسعة، هو أن تكون قوة الأسطول الإنجليزى مساوية لمجموع قوات أقوى دولتين بحريتين فى العالم تليان بريطانيا، ومن هنا حين أخذت ألمانيا فى الاهتمام بأسطولها البحرى بعد مؤتمر الجزيرة الخضراء فى ١٦ يناير ١٩٠٦م، أثار هذا الاهتمام الانزعاج فى بريطانيا، ونصح الأميرال لوردفيشر Fisher الملك إدوارد فى يناير ١٩٠٧م بمهاجمة الأسطول الألمانى فى كوبنهاجن على طريقة نلسن!

وفى خريف ١٩٠٨م عندما علمت الأدميرالية البريطانية بتعجيل ألمانيا ببرنامجها البحرى لعام ١٩٠٩/١٩١٠م، بدأت حركة فى بريطانيا ترمى إلى إضافة ثمانى مدرعات كبيرة، وظهر شعار شعبى يقول : «نريد ثمان، بلاتوان» We Want eight, and we won't wait واستجابت الحكومة الإنجليزية فبنت ثمانى عشرة مدرعة بين ١٩٠٩، ١٩١١م، فى حين بنت ألمانيا تسعا فقط. وافتتح لورد روبرتس Roberts حملة للدعاية للخدمة العسكرية الإجبارية.

وفى ٩ فبراير ١٩١٢م وصف ونستون تشرشل الأسطول الألمانى بأنه «ترف» أما الأسطول الإنجليزى فهو «ضرورة»! وقد اقترحت إنجلترا فى ذلك الوقت أن تكون نسبة قوة الأسطول

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الإنجليزى إلى الألمانى ٢ إلى ١، ولكن ألمانيا اقترحت نسبة ١٦ إلى ١٠، ولم يتم اتفاق بين الدولتين.

وقد أدى ذلك إلى أن ركزت إنجلترا أسطولها فى بحر الشمال، وتخلت عن البحر المتوسط لفرنسا، فكانت النتيجة أن ابتعدت إنجلترا عن ألمانيا واقتربت من فرنسا!

وسرعان ما جاءت أزمة البلقان ١٩١٢ / ١٩١٣م لتدفع بأوروبا إلى الحرب العالمية الأولى. لقد فهم البلغار والصرب من حادثة البوسنة أن روسيا ستحاول مساعدتهم فى المستقبل، فتنصل الصرب من الوعد الذى قطعوه للنمسا بعدم القيام بدعاية للجامعة الصربية والدولة السلافية الكبرى فى داخل النمسا والمجر.

وفى أغسطس ١٩١١م أقنعت اليونان بلغاريا بقيام حلف دفاعى بين البلدين. وبعد شهرين دخلت بلغاريا فى مفاوضات مع الصرب فى أكتوبر ١٩١١م انتهت بتوقيع معاهدة فى مارس ١٩١٢م، تضمنت ملحقا سريا بترتيب العمل المشترك ضد تركيا، واتفق الطرفان على الاحتكام إلى القيصر فى تعيين منطقة المواستير Monastir المتنازع عليها فى مقدونيا، وهى منطقة عزيزة على قلوب البلغار. ووقع فى أبريل ١٩١٢م اتفاق عسكرى.

وفى ٢٩ مايو ١٩١٢م وقعت بلغاريا مع اليونان حلفا دفاعيا أعقبه اتفاق عسكرى فى سبتمبر من نفس العام، وفى أغسطس

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١٩١٢م تم الاتصال بالمملكة الصربية المستقلة الصغيرة فى الجبل الأسود، فوافقت على الانضمام إلى العصبة البلقانية.

وعلى الرغم من تحذير الدول الكبرى لدول عصبة البلقان من أى تمزيق لتركيا، ومعارضتها لتغيير الحالة الراهنة فى البلقان، فإنها لم تأبه لذلك. ففى يوم ٨ أكتوبر ١٩١٢م أعلن الجبل الأسود الحرب على تركيا، فأشعل النار فى البلقان من أقصاه إلى أقصاه.

وما حدث بعد ذلك يعد أعجوبة من عجائب التاريخ - كما يقول المؤرخون! فقد أحرز البلغار على الأتراك انتصاراً كبيراً فى ٢٢ أكتوبر ١٩١٢م فى «قيرق كليسه» Kirk Kilisse.

وفى ٢٦ منه أحرز الصرب النصر فى كومانوفو Kumanovo، ففتحوا الطريق إلى مقدونيا، ثم اتبعوا هذا النصر بنصر آخر فى موناستير.

أما اليونانيون فاشتبكوا مع الأتراك ودخلوا فى يوم ٨ نوفمبر ١٩١٢م مدينة سالونيك محط الأطماع.

ووصل الصرب إلى دورازو Durazo على شاطئ ألبانيا يوم ٢٨ نوفمبر ١٩١٢م. وعقدت فى ٣ ديسمبر ١٩١٢م هدنة بين الأتراك وعصبة البلقان استمرت حتى ٣ فبراير ١٩١٣م.

وفى مارس ١٩١٣م تلخص الموقف على النحو الآتى: استولى البلغار على مقدونية شرقى سالونيك، وكل تراقيا حتى خطوط سطلجة، أما اليونان فاستولت على معظم إيبروس Epirus وجنوبى مقدونيا بما

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فيها سالونيك. أما الصرب فقد استولت على منطقة سنجق نوفى بازار Novibazar وأوسكوب Uskub قصبة صربيا القديمة، ومويناستير مفتاح مقدونية الوسطى.

وهكذا فى حملة استمرت ستة أسابيع، انتزعت العصبة البلقانية، التى أرسلت إلى ميادين القتال أكثر من ستمائة ألف مقاتل، جميع أراضى تركيا الأوروبية، فيما عدا القسطنطينية.

وكان من الطبيعى أن تثير انتصارات الصرب النمسا. ففى المؤتمر الذى عقد فى لندن من ديسمبر ١٩١٢م إلى أغسطس ١٩١٣م لوضع خريطة جديدة للبلقان، كان أهم غرض للنمسا حرمان الصرب من منفذ مباشر على الأدرياتيك، وأصبحت ولاية ألبانيا مركزا للصراع الدبلوماسى الشديد بين النمسا وروسيا، واقتربت الحرب من أوروبا وأصبحت وشيكة، ولكن المشكلة سويت بإقامة ألبانيا دولة مستقلة تحت حاكم ألمانى.

ولكن بينما كان المؤتمر منعقدا قامت جماعة تركيا الفتاة بزعامة أنور بك بثورة فى تركيا يوم ٢٤ يناير ١٩١٣م، فأنكر الترتيبات التى اتخذها مؤتمر سفراء الدول فى ديسمبر للوصول إلى تسوية، واستأنف الحرب ضد عصبة البلقان، ولكن النصر كان حليف العصبة، فقد استولى اليونانيون على يانينا Janina فى ٧ مارس ١٩١٣م، واستولى الصرب والبلغار على «أدرنة» درة البلقان، وسقطت جزيرة كريت Crete فى يد اليونان. وسقطت المدينة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الألبانية اشقودره Scutari فى يد الجبل الأسود. وفى ٣٠ مايو ١٩١٣م وقعت معاهدة لندن التى بمقتضاها انحصرت أملاك تركيا فى أوروبا فى القسطنطينية وشبه جزيرة غاليبولى Gallipoli.

على أنه لم يكد مداد هذه المعاهدة الخطيرة يجف، حتى نشبت الحرب بين دول العصبة نفسها، أى بين الحليفات الثلاث التى هزمت الأتراك!

فلم يكن البلغار على استعداد لتقبل سقوط مغانم الحرب الكبرى فى يد حليفتيها اليونان والصرب، حيث حصلت اليونان على سالونيك، وحصلت الصرب على مقدونيا الوسطى، التى كان عدد كبير من البلغار يقطنون فيها.

ولذلك أصدر فرديناند ملك بلغاريا أوامره إلى جيشه بمهاجمة الصرب فى مقدونيا، ووجه جيشا آخر إلى سالونيك. ولكن الصرب واليونانيين كانوا على أهبة الاستعداد للقاء الهجوم، وأنزلوا بالبلغار هزيمة ساحقة. وفى مدى ستة أسابيع مات ٥٠ ألفا من الحلفاء!

وفى هذه الأثناء كان أنور بك قد تمكن من استرداد أدرنة، وسلمت تلك المدينة التى كلفت الأتراك والبلغار آلافا من الأرواح، دون قتال. وغزت رومانيا بلغاريا التى كانت فى أشد حالات العجز، واستولت على بعض المراكز الاستراتيجية المهمة، وهددت صوفيا.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى ١٠ أغسطس ١٩١٣م وقعت بلغاريا معاهدة بوخارست Bucharest مع الصرب واليونان ورومانيا، وفيها أرغمت على التنازل لرومانيا عن حصن سيليستريا Silistria الذى يتحكم فى الدانوب، وعن الجزء الجنوبى من دوبروجا Dobruja.

واحتفظت الصرب بشمال مقدونيا ومنطقة موناستير المتنازع عليها، على الرغم من أن هواها كان مع البلغار.

واحتفظ اليونان بجنوب مقدونيا، وعلى ميناء قولة – وهو المنفذ الوحيد لبلغاريا على بحر إيجة.

واحتفظت بلغاريا بتراقيا الغربية مع ميناء دده أغاج De-degatceh الصغير لها على بحرايجة.

وأحسن تعليق على حرب البلقان ١٩١٢ – ١٩١٣م أن أيًا من المتحاربين سواء منهم المغلوبين أو الغالبين، لم يؤمن بأن قرارات اقتسام المناطق سوف يكتب لها الدوام! فقد كان الصرب والجبل الأسود يعرفان أنه ليس فى مقدورهما الاحتفاظ بالمناطق الجديدة بدون حرب مع النمسا. وقد عرضت بلغاريا المنهزمة عقد تحالف بينها وبين كل من النمسا وتركيا انتقاما من حلفائها السابقين. وتوقع اليونانيون قيام حرب جديدة، ورأوا أن أية معاهدة تعقد فى ١٩١٣م ستكون قصاصة من ورق.

وكان طبيعيا أن أصبحت روسيا ذات أهمية بالغة بعد حرب البلقان، فقد تحكمت فى الصرب، وازداد نفوذها على رومانيا،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبلغت تركيا من الضعف والوهن ما جعلها عرضة لتمزيق أوصالها على يد روسيا.

وبالنسبة للنمسا فإنها كانت ترقب بقلق سحق صديقتها بلغاريا، وإضعاف تركيا التى كان قيصر الألمان قد وجد فيها أحدث حلفائه، وازدياد قوة صربيا. ومن هنا أخذت القيادة العسكرية النمساوية تحض حكومتها على تلقين هذه الدولة الصغيرة درسا صارما قبل أن تصبح دولة كبيرة.

وقد سنحت الفرصة أخيرا عندما قام طالب صربى، يعمل لحساب منظمة إرهابية ضد النمسا، باغتيال ولى العهد فرانز فيرديناند Franz Ferdinand وزوجته على جسر سراييفو Sarajevo يوم ٢٨ يونيه ١٩١٤م.

فقد سارعت النمسا باتهام الحكومة الصربية بالاشتراك فى الاغتيال، على الرغم من أن الجريمة وقعت فى البوسنة التابعة للنمسا! وبأنها من تدبير جميعة اليد السوداء الصربية بتشجيع من الحكومة الصربية.

وفى يوم ٢٣ يولية ١٩١٤م قدمت الحكومة النمساوية إنذارا نهائيا إلى الصرب قصد به أن يقابل بالرفض، إذ كان ينطوى على تقويض استقلال الصرب.

وعلى الرغم من قبول الحكومة الصربية سبعا من النقاط العشر التى حواها البلاغ النهائى النمساوى، فإن الجيش

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

النمساوى، الذى كان يتعطش لتأديب «أمة القتلة والسفاحين»، رفض إفلات الفرصة، فأعلنت النمسا الحرب على الصرب يوم ٢٨ يوليو ١٩١٤م.

وهنا شعرت روسيا بمسئوليتها عن حماية الصرب، فأعلنت التعبئة العامة يوم ٣٠ يوليو.

وجاء الرد من ألمانيا يوم ٣١ يولية ١٩١٤م فى شكل إنذار يطالب بوقف التعبئة! وعندما رفضت روسيا، أعلنت ألمانيا الحرب عليها يوم أول أغسطس ١٩١٤م.

ولما كانت فرنسا مرتبطة بتحالف مع روسيا، فقد تسلمت إنذارا من ألمانيا يطالبها بالحياد. ولما لم ترد على الإنذار أعلنت ألمانيا الحرب عليها يوم ٣ أغسطس ١٩١٤م، وأخذت فى تنفيذ مشروعها الحربى بغزو فرنسا عن طريق اختراق بلجيكا ولوكسمبورج.

وقد اعتبرت بريطانيا أن خرق حياد بلجيكا بمثابة حالة حرب، فطلبت من ألمانيا فى صباح يوم ٤ أغسطس ١٩١٤م ردا مباشرا فيما يتعلق باحترام حياد بلجيكا، ولكن سرعان ما علمت باختراق الألمان للأراضى البلجيكية، فأعلنت الحرب على ألمانيا عند منتصف الليل، باسم الدفاع عن حياد بلجيكا. وعلى هذا النحو نشبت الحرب العالمية الأولى.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل السابع عشر

الحرب العالميـــة الأولى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الحرب العالمية الأولى

كان الحلفاء فى عام ١٩١٤م يتفوقون على الدول المركزية (ألمانيا والنمسا والمجر) فى القوة العسكرية، فقد كان لديهم ٣٠ مليون محارب، فى مقابل ٢٢ مليون للدول المركزية، وكان للبحرية الإنجليزية السيطرة على البحار.

وعندما أعلنت ألمانيا الحرب على فرنسا، دخلت خطة الكونت فون شليفين Schlieffen الحربية، وهى التى وضعها فى عام ١٩٠٥م، وأقرت رسميا فى ١٩١٢م، فى دور التنفيذ. وتقوم على الهجوم على فرنسا أولا عن طريق اختراق حياد بلجيكا ولوكسمبورج واحتلال باريس، ثم التحول إلى روسيا للهجوم عليها.

وكان معنى هذه الخطة ترك بروسيا الشرقية عارية ومعرضة لضربة من جانب روسيا الرابضة فى الشرق، ولكن الأمل فى نجاح هذه الخطة كان معقودا على صمود إمبراطورية النمسا والمجر أمام روسيا لمدة ستة أسابيع، تكون باريس فيها قد سقطت، ويمكن بعدها إرسال الإمدادات إلى الجبهة الشرقية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على أن روسيا انتهزت فرصة انشغال القوات الألمانية فى فرنسا، لإنفاذ جيشين كبيرين لتطويق القوات الألمانية فى بروسيا الشرقية، أحدهما بقيادة «سامسونوف Samsonov»، والثانى بقيادة رينينكامف Rennenkampf»، الأمر الذى اضطر ألمانيا إلى سحب ثلثى القوات الألمانية من الجهة الغربية لمواجهة هذا الخطر، بعد أن كانت القوات الألمانية على بعد ١٢ ميلا من باريس، وكان على رأس القوات الألمانية هندنبورج ولودندورف Hindenburg & Ludendorff.

وقد هاجمت هذه القوات الألمانية الجيش الروسى بقيادة سامسونوف، وألحقت به الهزيمة فى مستنقعات «تاننبرج» Tan-nenberg فى روسيا الشرقية (فى ٢٦ ـ ٢٩ أغسطس ١٩١٤م)، وفقد سامسونوف حياته مع عدد هائل من الروس.

ثم اتجه هندنبورج إلى الشرق لمقابلة رينينكامف، وأجبره على الانسحاب إلى ماوراء الخطوط الألمانية فى موقعة هائلة عند البحيرات المازورية Masurian Lakes فى بروسيا الشرقية (٦ ـ ١٢ سبتمبر ١٩١٤م)، فقد الروس فيها ما يقرب من ربع مليون جندى قتلى وأسرى.

وارتفع شأن كل من هندنبورج ولودندورف على أثر ذلك وأصبحا من أبطال الأساطير.

على أنه كان بسبب سحب جيشين ألمانيين من الجبهة الفرنسية لمواجهة الروس، أن نزلت بالألمان الهزيمة فى معركة المارن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأولى The Marne (من ٦ ـ ١٠ سبتمبر ١٩١٤م) وكتب الخلاص لباريس، واضطرت القوات الألمانية إلى التقهقر إلى نهر الآين The Aisne، حيث أقامت المتاريس والخنادق، وحذا الحلفاء حذوها، فتحولت الحرب منذ ذلك الحين إلى حرب خنادق على طول خط القتال من «أوستند» Oostende فى بلجيكا فى الشمال، إلى الحدود السويسرية، فى جبهة طولها ٣٠٠ ميل، وإن بقيت الميزة للألمان، حيث كانوا يحتلون جانبا كبيراً من الأراضى البلجيكية والفرنسية، ويتخذون قواعدهم العسكرية على بعد ٥٥ ميلا من باريس، وعلى بعد ٦٥ ميلا من أقرب الموانئ الإنجليزية.

فى ذلك الحين لم تمنع الهزيمة الساحقة التى نزلت بالقوات الروسية فى تاننبرج والبحيرات المازورية الجيوش الروسية من فتح جبهة أخرى فى النمسا بالهجوم على غاليسيا Galicia، وإلحاق الهزيمة بالقوات النمساوية أمام «لمبرج Lemberg فى أواخر أغسطس ١٩١٤م، كما أحرزوا انتصارا آخر أمام «جروديك» Gro-dek، فدان بذلك ثلث غاليسا للروس. وسقط حصن «برزميسل» Przemysl ووصل الروس إلى ممرات جبال الكربات Carpathians، وأجبروا القوات النمساوية على الإرتداد إلى المدينة البولندية القديمة كراكاو Cracow.

وعلى هذا النحو أصبح الروس فى الوضع الذى يهدد ألمانيا تهديدا خطيرا، فلو تمكنوا من احتلال كراكاو، لأمكنهم تدمير خط

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الدفاع على الحدود الألمانية بأسره عند بوزن Pozen وثورن Thorn واحتلال برسلاو Breslau حقول الفحم فى سيليزيا Silesia.

وهنا لم يجد هندنبورج من وسيلة لتخليص كراكاو غير تهديد وارسو فى بولندا الخاضعة للسيادة الروسية، فتحرك فى الأسبوع الثانى من أكتوبر ١٩١٤م نحوها بخمس هجمات تمتد من ثورن فى الشمال إلى كراكاو فى الجنوب، واشتبك الطرفان فى الملاحم المعروفة بمعركة «لودز» Lodz انتهت بحماية الحدود الألمانية وإنقاذ كراكاو وسيليزيا، وبقى حاجز الكربات صامدا. ولكن الخط الذى وقف عنده الروس من بروسيا الشرقية إلى الكربات أصبح خطا للدفاع، وإن أفلح الروس فى تجميد القوات الألمانية والنمساوية المجرية.

وفى ٢٩ أكتوبر ١٩١٤م دخلت تركيا الحرب إلى جانب الدول المركزية ضد روسيا، وقد كافأ الحلفاء تركيا على ذلك بإنفاذ أسطول بريطانى لاقتحام الدردنيل Dardanelles الذى يفصل بين آسيا الصغرى وأوروبا، وجيشا إلى شبه جزيرة غاليبولى Gallipoli التى هى خط الدفاع الاستراتيجى عن القسطنطينية.

وكان الغرض اقتحام المضايق لإنشاء ممر بين البحر المتوسط والبحر الأسود، مع الاستيلاء على العاصمة التركية، لإنقاذ روسيا من عزلتها، وتمكين الدول الغربية من الاتصال بها حتى يمكن تطويق ألمانيا فى كل مكان، وعزل تركيا عن حلفائها.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولكن هذه الحملة لم تنجح، فقد انهزم الأسطول الإنجليزى هناك فى ١٨ مارس ١٩١٥، وفشلت الحملة البرية فى اقتحام شبه جزيرة غاليبولى، واضطرت إلى الانسحاب النهائى (١٨ ديسمبر ١٩١٦م - ٨ يناير ١٩١٦م)، وعجزت روسيا عن مد يد المساعدة لحلفائها كما كانوا يتوقعون.

وقد كان بعد كارثة غاليبولى أن عمد الحلفاء إلى مهاجمة تركيا فى إمبراطوريتها وفى الشرق الأوسط، فقد استولوا على الجزء الأكبر من العراق، ودخلوا بغداد، واستولوا فى فلسطين على يافا وبيت المقدس.

وفى الوقت نفسه قامت القوات الفرنسية وقوات جنوب أفريقيا باكتساح الممتلكات الألمانية فى أفريقية، فى حين كان اليابانيون، الذين دخلوا الحرب فى سبتمبر ١٩١٤م، والاستراليون، يستولون على الممتلكات الألمانية فى الشرق الأقصى والمحيط الهادى.

وفى ٢٣ مايو ١٩١٥م دخلت إيطاليا الحرب ضد النمسا، بعد أن كانت قد أعلنت حيادها عند نشوب الحرب. فقد أغراها الحلفاء على الانضمام إليهم لتخفيف الضغط عن روسيا بالاشتباك مع النمسا، وعقدت معها كل من بريطانيا وفرنسا وروسيا فى ٢٦ أبريل ١٩١٥م معاهدة لندن، التى تقضى بإعطاء إيطاليا منطقة الترنتينو Trentino، والتيرول الجنوبى حتى ممر برنر Brenner، وتريستا Trieste، وشبه جزيرة استريا Istria، وشمال دلماشيا،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والجزر المواجهة لها، وميناء فالونا Valona فى ألبانيا، وجزر الدوديكانيز Dodecanese Is فى بحر إيجه Aegean Sea، كما سمح لها بتوسيع ممتلكاتها فى أريتريا والصومال.

لذلك أعلنت إيطاليا الحرب على النمسا فى ٢٣ مايو ١٩١٥م، وأتبعت ذلك بإعلان الحرب على ألمانيا بعد ١٥ أسبوعا. وفى ٥ سبتمبر ١٩١٥م طلب إليها الحلفاء أن توقع ميثاق لندن الذى يمنعها من عقد صلح منفرد مع الأعداء.

على أن إيطاليا لم تقدم للحلفاء ما كانوا يتوقعون منها، فلم ترسل قوات لمساعدة حملة الدردنيل بحجة حاجتها إلى قواتها للدفاع عن الجبهة الإيطالية، ولم تحقق نجاحا يذكر مع النمساويين على خطوط وادى الايسونزو Asonzo.

ولكن عندما خفت وطأة الهجوم النمساوى، الذى بدأ فى ربيع عام ١٩١٦م، على التيرول الجنوبية، بعد تداعى خطوط غاليسيا، انتقل الإيطاليون إلى خطة الهجوم على خطوط الايسونزو من جديد، واستولوا على جوريزيا Gorizia فى أغسطس ١٩١٦م، وأصبحت الإمبراطورية النمساوية فى أحرج المواقف.

وهنا قامت حملة مشتركة من الدول المركزية بقيادة القائد الألمانى العظيم بيلوف Below ضد إيطاليا، وهزمت الإيطاليين هزيمة شنعاء فى كابوريتو Caporetto فى ٢٤ أكتوبر ١٩١٧م،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فانسحبت القوات الإيطالية من خطوطها، وأخذت تتراجع مسرعة بخسائر فادحة حتى نهر البياف Piave، وهنا توقف الألمان، لأن الخط كان قصيرا يسهل الدفاع عنه، ووصلت الإمدادات إلى الإيطاليين من فرنسا، وبذلك نجت إيطاليا من كارثة، وظل ضعف إيطاليا الشغل الشاغل للحلفاء طيلة معظم عام ١٩١٧م.

وعلى كل حال فقد حقق عام ١٩١٥م لألمانيا مزيدا من الانتصارات، ففى ١٤ سبتمبر ١٩١٤م تولى قيادة القوات الألمانية القائد الألمانى العظيم فالكينهاين Falkenhayn، وقد رأى جيوشه تحتل فى فرنسا والفلاندر خنادق صالحة، فوجه هجومه إلى الجيوش الروسية التى كانت ماتزال تهدد كراكاو والإمبراطورية النمساوية، وذلك لردها إلى روسيا وتخفيف الضغط على النمسا، ومساعدتها على تحطيم الصرب، واستمالة بلغاريا لشن الحرب على الحلفاء.

لذلك ففى ٢ مايو ١٩١٥ ألحقت القوات الألمانية بقيادة ماكنزن Mackensen الهزيمة بالقوات الروسية فى غاليسيا فى معركة «جورليس تارناو» Gorlice Tarnau ودفعتها إلى الحدود الروسية، وسقطت على التوالى «لمبرج» عاصمة «غاليسيا»، ووارسو عاصمة بولندا، و«كوفنو» و «فالنا» أكبر مدن لتوانيا.

وفى الشمال اكتسح فون بيلوف مقاطعة كورلند Courland فى لاتفيا، وأسرع إلى ريجا. وما أن طلع شهر سبتمبر ١٩١٥م حتى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كاد الألمان أن يقطعوا خطوط الاتصال بين الجيوش الروسية وقواعدها، للقضاء عليها.

على أنهم حرموا من هذا النصر الساحق على يد قائدين روسيين، هما روسكى Rusky فى الشمال، وإيفانوف Ivanov فى الجنوب، اللذان أحرزا بعض الانتصارات فى خلال شهر سبتمبر، التى خففت من سرعة الألمان، ولكن بعد أن فقد الروس فى هذه المعارك ٣٢٥ ألف أسير، وثلاثة آلاف مدفع، الأمر الذى لم يتمكن الجيش الروسى بعده من استرداد قواه.

على أن نجاح الحملة الألمانية فى الميدان الشرقى ضد القوات الروسية، شجع على إخضاع البلقان. ففى ٧ أكتوبر ١٩١٥م عبرت القوات النمساوية الألمانية نهر الدانوب للهجوم على الصرب.

وفى ١٤ أكتوبر ١٩١٥م أعلنت بلغاريا الحرب على الصرب، مدفوعة بعامل الرغبة فى تحرير بلادها من نفوذ روسيا، وجمع شمل العنصر البلغارى فى البلقان تحت رايتها، واشتركت فى الهجوم على الصرب، ثم اخترقت الحدود الشرقية الصربية. ولم يمض شهران حتى كانت بلغراد ومعظم المدن الصربية المهمة قد سقطت، وفر الجيش الصربى إلى الجبل الأسود وإلى ألبانيا.

وفى فبراير ١٩١٦م هاجمت القوات البلغارية والنمساوية شمال ألبانيا، واستولت على عاصمتها تيرانا Tirana، وعلى ميناء دورازو Durazzo، واضطرت القوات الصربية إلى الالتجاء إلى جزيرة كورفو Corfu اليونانية لتحتمى بمدفعية الحلفاء.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أما فى الميدان الغربى، فإنه بعد أن أخفق الألمان فى الاستيلاء على باريس، أهملوا، نتيجة سهو غريب، احتلال موانئ القنال الإنجليزى، وحين تقهقروا من المارن إلى الأين، قاد السير جون فرنش John French قائد الفرسان الإنجليزى قوة إنجليزية فى أكتوبر ١٩١٤م نحو القنال الإنجليزى، وقامت باحتلال سواحله.

وقد شن الألمان عدة هجمات على القوات الإنجليزية، دارت حول «ايبرس Ypres من أكتوبر إلى نوفمبر ١٩١٤م، ولكنها منيت بالفشل. ولو تمكن الألمان من ترسيخ أقدامهم فى كاليه وبولونى، لقطعوا أسرع خط من خطوط الاتصال بين فرنسا وإنجلترا، ولاختلت خطة التعاون بينهما اختلالا خطيرا. وقد عاود الألمان الهجوم فى الميدان الغربى فى أبريل ١٩١٥م، واستخدموا الغازات السامة، ولكنهم لم يحققوا أهدافهم.

وفى أواخر سبتمبر ١٩١٥م شن الحلفاء هجمات فى الفلاندر، وفى أرتوا، ولكنهم ردوا على أعقابهم بخسائر كبيرة.

وقد تميز عام ١٩١٦م فى الميدان الغربى بملحمتين نشبتا على أرض فرنسا، طالت إحداهما إلى ستة أشهر، والأخرى إلى٣أشهر، وهما ملحمتا فردان Verdun والسوم Somme.

وبالنسبة لمعركة فردان (من فبراير إلى يولية ١٩١٦م) فقد بدأت بهجوم ألمانى استهدف أمرين: الأمر الأول الاستيلاء على

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حصن فردان المنيع، والثانى إضعاف القوات الفرنسية التى كان مقدراً أن تدافع عن الحصن مهما كلفها من خسائر، على أن الأمر انقلب على الألمان، فلم يفشلوا فقط فى الاستيلاء على الحصن، وإنما فقدوا ما بين ٢٤٠ ألف قتيل وجريح، وفقد الفرنسيون ٢٧٥ ألف.

أما المعركة الثانية، وهى معركة السوم، فقد بدأها الحلفاء فى أول يوليو ١٩١٦م ودامت حتى آخر سبتمبر ١٩١٦م، ووضع خطتها الجنرال دوجلاس هيج الإنجليزى ضد القوات الألمانية بقيادة هندنبورج، وقد نجحت هذه المعركة فى رد الألمان مائة ميل مربع، وتحمل الجيش الألمانى فيها خسائر فادحة قضت على الجيش الألمانى القديم الذى كان يعد أكمل قوة حربية شهدها العالم، وأصبح الاعتماد على المجندين من الأحداث. وفى الوقت نفسه فقد الجيش البريطانى ٦٠ ألف قتيل وجريح فى اليوم الأول من معركة السوم.

وقد كان فى ساحة السوم أن ظهرت لأول مرة الدبابة فى ١٥ سبتمبر ١٩١٦م، وإن لم تحدث تأثيرا يذكر، ولكن هذا السلاح كسب المعركة فى عام ١٩١٨م.

وبينما كانت القوات الألمانية تواجه هذه المتاعب فى الميدان الغربى، قام الجيش الروسى بقيادة الجنرال بروسيلوف Brussilov فى ٤ يونية ١٩١٦م باختراق الجبهة النمساوية الألمانية فى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

غاليسيا، وفى خلال حملة دامت عشرة أسابيع، أسر بروسيلوف ٤٥٠ ألف أسير من القوات النمساوية المجرية.

وقد شجع هذا النصر رومانيا على الانضمام إلى الحلفاء. وكانت رومانيا قد تعهدت فى فبراير ١٩١٥م بدخول الحرب إذا دخلتها ايطاليا، ولكن بسبب الظروف غير المواتية للحلفاء أحجمت عن دخول الحرب عندما دخلتها إيطاليا فى مايو من نفس العام.

وفى ١٨ أغسطس ١٩١٥م تم توقيع معاهدة بين رومانيا وكل من بريطانيا وفرنسا وروسيا وإيطاليا، كما تم توقيع معاهدة عسكرية بين روسيا ورومانيا فى نفس اليوم، أجاب فيها الحلفاء مطالب رومانيا بمنحها باسارابيا بعد الحرب.

وفى ٢٧ أغسطس شجع النصر الروسى على الإمبراطورية النمساوية المجرية رومانيا على إعلان الحرب على النمسا والمجر، فردت ألمانيا فى اليوم التالى بإعلان الحرب عليها.

على أن القوات الألمانية بقيادة فالكينهاين وماكنزن اكتسحت القوات الرومانية فى ستة أسابيع. فقد زحف الجيش الأول خلال جبال الكربات، والآخر خلال دوبرجه Dobrudja، وانقضا على بوخارست عاصمة البلاد، ودخلاها فى ٦ ديسمبر ١٩١٦م.

فى ذلك الحين كانت تجرى حرب بحرية بين ألمانيا وبريطانيا. فقد أعلنت إنجلترا الحصار البحرى على ألمانيا، واعتبرت بحر

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الشمال منطقة حربية. وقد ردت ألمانيا على ذلك باستخدام الطرادات الألمانية، فى إغراق المراكب التجارية الإنجليزية فى عرض البحار، وحقق الأميرال فون شبى Spee نصرا بحريا على الأسطول الإنجليزى فى المحيط الهادى. ولكن فى ٨ ديسمبر ١٩١٤م نشبت معركة عند جزر فوكلاند Falkland النائية فتك فيها الاميرال ستردى Sturdee بقوة من الطرادات Cruisers الألمانية.

وفى ٤ فبراير ١٩١٥م أعلنت أن المياه الإنجليزية تعتبر منطقة حربية، واستخدمت عددا من الغواصات لإغراق سفن الأعداء، وأجابت بريطانيا فى ١١ مارس ١٩١٥م بقرار حرمت فيه تجارة دول الحياد مع ألمانيا.

على أنه فى أبريل ١٩١٥م أغرقت الغواصات الألمانية الباخرة لوزيتانيا Lusitania على مقربة من ساحل أيرلندة وعليها ألف راكب، منهم أكثر من مائة أمريكى، وعندما تحرك الرأى العام ضد ألمانيا أوقفت عمل غواصاتها، ولكنها عادت إلى العمل من أول مارس ١٩١٦م، وفى يوم ٢٤ مارس ١٩١٦م اغرقت الباخرة ساسكس Sussex، ولم يقل هذا الحادث خطورة عن إغراق لوزيتانيا.

وفى مايو ١٩١٦م خرج الأسطول الألمانى من موانيه، لمقاتلة الأسطول الإنجليزى على أمل رفع الحصار، واشتبك الأسطولان فى معركة بحرية مهمة هى معركة «جاتلاند» Jutland فى ٣١ مايو١٩١٦م، تكبد فيها الأسطول البريطانى خسائر ضعف ما تكبده

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأسطول الألماني في الرجال والسفن الحربية، وكان النصر حليف الأسطول الألماني، إلا أن المعركة أقنعت ألمانيا بعدم خروج الأسطول الألماني مرة أخرى لمنازلة خصمه.

ولكن الألمان لجئوا إلى حرب الغواصات بهدف إغراق أية سفينة تجارية دون سابق إنذار، وذلك لتجويع بريطانيا. ففي الأشهر الأخيرة من عام ١٩١٦م أغرقت الغواصات الألمانية ما حمولته ٣٠٠ ألف طن كل شهر. وفي بداية عام ١٩١٧م كان لدى الألمان نحو ١٢٠ غواصة، ارتفع عددها إلى ١٣٤ في أكتوبر ١٩١٧م. وفي شهر أبريل ١٩١٧م وحده أغرقت الغواصات الألمانية ما حمولته ٨٧٥ ألف طن، وفي ذلك الشهر كانت الغواصات الألمانية تغرق واحدة من كل أربع سفن تغادر السواحل الإنجليزية.

وقد لجأ الحلفاء في مقاومة ذلك إلى أسلوب القوافل، حيث كانت السفن التجارية تبحر في قوافل تحرسها المدمرات الحربية، واستطاعت بذلك إغراق عدد كبير من الغواصات الألمانية، وتقليل الخسائر.

على أن حرب الغواصات استفزت الولايات المتحدة لدخول الحرب يوم ٦ أبريل ١٩١٧م، خصوصا بعد أن وصل إلى علم الحكومة الأمريكية محاولة ألمانيا إغراء المكسيك على مهاجمة الولايات المتحدة في مقابل ضم ثلاث ولايات أمريكية هي تكساس ونيومكسيكو وأريزونا. فكان هذا العامل سببا مهما في دفع الولايات المتحدة إلى الحرب.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكانت الولايات المتحدة قبل هذا القرار تعتنق «مذهب مونرو Monroe Doctrine الذى يقوم على عزلة أمريكا فى سياستها الخارجية عن أوروبا، وعدم السماح لأية دولة أوروبية بالتدخل فى الشئون الأمريكية. على أن الحرب هيأت لها فرصة ذهبية للاستفادة من موقعها المحايد عن طريق بيع كميات هائلة من المواد الخام والذخيرة والمئونة والبضائع الأخرى للحلفاء. فلما عمدت ألمانيا إلى حرب الغواصات ضد السفن التجارية، هدد ذلك التجارة الأمريكية ذاتها، وعرض الأرواح الأمريكية للخطر، فلجأت إلى الحرب ضد ألمانيا.

فى ذلك الحين كانت الحكومة الأمريكية، وعلى رأسها الرئيس وودرو ولسن Woodrow Wilson، ترى أن الدول الأوروبية قد أُنكهت فى الحرب بما يجعل من مصلحة الولايات المتحدة الاستفادة من ذلك عن طريق دخول الحرب والتخلى عن مبدأ مونرو. ذلك أن دخولها الحرب يهيئ لها الفرصة لبناء أوروبا جديدة بعد الانتصار فى الحرب على أسس جديدة تحفظ السلام فى العالم، وتقوم على إنشاء عصبة أمم، وضمان حرية التجارة عبر البحار.

ومع أن القوات الأمريكية لم تقم بدور مهم فى الحرب حتى عام ١٩١٨، إلا أن الحلفاء استفادوا من الإمدادات المادية الأمريكية، التى كانت تقدم على سبيل القروض بعد أن هبطت القوة الشرائية للحلفاء، فكان هؤلاء يقترضون من الحكومة الأمريكية ويسددون للمؤسسات الأمريكية التى يستوردون منها، الأمر الذى أدى إلى انتعاش الاقتصاد الأمريكى انتعاشاً كبيراً.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كذلك فإن اشتراك الولايات المتحدة الأمريكية فى الحرب ألغى فكرة حق الدول المحايدة فى التجارة مع ألمانيا التى كانت تنادى بها أمريكا، فاستطاع الحلفاء تضييق الحصار على ألمانيا على نحو أدى إلى إضعافها إضعافا شديداً فى نهاية عام ١٩١٨م.

كان دخول الولايات المتحدة الأمريكية الحرب فى ٦ أبريل ١٩١٧م أحد أهم حدثين ميزا عام ١٩١٧م، أما الحدث الثانى، فهو قيام الثورة الاشتراكية فى روسيا، ونجاح البلاشفة فى الاستيلاء على السلطة فى أكتوبر ١٩١٧م، وعقد هدنة مع ألمانيا، وفتح باب الصلح الذى انتهى بتوقيع لينين معاهدة برست ليتوفسك Brest Li-tovsk فى ٣ مارس ١٩١٨م، التى تخلت روسيا بها عن سيادتها على بولندا وفنلندة واستونيا ولاتفيا وليتوانيا، واعترفت باستقلال اوكرانيا وهكذا خرجت روسيا من الحرب.

فى ذلك الحين لم يكن من خطة لودندورف لعام ١٩١٧ تجديد الهجوم فى الميدان الغربى، فقد تراجع عدة أميال إلى خط حصين عرف عند الألمان بخط سيجفريد Siegfried وعند الإنجليز بخط هندنبورج.

ولكن فى أكتوبر ١٩١٧م قام قائد القوات الفرنسية نيفيل Ni-velle بهجوم كبير على القوات الألمانية، اشتركت فيه القوات الإنجليزية، وذلك فى جبهة تمتد من سواسون Soissons إلى ريمس Rheims، ولكن الهجوم فشل فشلا ذريعا، وتكبد الجيش الفرنسى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

خسائر مروعة فى الأرواح سببت تمردا بين صفوفه، وذهبت بثقة المدنيين والمحاربين فى كفاءة قوادهم.

ولكن الموقف عولج، فعين بيتان Petain بطل فردان مكان نيفيل، وعين كليمانصو رئيسا للوزراء ـ وقد أطلق عليه اسم «النمر» ـ وسرت روح جديدة.

ولكن الموقف، مع ذلك، أثار الهواجس فى صدر الحكومة البريطانية إلى الدرجة التى رأت معها ضرورة تحويل اهتمام الألمان إلى الجبهة البريطانية، فأخذ الجيش البريطانى يشق طريقه إلى الساحل البلجيكى.

على أن الأمطار الكثيفة التى سقطت طوال صيف وخريف عام ١٩١٧م أعاقت تقدم القوات البريطانية، فى الوقت الذى كان الألمان فى راحة نسبية نظرا لاحتلالهم المواقع الأكثر ارتفاعا، وكانت مياه الأمطار تغمر الخنادق البريطانية حتى خصور الجند. وفى هذا الجو دارت المعركة المعروفة باسم معركة باشنديل Passchendaele، التى خسر فيها البريطانيون خسائر هائلة بلغت ٣٠٠ ألف قتيل وجريح.

وقد اكتملت خسائر الحلفاء فى ذلك العام بهزيمة القوات الإيطالية فى موقعة «كابوريتو» Caporetto، ومطاردة القوات النمساوية لها تحت القيادة الألمانية على نحو هدد باختراق إيطاليا ووصول الأعداء إلى البندقية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولكن الأمطار الغزيرة أنقذت إيطاليا من الخطر، إذ وقفت القوات النمساوية فى الفلاندر عاجزة بعد أن أغرقت الأمطار الأراضى أمامها، وفاضت الأنهار من الألب إلى الأدرياتيك. وفى الوقت نفسه أنقذ ثبات الإيطاليين على ضفاف نهر بياف البندقية من السقوط.

على أنه فى الوقت الذى كانت تنزل النكبات بصفوف الحلفاء فى الجبهات الروسية والفرنسية والإيطالية، كان الجيش البريطانى يحقق نصرا أمام الأتراك، كانت نتيجته سقوط بغداد فى مارس ١٩١٧م، والقدس فى ٩ ديسمبر ١٩١٧م.

وقد قدر لهذا الفتح أن يكون بداية مرحلة جديدة فى تاريخ الأمة العربية، إذ سبق هذا الفتح إعلان بريطانيا عزمها على إنشاء وطن قومى لليهود، فى خطاب أرسله المستر بيلفور فى ٢ نوفمبر ١٩١٧م إلى اللورد روتشيلد، وكان غرض بريطانيا ضم جماعات اليهود العالمية المسيطرة على أسواق المال، وحملها على مناصرة قضية الحلفاء.

على كل حال، فإن خروج روسيا من الحرب بالثورة الروسية، شجع القيادة الألمانية على الاستفادة بالقوات الألمانية على الجبهة الروسية، وهى نحو أربعين كتيبة أو ٤٠٠ ألف جندى، لتعزيز الميدان الغربى، وتوجيه ضربة قاصمة للجيشين الإنجليزى والفرنسى عند نقطة اتصالهما، ثم دحر كل منهما على حدة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد وقع الهجوم الألمانى يوم ١٠ مارس ١٩١٨م، فحطم الجيش البريطانى الخامس، وأصبحت القوات الألمانية على بعد ٢٠ ميلا من أميان Amiens، وأصبح الخط الحديدى الموصل إلى أميان تحت القصف الألمانى. ولكن أمكن وقف الزحف الألمانى أمام أميان، ولو نجح لانفصلت القوات الفرنسية عن القوات الإنجليزية.

على أن القوات الألمانية لم تواصل هجمتها القاتلة، وإنما استبدلت بهذه الخطة خطة أخرى، فهاجمت البريطانيين أولا فى قطاع «ييرس» Ypres فى ٢٩ أبريل ١٩١٨م وردتهم إثنى عشر ميلا إلى الوراء، وكادت تنفذ إلى الساحل، وتحرم البريطانيين من مواصلاتهم خلال كاليه وبولونى Boulogne.

وفى يوم ٢٧ مايو ١٩١٨م أطبق الألمان على الحلفاء فى شيمان دى دام Chemins des Dames غرب ريمس Rheims وهزموهم هزيمة منكرة، ودفعوا بهم إلى المارن مرة ثانية عند «شاتو تييرى» Chateau Thierry على بعد ٤٠ ميلا من باريس، وكادوا يشطرون الخط الفرنسى إلى قسمين، مما يؤدى إلى سقوط باريس. وقد أصيب الألمان فى هذا الزحف الداهم بخسائر فادحة.

وهنا قرر لودندورف تطبيق الطرف الآخر من خطته، بالهجوم على شرق ريمس Rheims، بغرض شد جزء من احتياطى الحلفاء، ثم الشروع فى شن هجومه النهائى على البريطانيين. على أن هذا الهجوم لم يسفر عن خسائر كثيرة للفرنسيين، وتمكنوا من صده، ولم يكسب الألمان من ورائه إلا القليل من الأرض.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى ذلك الحين كان الحلفاء قد اختاروا القائد الفرنسى العظيم الماريشال فوش Foch قائدا عاما لقوات الحلفاء، يساعده الجنرال فيجان Weygand. فى حين بقى الجنرال هيج Haig قائدا للقوات البريطانية، وبيتان قائد اللقوات الفرنسية.

وفى يوم ١٨ يولية ١٩١٨م أخذ الحلفاء فى شن هجماتهم العظيمة على الألمان التى أنهت الحرب، والتى عرفت باسم «معركة المارن الثانية».

ففى ذلك اليوم قام الجنرال مانجان Mangin بهجوم مفاجئ على الألمان بثلاثمائة دبابة خفيفة، وأجبرهم على الانسحاب، وأسر منهم ثلاثين ألف أسير، وهو ثلث ما أسره الألمان فى أميان، ونصف ما أسروه عند شيمان دى دام.

وفى يوم ٨ أغسطس ١٩١٨م قام الجنرال هيج قائد القوات البريطانية بهجومه على «أميان»، وأسر من الألمان عشرين ألفا. وقد أطلق لودندورف على يوم ٨ أغسطس ١٩١٨م «اليوم الأسود للجيش الألمانى»، لأن البريطانيين الذين منوا بالهزيمة مرتين انتقلوا من الدفاع إلى الهجوم، ولأن الألمان طردوا من مواقع كانوا يعدونها منيعة. وقد تلت ذلك سلسلة من الهجمات طيلة شهر سبتمبر ١٩١٨م كان النصر فيها حليفا للحلفاء.

وقد كان النصر حليف الحلفاء فى الميادين الأخرى. ففى جبهة سالونيك شن الإنجليز والفرنسيون والصربيون هجومهم على

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البلغار فى يوم ١٥ سبتمبر ١٩١٨م، وانتهى فى يوم ٢٩ منه بتسليم بلغاريا وخروجها من الحرب، وكان هذا يعنى انهيار الجبهة الشرقية بأسرها، وانهيار النمسا والمجر كذلك.

وفى يوم ٢٨ سبتمبر ١٩١٨م كان لودندورف فى مقر قيادته فى شبا Spa يتلقى الأنباء السيئة من كل الجبهات. فقد طهر الأمريكيون الجيب الموجود فى سان ميشيل قرب فردان من الألمان، وكانوا يشتركون مع الفرنسيين فى الهجوم فى منطقة أرجون. وكان البلجيكيون يشنون الهجوم فى بلجيكا نفسها، وحطم البريطانيون خط سنيجفريد. وأسر الحلفاء فى هجومهم طيلة الشهور الثلاثة نحو ربع مليون ألمانى. ثم كان ماورد من الجبهة الشرقية من انهيار بلغاريا، وانهيار الجبهة الشرقية.

وهنا طلب لودندورف من حكومته أن تسعى إلى عقد الصلح، فأرسلت ألمانيا أول مذكرة بطلب الصلح إلى الرئيس ولسن فى ٣ أكتوبر ١٩١٨م.

وقبل نهاية الشهر وقعت تركيا الهدنة، وفى نفس الوقت كانت النمسا والمجر قد انسحبت أمام إيطاليا فى هزيمة منكرة فى ڤيتوريو ڤينيتو Vettorio Veneto. وفى أوائل نوفمبر دخلت القوات البريطانية كل خطوط الألمان، ووصلت إلى شمال فرنسا. ووصل الأمريكيون إلى الحدود الفرنسية فى سيدان، فى حين كانت القوات الاحتياطية الفرنسية تهدد اللورين.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكان الماريشال فوش يعتقد أن الحرب لم تنته بعد فى الغرب، وأنها ستطول لمدة خمسة شهور أخرى، ولذلك كان طلب الصلح مفاجأة!

فقد كان مثيرا للدهشة أن ينهزم هندنبورج ولودندورف فى الميدان الغربى بعد انتصاراتهما السابقة فى روسيا ورومانيا وإيطاليا وفرنسا!

وفى يوم ١١ نوفمبر ١٩١٨م عقدت الهدنة التى أنهت الحرب.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الثامن عشر

الثـــورة الروســـية ١٩١٧م

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الثـــــورة الروســـــية ١٩١٧م

(أولاً) روسيا قبل ثورة ١٩١٧م

١ ـ الأحوال السياسية :

منذ أن نفضت روسيا عن كاهلها فى أواخر القرن الخامس عشر سيطرة التتر، ظل الحكم فيها، ولمدة أربعة قرون بعد ذلك، أوتوقراطيا متطرفا يتمثل فى تركز سلطة الدولة فى يد القيصر الذى لا تحد سيطرته حدود دستورية ولا تقيدها قوانين.

وكان أول عهد روسيا بالنظام السياسى فى ١٨٦٤م عندما سمح القيصر إسكندر الثانى بإنشاء مجالس للإقاليم والمقاطعات فى روسيا الأوروبية وحدها، وكان النفوذ فيها فى يد النبلاء وكبار الملاك، ولم يكن لها اختصاصات محددة، وكانت سلطاتها المالية محدودة جدا. وفى عام ١٨٩٠ أعيد تنظيم هذه المجالس حيث أفسح السبيل فيها أمام كبار ملاك الأراضى للحصول على الأغلبية المطلقة.

على أنه عندما وقعت الحرب الروسية اليابانية ١٩٠٤م وهزمت فيها روسيا شر هزيمة، قامت ثورة دامية فى ٩ يناير ١٩٠٥م

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

واستمرت إلى ٣ يونيو ١٩٠٧م، واضطر القيصر فى أكتوبر ١٩٠٥م إلى إنشاء نظام نيابى دستورى يتمثل فى برلمان منتخب Duma ومجلس أعلى يدعى مجلس الإمبراطورية، وأن يكون لمجلس الدوما الحق فى التصديق على التشريعات التى تصدرها الحكومة.

وقد قنع المعتدلون بهذا التغيير الدستورى، فسمى هؤلاء بالأكتوبريين Octobarists، اختصارا لـ «اتحاد السابع عشر من أكتوبر». وكانوا يتألفون فى معظمهم من التجار ورجال الصناعة الأغنياء، وعلى رأسهم الكسندر جوتشكوف Guchkov (شارك فيما بعد فى عملية تنازل نقولا الثانى عن العرش).

وعلى الرغم من أن هذا النظام الدستورى كان يعد أضعف النظم الدستورية فى أوروبا فى ذلك الحين، إذ اقتبست نصوصه من دساتير النمسا وروسيا واليابان، ولم يكن يعترف بالمسئولية الوزارية أمام الدوما، وكان الانتخاب غير مباشر ـ إلا أن هذا النظام كان بشيرا باعادة تنظيم الحياة السياسية على أسس سليمة.

وكان أعضاء مجلس الدوما ينتمون إلى عدة أحزاب سياسية كلها تعارض الأوتوقراطية الروسية. فالى جانب الأكتوبريين، الذين كانوا يهدفون إلى إقامة حكومة على نمط النظام البروسى، يتعاون فيه البرلمان مع الملك ـ كان هناك الديموقراطيون الدستوريون، الذين اشتهروا باسم «الكاديت» Cadet اختصارا لاسم الحزب

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الديموقراطى الدستورى The Constitutional - Democratic Party (وقد شكلوا أول حكومة قومية بعد ثورة فبراير، ولكنها سقطت فى أبريل)، وكانوا ينادون بأن تكون الحكومة مسئولة أمام مجلس الدوما، وأن يملك القيصر ولا يحكم. وكان زعيمهم مليوكوف Mel-yukov - وهو مؤرخ.

وإلى جانب هذين الحزبين، كان هناك أحزاب يسارية ثلاثة هى: حزب الاشتراكيين الشعبيين The Popular Socialist Party، ويطلق عليهم اسم «التروديفيكيين» The Trudoviks وعلى رأسهم كيرنسكى، وحزب الاشتراكيين الديمقراطيين الذى انقسم إلى بلاشفة ومناشفة، وهو حزب ماركسى، وحزب الاشتراكيين الثوريين برئاسة تشيرنوف (ومن بعده كيرنسكى)، وهو حزب يمثل الديمقراطية البورجوازية الصغيرة (كان يسعى لجعل الأرض ملكية اجتماعية - أى التمتع الفردى المتساوى بالأرض، الأمر الذى كان يعنى من حيث الجوهر إنشاء أكثر الظروف ملاءمة لتطور الرأسمالية).

وقد اجتمع مجلس الدوما الأول عام ١٩٠٦م، ولكن القيصرية لم تشأ التخلى عن سلطاتها القديمة، فقيدت حقوق واختصاصات المجالس التالية، وهى: مجلس الدوما الثانى ١٩٠٧م، ومجلس الدوما الثالث ١٩٠٧م - ١٩١٢م، ثم مجلس الدوما الرابع ١٩١٢م، حتى آمن الشعب باستحالة تحقيق النظام الديمقراطى فى روسيا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بالوسائل الدستورية العادية، ولم ير مفرا من الثورة من جديد - وهو ماحدث فى فبراير ١٩١٧م.

٢ - الأحوال الاقتصادية :

هذا على كل حال فيما يتصل بالأحوال السياسية الداخلية فى روسيا، أما فيما يتصل بأحوالها الاقتصادية، فقد كانت هذه الحياة فى القرن السابع عشر تسير على نمط العصور الوسطى، فقد تخلفت روسيا عن الثورة الصناعية الأوروبية حتى عام ١٨٦٠م، كما تأخرت عن تقدم أوروبا الغربية الرأسمالى، فلم يكن فيها من المصانع قبل تلك السنة إلا عدد قليل.

ولكن الصناعة أخذت فى التقدم بعد قانون التحرير عام ١٨٦١م الذى ألغى الاسترقاق والسخرة. ولما قامت النهضة الصناعية فى ألمانيا بعد توحيدها، وظهرت اليابان كدولة حديثة لها خطرها، أخذ الاهتمام فى روسيا يشتد بالتصنيع، فتقدمت الصناعة بخطى واسعة، ولكنها بطبيعة الحال لم تصل إلى مستوى الدول الغربية الأخرى. فبقى الاقتصاد فى أساسه زراعيا.

أما التجارة فكانت متأخرة هى الأخرى بالقياس للدول الغربية، فقبل الحرب العالمية الأولى بعام واحد، أى فى ١٩١٣م، كانت تجارة روسيا الخارجية تعادل $\frac{1}{2}$ تجارة هولندا التى تبلغ مساحتها $\frac{1}{100}$ من مساحة روسيا!

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كما أن طبيعة التجارة الروسية أيضا كانت تدل على تأخرها، فقد كانت روسيا تستورد الفحم والمواد الكيماوية والآلات والأسلحة والمنسوجات والمصنوعات المختلفة، أما صادرتها فكانت قاصرة على المحصولات الأولية كالحبوب والكتان والخشب والفرو والجلد ومستخرجات الألبان، وهى نفس المحصولات التى تصدرها المستعمرات والدول الزراعية الصغيرة.

٣ ـ الأحوال الاجتماعية :

فاذا انتقلنا إلى أحوال روسيا الاجتماعية، نجد أن الاسترقاق ظل طابع المجتمع الروسى منذ القرن الـ ١٦م. وقد زاد هذا الاسترقاق بعد المجاعات التى انتشرت فى روسيا فى القرن الـ ١٧م، حيث التحق عدد كبير جدا من الفلاحين بخدمة الملاك كأرقاء يعملون طيلة حياتهم هم وذريتهم فى أرض الملاك مقابل تأمين حصولهم على الطعام والمأوى. وإلى جانب هؤلاء كان يوجد الفلاحون الذين حرمت عليهم الحكومة الانتقال إلى أمكنة غير التى هم فيها، لضمان جبايتها ما تفرضه عليهم من الضرائب، وكذا إمدادها بالجنود للخدمة العسكرية والعمال اللازمين لأعمالها.

وبذلك نشأ نوعان من الفلاحين: فلاحون أرقاء للملاك، وفلاحون عمال لدى الحكومة، وهم فى حكم الأولين.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد كانت مقاومة الفلاحين للإسترقاق عظيمة على مر الأجيال، واتخذت طريقين: الأول، الحرب مع سادتهم، والثانى، الانتقاض على الملاك والحكومة. واتخذت ثورات الفلاحين فى بعض الأحيان شكلا خطيرا تحول إلى حروب أهلية دامية، كما حدث فى حروب ١٦٠٦ ـ ١٦١٧، ١٦٧٠ - ١٦٧١، ١٧٠٧ ـ ١٧٠٨م، وامتاز زعماء هذه الثورات بالبطولة النادرة، وبلغ عدد الاضطرابات التى قام بها الفلاحون فى الفترة من ١٨٤٥ ـ ١٨٦٠م وحدها حوالى الأربعمائة.

وقد ترتب على هذا الوضع الاجتماعى أن أصبحت روسيا مركزا للجمعيات السرية، وموطنا هائلا للحركات الثورية. كما أن حالة الفلاحين عموما، والأرقاء خصوصا، أثارت عطف المصلحين والمفكرين وكان لها تأثيرها فى الأدب الروسى فى كتابات جوجول Gogol وبوشكين Pushkin وتشيكوف Chekhov وتولستوى Tolostoy وجوركى Gorky.

وقبل عام ١٨٦١م كان عدد سكان روسيا الأوروبية ٦٠ مليون نسمة، خمسون مليونا منهم فلاحون. وكان أكثر من عشرين مليونا منهم أرقاء للنبلاء وملاك الأرض، وما يقرب من العشرين مليونا الآخرين فلاحون لدى الدولة لا تختلف حالتهم كثيرا عن حالة الأرقاء.

وإزاء الثورات المتوالية، وصيحات المصلحين السياسيين، صدر قانون تحرير الأرقاء عام ١٨٦١، فكان بداية تحول روسيا إلى دولة حديثة، وأحدث ثورة اقتصادية واجتماعية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فقد استطاع الفلاحون بعد صدور قانون التحرير شراء كثير من أراضى النبلاء والملاك واستئجارها، واستطاعوا بمرور الزمن التخلص من بقايا عهد الاسترقاق، ونشأت تبعا لذلك طبقة كبيرة من الملاك الصغار والمتوسطين والكولاك Kulaks (الأثرياء). وقد بلغت نسبة ما يملكه الأخيرون، وعددهم نصف مليون، نصف مجموع الأراضى الزراعية. وأصبح فى روسيا عام ١٩٠٣م حوالى العشرة ملايين أسرة تشتغل بالزراعة، وغدا الفلاحون أحراراً فى التنقل، فسهل من ثم على الصناعة الحصول على حاجتها من العمال (قانون ربط الفلاحين بالأرض يمنع المصانع من الحصول على العمال).

ويمكن رسم صورة إجمالية للحالة الاجتماعية فى روسيا قبل الثورة كانعكاس للحالة الاقتصادية فيها، على النحو التالى:

كان الاقتصاد الروسى فى الغالبية الساحقة اقتصادا زراعيا، وبالتالى فقد كان خمسة أسداس السكان يعملون فى الأعمال الزراعية. وكانت الفوارق الاقتصادية والاجتماعية عظيمة فى قطاع الزراعة بسبب استيلاء نسبة صغيرة من كبار الملاك لا يتجاوز عددهم $\frac{1}{2}$ مليون على $\frac{1}{2}$ مجموع الأراضى الزراعية، ووجود ملايين عظيمة تعيش عند حد الكفاف فى حالة شبه قنية.

وفى الوقت نفسه، كان تقدم الصناعة فى روسيا قد أسفر عن تزايد العمال بصورة مضطردة، فقد قفز عدد العمال فى روسيا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأوروبية من ٧٠٠ ألف فى عام ١٨٦١م إلى ٠٠٠ر٤٠٠ر١ فى عام ١٨٩٠م إلى ٠٠٠ر٨٠٠ر٢ عام ١٩٠٠م. ولكن الأحوال التى كانوا يعملون فيها كانت أحوالا سيئة جداً، إذ تراوحت ساعات العمل بين ١٢ ـ ١٥ ساعة، واستخدمت النساء والأطفال على نطاق واسع، وكان العمال يتقاضون أجورا منخفضة جداً، ولم تصدر الدولة قوانين ولوائح لحمايتهم وتأمين مستقبلهم.

فى هذه الظروف كان من الطبيعى أن تفرخ الاضطرابات، فبدأ العمال فى تكوين نقابات تضم شملهم، وتطالب بحقهم فى الراحة وزيادة الأجور والخدمات الاجتماعية. وبرزت إلى الوجود حركات الاضراب والاعتصام بعد عام ١٩٠٠م، واستطاعت نقابات العمال فى الفترة من ١٩٠٠ – ١٩١٤م الحصول بالتدريج على بعض المطالب، مثل إدخال نظام التأمين ضد الحوادث، والرعاية الطبية، وزيادة الأجور بنسبة ٥٠٪.

وقد لعبت الجماعات الماركسية التى تألفت فى ذلك الحين مع تسرب أفكار غرب أوروبا إلى روسيا، دورا كبيرا فى نضال هؤلاء العمال ضد أصحاب الأعمال الرأسماليين، وفيما بعد فى الانتقال بروسيا من النظام الرأسمالى إلى النظام الإشتراكى بثورة أكتوبر ١٩١٧م، مما يستوجب منا دراسة الحركة الماركسية فى روسيا قبل الثورة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٤ ـ الحركات الثورية الروسية :

شهد تاريخ روسيا فى الثلث الأخير من القرن التاسع عشر ثلاث حركات ثورية رئيسية تحمل كل منها فلسفة ثورية معينة.

الحركة الأولى : هى حركة «الشعبيين» ومنظمتهم «الأرض والحرية» Zemlya i Volya وكانت النظرية الثورية للشعبيين تقوم على أن الرأسمالية لن تتطور فى روسيا كما تطورت فى أوروبا الغربية، وأن روسيا تسير فى طريق خاص يميزها عن البلدان الأخرى، ومن ثم اعتبروا أن الفلاحين، وليس العمال، هم الطبقة الثورية الأساسية، وكانوا يحلمون بالانتقال إلى الاشتراكية عن طريق المشاعة (أو الشيوعية)، وآمنوا بثورة الفلاحين دون ثورة البروليتاريا، وكان المثقفون الثوريون يذهبون للقرية. أو كانوا يقولون آنذاك: إلى الشعب، لاستنهاض همم الفلاحين ضد الحكم المطلق. ومن هنا سموا بالشعبيين.

وقد انقسمت منظمة «الأرض والحرية» إلى منظمتين هما:

الأولى : منظمة التقسيم الأسود، وتتألف من الشعبيين الثابتين على مبادئهم.

الثانية : منظمة سرية اسمها «نارودنايا ڤوليا» Narodnaya Volya، وتعنى إرادة الشعب، وألفها الشعبيون الإرهابيون الذين رأوا الالتجاء إلى الإرهاب الفردى والاغتيالات لممثلى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

السلطة على أمل إجبار القيصرية على تغيير سياستها. وبطبيعة الحال كانت الفكرة خاطئة من جانبهم لأن الاغتيالات الفردية لا تغير نظام الحكم، وإنما يتغير نظام الحكم بتغير البناء التحتى.

وقد قامت هذه المنظمة بخمس محاولات فاشلة لاغتيال القيصر «الإسكندر الثانى Alexander II» . وفى عام ١٨٨١م تمكنت من اغتياله، فتعرضت لمطاردات الحكومة القيصرية المستمرة وأحكام الإعدام، حتى سحقت هذه المنظمة سحقا تاما ـ وبعدها تخلى الشعبيون عن النضال الثورى وأصبح «الصف» الثانى منهم يتزلف للحكم المطلق، وأصبحوا يسمون بالشعبيين الليبراليين.

أما الحركة الثورية الثانية فهى الحركة الماركسية، وقد قامت على يد «بليخانوف Plekhanov»، الذى كان عضوا فى منظمة التقسيم الأسود، ثم انشق عليها فى أواخر السبعينات بسبب الخلاف حول قضية الإرهاب الفردى، وألف عام ١٨٨٣م أول جماعة ماركسية فى سويسرا تحت اسم جماعة «تحرير العمل» The Emancipation of labour.

وكانت نظريته وزملائه، وعلى رأسهم «أكسلرود Axelrod» ، تقوم على تطبيق الفكرة الماركسية، التى تذهب إلى أنه لايمكن قيام الثورة الاشتراكية إلا على يد «البروليتاريا» الصناعية بعد تطور الرأسمالية فى روسيا. وكانت ظروف التوسع الرأسمالى فى روسيا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبداية الاضطرابات الصناعية مما يعطى أساسا واقعيا لبرنامجهم. وقد ترجم أفراد هذه الجماعة مؤلفات «ماركس» Marx و «إنجلز» Engels للروسية وأرسلوها إلى روسيا.

وفى التسعينيات بدأت تظهر فى روسيا ذاتها جماعات ماركسية، أولا فى بطرسبرج St. Petersburg (لينينجراد)، ثم فى المدن الكبيرة الأخرى. وفى خلال عشر سنوات كان عدد هذه الجماعات أكثر من عشر جماعات ماركسية، وكانوا يطلقون على أنفسهم اسم «الاشتراكيين الديمقراطيين»Social - Democratic groups.

وكانت هذه الجماعات تكتفى بترويج أفكار الاشتراكية العلمية بين العمال الطليعيين وبين المثقفين، ولكنها لم تقم بعمل سياسى بين الجماهير، فظلت على هذا النحو مجرد تيار فكرى غير مرتبط بالحركة العمالية، وقائم على الطبقة المثقفة والطليعة العمالية المثقفة، فضلا عن ذلك فانها كانت جماعات مفككة لا رابط بينها.

وبذلك كانت الحاجة ماسة إلى «حزب» يجمع بين مذهب الإشتراكية العلمية والحركة العمالية من جانب، ويوحد الجماعات المتفرقة على أساس من المركزية والانضباط الحزبى من جانب آخر.

وقد تم ذلك على يد «فلاديمير ايلتش أوليانوف» Vladimir Il-yich Ulynov المعروف باسم «لينين» (١٨٧٠ ـ ١٩٢٤م).

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولد «لينين» يوم ١٠ أبريل عام ١٨٧٠م فى عائلة بورجوازية صغيرة. فقد كان ابنا لموظف حكومى صغير، وقد تشرب هو وأخوه الأكبر بالأفكار الثورية، وحين بلغ «السابعة عشرة» أعدم شقيقه الأكبر لاشتراكه فى مؤامرة اغتيال الإسكندر الثانى، ودخل أوليانوف جامعة «كازان» Kazan حيث اعتنق الماركسية، وطرد منها لنشاطه الثورى، ثم نفى إلى إحدى القرى.

وحين عاد من نفيه، التحق بإحدى الجماعات الماركسية، وأخذ يتعلم أن النظام الاجتماعى الذى يحيا فيه الرأسماليون على حساب الكادحين لا يبقى إلى الأبد، وأنه للتخلص من النير الرأسمالى لابد من قوة اجتماعية قادرة على إسقاطه وبناء مجتمع جديد اشتراكى، وهذه القوة هى «البروليتاريا Proletaria» (الطبقة العاملة). كما تعلم أنه لتحقيق ذلك لابد أن يكون هناك «حزب ثورى» «للبروليتاريا». يرأس نضالها من أجل الاشتراكية ويدلها على هدفها الصحيح.

وفى سنة ١٨٩١م حصل لينين من كلية الحقوق جامعة بطرسبورج على شهادتها، وأخذ يمارس المحاماه فى محكمة سمارا Samara. وفى سنة ١٨٩٣م سافر «لينين» إلى بطرسبرج Petersburg عاصمة روسيا، وأصبح زعيما للجماعات الماركسية فيها. وفى ربيع سنة ١٨٩٥م سافر إلى سويسرا مندوباً عن ماركسيى بطرسبرج للاتصال بجماعة تحرير العمل، واتفق مع بليخانوف وأكسلرود على إصدار مجموعة مقالات مشتركة باسم «العامل».

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وعاد إلى بطرسبرج فى سبتمبر «١٨٩٥» ليوحد الحلقات الماركسية فى منظمة سياسية واحدة أطلق عليها اسم «إتحاد النضال لتحرير الطبقة العاملة»، "The League of Struggle for the Emancipation of the working Class". وبذلك أصبح هناك لأول مرة فى روسيا منظمة تجمع بين أفكار الماركسية والحركة العمالية، ولكنها كانت على مستوى بطرسبرج وحدها.

وقد قاد هذا الاتحاد إضراب عمال نسيج بطرسبرج الشهير فى صيف ١٨٩٦م، مما جعل الحكومة القيصرية تتتبع نشاط هذا الاتحاد، وتنزل به ضربة شديدة عن طريق اعتقال أعضائه، وعلى رأسهم «لينين».

وقد ظل لينين سجينا فى سجن بطرسبرج «١٤» شهراً، ثم نفى إلى سيبريا Siberia فى فبراير ١٨٩٧م حيث قضى هناك ثلاث سنوات حتى يناير سنة ١٩٠٠م.

ويمكن تقسيم نشاط «لينين» الثورى إلى عدة مراحل هى :

١ ـ المرحلة الأولى : «نفيه من ١٨٩٧ ـ ١٩٠٠م».

٢ ـ المرحلة الثانية : «هجرته الأولى من ١٩٠٠ ـ ١٩٠٥م».

٣ ـ المرحلة الثالثة : «هجرته الثانية من ١٩٠٧ ـ ١٩١٧م».

٤ ـ المرحلة الرابعة : «قيادته لثورة سنة ١٩١٧م».

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* تتميز فترة نفى «لينين» الأولى بثلاثة معالم هى:

المعلم الأول : صدور كتابه «تطور الرأسمالية فى روسيا»، الذى يعتبر تتمة مباشرة لكتاب ماركس «رأس المال».

المعلم الثانى : هو نضاله ضد ما أطلق عليه اسم «النضال الاقتصادى» للإشتراكية الديمقراطية، وهم الماركسيون» الذين رأوا التخلى عن فكرة «النضال السياسى» للعمال، للوصول إلى الحكم، والإكتفاء بالنضال الإقتصادى لزيادة الأجور وتخفيض ساعات العمل وتحسين ظروفه.

المعلم الثالث : هو تأليف حزب العمال الاشتراكى الديمقراطى الروسى "The Russian Social - Democratic Labour Party" من ١ - ٣ مارس ١٨٩٨م. وقد عقد أول مؤتمر يمثل المنظمات الماركسية فى بطرسبرج وكييف Kiev وموسكو Moscow وغيرها فى مدينة «مينسك» Minsk من ١ ـ ٣ مارس ١٨٩٨م. ثم صفى على يد الحكومة سريعاً.

ـ أما المرحلة الثانية، فهى هجرته الأولى من ١٩٠٠ : ١٩٠٥:

وتتميز بإصدار جريدة «إسكرا Iskra» أى الشرارة التى صدرت فى «ميونخ» وكان يتم توزيعها فى روسيا سراً، وكتابة «لينين» مقالات بإسمه المستعار وهو «لينين» (نسبة إلى نهر «لينا» السيبيرى). فى حين كان «بليخانوف» يعرف باسم «فولجين» نسبة إلى نهر «فولجا Volga». وتتميز أيضاً بصدور كتابه «ما العمل؟»، الذى وضع فيه نظرية «الحزب الثورى» للطبقة العاملة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كما تتميز بافتتاح «المؤتمر الثانى لحزب العمال الاشتراكى الديمقراطى الروسى» فى «بروكسل» فى يوليو ١٩٠٣م، وهو أهم المؤتمرات، إذ انقسم فيه الاشتراكيون الديمقراطيون إلى بلاشفة Bolsheviks (أغلبية) ومناشفة Mensheviks (أقلية). وقد استأنفت جلسات هذا المؤتمر فى «لندن» بسبب مضايقات البوليس البلجيكى، ونوقش فيه برنامج الحزب الثورى الذى أعدته هيئة تحرير اسكرا، وهو أول برنامج حزبى فى العالم اعتبر النضال من أجل ديكتاتورية البروليتاريا مهمة أساسية للحزب البروليتارى. وتتضمن نظرية «لينين» فيه تحالف الطبقة العاملة مع الفلاحين.

وقد أقر المؤتمر هذا البرنامج بأكثرية الأصوات. على أن الخلاف وقع عند مناقشة التنظيم الداخلى للحزب، فقد وضع لينين صيغة قصد بها إقامة الصعاب فى وجه إنضمام العناصر غير البروليتارية للحزب، وإنشاء حزب منظم موحد يسوده الانضباط الحزبى. وكانت هذه الصيغة تشترط لعضوية الحزب أن يعترف العضو ببرنامج الحزب، ويدفع اشتراكات العضوية، ويكون منتسباً لإحدى منظمات الحزب، ومشتركاً فى عمل الحزب.

على أن غالبية المؤتمر أقرت اقتراحاً آخر «لمارتوف» Martov يقضى بالاكتفاء فى شروط العضوية بالاعتراف ببرنامج الحزب، ودفع الاشتراك، دون الالتزام بالانتساب لمنظمة من منظمات الحزب، ودون الخضوع للانضباط الحزبى. وكان هدف هذا الاقتراح فتح

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أبواب الحزب أمام أكبر عدد. ولكن «لينين» رأى أن هذا الاقتراح يجعل الحزب مائعا، ويفتح الحزب أمام العناصر البورجوازية والمترددة وغير الثابتة، وأنه ليس بوسع العمال أن ينتصروا على أعدائهم الأقوياء بحزب مبنى على هذه الأسس.

على أنه عند انتخاب اللجنة المركزية لهيئة تحرير «إسكرا»، التى اعُترف بها كجريدة رسمية للحزب الماركسى، تغيرت نسبة الأصوات لصالح «لينين» وأنصاره، ولذلك سموا بالبلاشفة أو «بلشفيك»، وهى كلمة مشتقة من الكلمة الروسية «بولشينستفو» ومعناها الأكثرية، وأطلق على المعارضين اسم، المناشفة، أو «منشفيك»، المشتقة من الكلمة «مينشينستفو» أى الأقلية.

وعلى هذا النحو فإن أهمية «المؤتمر الثانى لحزب العمال الاشتراكى الديمقراطى الروسى» تتمثل فى أنه أنشأ حزباً بروليتاريا من طراز جديد، هو «الحزب البلشفى اللينينى».

وبعد عامين من هذا المؤتمر الثانى لحزب العمال الاشتراكى الديمقراطى الروسى»، أو عام ونصف، قامت ثورة ١٩٠٥م فى روسيا. ففى يوم ٩ يناير سنة ١٩٠٥ أطلق البوليس بأمر القيصر النار على العمال الذين ساروا إليه فى سلام مع زوجاتهم وأولادهم ليشرحوا له مطالبهم. وقد أثار هذا الاعتداء الشعب، فلم يأت المساء حتى كانت المتاريس تقام فى الأحياء العمالية بالمدينة، ورفعت شعارات «الموت أو الحرية».

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد أدرك «لينين» أن الثورة سوف تتصاعد حتماً، فأراد الاستعداد لها عن طريق عقد مؤتمر للحزب يحدد تكتيك النضال. وفى أبريل ١٩٠٥م عقد المؤتمر فى لندن بالفعل، وكان أول مؤتمر للبلاشفة، لأن المناشفة رفضوا حضوره، وعقدوا لأنفسهم مؤتمرا آخر فى «جنيف».

وقد ناقش المؤتمر البلشفى المسائل الجذرية للثورة الصاعدة، وأعد قرارات أساسية عن الانتفاضة المسلحة، والحكومة الثورية المؤقتة، والموقف من الحركة الفلاحية. واعتبر الحزب الانتفاضة المسلحة هى مهمته الرئيسية والعاجلة، وكلف جميع منظمات الحزب بتسليح البروليتاريا، ووضع خطة الثورة المسلحة، وقيادتها قيادة مباشرة، وأقر الصيغة اللينينية الخاصة بعضوية الحزب.

ولم تلبث أن أخذت الثورة تتصاعد فى ربيع وصيف سنة ١٩٠٥م، حيث حدثت اضطرابات كثيرة فى المراكز الصناعية. وفى الوقت نفسه تصاعدت الموجة الفلاحية، ووقف الجيش أداة القيصرية متردداً.

وفى يونية ١٩٠٥م ثار بحارة البارجة «بوتمكين» Potemkin فى أسطول البحر الأسود. وفى الخريف بلغت الحركة الثورية مداها، وتوقفت عن العمل المصانع والبريد والبرق، وأخمدت كل حياة فى البلد، وظهرت لأول مرة فى التاريخ منظمات سياسية جماهيرية هى «سوفيتات Soviets العمال»، وقد قدرها «لينين» تقديرا عظيماً، ووصفها بأنها مراكز للانتفاضة المسلحة، وجنينا للحكم الشعبى.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولم تملك الحكومة القيصرية، وقد أرعتبها الحركة، إلا تقديم تنازلات فى ١٧ أكتوبر ١٩٠٥م فأصدر القيصر بيانا وعد فيه الشعب بالحريات الفرددية: حرية الكلام، وحرية الصحافة، وحرية الاجتماعات، وغيرها من الحريات المدنية.

وفى ذلك الحين وقع الخلاف فى وجهات النظر بين البلاشفة والمناشفة فى تقدير الثورة وقواها المحركة، وفى النظر إلى مهام الطبقة العاملة والحزب، وتحديد تكتيكهم.

فقد رأى «لينين» والبلاشفة أن الثورة التى بدأت فى روسيا هى ثورة بورجوازية ديمقراطية، مهمتها القضاء على بقايا القنية، وإسقاط القيصرية، ونيل الحريات الديمقراطية.

ومعنى ذلك أنها ليست ثورة بروليتارية هدفها إقامة ديكتاتورية البروليتاريا، وإنما للبروليتاريا مصلحة أساسية فى نجاحها، لأن انتصار البرجوازية التام يقرب نضال البروليتاريا من أجل الاشتراكية، وبالتالى تصبح هى القوة الرئيسية المحركة للثورة وقادتها. وتصبح مهمتها إقامة الديكتاتورية الثورية الديمقراطية، أى حكم البروليتاريا والفلاحين معاً، وتكون هيئتها هى الحكومة الثورية المؤقتة التى تقوم بتحويل الثورة الديمقراطية إلى الاشتراكية فى الوقت المناسب.

وأهمية هذه النظرية أنها تعتبر النظرية الأولى فى تاريخ الماركسية التى تبين خصائص «الثورة البرجوازية الديمقراطية» فى عصر الإمبريالية، وقواها المحركة وآفاقها.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أما المناشفة فكانوا يرون أنه مادامت الثورة برجوازية فقيادتها يجب أن تكون برجوازية. أما مهمة الطبقة العاملة فتقتصر على دعمها فقط. وكان المنشفيك يعارضون تحالف البروليتاريا مع الفلاحين، لأنهم لم يكونوا يثقون بقدرة الفلاحين الثورية، وكانوا يرون أن الثورة الاشتراكية لن تقوم إلا عندما تصبح البروليتاريا هى الأكثرية بين سكان البلد.

كذلك وقع الخلاف حول وسيلة الثورة. فبينما اعترض المنشفيك على الانتفاضة المسلحة، رأى لينين أن الانتفاضة المسلحة هى الوسيلة الحاسمة للقضاء على الحكم القيصرى المطلق. ولذلك حين وقعت الاضطرابات الأولى، انتقد لجنة بطرسبرج النضالية التى نظمت لإعداد الانتفاضة، لتقاعسها وترددها، ورسم خطة محددة لعملها قائلاً : «اتصلوا بالشباب، وأنشئوا على الفور فرقا قتالية من الطلبة والعمال، وليتسلح كل منهم بقدر ما يستطيع. وعلى الفصائل أن تشرع حالاً فى التدريبات الحربية».

وفى الوقت نفسه اتخذ «لينين» التدابير النشطة لشراء الأسلحة من الخارج لإرسالها إلى روسيا. وعندما ثار بحارة البارجة «بوتمكين» Potemkin أرسل إلى روسيا مندوبا عنه لمساعدة ثوار البارجة بالارشادات الثورية.

وفى ذلك الحين تألف «الحزب الدستورى الديمقراطى «الكاديت» فى أكتوبر سنة ١٩٠٥م، من البرجوازيين والملاك العقاريين والمثقفين البورجوازيين. وقد نادى بإنشاء ملكية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

دستورية، معارضاً بذلك شعار الجمهورية، ودافع عن ملكية الملاك والإقطاعيين للأرض، واستصوب قمع القيصرية للحركة الثورية. وقد هاجمهم «لينين» فى كتابه : «انتصار الكاديت ومهام حزب العمال»، وفضح تواطؤهم مع القيصرية، وسماهم: «ديدان قبور الثورة»!

وفى الفترة التالية عقد مؤتمران لحزب العمال الاشتراكى الديمقراطى الروسى:

أولهما: المؤتمر الرابع التوحيدى لحزب العمال الاشتراكى الروسى الديمقراطى، فى استكهولم.

الثانى: المؤتمر الخامس، الذى عقد فى أواخر ابريل سنة ١٩٠٧م.

وفى بداية يونيه ١٩٠٧م عاد «لينين» من لندن إلى روسيا، وأقام فى فنلندة (وهى جزء من الإمبراطورية القيصرية). ولكن نظراً لأن جواسيس القيصر كانوا يتتبعونه حتى أصبح مقامه فى خطر، فقد قرر المركز البلشفى سفر لينين للخارج مرة أخرى.

وقد كانت هذه هى الهجرة الثانية من ١٩٠٧ - ١٩١٧م، وتمثل المرحلة الثالثة من مراحل نضاله.

وفى تلك الأثناء عادت القيصرية إلى السيطرة من جديد، وأرسلت عشرات الآلاف من المناضلين إلى الأشغال الشاقة، وأعدمت الألوف، وسحقت منظمات الحزب حتى اضطرت للعمل فى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الخفاء الشديد. وتراجع المناشفة فى ذعر وخوف، فرأوا تصفية منظمات الحزب والتوقف عن العمل الثورى. ولذلك سماهم «لينين» «بالمصفين» Liquidators، وكانوا يأملون فى الحصول من السلطة على حزب عمالى علناً.

أما البلاشفة، فقد سقط بعضهم فى تذبذبات خطيرة، وحاولوا صرف الحزب عن العمل فى المنظمات العلنية، واقترحوا سحب الكتلة الإشتراكية الديمقراطية من مجلس الدوما. ولذلك سموا بالسحبيين Otzovists – وقد وقف «لينين» فى وجه ذلك كله، فقد هاجم المنشفيك المصفين، متمسكا بوجود الحزب السرى، كما هاجم البلاشفة السحبيين قائلا: «إن التخلى عن العمل العلنى يؤدى بالحزب إلى الانعزال عن الجماهير، ويحوله إلى منظمة منغلقة على نفسها، عاجزة عن أى عمل ثورى جديد». وأطلق على السحبيين اسم «المصفين المقلوبين».

وفى سنة ١٩١٠م بدأ انتعاش الحركة العمالية من جديد فى روسيا، وجرت فى الصيف والخريف فى مصانع بطرسبرج وموسكو وغيرهما إضرابات ومؤتمرات شعبية وغير ذلك من ألوان النضال السياسى، وفى السنين التالية ظلت الحركة الثورية على تصاعدها. وفى خريف سنة ١٩١٢م جرت الانتخابات لمجلس الدوما الرابع، وكان من رأى «لينين» أن الاشتراك فى الحملة الانتخابية يساعد الحزب فى تقوية صلته بالجماهير، وتنشطة المنظمات الحزبية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتقدم البلاشفة بثلاث مطالب رئيسية، هى: (١) جمهورية ديمقراطية، (٢) ثمانى ساعات عمل فى اليوم. (٣) مصادرة أملاك الإقطاعيين.

وقد نجح البلاشفة فى جميع المناطق الأساسية الست التى يتركز فيها أربعة أخماس البروليتاريا الروسية. وكانت الكتلة الاشتراكية الديمقراطية فى مجلس الدوما ـ تضم عدا البلاشفة الست ـ سبعة من المنشفيك انتخبوا عن المناطق غير الصناعية.

وكانت مسألة القوميات فى ذلك الحين ذات أهمية، نظراً لأن الدول البرجوازية، فى إعدادها للحرب العالمية، كانت تؤجج العداء القومى، وتسعى لشق الطبقات العاملة. وطرح «لينين» أمام البلاشفة مهمة الذود عن وحدة الحركة العمالية التى هى أساس قوتها. وكان من المهم للغاية فى روسيا، المتعددة القوميات، صهر نضال البروليتاريا الروسية الطبقى. وفى مقالين تحت عنوان : «ملاحظات انتقادية حول المسألة القومية»، و«حق الأمم فى تقرير مصيرها»، طور «لينين» ودعم بالحجج البرنامج الماركسى فى مسألة القوميات وسياسة الحزب البلشفى تجاه القوميات».

وكانت مطالب الحزب الأساسية فى مسألة القوميات هى: المساواة التامة فى الحقوق بين الشعوب، وحق الأمم فى تقرير مصيرها بنفسها ـ أى الحق فى الانفصال وتكوين دولة – والاتحاد المتين بين جميع عمال الدويلات والقوميات فى منظمات بروليتارية موحدة. وقد انتقد لينين القوميين الأوكرانيين قائلاً: «إن أوكرانيا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الحـرة ممكنة بشـرط أن يتـوحـد نضـال البـروليتـاريا الروسـيـة والأوكـرانيـة، وبدون هـذه الوحـدة لايمكن الحـديث عن مـثل هذه الحرية».

وفى النصف الأول من سنة ١٩١٤م كانت الحركة الثورية تزداد اتساعاً، وكانت الإضطرابات الاقتصادية تمتزج مع الإضطرابات السيـاسـية، وتسير البلاد نحو ثورة جديدة، حين نشبت الحرب العالمية الإمبريالية الأولى.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(ثانياً) ثـــورة فبرايـــر ١٩١٧م

بدأت الحرب الإمبريالية فى صيف ١٩١٤م، وتصارعت فيها مجموعتان كبيرتان من الدول الإمبرالية: ألمانيا والنمسا والمجر من جانب، وبريطانيا وفرنسا وروسيا من جانب آخر، ثم دخلت الحرب فيما بعد الولايات المتحدة الأمريكية واليابان وغيرهما من الدول، وأصبحت الحرب عالمية، وكانت نكبة فظيعة على الشعوب ألقى عبؤها على عاتق الكادحين.

وقد اختلف رأى الأحزاب الروسية تجاه الحرب. فقد أيدها الديمقراطيون الدستوريون (الكاديت) وعلى رأسهم ميليوكوف Miliukov. وأما المناشفة فقد اختلفوا فيها، فقد انحازت جماعة منهم على رأسها «بليخانوف»، عميد الاشتراكيين الديمقراطيين فى روسيا، إلى جانب الحلفاء، فى حين اتخذت جماعة أخرى على رأسها «مارتوف» موقفا «أمميا»، واعتبرت جميع الدول المتحاربة مذنبة فى جرم امبريالى مشترك.

وكان انحياز «بليخانوف» إلى قضية الحلفاء ضربة قاسية للاشتراكيين الروس، لأنه كان الرائد الكبير العجوز للماركسية الروسية، وكان موضع احترام كبير من منظرى الاشتراكية البارزين، بالإضافة إلى أنه كان «الديمقراطى الاشتراكى» الروسى الذى حظى بأكبر احترام فى «الدولية الثانية»، The Second Inter-

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

national (١٨٨٩ ـ ١٩١٤م) وكانت له أوثق الاتصالات بالاشتراكية الألمانية، وكان له – بوصفه معلم «لينين» السابق، وأبرز زملائه فى السنوات الأولى من فترة «إسكرا» ـ نفوذ كبير فى الدوائر البلشفية والمنشفية على السواء، وبخاصة بين أولئك الذين كانوا لايزالون يأملون فى رأب صدع الحزب الاشتراكى الديمقراطى.

أما البلاشفة، فقد بقوا دون تحول تحت قيادة «لينين»، واتخذوا موقفا مناهضا للحرب، أطلق عليه اسم «الانهزامية الثورية».

وكان «لينين» قد نبه أكثر من مرة إلى استعداد الرأسماليين للحرب، ودعا إلى النضال ضدها. وصيغ فى المؤتمرين الاشتراكيين العالميين، فى شتوتجارت Stuttgart (١٩٠٧م) وبال Basle (١٩١٢م)، تاكتيك «الاشتراكية الديمقراطية» تجاه الحرب، وتعهد زعماء الأحزاب الاشتراكية الأوروبية الغربية بالنضال ضد الحرب، وبأن يستنهضوا شعوبهم فى حال نشوب الحرب، لإسقاط الرأسمالية.

ولكن عندما بدأت الحرب، خان زعماء هذه الأحزاب مصالح البروليتاريا، ووقفوا جهارا إلى جانب الحكومات البورجوازية الحاكمة فى بلادهم، وأخذوا يقومون بدعاية شوڤينية (قومية متعصبة) تزعم أن النضال من أجل الاشتراكية والتضامن الطبقى بين عمال العالم قاصر على زمن السلم، أما فى ظروف الحرب فعلى البروليتاريين أن ينسو صراعاتهم مع الحكومات البورجوازية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى بلادهم، ويخضعوا كل شىء لمطالب الحرب، وأصبح الاشتراكيون الآخذون بمثل هذه الآراء يسمون بالاشتراكيين الشوڤينيين. وفى فرنسا وبريطانيا وبلجيكا اشترك الاشتراكيون فى الحكومة، وفى ألمانيا صوتوا لاعتماد الأموال من أجل الحرب. وقد وقف قسم آخر من الاشتراكيين، على رأسهم كاوتسكى Kautsky فى ألمانيا، وتروتسكى Trotsky فى روسيا، موقفا وسطيا، فأعلنوا عدم اتفاقهم مع الشوفينيين أو خصومهم، ولذلك سموا بالوسطيين.

فى تلك اللحظات التاريخية رفع لينين والبلاشفة شعار «إعلان الحرب على الحرب»! وقابل نداءات «الدفاع عن الوطن» بنداء مضاد هو: «تحويل الحرب الإمبريالية إلى حرب أهلية»، تشنها الطبقة العاملة فى كل البلاد ضد الطبقة البورجوازية فيها، على أساس أن الطبقة العاملة إنما هى وقود الحرب فى هذه البلاد ويجب عدم توجيه السلاح ضدها.

وكان رأى لينين أن الحروب إما أن تكون عادلة، وإما أن تكون غير عادلة، أما الحروب غير العادلة فهى الحروب العدوانية الإمبريالية التى تقوم بها البورجوازية بغرض التوسع ونهب واستبعاد الشعوب الأخرى. أما الحروب العادلة فهى حروب الشعوب الدفاعية ضد الغاصبين الإمبرياليين، وحروب التحرير الوطنى، وحروب البروليتاريا من أجل التحرر من النير الرأسمالى، وحروب الدفاع عن الدول الاشتراكية فى وجه هجمات الإمبريالية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لذلك ناضل حزب البلاشفة نضالا حازما ضد الحرب، وقام النواب البلاشفة فى مجلس الدوما بعمل ثورى بين العمال، محاولين جمع صفوفهم والنضال ضد القيصرية والبورجوازية.

وكان من الطبيعى أن توجه القيصرية الضربات للبلاشفة. فقد نفى النواب البلاشفة فى مجلس الدوما إلى سيبريا لعملهم الثورى، وتعرضت اللجنة المركزية ولجنة بطرسبرج، التى تغير اسمها الى «لجنة بتروجراد Petrograd بعد تغيير اسم المدينة فى أغسطس ١٩١٤م. وكذلك الكثير من المنظمات الحزبية الأخرى لمداهمات البوليس.

على أن الهزيمة التى منيت بها الجيوش الأوروبية فى ميادين الحرب، والخراب والمجاعة، وتعفن العنصرية وعجزها عن حكم البلاد، واشتداد الاستياء من سياسة القيصرية بين جميع فئات السكان، كل ذلك لم يلبث أن فجر الثورة.

ففى ١٤ فبراير ١٩١٧م أضرب ٦٠ مصنعا كبيرا فى بتروجراد تلبية لنداء وجهه حزب البلاشفة، وقد اشترك فى هذا الاضراب ٢٠٠ ألف عامل. وتحول الإضراب إلى مظاهرة ضخمة، ونزل العمال إلى شوارع العاصمة هاتفين بسقوط الحكم المطلق، ومطالبين بالخبز. وأصدرت اللجنة المركزية بيانا دعا إلى الاشتراك فى النضال ضد الحكم المطلق القيصرى، والعمل لتشكيل حكومة ثورية مؤقتة، وإقامة جمهورية ديموقراطية، وتحديد يوم العمل بثمانى ساعات، ومصادرة أراضى الإقطاعيين، وإنهاء الحرب.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وحاولت الحكومة القيصرية، بمساعدة القوات العسكرية، قمع الثورة، ولكنها عجزت عن ذلك، فقد كان الجنود ينضمون إلى العمال الثائرين ويناضلون ضد القيصرية. وأخذت فرق بتروجراد الواحدة وراء الأخرى ترفض إطاعة الأوامر بتفريق المظاهرات، وأعلنت التمرد، وسلم الكثير منهم سلاحه إلى العمال.

وفى هذه اللحظة أصدر نيقولا الثانى Nicholas II قيصر روسيا أمره فى يوم ٢٧ فبراير ١٩١٧م بتعطيل مجلس الدوما. وقد قبل النواب هذا الأمر، ولكنهم قرروا عقد اجتماع خاص على الفور فى مقر المجلس (قصر توريدا)، واتخذوا قرارا يوم ٢٨ فبراير ١٩١٧م بتشكيل لجنة مؤقتة لأعضاء مجلس الدوما تضم ١٠ أفراد «مهمتها إعادة النظام إلى «بتروجراد» وإقامة العلاقات مع الإدارات والشخصيات.

وهكذا ولدت «اللجنة المؤقتة لمجلس الدوما "The Duma Provisional Committee" برئاسة رودزيانكو Rodzyanko رئيس مجلس الدوما، وفيها عضوان من «الكاديت»، وعضوان من «الأوكتوبريين»، وواحد من المناشفة، وواحد من التروبفيكيين – أى الاشتراكيين الشعبيين (كيرنسكى Kerensky) (انتقل كيرنسكى بعد ذلك إلى صفوف الاشتراكيين الثوريين Socialist - Revolutionaries بعد سقوط القيصرية)، بالإضافة إلى بعض التقدميين.

وفى نفس اليوم كان يقوم جهاز آخر للسلطة، شكلته القوى الثورية الجماهيرية، وهو «سوفيت بتروجراد لمثلى العمال» The Petrograd Soviet of Workers' Deputies.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فقد طلب الزعماء الثوريون، الذين خرجوا من السجن بعد أن حررتهم المظاهرات المسلحة، من عمال بتروجراد أن ينتخبوا ممثليهم لسوفيت بتروجراد. ووجهت الدعوات إلى المراكز العمالية الأساسية فى المدينة، وإلى الأفواج الثائرة. وفى الساعة المحددة من ذلك اليوم ٢٧ فبراير ١٩١٧م، حضر خمسون عاملا وعشرون جنديا كممثلين عن العمال والجنود إلى قصر توريدا Taurida الذى تعقد فيه جلسات الدوما، وجرت الانتخابات، وحصل المنشفيك والاشتراكيون الثوريون على الأغلبية، وترأسوا السوفيت، إذ تألف السوفيت من ١١ عضوا، منهم ٣ نواب من مجلس الدوما، وهم: كيرنسكى، والمنشفيان «تشخيدزة» Chkheidza و«سكوبليف» Scobelev (والأولان أعضاء فى اللجنة المؤقتة لمجلس الدوما) واثنان من البلشفيين وعضو مؤيد للبلاشفة، وثلاثة من الاشتراكيين الثوريين.

وهكذا نشأ ماعرف باسم: «ازدواجية السلطة»!

فسرعان مابدأ «سوڤيت بتروجراد» يستولى على مقاليد الأمور، ومارس عمله كسلطة حكومية، فأخذ على عاتقه مهمة تأمين التموين، كما تحمل المسئولية المالية بأن احتل بنك الإمبراطورية، واستولى على بيوت النقد ودوائر المال.

وفى نفس يوم ٢٨ فبراير قرر هذا «السوفيت» إنشاء «مليشيا» Militia عمالية، فى المصانع أصبحت فيما بعد جنين «الحرس

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأحمر»، وطلب إلى الشعب فى العاصمة الالتفاف حوله، وأن يشكلوا «سوفيتات» الأحياء، وأن يمسكوا بزمام الإدارة المحلية.

وفى اليوم التالى أول مارس ١٩١٧م قرر سوفيت بتروجراد بطلان قرارات «لجنة مجلس الدوما المؤقتة» العسكرية إذا تعارضت مع أوامر السوفيت! وأصدر أمره رقم (١) إلى حامية بتروجراد بأن تخضع فى مجال الأعمال السياسية إلى أوامر «سوفيت بتروجراد، وألا تنفذ أوامر «لجنة مجلس الدوما المؤقتة» العسكرية إلا إذا كانت لا تتناقض مع قرارات «سوفيت بتروجراد».

وقد أدى هذا الأمر إلى إخضاع كافة الوحدات العسكرية فى بتروجراد بكل سلاحها وعتادها إلى الإدارة السياسية «لسوفيت بتروجراد لممثلى العمال».

وقد تم إكمال هذا السوفيت بممثلين عن الجنود والعمال حتى بلغ عددهم ٣٩ عضوا، من بينهم ١١ بلشفيا ومؤيد للبلاشفة.

على أنه فى نفس اليوم (أول مارس) اجتمع «سوفيت بتروجراد» مع «اللجنة المؤقتة لمجلس الدوما». وطلب إليها استلام السلطة، وهى التى استولى عليها العمال والجنود!

ففى ذلك الحين كان الاشتراكيون الثوريون والمناشفة الذين يؤلفون غالبية سوفيت بتروجراد يعتبرون انتقال السلطة إلى أيدى البورجوازية أمراً طبيعيا، فقد كانوا يرون أن الظروف اللازمة للثورة الاشتراكية لم تتوافر فى روسيا، وبالتالى فلا ينبغى أن تكون

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

السلطة التى تحل محل القيصرية إلا سلطة بورجوازية، وإلا فإن الثورة تفشل وتضيع.

وكان الأساس الذى بنوا عليه هذا الرأى هو أنه طالما أن الثورة بورجوازية، فان على الاشتراكيين ألا يتورطوا فى استلام السلطة.

ولهذا السبب، ففى مساء أول مارس توجه مبعوثون من سوفيت بتروجراد، وهم: تشخيدزة Chkheidza وسكوبيليف Scobelev وآخرون إلى جلسة «اللجنة المؤقتة لمجلس الدوما» لتسليم السلطة إليهم، ولم يشترطوا أكثر من توفير الحرية للأحزاب اليسارية. وكان مما قالوه للجنة: «استلموا السلطة ولكن لا تقتلونا لتجعلوا منا أدوات للدعاية»!

ولم يكن زعماء البورجوازية يتوقعون مثل هذا التنازل، فقد كانت السلطة فى يد السوفيت بالفعل، حتى إن رئيس مجلس الدوما رد على الوفد: إن السلطة بين أيديكم وبوسعكم اعتقالنا جميعاً.

وقد فوجئ العمال والجنود، الذين منحوا ثقتهم للسوفيت، بأنفسهم ـ بصورة لم يتوقعوها ـ وقد تمت تصفيتهم من الناحية السياسية، وسلم «المناشفة» و«الاشتراكيون الثوريون» تفويضا كاملا بالثقة للبورجوازية وممثلى رأس المال الليبراليين، خوفا من أن يضطروا فيما بعد إلى تسليمها إلى المتطرفين من البلاشفة! وبهذا الشكل تشكلت مفارقة ثورة فبراير.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد أضيفت إلى هذه المفارقة الرئيسية مفارقة أخرى، هى أن الليبراليين فى «اللجنة المؤقتة لمجلس الدوما» كانوا ينوون بعد استلام السلطة من يد الاشتراكيين تسليمها للقيصرية!

فقد قامت خطة الليبراليين (ميليوكوف Milyukov) على إقصاء نيقولا الثانى، ولكن على أساس تسليم العرش لولى العهد الطفل تحت وصاية شقيق القيصر الأمير ميخائيل Michael، وكانت الحجة أن أسرة رومانوف Romanoff لن تصبح خطرا بعد الآن.

وقد توجه وفد من «لجنة الدوما المؤقتة» يتكون من جوتشكوف Guchkov زعيم الأكتوبريين، وشولجين Shulgin رئيس حزب الكاديت، إلى القيصر نيقولا الثانى، الذى وافق على التنازل عن العرش، يوم ٢ مارس ١٩١٧م، ولكن لا لابنه وإنما إلى أخيه الأمير ميخائيل.

وقد تألفت على الفور «حكومة مؤقتة» Provisional Government برئاسة الأمير لفوف Lvov تمثل ائتلاف الأحزاب البورجوازية المعتدلة. وتولى وزارة الخارجية فى ٢ مارس ١٩١٧م، مليوكوف Miliukov زعيم الحزب الديمقراطى الدستورى، وتولى وزارة الحربية جوتشكوف Guchkov زعيم الأوكتوبريين. (بقى فى السلطة حتى عزله الأمير لفوف فى أزمة أبريل ١٩١٧م) وأصبح كيرنسكى وزيرا للعدل، وبهذا أصبحت الوزارة تمثل العناصر البورجوازية، ففيها مثلو كبار ملاك الأراضى والرأسماليين وأصحاب الأعمال وأرباب المهن. ومهمتها تأسيس دولة دستورية ديمقراطية برلمانية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على أن الجماهير الشعبية لم تلبث أن قلبت الموقف! فحين قرأ جوتشكوف وثيقة التنازل عن العرش على عمال ورش السكك الحديدية وأنهاها صائحا: «عاش الأمير ميخائيل»، اعتقله العمال، ولم يتيسر تخليصه منهم إلا بمساعدة سرية!

وإزاء ذلك عدلت «اللجنة المؤقتة لمجلس الدوما» موقفها فى جلستها التى انعقدت فى صباح ٣ مارس، وانحازت إلى الرأى القائل بضرورة تنازل شقيق الملك.

فقد أكد البعض، ومنهم كيرنسكى ورودزيانكو Rodzyanko رئيس مجلس الدوما أن اعتلاء قيصر جديد سيثير المشاعر الثورية، وأنه من الضرورى لذلك إرجاء البت فى مسألة الملكية إلى حين انعقاد المجلس التأسيسى (الجديد). وحين عرف الأمير ميخائيل ذلك تنازل عن العرش فى ٣ مارس ١٩١٧م.

وعلى هذا النحو أطاحت ثورة فبراير ١٩١٧م بالقيصرية والحكم المطلق، وأقامت جمهورية بورجوازية ديموقراطية يتمتع فيها المواطنون بحرية الكلام والنشر والاجتماع والدين والعمل السياسى، وخرجت إلى النشاط العلنى كافة الأحزاب التى كانت غير مشروعة.

على أنه من الناحية الأخرى ظهر فى روسيا نظام جديد لم يكن له ـ من الناحية الدستورية ـ شكل الجمهورية أو الملكية. فقد ظلت السلطة السياسية من مارس إلى أكتوبر ١٩١٧م موزعة بين الحكومة المؤقتة وسوفيتات العمال والجنود الثورية. ولاشك أن هذه

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الازدواجية فى السلطة Dualpower التى حملت الطابع الانتقالى تعد حالة لم يسبق لها مثيل.

وفى الفترة التالية أخذ حزبا «الكاديت» و«الأوكتوبريين» اللذان استلما الحكم، يحاولان تثبيت سلطتهما، وإخضاع السوفيتات لهما، ووقف الثورة الاشتراكية، ومواصلة الحرب تحت حجة أن الحرب بعد إسقاط القيصرية قد أصبحت عادلة، وأن من الواجب مواصلتها حتى يجتمع مجلس تأسيسى يقرر جميع الأمور.

وكان المناشفة «والاشتراكيون الثوريون» يساعدون الحكومة البورجوازية فى ذلك بالقول بأن سلطة البورجوازية يجب أن تبقى طويلا فى البلاد بعد إسقاط القيصرية، لأن الظروف اللازمة للثورة الاشتراكية لم تتوافر فى روسيا، ولأن العمال ليسوا على استعداد لتسلم الحكم وتصريف أمور البلاد.

وفى مؤتمر السوفيتات الذى عقد فى أبريل ١٩١٧م من ممثلى المناشفة والاشتراكيين الثوريين، قرر المؤتمر المطالبة بأن تتخلى الحكومة الروسية عن الروح الاستعمارية، والعمل من أجل حق تقرر المصير، وعقد صلح عادل لا يرمى لضم أراض جديدة، كما قرر تأييد الحكومة المؤقتة إذا سارت وفق قرارات المؤتمر.

فى ذلك الحين كانت الثورة من الناحية الفعلية قد أوجدت وضعا جديدا فى البلاد، فقد زال الحكم المطلق، وأعلنت الحريات السياسية: حرية الكلام والصحافة والاجتماعات وغيرها. وفى هذا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المناخ الليبرالى أخذت القوى الجماهيرية تنظم نفسها فى جميع أنحاء البلاد، فقد تألفت السوفيتات من ممثلى العمال فى المناطق الصناعية، كما تألفت السوفيتات من ممثلى الفلاحين فى المناطق الزراعية، كما تأسست سوفيتات الجنود فى جميع القطاعات العسكرية.

وفى الوقت نفسه، ومنذ الأيام الأولى لثورة فبراير، خرج الحزب البلشفى من السرية، وأخذ يجمع قواه، وعاد من السجون والنفى عدد كبير من زعمائه البارزين، كما عادت جريدة «البراڤدا» إلى الصدور، وصدر العدد الأول فى ٥ مارس ١٩١٧م. وقد قام البلاشفة بنشاط كبير بين الجماهير.

على أن بعض اللجان البلشفية وعددا من الأعضاء البارزين فى الحزب وقفوا موقفا خاطئاً، فلم يواصلوا النضال من أجل انتقال السلطة كلها إلى السوفيتات، بل اقتصروا على الدعوة لاقامة رقابة الجماهير على نشاط «الحكومة المؤقتة» عن طريق تنظيم المظاهرات والاجتماعات واصدار البيانات، وكان ذلك خطأ تكتيكيا، لأنه كان يحدث عند الجماهير إحساسا كاذبا بأن الحكومة المؤقتة البورجوازية تستطيع التخلى عن السياسة الإمبريالية وإنهاء الحرب وإعطاء الشعب السلام والخبز والارض.

وقد أيد ستالين، الذى كان منفيا فى سيبريا ثم عاد، سياسة الضغط على الحكومة المؤقتة للدخول فورا فى مفاوضات الصلح.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهكذا كانت الثورة تذهب بخطوات ثابتة إلى جيب البورجوازيين، لولا وصول لينين إلى بتروغراد يوم ٣ أبريل ١٩١٧م، ليغير الموقف كله.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(ثالثاً) ثـورة أكتـوبر ١٩١٧م

كان لينين فى منفاه بسويسرا عندما وقعت الأحداث الثورية فى روسيا. وما أن عرف بانتصار ثورة فبراير حتى أخذ يحاول العودة إلى روسيا، وفى الوقت نفسه طالب المناشفة بضرورة موافقة سوفيت مندوبى العمال. وعندما طلب لينين معرفة رأى مكتب اللجنة المركزية للحزب البلشفى، أعطى المكتب التعليمات التالية: «على أوليانوف العودة إلى البلاد فوراً». واقترح الزعيم المنشفيكى مارتوف على لينين العودة عن طريق ألمانيا!

وبدأت المفاوضات عن طريق الاشتراكيين السويسريين مع موظفى السفارة الألمانية فى بيرن Bern. ووافقت السلطات الألمانية على السماح بسفر ٣٢ لاجئاً روسيا شيوعيا فى قطار مغلق عبر أراضيها، فى مقابل الوعد بالسعى لتسليم عدد من الأسرى الألمان والنمساويين الموجودين فى روسيا.

ولما كان لينين يعرف أن هذه الرحلة عبر ألمانيا يمكن أن تخلق متاعب له وللشيوعيين العائدين فى روسيا، وتعرضهم للتشهير، نظراً لأن المانيا كانت فى حالة حرب مع روسيا، فقد طلب من اشتراكيى بعض البلدان أن ينشروا بيانا يكون بمثابة رد سياسى مسبق على جميع هجمات التشهير التى يمكن أن يتعرض لها بسبب اختيار هذا الطريق للوصول إلى روسيا.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد ورد فى البيان الذى نشره هؤلاء قولهم: إنهم «بعد اطلاعهم على العراقيل التى أقامتها حكومات الحلفاء فى وجه سفر الأمميين الروس، وبعد اطلاعهم على الشروط التى وضعتها الحكومة الألمانية قبل سماحها بسفرهم، وبعد اقتناعهم التام بأن الحكومة الألمانية لم تسمح بسفر الأمميين الروس إلا لرغبتها فى تقوية الميول المعادية للحرب فى روسيا، يعلنون أنه من حق رفاقنا الروس، بل من واجبهم، أن يستفيدوا من هذه الفرصة السانحة للعودة إلى بلاهم. ونحن نتمنى لهم أطيب التمنيات بالنجاح فى صراعهم ضد السياسة الإمبريالية التى تنتهجها البورجوازية الروسية، فليس صراعهم هذا سوى جزء من الصراع المشترك للطبقة العمالية فى سبيل الثورة الاجتماعية». وقد وقع على هذا البيان ممثلون عن ألمانيا وفرنسا وبولندا وسويسرا والسويد والنرويج.

وقد وصل لينين إلى روسيا يوم ٣ أبريل، وسط استقبال حافل عنى البلاشفة بإعداده إعدادا تاما، نظرا لمعرفتهم بأن لينين عاد إلى روسيا عن طريق ألمانيا وبإذن خاص من حكومة العدو، وأن البورجوازية لن تتردد فى استغلال اهتمام ألمانيا بالزعيم البلشفى لمحاولة الطعن عليه.

وفى اليوم التالى حضر لينين اجتماع البلاشفة الأعضاء فى مؤتمر مندوبى سوفيتات العمال والجنود فى كل أنحاء روسيا، فى غرفة بالطابق الأعلى من قصر توريدا Taurida الذى كانت تعقد فيه جلسات الدوما، فى حين كان المناشفة يعقدون اجتماعهم فى نفس

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القصر فى الطابق الأسفل. ثم طلب المناشفة ضم الاجتماعين لمعرفة رأى لينين. وقد طرح لينين آراءه وسط غضب المناشفة، ودهشة بعض بلاشفة بيتروجراد أنفسهم!

وقد دخلت هذه الأفكار التاريخ تحت اسم «أفكار أبريل»April Theses وهى أفكار لقيت هجوم بليخانوف الذى وصفها فى صحيفة «الأونيون» بأنها «منافية للعقل» absurd، بل لقد هاجمتها «البرافدا» Pravda صحيفة الحزب البلشفى المركزية الرسمية، وعلق عليها «كامنيف» Kamenev باسم هيئة تحرير الصحيفة قائلاً: «أما فيما يتعلق بالمخطط العام للرفيق لنين، فهو يبدو لنا غير مقبول لأنه يعتبر الثورة البورجوازية الديموقراطية انتهت، ويطالب بتحويل هذه الثورة فورا إلى ثورة اشتراكية»!.

فما هى هذه الأفكار؟. لقد قامت هذه الأفكار على أساس واحد، هو أن الثورة البورجوازية الديموقراطية قد انتهت، وأن من الضرورى الاستعداد لنقل هذه الثورة من السلطة البورجوازية إلى سلطة العمال والفلاحين. أما بناء هذه الأفكار فيتلخص فى الآتى، حسب النص الذى نشره لنين باسمه الشخصى فى البرافدا صحيفة الحزب البلشفى يوم ٧ أبريل:

١ ـ اعتبار الحرب الدائرة التى تخوضها روسيا فى ظل حكومة البرنس لفوف حرباً إمبريالية، نظرا للطبيعة الرأسمالية لهذه الحكومة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢ ـ لاتستطيع البروليتاريا الواعية الموافقة على شن حرب ثورية تبرر استمرار الحرب إلى نهايتها الثورية، الا بشرط انتقال السلطة إلى البروليتاريا والعناصر الفلاحية القريبة من البروليتاريا. ورفض كل عمليات الإلحاق والضم فعلا لا قولا، وقطع الصلات مع المصالح الرأسمالية بشكل نهائى. وتوعية الجماهير المخدوعة فى البورجوازية بالروابط المتينة بين رأس المال والحرب الإمبريالية، ونشر هذه التوعية داخل الجيش المقاتل على أوسع نطاق.

٣ ـ ضرورة تنظيم البروليتاريا، للانتقال من المهمة الأولى للثورة، التى أعطت السلطة للبورجوازية، إلى المرحلة الثانية التى تضع السلطة فى أيدى البروليتاريا والفلاحين الفقراء. «على أن يتم ذلك فى جو من الشرعية، وبعيدا عن الضغط المسلط على الجماهير».

٤ ـ عدم تقديم أى دعم للحكومة المؤقتة، وكشف كذب كل وعودها، بدلا من مطالبتها بأن تكون حكومة غير إمبريالية (أى دون المطالبة باستقالتها).

٥ ـ الاعتراف بأن الحزب البلشفى هو حزب أقلية، وأنه يمثل الأقلية فى معظم سوفيتات مندوبى العمال، وأن الأكثرية هى بين العناصر البورجوازية الصغيرة التى يمتد تأثيرها على البروليتاريا «الاشتراكيين الشعبيين» و«الاشتراكيين الثوريين»

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وغيرهم، وضرورة توعية الجماهير بأن سوفيتات مندوبى العمال هى الشكل الوحيد الممكن للحكومة الثورية، ومن الضرورى انتقال السلطة كلها إلى يد سوفيتات مندوبى العمال.

٦ ـ رفض الجمهورية البرلمانية (البورجوازية)، لأنها تشكل خطوة إلى الوراء بعد سوفيتات مندوبى العمال. وتأييد قيام جمهورية سوفيتات مندوبى العمال بما فى ذلك العمال الزراعيين والفلاحين. على أن تشمل البلاد كلها من شمالها إلى جنوبها.

٧ ـ إلغاء الشرطة والجيش وطبقات الموظفين، وأن يستبدل بالجيش الدائم المحترف الشعب المسلح، وإمكان انتخاب وعزل الموظفين فى جميع الأوقات، على ألا يتجاوز متوسط رواتبهم أجر العامل الجيد.

٨ ـ مصادرة جميع أراضى كبار الملاك الزراعيين، وتأميم الأرض كلها فى جّميع أرجاء البلاد، ووضعها تحت تصرف السوفيتات المحلية لمندوبى العمال الزراعيين، وتشكيل سوفيتات مندوبى الفلاحين الفقراء، وتحويل جميع المزارع الكبيرة (من ١٠٠ هكتار إلى ٣٠٠ هكتار حسب الظروف المحلية ورأى السلطات المحلية) إلى مزارع نموذجية تخضع لمراقبة سوفيت مندوبى العمال الزراعيين، وتعمل للمصلحة الجماعية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٩ ـ إدماج جميع مصارف البلاد فى مصرف وطنى واحد كبير، يخضع لمراقبة سوفيتات مندوبى العمال.

١٠ ـ ليست مهمتنا العمل على إدخال الاشتراكية حاليا، بل على الانتقال فورا إلى مراقبة الانتاج الاجتماعى، وتوزيع الإنتاج من قبل سوفيتات مندوبى العمال.

١١ ـ مهام الحزب البلشفى هى الدعوة فورا إلى عقد مؤتمر للحزب، وتعديل برنامجه، والمطالبة «بدولة ـ كوميونة Com-mune» (على صورة كوميونة باريس)، وتعديل اسم الحزب إلى الحزب الشيوعى، بدلا من الحزب الاشتراكى الديمقراطى Social Democratic».

١٢ ـ البدء بإنشاء «دولية شيوعية ثالثة» تقف ضد الوسطية. Third Communist International. نظرا لأن زعماء «الدولية الثانية» من الاشتراكيين الديموقراطيين خانوا الطبقة العاملة، وانزلقوا إلى منزلق الانتهازية والشوفينية Cahuvinism (القومية المتعصبة).

وما أن نشرت هذه الأفكار حتى غدت محور معركة حامية الوطيس. ففى ذلك الحين كان المكتب السياسى للجنة المركزية للحزب البلشفى يرى أن من الضرورى السير إلى نهاية الثورة البورجوازية الديمقراطية، المتمثلة فى انتقال السلطة من أيدى القيصر وكبار الملاك الزراعيين إلى أيدى البورجوازيين. كما كان يرى بأن هذه المرحلة لم تنته بعد.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومن هنا جاءت مواقف المكتب إزاء الحكومة المؤقتة، والأساليب اللازمة لإنهاء الحرب. ومن هنا أيضا كانت لجنة تحرير «برافدا»، التى تضم ستالين ومولوتوف بالإضافة إلى كامينيف، تقوم بحذف الأجزاء من رسائل لنين التى ارسل بها من سويسرا إلى الجريدة، والتى يهاجم فيها كل أشكال الدعم للحكومة المؤقتة. وهكذا وقف كامنيف فى مواقع قريبة من المناشفة المؤيدين لدعم الحكومة المؤقتة بشكل مشروط. وكان يعتقد أن الزمن اللازم للوصول إلى الاشتراكية يقدر بعشرات السنين.

أما ستالين، فلم يكن يدرك دور السوفيتات وعملها الضرورى للاستيلاء على السلطة، كما أنه كان من أنصار تقديم الدعم المشروط للحكومة المؤقتة التى يرى فيها «الدعامة الثورية لمكتسبات الشعب»، ويرى من الممكن إعادة توحيد الحزبين البلشفى والمنشفى.

وهكذا كان الخلاف على خطين أساسيين:

الأول ، خط الذين يرمون إلى دفع الثورة إلى الأمام مع دعم الحكومة المؤقتة، رغم أن هذه الحكومة لاتخفى نواياها لمواصلة الحرب.

والثانى، وهو خط لنين، يرى أن على الثورة، إذا أرادت السير قدما إلى الأمام، أن ترفض تقديم أى دعم للحكومة المؤقتة، وأن تستعد للانتقال من المرحلة الأولى (السلطة البورجوازية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الديموقراطية)، إلى المرحلة الثانية (سلطة البروليتاريا والفلاحين الفقراء).

وفى الحقيقة أن الماركسيين كانوا قد تبنوا حتى ذلك الوقت فكرة أن العمال والفلاحين عاجزون عن تحقيق سيطرتهم قبل أن تنهى البورجوازية ثورتها. ولكن الوضع التاريخى الذى كانت تعيشه روسيا فى ربيع عام ١٩١٧م، كان وضعا مركبا خاصا، تتداخل فيه سيطرة البروليتاريا والبورجوازية بشكل لم تعرفه البشرية من قبل (الحكومة المؤقتة والسوفيتات) وقد استطاع لنين أن يرى بثاقب نظره أهمية هذا الوضع الجديد، والآفاق التى يمكن أن يفتحها.

لذلك طرح فكرته التى ترى أن شن الصراع الطبقى بحيوية وعنف، سيؤدى حتما إلى انتصار الثورة. فكان عمله هذا على الصعيد النظرى يعتبر خطوتين إلى الأمام:

الأولى : أنه من الممكن تجاوز مرحلة تاريخية كاملة، هى مرحلة سيطرة البورجوازية.

والثانية : نقص الفكرة التى تمسك بها الماركسيون فى ذلك الوقت، والقائلة بعدم قدرة الاشتراكية على الانتصار فى بلد واحد، إذ رأى عدم انتظار ثورة البلاد الغربية الصناعية التى اعتقد ماركس أن الثورة ستنتصر فيها قبل أى مكان آخر.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- وقد جرت الحوادث بعد ذلك على النحو الآتى :

١ - أحداث ٢٠ - ٢١ أبريل ١٩١٧م:

ففى ١٤ أبريل استطاع لنين أن يضم اليه ستالين وزعماء آخرين ممن عارضوا أفكاره، ولم يبق فى صف المعارضة غير كامنيف.

وفى ١٨ أبريل وجه وزير الخارجية ميليوكوف Milyukov ورئيس الكاديت مذكرة إلى الحلفاء، أكد فيها أن الحكومة «مستعدة للتمسك بالتعهدات التى قدمتها إلى حلفائنا، وأنها قررت متابعة الحرب حتى النصر النهائى».

ومن هذا بدأت أزمة حادة، إذ كان معنى ذلك أن الثورة لم تبدّل شيئاً، وأن أهداف روسيا فى الحرب لاتزال كما كانت فى عهد القيصرية. ووجد اليسار أن هذا العمل تصفية كاملة للمحتوى الثورى للسياسة الخارجية، وضربة مسددة للسلم.

لذا طالب باستقالة ميليوكوف خلال ٢٤ ساعة، واندلعت مظاهرات خطيرة للجنود والعمال يوم ٢٠ أبريل ضدّ الحكومة، وأخذت تحاصر قصر ماريينسكى Mariinsky Palace، الذى تجتمع فيه «الحكومة المؤقتة»، وهى ترفع شعارات «كل السلطة للسوفيتات»، وحدث تبادل إطلاق النار. لكن لجنة سوفيت بيتروجراد سيطرت على الموقف، وظهر عجز الحكومة أمام العالم.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكانت هذه الأزمة أكبر أزمة شهدتها البلاد منذ فبراير ١٩١٧م بين الحكومة المؤقتة والرأى العام السائد فى الثكنات والضواحى العمالية.

وانتهت الأزمة باستقالة كل من ميليوكوف وزير الخارجية، وجوتشكوف وزير الحربية، وشكل البرنس لفوف أول حكومة ائتلافية فى ٥ مايو، التى شارك فيها المناشفة و«الاشتراكيون الثوريون». وتولى كيرينسكى Kerensky وزارة الحربية.

وفى أثناء الأزمة حدث أن طرحت لجنة بيتروجراد البلشفية شعار «سقوط الحكومة المؤقتة»، ولكن وقف لينين فى وجه هذا الشعار، واعتبره خطأ فادحاً، نظراً لأن معظم السوفيتات فى جميع أرجاء البلاد كانت لاتزال خاضعة للمناشفة و«الاشتراكيين الثوريين».

وفضلا عن ذلك فقد رأى أنه لايمكن حل الأزمة بالعنف أو بمحاولة بلانكية Blanqui (منفصلة عن الشعب والقواعد الشعبية) للاستيلاء على السلطة واعتقال الحكومة المؤقتة، وإنما بطريق «التطور الثورى»، وهو الطريق المبنى على النقد، والدعاية. والاكتساب السياسى للسلطة، وإعادة انتخاب المندوبين بغية الوصول إلى الأغلبية، وقد بنى ذلك على أن الرأسماليين لا يتصرفون بعنف، وأن القوة المسلحة فى هذه المرحلة الانتقالية بيد الجنود.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كما رأى أنه على السوفيتات أن تلجأ إلى تأميم الملكية الإقطاعية، وإن كان ذلك لا يعنى الاشتراكية، فقد ذكر أنه «ليس بوسعنا الادعاء بقدرتنا على بناء الاشتراكية، لان مثل هذا الادعاء يشكل فى الوقت الحاضر حماقة مؤكدة، لأن غالبية الشعب الروسى تتألف من الفلاحين وصغار المستغلين الذين لا يطيقون سماع الحديث عن الاشتراكية. ولكنه طالب بتأميم الأرض على أساس أن هذا التأميم سيسدد ضربة قوية إلى الملكية الإقطاعية للأرض، وسيحرم الإقطاعيين النبلاء من قواعدهم المادية.

وقد استطاع فى الاجتماع السابع للحزب البلشفى، المنعقد فى ٢٤ أبريل ١٩١٧م، الحصول على تأييد المؤتمر لآرائه، وقرر المجتمعون إعادة النظر فى برنامج الحزب، وتكليف اللجنة المركزية الجديدة المنتخبة برئاسة لنين بدراسة إنشاء «دولية ثالثة» Third International تضم جميع الاشتراكيين فى العالم المؤيدين لإسقاط الحرب الإمبريالية.

وعلى هذا النحو تحول ما اعتبره البلاشفة القدماء قبل شهر واحد سخفا وحماقة، إنجيلا رسميا لحزب تزداد سيطرته على البروليتاريا.

وفى الأيام التالية أخذ لنين يكتسب المصانع والجماهير من المناشفة و«الاشتراكيين الثوريين». ولكن فى الريف، حيث كان معظم الفلاحين يسيرون وراء «الاشتراكيين الثوريين»، كان الأمر باعثا على قلق لنين.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لذلك استغل فرصة انعقاد مؤتمر مندوبى الفلاحين فى بيتروجراد بين ٤، ٢٨ مايو ١٩١٧م، وطالب فى المؤتمر بقيام السوفيتات بتنظيم عملية استيلاء اللجان الفلاحية على ممتلكات النبلاء الإقطاعيين قبيل اجتماع المجلس التأسيسى، وأن تقوم بمصادرة الأراضى، وتجميع العمال الزراعيين والفلاحيين الفقراء فى تنظيمات مستقلة، والاستفادة من الاقطاعيات الكبيرة فى خلق مزارع نموذجية تحت إشراف سوفيتات العمال الزراعيين. ومع أن لنين تجرأ على طرح فكرة «العمل الجماعى فى الأرض بمساعدة الآلات»، إلا أنه لقى تأييدا قوياً. وقد تلى ذلك احتلال المزارع فى عدة مناطق!

ومع ذلك، فعندما انعقد «المؤتمر الأول لسوفيتات جميع أنحاء روسيا» The First All - Russia Congress of Soviets of Workers' and Soldiers' Deputies فى ٣ يونيه، كانت الغالبية العظمى للمنشفيك والاشتراكيين الثوريين. وقد طلب لنين فى هذا المؤتمر انتقال السلطة إلى البروليتاريا الثورية المدعومة بالفلاحين الفقراء، باعتبار ذلك أفضل الأشكال للانتقال إلى النضال الثورى من أجل السلم، وأكثرها ضمانة وأقلها ضررا فى تاريخ الإنسانية. ولكن المؤتمر قرر تأييد الحكومة الائتلافية المؤلفة فى ٥ مايو، ورفض فكرة تسليم السلطة للسوفيتات.

ومنذ هذه اللحظة اختفى الأمل فى الانتقال إلى الاشتراكية بالطريق السلمى، بسبب موقف المناشفة و«الاشتراكيين الثوريين»

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الذين كانوا يملكون الأغلبية الساحقة فى المؤتمر الأول للسوفيتات وفى سوفيت بيتروجراد، على الرغم من أنه كان فى وسعهم الاستيلاء على السلطة بإشارة واحدة دون إراقة نقطة دم واحدة!

٢ ـ أحداث ٣ ـ ٥ يوليو ١٩١٧م:

ولم يلبث هذا الموقف أن شجع الحكومة الائتلافية على محاولة التخلص من نتائج ثورة فبراير. فخططت لهجوم عام فى الجبهة الألمانية يوم ١٨ يونيه ١٩١٧م، وفى تفكيرها أن نجاح الهجوم سوف يؤدى إلى تقوية سلطة الحكومة، والتخلص من ازدواجية السلطة، وأما فى حالة فشله فإنه سيسمح بإلقاء التبعية على البلاشفة بحجة أنهم فتتوا وحدة الجيش، وأفقدوه نظامه، ثم الانتقال من ذلك إلى عمليات قمع واسعة ضدهم.

ولكن الهجوم فشل، وفقد الجيش الروسى فيه أكثر من ٦٠ ألفا من جنوده، وعندما عرف الجنود بضحايا الحرب الجديدة، نزلوا فى ٣ يوليو ١٩١٧م إلى شوارع بيتروجراد، مطالبين بتسليم السلطة للسوفيتات، واتجهوا إلى مقر سوفيت بتروجراد لإجباره على استلام السلطة، وقرر العمال من جانبهم الاشتراك فى مظاهرة الجنود.

وقد حاول البلاشفة احتواء الحركة، إذ لم يكونوا يرغبون فى الاشتراك فى عمل عسكرى لم يستعدوا له أيديولوجيا، حيث كانت أفكارهم حتى ذلك الحين تقوم على الانتقال السلمى من الثورة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الديمقراطية إلى الثورة الاشتراكية. كما لم يستعدوا له عمليا إذ أنهم لم يقوموا بأى إعداد مادى لهذا الغرض، وكانوا يعرفون أن الانتفاضة العسكرية لا تتم بين عشية وضحاها.

ولكنهم لم يلبثوا أن عدلوا موقفهم، وقرروا استلام قيادة الحركة لتوجيهها وإعطائها طابعا آخر، فأصدرت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى منشورا إلى عمال وجنود بيتروجراد يقول «لقد وقفت البورجوازية المعادية للثورة بوضوح ضد ثورتنا، لذا كان على سوفيت مندوبى العمال والفلاحين أن يتسلم السلطة كلها».

وفى اليوم التالى بلغت المظاهرات ذروتها، واعتصمت الحكومة بقصر ماريينسكى Mariinsky. ولكنها بموافقة سوفيتات الاشتراكيين الثوريين والمنشفيك انقضت على المظاهرات بالقوة المسلحة بعد ان استدعت بعض قطاعات الجيش من الجبهة، بما فيها وحدات القوزاق Cossack.

ومع أن اللجنة المركزية البلشفية كانت قد اجتمعت ليلة ٤ يولية وقررت «ضرورة إنهاء العمل»، كما قررت أن من الواجب إيقاف كل المظاهرات، إلا أن الحكومة أعلنت أن البلاشفة حزب مضاد للثورة.

وتلا ذلك تعرض حزب البلاشفة والمنظمات العمالية للمطاردات، فقد زج بالكثير من البلاشفة فى السجون، وفى يوم ٥ يوليو حطمت مجموعات من طلبة المدرسة الحربية مقر صحيفة البرافدا، ثم هاجموا مقر اللجنة المركزية للحزب البلشفى.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبدأت الصحف تهاجم البلاشفة ولنين، وتتهمهم بالعمالة لإمبراطور ألمانيا، وقام الطلاب والضباط بإعدام عدد من مناضلى الحزب فى مكان اعتقالهم، وبدأت عملية قمع وحشى باركتها اللجنة التنفيذية المركزية للسوفيتات (وهى جهاز انبثق فى نهاية أعمال المؤتمر الأول للسوفيتات، وحل محل سوفيت بتروجراد)، واللجنة التنفيذية لسوفيت الفلاحين.

وفى ٧ يوليو ١٩١٧م استندت الحكومة الائتلافية المؤقتة إلى دعم المناشفة و«الاشتراكيين» الثوريين داخل اللجنة التنفيذية للسوفيت، وأصدرت قرارا باعتقال لنين ومحاكمته بتهمة الخيانة العظمى، والاشتراك فى تنظيم انتفاضة مسلحة. واضطر لينين إلى الاختفاء والعمل فى سرية شديدة أكثر من ثلاثة أشهر ونصف.

وفى هذا الوقت بالذات انضم تروتسكى Trotsky (١٨٧٩ ـ ١٩٤٠م) الذى وصل إلى بيتروجراد من أمريكا فى ٥ مايو إلى لينين، وأرسل إلى الحكومة المؤقتة التى تألفت أثناء الأزمة برئاسة كيرنسكى Kerensky بعد استقالة لفوف، يطلب إليه عدم استثنائه من قرار الاعتقال الصادر ضد كل من لينين وكامنيف وزينوفييف Zinoviev. فألقت الحكومة المؤقتة القبض عليه، ووجهت إليه تهمة التجسس لحساب ألمانيا.

واندفع كيرنسكى فى طريق القمع، وأخذ الوضع الخاص الذى انبثق عن ثورة فبراير من ازدواج السلطة فى الاختفاء، إذ أخذ دور

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

السوفيت فى التقلص، بعد أن غطى بسلطته كافة التدابير المضادة للثورة التى اتخذها كيرنسكى. وأخذت السوفيتات، التى يملك المناشفة والاشتراكيون الثوريون الغالبية فيها، تتخلى عن سلطتها.

كانت أحداث يولية نقطة فاصلة فى تاريخ الثورة، أو هى خط فاصل بين ثورة فبراير وثورة أكتوبر. فحتى ذلك الحين كان شعار البلاشفة الأساسى هو: كل السلطة للسوفيتات، شريطة أن يتم ذلك بالطريق السلمى. ثم جاءت الأحداث لتثبت أن هذا الشعار لم يعد ملائماً، لأن الحفاظ عليه معناه دعم المناشفة و«الاشتراكيين الثوريين» فى اللجنة التنفيذية المركزية، الذين منحوا تأيدهم لكيرنسكى وللقمع. ولذلك طلب لينين من مكان اختفائه فى «رازليف Razliv على خليج فنلندا، إلغاء هذا الشعار، وتوعية الجماهير العمالية والفلاحية الواسعة بأنه لم يعد من المحكمة قلب دكتاتورية البورجوازية الا بانتفاضة مسلحة.

وفى المؤتمر السادس لحزب العمال الاشتراكى الديمقراطى الروسى، الذى عقد فى بتروجراد من ٢٦ يولية إلى ٣ أغسطس ١٩١٧ بصفة نصف سرية، دار النقاش حول هذه المسألة، وكان عدد من الحاضرين من أمثال «نوجين» Nogin يؤكدون أن روسيا لم تنضج بعد للقيام بثورة اشتراكية، وأن الفلاحين قوة رجعية لايمكن الاعتماد عليها لإنهاء الحرب والسير فى طريق الاشتراكية.

ولكن لينين لم يكن يفكر إطلاقا فى إمكان قيام الاشتراكية بإشارة من عصا سحرية، وإنما كان يرمى إلى اقامة سلطة شعبية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تعد لهذا الانتقال فى المستقبل. كما أنه رأى أنه لايمكن اعتبار الفلاحين طبقة واحدة، إذ لايمكن أن تتطابق وجهة نظر الكولاك (١٥٪) مع وجهة نظر الفلاحين الفقراء (٦٥٪).

وفى هذا المؤتمر انضم إلى الحزب البلشفى بصورة رسمية مجموعة «الأنتر ـ ديستريكت»، وعلى رأسها تروتسكى. وكانت هذه الجماعة تضم المناشفة اليساريين وعددا من قدماء البلاشفة الذين رفضوا فى بداية الحرب شعار لينين تحويل الحرب الإمبريالية إلى حرب أهلية. وقد لعب الجميع فى الأيام التالية دورا من الطراز الأول فى تنظيم ثورة أكتوبر. وقد أقر المؤتمر كل مقترحات لينين الذى كان يدير المؤتمر من مكانه السرى، وكانت الموافقة بإجماع الآراء مما لم يحدث فى تاريخ الحرب البلشفى.

كذلك جرى فى هذا المؤتمر انتخاب اللجنة المركزية للحزب الشيوعى من ٢١ عضوا، على رأسهم: لينين، وزينوفييف، وكامينيف، وتروتسكى، وستالين، وبوخارين، وبوبنوف، وأوريتسكى.

٣ ـ محاولة كورنيلوف الانقلابية ٢٧ أغسطس ١٩١٧م:

على كل حال ففى هذا المناخ المضاد للثورة تحرك اليمين ممثلا فى الجنرال كورنيلوف Kornilov، الذى حاول القيام بانقلاب والاستيلاء على السلطة يوم ٢٧ أغسطس. وكان الجنرال كورنيلوف

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قد عين قائدا عاما للقوات المسلحة بعد شهر من هجوم ١٨ يونية الذى منى بالهزيمة.

وقد قام بالزحف على العاصمة الجنرال كريموف Krymov على رأس قوات كبيرة، من بينها متطوعو القوقاز. وكانت تعليماته تقضى بتجريد الوحدات من سلاحها، وحل مجالس السوفيتات، وتوقيف أعضائها، وإعلان الأحكام العرفية حينما يتم الدخول إلى المدينة.

وقد سارع كيرنسكى إلى طلب دعم اللجنة التنفيذية للسوفيت، وأخذ يحاول تنظيم الدفاع عن بيتروجراد، بدعوة كل الذين يريدون «الدفاع عن الثورة المهددة بانقلاب كورنيلوف» ـ ومعنى ذلك دعوة البلاشفة.

وقد أدرك البلاشفة أن التخلى عن كيرنسكى، الذى كان قد أقسم على تصفيتهم، سوف يوقعهم فى قبضة كورنيلوف الذى يخطط لإقامة دكتاتورية عسكرية، ولذلك قبلوا الانضمام إلى «لجنة الكفاح الشعبى ضد الثورة المضادة»، التى أنشأتها مؤخرا اللجنة التنفيذية المركزية لسوفيتات روسيا. وكان انضامهم معلقا بشرطين: (١) ضرورة تسليح الشعب (٢) إخلاء سبيل السجناء السياسيين منذ أول يوليو. وبعد تحقيق هذين الشرطين اندفعوا فورا إلى المعركة.

وقد أظهر البلاشفة أنهم يشكلون الرافعة الوحيدة القادرة على تحريك جنود بيتروجراد وعمال المصانع الكبرى، وتسللوا بسرعة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إلى اللجان الثورية فى الجبهة، وفى المدن، وفى كل مراكز السكك الحديدية، وتزايد عدد مقاتلى الحرس الأحمر The Red Guards المشكل من عمال المصانع المسلحين.

وفى بضعة أيام تم تسليح مايقرب من ٤٠ ألف عامل، وكان المتطوعون أكثر من الأسلحة. وقام عمال السكك الحديدية بفك خطوط السكك الحديدية فى الأماكن التى اتجهت إليها وحدات كورنيلوف إلى بيتروجراد، وقطعت وحدات المشاة والخيالة والمدفعية، التى يشرف عليها الثوريون، الطرق المؤدية إلى العاصمة، فلم تستطع القوات المهاجمة الوصول إليها. وفى الوقت نفسه أخذت عناصر البلاشفة والسوفيت تختلط بجنود كورنيلوف فى المواقع التى توقفت فيها هذه القوات، لتوعيتهم.

وفى ٢٩ أغسطس توقفت القوات المتمردة توقفا عاما ومفاجئاً بعد أن أدرك الجنود خداع قادتهم لهم الذين صوروا لهم، أنهم ذاهبون للقضاء على عصيان بلشفى!

وهكذا سحقت مؤامرة كورنيلوف فى مهدها، وكانت النتيجة الرئيسية لهذا الفشل إضعاف معسكر الثورة المضادة إلى أكبر حد ممكن، وأصبحت السوفيتات من جديد، كما كانت فى فبراير، منظمات قتال تجمع كل القوى المرتبطة بالثورة، وعادت البروليتاريا التى كان قد نزع جزء من سلاحها منذ أيام يوليو، تشكل قوة نارية كبيرة، وتسلمت مختلف أنواع الأسلحة الموجودة فى المخازن.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٤ ـ الثورة الاشتراكية :

وقد أيقنت البروليتاريا بعد قمع الفتنة أن الحزب البلشفى وعلى رأسه لينين هو وحده الذى يدافع حقا عن مصالحهم الجذرية، فانقلبت الجماهير الشعبية بسرعة نحو البلاشفة، وسرعان ما أحرز هؤلاء الأغلبية فى سوفيتى بيتروجراد وموسكو عند إعادة انتخابات السوفيتات فى أغسطس - سبتمبر، ونمت قوة السوفيتات، وأصبحت لها قوة كبيرة.

وعندئذ، وبعد أن أصبحت السوفيتات بلشفية فى أكبر المراكز الصناعية، عاد الحزب فرفع شعار «كل السلطة للسوفيتات»، هذا الشعار الذى أصبح الآن يعنى الدعوة إلى الثورة المسلحة على الحكومة البورجوازية، وإقامة دكتاتورية البروليتاريا. وقد أيد أكثر من ٢٥٠ سوفيتا هذا الشعار. وفى الحقيقة أنه بعد أن أفلتت السوفيتات المنشفية الفرصة لاستلام الحكم بالطريق السلمى، لم يعد مفر من الاستيلاء على السلطة بطريق الانتفاضة المسلحة.

وفى الفترة من أواسط سبتمبر إلى ٢٤ أكتوبر كان لينين يعد خطة الاستيلاء على السلطة بكل أصول الفن الحربى، وكانت الخطة تقوم على البدء فورا بتنظيم مركز لقيادة كتائب الثوار، وتوزيع القوى، وحشد أهم القوى فى أخطر المواقع، وتطويق المبانى الحكومية، والاستيلاء على محطة التليفون والبرق، وإنشاء كتائب قتالية قوية قادرة على منع القوات المعادية للثورة من الوصول إلى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بيتروجراد، وتأمين الدفاع عن المدينة. وطالب بإرسال الشيوعيين إلى المصانع والثكنات، والى حيث تعمل الجماهير وتعيش، لإعدادها للثورة.

وفى رسالته التى وجهها إلى اللجنة المركزية ولجنتى موسكو وبتروجراد والى البلاشفة أعضاء سوفيتى بيتروجراد وموسكو، فى أول اكتوبر، أكد أن التمهل فى الانتفاضة لايجوز، بل «يجب الاقدام على الانتفاضة فى الحال»، وأنه أشبه بالموت»!

وفى ١٠ أكتوبر بحثت مسألة الانتفاضة المسلحة فى جلسة اللجنة المركزية للحزب، وأثبت لينين فى الاجتماع أن اللحظة مواتية لكى تستلم البروليتاريا وفقراء الفلاحين السلطة، فاتخذت لجنة الحزب المركزية قرارا تاريخيا بتنظيم الانتفاضة المسلحة. ولم يشذ عن هذا الجمع سوى كامنيف وزينوفييف Zinoviev، أما تروتسكى فلم يصوت ضد هذا القرار، ولكنه رأى إرجاء الانتفاضة إلى حين انعقاد المؤتمر الثانى للسوفيتات.

وفى هذه الجلسة انتخب مكتب سياسى برئاسة لينين لقيادة الانتفاضة سياسيا. وفى ١٦ أكتوبر انتخبت اللجنة المركزية، مع ممثلى المنظمات العمالية، مجلسا عسكريا ثوريا لقيادة الانتفاضة، مكونا من بوبنوف Bubnov، وسفرد لوف Sverdlov وستالين وأوريتسكى Uritsky ودزيرچينسكى Dzerzhinsky.

على أن كامنيف وزينوفييف، اللذين اعترضا على القرار، مالبثا أن ارتكبا خيانة كبيرة، إذ نشرا فى جريدة «نوفايا چيزنNovaya

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Zhizen» شبه المنشفيكية بيانا يحتجان فيه على قرار اللجنة المركزية فى الانتفاضة المسلحة، وأفشيا بذلك للأعداء قرار الحزب السرى، مما جعل الحكومة المؤقتة تشرع فى اتخاذ تدابير عاجلة للحيلولة دون الانتفاضة المسلحة.

ولكن بينما كانت الحكومة تحاول إغلاق جريدة الحزب المركزية «رابوتشى بوت» Rabochy Put أى (طريق العمال) يوم ٢٤ أكتوبر، بدأت الانتفاضة المسلحة. فقد استلم الحرس الأحمر والجنود بأمر من المجلس العسكرى الثورى، مهمة الدفاع عن مقر هيئة تحرير الجريدة ومقر قيادة الانتفاضة فى قصر سمولنى Smolny، حيث استلم لينين القيادة.

وبدأت كتائب الحرس الأحمر تحتل النقاط المرسومة، فى حين أخذ بحارة أسطول البلطيق والقطاعات الثورية فى حراسة مداخل المدينة، وكانت المصانع يحرسها رجال الحرس الأحمر. ولم يأت صباح ٢٥ أكتوبر حتى كانت محطة التليفون ومبنى البرق ومحطات السكك الحديدية وأهم المواقع فى العاصمة فى قبضة العمال والجنود والبحارة الثوريين.

وفى الساعة العاشرة صباحا أصدرت اللجنة العسكرية الثورية لسوفيت بيتروجراد، بلاغا لنواب العمال والجنود، بأن الحكومة المؤقتة قد أسقطت، وأن السلطة انتقلت إلى السوفيتات.

وفى الساعة الحادية عشرة افتتحت الجلسة التاريخية لسوفيت بيتروجراد، حيث أعلن لينين أنه «منذ الآن بدأ عهد جديد فى تاريخ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

روسيا، وعلى هذه الثورة الروسية الثالثة أن تؤدى فى آخر المطاف إلى انتصار الاشتراكية».

وفى يوم ٢٥ ـ ٢٦ أكتوبر أصدر لينين تعليماته بالاستيلاء فورا على القصر الشتوى Winter Palaceالذى كان مقراً للحكومة المؤقتة، وكانت الطلقة التاريخية من مدفع الطراد «أوروورا Aurora» إشارة بدء الهجوم على القصر، واستولت القطاعات الثورية على القصر الشتوى عنوة، وسقط آخر معقل للحكومة البورجوازية.

وعلى هذا النحو قضى على النظام البورجوازى فى روسيا، وأقيمت لأول مرة فى تاريخ البشرية، دكتاتورية البروليتاريا، وأنشئت دولة العمال والفلاحين.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(رابعاً) : روسيا بعد ثورة أكتوبـــر ١٩١٧م

لم تكن ثورة أكتوبر مجرد استبدال سلطة سياسية بأخرى، وإنما كانت تعنى انقلابا عميقا فى الحياة الاجتماعية والاقتصادية.

ففى اليوم التالى ٢٥ أكتوبر (٧ نوفمبر)، عقد المؤتمر الثانى للسوفيتات، حيث أعلن لينين إلغاء الملكية الإقطاعية للأرض، ومنح الأرض للشعب. فانتقل إلى أيدى الفلاحين مايزيد على ١٥٠ مليون هكتار. كما أعلن إلغاء الملكية الخاصة للأرض، وإحلال ملكية الشعب لها وملكية الدولة، الأمر الذى يسر فيما بعد اعادة تنظيم الزراعة على أسس اشتراكية.

وفى هذا المؤتمر تم انتخاب اللجنة التنفيذية المركزية لسوفيتات العمال والجنود فى روسيا، وتشكيل حكومة مؤقتة جديدة أطلق عليها اسم «مجلس مفوضى الشعب» Soviet of the People's Commissars وانتخب لينين رئيسا لمجلس مفوضى الشعب، وتروتسكى وزيرا للخارجية. وأوكل الشعب أمور قيادة البلاد لحزب البلاشفة.

وفى الفترة التالية مباشرة أجريت تغيرات سياسية واقتصادية جذرية. فقد أقرت الحكومة السوفيتية منذ الأيام الأولى مشروع قرار بفرض إشراف العمال على الإنتاج والتوزيع، وحصل ممثلو العمال، والمستخدمون الفنيون، على الحق فى مراقبة جميع شئون

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المؤسسة، والحيلولة دون حدوث توقف فى أعمالها. وخطت الطبقة العامة بذلك أول خطوة نحو استلام إدارة الإنتاج.

كذلك اتخذت مراسيم بتسريح الجيش القديم، وإلغاء الطبقات، وامتيازات الطبقات الثرية. وانتقلت ملكية الخطوط الحديدية والأسطول التجارى والمصارف إلى الشعب، وجعلت كل التجارة الخارجية فى يد الدولة. وبعد قليل صودرت المصانع من الرأسماليين الكبار، وأصبحت هى الأخرى ملكا للشعب.

وأصدر لينين «إعلان حقوق الشعب العامل والمستغَل»، الذى كان أساسا لأول دستور سوفيتى، وأعلنت فيه المساواة التامة فى الحقوق بين جميع شعوب روسيا، وكفل لجميع الأمم الحق فى تقرير مصيرها بنفسها، بما فى ذلك الانفصال وتكوين دولة مستقلة.

وفى ذلك الحين ابتدأت المفاوضات فى برست ليتوفسك - Brest Litovsk مع ممثلى السلطات الألمانية ـ النمساوية. فكان تروتسكى على رأس الوفد السوفيتى على اعتبار أنه مفوض الشعب للخارجية. وكان الأساس الذى طلب الوفد عليه الصلح، هو حقوق الشعوب فى تقرير مصيرها.

وكانت أهم المشكلات هى مصير البلاد التى احتلتها القوات الألمانية والنمساوية، فقد طالب السوفيت بجلاء هذه القوات عن بولندة وكورلاند Courland (لاتفيا Latvia) ولتوانيا Lithuania، على

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أن يستفتى أهل هذه البلاد فى الحكم الذى يريدونه. ولكن ألمانيا رفضت ذلك. واشترطت فصل بولندا وفنلندا ودول البلطيق عن روسيا، وأن تنفصل عنها مناطق زراعة القمح فى أوكرانيا.

وقد وقع الخلاف داخل اللجنة المركزية للحزب السوفيتى حول قبول الصلح. فبينما رأى لينين عقد الصلح، على أساس أن متابعة روسيا الحرب أمر مستحيل، نظرا لافتقارها إلى الوسائل التقنية الضرورية لمتابعتها، ومع الوضع السيئ للوحدات العسكرية، ولأن الاستمرار فى الحرب سوف يؤدى على المدى القصير إلى القضاء على السلطة الثورية، فقد رأت جماعة الشيوعيين اليساريين بقيادة بوخارين Bukharin وبوبنوف قطع المفاوضات وشن الحرب الثورية، فى حين اقترح تروتسكى إعلا حالة إنهاء الحرب، وإنهاء التبعية العامة، ورفض توقيع معاهدة الصلح، وطرح شعار «لاحرب ولا سلم»، وبذلك تكون روسيا قد رفضت التوقيع على الصلح مع توقفها عن الحرب، وتكون قد تحدت ألمانيا فى أن تغزو بلدا كل ما فيه ثورة.

وقد انتهى الخلاف بانتصار وجهة نظر لينين، فى الوقت الذى كان الألمان يكررون هجومهم، ويتقدمون نحو بيتروجراد.

ويقضى هذا الصلح الذى وقع فى برست ليتوفسك يوم ٣ مارس ١٩١٨م بموافقة روسيا على التنازل عن بولندا ولتوانيا، وترك مصير تلك البلاد للبت فيه بين ألمانيا والنمسا وبين أهالى تلك

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البلاد. كما يقضى بجلاء روسيا عن استونيا Estonia وليفونيا Li-vonia وفنلندا، ثم جلائها عن أوكرانيا (شمال البحر الأسود) والاعتراف بالمعاهدة التى أبرمتها جمهورية الشعب الأوكرانى مع دول الوسط (ألمانيا والنمسا). كذلك التنازل لتركيا عن أردهان وكارز وباطوم، والامتناع عن نشر الدعاية البلشفية فى الأراضى التى تسيطر عليها دول الوسط.

وقد كلف هذا الصلح روسيا البلشفية انتزاع أرض منها تبلغ مساحتها مساحة النمسا والمجر وتركيا معا، ويسكنها حوالى ٦٦ مليون نسمة – أى ٢٦٪ من سكانها، ٧٥٪ من فحمها، و ٧٣٪ من حديدها، وأكثر من خمسة آلاف مصنع ومؤسسة صناعية. وقد وصف مؤرخ بريطانى هذا الصلح بأنه: «إذلال لا مثيل له فى التاريخ الحديث».

على أن فترة التقاط الأنفاس لم تستمر طويلا، فلم يشأ الإمبرياليون والبرجوازيون والإقطاعيون الروس الذين أطيح بهم، التسليم بانتصار العمال والفلاحين فى روسيا، وكانوا يدركون أنه قد نشأت ثورة يمكن أن يمتد لهيبها إلى البلدان الأخرى. ولم يشأ رأسماليو بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة أن يفقدوا مليارات الدولارات التى أقرضوها للقيصر الروسى والإقطاعيين والبورجوازيين، والتخلى عن الأرباح الطائلة التى كانوا ينالونها من استغلال ثروات روسيا.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد اتخذ تدخل الحلفاء والإمبرياليين مظهرين:

الأول : مساعدة الأحزاب الروسية البورجوازية التى تؤيد مواصلة الحرب بالرجال والمال والذخيرة.

ثانياً : الغزو، لحرمان الألمان والبلشفيك من المواد الحربية الضخمة التى سبق لهم أن أرسلوها إلى «مورمانسك Murmansk وأركانجل Archangal».

ففى ربيع ١٩١٨م استولت القوات الأمريكية والبريطانية والفرنسية على مدينة مورمانسك، ونزل الجنود اليابانيون والبريطانيون، ومن بعدهم الأمريكيون أيضا فى فلاديفوستوك، ومدوا دائرة الحصار نحو الحدود الروسية. وهكذا بدأ الإمبرياليون الحرب لخنق الدولة الاشتراكية الفتية.

وعندما تحطم الجيش التركى، وانسحبت تركيا من الحرب، ضرب الفرنسيون «أوديسا» بالقنابل، واستولوا عليها، على حين احتلت بعض الفرق البريطانية بعض أراضى القوقاز، واستولت على باكو.

كذلك انتهزت جماعات من الوطنين فى استونيا ولاتفيا ولتوانيا وفنلندا والقوقاز تلك الفرصة لاعلان استقلال تلك الولايات. وتشجعت رومانيا، واخترقت بعض قواتها إقليم بسارابيا.

وقد قامت العناصر الروسية المعارضة (الروس البيض) التى نظمت قواتها بمساعدة الفرق الإمبريالية، بإقامة حكومات بيضاء.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فتأسست حول مورمانسك وأركانجل «حكومة روسيا الشمالية المؤقتة».

كما قام الأميرال إسكندر كولشاك Kolchak القائد السابق لأسطول البحر الأسود، بتأسيس حكومة روسية أخرى فى أومسك Omsk بسيبريا، بمعاونة الحلفاء والجنود التشيكيين. وقام غيره من القواد الروس المعارضين بتأسيس حكومات أخرى فى جنوب روسيا، وجنوب أوكرانيا، والقرم.

وقد استمرت الحرب الأهلية ثلاث سنوات، ولكن تمكن البلاشفة فيها من طرد الحكومات المعادية التى تألفت فى أوكرانيا وروسيا البيضاء. وقبضوا على زمام السلطة فى ولايات القوقاز وأزربيجان وأرمينيا وجورجيا، حيث تألفت حكومات اتبعت النظام السوفيتى الجديد.

واضطر الحلفاء إلى سحب قواتهم فى أواخر عام ١٩١٩م. وفى العام التالى رفعوا الحصار عن روسيا، ولم يبق إلا مدينة «فلاديفوستك» على المحيط الهادى، التى بقيت فترة من الوقت تحتلها القوات اليابانية، التى انتهزت فرصة تسليم روسيا للألمان لاقتناص الممتلكات الروسية النائية.

وأما سيبريا، فقد استطاعت القوات الحمراء أن تستولى على أومسك وتومسك Tomsk وايركوتسك Irkutsk والمنطقة التى تقع غرب بحيرة بيكال Baikal. وفى نوفمبر ١٩٢٢م قررت الجمعية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التأسيسية التى تكونت فى تلك الجمهورية الانضمام إلى جمهورية الاتحاد السوفيتى الاشتراكى الروسى.

وليس هناك من يقرأ تاريخ الحرب الأهلية والتدخل الإمبريالى فى الاتحاد السوفيتى، دون أن يتأثر بما حققه البلاشفة من إنجازات فى جميع الميادين. فقد كان عليهم أن يرتجلوا أداة إدارية، وأن يبنوا جيشا وينظموه، وأن يعالجوا مجاعة وأمراضا انتشرت فى كل مكان. وكل ذلك حينما كانت وسائل الاتصال نفسها قد انهارت فى مناطق واسعة من أقاليمهم، واختفت التجارة الخارجية إلى حد بعيد، فى حين فرض على الدولة حصار قاس. وكانت بعض الأقاليم فى يد الحلفاء السابقين. ولابد أن القدرة على الاحتفاظ بالسلطة فى تلك السنوات الأولى للنظام قد بدت فى أضعف حالاتها، ومع ذلك نجحوا.

وقد نجح البلاشفة لثلاثة أسباب:

الأول : أنهم حملوا إلى الجماهير الروسية أول شعاع من الأمل : بعد قرون من سوء الحكم والتسلط على حياتهم.

ثانيا : التدخل الأجنبى من جانب البورجوازيين الإمبرياليين لانهاء أول ثورة اشتراكية فى العالم، فإن هذا التدخل كان عونا للبلاشفة وليس عونا عليهم.

أما العامل الثالث : فهو أن المجتمع البورجوازى القيصرى المنهار لم يستطيع أن يضع فى مواجهة عبقرية لينين وزملائه سوى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مجموعة من المغامرين السيئين الذين ليس لديهم أى برنامج لإعادة النظام.

وينقسم تاريخ الثورة الروسية بعد انتهاء الحرب الأهلية إلى ثلاث فترات:

الفترة الأولى: هى التى إنتهت ١٩٢٤م بموت لينين، وهى الفترة التى هيأ فيها لينين للثورة وسائل تماسكها.

والفترة الثانية من ١٩٢٤ ـ ١٩٢٧م، وهى الفترة التى توقف فيها كل تقدم فعال، بينما عانى منها البلشفيون آثار الانقسام فى النزاع على السلطة بين ستالين وتروتسكى.

أما الفترة الثالثة فهى من عام ١٩٢٧م، وهى التى شرع فيها الاتحاد السوفيتى، بعد أن تركزت جميع مقاليد السلطة فى يد ستالين، فى تنفيذ برنامج ضخم من التنظيم الجماعى والتصنيع بسرعة، وعلى نطاق لم يسبق له مثيل فى أى مجتمع آخر من قبل، فإن معدل التقدم فى هذه السنوات لم يعرف له مثيل فى الواقع باستثناء الفترة التى شهدت بداية استغلال المصادر الهائلة فى قارة أمريكا الشمالية.

وفى الفترة الأولى، وبسبب الدمار الذى خلقته الحرب الأهلية، وبسبب التذمر والاستياء الذى أخذ يبديه الفلاحون من نظام مصادرة فائض الحبوب، ومطالبتهم بالسلع الصناعية الضرورية، واستغلال أعداء الثورة هذا الاستياء فى تشجيع الفلاحين على

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الثورة والفتن، فقد استن لينين سياسة اقتصادية تعتبر باعتراف المؤرخين السوفيت تراجعا إلى حد ما عن الاشتراكية، لأنها سمحت بالتجارة الخاصة، واستئجار القوى العاملة، مما أدى إلى انبعاث الرأسمالية جزئياً.

وتعرف هذه السياسة باسم «النيب» .N.E.P. وقد قامت هذه السياسة الاقتصادية على تشجيع المشروعات الزراعية والتجارية وازدهارها، كخير سبيل لإقالة روسيا من عثرتها، ورأب ما صدعته الحرب. وقدر لينين أن من الأفضل إعطاء بعض الامتيازات المغرية للرأسمالية، فبدأ بإلغاء الإشراف العمالى فى المصانع، وإلغاء تحديد العمل اليومى بثمانى ساعات، وأعيدت الحرية إلى التجارة الصغيرة وإلى الصناعة الصغيرة التى تشغل أقل من عشرين عاملا. كما ألغيت المصادرة التى كانت تخمد همة الفلاحين للانتاج، واستبدل بها ضريبة عينية قدرها ١٠٪ من المحصول الخام، (أثناء الحرب الأهلية طبق نظام مصادرة الحبوب الذى بمقتضاه كان على الفلاحين تقديم فائض الحبوب للدولة لتموين الجيش والعمال، ويعترف المؤرخون السوفيت بأن هذه التدابير كانت قاسية جداً فرضتها ظروف الحرب).

وفى الوقت نفسه، ولبناء الاقتصاد الروسى وبناء الصناعة الروسية، منح لينين الرأسماليين الأجانب امتيازات من مختلف الأنواع (بعضها كان يعطى للشركات الأجنبية الحق فى الاحتفاظ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بكل الأرباح مع دفع الضرائب) على ألا يكون لصاحب الامتياز الحق فى امتلاك المشروع أو بيعه أو تأجيره، وإسهام الدولة السوفيتية فى إدارة المشروع الذى تقيمه الشركة الأجنبية وفى أرباحه.

وقد برر لينين هذه الإجراءات بقوله : «إن الرأسمالية شر بالمقارنة مع الاشتراكية، ولكن الرأسمالية خير إذا ما قورنت بأحوال القرون الوسطى. وإن الرأسمالية ستظل لا مفر منها مادمنا عاجزين عن تحقيق الانتقال المباشر منها إلى الاشتراكية». ثم قرر أنه لا يخشى البورجوازية ونهوض الرأسمالى الصغير، ولكنه يخاف من المجاعة والبؤس، وهو لهذا يعترف بالمزارعين المتوسطى الثراء، وتشجيعهم على النهوض بمزارعهم، وبضرورة حفز همة المزارع الصغير. وكان مطمئنا إلى أن ذلك لن يؤثر تأثيرا ضارا على المسيرة الاشتراكية، «مادام أن السلطة فى يد العمال والفلاحين، ومادام أن الصناعة والأرض والمصارف والخطوط الحديدية ووسائل النقل المائية والبحرية فى يد الدولة».

أما الفترة الثانية: فقد نشأت بعد وفاة لينين فى يناير ١٩٢٤م. فقد خلفه ريكوف RIKOV، والى جواره ستالين الأمين العام للحزب الشيوعى، الذى أصبح السيد الحقيقى للحزب والدولة.

وقد قامت خطة ستالين على إعطاء امتيازات جديدة تشجع الروح الرأسمالية، ولكن عارضه تروتسكى، الذى كان يتمتع بشعبية كبيرة بسبب دوره فى الحرب الأهلية، وكان يؤيده زينوفييف

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكامنيف. فقد هاجم تروتسكى ما أسماهم بـ «التيرميدوريين» Thermidorians[1] فى السياسة الاقتصادية الجديدة، وبين خطورة هذه السياسة على كيان الاشتراكية، ودعا إلى القضاء على طبقة الكولاك ونشر المزارعة المشتركة، والإسراع فى إنشاء المصانع لزيادة عدد البروليتياريا.

وفى النهاية انتصر الانضباط الحزبى، وأكره تروتسكى على الاستقالة عام ١٩٢٥م، ثم طرد من الحزب فى ١٥ نوفمبر ١٩٢٦م، ونفى إلى سيبريا عام ١٩٢٨م، ثم طرد نهائيا فى بداية عام ١٩٢٩ مع حوالى ثلثمائة آخرين، فالتجأ تروتسكى إلى تركيا، البلد الوحيد الذى قبل إيواءه.

أما الفترة الثالثة : فتبدأ بعد تركز السلطة فى يد ستالين بعد التخلص من معارضيه. فبعد أن نجحت السياسة الاقتصادية الجديدة (N.E.P.) فى ايتاء ثمراتها، وعاد الإنتاج الروسى إلى مايقرب من مستواه قبل الحرب، عاد ستالين فى عام ١٩٢٩م فأخذ بآراء المعارضين، فقضى على الكولاك، وفرض المزارعة المشتركة على البلاد، وبرر ذلك بقوله: «إن الظروف وقت الأخذ بالسياسة الاقتصادية الجديدة (N.E.P.) لم تكن مواتية لاعتناق آراء المعارضين». واعتبر التفكير فى تطبيقها فى ذلك الوقت كارثة وخيانة وطنية.

---

(١) أنظر فصل «الثورة الفرنسية».

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى عام ١٩٢٨م بدأ تنفيذ مشروع الخمس السنوات الأول، الذى هدف أولاً وقبل كل شئ إلى التعجيل بتقدم البلاد الصناعى. وفى ذلك قال ستالين: «يجب علينا، حتى لا نزول، أن نسبق الدول الرأسمالية، إننا متأخرون عنها بنحو قرن أو نصف قرن، ويجب علينا أن نعمل لهذا وإلا تحطمنا».

ولهذا عبأ الأمة لهذا المشروع تعبئة لا نظير لها فى التاريخ، لتحقيق الانتقال الصناعى، الذى بدونه - كما ذكر أقطاب السوفيت - لن تقوم للاشتراكية فى روسيا قائمة. وفى عام ١٩٣٧م كان عدد العمال الروس قد بلغ أكثر من ٢٥ مليون عامل بعد أن كان فى عام ١٩٢٨م ١١.٥ مليون عامل.

وهكذا استطاع الحزب الشيوعى أن يحيل الاقتصاد الروسى إلى اقتصاد تتحكم الدولة فى كافة نواحيه. وفى عام ١٩٣٥م نوه ستالين بنصر الدولة السوفيتية قائلا: «إن طبقة البروليتاريا فى الاتحاد السوفيتى قد ألغت نظام الإنتاج الرأسمالى، وأنشأت التملك الاشتراكى لأدوات ووسائل الإنتاج، وهى التى توجه المجتمع الشيوعى فى طريق الشيوعية».

على كل حال فإن انتصار الثورة البلشفية فى روسيا كان مثالا لما يمكن أن تحتذيه الأحزاب الشيوعية فى البلاد الصناعية المتقدمة. فلم تكد تنتهى الحرب، حتى اندلعت الثورات الشيوعية فى أماكن أخرى من أوروبا. فقد نشبت فى ألمانيا ثورة شيوعية بقيادة كارل ليبنخت وروزا لوكسمبرج، ونشبت ثورة شيوعية أخرى فى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

النمسا، وأصبحت المجر جمهورية سوفيتية لوقت قصير تحت قيادة بلاكون Belakun.

كما قامت حركات أخرى فى إيطاليا وأسبانيا والصين. ولكن أخمدت هذه الثورات والحركات الشيوعية. وفى عام ١٩٢٨م تجددت هذه الحركات، وانتشرت من اليابان فى أقصى الشرق إلى فرنسا وبريطانيا فى أقصى الغرب، وفى فترة واحدة تقريبا، واتخذت مظهر العنف فى ليتوانيا وفنلندا والنمسا والمجر، ومظهر الدعوة القوية فى بريطانيا واليابان.

وترجع بعض هذه الحركات لتأثيرات الكومنترن من جهة، كما ترجع لأسباب داخلية من جهة أخرى، كما هو الحال بالنسبة للحركات التى نشبت بعد الحرب الأولى خاصة.

وكان الكومنترن Comintern (الدولية الشيوعية الثالثة) قد تأسس فى عام ١٩١٩م، بعد نداء أصدرته اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الروسى وجهه إلى الشيوعيين فى كافة أنحاء العالم، لتأسيس هيئة النضال المشترك، التى ستكون رابطة موحدة ومتسقة تقود الحركة إلى «الدولية الشيوعية» التى تُخضع مصالح الحركة الشيوعية داخل كل قطر للمصالح المشتركة للثورة على نطاق دولى.

وقد انعقد أول مؤتمر للكومنترن فى ٧ـ ٩ مارس ١٩١٩م، وحضره مندوبون من الأحزاب الشيوعية فى بلاد كثيرة، ونص دستوره على أن تكون هيئته العليا مكونة من مندوبى الأحزاب

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الشيوعية فى العالم. وقد وضع لينين المبادئ الأساسية للكومنترن فى نقاطه الواحدة والعشرين، التى تُخضع الأحزاب الشيوعية فى العالم لإشراف الكومنترن، وتقضى بضرورة موافقته على برامج هذه الأحزاب، وإشرافه على صحافتها، والانضباط الحزبى الكامل، وضرورة اشتراك العضو فى الخلية الشيوعية فى المصنع، التى تبذل الجهد فى سبيل تحويل العمال إلى الشيوعية، والسيطرة على نقابات العمال، وإثارة القلاقل والاضطرابات السياسية والاقتصادية والاجتماعية تمهيداً لثورة البروليتاريا.

على أن الكومنترن فشل فى إحداث الثورة الشيوعية العمالية، وفى الوقت نفسه كان رد الفعل فى بعض البلاد قيام الحركات اليمينية المتطرفة، ممثلة فى الفاشية التى قامت فى ألمانيا وإيطاليا ثم أسبانيا. كما لقى الكومنترن العداء والخصومة الشديدة من الدول الرأسمالية.

وفى أثناء الحرب العالمية الثانية، وتقربا من جانب ستالين لحلفائه، قرر إلغاء الكومنترن فى ٢٢ مايو ١٩٤٣م. ولكن الكومنفورم (Cominform) (مكتب الاستعلامات الشيوعى) قام مكانه فى أكتوبر ١٩٤٧م فى ظروف الحرب الباردة بين المعسكر الشرقى والمعسكر الغربى، ولكنه نشأ بهدف دفاعى لا هجومى، ولم يكتسب طابعا عالميا مثل الكومنترن، وإنما اكتسب طابعا أوروبياً فى دول أوروبا الشرقية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل التاسع عشر

العالم بعد الحرب العالمية الأولى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العالم بعد الحرب العالمية الأولى

١ ـ التغيرات الاقتصادية والاجتماعية :

أسدل الستار على الحرب العالمية الأولى عندما وقعت ألمانيا الهدنة مع الحلفاء يوم ١١ نوفمبر ١٩١٨م، وانتهت بذلك أكبر حرب عالمية إلى ذلك الحين، فقد اشتركت فيها ثلاثون دولة، واستمرت أربع سنوات ونصف.

ولسنا فى سبيل استقصاء أسباب هذه الحرب العظمى، فقد تشعبت الآراء وتفرقت: بعضها ينسب قيامها إلى نظام المحالفات ومبدأ توازن القوى، وبعضها ينسبها إلى المسألة البلقانية (السبب المباشر للحرب)، والبعض الثالث ينسبها إلى المنافسة البحرية الألمانية البريطانية، كما ينسبها البعض الرابع إلى رغبة فرنسا فى استرداد الألزاس واللورين، وينسبها البعض الخامس إلى التنافس الاستعمارى بين الدول الكبرى فى الثلث الأخير من القرن التاسع عشر من أجل السيطرة على آسيا وأفريقيا. وإن كان الرأى الأصوب أن هذه الأسباب مجتمعة قد أدت إلى قيام الحرب

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فالحدث التاريخى لا يصنعه سبب واحد مهما عظم شأنه، والمنظور التاريخى الواحد لا وجود له، ومن هنا يقع الخلاف والاختلاف فى الآراء، وهذا الخلاف وهذا الاختلاف ضروريان للتقدم، فالحركة يصنعها التناقض، والجدل أساس التطور.

وعندما ارتفع الستار على العالم مابعد الحرب، كان قد تغير كل شئ اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا. فالحرب نار تخرب وتعمر، تهدم وتبنى، وكل ذلك يعنى التغيير والتحول.

ومن الناحية الاقتصادية، فقد تهدم نظام الاقتصاد الأوروبى الذى كان له دور مسيطر فى حياة العالم الاقتصادية قبل الحرب.

ففيما يختص بالقوى المنتجة الأوروبية، فإن النظام الاقتصادى الأوروبى فقد فى الحرب ثمانية ملايين ونصف ممن تتراوح أعمارهم بين ٢٠ ، ٤٠ سنة، أى ممن يمثلون القوى العاملة الأساسية.

وفيما يختص بوسائل الإنتاج، فقد دمرت الحرب المصانع والآلات، وحتى الأرض أيضاً. ففى بعض المناطق الفرنسية، التى دام فيها القتال عدة أشهر، قلبت المدفعية الأرض، وأصبح من المستحيل استخدامها فى الزراعة قبل تنظيفها تماماً. وفى بعض الحالات قدر أن تنظيف الأرض تتجاوز نفقاته قيمة الأرض ذاتها!

أما من ناحية الإنتاج، فقد رصدت الدول المحاربة مواردها وجميع موادها الخام لحاجات الحرب التى استمرت أربع سنوات

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ونصف، وعندما انتهت الحرب كان الطلب على المواد الأولية والغذائية والمصنوعات الاستهلاكية يتجاوز العرض بكثير. وقد ظل القسم الأكبر من أوروبا يعانى من هذا العجز حتى منتصف عام ١٩٢٠م تقريبا. وبالإضافة إلى ذلك فان الحرب قد دمرت معظم الخطوط الحديدية فضلا عن وسائل النقل البرية والبحرية.

أما من الناحية المالية، ففى الوقت الذى كانت أوروبا فى حاجة ماسة إلى المال لتعمير ماخرب، كانت تعانى من انخفاض قيمة النقد فيها، بسبب التضخم الناتج عن إصدار الأوراق المالية بكثرة لمواجهة النفقات العامة، وتناقص احتياطيها الذهبى نتيجة استخدامه فى دفع مشترياتها من الخارج.

وبطبيعة الحال فلم يكن نصيب جميع الدول الأوروبية من هذا الدمار متساويا. فبالنسبة لبريطانيا فإنها فقدت ١٠٪ فقط من رجالها العاملين، وبقيت غالبية آلاتها سليمة، ولكن المشكلة المالية فيها كانت مستفحلة بسبب استدانتها مبالغ جسيمة من الولايات المتحدة تقرب من ٦ آلاف مليون دولار.

أما فرنسا فكانت خسائرها جسيمة، لأنها كانت مسرحا للحرب، فقد فقدت ٢٠٪ من قوتها العاملة (مليون و ٣٥٠ ألف) وتعطل فيها مايقرب من ٤ ملايين هكتار (الهكتار ٢.٥ فدان) من الأرض، وأصبحت بحاجة إلى إصلاح لتعود صالحة للزراعة. كما فقدت تسعة أعشار قطيعها من الأبقار.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أما روسيا فقد بلغت خسائرها فى القوى البشرية عدة ملايين، وتوقف كثير من مصانعها، وتوقف تصدير الحاصلات الزراعية، وأصابها شلل فى النقل.

أما ألمانيا فقد فقدت مايقرب من ١٥٪ من قوتها العاملة (مليون، ٧٠٠ ألف)، واستنفدت أثناء الحرب مخزونها من المواد الأولية، وفقدت أسطولها التجارى الذى صادره الحلفاء، كما أفقدتها معاهدة الصلح بعض أراضيها المهمة لحياتها الاقتصادية وهى: السار، وقسم من سيليزيا العليا. كما كان عليها أن تدفع ديون التعويضات التى فرضها الحلفاء. ولكنها من الناحية المالية كانت أفضل من الدول المنتصرة، لأن الحصار البحرى عليها حال دون شرائها من الخارج، وبالتالى فلم تعقد ديونا خارجية.

كما أن الحرب لم تجتحها إلا فى بداية سبتمبر ١٩١٤م فى جزء صغير من بروسيا الشرقية. وبالتالى فقد بقيت مصانعها سليمة، بل إنها كانت تستحوذ فى نهاية الحرب على أجهزة تفوق ماكانت تملك عام ١٩١٤، بفضل ما أنتجت من صناعات حديثة، كصناعة البترول التركيبى، والحرير الصناعى.

وعلى العكس مما حدث من تدمير فى أوروبا بسبب الحرب، فإن نفس الحرب كانت بالنسبة للدول الكبرى الصناعية خارج أوروبا عامل بناء وتعمير.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فبالنسبة للولايات المتحدة، فقد كانت المستفيد الأول من الحرب، بسبب حاجة المحاربين والمحايدين إليها، مما جعلها أكبر تاجر فى العالم فى ذلك الحين، وبسبب دخولها الحرب متأخرة، وابتعاد أراضيها عن مسرح الحرب.

فقد تضاعف إنتاجها الزراعى والصناعى والتعدينى، وقفزت صادراتها بين ١٩١٣ و ١٩١٨م من ٣ آلاف مليون دولار إلى ٦ آلاف مليون تقريبا، وبلغ فائض الصادرات عن الواردات فى الأربع سنوات ٧,٥ آلاف مليون دولار. وفى عام ١٩١٩م كان فى يد الولايات المتحدة نصف الذهب العالمى، وكانت دائنة للدول الحليفة بـ ١٠ آلاف مليون دولار، فى حين بلغت الاستثمارات الخارجية ٨ آلاف مليون دولار، وأصبحت أمريكا الجنوبية خاضعة لسيطرة رأس المال الأمريكى، بعد أن كانت خاضعة لرأس المال الأوروبى.

أما اليابان، التى كانت رغم نهضتها الصناعية متأخرة عن أوروبا فى عام ١٩١٤م، فبعد زوال المنافسة الأوروبية فى أثناء الحرب، استطاعت أن تغزو اقتصاديا ميدان الشرق الأقصى. أما فى أمريكا الجنوبية فقد حلت منتجاتها الصناعية محل المنتجات الألمانية فى شيلى وبيرو، اللتين كانتا قبل الحرب تتعاملان مع الصناعة الألمانية. كما صدرت الأسلحة إلى روسيا، وصدرت فى عام ١٩١٨م المنتجات الصناعية إلى الولايات المتحدة. وبعد أن كان ميزانها التجارى قبل الحرب فى حالة عجز دائم، انقلب ليصبح فائضا، وبلغ هذا الفائض فى خلال أربع سنوات ١٤٠٠ مليون ين.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى الوقت نفسه فإن كثيرا من دول العالم الصغرى، بسبب توقف ورود البضائع الأوروبية، الذى كان بمثابة حماية لمصنوعاتها الوطنية من المنافسة، قد استطاعت إنهاض هذه الصناعات والاعتماد على نفسها، كما حدث فى بلاد أمريكا اللاتينية التى صنعت منسوجاتها بعد أن كانت تشترى المنسوجات الانجليزية، ومصر التى انتعشت بعض صناعاتها.

هذا فيما يتصل بالتغيرات الاقتصادية، أما فيما يختص بالتغيرات الاجتماعية، وهى التى ترتبت عليها، فان التضخم النقدى قد ضرب أصحاب الدخل المحدود والملاك الصغار والموظفين والعمال ضربة شديدة، فى حين حقق البورجوازيون الكبار والمتوسطون من المنتجين والوسطاء ثروات ضخمة.

وبارتفاع نفوذ البورجوازيين الكبار، وضعف شأن كبار الملاك الزراعيين فى البلاد المتأخرة صناعياً، خصوصا فى شرق أوروبا، ومع الخوف من الثورة الاجتماعية، اضطر كبار الملاك إلى إرضاء الطبقات الفلاحية فى البلاد المجاورة للاتحاد السوفيتى، فقد وضع حد أقصى للملكية الزراعية فى رومانيا وبولندا وفنلندا واستونيا وليتوانيا، ووزعت الأراضى الفائضة على الفلاحين، مما أسفر عن تكوين طبقة من صغار المزارعين، تسد الفجوة بين كبار الملاك والعمال الزراعيين.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أما فى البلاد المستعمرة وشبه المستعمرة، فإن احتياجات الحرب قد شددت من قبضة الدول الأوروبية المستعمرة عليها، وأدت إلى استحلابها على نحو أضر بالمصالح الاقتصادية للطبقات الاجتماعية فيها، بما فيها الطبقة البورجوازية، مما أسفر عن غضب وسخط عام أدى إلى تحرك هذه البلاد بكل طبقاتها، مطالبة بالاستقلال والتحرر بعد الحرب.

٢ ـ التغيرات السياسية فى أوروبا :

هذا على كل حال فيما يتعلق بالتغيرات الاقتصادية والاجتماعية. أما فيما يتعلق بالتغيرات السياسية، فقد شهد انتهاء الحرب تغير المسرح السياسى تغيراً جذريا عما كان عليه قبل الحرب العالمية الأولى، وذلك باختفاء الأسرات العسكرية الحاكمة فى أربع إمبراطوريات، هى: أسرة الهابسبيرج Habsburg فى النمسا والمجر، والهوهنزلرن Hohenzollern فى ألمانيا، ورومانوف Romanoff فى روسيا، وآل عثمان فى تركيا.

كما شهد أنتهاء الحرب تحول روسيا القيصرية إلى الشيوعية، ونفضها أيديها من تراب العصر الاستعمارى، بإذاعتها نصوص المعاهدات والاتفاقات الاستعمارية التى عقدتها بريطانيا وفرنسا مع الحكومة القيصرية قبل ثورة أكتوبر ١٩١٧م.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٣ ـ تسوية مؤتمر فرساى :

وبناء على معاهدات الصلح، وهى: معاهدة فرساى Versailles مع ألمانيا فى ٢٨ يونية ١٩١٩، ومعاهدة سان جرمان St. Germain مع النمسا فى ١٠ سبتمبر ١٩١٩م، ومعاهدة نويى Neully مع بلغاريا فى ٢٧ نوفمبر ١٩١٩م، ومعاهدة تريانون Trianon مع المجرفى ٤ يونية ١٩٢٠م، ومعاهدة سيفر Sèvre مع تركيا فى ١٠ أغسطس ١٩٢٠م - بعثت دولة إلى الحياة، وهى بولندا، واصطنعت أخرى، وهى تشيكوسلوفاكيا، وتحولت دولتان صغيرتان إلى دولتين كبيرتين، وهما:

يوغوسلافيا، التى كانت مملكة الصرب القديمة، فتضاعفت مساحتها إلى ثلاثة أمثالها، وتضاعف سكانها إلى ثلاثة أمثالهم أيضا، بعد أن أضيف إليها الجبل الأسود ودلماشيا والبوسنة وسلافونيا Slavonia، وذلك على حساب دولة النمسا والمجر.

كذلك رومانيا، التى تضخمت مساحتها تضخما كبيرا، فاستردت ترانسلفانيا Transylvania من المجر، وبوكوفينا Bu-kovina من النمسا، ومقاطعة بساربيا Bassarabia من الروسيا، وبذلك تضاعفت مساحتها، كما تضاعف سكانها، حتى انضم إليها أكثر من ثمانية ملايين، نصفهم من الرومانيين.

كذلك فقد شطرت دولة النمسا والمجر إلى شطرين، فانفصلت كل منهما عن الأخرى، وأصبحتا دولتين منفصلتين مستقلتين.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولم يكتف الحلفاء بذلك بل أنقصت معاهدة سان جرمان عدد سكان النمسا إلى نصفها القديم، وكان هذا العدد يبلغ ٢٢ مليونا، كما تقلصت مساحتها إلى نصف حجم مساحتها السابقة. فقد سلمت المعاهدة ٧.٥ ملايين من السلاف فى غاليسيا Galicia إلى دولة بولندا الجديدة، كما سلمتها أكثر من مليون آخر من غير الألمان.

واقتطعت من النمسا بوهيميا وموراڤيا اللتان بلغ عدد سكانهما عشرة ملايين، أغلبيتهم الساحقة من التشيك، ليتكون منهم ومن المليونين من السلوفاك ومليون آخر من المجريين والروتينيين دولة تشيكوسلوفاكيا الجديدة.

كذلك تخلت النمسا لإيطاليا عن التيرول الجنوبى، ومنطقة ترنتينو Trentino وتريستا Trieste وشبه جزيرة استريا Istria وبعض الجزر على ساحل دلماشيا.

وبذلك تحولت النمسا، التى ظلت تملأ الحياة السياسية فى أوروبا طوال ثلاثة قرون، إلى دولة صغيرة فقيرة.

كذلك تقلصت مساحة المجر بموجب معاهدة تريانون، فوزعت حدودها القديمة على يوغوسلافيا ورومانيا وتشيكوسلوفاكيا، وانضم جزء منها إلى النمسا ذاتها، وحرمت من الميناء الذى كانت تنفذ منه إلى البحر وهو ميناء فيوم Fiume، فأصبحت دولة مغلقة، وانكمشت مساحتها من ١٢٥ ألف ميل مربع إلى ٣٥ ألف فقط.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كذلك تقلصت مساحة بلغاريا بموجب معاهدة نويبى، بعد أن فقدت تراقيا الغربية Thrace التى كانت قد انتزعتها من تركيا فى حروب عام ١٩١٣، وكانت تعتز بها لأنها منفذها إلى بحرايجة Aegean Sea، وقد ضمت هذه المنطقة إلى اليونان. كما سلمت ثلاث مناطق صغيرة فى حدودها الغربية إلى يوغوسلافيا.

وهكذا اصبحت بلغاريا، التى كانت تتطلع لزعامة دول البلقان فى عام ١٩١٢ ـ ١٩١٣م، من أصغر الدول فى تلك المنطقة!

وأخيراً فقد تقلصت مساحة ألمانيا بمقتضى معاهدة فرساى. فقد تنازلت لبلجيكا عن مدينتى يوبين Eupen ومالميدى Malmédy، وأعادت شمال شلزڤيج للدنمارك، وأجبرت على رد الألزاس واللورين لفرنسا، بحجة أن عواطف سكانها مع الفرنسيين وإن كانوا يتكلمون الألمانية! كما أعطت دولة بولندا الجديدة رقعة كبيرة من الأرض تتمثل فى بروسيا الغربية وبوزن Posen، كما أعطتها أيضا ممرا إلى البحر ينتهى عند دانزج Danzig ويفصل مابين بروسيا الشرقية وألمانيا. كما أعطتها جزءاً كبيراً من سيليزيا العليا بما فيه من نصيب وافر من الثروة المعدنية.

وبالإضافة إلى ذلك، فقد فقدت ألمانيا مستعمراتها.

كما اشترط لضمان الأمن فى أوروبا ألا يتم اتحاد سياسى بينهاوبين النمسا Anschluss دون موافقة عصبة الأمم. وفرض على

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ألمانيا نزع سلاح المنطقة الواقعة شرق الراين إلى مسافة خمسين كيلومترا على الدوام. هذا فضلا عن إخلاء رينانيا (غرب الراين) من كل حصن عسكرى، ومن كل منظمة عسكرية. وفيما عدا ذلك فقد تركت معاهدة فرساى الرايخ سليما إلى حد كبير من الناحيتين الجغرافية والاقتصادية، وحفظت له وحدته السياسية وقوته وإمكاناته كدولة عظمى.

ولقد شملت أراضى بولندا: بولندا الروسية، وبولندا النمسوية، وبولندا الروسية القديمة. وامتدت نحو الشرق، غير أن معاهدة فرساى لم تعين حدود بولندا فى هذه الجهة، ولم تلبث أن تحددت هذه الحدود فى معاهدة ريجا Riga ١٩٢٠م بعد الحرب البولندية الروسية.

هذا على كل حال فيما يتصل بالتغييرات السياسية فى أوروبا، أما خارج أوروبا فقد أعيد توزيع المستعمرات الألمانية على الدول المنتصرة تحت اسم الانتداب، فاستولت فرنسا على الكمرون ونصف توجو، واستولت بريطانيا على تنجانيقا عدا رواندا وأوروندى، كما استولت على النصف الآخر من توجو، وأفريقية الجنوبية الغربية الألمانية. واستولت بلجيكا علي رواندا وأوروندى، وضمت إلى الكنغو البلجيكى، وأعطيت اليابان جزر الهادى الألمانية وهما : مارشال Marshall وكارولينا Carolina (عدا جوام)، وماريانا Mariana وكذا كياتشاو Kiaochow فى شبه جزيرة شان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تونج. وأعطيت استراليا غينيا الجديدة، وأعطيت نيوزيلاندا الجزر الألمانية الموجودة فى محيط غينيا الجديدة New Guinea ـ كما أعطيت إنجلترا ناورو Nauru فى المحيط الهادى.

أما فى الشرق الأوسط فبمقتضى معاهدة سيفر، لم يبق للأتراك إلا مدينة القسطنطينية مع ركن صغير من الأرض الأوروبية خلفها، والقسم الأعظم من آسيا الصغرى، أى الأناضول، أما بقية أراضى الإمبراطورية العثمانية فقد سلخت منها.

فقد اعترفت تركيا بالاستقلال الذاتى لكردستان، وأقرت بأن أرمينيا دولة حرة مستقلة، ووضعت منطقة إزمير Izmir والأراضى المجاورة بصورة مؤقتة تحت إدارة اليونان، مع بقائها إسميا تحت السيادة التركية، ووضعت سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسى، وفلسطين وشرق الأردن والعراق تحت الانتداب البريطانى. واستولت إيطاليا على جزيرة رودس وجزر الدوديكانيز Do-decanese، وأعطيت جزر بحر إيجة إلى اليونان، ووضع مضيقا البوسفور والدردنيل تحت رقابة لجنه دولية، فلايجوز حصارهما ولا إدخالهما ضمن منطقة حرب إلا تنفيذا لقرار مجلس عصبة الأمم.

واعترفت تركيا بالحالة السياسية الجديدة التى نشأت عن الحرب فى مصر والسودان وقبرص وبحر إيجة، وبالحماية الفرنسية على المغرب وتونس، وتنازلت عن كل حقوقها فى بلاد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العرب وسوريا وفلسطين والعراق. وقد اتفق على منح فرنسا منطقة نفوذ فى الأناضول تمتد إلى شمال سوريا، وعلى منح إيطاليا منطقة نفوذ أخرى جنوب وشرق إزمير.

على أن الشعب التركى تمرد على المعاهدة، وخاض بقيادة مصطفى كمال (أتاتورك) المعارك مع اليونانيين، وأحرز الانتصار عليهم، فأعيد النظر فى المعاهدة فى مؤتمر لوزان ١٩٢٣م، وبموجبها وافقت تركيا على التخلى عن سيادتها على البلاد العربية، كما وافقت على حياد المضايق وحرية الملاحة فيها. وفى مقابل ذلك أعيد إلى تركيا تراقيا الشرقية، وإزمير، وأضاليا، وكيليكيا.

٤ ـ إنشاء عصبة الأمم League of Nations :

وقد تمخضت الحرب عن تنظيم دولى لم يسبق له مثيل فى تاريخ البشرية، وهو إنشاء عصبة الأمم. وقد أحدث إنشاء هذه العصبة عدة تغيرات جوهرية فى العلاقات الدولية، أولها: أنه استبدل بنظام توازن القوى، الذى كان سائدا منذ القرن السادس عشر، نظام أمن جماعى تكون كل دولة فيه ملزمة بمساعدة أية دولة تتعرض للعدوان من قبل دولة أخرى.

ثانياً: أن العصبة لم تُنشئ فقط «مجلسا» تنعقد فيه الدول الكبرى، كما كانت تنعقد فى أحوال كثيرة من قبل، وإنما أنشأت

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العصبة «جمعية عمومية» تجتمع فيها كل الدول كبيرها وصغيرها على قدم المساواة، ويمكنها أن تناقش فيها الشئون الدولية. ولم يكن هذا موجودا من قبل فى العلاقات الدولية.

ثالثاً : إنشاء لجنة دائمة للانتدابات. وكانت الدول المنتصرة، وفقا للأسلوب التقليدى السابق، تضم إليها عادة مستعمرات وأملاك الدول المنهزمة فيما وراء البحار، ولكن النظام الجديد جعل هذه الدول تقوم بالوصاية على المستعمرات نيابة عن المجتمع الدولى، والإشراف عليها من خلال لجنة الانتدابات. أما مهمة هذه الدول فهى تحقيق الرفاهية والتنمية لهذه الدول الواقعة تحت الانتداب.

وصحيح أن الانتداب الذى ابتدعته المنظمة الدولية الخاضعة لسلطة الدول العظمى كان وجها ثانيا للاستعمار، ولكن المحاولة مع ذلك قد كشفت وعيا وإدراكا بأن الشعوب خارج القارة الأوروبية قد امتلأت بالرغبة فى الاستقلال والتحرر، ولم يعد من المتيسر معاملتها على نحو سافر كجزء من لعبة توازن القوى الأوروبى. وعلى كل حال فقد اقتصرت الانتدابات ـ كما رأينا ـ على البلاد التى خسرتها دول الوسط وتركيا، ولم يستقل من هذه الدول بالفعل إلا العراق فقط.

رابعاً : إنشاء محكمة العدل الدولية التابعة لعصبة الأمم. وذلك للفصل فى المنازعات الدولية التى يمكن الفصل فيها بالطرق

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الدولية، وقد جعل مقر هذه المحكمة فى «لاهاى» The Hague بهولندا.

وكان من حق الدول أن تلجأ إلى هذه المحكمة فيما ينشأ بينها من منازعات ترى حلها بواسطة تحكيم القانون، وفى هذه الحالة تتفق الدول المتنازعة على قبول قرار المحكمة دون جدال.

خامساً : إدخال مبدأ العدالة الاجتماعية فى العلاقات الدولية، والاهتمام عالميا بمشاكل العمال لأول مرة، باعتبار أن تحقيق العدالة الاجتماعية لهؤلاء العمال من عوامل استقرار السلام فى العالم، الذى هو من أغراض العصبة.

ولذلك فقد تفرعت من العصبة منظمة دولية أطلق عليها اسم مكتب العمل الدولى»، من واجباتها عقد المؤتمرات التى تمثل فيها الدول المختلفة، لبحث ساعات العمل، والشروط التى يخضع لها أصحاب الأعمال والعمال على السواء، ومشكلة البطالة، وتعويض العمال، والتأمين الصحى، وتشغيل الأطفال والنساء، والعمل الليلى، وعقد اتفاقيات دولية تضمن القرارات المتفق عليها.

وكان هذا المكتب الدائم يجتمع فى جنيف Geneva مرة على الأقل كل ثلاثة أشهر، ويتألف من ٣٢ عضوا، ٨ منهم يمثلون العمال، و ٨ يمثلون أصحاب الأعمال، و ١٦ مندوبا يمثلون الحكومات المختلفة. وواضح أن هذا الاهتمام كان بإيحاء الثورة السوفيتية التى قامت فى أكتوبر ١٩١٧، ومحاولة من الدول البورجوازية الرأسمالية لتأخير الثورة البروليتارية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سادساً : الاهتمام عالميا بحماية حقوق الأقليات، لمنع اضطهادها فى الدول التى عرفت بالتعصب ضد الأقليات الجنسية أو اللغوية أو الدينية، وكان لكل عضو الحق فى إثارة أية مشكلة تتعلق بالظلم الذى يقع على الأقليات فى أية دولة من دول العصبة.

سابعاً : الاهتمام بنزع سلاح الدول المنضمة إلى العصبة تدريجيا. فقد نص فى معاهدات الصلح على نزع سلاح كل الدول المنهزمة، وإلزامها بتخفيض مواردها الحربية إلى الحد الذى يكفى لحفظ النظام الداخلى فقط. وعهد إلى العصبة أن تشرف فيما بعد على تنفيذ نزع سلاح الدول المنتصرة.

وقد تمثل اهتمام مؤتمر الصلح بالعصبة ـ تحت تأثير الدكتور ولسن رئيس الولايات المتحدة ـ فى قراره بأن يكون دستور العصبة وميثاقها جزءا لا يتجزأ من معاهدات الصلح. ولذلك اشتملت كل معاهدة من المعاهدات الخمس الكبرى على المواد الست والعشرين التى تألف منها ميثاق العصبة.

٥ ـ ظهور الدول القومية الجديدة

على كل حال، إذا كان انشاء عصبة الأمم من أهم التغييرات التى ظهرت على المسرح السياسى العالمى بعد الحرب، فإن إرضاء المشاعر القومية لشعوب أوروبا الوسطى والشرقية ممالم يسبق له مثيل، يعتبر من أهم التغييرات التى شهدها هذا المسرح أيضا.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهذه الظاهرة تمثل أهم فارق بين مؤتمر ڤيينا سنة ١٨١٥م ومؤتمر الصلح عام ١٩١٩م. ومن المعلوم أن تجاهل المشاعر القومية وإغفال إرادة الشعوب فى مؤتمر ڤيينا قد ظل يحرك الأحداث فى أوروبا بالحركات القومية والدستورية طوال القرن التاسع عشر.

ويرجع الفضل فى اقرار مبدأ القوميات فى مؤتمر الصلح عام ١٩١٩م إلى نضال القوميات الطويل على طول القرن التاسع عشر من أجل تحقيق وحدتها وحريتها، كما يرجع، من جانب آخر، إلى شعار تقرير المصير الذى رفع لواءه الرئيس ولسن فى أثناء الحرب.

وبناء على الأخذ بمبدأ الحقوق فى تسويات الصلح، يسرت المعاهدات لأمتين، هما: رومانيا ويوغوسلافيا، أن تصبحا دولتين كبيرتين، وأن تجمع شمل شعبيهما مع ذوى قرباهما الذين طال بهم الفراق والانفصال. واستردت أربع دول حريتها، وهى : استونيا ولاتفيا ولتوانيا وفنلندا، وبعثت بولندا إلى الوجود من جديد.

ولقد كانت عودة بولندا إلى الحياة تبدو مستحيلة قبل الحرب، إذ كانت هذه العودة تتطلب سقوط الإمبراطوريات الثلاث التى كانت تقتسم أراضيها، وهى : روسيا، وألمانيا، والنمسا.

وكانت بولندا قد تعرضت لتقسيمات فى أعوام ١٧٧٢، ١٧٩٣، ١٧٩٥م، ثم بعثت من جديد فى أثناء الحروب النابوليونية تحت اسم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

دوقية وارسو الكبرى ، ثم ألغاها مؤتمر ڤيينا عام ١٨١٥م، وقسم أراضيها بين روسيا وبروسيا والنمسا. ولما حدثت هذه المعجزة التى كان ينتظرها البولنديون، أصبحت دولتهم من أقوى الدول الأوروبية من حيث المساحة وعدد السكان الذين بلغوا ثلاثين مليون نسمة.

أما يوغوسلافيا، التى تكونت من دولة الصرب القديمة، والجبل الأسودا، ودالماشيا، والبوسنة، وسلاڤونيا Slavonia، فكانت تضم عناصر ثلاثة، هى: الصرب فى الوسط، والكروات فى الجنوب، والسلوڤونيون فى الشمال، وكان سكانها كلهم تقريبا من اليوغوسلاف الذين تجرى فى عروقهم دماء شبيهة بالدم الصربى، ويتكلمون لغة شبيهة بلغة الصرب. فقد كان الكروات والصرب يتكلمون نفس اللغة، وكان أهالى سلاڤونيا ينطقونها بلهجة مختلفة.

وكانت هذه أول مرة فى التاريخ تظهر فيها مملكة تضم كل اليوغوسلافيين. ولذلك فإن إنشاء هذه الدولة كان عسيرا بسبب الاختلاف فى المذهب والثقافة والوعى السياسى. فقد كان الصرب يعتنقون المذهب الأرثوذكسى، وهم متأخرون فى ثقافتهم واقتصادياتهم، على حين كان الكروات والسلاڤونيون يعتنقون المذهب الكاثوليكى، وهم أكثر تقدما. أضف إلى ذلك وجود أكثر من مليون مسلم يسكنون إقليم البوسنة. ولذلك ظلت يوغوسلافيا تعانى من الخلافات والمنازعات الداخلية حتى نشوب الحرب العالمية الثانية، وتجددت هذه المنازعات بعد سقوط الإتحاد السوفيتى.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كذلك الحال بالنسبة لمملكة رومانيا الجديدة، التى تضاعفت مساحتها، كما تضاعف عدد سكانها بانضمام أكثر من ثمانية ملايين، نصفهم من الرومانيين ـ كما ذكرنا.

على أن المملكة الجديدة لم تكن مملكة مثالية، لأن الحزازات التاريخية كانت عنيفة، ولم تكن بوخارست فى موقع حسن يؤهلها لتكون العاصمة.

وتعتبر تشيكوسلوفاكيا Czechoslovakia الحالة الوحيدة التى شُكلت فيها عمداً ـ وفقا لقرارات مؤتمر الصلح ـ دولة على أساس تعدد القوميات.

فقد انضوى تحت لوائها أكثر من ستة ملايين من التشيك Czechs، وقرابة مليونين من السلوفاك Slovaks، وثلاثة ملايين ونصف من الألمان، ونحو مليون من المجريين Magyars، حتى إنها كانت تطبع عملتها النقدية بسبع لغات! وكانت الأقلية الألمانية التى تضمها تشيكوسلوفاكيا تتطلع إلى الانضمام إلى ألمانيا، ولكن الرئيس مازاريك Masaryk استطاع بحكمته أن يصون الوحدة القومية طوال عشرين عاماً، ويكّون من تشيكوسلوفاكيا دولة ليبرالية صناعية.

أما بالنسبة لفنلندا Finland وإستونيا Estonia ولاتفيا Latvia وليتوانيا Lithuania، فقد كانت هذه البلاد فى الماضى أرض المعارك بين السويد وروسيا وبولندا وألمانيا، ثم أصبحت ولايات تتبع روسيا، وقد اشتركت فى الحرب العالمية الأولى، ولعبت دورا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مهما. وبعد الحرب وانتها الفرصة، وحصلت على استقلالها، وبذلك حالت بين روسيا وبحر البلطيق.

ولقد كان سكان فنلندا واستونيا من أصل آسيوى، أما شعب لاتفيا فكان شعبا سلافيا، ولكن ليتوانيا لم تتوافر فيها وحدة الأصل.

مع ذلك، فعلى الرغم من محاولة مؤتمر الصلح إرضاء القوميات الأوروبية، وتأسيس دول جديدة تضم شتات الشعوب التى خضعت للامبراطوريات الكبيرة قرونا طويلة، فإن هذه الدول لم تسلم من الشوائب القومية، فلم تكن قوميات خالية من العناصر الغريبة.

فقد ضمت بولندا مليون ألمانى، وثلاثة ملايين من السكان السلاف فى روتينيا، وهى جزء من أوكرانيا. وضمت يوغوسلافيا أقليات ألمانية ومجرية وبلغارية. وضمت رومانيا أقليات مجرية فى ترانسلفانيا، وكذلك أقليات ألمانية. وفى المناطق التى ضمتها إيطاليا نجد فى استيريا سكانًا من السلوڤينيين Slovinians. وفى القسم الشمالى من التيرول الجنوبى نجد أقليات ألمانية.

إلا أنه مع هذه العيوب، فإن تسويات الصلح قد استطاعت تحرير البولنديين من روسيا والنمسا والمجر، وحررت التشيكيين واليوغوسلافيين من النمسا والمجر، والألزاسيين واللورينيين والدنماركيين فى شمال شلزڤيج، من ألمانيا ـ ولقد كان عدد الأقليات فى أوروبا فى عام ١٩١٤م يبلغ نحو ٦٠ مليون نسمة، يخضعون لدول أجنبية، وبعد الحرب هبط عدد الأقليات إلى ٣٠ مليون.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٦ ـ تغير أنظمة الحكم :

على كل حال، فكما شهد المسرح السياسى بعد الحرب ظهور الدول القومية الجديدة فى أوروبا، فقد شهر تغيرات كبيرة فى أنظمة الحكم فى أوروبا.

فقبيل الحرب كان النظام الملكى سائدا فى كل أوروبا، فيما عدا الجمهوريات الكبيرة فى فرنسا وسويسرا، ولكن بعد انتهاء الحرب أصبح فى أوروبا خمس عشرة جمهورية، هى: ألمانيا، وفرنسا، وسويسرا، والنمسا، وبولندا، وتشيكوسلوفاكيا ، وفنلندا، واستونيا، ولاتفيا، وليتوانيا، وتركيا، والاتحاد السوفيتى، وأسبانيا، والبرتغال وأيرلندا.

أما الملكيات فهى : بلغاريا، ورومانيا، وألبانيا، وإيطاليا، ويوغوسلافيا، واليونان، والمجر، وبريطانيا، وهولندا، والسويد، والنرويج. ومن جهة أخرى قد شهد المسرح السياسى بعد الحرب ظهور أيديولوجيات جديدة بظهور الفاشية فى إيطاليا والنازية فى ألمانيا والشيوعية فى الاتحاد السوفيتى.

٧ ـ تصدع النظام الاستعمارى :

(أ) عوامل تفسخ النظام الاستعمارى

على أن أهم ما شهده المسرح السياسى العالمى بعد الحرب، هو تصدع النظام الاستعمارى الأوروبى فى آسيا وأفريقيا والبلاد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العربية، وظهور حركات التحرر الوطنى فى هذه البلاد. وكان النظام الاستعمارى الأوروبى فى مستهل القرن العشرين قد بلغ درجة من القوة والاستقرار كان يلوح فيها أنه سيدوم إلى الابد، على أن هذا النظام لم يلبث أن أخذ يتلقى الضربات من الدول الاستعمارية الجديدة المنافسة، وهى ألمانيا واليابان والولايات المتحدة.

وبالنسبة لألمانيا واليابان فقد كانتا قبل الحرب ترغبان فى وضع أيديهما على مناطق جديدة من الأرض، فى حين كانت أمريكا، التى كانت تنكر كل مصلحة توسعية أرضية، تسعى للحصول على أعظم الغنم من الامتيازات (وخصوصا فى الصين). وقد انتهى التنافس الاستعمارى بالحرب العالمية الأولى، فكانت نتيجتها المباشرة حدوث صدع لاسبيل إلى رأبه فى تماسك الدول الغربية فى البلاد المستعمرة والتابعة فى تلك المناطق.

وبفضل هذا الصدع استطاعت اليابان، بتحالفها مع بريطانيا، طرد دولة أوروبية عظمى من الصين، هى ألمانيا، وإبعادها إبعادا نهائيا عن كل نفوذ فى الشئون الآسيوية. ومن المعروف أن دخولها الحرب إلى جانب الحلفاء كان بغرض بسط نفوذها على الصين.

كذلك استطاعت الصين، بتحريض بريطانيا وفرنسا، القضاء نهائيا على النفوذ الألمانى فى بلادها، وبذلك تأسست للصين، وغيرها من البلاد الواقعة تحت النفوذ الاستعمارى، سابقة لها قيمتها النضالية فى المستقبل للتخلص من الاستعمار.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد كانت لمساهمة الشعوب الآسيوية والعربية فى الحرب آثار بعيدة المدى. فقد أيقظت فى هذه الشعوب أملاً قويا فى الحصول على الاستقلال والحرية والتخلص من الظلم والاستبداد. ذلك أن دعوة هذه الشعوب للاشتراك فى الحرب للدفاع عن الديموقراطية، كانت تتضمن بالضرورة دعوة بمنح هذه الشعوب الديموقراطية.

وفى الوقت نفسه، فإن اشتراك الشعوب فى القتال جنبا إلى جنب مع الجنود الأوروبيين الاستعمارين، قد جعلهم يعودون إلى بلادهم بأفكار عن الديموقراطية والمبادئ الجمهورية لم يعتنقونها من قبل، كما كشفت هؤلاء الجنود أمام أعينهم فى صورة بعيدة عن الدعاية الرسمية التى تلقنوها على مدى أجيال متعاقبة.

ومن الناحية السياسية، حل بالنظام الاستعمارى للرأسمالية ضعف آخر، عندما أعلن الرئيس ولسن يوم ٨ يناير ١٩١٨م نقاطه الأربع عشرة Fourteen Points كأساس للسلام، فقد تضمنت هذه المبادئ نبذ الدبلوماسية السرية، وضرورة أن تكون المعاهدات علنية، وضمان حرية البحار فى السلم والحرب على السواء، وإزالة الحواجز الاقتصادية بين الشعوب، وخفض التسليح، وتسوية المشاكل الاقتصادية تسوية عادلة دون محاباة، والتعاون مع روسيا فى تنظيم سياستها القومية، وتقرير النظم التى ترغب هى ذاتها فيها، وتعديل الحدود الأوروبية بما يتفق مع مبدأ حق الشعوب فى تقرير مصيرها بنفسها، وإنشاء عصبة أمم.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد كان لمبدأ حق تقرير المصير عند إعلانه دوى كأنما هبط من السماء، وقد هلل له الناس فى البلاد المستعمرة والتابعة بوصفه مبدأ للتحرر والخلاص. ولما كانت كل دولة من دول الحلفاء الاستعمارية قد أعلنت إيمانها ظاهريا بمبادئ ولسن، فلم يكن فى وسعها أن تعارض جهارا أمانى الشعوب المستعمرة المؤسسة على هذه المبادئ، وبذلك استدعى الموقف أن تقبل هذه الدول الاستعمارية مبدأ الحكم الذاتى للأقطار المستعمرة، ولم يعد فى وسعها تجاهل المطالبة به بحجة سبقه للأوان.

وبالاضافة إلى مبدأ تقرير المصير وتأثيره، فقد كان هناك تأثير عظيم آخر للثورة الروسية التى نشبت فى أكتوبر ١٩١٧م، والتى أعلنت أن الكفاح ضد السيطرة الاستعمارية إنما هو جزء من الكفاح ضد الرأسمالية. وبذلك أضافت معنى جديدا لكفاح الشعوب مرتبطا كل الارتباط بالأسباب الرئيسية للاستعمار.

وكانت دعوة روسيا إلى المساواة العنصرية، بل وممارستها لها، وإلغاؤها الامتيازات التى كانت القيصرية قد حصلت عليها فى إيران والصين، وتقبلها بالرضا استقلال الأقطار التى كانت تابعة من قبل لروسيا، مما جعل من العسير على الدول الاستعمارية التى طال ادعاؤها مناصرة الحرية والتقدم، أن تنكر على الشعوب المستعمرة مطالبها.

وبالإضافة إلى هذه العوامل، فإن بعض العوامل الاقتصادية التى أنتجتها الحرب قد عملت أيضا على تقويض سيادة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الرأسمالية الغربية، وبالتالى تدهور الاستعمار. فقد استخدمت اليابان ـ كما ذكرنا ـ فرصة السنوات الأربع للحرب لتنفيذ خطتها فى توسيع تجارتها فى الشرق، خاصة بعد أن أزيلت المنافسة الألمانية، وكانت إنجلترا وفرنسا توجهان كل مواردهما نحو إحراز النصر.

كما أن الحرب، بما ترتب عليها من انقطاع المنتجات الأوروبية، قد أفسح السبيل لرأس المال الوطنى داخل المستعمرات للنهوض، كما حدث فى مصر حيث انتعشت بعض الصناعات التى قوضتها البضائع الأجنبية قبل الحرب، مثل صناعات الدباغة والأدوات الجلدية والآثاث، وكثرت معاصر الزيوت ومطاحن الغلال وورش السبك والحدادة والصناعات الدقيقة.

كما حدث أيضا فى الهند، حيث زاد إسهام رأس المال الهندى فى ميادين كانت حتى ذلك الحين حكرا على البريطانيين، مثل صناعة الجوت. وقد تبدت فى الهند هذه الآثار الاقتصادية بصفة خاصة، عندما انتهت الحرب، وأخذ رأس المال الأمريكى يتحدى رأس المال البريطانى، حتى اضطر الأخير إلى اتخاذ خطة الدفاع فى الهند.

وثم عامل آخر كان له أثر فى تصدع السيطرة الاستعمارية، وهو نمو حركة الأحزاب اليسارية فى أوروبا الغربية بعد الحرب، وانتهاجها سياسة معتدلة تجاه المطالب الوطنية فى البلاد الخاضعة لسيطرة نفوذ بلادها.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فقد كان حزب العمال البريطانى، فى أثناء فترة نموه، على اتصال وثيق بالحركة القومية فى الهند، بل إن رمزى مكدونالد Ramsay Mac Donald، زعيم الحزب الاشتراكى، كان من نصرائها الأوائل. وكذلك كانت سياسة هذا الحزب بالنسبة للحركة الوطنية فى مصر، حيث كانت له صلات بسعد زغلول.

كذلك عملت القومية فى فيتنام مع أحزاب اليسار فى فرنسا. وعلى الرغم من أن هذه الأحزاب اليسارية لم تذهب بعيدا فى تأييد الحركات الثورية، فإن سياساتها عادت بالتفكك على الروابط القديمة للسيطرة الاستعمارية.

وهكذا يمكن إجمال الأسباب فيما شهدته الفترة بعد الحربين العالميتين من تدهور نظام السيطرة الإمبراطورية وتصدع الاستعمار إلى الآتى:

(أولا) تفسخ النظام الاستعمارى بعد الحرب العظمى.

(ثانياً) ازدياد قوة القوى الوطنية فى ظروف الصراع العالمى الذى دعيت هذه القوى للاشتراك فيه.

(ثالثاً) دخول أمريكا المسرح السياسى بشعارات تقرير المصير.

(رابعاً) ثورة أكتوبر ١٩١٧ فى روسيا.

(خامسا) التناقضات داخل النظام الرأسمالى الاستعمارى نفسه.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وعلى هذا النحو، يمكن اعتبار الحرب العالمية الأولى، بذلك الحجم الواسع الهائل الذى دارت فى إطاره، بمثابة ثورة عالمية عظمى. كما يمكن القول إن هوة سحيقة لا سبيل إلى اجتيازها قد نشأت فى ذلك الحين، وفصلت مابين الأيام السابقة على أغسطس ١٩١٤م والأيام التالية لنوفمبر ١٩١٨م.

(ب) حركة التحرر الوطنى فى الهند :

على كل حال فقد تبدى أثر هذه العوامل جميعها فى قيام حركة التحرر الوطنى فى آسيا والبلاد العربية بعد الحرب.

وفيما يتصل بآسيا، فقد شملت حركة التحرر الوطنى الهند والصين .

أما الهند، فكانت قد نشأت فيها حركة قومية صغيرة فى أيام ١٨٨٦م، تطالب فى مقدمة مطالبها بالحكم الذاتى، ولكن هذه الحركة لم يكن لها أثر يذكر.

وعندما نشبت الحرب فى أغسطس ١٩١٤م، كانت الهند هادئة نسبيا، ولكن عندما تطورت الحرب، وأصبحت آثارها المحتملة أكثر وضوحا للعين، اشتد إلحاح الشعب الهندى فى المطالبة بالحكم الذاتى السريع.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبلغ الأمر فى ذلك أن أصدرت الحكومة البريطانية فى ١٩١٧م تصريحا أعلنت فيه أسس السياسة المتعلقة بالهند، فوصفتها بأنها «التطور التدريجى لنظام الحكم الذاتى، الذى يرمى إلى إيجاد حكومة مسئولة بالهند تدريجيا، تكون جزءاً لا يتجزأ من الإمبراطورية».

ثم قامت الحكومة البريطانية بضم وزيرين هنديين إلى عضوية وزارة الحرب فى لندن، ودعيت الهند لحضور جلسات المؤتمرات الإمبراطورية، التى كانت عضويتها حتى ذلك الحين قاصرة على أعضاء رابطة الدول البريطانية (الكومونولث Commonwealth) ممن يتمتعون بالحكم الذاتى.

وقد بلغ ارتفاع شأن الهند دوليا ما أتاح لها أن تطالب لنفسها بمقعد فى مؤتمر الصلح، وأن تجعل صوتها مسموعا بقدر مافى المسائل المتعلقة بمصالحها المباشرة.

ولكن هذه الاصلاحات لم تُرض الجماهير الهندية. ولما وضعت الحرب أوزارها سرت موجة من الاستياء بين المسلمين، لشروط الصلح التى فرضت على تركيا دولة الخلافة، حتى أعلنت الحكومة فى إقليم البنجاب Punjab الأحكام العرفية، واشتدت إجراءات القمع لإخماد ما اعتبر عصيانا وثورة. ولكن هذه الإجراءات لم تزد الشعب الهندى إلا غضبا، وحولت الهياج إلى حركة قومية عظمى.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى تلك الأثناء، وفى الوقت الذى كان الشعب الهندى يحس بالمذلة والغضب للمذابح التى جرت، تولى المهاتما غاندى قيادة الحركة الوطنية ، وبدأ حركة عدم التعاون التى دعا اليها.

وكانت فكرة المهاتما غاندى Gandhi فكرة بسيطة، فقد رأى أنه لما كان سلطان البريطانيين بالهند يقوم على تعاون جميع أهلها بمختلف طبقاتهم، فإن سحب ذلك التعاون لابد أن يفضى بالضرورة إلى انهيار تلك الحكومة.

وقد استغل غاندى الاضطراب الخطير الذى كان يجتاح الرأى العام الإسلامى فى ذلك الحين، لما بدا من جانب الحكومة البريطانية من اتجاه إلى تقسيم الأراضى الأصلية للدولة العثمانية بين الحلفاء الغربيين، والاضطرابات التى حدثت ابتغاء إعادة الخلافة إلى نصابها - فاعتبر هذه الحركة التى تناصرها العناصر المسلمة فى الهند، جزءا من الحركة القومية، وأخذ يعمل على تحقيق اتحاد الأديان والعروق، واتحاد المسلمين والهندوس بغية الوصول إلى وضع سياسى جديد.

ولكن الحركة الوطنية فى الهند لم تحقق نصرها النهائى إلا فى ١٩٤٧م، يوم غادرت بريطانيا الهند، ولكن بعد أن انفصلت عنها المناطق التى تسكنها غالبية إسلامية لتكون دولة الباكستان الجديدة. وقد توقفت سلطات الحكومة البريطانية بالهند يوم ١٥ أغسطس ١٩٤٧م، يوم نزل ملك إنجلترا عن لقب إمبراطور الهند.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(جـ) تخلص الصين من السيطرة الاستعمارية :

أما فى الصين فإن السيطرة الاستعمارية عليها فى ذلك الحين كانت تتمثل فيما عرف باسم «المعاهدات غير المتكافئة»، التى فرضتها عليها الدول الاستعمارية، وبمقتضاها لم يكن يحق للصين أن تفرض رسوما جمركية على البضائع الأوروبية تزيد على ٥٪، كما كان للدول الاستعمارية فى الصين امتيازات Concessions تتمثل فى امتيازات قضائية، ومناطق امتياز يديرها رعايا هذه الدول بأنفسهم، ويقومون بإجراءات الأمن منها.

وقد رأينا كيف هيأت الحرب العظمى الفرصة للصين للقضاء نهائيا على النفوذ الألمانى فيها، وسحب كل ما منحته للألمان من أرض وامتيازات قضائية، ولكن فى الوقت نفسه كانت اليابان قد تمكنت من النزول على الأرض الصينية لطرد الألمان بمساعدة البريطانيين، واستولت على كياوتشاو الألمانية.

وبعد امتلاك المنطقة الألمانية، وجهت السياسة اليابانية التفاتها نحو الصين نفسها، فطلبت الاحتفاظ بمناطق معينة مثل «شانتونج» و «فوكين» (الواقعة قبالة فورموزا Formosa) كمناطق نفوذ يابانى، ووضع منشوريا ومنغوليا الشرقية الداخلية تحت حماية اليابان.

ولم تملك حكومة الصين، بعد تأييد بريطانيا والولايات المتحدة لهذه المطالب، إلا الموافقة على توقيع معاهدتين وثلاث عشرة مذكرة متبادلة، كان من شأنها أن تنزل بالصين إلى منزلة المحمية اليابانية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولكن لما كان الدستور الصينى ينص على ضرورة تصديق البرلمان على المعاهدة، فقد أجمعت الصين بجميع هيئاتها على اعتبار هذه المعاهدة باطلة، وغير ملزمة للحكومة الصينية.

وفى ١٤ أغسطس ١٩١٧م انضمت الصين إلى الحلفاء، فصار لها وضع خاص فى مؤتمر الصلح، حيث طالبت باسترداد استقلالها التام، وإلغاء المعاهدات غير المتكافئة. ولكن مؤتمر الصلح قرر أن ينقل إلى اليابان جميع حقوق ألمانيا بشبه جزيرة شان تونج Shantung، وعندئذ رفض مندوبو الصين توقيع معاهدة فرساى.

ولم تلبث معاهدة فرساى أن أثارت اضطرابا عاما فى الشعب الصينى لم يسبق له مثيل، وبدأت الحركة على يد طلبة بكين، الذين قاموا يوم ٤ مايو ١٩١٩م بمظاهرة عظمى، وحاصروا منزل وزير صينى يميل إلى اليابان، وانقضى أكثر من أسبوع والعاصمة فى حالة من الهياج العنيف، ولقيت الحركة عطفا متزايدا من الشعب الصينى، وتعالت فى البلاد جميعها صيحة تنادى بمقاطعة البضائع اليابانية.

وفى تلك الأثناء عقد مؤتمر واشنطون لتحديد السلاح البحرى بالمحيط الهادى، وأمكن للصين، بمساعدة الولايات المتحدة التى كانت تخشى التوسع اليابانى، عقد تسوية ردت بمقتضاها إلى الصين الأراضى التى كانت ممنوحة لليابان، مقابل تعويض محدد.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى ١٧ ديسمبر ١٩٢٢م غادر جنود اليابان «شانتونج»، فكان أول تقهقر أصيب به العدوان اليابانى.

كذلك طالبت الصين فى المؤتمر باعادة سيادة الصين غير منقوصة فيما يختص بسلطتها القضائية، واستقلالها فى تعريفتها الجمركية، وإلغاء كل امتياز تدعيه الدول لنفسها.

وقد أمكن للصين إحداث ثغرة فى جبهة الدول الغربية الاستعمارية حين وقعت مع ألمانيا فى عام ١٩٢١م معاهدة، تخلت بمقتضاها الأخيرة للصين عن معاهداتها الجائرة.

وفى عام ١٩٢٤م تخلت الحكومة الروسية للصين عن مناطق الامتياز، وتنازلت عن الامتيازات الأجنبية القضائية.

وفى عام ١٩٢٥م تجلت قوة الحركة الوطنية فى الصين حين أطلق البوليس فى منطقة الامتياز بشنغهاى Shanghai النار على بعض الطلبة المتظاهرين يوم ٣٠ مايو ٥ ١٩٢م، وانتقل الاضطراب إلى مدن الموانى الأخرى، وخاصة إلى «كانتون» Canton حيث أطلق الجند البريطانيون النار على المتظاهرين الصينيين، فانتقم الصينيون لأنفسهم بضربهم حصارا على هونج كونج Hong Kong، ومقاطتهم البضائع البريطانية مدة تزيد على سنة كاملة.

وفى ٢٨ ديسمبر ١٩٢٩م أصدرت الحكومة الصينية أمرا يقضى بتطبيق قوانينها على جميع رعايا الأمم الأجنبية المقيمين بأرض الصين، ابتداء من ١٩٣٠م.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى أثناء هذه المدة، تمكنت الحكومة الصينية من استرداد مناطق الامتياز للدول الأجنبية، فيما عدا مناطق الامتياز الدولية بشنغهاى وتيان تسن Tientsin، والحكم الخاص المقام فى منطقة السفارات ببكين Peking. فى ١٩٣١م ، فحصلت بذلك على انسحاب السلطات الغربية من أرضها القارية.

ولكن تدخل اليابان فى منشوريا سنة ١٩٣١م، دفع تشيانج كاى شيك Chiang Kai - Shek إلى التماس العون من دول أوروبا، ومن ثم فقد اضطر إلى ابداء سياسة اللين إزاء بقية المسائل الوطنية الأخرى (استخدام السفن الأجنبية للطرق المائية الصينية، بما فى ذلك مرور السفن الحربية بنهر اليانجتسى Yangtze، ومناطق الامتياز الدولية والوطنية، وإلغاء الامتيازات القضائية إلغاء تاما).

(د) ثورة إندونيسيا والهند الصينية :

وفى الوقت الذى كان المد الاستعمارى ينحسر فى الهند والصين، كانت السلطات الاستعمارية الهولندية فى اندونيسيا، والفرنسية فى الهند الصينية، تدرك أن التوسع الامبراطورى فى تراجع ونكوص، وكان تاريخ تلك الفترة، على نحو ما حدث فى الهند والصين، حافلا بالثورات القومية العظيمة المدى، والقمع الوحشى الذى تبديه الحكومات الاستعمارية، والمحاولات غير

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المخلصة لايجاد حل وسط بين آمال الوطنيين والمصالح الاستعمارية.

وقد استمر ذلك حتى قيام الحرب العالمية الثانية، وتدخل قوة اليابان العسكرية التى أظهرت مدى ضعف الحكم الاستعمارى، وإفلاس النظم السياسية للمستعمرين. ولم تعمل الحرب الثانية إلا أن وجهت الضربة القاضية إلى نظام كان قد تحطم آنفا، ولم يعد يقوم بعمله بصورة قوية الأثر.

(هـ) ثورة العالم العربى :

أما فى المشرق العربى، حيث تم اقتسام البلدان العربية بين انجلترا وفرنسا، فيما عدا الحجاز، وصدر وعد بلفور بإنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين، فقد انتشرت فيه الحركات الوطنية.

فقامت الثورة فى مصر على الاحتلال البريطانى فى عام ١٩١٩م، واستمرت الاضطرابات فيها حتى عقد معاهدة ١٩٣٦م. كما تتابعت الثورات فى سوريا، فقامت ثورة ابرهيم هنانو التى دامت حتى ولية ١٩٢١م، وثورة الشيخ صالح العلى التى دامت حتى ولية من نفس السنة. والثورة السورية الكبرى عام ١٩٢٥م. كما قامت الثورة فى العراق على الإنجليز فى ربيع عام ١٩٢٠م، واستمرت خمسة أشهر حتى نوفمبر ١٩٢٠م.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى فلسطين وقعت الاضطرابات منذ عام ١٩٢٠م، كما قامت فتنة دامية فى يافا فى مارس ١٩٢٤م. وفى أغسطس ١٩٢٩م وقعت اضطرابات حائط المبكى، وفى منتصف أبريل ١٩٣٦م وقعت الثورة الكبرى التى استمرت إلى عام ١٩٣٩م.

أما فى المغرب العربى، فقد قامت الحركة الوطنية فى تونس، كما قامت فى مراكش، واستطاع الأمير عبد الكريم الخطابى هزيمة القوات الاسبانية فيها، وإجلائها عن منطقة الريف، وتنظيم جمهورية رئاسية بلغت ذروة قوتها سنة ١٩٢٥م، حتى لقد طلب إلى بريطانيا وفرنسا واليابان الاعتراف به، واستطاع بكفاءة الصمود فى وجه كل من فرنسا واسبانيا سنة كاملة (مايو ١٩٢٥ إلى مايو ١٩٢٦م) مما لم يسبق له مثيل فى تاريخ الحروب ضد الاستعمار.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مراجع للاستزادة

(أولا) المراجع العربية والمترجمة

السيد رجب حراز، الدكتور: عصر النهضة (القاهرة١٩٧٤م).

بالمر، روبرت: تاريخ العالم الحديث، جزءان، ترجمة محمود حسن الأمين (الموصل ١٩٦٤م).

بانيكار، ك. م: آسيا والسيطرة الغربية، ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد (دار المعارف ١٩٦٢م).

برنو، ريجين: البورجوازية فى شتى مراحلها، ترجمة أنعام الجندى (بيروت).

بولز، تشستر : قضية السلام، ترجمة جورج عزيز (دار المعارف ١٩٥٧م).

بونوماريوف : موجز تاريخ الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفيتى (موسكو ١٩٧٠م).

بين، تشستر: الشرق الأقصى، ترجمة حسين الحوت (سلسلة الألف كتاب ٥٩).

جرانت وتمبرلى: أوروبا فى القرنين التاسع عشر والعشرين، جزءان، الأول ترجمة بهاء فهمى، والثانى ترجمة محمد على أبو درة ولويس إسكندر (القاهرة ١٩٦٧م).

جمال حمدان، الدكتور: استراتيجية الاستعمار والتحرير (كتاب الهلال).

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جوكوف وآخرون: العالم الثالث (موسكو ١٩٧١م).

رينوفان، بيير: تاريخ العلاقات الدولية ١٨١٥ - ١٩١٤م، ترجمة دكتور جلال يحيى (دار المعارف).

زاهر رياض، الدكتور: استعمار القارة الأفريقية واستقلالها (دار المعرفة ١٩٦٦م).

ستيفه، فردريك : حقيقة الحرب العظمى، ترجمة محمود إبراهيم الدسوقى.

صلاح العقاد، الدكتور: الحرب العالمية الثانية (مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٣م).

عبدالحميد البطريق، الدكتور: التيارات السياسية المعاصرة ١٨١٥ - ١٩٦٠ (القاهرة ١٩٨٠م).

عبدالكريم أحمد، الدكتور: القومية والمذاهب السياسية (القاهرة).

فرحات زيادة وإبراهيم فريجى: تاريخ الشعب الأمريكى (مطبعة جامعة برنستون ١٩٤٦م).

فيشر، هربرت: أصول التاريخ الأوروبى الحديث، ترجمة: الدكتورة زينت عصمت راشد، والدكتور عبد الرحيم مصطفى (دار المعارف ١٩٦٢م).

فيشر، هربرت : تاريخ أوروبا فى العصر الحديث، ترجمة أحمد نجيب هاشم، ووديع الضبع (دار المعارف ١٩٤٦م).

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كـــار، أ. هـ. : ثورة البلاشفة، جزءان، ترجمة عبدالكريم أحمد (القاهرة ١٩٧٠م).

كسنجر، هنرى: مفهوم السياسة الخارجية الأمريكية، إعداد د. حسين شريف (القاهرة ١٩٧٤م).

كينان، جورج : روسيا تتخلى عن الحرب، ترجمة عادل شفيق (القاهرة ١٩٦٦م).

كنج، بولتن : الوحدة الإيطالية، ترجمة طه الهاشمى (القاهرة).

كـــول، ج.هـ. : تاريخ الفكر الاشتراكى، الجزء الأول من المجلد الرابع، ترجمة عبدالكريم أحمد (القاهرة).

كـــــول، ج. هـ : الاشتراكية والفاشية، ترجمة عبدالحميد الإسلامبولى.

لودفيج، اميل : نابليون، ترجمة محمود إبراهيم الدسوقى (القاهرة ١٩٤٦م).

لودندورف : مذكرات لودندورف (جزءان).

لينين : مذكرات لينين عن الحروب الأوروبية، ماضيها وحاضرها، ترجمة أحمد رفعت.

لينين : موجز حياته (موسكو ١٩٦٩م).

محمد أنيس، الدكتور، والسيد رجب حراز، الدكتور: مدخل تاريخ الأمريكتين (دار النهضة العربية ١٩٦٤م).

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

محمد فؤاد شكرى، الدكتور : ومحمد أنيس، الدكتور، أوروبا فى العصور الحديثة، الجزء الأول (الأنجلو ١٩٦١م).

محمد فؤاد شكرى، الدكتور: الصراع بين البورجوازية والاقطاع ١٧٨٦ - ١٨٤٨) جزءان (دار الفكر العربى - ١٩٥٨م).

محمد فؤاد شكرى، الدكتور: ألمانيا النازية (دار الفكر العربى ١٩٤٨م).

نور الدين حاطوم، الدكتور: حركة القومية الألمانية (القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٠م).

نيفينز، آلان وكوميجر، هنرى ستيل: تاريخ الولايات المتحدة، ترجمة مصطفى كمال (مكتبة مصر).

هامبسون، نورمان : التاريخ الاجتماعى للثورة الفرنسية، ترجمة فؤاد أندراوس (دار الكاتب العربى).

هاو ، سونيا : فى طلب التوابل، ترجمة محمد عزيز رفعت (القاهرة، سلسلة الألف كتاب).

هربرت، كريستوفر : بنيتو موسولينى، تعريب خيرى حماد (دار المعارف ١٩٦٥م).

هوبسون، ج. أ : الامبريالية، ترجمة عبد الكريم أحمد (القاهرة).

وزارة الحربية المصرية : الحرب الباردة وأصولها ١٩١٧ - ١٩٦٠م (٥ أجزاء) ترجمته شعبة البحوث العسكرية ١٩٦٤ - ١٩٦٨م.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يبيبافانوف، وفيدوسوف: تاريخ الاتحاد السوفيتى - ترجمة خيرى الضامن ونقولا طويل (موسكو).

يونان لبيب، الدكتور، ورءوف عباس، الدكتور، وعبدالعظيم رمضان، الدكتور: أوروبا فى عصر الرأسمالية (دار الثقافة العربية ١٩٩٠م).

يونان لبيب، الدكتور، ورؤف عباس، الدكتور، وعبد العظيم رمضان، الدكتور : أوروبا فى عصر الإمبريالية (دار الثقافة العربية ١٩٨٦م).

مجلة السياسة الدولية (١٩٦٤ - ١٩٨٥م).

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Curtin, P.,D., Imperialism., U.S.A. 1971.

Davenport, Marcia, Garibaldi Father of Modern Italy, New York 1957.

Deutscher, Isaac, The Great Contest, Russa and the West, U.S.A. 1961.

Dolbeare, Kenneth and Edelman, Marray, American Palitics, U.S.A. 1974.

Duroselles, J.B., Histoire Diplomatique de 1919 á nos jours, Paris, 1953.

Faulkner, H.U., American Political and Social History; New York 1944.

Fisher, H.A.L., History of Europe, London 1942.

Fulbright, J.W., The Pentagon Propaganda Machine, New York 1970.

Garthoff, Raymond L., Soviet Strategy in the Nuclear Age, New York 1962.

Grant, A. J. and Temperley, Harold, Europe in the Nineteenth and Twentieth Centuries (1789 - 1950), London 1953.

Hopkins, Harry, The White House Papers of Harry Hopkins, London 1949.

Howe, E., Sonia, In Quest of Spices, London 1946.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(ثانيا) المراجع الأجنبية

Adams, Sherman, First Hand Report, the Story of Eisenhower Administration, New York 1961.

Anderson, M.S., Europe in the Eighteenth Century, London 1961.

Andrews, G. M., The Colonial Period of American History, New Haven 1934.

Beloff, M., Europe and the Europeans, London 1957.

Burckhardt, Jacob, The Civilization of the Renaissance in Italy, U.S,A. 1970.

Carr, E. H. International Relations Since the Peace Treaties, 1940.

Carter, Herz and Ranney, Major Foreign Powers, U.S.A. 1957.

Churchill, Winston, The Second World War, (6 vols), U.S.A. 1948 - 1953.

Ciano, Ciano's Diaries, London 1947.

Club, Oliver E., The United States and the Sino - Soviet Bloc in Southeast Asia, Washington 1962.

Coombs, Philip, The Fourth Dimension of Foreign Policy, U.S.A. 1964.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Samsonov, A., a Short History of the USSR, 2 vols. Moscow 1965.

Schmidt, Helmut, Defence or Retaliation, Hamburg 1961.

Shirer, William, The Rise and Fall of the Third Reich, London 1962.

Smirnov S.R., A History of Africa 1918 - 1967, Translated from the Russian by Lempert L.O., Moscow 1968.

Spanier, John W., American Foreign Policy Since World War II, New York 1960. 1962.

Taylor, A.J.P., The Origins of the Second World War.

Taylor, Maxwell, The Uncertain Trumpt, New York 1959.

Tomson, David, World History 1914 - 1968, Oxford 1969.

Truman, Harry, 1945, Years of Decisions, Memoirs by Harry S. Truman, 2 vols., U.S.A. 1965.

Vermeil, Edmond, Germany's Reichs, translated by E.W. Dickes, London 1944.

Wilmot, Chester, The Struggle For Europe, London 1952.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Hughes, E.J., America The Vinciple, Penguin 1959.

Kennan, George F., American Diplomacy, 1900 - 1950, Chicago 1951.

Kennedy, John, To Turn The Tide, U.S.A. 1962.

Kirk, The Middle East in the War, London 1950.

Kissinger, Henry, White House Years, U.S.A. 1979.

Langer, William L., An Encyclopedia of world History, U.S.A. 1948.

Link, Arthur S., American Epoch, New York 1961.

Lippmann, Walter, The Cold War, New York 1947.

Mallin, Jay, Caribbean Crisis. U.S.A. 1965.

Mollenhoff, Clark R., The Pentagon, New York 1972.

Mosely, Philip, The Kremlin and World Politics, New York 1960.

Perkins, Dexter, The American Approach to Foreign Policy, Harvard 1952.

Roberts, P.E., History of British India, Oxford 1952.

Robertson, Charles, International Politics since World War II, U.S.A. 1966.

Rothstein, Andrew, Peaceful Coexistence, Penguin 1955.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الكشافات

أولاً : الأعـــلام.

ثانياً: الأماكن والبلاد.

ثالثاً: الهيئات والمجتمعات.

رابعاً: الأحداث التاريخية.

خامساً: الدوريات.

★ قام بإعداد هذه الكشافات:

د. يواقيم رزق

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أولاً : كشاف الأعلام

— أ —

إبراهام لنكولن Abraham Lincoln: ١٦٥

إبراهيم (باشا) : ٤٩

إبسلانتى Ypsilanti : ٤٨، ٤٩

أتاتورك (مصطفى كمال) : ٣٢١

إدوارد (الملك) : ١٩٨

إدوارد جراى (سير) : ١٩٤

أرميلينى Armillini : ٩٢

إسفولسكى Isvolsky : ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤

إسكندر أوليانوف : ٦٥

إسكندر الثالث : ٦٥

إسكندر الثانى : ٦٤، ٢٣٣، ٢٤٢

إسكندر كولشاك Kolchak : ٢٩٧

ألكسندر (القيصر) : ٣٧، ٤٠، ٤٢، ٥٤، ٦٣، ٦٤

ألكسندر جوتشكوف Guchkov : ٢٣٤

إنجلز Engels : ٢٤٣

أنور (بك) : ٢٠٢

أورسينى Orsini : ٩٧

أوريتسكى Uritsky : ٢٨٥، ٢٨٩

أوليانوف Ulyanov : ٢٦٩

إيرينتال Aerenthal : ١٩٣، ١٩٤

إيزابيللا : ٥

إيزابيللا (ملكة أسبانيا) Isabella : ١٤٨

إيفانوف Ivanov : ٢١٦

— ب —

باسانت Bassant : ١٠٧

بروسيلوف (جنرال) Brussilov : ٢١٨، ٢١٩

بسمارك Otto Von Bismarck : ٩، ٢٦، ١٠٢، ١٣٣، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٩، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤

بلاكون Belakun : ٣٠٤

بليخانوف Plekhanov : ٢٤٢، ٢٤٤، ٢٥٦، ٢٧١

بوبنوف Bubnov : ٢٨٥، ٢٨٩، ٢٩٤

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بوخارين Bukharin: ٢٨٥، ٢٩٤

بوشكين Pushkin : ٢٣٨

بيتان Petain : ٢٢٤

بيلوف Below : ٢١٤

بيوس التاسع Bius IX : ٥٦، ٩٢

بيوس السابع (البابا) : ٢٢

— ت —

تاليران : ١٧، ٢٣

تروتسكى Trotsky: ٦٥، ٢٥٨، ٢٨٣، ٢٨٥، ٢٩٢، ٢٩٤، ٢٩٩، ٣٠١، ٣٠٢

تشخيدزه Chkheidza : ٢٦١، ٢٦٣

تشيانج كاى شيك Chiang Kai-Shek : ٣٤١

تشيرنوف : ٢٣٥

تشيكوف Chekhov : ٢٣٨

تولستوى Tolostoy : ٢٣٨

تنيسى Tennessee : ١٦٥

تيـــودور روزفلت Theodore Roose-velt : ١٦٠

— ج —

جراى (لورد) Gray : ١٩٣

جيفرسون ديڤيز Jefferson Davis: ١٦٥

جوتشكوف Guchkov : ٢٦٤، ٢٦٥

جوته Goethe : ٣٥، ١١٦

جوجول Gogol : ٢٣٨

جورازى (الشاعر) Guerazzi : ٩٥

جورج الثالث (ملك بريطانيا) : ١٠٨

جورج كـانتج Canning : ٤٦، ٤٧، ٤٨

جوركى Gorky : ٢٣٨

جوزيف كلاكيش Jellacic : ٦٠

جوزيف الثانى (امبراطور النمسا) : ١١٨

جول فيرى Jules Ferry : ٧٧

جون سيجيسموند Sigismund : ١١٨

جون فرنش John French : ٢١٧

جون كوينزى آدمز John Quency Ad-ams : ٤٦

جيمس جادسدن Gadsden : ١٥٧

جيوبيرتى Gioberti : ٨٩، ٩٠

— د —

دازيجليو Dazeglio : ٩٠

دزيرچينسكى Dzerzhinsky : ٢٨٩

دوجلاس هيج (جنرال) : ٢١٨

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

دون بدرو Don Pedro : ٤٧

دى مارتنس Martens : ١٨

— ر —

راديسكى Radesky : ٩١، ٩٤

رمارينو (الجنرال) : ٨٩

رمزى مكدونالد Ramsay Macdonald : ٣٣٤

رويرتس (لورد) Roberts : ١٩٨

روتشيلد (لورد) : ٢٢٥

رودزيانكو Rodzyanko : ٢٦٥

روسكى Rusky : ٢١٦

روسو : ٣١

ريشيلو : ١١٩

ريكوف Rikov : ٣٠١

رينينكامف Rennenkampf : ٢١٠

— ز —

زينوفييف Zinoviev : ٢٨٣، ٢٨٥، ٢٨٩، ٣٠١

— س —

سابين Sabine : ١٠٨

سافى Saffi : ٩٢

سامسونوف Samsonov : ٢١٠

ستالين : ٢٧٥، ٢٧٧، ٢٨٥، ٢٩٩، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣

سعد زغلول : ٣٣٤

سفردلوف Sverdlov : ٢٨٩

سكوبيليف Scobelev : ٢٦٣

— ش —

شارل ألبرت (ملك سردينيا) Charles Albert : ٦٠، ٨٨، ٩٠، ٩٣، ٩٤

شارل العاشر (ملك فرنسا) : ٥١

شارل السادس : ١٢٠

شتاين Stein : ١١٦

شڤارتسينبرج Schwarzenberg : ١٣٢

شونتج Gerhard Schoning : ٣٤

شيللر Schiller : ١١٠، ١١٦

— ص —

صموئيل آدمز Samuel Adms : ٣٥

— ع —

عبدالحميد (السلطان) : ٦٢

عبدالعظيم رمضان (دكتور) : ٣، ١٢

عبدالكريم الخطابى (الأمير) : ٣٤٣

عثمان (ال) : ٣١٥

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

— غ —

غاريبالدى : ٩٢، ٩٥، ٩٩، ١٠١، ١٠٢

غاندى (المهاتما) Gandhi : ٣٣٧

— ف —

فالكينهاين Falkenhayn : ٢١٥، ٢١٩

فرانس فيرديناند (ولى العهد) Franz Ferdinand : ٢٠٤

فرانسوا الأول (ملك نابولى) : ٩٥

فرانسوا جوزيف (أمبراطور النمسا) : ٩٩

فردريك الثانى (ملك بروسيا) : ١١٧

فردريك فون جينتز Gentz : ١٨

فردريك وليم الثالث Fredrick William III : ٤٢، ١١٩، ١٢٠

فردريك وليم الرابع : ١٢٦، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٥

فردريك السادس (ملك الدنمرك) : ١٤٠

فردريك السابع : ١٤٢

فرديناند : ٥

فرديناند (ملك بلغاريا) : ٢٠٢

فرديناند (ملك نابولى) : ٩٢

فرديناند الأول : ٢٢، ٤٣

فرديناند البوربونى : ٨٤، ٨٧

فرديناند الثانى : ٥٦

فرديناند السابع (أسبانيا) : ٢٢، ٤٥

فردريك الأكبر : ١١٧، ١٢٠

فوش Foch : ٢٢٧، ٢٢٩

فون تيربيتز Tirpitz : ١٩٧

فون شبى (اميرال) Spee : ٢٢٠

فون شليفين Schlieffen : ٢٠٩

فون موتز (وزير المالية) : ١٢٤

فيجيس Figgis : ١٠٩

فيخته Fichte : ١١٥

فيشر (لورد) Fisher : ١٩٨

فيكتور عمانوئيل (الثانى) : ٩٤، ٩٦، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠٢

— ق —

قيصر بالبو : ٩٠

— ك —

كارل ليبنخت : ٣٠٣

كاسلريه Castlereagh : ٤٣، ٤٦

كافور Camillo Bensodi Cavour : ٩، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كامينيف : ٢٧٥، ٢٨٥، ٢٨٩

كانفالونييرى Canfalonieri : ٨٦

كاوتسكى Kautsky : ٢٥٨

كريستيان التاسع (الأمير) : ١٤٢

كريموف Krymov : ٢٨٦

كليفلند (الرئيس) Cleveland : ١٦٠

كليمانصو : ٢٢٤

كورنيلوف Kornilov : ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧

كوشوط Kossuth : ٥٩

كرنسكى Kerensky : ٢٣٥، ٢٦٥، ٢٧٨، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٦

— ل —

لفوف (الأمير) Lvov: ٢٦٤، ٢٧٨، ٢٨٣

لودندورف : ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨

لويد جورج : ١٩٦

لويس الثامن عشر : ٤٥

لويس الرابع عشر : ١١٩

لويس فيليب (البوربونى) : ٥١، ٥٣

لويس نابليون (رئيس الجمهورية) : ٩٥

ليسينج Lessing : ١١٠

ليوبولد الأول (امبراطور النمسا) Leo-pold I : ١١٩

ليوبولد (ملك بلجيكا) : ٥٣

لينين (فلاديمير ايلتش أوليانوف) Vladimir Ilyich Ulyanov : ٦٥، ٦٦، ٢٢٣، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٤٢٥، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٥، ٢٧٧، ٢٧٩، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٨، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١

— م —

مادیسون (الرئيس) Madison : ١٥٥

مارتوف Martov : ٢٤٧، ٢٥٦، ٢٦٩

مارشان (القائد الفرنسى) : ١٨٧

ماركس Marx : ١٠، ٢٤٣، ٢٤٦

مارى لويز : ٨٥

ماريا تريزا (الامبراطورة) Maria Theresa : ١١٧، ١٢٠، ١٢١

مازاران : ١١٩

مازاريك Masaryk : ٣٢٧

مازينى : ٥٩، ٨٨، ٨٩، ٩١، ٩٢، ٩٤، ٩٥، ٩٧، ١٠٢

ماكسمليان (الأمير) Maximilian : ١٥٩
ماكنزن Mackensen : ٢١٥، ٢١٩
مانتوفيل Mantueffel : ١٣٢
مانجان (جنرال) Mangin : ٢٢٧
مانين Daniel Manin : ٩١
مترنيخ Metternich : ١٧، ٢٠، ٣٩، ٤١، ٤٢، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٩، ٨٦، ٩١، ٩٢، ١٢٢، ١٢٦
محمد على : ٤٩
محمود الثانى (السلطان) : ٤٩، ٥٠
مليوكوف Melyukov : ٢٣٥، ٢٥٦، ٢٦٤، ٢٧٧
موتسوهيتو (امبارطور) Mutsuhito : ١٧١
مولوتوف : ٢٧٥
مونرو (الرئيس) : ٤٧، ١٥٩، ١٦٠
ميخائيل (الأمير) Michael : ٢٦٤، ٢٦٥

— ن —

نابليون : ٨، ١٦، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٣٥، ٥٤، ٦٤، ٦٩، ٨٣، ٨٥، ٩٩، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١٢١، ١٥٥
نابليون الثالث : ٦٠، ٩٧، ٩٩، ١٠٠، ١٣٤، ١٤٤، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٩
نقولا الأول (القيصر) : ٦٣، ٦٤
نقولا الثانى Nicholas II : ٦٥، ٢٣٤، ٢٦٠، ٢٦٤
نلسن : ١٩٨
نوجين Nogin : ٢٨٤

— هـ —

هايز (الرئيس) Hayes : ١٥٩
هردر Herder : ٣١
هندنبرج ولودندورف Hindenburg & Ludendorff : ٢١٠، ٢١٢، ٢٢٧، ٢٢٩
هيج (جنرال) Haig : ٢٢٧
هيرتز Herts : ١١٠

— و —

وليم (امبراطور ألمانيا) William : ١٤٩، ١٩٦
وليم الأول (ملك بروسيا) : ١٣٥
وليم الثانى : ١٩٠
ونستون تشرشل : ١٩٨

ووذرو ولسون Woodrow Wilson :
٢٢٢، ٢٢٨، ٣٢٥، ٣٣١، ٣٣٢

— ى —

يوحنا السادس (الملك) : ٤٧
يوحنا النمسوى (الأرشيدوق) John :
١٢٧

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثانيا : البلاد والأماكن

– أ –

الأبلاش (جبل) The Appalachians: ١٥٤

الاتحاد السوفييتي : ٣١٤، ٣٢٦، ٣٢٩

أدرنه : ٢٠١

ألا درياتيك : ٢١، ٨٤، ٩٩، ٢٠١، ٢٢٥

الأراضي المنخفضة : ٢٣، ٣٥، ١٢٨

أرتوا : ٢١٧

أرجون : ٢٢٨

أردهان : ٢٩٥

أركانجل Archangal : ٢٩٦، ٢٩٧

أركانساس Arkansas : ١٦٥

أرمينيا Armenia : ٦٦، ٢٩٧

أريتريا : ٢١٤

أريزونا Arizona : ١٥٦، ٢٢١

أريزونا الجنوبية : ١٥٧

أزربيجان Azarbaijan : ٦٦، ٢٩٧

أزمير Izmir : ٣٢٠، ٣٢١

أسبانيا : ١٧، ٣٦، ٣٧، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٦١، ٧٥، ١٠٧، ١٢٠، ١٤٩، ١٩٥، ٣٠٤، ٣٢٩، ٣٤٣

أستراليا : ٣٢٠

إستريا Istria : ٢١٣، ٣١٧، ٣٢٨

أستكهولم : ٢٥٢

إستونيا Estonia : ٢٢٣، ٢٩٥، ٢٩٦، ٣١٤، ٣٢٥، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩

إسكندياوه : ٣٤

آسيا : ٧٨، ١٨٧، ١٨٨، ٣٠٩، ٣٢٩، ٣٣٥

آسيا الصغري : ١٩١، ٢١٢، ٣٢٠

أشقودره Scutari : ٢٠٢

أضاليا : ٣٢١

أغادير : ١٩٦

أفريقيا : ٩، ٧٤، ٧٥، ٧٧، ٧٨، ١٦٢، ١٨٣، ١٨٧، ١٨٨، ٢١٣، ٣٠٩، ٣٢٩

أفغانستان : ٧٨، ١٨٨

الأفلاق (ولاشيا) Wallachia : ٤٨، ٥٠

ألاباما Alabama : ١٦٥

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ألالب (جـــبـــال) : ٩٣، ٩٨، ٩٩، ١١٨، ٢٢٥

إلبا (جزيرة) : ٤٠

ألبـــانيـــا : ٦٣، ٢٠٠، ٢٠١، ٢١٤، ٢١٦، ٣٢٩

ألالزاس واللورين Alsace : ٢٦، ١٢٨، ١٤٩، ٢٢٨، ٣٠٩، ٣١٨

ألاسكا Alaska : ١٥٧

ألمانيـا : ٩، ١٠، ٢٤، ٢٥، ٣٢، ٣٥، ٤٢، ٥٣، ٥٤، ٥٧، ٦٠، ٦١، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٩، ١٠٢، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١٤، ١١٥، ١١٧، ١١٨، ١٢٠، ١٢١، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٩، ١٤٣، ١٤٥، ١٤٧، ١٤٩، ١٥٨، ١٧٦، ١٨٢، ١٨٣، ١٩١، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٥، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٤، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٢٨، ٢٣٦، ٢٥٦، ٢٥٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٨٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٣٠٣، ٣٠٩، ٣١٢، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٨، ٣٢٥، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣٩، ٤٠

إليونيز Illinois : ١٦٢

أمريكا (الولايات المتحدة) : ٩، ٣٥، ٤٦، ٤٧، ٧٠، ٧١، ٧٥، ٧٩ ١٥٣، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦٩، ١٧١، ١٧٦، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٥٦، ٢٨٣، ٢٩٥، ٣١٣، ٣٣٠، ٣٣٨، ٣٣٩

أمـريكا اللاتينيـة : ٤٥، ١٥٩، ٣١٣، ٣١٤

أمستردام : ٣٨

أميان Amiens : ٢٢٦، ٢٢٧

إنجلتـرا (بريطانيـا) : ٦، ١٧، ١٩، ٢٣، ٢٦، ٤٠، ٤١، ٤٣، ٤٦، ٤٧، ٤٩، ٥٠، ٥٢، ٥٣، ٥٥، ٧٠، ٧١، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٩، ٨٦، ٩٧، ٩٩، ١٠٧، ١٠٩، ١٣٣، ١٣٨، ١٤١، ١٥٤، ١٥٦، ١٥٨، ١٦٠، ١٧٠، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢١٣، ٢١٧، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢٥، ٢٥٦، ٢٥٨، ٢٩٥، ٣٠٤، ٣١١، ٣١٥، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣٣، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٤٣

أندونيسيا : ٣٤١

إنديانا Indiana : ١٦٢

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أوجاساوارا (جزر) Ogasawara: ١٧٤
أوجستنبرج: ١٤١، ١٤٢، ١٤٥
الأودر (نهر): ٣٢
أوديسا: ٢٩٦
أوروبـــا: ١، ٣، ٥، ٦، ٧، ٩، ١٥، ١٦، ١٩، ٢٠، ٢٢، ٢٣، ٢٦، ٢٩، ٣٤، ٣٥، ٤٠، ٤١، ٤٧، ٤٩، ٥١، ٦٣، ٦٩، ٧٤، ٨٨، ٩٧، ٩٩، ١١٦، ١٣٣، ١٥٩، ١٧١، ١٧٦، ١٨١، ١٨٥، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢١٢، ٢٢٢، ٢٣٤، ٣٠٥، ٣١١، ٣١٢، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٤، ٣٢٩، ٣٣٣
الأورنج الحـرة Orange Free State: ١٨٦
أورونديي: ٣١٩
أوريجون (أراضي) Oregon: ١٥٦
أوستند Oostende: ٢١١
أوزبيكستان Uzbekistan: ٦٦
أوساكا Osaka: ١٧١
أوسكوب Uskub: ٢٠١
أوكرانيا Ukrania: ٦٦، ٢٢٣، ٢٥٤، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٧، ٣٢٨
أولد نبورج Oldenburg: ١٢٥
أولمتز Olmutz: ١٣٢، ١٣٣
أومسك Omsk: ٢٩٧
أوهايو Ohaio: ١٦٢
إيبرس Ypres: ٢١٧
إيبروس Epirus: ٢٠٠
أيبيريا (جزيرة): ٢٢، ٣٧، ٦١
إيجه (بحر) Aegean Sea: ٥٠، ١٩١، ١٩٧، ٢٠٣، ٢١٤، ٣١٨، ٣٢٠
إيران: ١٨٨، ٣٣٢
إيركوتسك Irkutsk: ٢٩٧
أيرلندا: ٥٩، ٣٢٩
إلايسونزو Asonzo: ٢١٤
إيطاليا: ٧، ١٠، ١٩، ٢٢، ٢٤، ٢٥، ٤٥، ٥٦، ٥٧، ٦٠، ٧٠، ٧٥، ٨٣، ٨٤، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١١٧، ١١٨، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٦، ١٤٧، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٦، ١٩٧، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٩، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٨، ٢٢٩، ٣٠٤، ٣١٧، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٨، ٣٢٩
ألآين (نهر) The Aisne: ٢١١، ٢١٧
أيونيان (جزر): ٢٠، ٢١

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

— ب —

باجو باجو (ميناء) : ١٥٨

بادن Baden : ٤٢، ١٢٥، ١٤٧

بارمـــا : ٥١، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٩١، ١٠٠

بـــاريـــس: ٥١، ٦٤، ١٢٦، ١٣٦، ٢١٠، ٢١١، ٢١٧، ٢٢٦، ٢٧٤

باطوم : ٢٩٥

باڤـــاريا : ٤٢، ١٢٠، ١٢٤، ١٢٥، ١٣١، ١٣٢، ١٤٦، ١٤٧

باكو : ٢٩٦

بتـروجـراد Petrograd: ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٨١، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٦، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠

البحر الأسود : ٢١٢، ٢٩٥

بحر الشمال : ١٩٩

البحر المتوسط : ١٩٩، ٢١٢

براج : ٥٦

البرازيل : ٤٧، ٤٨

براندنبرج (مقاطعة) Brandenburg : ١١٨، ١١٩، ١٣٦

البـرتغال : ١٧، ٢٣، ٤٧، ٤٨، ٦١، ٧٥، ٩٤، ٣٢٩

بريست ليتوڤسك Brest Litovsk : ٢٩٣، ٢٩٤

برسلاو Breslau : ٢١٢

برقة : ١٨٩

برلين : ٨٥، ١٣١

برنر (ممر) Brenner : ٢١٣

بروسـيـا : ١٧، ١٩، ٢١، ٢٢، ٢٥، ٣٥، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٥٣، ٩٩، ١٠٣، ١٠٨، ١١٣، ١١٥، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٨، ١٢٩، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٩٦، ٢١٠، ٣٢٦

بروسيا الشرقية : ٢١٠، ٢١٢، ٣١٢، ٣١٨

بروسيا الغربية : ٣١٨

بروكسل : ٥٢، ٢٤٧

بسـارابيـا Bessarabia : ٢٠، ١٩١، ٢١٩، ٢٩٦، ٣١٦

بطرسبرج : ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٥١، ٢٥٣

بغداد : ٢١٣

البغدان (ملدافيا) Moldavia : ٤٨، ٥٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بكين Peking : ١٧٥، ٣٣٩، ٣٤١

بلجيكا : ١٨، ٢٠، ٢١، ٢٤، ٢٥، ٥٢، ٥٣، ٥٥، ٦٩، ٧٠، ٧٥، ٢٠٥، ٢٠٩، ٢١١، ٢٢٨، ٢٥٨، ٣١٨

بلغاريا : ٦٢، ١٨٢، ١٩١، ١٩٢، ١٩٩، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢٢٨، ٣١٦، ٣١٨، ٣٢٩

البلقان : ٧٠، ١٨٣، ١٨٤، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٣، ٢١٦، ٣١٨

البنجاب Punjab : ٣٣٦

البندقية : ٢٠، ٢١، ٢٢، ٥٦، ٥٧، ٨٤، ٨٥، ٩١، ٩٥، ٩٦، ٩٨، ١٠٠، ١٠٣، ١٣٤، ١٤٤، ١٤٧، ٢٢٤، ٢٢٥

بنسلفانيا Pennsylvania : ١٥٣

بنغازي : ١٩٧

بوكوڤينا Bukovina : ٣١٦

بورت آرثر Port Arthur : ١٧٦، ١٨٥، ١٨٧

بورتسماوث Portsmouth : ١٧٦

بورما العليا : ٧٨

بوزن Pozen : ٢١٢، ٣١٨

البوسفور والدردنيل : ١٨٩، ١٩٢، ١٩٩، ٣٢٠

البوسنة والهرسك: ١٩٨، ١٩٢، ١٩٤، ٣١٦، ٣٢٦

بولندا : ٢٠، ٢٣، ٢٤، ٣١، ٤٢، ٥٤، ٥٥، ٦٣، ٦٤، ١٢١، ١٣٨، ٢١٢، ٢٢٣، ٢٧٠، ٢٩٣، ٢٩٤، ٣١٤، ٣١٦، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٥، ٣٢٧، ٣٢٩

بولوني Boulogne : ٢١٧، ٢٢٦

بوميرانيا Pomerania : ٢١، ١١٤، ١١٩

بوهيميا : ١٤٥، ٣١٧

البوير (جمهورية) : ١٨٦

بويرتوريكو Buerto Rico : ٤٦، ١٥٨

بوينوس إيرس Buenos Aires : ٤٦

بياريتز Biarritz : ١٤٤

البياف (نهر) Piave : ٢١٥، ٢٢٥

بيت المقدس (القدس) : ٢١٣، ٢٢٥

بيدمونت Piedmont : ٢٢، ٤٤، ٥٧، ٦٠، ٨٤، ٨٥، ٩٠، ٩١، ٩٦، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٣٤

بيرل هاربر (ميناء) Pearl Harbor : ١٥٨

بيرن Bern : ٢٦٩

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بيرو : ٤٦

بيكال (بحيرة) Baikal : ٢٩٧

— ت —

تاجيكستان Tajikistan : ٦٦

التاجوس (نهر) Tagus : ٤٧

تانبرج Tannenberg : ٢١٠، ٢١١

التبت Tibet : ١٨٨

تشينو (نهر) Ticino : ٩٢

تراقيا Thessaly : ٤٩، ١٩١، ٢٠٠، ٣٢١

ترانسلفانيا Transylvania : ١٩١، ٣١٦، ٣٢٨

تركيا : ٢٠، ٧٠، ٧٥، ١٩٣، ١٩٦، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٢٨، ٢٩٥، ٢٩٦، ٣٠٢، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٨، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٩

الترنتينو Trentino : ٢١٣، ٣١٧

الترنسفال Transvaal : ١٨٦

تريستا Trieste : ٨٤، ٢١٣، ٣١٧

تريف : ٢١

تريندياد Trinidad : ٢١

تشيكوسلوفاكيا Czechoslovakia : ٣١٦، ٣٢٧، ٣٢٩

تكساس Texas : ٤٧، ١٥٥، ١٦٥، ٢٢١

توجو : ٣١٩

تنجانيقا : ٣١٩

توياجو : ٢١

توركمنستان Turkmenistan : ٦٦

تورين Turin : ٤٤، ٩٤، ٩٦، ١٠٢

توسكانيا : ٩٢، ٩٥، ٩٨، ١٠٠

تمسك Tomsk : ٢٩٧

تونس : ٧٤، ٧٥، ٣٢٠، ٣٤٣

تونكين Tongking : ٧٨

تيان تسن Tientsin : ٣٤١

تيرانا Tirana : ٢١٦

التيرول Tyrol : ٢١، ١٢٨، ٢١٤، ٣٢٨

— ث —

ثورن Thorn : ٢١٢

— ج —

جاتلاند (شبه جزيرة) Jutland : ١٣٩، ٢٢٠

الجبل الأسود Montenegro : ٦٢، ٢٠٠، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢١٦، ٣١٦، ٣٢٦

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جنوا Genoa : ٢٢، ٨٤، ٩٤

جنيف Geneva : ٣٢٣

جوام : ١٥٨

جوايانا البريطانية Guiana : ٢١

جورجيا Georgia : ٦٦، ١٥٣، ١٦٥، ٢٩٧

جوريزيا Gorizia : ٢١٤

— ح —

حصن برزميسل Przemysl : ٢١١

حصن بيشبييرا Pescbiera : ٩٣

حصن سيليستريا Silistria : ٢٠٣

حصن فردان : ٢١٨

حمامات بلومبير Plombére : ٩٨

— د —

دانزج : ١٢١، ٣١٨

الدانمارك : ١٨، ٢١، ٣٥، ٧٥، ١٢٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٣، ٣١٨

الدانوب (نهر) : ٢٠٣، ٢١٦

دده أغاج (ميناء) Dedegatceh : ٢٠٣

— ح —

الدردنيل (مضيق) Dardanelles : ١٩٧، ٢١٢، ٢١٤

درنة : ١٩٧

دلماشيا : ٢٠، ٢١٣، ٣١٧، ٣٢٦

دوبروجا Dobruja : ٢٠٣، ٢١٩

الدوديكانيز (جزر) Dodecanese : ١٩٧، ٣٢٠

دورازو Durazzo : ٢١٦

ديترويت Detroit : ١٥٥

ديلاوير Delaware : ١٥٣

ديمارارا : ٢١

— ر —

رازليف Razliv : ٢٨٤

الرأس الهولندية (مستعمرة) : ٢١

رافنزبرج Ravensburg : ١١٩

الراين : ١٨، ٢١، ٢٢، ٣٢، ١١٧، ١١٨، ١٤٨، ٣١٩

رواندا : ٣١٩

روتينيا : ٣٢٨

رود أيلاند Rhode Island : ١٥٣

رودس : ١٩٧، ٣٢٠

روسيا Russia : ١٠، ١٧، ١٩، ٢٠، ٣٦، ٣٧، ٤٠، ٤١، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٩، ٥٠، ٥٣، ٥٤، ٦١، ٦٣، ٦٤،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٦٥، ٦٦، ٧٠، ٧٥، ٧٩، ٩٧، ١٢١،
١٣٢، ١٣٨، ١٣٩، ١٤١، ١٥٧،
١٥٩، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٥، ١٨٢،
١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٨،
١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٧،
١٩٩، ٢٠١، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥،
٢٠٩، ٢١٠، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٥،
٢١٦، ٢١٩، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٢٩،
٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧،
٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢،
٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٦، ٢٤٨، ٢٥١،
٢٥٢، ٢٥٦، ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٦٥،
٢٦٦، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٨٠، ٢٨٦،
٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥،
٢٩٧، ٣٠٠، ٣٠٣، ٣١٢، ٣١٣،
٣١٥، ٣١٦، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧،
٣٢٨، ٣٣١، ٣٣٤

روسيا البيضاء Pyelorussia White
russia: ٦٦، ٢٩٧

روسيا الشرقية: ٢١٠

روما: ٥١، ٥٦، ٩٠، ٩٢، ٩٥، ٩٨،
١٠١، ١٠٢، ١٠٣

رومانيا Romagna: ٦٢، ١٠٠،
١٠٢، ١٩١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢١٩،
٢٢٩، ٢٩٦، ٣١٤، ٣١٦، ٣١٧،
٣٢٥، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩

الروهر: ٥٧

ريجا: ٢١٥

الريف (منطقة): ٣٤٣

ريفنزبرج Ravensberg: ١١٨

ريمس Rheims: ٢٢٣، ٢٢٦

ريوكيو: ١٧٤

— س —

ساحل دلماشيا: ٨٤

سادوا Sadowa: ١٤٦، ١٤٨

ساردينيا Sardinia: ٢٢، ٤٤، ٥٦،
٦٠، ٨٤، ٩١، ١٠١، ١٠٢

سافوي: ٩٨، ١٠٠، ١٠١

ساكس فايمار Saxe-Weimar: ٤٢

سالسبورج: ٢١

سالونيك (مدينة): ٢٠٠، ٢٠١،
٢٠٢، ٢٢٧

ساموا (جزر) Samoa: ١٥٨

سان لوشيا: ٢١

سان ميشيل: ٢٢٨

سخالين Sakhalin: ١٧٥، ١٨٧

سراييفو (جسر) Sarajevo: ٢٠٤

سكسونيا: ٢١، ٥٧، ١١٧، ١٢٠،
١٢١، ١٢٤، ١٢٥، ١٣١، ١٣٢

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سلافونيا Slavonia : ٣١٦، ٣٢٦

سمولنسك Smolensk : ٣٧

سنجق نوفي بازار Novibazar : ٢٠١

السنغال : ٧٧

سواسون Soissons : ٢٢٣

سوث كارولينا South Carolina : ١٥٣

السودان : ٧٤، ٧٧، ٣٢٠

سوريا : ٣٢٠، ٣٢١، ٣٤٢

سولفرينو Solferino : ٩٩

السويد : ١٧، ١٨، ٢٠، ٢٤، ٣٥، ٧٥، ١١٨، ١٢١، ١٤١، ٢٧٠، ٣٢٧، ٣٢٩

سويسرا : ١٩، ٢٢، ٣٦، ٣٩، ٨٩، ٢٤٢، ٢٧٠، ٣٢٩

سيام Siam : ١٨٧

سيبيريا : ١٧٤، ٢٤٥، ٢٦٧، ٢٩٧، ٣٠٢

سيدان : ٢٢٨

سيلان : ٢١

سيليزيا : ٥٧، ١١٧، ١٢٠، ٢١٢، ٣١٢، ٣١٨

سيمونوسيكى (مضيق) : ١٧١

— ش —

شاتوتييرى Chateauthierry : ٢٢٦

شان تونج Shantung : ٣١٩، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠

شتوتجارت Stuttgart : ٢٥٧

شرق الأردن : ٣٢٠

شليزفيج وهولشتين Schleswing, Holstein : ١٢٢، ١٢٨، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٥، ١٤٦، ٣١٨، ٣٢٨

شنغهاي Shanghai : ٣٤٠، ٣٤١

شيكاغو Chicago : ١٥٥

شيمان دى دام Chemins Des Dames : ٢٢٦

— ص —

الصرب : ١٩٤، ١٩٩، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢١٥، ٢١٦، ٣١٦، ٣٢٦

صقلية (جزيرة) : ٩٥، ١٠١

الصقليتين The two Sicilies : ٢٢

صوفيا : ٢٠٢

الصومال : ٢١٤

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الصين : ٧٠، ٧٨، ٧٩، ١٧٠، ١٧٣، ١٨٦، ٣٠٤، ٣٣٠، ٣٣٢، ٣٣٥، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١

— ط —

طبرق : ١٩٧

طرابلس : ١٨٩، ١٩٧

طنجة (ميناء) : ١٩٠

— ع —

العراق : ٣٢٠، ٣٢١، ٣٤٢

— غ —

الغابة السوداء : ١١٤

غاليبولي (جزيرة) Gallipoli : ٢٠٢، ٢١٢، ٢١٣

غاليسيا Galicia : ٥٤، ٦٣، ٢١١، ٢١٤، ٢١٥، ٣١٧

غرناطة : ٥

غينيا الجديدة New Guinea : ٣٢٠

— ف —

الفاتيكان : ١٠٣

فاس : ١٩٥

فالنا : ٢١٥

فالونا Valona : ٢١٤

فانكوفر (جزيرة) Vancouver : ١٥٦

فرانكفورت : ٤٢، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٨، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٧، ١٤٠، ١٤٦

فرتمبرج : ٤٢، ١٢٤، ١٢٥، ١٣١، ١٣٢، ١٤٧

فردان : ٢٢٨

فرساى : ٣١٦، ٣٣٩

فرنسا : ٦، ٧، ١٥، ١٧، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٦، ٣٥، ٣٧، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٣، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥٢، ٥٣، ٥٥، ٥٦، ٦٠، ٦٣، ٦٩، ٧٠، ٧٤، ٧٥، ٧٩، ٨٦، ٩١، ٩٥، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠١، ١٠٣، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٣، ١٢٠، ١٢١، ١٣٨، ١٤١، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٩، ١٥٤، ١٧٦، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٩، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١٣، ٢١٥، ٢١٧، ٢١٩، ٢٢٩، ٢٥٦، ٢٥٨، ٢٧٠، ٢٩٥، ٣٠٤، ٣٠٩، ٣١٥، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢١، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٤٣

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فلاديفوستوك : ٢٩٦، ٢٩٧

فلاندرز : ٢١٧، ٢٢٥

فلسطين : ٢١٣، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٤٣

فلوريدا Florida : ١٥٥، ١٦٥

الفلبين : ١٥٨

فنزويلا : ١٦٠

فنلنده Finland : ٢٠، ٢٢٣، ٢٨٤، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٣٠٤، ٣١٤، ٣٢٥، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩

فورموزا Formosa : ٧٩، ١٧٥، ١٨٥، ٣٣٨

فوكلاند (جزر) Falkland : ٢٢٠

فوكين : ٢٣٨

الفولجا (نهر) Volga : ٢٤٦

فينوريو فينيتو Vettorio Veneto : ٢٢٨

فيرجينيا Virginia : ١٥٣، ١٦٥

فيرونا Verona : ٤٥، ٩٣

فيلافرانكا Villafranca : ٩٩

فيوم Fiume : ٣١٧

فـيـنا : ١٥، ١٦، ١٧، ٥٦، ١٠٧، ١٢٦، ١٤٦، ١٨٤

– ق –

قادش Cadiz : ٣٧، ٤٣

قبرص : ٣٢٠

القرم : ٦٤

القسطنطينية : ٥، ١٨٢، ١٩٧، ٢٠١، ٢٠٢، ٢١٢، ٣٢٠

قصبة صربيا القديمة : ٢٠١

قصر توريدا Taurida : ٢٦١، ٢٧٠

قصر سمولني Smolny : ٢٩٠

القصر الشتوى Winter Palace : ٢٩١

قصر مارينسكى Mariinsky Palace : ٢٧٧، ٢٨٢

القوقاز : ٢٩٦، ٢٩٧

قيرق كليسه Kirk kilisse : ٣٠٠

– ك –

كابوريتو Caporetto : ٢١٤

كاجو شيما (مدينة) : ١٧١

كارز : ٢٩٥

كارولينا Carolina : ٣١٩

كازاكستان Kazakstan : ٦٦

كاستيل فيداردو Castelfidardo : ١٠٢

كاسل : ١٣٢

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كاليمبرج : ١٠٨
كاليفورنيا California : ١٥٦
كاليه : ٢١٧، ٢٢٦
كانتون Canton : ٣٤٠
الكانتونات السويسرية Cantons : ١٢٨
كانساس Cansas : ١٦٤
كراكاو Cracow : ٥٤، ٦٣، ٢١١، ٢١٢
الكربات (جبال) Carpathians : ٢١١، ٢١٢، ٢١٩
كردستان : ٣٢٠
كرواتيا : ٥٩، ٦٠، ٣٢٦
كريت (جزيرة) Crete : ٢٠١
كستوزا Custozza : ٩٤، ١٤٦
كلونيا : ٢١
كليفلاند Cleveland : ١٥٥
كليفز Cleves : ١١٨، ١١٩
كمبوديا Cambodia : ٧٨
الكميرون : ٣١٩
الكنفو البلجيكي : ٣٠٩
كوانجشو Kuangchow : ٧٩
كوبا Cuba : ٤٦، ٤٧، ١٥٨
كوبنهاجن : ١٩٨
كورنثة (مضيق) Corinth : ٤٩
كورفو Corfu : ٢١٦
كورلاند Courland : ٢١٥، ٢٩٣
كوريا Korea : ٧٩، ١٧٥، ١٧٦، ١٨٦، ١٨٧
كوريل (جزر) Kuril : ١٧٤
كوفنو : ٢١٥
كومانوفو Kumanovo : ٢٠٠
الكومودور بيري Perry : ١٦٩
كونيكتيكات Connecticut : ١٥٣
كياوشاو Kiaochau : ١٩٥، ٣١٩
كيرغيزيا Kirghizia : ٦٦
كيليكيا : ٣٢١
كييف Kiev : ٢٤٦
كييل (برزخ) : ١٤٣

— ل —

لاتفيا Latvia : ٢٢٣، ٢٩٣، ٢٩٦، ٣٢٥، ٣٢٧، ٣٢٩
لمباردي Lombardy : ٢٢، ٥٧، ٨٤، ٨٦، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٨، ١٠٠، ١٣٤

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لاهاي : ٣٨، ٣٢٣
لاونبرج Launburg : ١٤٢
لبنان : ٣٢٠
لتوانيا Lithuania : ٢١٥، ٢٢٣، ٢٩٣، ٢٩٦، ٣٠٤، ٣١٤، ٣٢٥، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩
لشبونة : ٤٨
لمبرج : ٢١٥
لندن : ١٤١، ١٤٢، ٢٠١، ٢٤٧، ٢٥٢
لوكا : ٨٥
لوكسمبورج : ١٢٨، ١٤٧، ٣٠٣
لونبرج (دوقية) Lauenburg : ٢١
لويزيانا Louisiana : ١٥٥، ١٦٥
لياوتونج (جزيرة) Liaotung : ٧٩، ١٧٥، ١٧٦، ١٨٥
ليبريا Liberia : ١٦٢
ليسا Lissa : ١٤٦
ليفونيا Livonia : ٢٩٥
ليمبرج Lemberg : ١٢٨
لينياجو Legnago : ٩٣

— م —

ماجينتا Magenta : ٩٩
مارشال Marshall : ٣١٩
مارك Mark : ١١٨
المارن (نهر) : ٢١٧
ماريانا Mariana : ٣١٩
ماساتشوستس Massachusetts : ١٥٣
مالطة : ٢١
مالميدى Malmedy : ٣١٨
مانتورا Mantora : ٩٣
مانشون هاوس Mansion House : ١٩٦
ماين (نهر) Main : ١٤٦
مايانز : ٢١، ٤٢
المجر : ٩، ٥٧، ٥٩، ٦٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٤، ١٩٩، ٢٠٩، ٢١٩، ٢٢٧، ٢٥٦، ٢٩٥، ٣٠٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣٢٨، ٣٢٩
المحيط الأطلنطي : ١٨٦
المحيط الهادي : ١٥٨، ١٦٩، ٢١٣، ٢٢٠، ٢٩٧، ٣٢٠
مدريد : ٤٥
مدغشقر Madagascar : ١٨٧
مراكش : ٧٦، ١٨٨، ٣٤٣
المسسبي (نهر) Mississippi : ١٥٥، ١٦٥

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مصر : ٥، ٧٤، ١٨٧، ١٨٨، ٣٢٠، ٣٣٣، ٣٣٤

المغرب : ١٩٥، ٣٢٠

مقدونيا : ٤٩، ١٩١، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣

المكسيك : ٤٦، ١٤٤، ١٥٦، ١٥٩

مكلنبرج : ٤٢

منشوريا : ٧٨، ١٧٦، ١٨٧، ٣٣٨، ٣٤١

منشوريا الجنوبية Monchuria : ١٧٥

منغوليا الشرقية : ٣٣٨

مودنيا : ٥١، ٨٧، ٩١، ١٠٠

مورافيا : ٣١٧

مورمنسك Murmansk : ٢٩٦، ٢٩٧

المورة Morea : ٤٥، ٤٩

الموز (نهر) Meuse : ١١٨

موسكو : ١٣٦، ٢٤٦، ٢٥٣، ٢٨٨، ٢٨٩

موناستير (منطقة) Monastir : ١٩٩، ٢٠١، ٢٠٣

ميريلاند Maryland : ١٥٣

ميشيجان Michigan : ١٦٢

ميكلينبورج Mecklenburg : ١٢٥

ميلان : ٥٦، ٨٦

ميلانو : ٥٦، ٩٤

ميلانيز (اقليم لمباردي) : ٢٠

مينسك Minsk : ٢٤٦

مينيسوتا Minnesota : ١٥٦

— ن —

نابولي : ٢٢، ٤٣، ٤٤، ٥٦، ٩٢، ٩٥، ٩٨، ١٠١، ١٠٢

ناساو Nassau : ٤٢, ١٢٥

ناورو Nauru : ٣٢٠

نبراسكا Nebraska : ١٦٤

نجازاكى Nagasaki : ١٦٩

النرويج : ٢٣، ٢٤، ٣٤، ٢٧٠، ٩

نفارينو (خليج) Navarino : ٤٩،

النمسا : ٩، ١٧، ١٩، ٢٠، ٢٣، ٢٥، ٣٥، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٥، ٥٤، ٥٨، ٦٠، ٦٣، ٧٠، ٧٦، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٩١، ٩٢، ٩٤، ٩٥، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ٠ ١٠٣، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ٧ ١١٨، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ٥ ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ٤

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١٣٧، ١٣٨، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣،
١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨،
١٨٢، ١٨٣، ١٨٨، ١٨٩، ١٩١،
١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٩،
٢٠١، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٩،
٢١١، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٩، ٢٢٧،
٢٣٤، ٢٥٦، ٢٩٤، ٢٩٥، ٣٠٤،
٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣٢٥، ٣٢٦،
٣٢٨، ٣٢٩

نورث كارولينا North Carolina : ١٥٣

نوفارا : ٩٧

نيس : ٩٨، ١٠٠، ١٠١

نيفادا Nevada : ١٥٦

نيوجرسى Newjersy : ١٥٣

نيوفوندلاند Newfoundland : ١٨٧

نيومكسيكو New Mexico : ١٥٦، ٢٢١

نيوهامبشير New Hampshir : ١٥٣

نيويورك New York : ١٥٣

— هـ —

هانوفر Hanover : ١٢٤، ١٢٥، ١٣١، ١٣٦، ١٤٥، ١٤٦

هاواى (جزر) Hawaiian islands : ١٥٧

هايدلبرج Heidelberg : ١٢٧

الهرم : ١٢

هلجولاند Helgoland : ٢١

الهند : ٧٨، ٣٣٣، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٤١

الهند الصينية : ٣٤١

هولشتاين Holstein : ١٢٢

هولندا : ١٨، ٢١، ٢٢، ٢٤، ٢٥، ٣٦، ٣٨، ٥٢، ٥٣، ٧٥، ١٤٧، ١٧٠، ٢٣٦، ٣٢٣، ٣٢٩

هونج كونج Hong Kong : ٣٤٠

هيس Hesse : ٤٢، ١٢٤، ١٢٥، ١٣٢، ١٤٦

— و —

وارسو : ٢٠، ٣٨، ٤٢، ٥٤، ٥٥، ٢١٢، ٣٢٦

وستفاليا Westphalia : ٢١، ٥٧

وسكانسين Wisconsin : ١٦٢

— ى —

اليابان : ٩، ٧٨، ٧٩، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٥٦، ٣٠٤، ٣١٩، ٣٣٠، ٣٣٨،

٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٣

يافا : ٢١٣، ٣٤٣

اليانجتسى (نهر) Yangtze : ٣٤١

يانينا Janina : ٢٠١

يوبين Eupen : ٣١٨

يوته Utah : ١٥٦

يوغوسلافيا : ٣١٦، ٣١٨، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٨، ٣٢٩

يوكوهاما (ميناء) : ١٧٠

يونان (اقليم) : ٧٩

اليونان : ١٩٩، ٢٠٢، ٢٠٣، ٣١٨، ٣٢٠، ٣٢٩

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثالثا : الهيئات والتجمعات

— أ —

الاتحـــاد الألمانى : ١٩، ٢٥، ٤٢، ١٢٢

الاتحاد الأوروبى : ٤٠

الاتحاد الجمركى Zollverein : ٥٧، ١٢٤، ١٢٥، ١٣٨

اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية : ٦٦

الاتحاد السويسرى : ١٨

اتحاد سويسرة الكونفدرالى : ٢٣

الاتحاد الكونفدرالى (التعاهدى) الألمانى The Germanic Confederation : ١٤٠

أسرة براجانزا Braganza : ٢٣

أسرة البوربون : ٢٢، ٢٣، ٤٦

أسرة توكوجاوا : ١٧٢

أسرة رومانوف Romanoff : ٩، ٢٦٤

أسرة سافوى Savoy : ٢٢، ٨٤، ١٠١

أسرة الهابسبورج Habsburg : ٩، ٢٢، ٣٣، ١٠٧، ١٢٢، ١٣٠، ٣١٥

أسرة هوهنزوليرن Hohenzollern : ٩، ١١٨، ٣١٥

الاشتراكيون الديمقراطيون Social-Demacratic Groups : ٢٤٣

إيطاليا الفتاة (تنظيم) : ٨٧، ٨٩، ٩١

— ب —

برلمان فرانكفورت : ١٣٠، ١٣١

بيت أجستنبورج Augustenburg : ١٤٠، ١٤٣

بيت أورانج : ٥٢

— ج —

جامعة بطرسبرج : ٢٤٤

جامعة بوتنجن : ١٣٦

الجامعة الصربية : ١٩٩

جامعة فيلنا Vilna : ٣٨

جامعة كراكاو Cracow : ٣٨

جامعة كازان Kazan : ٢٤٤

جماعة تركيا الفتاة : ٢٠١

جمعية الاتحاد والترقى : ٦٢

جمعية إرادة الشعب Narodnaya Volya : ٦٥، ٢٤١

جمعية الكاربوناري Carbonari : ٨٦،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١٩٧ ،٨٧

جمعية الوحدة الإيطالية : ٩٦

جمعية اليد السوداء الصربية : ٢٠٤

— ح —

الحرس الأحمر The Red Guards : ٢٨٧ ، ٢٩٠

حزب الويج Whigs : ١٦٤

حزب الاشتراكيين الشعبيين The Popular Socialist Party : ٢٣٥

الحزب الدستورى الديمقراطى : ٢٥٢

حزب العمال البريطانى : ٣٣٤

الحزب السوفييتى : ٢٩٤

حزب العمال الاشتراكى الديمقراطى The Russian Social Democratic Labour Party : ٢٤٦

— د —

الدوما (مجلس) : ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٧٠

— ر —

الرايخستاج Reichtag : ١٢٩

— س —

سجن بطرسبرج : ٢٤٥

— ع —

عصبة الأمم League Nations : ١٠ ، ٢٢٢ ، ٣١٨ ، ٣٢١ ، ٣٢٤ ، ٣٣١

العصبة البلقانية : ٢٠١

— ق —

قصر فرساى Versailles : ١٤٩

— ك —

الكنيسة : ٧

الكونجرس : ١٦١ ، ١٦٤

— ل —

لجنة الخمسة : ١٧

اللجنة المركزية للحزب الشيوعى : ٢٨٥ ، ٢٩٠

اللجنة المؤقتة لمجلس الدوما The Duma Provisional Committee : ٢٦٠

— م —

مجلس الأمن : ١٠

مجلس الدوما الأول Duma : ٦٥

مجلس الدوما الثاني : ٦٥

مجلس الدوما الثالث : ٦٥

مجلس الدوما الرابع : ٦٥

مجلس الكورتيز الأسبانى : ٤٥

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مجلس مفوضى الشعب Soviet of the
People's Commissars : ٢٩٢
محكمة العدل الدولية : ٣٢٢
محكمة سامارا Samara : ٢٤٤
المدرسة الألمانية : ٣١، ٣٣
المدرسة الفرنسية : ٣١، ٣٣
— هـ —
هيئة الأمم : ١٠
الهيئة المصرية العامة للكتاب : ٣

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رابعا : الأحداث التاريخية

- أ -

إتفاق القسطنطينية : ٥٠

أزمة أغادير : ١٩٥

- ب -

بروتوكول لندن : ٥٠

- ت -

التحالف الرباعى : ٤٠

- ث -

ثورة إبراهيم هنانو : ٣٤٢

ثورة الاتحاديين : ٦٣

الثورة الاشتراكية : ٢٨٨

ثورة أكتوبر ١٩١٧ : ٢٦٩، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٩٢، ٣١٥، ٣٣٢

ثورة باريس : ١٢٧

الثورة الروسية : ٢٣١، ٢٣٣، ٢٤١، ٢٩٩

الثورة الروسية الثالثة : ٢٩١

الثورة السورية الكبرى : ٣٤٢

ثورة الشيخ صالح العلى : ٣٤٢

الثورة العظمى فى إنجلترا : ٦

ثورة فبراير ١٩١٧ : ٢٥٦، ٢٦٣، ٢٨٤

الثورة الفرنسية : ٧، ٨، ٣١، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٨، ٣٩، ٦٤، ٦٦، ٧٢، ٨٣، ٩١، ١١١، ١١٢، ١١٤، ١٢١، ٣٠٢

ثورة المجر : ٥٩، ٦٠

- ح -

حادثة فاشودة : ١٨٧

الحرب الأهلية الأمريكية : ٩

حرب البوير : ١٨٦، ١٨٨

حرب الثلاثين : ٦، ١٠٩، ١١٨

حرب الروس : ٣٤

الحرب الروسية اليابانية : ٦٥، ٢٣٣

الحرب السبعينية : ٢٦، ٧٥، ١٠٣، ١٨٢

حرب السنوات السبع : ١٢١

الحرب العالمية الأولى : ٩، ٧١، ٧٣، ١٨١، ١٩٩، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٣٦، ٢٥٥، ٣٠٧، ٣٠٩، ٣١٥، ٣٢٧، ٣٣٤، ٣٣٨

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الحرب العالمية الثانية : ٣٠٥، ٣٢٦، ٣٤٢
حرب القرم Crimean War : ٢٦، ٩٧
حرب الوراثة الأسبانية : ٦
الحرب اليابانية الروسية : ١٧٦
الحرب اليابانية الصينية : ١٧٥
حركة الإصلاح الدينى : ٦، ٧، ١٠٩
حركة الكشوف الجغرافية : ٧، ٢٩
الحروب الإيطالية : ٧
الحروب النابليونية : ١٥
حروب الوراثة النمساوية War of Austrian Succession: ٦، ١٢٠
الحلف الثلاثى : ٧٦، ١٩٧
الحلف المقدس Holy Alliance : ٤٠، ٤١، ٤٣، ٤٤

— خ —

خط سيجفريد Siegfried : ٢٢٣، ٢٢٨
خط شريف كلخانة : ٦١
خط هندنبرج : ٢٢٣

— ص —

صلح أوجزبرج : ١٠٩
صلح زيوريخ : ١٠٠
صلح فيلافرنكا : ١٣٤
صلح لوزان Lausanne : ١٩٧
صلح هوبير تسبورج Hubertsburg : ١٢١
صلح وستفاليا Westphalia : ١١٩

— م —

محاولة كورنيلوف الانقلابية : ٢٨٥
مرسومات كارلسباد Carlsbad Decrees : ٤٢
المسألة البرتغالية البرازيلية : ٤٧
المسألة البولندية السكسونية : ١٨
مسألة فاشودة : ٧٦
معاهدة أدريانوبل (أدرنه) Adrianople : ٥٠
معاهدة أوترخت : ٢٠
معاهدة ١٩٣٦ : ٣٤٢
معاهدة باريس : ١٥، ١٦، ٢٢، ١٥٤
معاهدة باريس الثانية : ٤٠
معاهدة براج Prague : ١٤٦
معاهدة برست ليتوفسك Brest Litovsk : ٢٢٣
معاهدة برلين : ١٨٩، ١٩٢

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

معاهدة بوخارست Bucharest : ٢٠٣

معاهدة بورتسماوث Portsmouth : ١٨٦

معاهدة تروكاديرو Trocadero : ٤٥

معاهدة تريانون Trianon : ٣١٦، ٣١٧

معاهدة جشتاين Gastein : ١٤٣

معاهدة ريجا Riga : ٣١٩

معاهدة سان جرمان St. Germain : ٣١٦، ٣١٧

معركة السوم Somme : ٢١٧، ٢١٨

معاهدة سيفر Sévre : ٣١٦، ٣٢٠

معاهدة شيمونوسكى Shimonoseki : ١٨٥

معركة فردان Verdun : ٢١٧

معاهدة فرانكفورت : ١٤٩

معاهدة فرساى : ٣١٦، ٣١٨، ٣١٩، ٣٣٩

معاهدة كاليش Calisch : ٥٣

معاهدة كاناراجا : ١٧٠

معاهدة لندن : ٤٩، ٥٠، ٢٠٢، ٢١٣

معاهدة نويى Neully : ٣١٦، ٣١٨

معاهدة وبستر اشبرتون Webster Ashburton : ١٥٦

معركة باشنديل Passchendaele : ٢٢٤

معركة جورليس تارناو Gorlice Tarnau : ٢١٥

معركة كابوريتو Caporetto : ٢٢٤

معركة لودز Lodz : ٢١٢

معركة المارن الأولى The Marne : ٢١٠، ٢١١

معركة المارن الثانية : ٢٢٧

معركة نوفارا Novara : ٩٤

مؤتمر اكس لاشابل Aix Le Chapelle : ٤١، ١٢٠

مؤتمر برلين ١٨٨٤ ـ ١٨٨٥ : ٩، ٦٢، ٧٥، ١٨٢

مؤتمر تروباو Troppau : ٤٣

مؤتمر الجزيرة الخضراء : ١٩٨

مؤتمر الصلح في باريس : ٩٧

مؤتمر فرساي Versailles : ٣١٦، ٣١٨

مؤتمر فيينا (تسوية فيينا) : ١٣، ١٥، ١٦، ١٧، ٢٣، ٢٥، ٢٦، ٣٦، ٣٩،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٥٢، ٨٣، ٨٤، ١١٤، ١١٦، ١١٧،
١١٨، ١٢٣، ٣٢٥، ٣٢٦

مؤتمر كارلسباد Carlsbad : ٤٢

مؤتمر لوزان : ٣٢١

مؤتمر لبياخ Laibach : ٤٤، ٤٥

مؤتمر واشنطن : ٣٣٩

موقعة دراجشان Dragashan : ٤٨

موقعة نفارينو : ٤٩

موقعة وارترلو : ٤٠

— و —

واقعة نوفارا : ٤٤

الوحدة الايطالية : ٩، ٨٣

الوفاق الروسى الفرنسى الإنجليزى :
١٩٥

الوفاق الودى Entente Cordiale :
١٨٨، ١٩٠، ١٩١

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

خامسا : الدوريات

- أ -

إسكرا (الشرارة) Iskra : ٢٤٦

الأونيون : ٢٧١

البرافدا : ٢٦٧ ، ٢٧١ ، ٢٧٥

- ر -

رابوتشى بوت Rabochy Put : ٢٩٠

- ن -

نوڤاياچيزن Novayazhizen : ٢٨٩

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من أهم الأعمال العلمية المنشورة للمؤلف

١ - تطور الحركة الوطنية فى مصر (١٩١٨ - ١٩٣٦) (القاهرة: دار الكاتب العربى ١٩٦٨) .

٢ - تطور الحركة الوطنية فى مصر (١٩٣٧ - ١٩٤٨) - مجلدات (بيروت : دار الوطن العربى ١٩٧٣) .

٣ - الصراع الاجتماعى والسياسى فى مصر من ثورة يوليو إلى أزمة مارس ١٩٥٤ . (القاهرة : مكتبة مدبولى ١٩٧٥) .

٤ - عبد الناصر وأزمة مارس . (القاهرة : دار روز اليوسف ١٩٧٦) .

٥ - الجيش المصرى فى السياسة (١٨٨٢ - ١٩٣٦) (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧) .

٦ - صراع الطبقات فى مصر (١٨٣٧ - ١٩٥٢) . (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٨) .

٧ - الصراع بين الوفد والعرش (١٩٣٦ - ١٩٣٩) . (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٩) .

٨ - الفكر الثورى فى مصر ، قبل ثورة ٢٣ يوليو . (القاهرة: مكتبة مدبولى ١٩٨١) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٩ – المواجهة المصرية الاسرائيلية فى البحر الأحمر (١٩٤٩ – ١٩٧٩) :

الطبعة الأولى (القاهرة : دار روز اليوسف ١٩٨٢) .

الطبعة الثانية (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦).

١٠ – الاخوان المسلمون والتنظيم السرى . (القاهرة : دار روز اليوسف يناير ١٩٨٣) .

١١ – الصراع بين العرب وأوروبا ، من ظهور الاسلام إلى انتهاء الحروب الصليبية . (القاهرة : دار المعارف ١٩٨٣) .

١٢ – حرب أكتوبر فى محكمة التاريخ . (القاهرة : مكتبة مدبولى ١٩٨٤).

١٣ – مذكرات السياسيين ، الزعماء فى مصر . (القاهرة : دار الوطن العربى ١٩٨٤) .

١٤ – تحطيم الآلهة ، حرب يونيو ١٩٦٧ . (جزءان) (القاهرة : مكتبة مدبولى ١٩٨٤) .

١٥ – الغزوة الاستعمارية للعالم العربى ؛ وحركات المقاومة . (القاهرة : دار المعارف) .

١٦ – مصر فى عصر السادات (الجزء الأول) (القاهرة : مكتبة مدبولى ١٩٨٦) .

١٧ – مذكرات سعد زغلول ، تحقيق ، الجزء الأول (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧) .

١٨ – مصطفى كامل فى محكمة التاريخ:

الطبعة الأولى (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة تاريخ المصريين رقم ١ سنة ١٩٨٧) .

الطبعة الثانية (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة تاريخ المصريين سنة ١٩٩٤).

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١٩ – أكذوبة الاستعمار المصرى للسودان :

الطبعة الأولى (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة تاريخ المصريين رقم ١٣ سنة ١٩٨٨) .

الطبعة الثانية (القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة ١٩٩٦).

٢٠ – مذكرات سعد زغلول ، تحقيق ، الجزء الثانى . (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨) .

٢١ – مذكرات سعد زغلول ، تحقيق ، الجزء الثالث . (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٩) .

٢٢ – مصر فى عصر السادات ، الجزء الثانى . (القاهرة : مكتبة مدبولى ١٩٨٩) .

٢٣ – مذكرات سعد زغلول ، تحقيق ، الجزء الرابع . (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠) .

٢٤ – الاجتياح العراقى للكويت فى الميزان التاريخى (القاهرة: الزهراء – ١٩٩٠) .

٢٥ – حرب الخليج فى محكمة التاريخ . (القاهرة : الزهراء– ١٩٩٠) .

٢٦ – العلاقات المصرية الاسرائيلية (١٩٤٨ – ١٩٧٩) (القاهرة : سلسلة تاريخ المصريين ٤٩ سنة ١٩٩١) .

٢٧ – مذكرات سعد زغلول ، تحقيق ، الجزء الخامس . (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢) .

٢٨ – الصراع الاجتماعى والسياسى فى عصر مبارك . (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢٩ – تاريخ الاسكندرية فى العصر الحديث . (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣، سلسلة تاريخ المصريين عدد ٦١).

٣٠ – تاريخ مصر والمزورون . (القاهرة : الزهراء – ١٩٩٣) .

٣١ – أوهام هيكل وحقائق حرب الخليج. (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣).

٣٢ – قصة بناء المواطنة الخليجية. (القاهرة : مركز المنار للنشر والدراسات الاعلامية ١٩٩٣).

٣٣ – الصراع الاجتماعى والسياسى فى عصر مبارك، الجزء الثانى (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣).

٣٤ – الإخوان المسلمون والتنظيم السرى، الطبعة الثانية (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣).

٣٥ – مذكرات سعد زغلول، تحقيق، الجزء السادس (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣).

٣٦ – الصراع الاجتماعى والسياسى فى عصر مبارك، الجزء الثالث (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤)

٣٧ – الصراع الاجتماعى والسياسى فى عصر مبارك، الجزء الرابع، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤).

٣٨ – الصراع الاجتماعى والسياسى فى عصر مبارك، الجزء الخامس، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥).

٣٩ – جماعات التكفير فى مصر (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥).

٤٠ – مصر قبل عبدالناصر (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥).

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٤١ – أوراق فى تاريخ مصر (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥).

٤٢ – هيكل والكهف الناصرى (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥).

٤٣ – مصر فى عصر مبارك «الجزء السادس» (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥).

٤٤ – مصر فى عصر مبارك «الجزء السابع» (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥).

٤٥ – رحلات مؤرخ (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦).

٤٦ – مذكرات سعد زغلول، تحقيق، الجزء السابع (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦).

٤٧ – تاريخ أوروبا والعالم فى العصر الحديث، من ظهور البورجوازية الأوروبية إلى الحرب الباردة «الجزء الأول» من ظهور البورجوازية الأوروبية إلى الثورة الفرنسية [القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦].

٤٨ – تاريخ أوروبا والعالم فى العصر الحديث، من ظهور البورجوازية الأوروبية إلى الحرب الباردة «الجزء الثانى» من تسوية مؤتمر ڤيينا إلى تسوية مؤتمر ڤرساى [القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦].

٤٩ – تاريخ أوروبا والعالم فى العصر الحديث، من ظهور البورجوازية الأوروبية إلى الحرب الباردة «الجزء الثالث» من من قيام النازية فى ألمانيا إلى الحرب الباردة [القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦].

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مع آخرين :

١ - مصر والحرب العالمية الثانية ، مع الدكتور جمال الدين المسدى والدكتور يونان لبيب رزق (القاهرة : مؤسسة الأهرام ١٩٧٨) .

٢ - تاريخ أوروبا فى عصر الرأسمالية ، مع الدكتور يونان لبيب رزق ود . رءوف عباس . (القاهرة : دار الثقافة العربية ١٩٨٢) .

٣ - تاريخ أوروبا فى عصر الامبريالية ، مع الدكتور يونان لبيب رزق ود.رءوف عباس . (القاهرة : دار الثقافة العربية ١٩٨٢).

كتب مترجمة :

١ - تاريخ النهب الاستعمارى لمصر ، (١٧٩٨ - ١٨٨٢) تأليف جون مارلو . (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦)

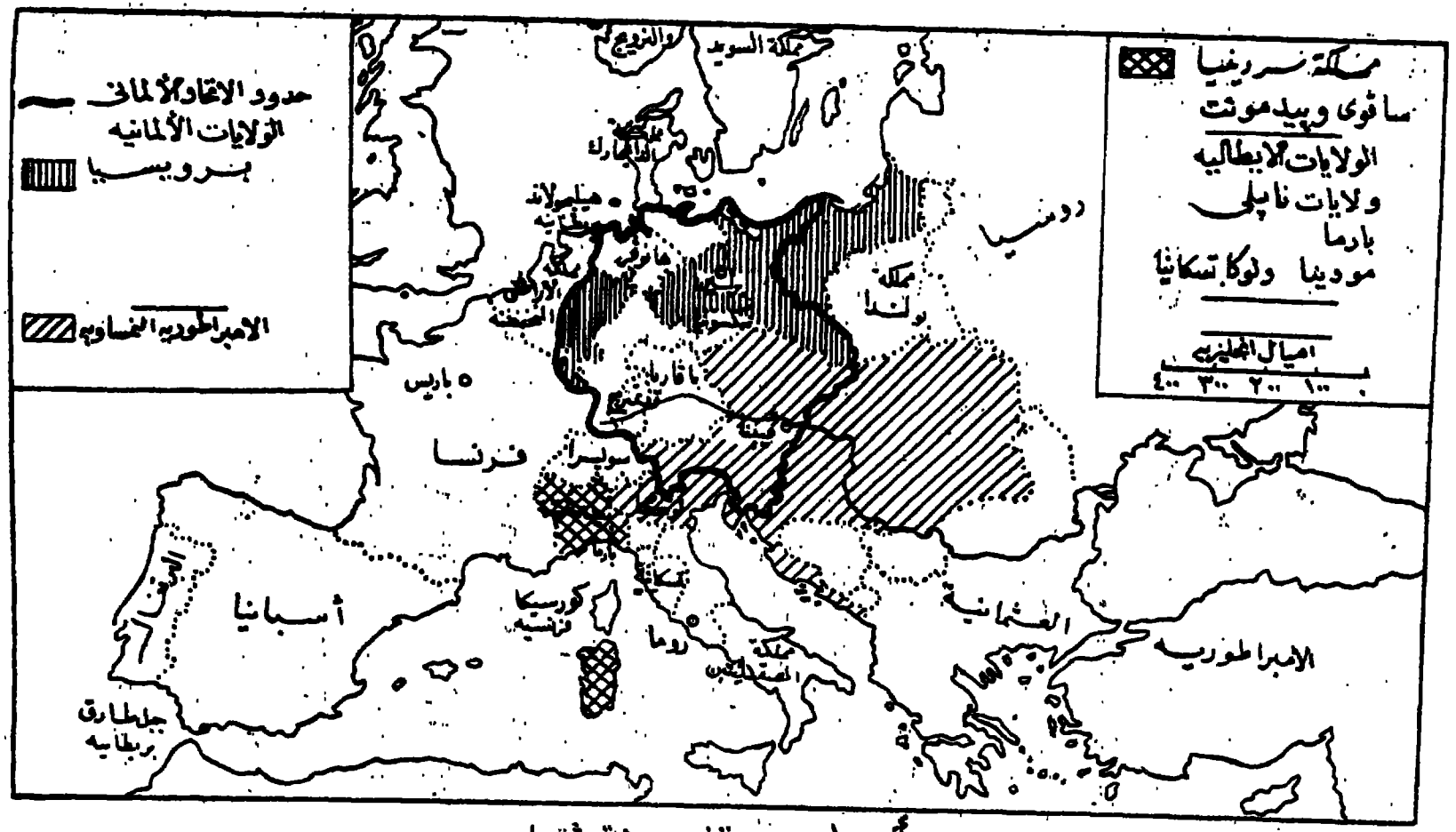

أوربا حسب تقسيم مؤتمر ڤينا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

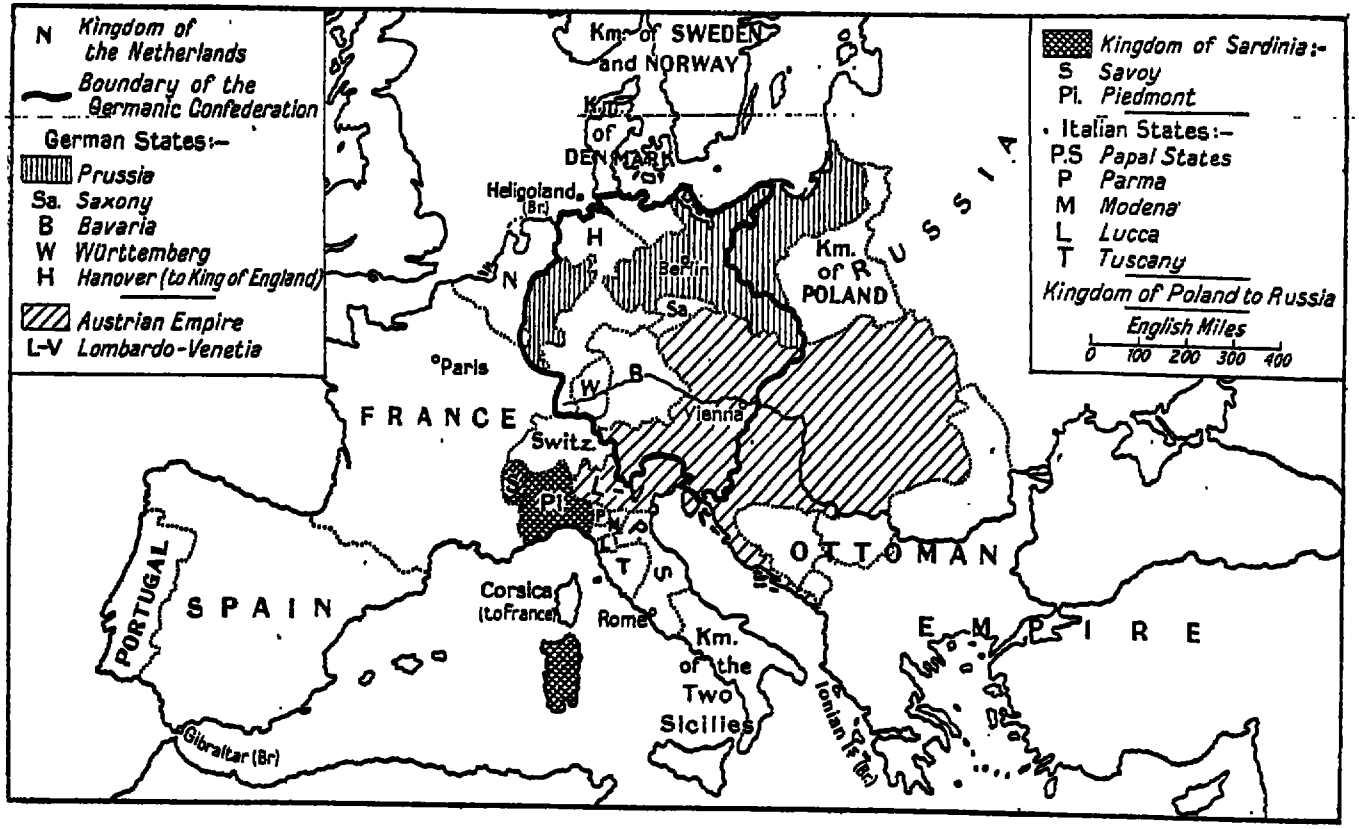

EUROPE AT THE CONGRESS OF VIENNA, 1815.

الامبراطورية النمساوية
الامبراطورية التركية
بيدمونت
نيس
لومبارديا ١٨٥٩
ولاية البندقية ١٨٦٦
توسكانيا ١٨٦٠
١٨٦٠
١٨٧٠
البابا
كورسيكا
سردينيا
اراضي تمساوية صلكة سرديفيا ١٨١٥-٥٩
الولايات البابوية
اراضي اخذتها فرنسا ١٨٦٠

نمو ايطاليا

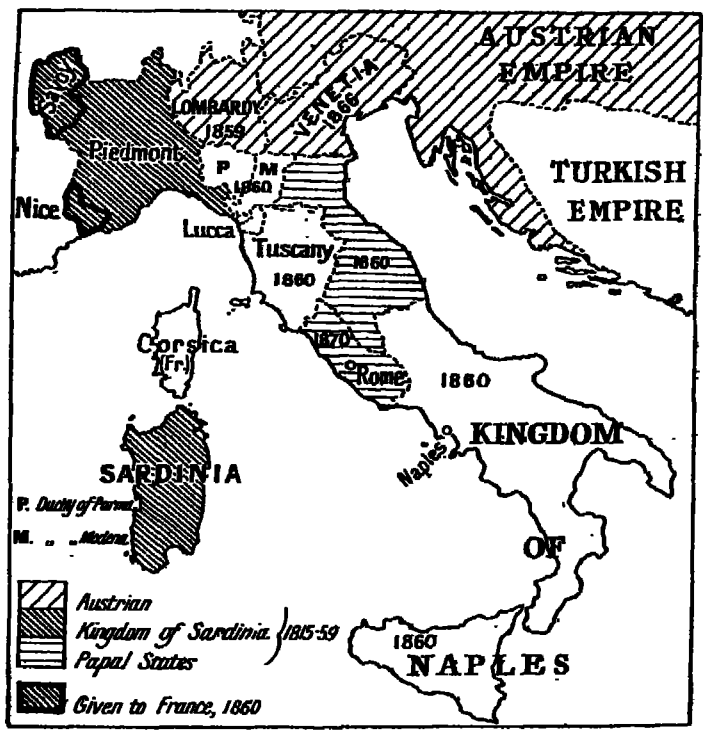

THE GROWTH OF ITALY.

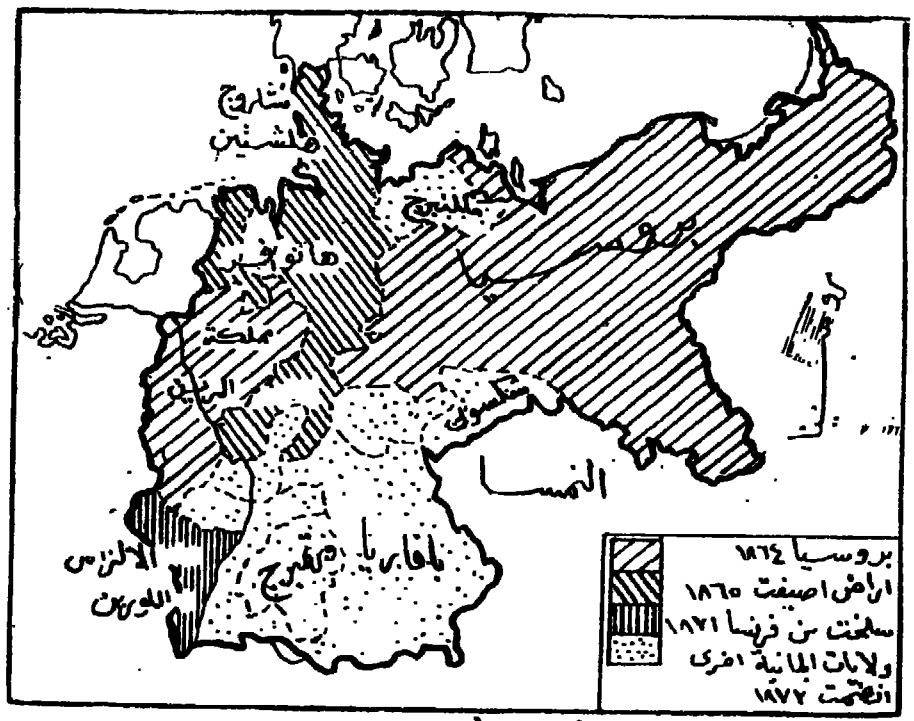

نمو الامبراطورية الالمانية

المستعمرات الثلاث عشرة الأصلية
التي حاربت إنجلترا سنة ١٧٧٦

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اشتريت لويزيانا سنة ١٨٠٣

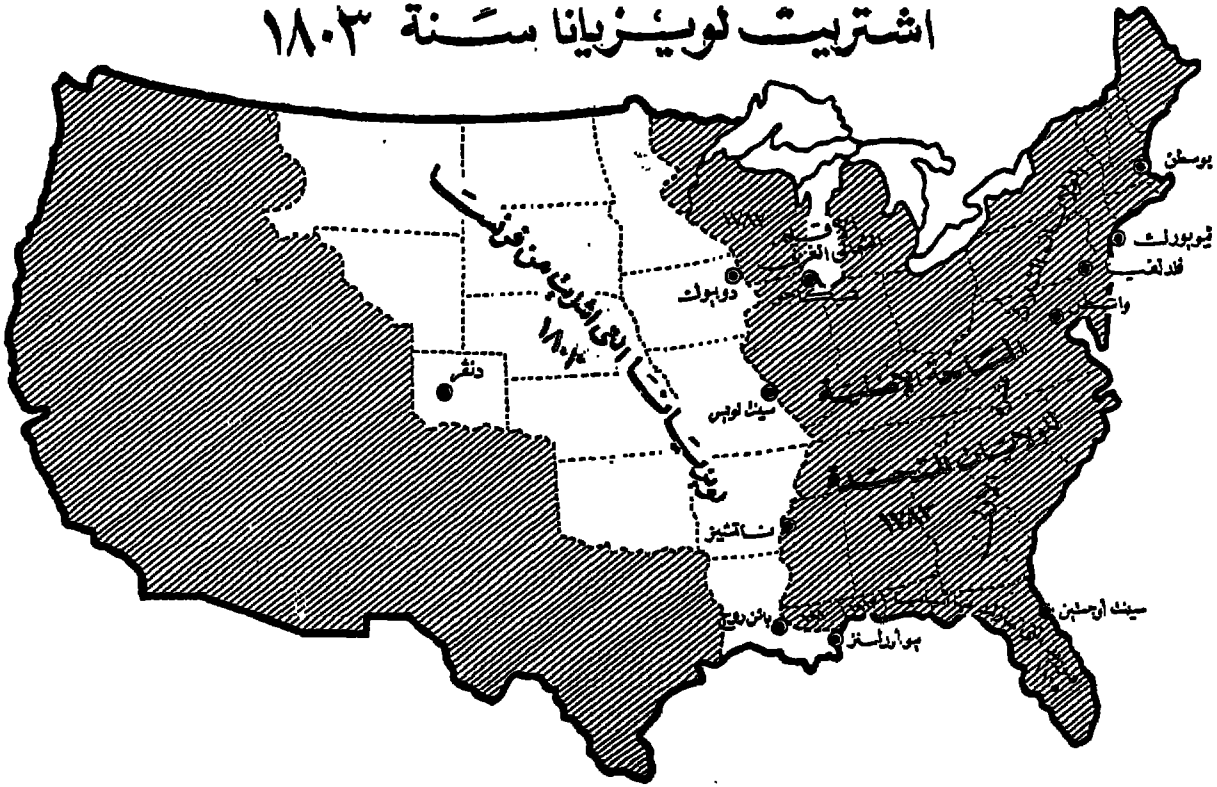

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الولايات التى أباحت الاسترقاق والأخرى التى حرمته فى سنة ١٨٦١

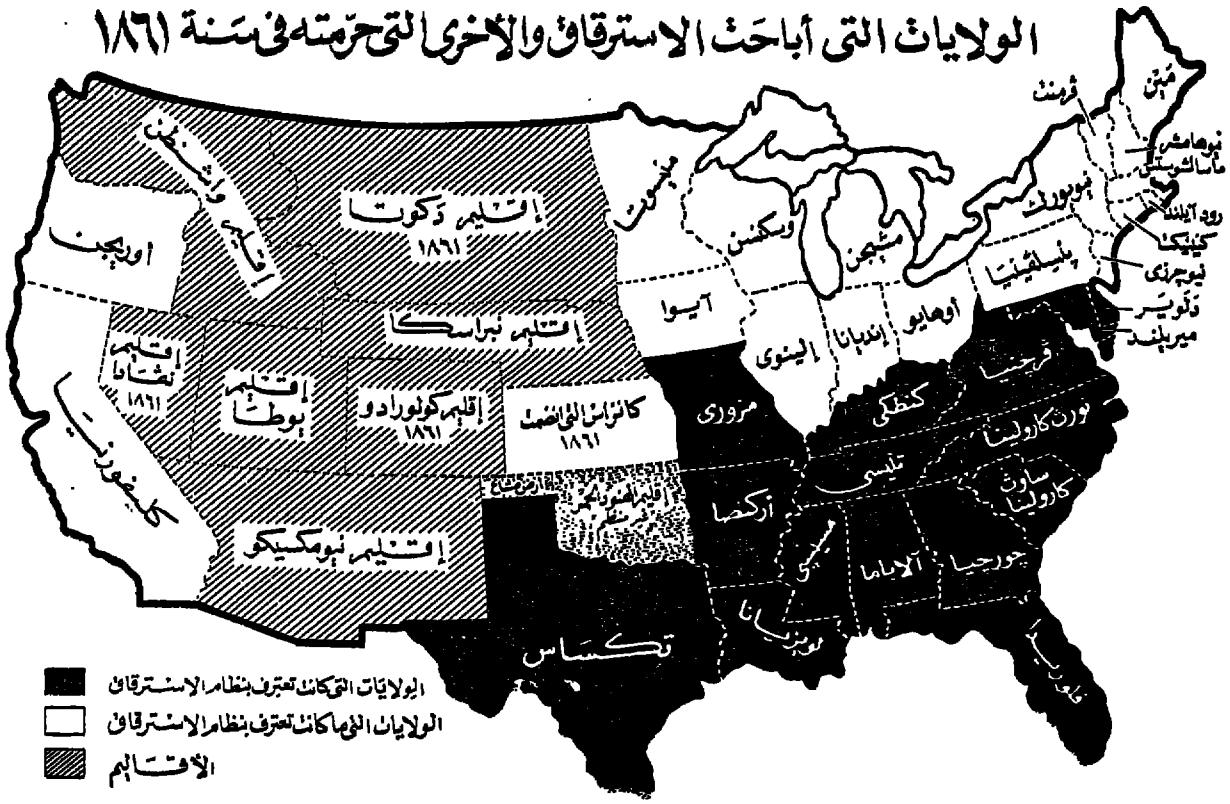

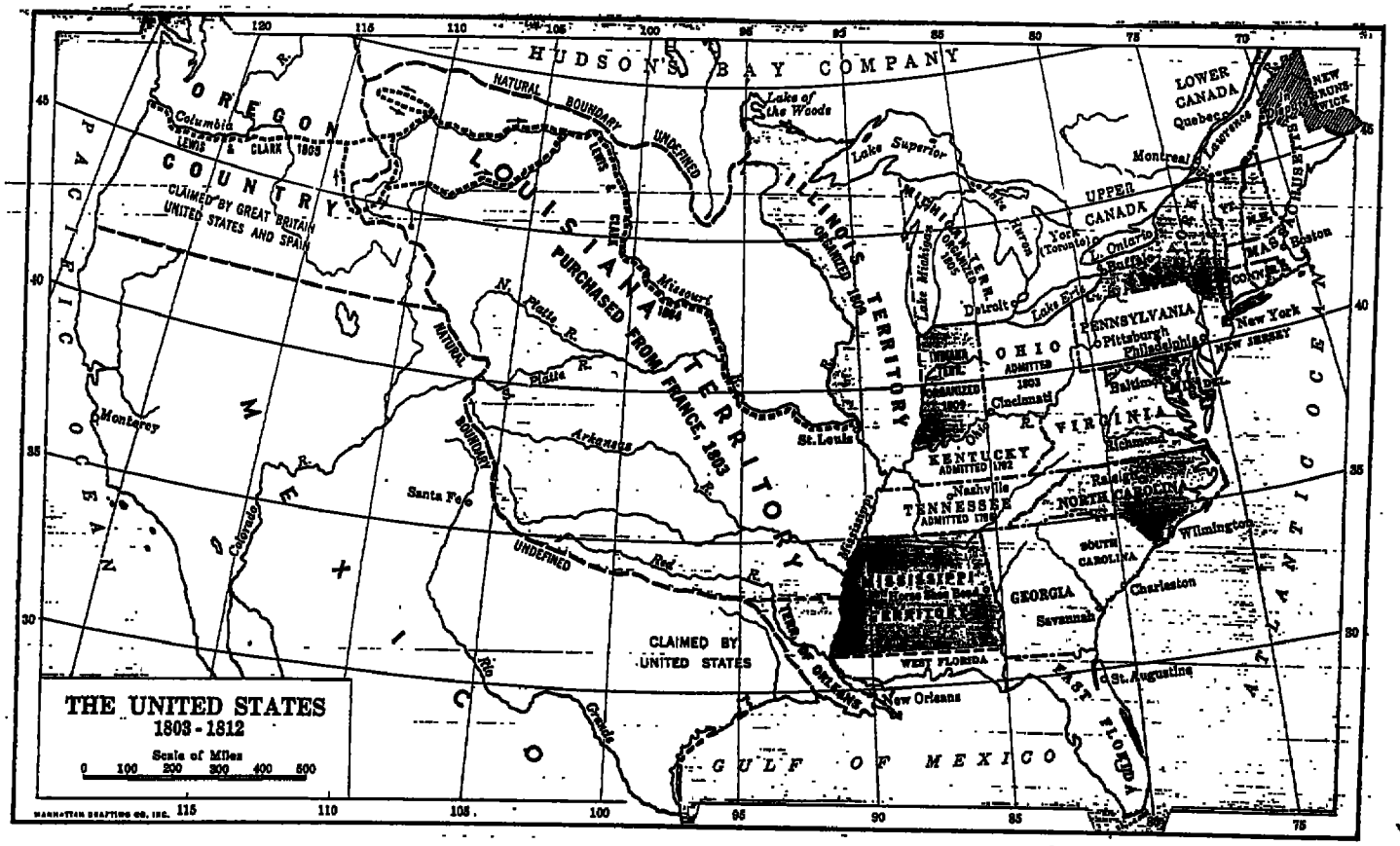
THE UNITED STATES
1803 - 1812
Scale of Miles
0 100 200 300 400 500
HUDSON'S BAY COMPANY
OREGON COUNTRY
CLAIMED BY GREAT BRITAIN UNITED STATES AND SPAIN
LOUISIANA PURCHASED FROM FRANCE, 1803
TERRITORY
NATURAL BOUNDARY
UNDEFINED
CLAIMED BY UNITED STATES
GULF OF MEXICO
ATLANTIC OCEAN
PACIFIC OCEAN
NEW SPAIN
MEXICO
Columbia R.
Lewis & Clark 1805
Missouri R.
Platte R.
Arkansas R.
Red R.
Rio Grande
Colorado R.
Mississippi R.
Lake of the Woods
Lake Superior
Lake Michigan
Lake Huron
Lake Erie
Lake Ontario
Montreal
York (Toronto)
Detroit
Buffalo
Boston
New York
Philadelphia
Baltimore
Richmond
Raleigh
Wilmington
Charleston
Savannah
St. Augustine
New Orleans
Cincinnati
St. Louis
Santa Fe
Monterey
Nashville
LOWER CANADA
Quebec
NEW BRUNSWICK
UPPER CANADA
NOVA SCOTIA
MASS.
CONN.
R.I.
N.H.
VT.
PENNSYLVANIA
NEW JERSEY
OHIO
INDIANA TERR.
ILLINOIS TERRITORY
ORGANIZED 1800
ORGANIZED 1805
ORGANIZED 1809
ORGANIZED 1812
INDIANA TERR. ADMITTED 1816
KENTUCKY ADMITTED 1792
TENNESSEE ADMITTED 1796
MISSISSIPPI TERRITORY
Yazoo Strip Ceded by Georgia 1802
GEORGIA
SOUTH CAROLINA
NORTH CAROLINA
VIRGINIA
WEST FLORIDA
EAST FLORIDA
MANHATTAN DRAFTING CO. INC.

GROWTH OF
THE UNITED STATES
Scale of Miles
0 100 200 300 400 500
CANADA
CEDED BY U.S. 1818
CEDED BY GREAT BRITAIN IN 1818
OREGON COUNTRY
BY TREATY WITH GREAT BRITAIN 1846
OREGON
WASHINGTON
Columbia R.
Portland
MONTANA
N. DAKOTA
LOUISIANA FROM FRANCE PURCHASE 1803
S. DAKOTA
WYOMING
NEBR.
Platte R.
Missouri R.
IOWA
WISCONSIN
Lake Superior
Lake Michigan
Lake Huron
Lake Erie
Lake Ontario
Detroit
Chicago
Cleveland
Buffalo
Toronto
Montreal
Quebec
Boston
New York
Albany
Ottawa R.
ACQUIRED DURING THE REVOLUTION AND BY TREATY OF 1783
ILLINOIS
INDIANA
OHIO
Ohio R.
KENTUCKY
VIRGINIA
NORTH CAROLINA
SOUTH CAROLINA
GEORGIA
Charleston
Savannah
TENNESSEE
ARKANSAS
MISSOURI
St. Louis
Mississippi R.
KANSAS
Arkansas R.
OKLAHOMA
Red R.
ALABAMA
MISSISSIPPI
LOUISIANA
New Orleans
Sabine R.
TEXAS
TEXAS ANNEXATION OF 1845
THE MEXICAN CESSION OF 1848
NEVADA
UTAH
Great Salt Lake
Salt Lake City
COLORADO
Colorado R.
Santa Fe
ARIZONA
NEW MEXICO
San Francisco
CALIFORNIA
GADSDEN PURCHASE 1853
Rio Grande
PACIFIC OCEAN
MEXICO
GULF OF MEXICO
MANHATTAN DRAFTING CO. INC.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

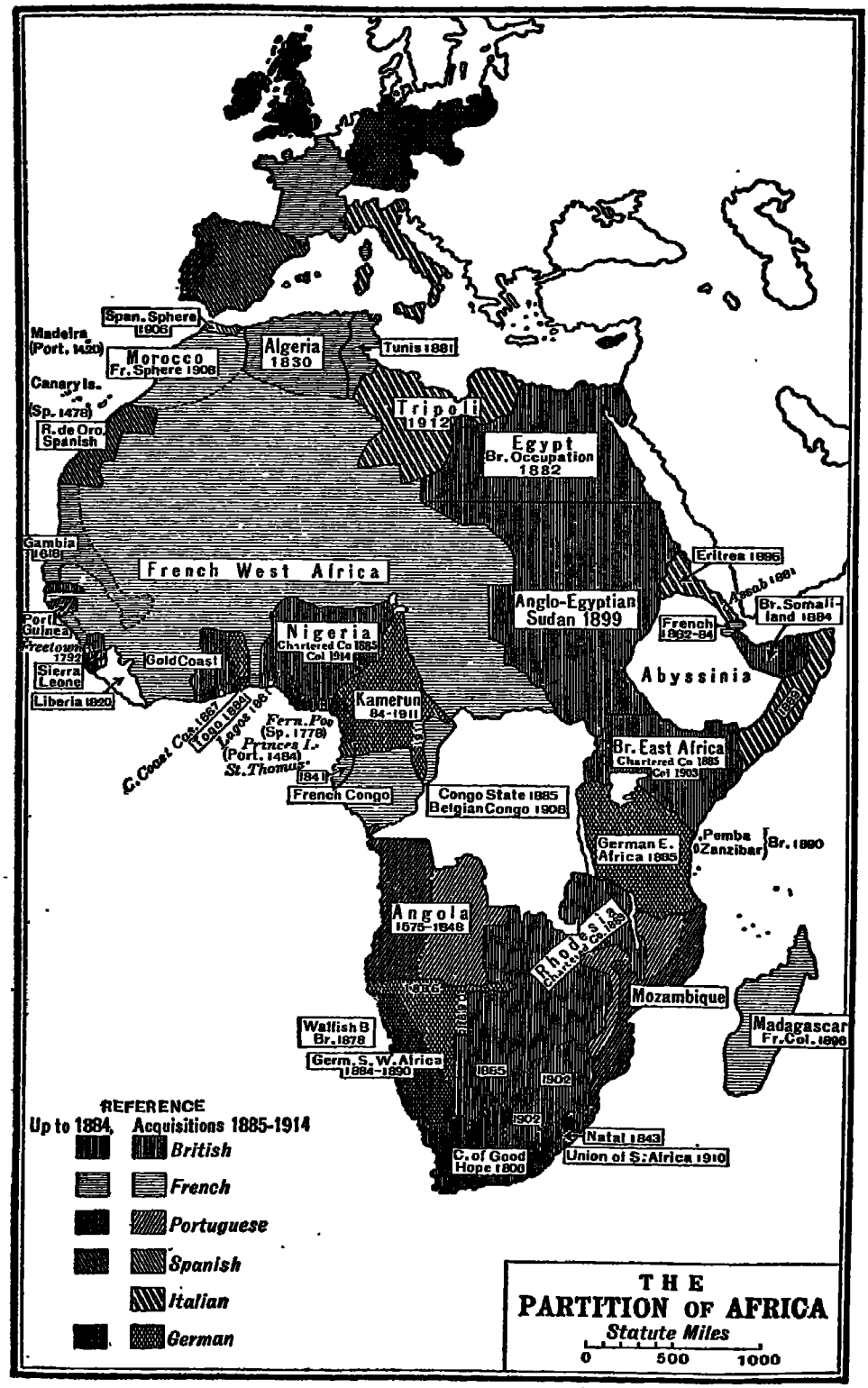

GEORGE PHILIP AND SON, LTD.

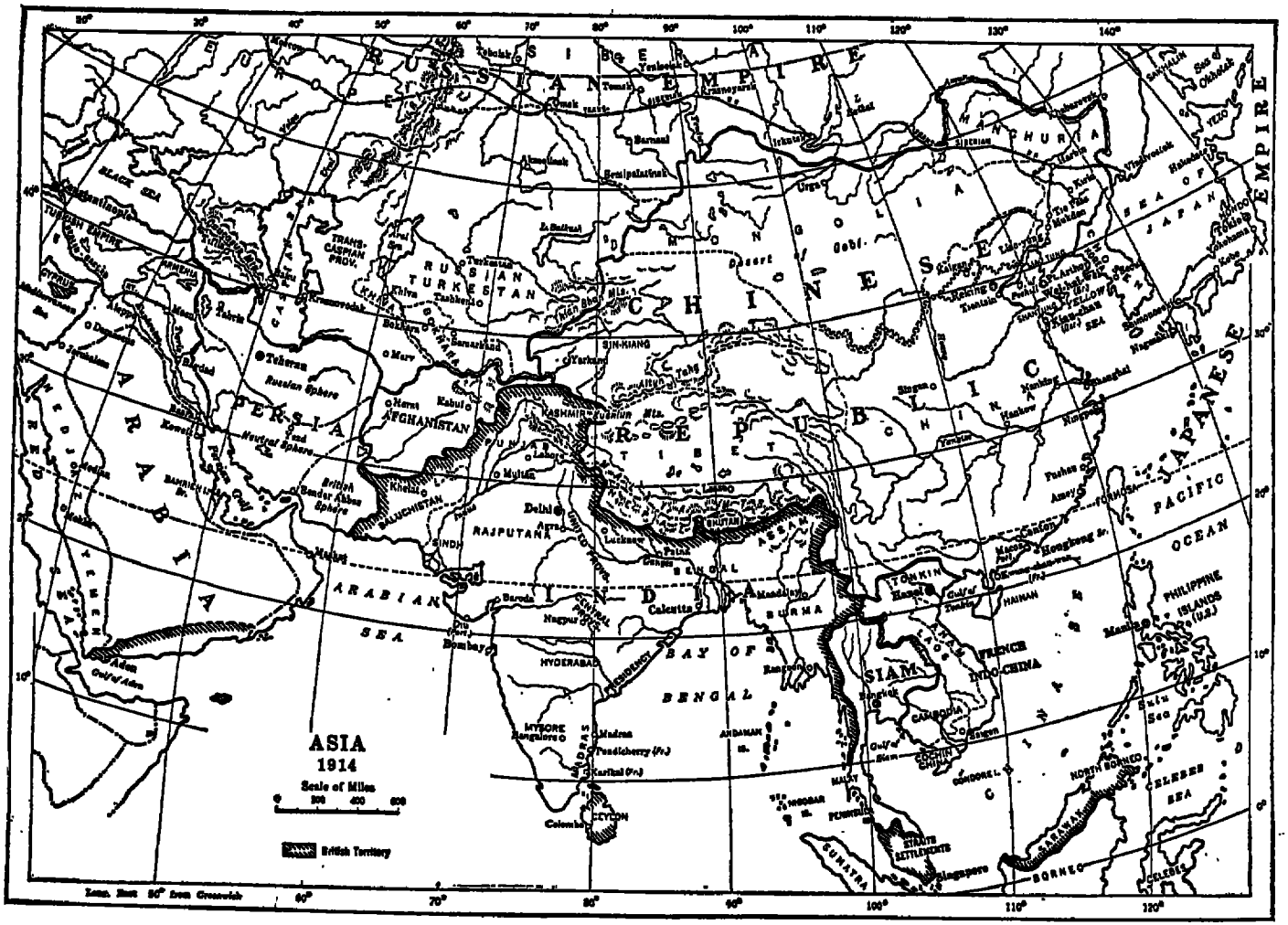
ASIA
1914
Scale of Miles
0 200 400 600
British Territory
RUSSIAN EMPIRE
SIBERIA
EUROPE
CHINESE REPUBLIC
JAPANESE EMPIRE
MANCHURIA
MONGOLIA
Gobi Desert
RUSSIAN TURKESTAN
TRANS-CASPIAN PROV.
PERSIA
Russian Sphere
Neutral Sphere
British Sphere
AFGHANISTAN
Tehran
Herat
Kabul
Kandahar
Quetta
BALUCHISTAN
KASHMIR
Himalaya Mts.
TIBET
Lhasa
SIN-KIANG
Yarkand
Khotan
Aksu
Turfan
Hami
Urga
Kiakhta
Irkutsk
Yeniseisk
Tomsk
Barnaul
Semipalatinsk
Omsk
Tashkent
Samarkand
Bokhara
Merv
Khiva
Orenburg
Kazan
Moscow
St. Petersburg
Petrograd
Archangel
Vologda
Perm
Ekaterinburg
Tobolsk
Yakutsk
Vladivostok
Khabarovsk
Blagovyeshchensk
Harbin
Mukden
Kirin
Changchun
Port Arthur
Dairen
Liao-tung Pen.
Liao-ho R.
Peking
Tientsin
Kalgan
Nanking
Shanghai
Hangchow
Hankow
Yangtse R.
Yellow R. (Hwang-ho)
Yellow Sea
Sea of Japan
Sea of Okhotsk
Kamchatka
Yezo
Hakodate
Yokohama
Tokio
Kobe
Nagasaki
Korea
Seoul
Fusan
Tsushima
Formosa
Amoy
Foochow
Swatow
Canton
Hongkong
Macao (Port.)
Kwangchowwan (Fr.)
TONKIN
Gulf of Tonkin
HAINAN
FRENCH INDO-CHINA
Laos
SIAM
Bangkok
Gulf of Siam
CAMBODIA
Saigon
Mekong R.
Tonle Sap L.
PHILIPPINE ISLANDS (U.S.)
Manila
Sulu Sea
NORTH BORNEO
CELEBES SEA
SARAWAK
BORNEO
CELEBES
Singapore
STRAITS SETTLEMENTS
Penang
MALAY PENINSULA
SUMATRA
Andaman Is.
NICOBAR Is.
BAY OF BENGAL
ARABIAN SEA
INDIA
Delhi
Agra
RAJPUTANA
SINDH
Karachi
Multan
Lahore
Amritsar
Simla
Lucknow
Patna
BENGAL
ASSAM
BHUTAN
NEPAL
Calcutta
Darjeeling
Chittagong
BURMA
Mandalay
Rangoon
Irrawaddy R.
Gulf of Martaban
Nagpur
Baroda
Bombay
Surat
HYDERABAD
MYSORE
Bangalore
MADRAS
Madras
Pondicherry (Fr.)
Karikal (Fr.)
CEYLON
Colombo
Aden
Gulf of Aden
Muscat
Hodeida
Mecca
Medina
Jidda
Red Sea
Suez Canal
Black Sea
Caspian Sea
Aral Sea
Euphrates R.
Tigris R.
Mesopotamia
Cyprus
Armenia
Trebizond
Erzerum
Batum
Tiflis
Baku
Derbent
Astrakhan
Orsk
Turgai
Aktiubinsk
Petropavlovsk
Semipalatinsk
Barnaul
Tomsk
Yeniseisk
Irkutsk
Yakutsk
Verkhoyansk

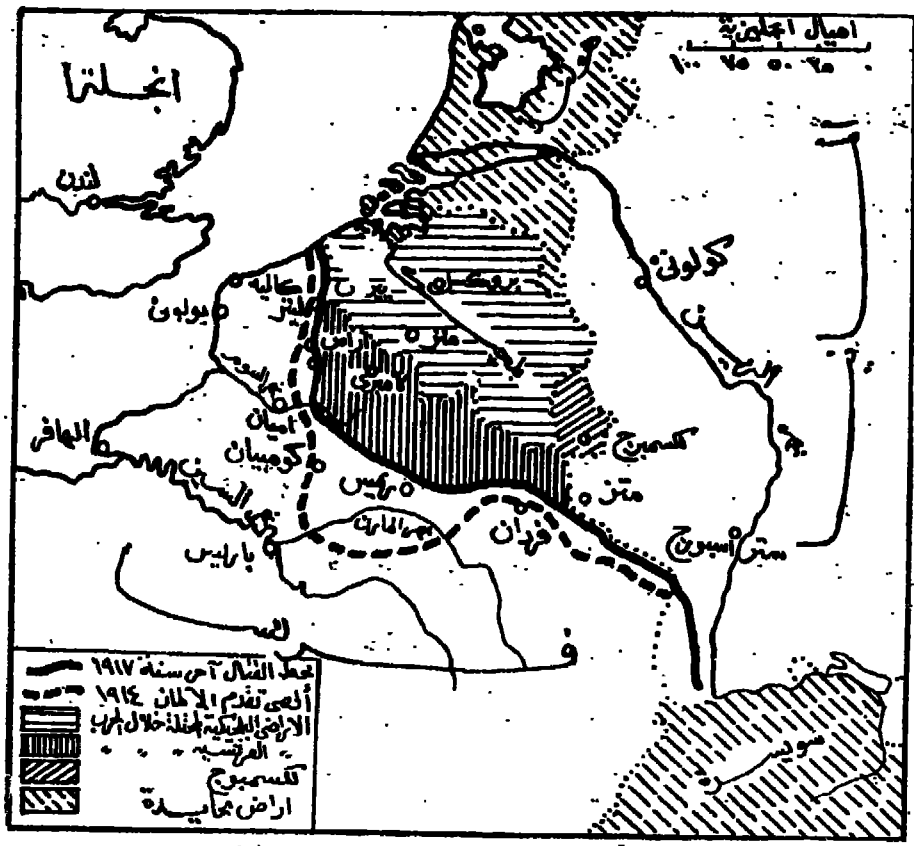

خريطة الميدان الغربي ١٩١٤ - ١٩١٨

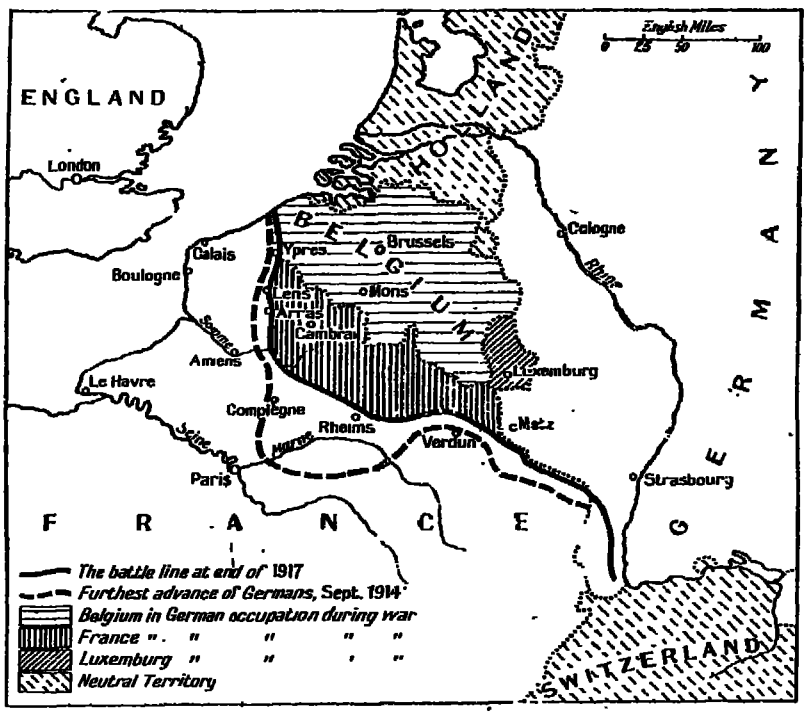

THE WESTERN FRONT, 1914-18.

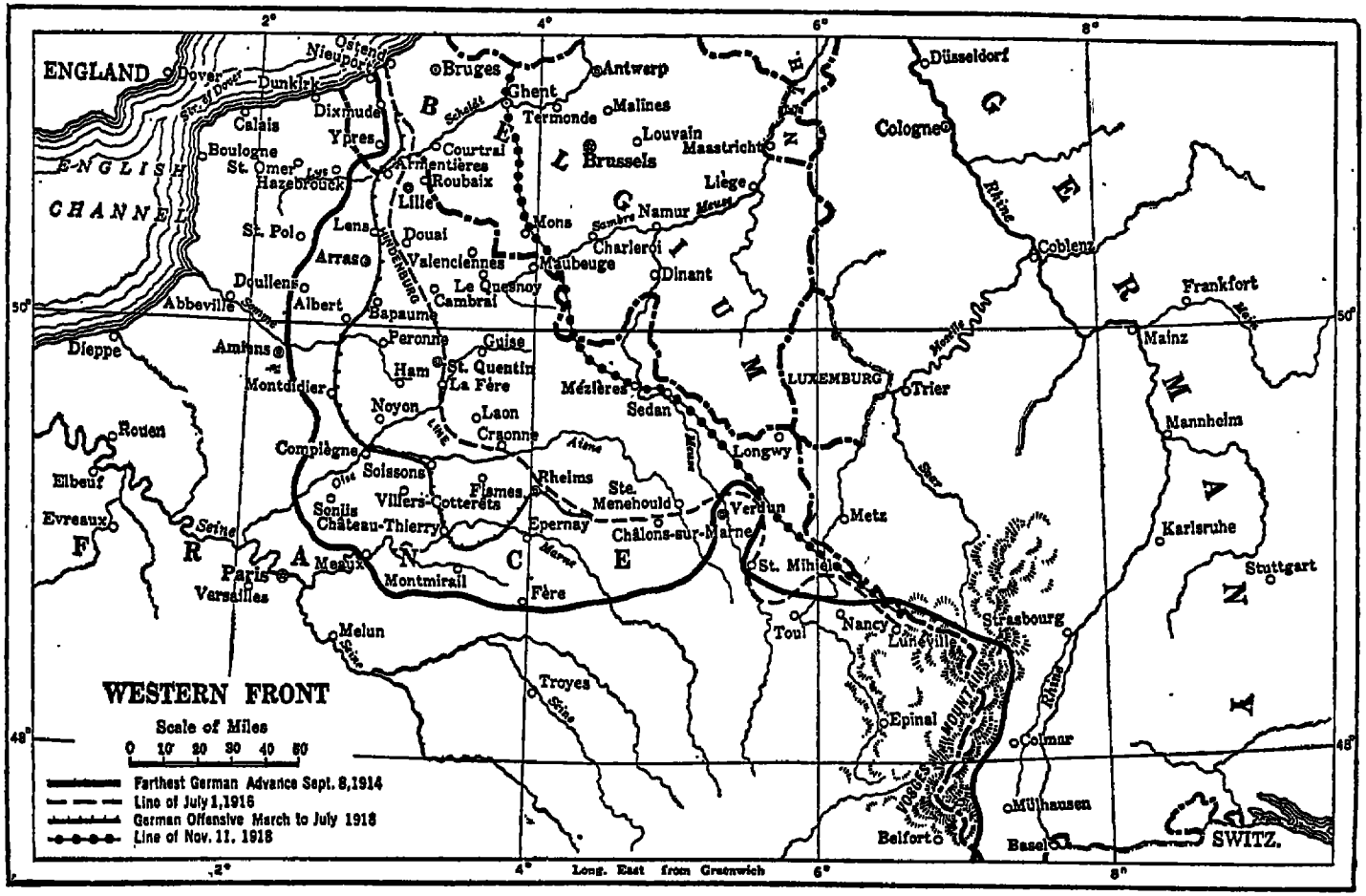
WESTERN FRONT
Scale of Miles
0 10 20 30 40 50
Farthest German Advance Sept. 8,1914
Line of July 1,1916
German Offensive March to July 1918
Line of Nov. 11, 1918
Long. East from Greenwich
ENGLAND
ENGLISH CHANNEL
BELGIUM
GERMANY
FRANCE
SWITZ.
Dover
Dunkirk
Ostend
Nieuport
Bruges
Antwerp
Ghent
Termonde
Malines
Louvain
Brussels
Maastricht
Düsseldorf
Cologne
Calais
Boulogne
St. Omer
Hazebrouck
Ypres
Dixmude
Courtrai
Armentières
Roubaix
Lille
Liège
Namur
Mons
Charleroi
Maubeuge
Dinant
Coblenz
Frankfort
Mainz
Mannheim
Karlsruhe
Stuttgart
St. Pol
Lens
Douai
Arras
Valenciennes
Le Quesnoy
Cambrai
Bapaume
Albert
Abbeville
Doullens
Dieppe
Amiens
Montdidier
Peronne
Guise
Ham
St. Quentin
La Fère
Noyon
Laon
Crœonne
Mézières
Sedan
LUXEMBURG
Trier
Longwy
Verdun
Metz
Rouen
Elbeuf
Evreaux
Complègne
Soissons
Rheims
Ste. Menehould
Sonlis
Villers-Cotterets
Flames
Château-Thierry
Epernay
Châlons-sur-Marne
St. Mihiel
Paris
Versailles
Meaux
Montmirail
Fère
Melun
Troyes
Toul
Nancy
Lunéville
Strasbourg
Epinal
Colmar
Mülhausen
Belfort
Basel
Seine
Oise
Aisne
Marne
Meuse
Rhine
Moselle
Saar
Somme
Vosges Mountains
48°
50°
2°
4°
6°
8°

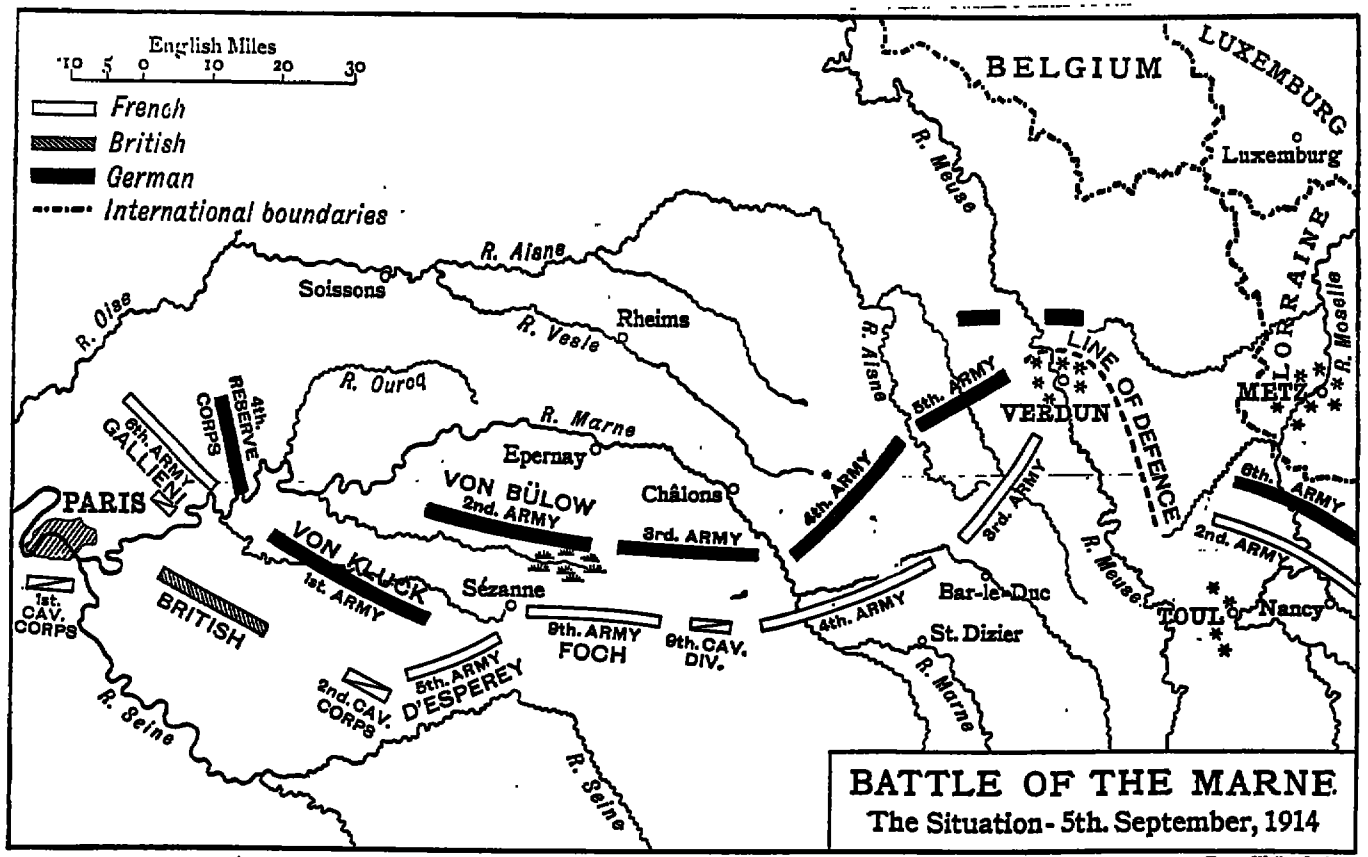
English Miles
10 5 0 10 20 30
French
British
German
International boundaries
BELGIUM
LUXEMBURG
Luxemburg
R. Meuse
R. Aisne
Soissons
R. Oise
Rheims
R. Vesle
R. Ourcq
R. Marne
R. Aisne
LINE OF DEFENCE
VERDUN
METZ
LORRAINE
R. Moselle
5th. ARMY
4th. RESERVE CORPS
6th. ARMY GALLIENI
PARIS
Epernay
Châlons
VON BÜLOW
2nd. ARMY
3rd. ARMY
4th. ARMY
3rd. ARMY
6th. ARMY
2nd. ARMY
VON KLUCK
1st. ARMY
Sézanne
1st. CAV. CORPS
BRITISH
9th. ARMY FOCH
9th. CAV. DIV.
4th. ARMY
Bar-le-Duc
St. Dizier
R. Meuse
TOUL
Nancy
5th. ARMY D'ESPEREY
2nd. CAV. CORPS
R. Seine
R. Marne
R. Seine
BATTLE OF THE MARNE
The Situation - 5th. September, 1914
Emery Walker Ltd. sc.

Vienna
Budapest
AUSTRIA - HUNGARY
Drave R.
CROATIA
BOSNIA
HERZE-GOVINA
MONTE-NEGRO
ADRIATIC SEA
ITALY
Scutari
ALBANIA
Valona
CORFU
Danube
Belgrade
SERBIA
Nish
Skoplje
Monastir
MACEDONIA
Salonika
GREECE
Athens
Aegean Sea
TRANSYLVANIA
Hermannstadt
Vulcan Pass
Cronstadt
Foçsanie
RUMANIA
Bucharest
Craiova
WALLACHIA
Sofia
BULGARIA
Rupel
Doiran
Kavalla
Constantinople
GALLIPOLI
TURKEY
BESSARABIA
Jassy
MOLDAVIA
DOBRUJA
Constanze
BLACK SEA
THE
BALKAN FRONT
Battlefronts at the end of 1916
Scale of Miles
0 100 200 300

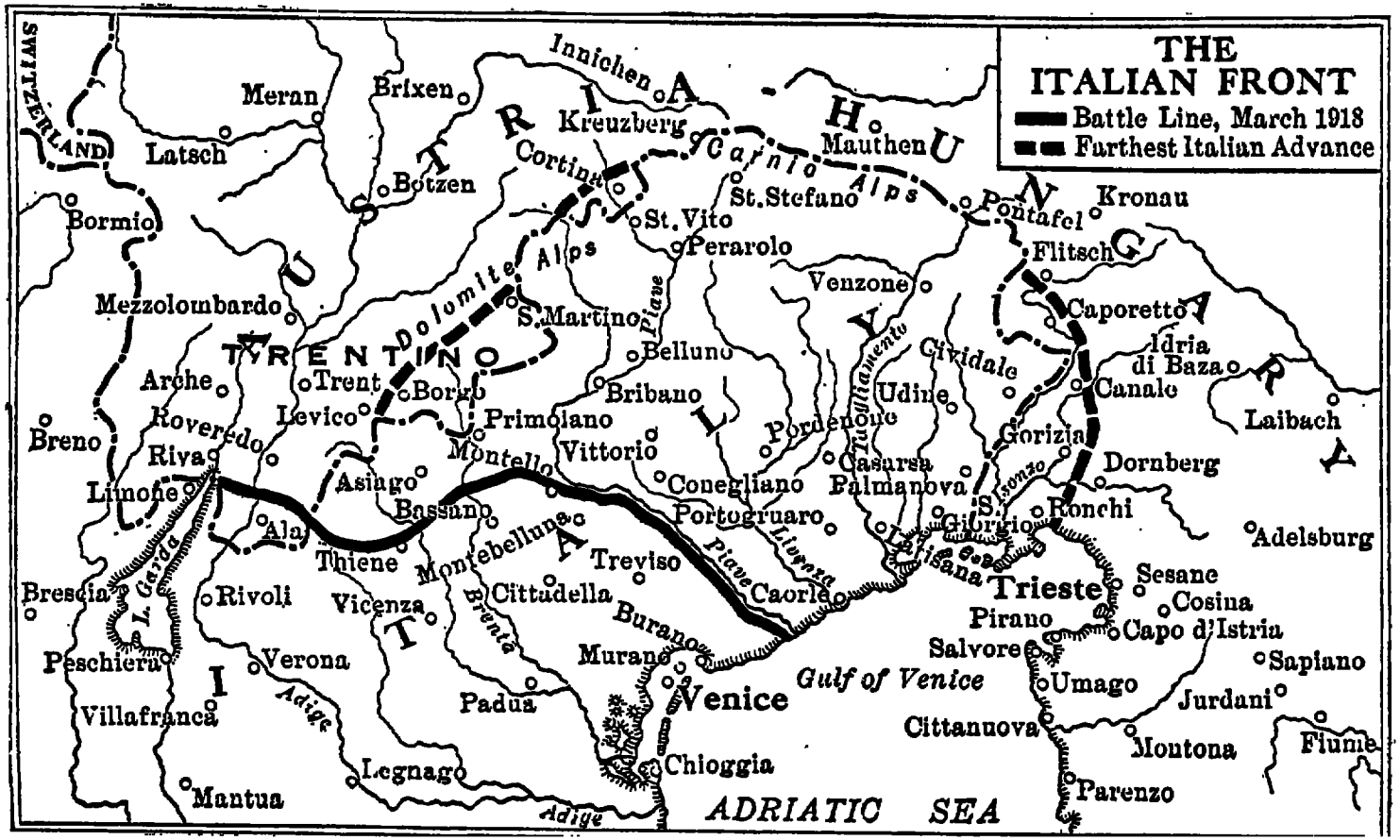
THE ITALIAN FRONT
Battle Line, March 1918
Farthest Italian Advance
SWITZERLAND
AUSTRIA-HUNGARY
ITALY
TRENTINO
Innichen
Meran
Brixen
Kreuzberg
Mauthen
Carnic Alps
Kronau
Pontafel
Flitsch
Latsch
Cortina
Botzen
St. Stefano
St. Vito
Perarolo
Bormio
Dolomite Alps
Venzone
Caporetto
Idria
di Baza
Mezzolombardo
S. Martino
Piave
Belluno
Cividale
Udine
Canale
Laibach
Arche
Trent
Borgo
Bribano
Tagliamento
Pordenone
Gorizia
Dornberg
Breno
Rovereto
Levico
Primolano
Riva
Montello
Vittorio
Conegliano
Casarsa
Palmanova
Isonzo
Ronchi
Adelsberg
Limone
Asiago
Bassano
Portogruaro
S. Giorgio
Ala
Thiene
Montebelluna
Treviso
Piave
Livenza
Latisana
Grado
Trieste
Sesane
Brescia
L. Garda
Rivoli
Vicenza
Cittadella
Brenta
Caorle
Cosina
Pirano
Capo d'Istria
Peschiera
Verona
Murano
Burano
Venice
Gulf of Venice
Salvore
Umago
Sapiano
Villafranca
Adige
Padua
Jurdani
Cittanuova
Montona
Fiume
Chioggia
Legnago
Mantua
Parenzo
ADRIATIC SEA

أوروبا بعد سنة ١٩١٩

EUROPE REMODELLED BY THE PEACE TREATIES.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

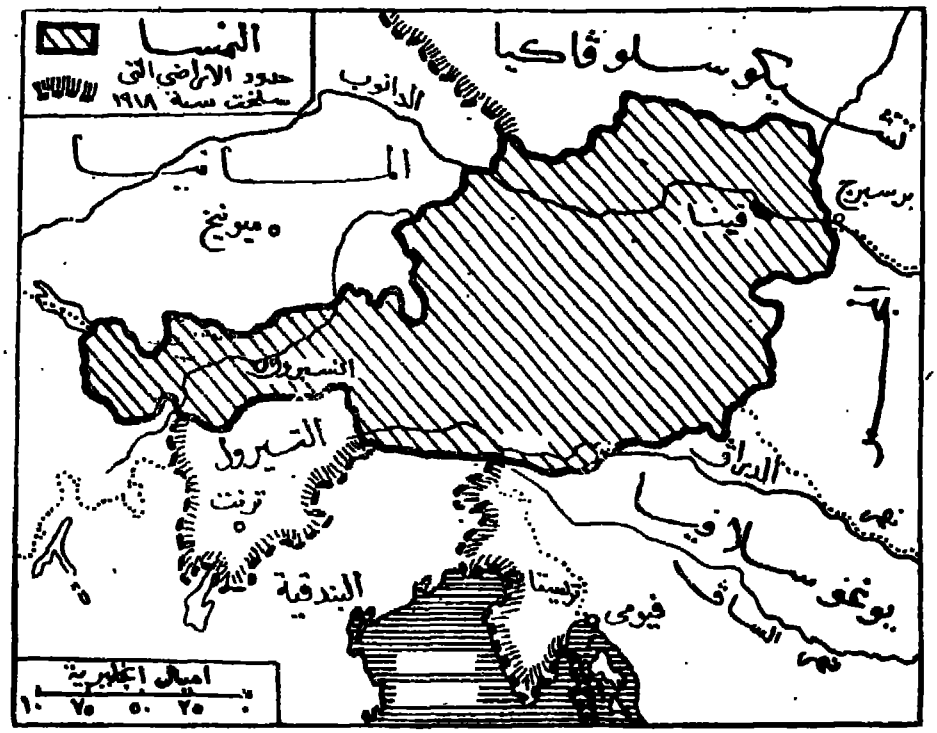

النمسا بعد معاهدة سان جرمان

AUSTRIA, AFTER THE PEACE TREATIES.

خريطة بولنـــدا

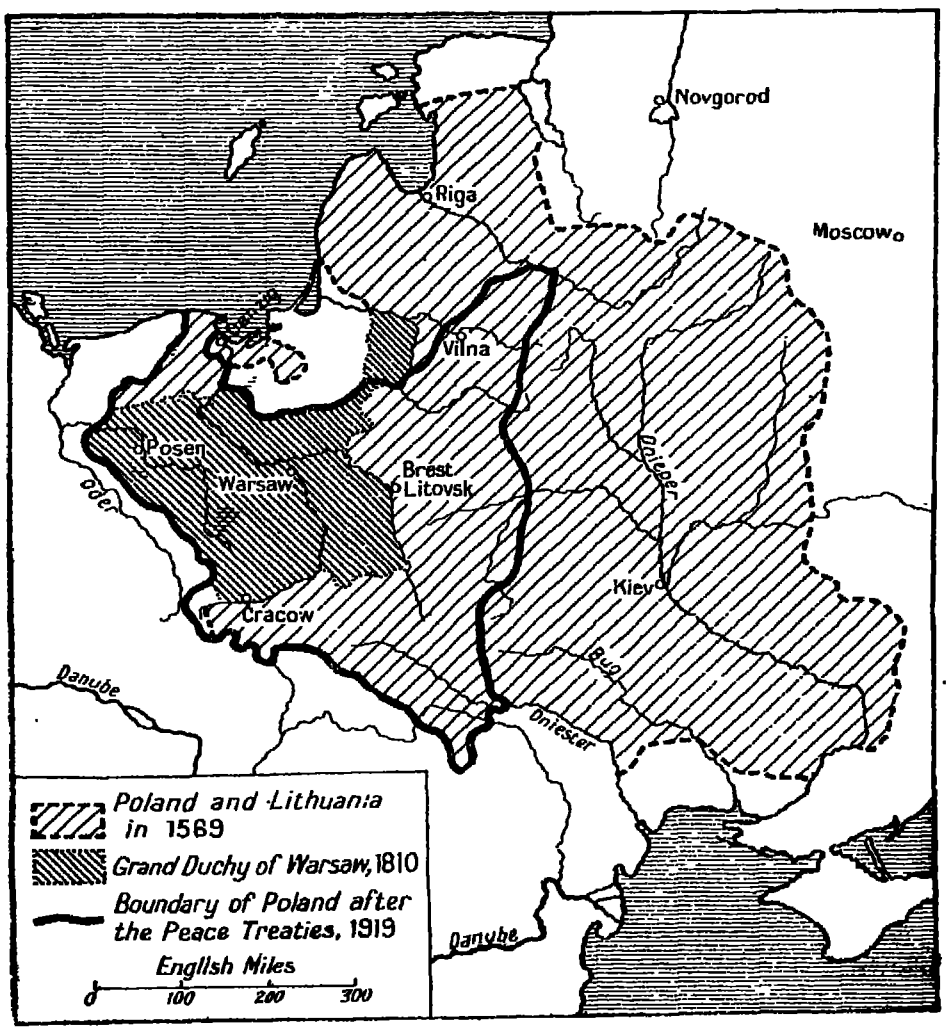
Novgorod
Riga
Moscow
Vilna
Posen
Warsaw
Brest Litovsk
Oder
Dnieper
Kiev
Cracow
Danube
Bug
Dniester
Danube
Poland and Lithuania in 1569
Grand Duchy of Warsaw, 1810
Boundary of Poland after the Peace Treaties, 1919
English Miles
0
100
200
300

POLAND.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

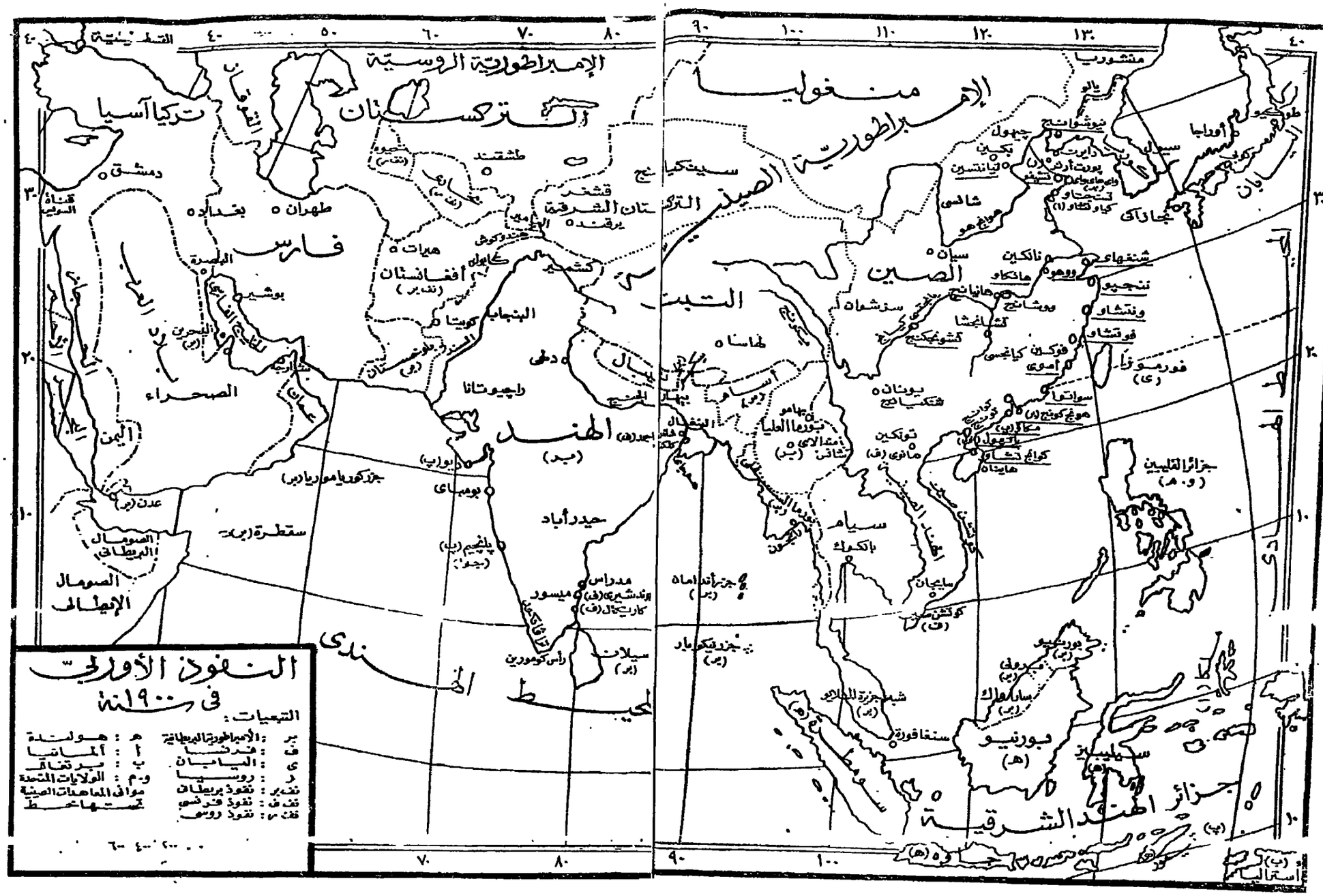

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فهرس تفصيلى

- تقديم ٥

الفصل التاسع ١٣

تســـــوية فيينـــــا ١٥

- تسوية مؤتمر فيينا ١٩
- نتائج مؤتمر فيينا ٢٣

الفصل العاشر ٢٧

الحركات القومية والدستورية فى القرن التاسع عشر ٢٩

(١) الفكرة القومية ٢٩

(٢) الحركات القومية قبل الثورة الفرنسية ٣٩

(٣) الحركات القومية ضد السيطرة النابوليونية :

أسبانيا – روسيا – هولندا..... ٣٦

(٤) الحركات القومية والدستورية المتأثرة بالثورة الفرنسية :

بولندا – سويسرا..... ٣٨

(٥) الحركات القومية والدستورية فى عصر مترنيخ :

نابولى – بيدمونت – بلاد المورة – أسبانيا – الثورة الفرنسية فى

عام ١٨٣٠ – إيطاليا – ألمانيا – بلجيكا – بولندا..... ٣٩

(٦) الحركات القومية والدستورية بعد سقوط مترنيخ :

المجر – تركيا – رومانيا – الجبل الأسود – بلغاريا – ألبانيا –

بولندا – روسيا..... ٥٥

الفصل الحادى عشر ٦٧

الانقلاب الصناعى والتنافس الاستعمارى فى القرن التاسع عشر..... ٦٩

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الثاني عشر ٨١

الوحـــــدة الإيطاليـــــة ٨٣

- إيطاليا بعد مؤتمر فيينا..... ٨٤
- ظهور جمعية كاربوناري..... ٨٦
- ماتزيني وتنظيم «إيطاليا الفتاة»..... ٨٧
- حركة المثقفين الإيطاليين المعتدلين ٨٩
- فريق الجلفي..... ٨٩
- فريق دازيجليو..... ٩٠
- ثورة ١٨٤٨م فى فرنسا والنمسا وأثرها على إيطاليا ٩١
- الحرب بين مملكة سردينيا (بيدمونت) والنمسا..... ٩٢
- نزول شارل ألبرت (الملك المتردد) عن العرش لابنه فكتور عمانويل ٩٤
- كافور والوحدة الإيطالية :..... ٩٦
- لقاء بلومبييربين كافور ونابوليون الثالث..... ٩٨
- الحرب بين مملكة سردينيا (بيدمونت) والنمسا..... ٩٩
- مقابل «فيللافرانكا» بين نابوليون الثالث وفرانسيس الأول..... ٩٩
- صلح زيوريخ وضم لومبارديا الى مملكة سردينيا (بيدمونت)..... ١٠٠
- ثورة الولايات الإيطالية الوسطى من أجل الوحدة..... ١٠١
- تنازل كافور عن نيس وسافوى لفرنسا فى مقابل ضم الولايات الوسطى..... ١٠٠
- دخول غاريبالدى مملكة نابولى (الصقليتين)..... ١٠١
- الحرب بين فكتور عمانويل والبابا وضم الولايات البابوية إلى مملكة سردينيا..... ١٠٢
- اطلاق اسم مملكة إيطاليا على مملكة سردينيا..... ١٠٢

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- ضم البندقية الى مملكة إيطاليا بعد هزيمة النمسا أمام بروسيا سنة ١٨٦٦م..... ١٠٣
دخول الجيش الإيطالى روما بعد حرب السبعين..... ١٠٣
- اتفاقية اللاتيران بين إيطاليا والبابا..... ١٠٣

الفصل الثالث عشر ١٠٥
الوحـــــدة الألمانيـــــة ١٠٧
أولاً : أسباب تأخر الوحدة الألمانية..... ١٠٧
ثانياً : عوامل نمو القومية الألمانية..... ١١١
ثالثاً : حركة القومية الألمانية من مؤتمر فيينا إلى سنة ١٨٤٨م..... ١١٦
رابعاً : حركة الوحدة الألمانية من ١٨٤٨ إلى ١٨٥٠م..... ١٢٦
خامساً : حركة الوحدة الألمانية ١٨٥٠ - ١٨٦٢م..... ١٣٣
سادساً : بسمارك وحركة الوحدة الألمانية..... ١٣٦

الفصل الرابع عشر ١٥١
تطور الولايات المتحدة فى القرن التاسع عشر..... ١٥٣

الفصل الخامس عشر ١٦٧
ظهور اليابان فى القرن التاسع عشر..... ١٦٩

الفصل السادس عشر ١٧٩
ظهور التحالفات الأوروبية قبل الحرب العالمية الأولى ١٨١
عصبة الأباطرة الثلاثة (ألمانيا والنمسا وإيطاليا) فى سبتمبر ١٨٧٢م..... ١٨٢
معاهدة التحالف الثنائى بين ألمانيا والنمسا فى أكتوبر ١٨٧٩م..... ١٨٣

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- التحالف الثلاثى بين ألمانيا والنمسا وإيطاليا فى مايو ١٨٨٢م..... ١٨٣
- الوفاق الودى بين روسيا وفرنسا فى أغسطس ١٨٩١م..... ١٨٤
- الحلف الثنائى بين روسيا وفرنسا فى ديسمبر ١٨٩٣م..... ١٨٥
- الحرب اليابانية الصينية فى سنة ١٨٩٥م..... ١٨٥
- التحالف بين اليابان وانجلترا فى يناير ١٨٩٢م..... ١٨٥
- الحرب اليابانية الروسية فى فبراير ١٩٠٥م..... ١٨٦
- الوفاق الودى بين فرنسا وانجلترا فى أبريل ١٩٠٤م..... ١٨٧
- الوفاق الإنجليزى الروسى فى أغسطس ١٩٠٧م..... ١٨٨
- مؤتمر الجزيرة الخضراء فى يناير ١٩٠٦م..... ١٩٠
- الوفاق الودى بين روسيا وإنجلترا وفرنسا فى أغسطس ١٩٠٧م.... ١٩١
- أزمة البلقان ١٩٠٨م..... ١٩١
- أزمة أغادير يوليو ١٩١١م..... ١٩٦
- الحرب الإيطالية التركية سبتمبر ١٩١١م..... ١٩٦
- برنامج التسليح الألمانى..... ١٩٧
- حرب البلقان فى ١٩١٢ / ١٩١٣..... ١٩٩
- الحرب العالمية الأولى فى أغسطس ١٩١٤م..... ٢٠٥

الفصل السابع عشر ٢٠٧

الحـــــرب العالميـــــة الأولـــــى ٢٠٩

- خطة الكونت فون شليفين..... ٢٠٩
- الهجوم الروسى فى بروسيا الشرقية..... ٢١٠
- هزيمة الروس فى موقعتى «تاننبيرج» و«البحيرات الماسورية»..... ٢١١
- هزيمة الألمان فى معركة المارن الأولى..... ٢١٢
- حرب الخنادق..... ٢١٢
- انتصارات الروس فى لمبرج وجروديك ووصولهم إلى كراكاو..... ٢١٢

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- معركة لودز بين هندنبرج والروس..... ٢١٢
- دخول تركيا الحرب واخفاق بريطانيا فى حملة الدردنيل..... ٢١٢
- استيلاء الفرنسيين على الممتلكات الألمانية فى أفريقيا..... ٢١٣
- استيلاء اليابانيين على المستعمرات الألمانية فى آسيا..... ٢١٣
- دخول إيطاليا الحرب ضد النمسا وألمانيا..... ٢١٣
- هجوم الإيطاليين على خطوط الإيسونزو..... ٢١٤
- هزيمة الإيطاليين فى كابوريتو..... ٢١٤
- خطة فالكينهاين فى الجبهة الشرقية وانتصارات ماكنزى فى جورليس تارناو..... ٢١٥
- سقوط لمبرج ووارسو ومدن ليتوانيا فى يد الألمان..... ٢١٦
- دخول بلغاريا الحرب ضد الصرب..... ٢١٦
- استيلاء الإنجليز على موانى القنال الإنجليزى..... ٢١٧
- هزيمة الحلفاء فى الفلاندرز..... ٢١٧
- معركة فردان..... ٢١٧
- معركة السوم وظهور الدبابة لأول مرة..... ٢١٨
- انتصارات الروس على النمسا..... ٢١٨
- انضمام رومانيا إلى الحلفاء..... ٢١٩
- حرب الغواصات الألمانية..... ٢١٩
- معركة جاتلاند البحرية..... ٢٢٠
- دخول أمريكا الحرب ضد ألمانيا..... ٢٢١
- قيام الثورة الاشتراكية فى روسيا..... ٢٢٣
- تراجع الألمان إلى خط سيجفريد..... ٢٢٣
- هزيمة الفرنسيين فى الجبهة الغربية وانهيار الروح المعنوية..... ٢٢٤
- تعيين كليمانصو رئيسا لوزراء فرنسا..... ٢٢٤

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- هزيمة البريطانيين فى معركة باشنديل..... ٢٢٤
- هزيمة الإيطاليين فى كابوريتو..... ٢٢٤
- سقوط بغداد والقدس فى يد بريطانيا، ووعد بلفور..... ٢٢٥
- الهجوم الألمانى الأخير فى الميدان الغربى فى ١٠ مارس ١٩١٨م.... ٢٢٦
- هجوم فوش فى ١٩١٨م..... ٢٢٧
- هجوم البريطانيين فى أميان..... ٢٢٧
- تسليم بلغاريا وخروجها من الحرب..... ٢٢٧
- هزيمة ألمانيا وطلبها الصلح..... ٢٢٩

الفصل الثامن عشر ٢٣١

الثـــورة الروســـية ســـــنة ١٩١٧م ٢٣٣

(أولاً) : روسيا قبل ثورة ١٩١٧م..... ٢٣٣
١ - الأحوال السياسية..... ٢٣٣
٢ - الأحوال الاقتصادية..... ٢٣٦
٣ - الأحوال الاجتماعية..... ٢٣٧
٤ - الحركات الثورية الروسية- حركة الشعبيين ومنظمة الأرض والحرية..... ٢٤١
- الحركة الماركسية..... ٢٤٢
- لينين ونشاطه الثورى..... ٢٤٤
- هجرة لينين الأولى ١٩٠٠ - ١٩٠٥م..... ٢٤٦
- لينين وثورة ١٩٠٥م فى روسيا..... ٢٤٨
(ثانياً) : ثورة فبراير ١٩١٧م..... ٢٥٦
(ثالثاً) : ثورة أكتوبر ١٩١٧م..... ٢٦٩
(رابعاً) : روسيا بعد ثورة أكتوبر ١٩١٧م..... ٢٩٢

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل التاسع عشر ٣٠٩

العالم بعد الحرب العالمية الأولى ٣٠٩

١ – التغيرات الاقتصادية والاجتماعية..... ٣٠٩

٢ – التغيرات السياسية فى أوروبا..... ٣١٥

٣ – تسوية مؤتمر فرساى..... ٣١٦

٤ – انشاء عصبة الأمم..... ٣٢١

٥ – ظهور الدول القومية الجديدة..... ٣٢٤

٦ – تغير أنظمة الحكم..... ٣٢٩

٧ – تصدع النظام الاستعمارى..... ٣٢٩

أ – عوامل تفسخ النظام الاستعمارى..... ٣٢٩

ب – حركة التحرر الوطنى فى الهند..... ٣٤١

جـ – تخليص الصين من السيطرة الاستعمارية..... ٣٣٨

د – ثورة اندونسيا والهند الصينية..... ٣٤١

هـ – ثورة العالم العربى..... ٣٤٢

– مراجع للاستزادة..... ٣٤٥

– الكشافات..... ٣٥٥

– أهم الأعمال العلمية المنشورة للمؤلف..... ٣٩١

– الخرائط..... ٣٩٧

١ – أوروبا حسب تقسيم مؤتمر فيينا..... ٣٩٧

٢ – أوروبا حسب تقسيم مؤتمر فيينا (بالانجليزية)..... ٣٩٨

٣ – نمو ايطاليا ٣٩٩

٤ – نمو ايطاليا (بالإنجليزية)..... ٤٠٠

٥ – نمو الامبراطورية الألمانية..... ٤٠١

٦ – المستعمرات الثلاث عشر الأمريكية الأصلية ٤٠٢

٧ – شراء لويزيانا (١٨٠٣)..... ٤٠٣

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٨ – الولايات التى أباحت الاسترقاق والاخرى التى حرمته (١٨٦١).. ٤٠٤
٩ – الولايات المتحدة الأمريكية (١٨٠٣ – ١٨١٢) (بالانجليزية)..... ٤٠٥
١٠ – نمو الولايات المتحدة الأمريكية (E) ٤٠٦
١١ – تقسيم أفريقيا (بالانجليزية)..... ٤٠٧
١٢ – آسيا سنة ١٩١٤ (بالانجليزية)..... ٤٠٨
١٣ – خريطة الميدان الغربى ١٩١٤ – ١٩١٨..... ٤٠٩
١٤ – خريطة الميدان الغربى (بالانجليزية) ٤١٠
١٥ – الجبهة الغربية (بالانجليزية) ٤١١
١٦ – معركة المارن (بالانجليزية) ٤١٢
١٧ – جبهة البلقان (بالانجليزية) ٤١٣
١٨ – الجبهة الايطالية ٤١٤
١٩ – أوروبا بعد سنة ١٩١٩ ..... ٤١٥
٢٠ – أوروبا حسب تعديلات معاهدات مؤتمر الصلح ٤١٦
٢١ – النمسا بعد معاهدة سان جرمان ٤١٧
٢٢ – النمسا بعد معاهدة سان جرمان بالانجليزية ٤١٨
٢٣ – خريطة بولندا ٤١٩
٢٤ – خريطة بولندا (بالانجليزية) ٤٢٠
٢٥ – النفوذ الاوروبى ١٩٠٠ ..... ٤٢٢

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٧/٢٥٨٤

I.S.B.N- 977 - 01 - 5098 - 3

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

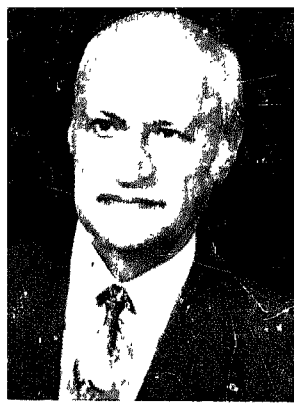

يختلف هذا الكتاب عن كتب المدرسة التقليدية التى تنظر إلى التاريخ من منظور سياسى فتقلبه على قدميه وتقدم فيه النتائج على المقدمات. فهو يبدأ بظهور الطبقة البورجوازية التى غيرت وجه الحياة فى أوروبا والعالم، ويتتبع نتائج ظهور هذه الطبقة. كما تمثلت فى النهضة الأوروبية، وحركة الإصلاح الدينى، وظهور الدول القومية على أنقاض الاقطاع. ويتناول تطلع هذه الدول القومية إلى التوسع داخل أوروبا وخارجها مما يؤدى إلى نشوب الحروب الإيطالية من جهة، وإلى الكشوف الجغرافية والحركات الاستعمارية من جهة أخرى.

ويتعرض الكتاب للتطورات التى أحدثتها هذه الطبقة البورجوازية فى النظام السياسى فى أوروبا، وانتقالها به من نظام الملكية المطلقة إلى نظام الملكية المستبدة الدستورية فيما عدا فرنسا، الأمر الذى يؤدى إلى نشوب الثورة الفرنسية للقضاء على بقايا الاقطاع وإسقاط الحق الإلهى للملوك فى الحكم، فتهب الأسر الحاكمة فى أوروبا للقضاء على الثورة الفرنسية، وتنشب حروب الثورة ونابوليون التى تنتهى بهزيمة نابوليون، وإعادة الدول المنتصرة تقسيم العالم فى مؤتمر فيينا سنة ١٨١٥م، فيبدأ عصر الثورات القومية والدستورية الذى ينتهى بتوحيد إيطاليا على يد كافور وألمانيا على يد بسمارك، ويشتعل التنافس الاستعمارى بين الاستعمار الجديد والاستعمار القديم على نحو يؤدى إلى نشوب الحرب العالمية الأولى التى تسقط فيها أربع امبراطوريات.

وتقوم ألمانيا النازية بعد الحرب على أنقاض القيصرية، فتشعل نيران الحرب العالمية الثانية التى تنتهى بهزيمة الفاشية والنازية، وانقسام العالم إلى معسكرين رأسمالى واشتراكى، وتنشب بين المعسكرين حرب من نوع جديد هى الحرب الباردة فى ظل التوازن الذرى، ويظهر العالم الثالث ودول عدم الانحياز، ويتغير العالم القديم.

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٣

الجزء الثالث

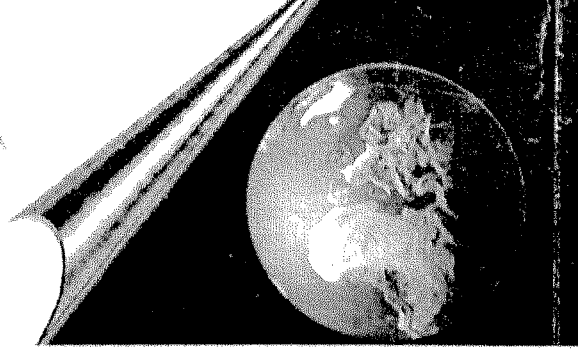

تاريخ أوروبا والعالم في العصر الحديث

د. عبد العظيم رمضان

الهيئة المصرية العامة للكتاب

Bibliotheca Alexandrina
0107622

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تاريخ أوروبا والعالم في العصر الحديث

من ظهور البورجوازية الأوروبية إلى الحرب الباردة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تاريخ اوربا والعالم الحديث

من ظهور البورجوازية الأوروبية إلى الحرب الباردة

الجزء الثالث

من قيام النازية فى ألمانيا
إلى الحرب الباردة

د. عبد العظيم رمضان

الهيئة المصرية العامة للكتاب

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الغلاف للفنان

جمال قطب

الإخراج الفنى

صبرى عبد الواحد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تقديم

يسرنى أن أقدم للقارئ هذا الكتاب عن تاريخ أوروبا والعالم الحديث، من ظهور الطبقة البورجوازية الأوروبية إلى الحرب الباردة، ويشتمل على تسعة قرون، تبدأ بالقرن الحادى عشر وتنتهى بالقرن العشرين. وهذه القرون التسعة تضم بين ضفتيها تاريخ العالم الحديث بكل سماته وخصائصه ومعالمه التى تميزه عن العالم الوسيط.

ومعنى ذلك أن هذا الكتاب يختلف عن كتب المدرسة التقليدية فى كتابة التاريخ، سواء فى أوروبا أو مصر، التى تنظر إلى التاريخ من منظور سياسى بحت، وتفسر كل ما يطرأ عليه من تغييرات وتطورات اقتصادية واجتماعية فى ضوء هذا المنظور، فتقلب التاريخ رأساً على عقب، وتقدم فيه النتائج على المقدمات، وتخلط الأحداث السياسية مع الأحداث الاقتصادية والاجتماعية دون تمييز.

وقد تمثل ذلك فيما جرى من خلاف بين فرق المدرسة التقليدية حول بداية التاريخ الحديث. فالبعض بدأ بعصر النهضة فى القرن الرابع عشر، على أساس أنه مرحلة انتقال بين العصر الوسيط والعصر الحديث. والبعض الآخر بدأ بالقرن الخامس عشر على أساس أن هذا القرن هو الذى وقعت فيه الأحداث التى أثرت فى مجرى التاريخ، ففيه سقطت القسطنطينية فى أيدى الأتراك العثمانيين سنة ١٤٥٣م، وسقطت غرناطة فى أيدى قوات فرديناند وإيزابيلا سنة ١٤٩٢م، وبذلك بدأ التاريخ الحديث.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على أن البعض بدأ التاريخ الحديث بالقرن السادس عشر، على أساس أنه القرن الذى ظهرت فيه الدولة الحديثة وحركة الإصلاح الدينى، وما نتج عن هذين الحدثين العظيمين من حروب.

والبعض الآخر بدأ بالقرن السابع عشر، على أساس أنه القرن الذى وقعت فيه حرب الثلاثين عاماً، والثورة العظمى فى إنجلترا، وتفوق فرنسا، وحروب الوراثة الأسبانية. بل إن بعض المدارس السوفيتية حددت بداية التاريخ الحديث بالثورة البورجوازية فى إنجلترا فى القرن السابع عشر.

وواضح أن هذه المدارس تقدم التاريخ مقلوباً على رأسه، إذ تقدم النتائج على المقدمات ـ كما ذكرنا ـ فعصر النهضة كان نتيجة وليس مقدمة للتاريخ الحديث، وظهور الدول القومية الحديثة وحركة الإصلاح الدينى وحرب الثلاثين عاماً، والثورة العظمى فى إنجلترا، وتفوق فرنسا، وحرب الوراثة الأسبانية ـ هذه كلها نتائج لتغيير علاقات الإنتاج التى بدأت بظهور الطبقة البورجوازية فى أوروبا فى رحم المجتمع الاقطاعى، وتغييرها علاقات الإنتاج من علاقات إنتاج إقطاعية إلى علاقات إنتاج بورجوازية، وبذلك تغير البناء الفوقى تغيراً كلياً، وهو ما يمثل التاريخ الحديث.

فالتاريخ الحديث هو تاريخ الطبقة البورجوازية بقدر ما يعتبر تاريخ العصور الوسطى هو تاريخ الطبقة الإقطاعية، والعصور التاريخية تبدأ بتغير علاقات الإنتاج، ولا تبدأ بأحداث سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية، فهذه العلاقات تمثل البناء التحتى الذى ينبنى فوقه البناء السياسى والعسكرى والقانونى والدينى والفنى والأدبى والفكرى والعلمى والعلاقات الدولية وكل ما يكوِّن الحضارة البشرية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومن هنا كان علينا فى هذا الكتاب أن نقيم التاريخ على قدميه بعد أن كان مقلوباً على رأسه. فنبدأ بالطبقة البورجوازية الأوروبية التى غيرّت وجه الحياة فى أوروبا والعالم، وصبغتها بصبغتها، وننتقل إلى نتائج ظهور هذه الطبقة فى البناء الفوقى، المتمثلة فى النهضة الأوروبية التى نشأت على يد الطبقة البورجوازية فى المدن التجارية فى إيطاليا، وما أحدثته من تغيير فى الفكر والفلسفة والعلوم والفنون والاعتقاد.

ثم ننتقل إلى حركة الإصلاح الدينى باعتبارها إحدى نتائج ظهور الطبقة البورجوازية، وما قامت به من إعادة النظر فى الحياة الدينية التى كانت خاضعة للكنيسة فى العصور الوسطى، بحكم سيطرتها على الدين وقراءة الإنجيل، وامتلاكها وسائل الإنتاج.

ثم ننتقل بعد ذلك إلى ظهور الدول القومية كنتيجة لتحطيم حواجز الإقطاع على يد الطبقة البورجوازية، واتجاه هذه الدول القومية إلى إثبات ذاتها عن طريق التوسع فى أوروبا، الأمر الذى يؤدى إلى «الحروب الإيطالية»، وكذلك التوسع خارج أوروبا، وهو ما يؤدى إلى حركة الكشوف الجغرافية والمرحلة الاستعمارية الأولى، وهى الحركة التى قامت على يد الطبقة البورجوازية ولم تقم على يد الطبقة الإقطاعية التى كانت بعيدة بتفكيرها عن التطلع إلى ما وراء البحار.

ثم يمضى تاريخ العالم الحديث على يد الطبقة البورجوازية، فتغير النظام السياسى فى أوروبا الذى كان قائماً على أساس نظام الملكية المطلقة فى القرن السابع عشر، إلى نظام الملكية المستبدة المستنيرة فى القرن الثامن عشر، والذى كان سائداً فى دول أوروبا فيما عدا فرنسا، فتنشب الثورة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفرنسية بفكر قومى واجتماعى جديد يستهدف القضاء على بقايا الإقطاع، وهدم الطبقة الإقطاعية وإسقاط الحق الإلهى للملوك فى الحكم الذى ساد فى القرنين السابع عشر والثامن عشر، وقيام الدولة القومية على أساس تشخيص الشعب للدولة وليس الملك كما كان الحال منذ بداية العصر الحديث.

ولكن يترتب على هدم الحق الإلهى للملوك فى الحكم أن تهب الدول والأسر الحاكمة فى أوروبا التى تستشعر الخطر، لمحاربة الثورة الفرنسية، وإخماد فكرها الثورى حتى لا ينتقل إلى الدول التى تحكمها، وبذلك تفسح المجال لظهور نابليون للدفاع عن مبادئ الثورة الفرنسية، وإعادة تقسيم أوروبا على أساس هذه المبادئ، فتنقسم أوروبا بين النظم الديموقراطية والنظم الاستبدادية. ولكن النظم الاستبدادية تنتصر على نابليون، وتعيد فى مؤتمر فيينا الذى عقد بعد هزيمة نابليون، الأسر الحاكمة الاستبدادية القديمة.

وهنا يتغير تاريخ أوروبا بالحركات القومية والدستورية التى تتصارع مع النظم الاستبدادية التى فرضت سيطرتها من جديد على أوروبا، وتتلقى هذه الحركات دعماً من علاقات الإنتاج البورجوازية الجديدة التى ظهرت بعد أن هدمت الثورة الفرنسية علاقات الإنتاج الإقطاعية القديمة، فيحدث التطابق بين علاقات الإنتاج ووسائل الانتاج، ويترتب على ذلك الثورة الصناعية التى انتقلت بالبورجوازية الأوروبية إلى مرحلة جديدة من حياتها، هى مرحلة توحيد السوق الداخلية فى البلاد التى نضجت لهذا التوحيد، وتحقيق وحدتها القومية بالتالى.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لذلك تتحقق الوحدة الإيطالية على يد كافور، وفى ألمانيا على يد بسمارك. وفى الولايات المتحدة يكون انتصار الشمال الرأسمالى فى الحرب الأهلية الأمريكية بداية تحقيق الوحدة القومية الأمريكية على أسس راسخة. وفى اليابان تتمكن البورجوازية اليابانية الصناعية من نقل اليابان من مرحلتها الإقطاعية إلى المرحلة الرأسمالية.

وكل ذلك يدفع البورجوازية فى العالم الصناعى، بعد توحيد سوقها الداخلية، إلى البحث عن أسواق جديدة، ولكنها تختلف عن الأسواق القديمة - فى المرحلة التجارية فى أنها أسواق للحصول على المواد الخام اللازمة للصناعة بأرخص الأسعار، وتسويق المنتجات الصناعية التى تضخها مصانع أوروبا وأمريكا واليابان بأغلى الأسعار.

ويتطلب الصراع على الأسواق فى أواخر القرن التاسع عشر عقد الاتفاقات الاستعمارية من جديد لتقسيم الأسواق، فيتم تقسيم أفريقيا فى مؤتمر برلين فى عام ١٨٨٤م و١٨٨٥م، وفى الوقت نفسه تقوم التحالفات الأوروبية وفقاً لمبدأ توازن القوى، ولكن كل ذلك يفشل فى منع الحرب، فتنشب الحرب العالمية الأولى فى عام ١٩١٤م وتستمر أربع سنوات.

وعندما تنتهى الحرب العالمية الأولى تكون قد اختفت الإمبراطوريات الأربع التى ظلت تملأ صفحات التاريخ الأوروبى بالحروب، وهى: إمبراطورية النمسا والمجر، والإمبراطورية العثمانية، والإمبراطورية الروسية، والإمبراطورية الألمانية، وتسقط بذلك أسر «الهابسبورج» وآل عثمان، وأسرة رومانوف، وأسرة هوهنزوليرن.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتتعلم البورجوازية الغربية الدرس، فتعيد تقسيم العالم من جديد على أسس قومية، بعد أن أصبحت الدولة القومية لا محيص عنها لتوحيد السوق الداخلي، وتأتي بنظام دولي جديد هو نظام عصبة الأمم، وتحاول وضع العملاق الألماني في قمقم باقتطاع أطرافه وضمها إلى الدول القومية المجاورة. وفي الوقت نفسه ينهار النظام الإقطاعي والرأسمالي في روسيا بانتصار الثورة الاشتراكية في أثناء الحرب.

وهنا يظهر، كرد فعل مضاد له، النظام الفاشي في ألمانيا النازية وإيطاليا الفاشية، ويكون هذا النظام الفاشي تعبيراً عن دكتاتورية الطبقة البورجوازية لحماية نفسها من النظام الشيوعي. ويؤدي الصراع الاستعماري من جديد بين الدول الليبرالية والشيوعية من جهة، والدول الفاشية من جهة أخرى، إلى الحرب العالمية الثانية، بعد فشل نظام عصبة الأمم وعجزها عن منع الحرب.

وتنتهي الحرب بهزيمة الدول الفاشية والنازية، وانتصار الدول الليبرالية والشيوعية، وتحاول الدول المنتصرة تقسيم العالم من جديد على أسس القومية، وتقيم على أنقاض عصبة الأمم نظام هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن.

ولكن التناقض بين النظم الليبرالية والنظم الشيوعية يدفع إلى صراع دولي على أساس جديد، وهو الأساس الأيديولوجي، حيث تواجه البورجوازية الغربية أكبر تحد لها على مدى تاريخها من جانب نظام يقوم على طبقة البروليتاريا، وتكاد تتحقق نبوءة ماركس بأن البورجوازية في نموها تنمو معها بذور فنائها، وهي الطبقة العاملة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويؤدى هذا الصراع إلى نوع جديد من الحروب لم تشهده البشرية، وهى الحرب الباردة. وهى التى نختم بها هذا الكتاب.

وسوف يلاحظ القارئ أن هذا الكتاب، على الرغم من أنه يدور فى إطار أيديولوجى، فإنه يتبع المنهج التاريخى من ناحية تقسيماته التى تقوم على أساس زمنى، وهو أمر طبيعى استلزمه تتبع النشاط السياسى والاقتصادى والاجتماعى للبورجوازية الأوروبية، والذى كان يحدث بشكل تكاملى ومراحل تترتب على مراحل.

وبالنسبة لكتاب فى هذا الحجم كان من الضرورى إعطاء أولويات فى التناول، وتوسيع فى بعض الموضوعات وتضييق فى بعضها الآخر، وفقاً لرؤية المؤرخ. كما تطلب ذلك التركيز على بعض الموضوعات والاكتفاء بالإشارة إلى موضوعات أخرى فى شكل تحليلى. وهذا ما يميز الكتب عن الموسوعات التاريخية، فهدفنا هو أن يلم القارئ بما طرأ على العالم الحديث من تطور تاريخى فى إطار كتاب محدود بصفحاته وليس فى إطار موسوعة تتكون من مجلدات.

وقد حرصت حرصاً شديداً على أن أتبع كل اسم أجنبى بحروفه اللاتينية، لأنها الأساس فى النطق، ولأن تعريب الأسماء يخضع لاجتهادات المؤرخين وفقاً لاتساع معرفتهم باللغات المختلفة، وبالتالى فإن معرفة الأسماء وفقاً لحروفها العربية فيه تضليل كبير للقارئ الذى من الأفضل له أن يعرف الشكل الأجنبى الذى هو الأساس. وإن كان ذلك لم يمنعنا من كتابة الأسماء التى تعورف عليها بين المؤرخين وفقاً لاجتهاداتهم، اعتماداً على أن إثبات النص الأجنبى فيه الكفاية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهذا ما دعانى إلى تقديم الخرائط فى غالبيتها فى هذا الكتاب بلغتها الإنجليزية، اعتماداً على أننى قدمت للقارئ اسم البلد بالحروف اللاتينية إلى جانب الحروف العربية، وبالتالى فلا صعوبة أمامه فى العثور على بغيته فى الخرائط الأجنبية. هذا فضلاً عن أن الخرائط الأجنبية أكثر دقة ولا لبس فيها ولا غموض. ووجودها فى هذا الكتاب يغنى القارئ عن اللجوء إلى الكتب الإنجليزية التى قد يصعب حصوله عليها. وقد آثرت وضع الخرائط جميعها فى نهاية الكتاب لسهولة الرجوع إليها فى فهرس الكتاب.

وقد ذيلت الكتاب بعدد كبير من المراجع لمن يرغب فى الاستزادة، واعترافاً بفضلها فى تحضير مادة هذا الكتاب، وهى كتب إنجليزية، ومترجمة عن الإنجليزية أو الفرنسية أو عربية. وقد أودعت فى هذا الكتاب خلاصة خبرتى فى تدريس التاريخ الأوروبى وتاريخ العالم فى الجامعات المصرية إنطلاقاً من المادية التاريخية التى أرى أنها أقوى أداة لتفسير التاريخ.

والله الموفق ...

أ. د. عبدالعظيم رمضان

الهرم فى ١٥ يوليو ١٩٩٦م

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل العشرون

قيام النازية فى ألمانيا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قيام النازية فى ألمانيا

قيام جمهورية ڤايمار Weimar

١ - الهدنة وتنازل القيصر عن العرش

فى يوم ٢٨ سبتمبر ١٩١٨م أدركت القيادة العليا للجيش الألمانى أن الجيش الألمانى لم يعد قادراً على مواصلة القتال، وفى اليوم التالى طلبت القيادة من القيصر وليم الثانى William II[١] التقدم إلى رئيس الولايات المتحدة بطلب الهدنة والصلح.

وفى يوم ٢ أكتوبر اجتمع مجلس التاج فى برلين برئاسة القيصر، وأيد هندنبرج Hindenburg طلب القيادة العليا بعقد هدنة فورية. وفى يوم ٤ أكتوبر طلبت حكومة الأمير ماكس أوف بادن Max, Prince of Baden، التى تشكلت بسرعة، من الرئيس الأمريكى ولسن، إبرام الهدنة والصلح.

---

(١) هكذا يكتب هذا الاسم فى الإنجليزية، وفى الألمانية يكتب Wilhelm، ويعرب «ڤيلهلم»، وبعض المراجع القديمة تعربه «غليوم».

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى الفترة من ٤ أكتوبر إلى ٢١ أكتوبر دارت المذكرات حول هذه المسألة، حيث طلب ولسن ألا يبرم الصلح إلا مع حكومة «تمثل بحق الشعب الألمانى»، وأنه لا يقبل توقيع الهدنة إلا إذا كانت بنودها تجعل عودة ألمانيا إلى الحرب مستحيلة. وقد رفض لودندورف Ludendorff ذلك، واضطر إلى تقديم استقالته.

وفى ٢٧ أكتوبر قررت الحكومة الألمانية قبول الشروط التى فرضها رئيس الولايات المتحدة، وأرسلت وفدها للمفاوضة فى الهدنة.

على أنه قبل إبرام الهدنة، كان التمرد قد سرى إلى الأسطول فى كييل Kiel فى أوائل نوفمبر، حيث رفض الجنود مقاتلة الأسطول الإنجليزى فى عرض البحر، وألفوا مجلسا للجنود له سلطة الأعمال الحربية.

وقد عهد الأمير ماكس أوف بادن إلى «نوسكه» Noske إخماد الثورة، فأخمدها، ولكن الثورة لم تلبث أن عمت ألمانيا، فشكلت مجالس للجنود والعمال فى هامبورج Hamburg و(لوبك Luebeck) و(هانوفر Hanover) و (ماجدبورج Magdeburg) و(ليبزج Leipzig) وغيرها.

وكما فعل قيصر روسيا فى مثل تلك الظروف سنة ١٩١٧م، أراد القيصر الألمانى الزحف بجيوش الجبهة على برلين لإخماد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الثورة، ولكن قادته صرحوا له بأن الجيش لن يتبع أوامره، وعندئذ طلب وليم الثانى مشاورة الضباط المحاربين.

وقد جاء لهذا الغرض ثلاثون ضابطا، جاء أكثرهم من الجبهة مباشرة، وقد قرر هؤلاء أن الجنود إذا تلقوا الأوامر بالزحف على برلين للقضاء على الثورة، فسوف لا ينفذون الأوامر.

وأبلغه الجنرال «وليم جروينر William Groener»، الذى خلف القائد لودندورف يوم ٢٦ أكتوبر (عندما تردد هندنبرج فى ذلك) أنه لم يعد حائزا لولاء الجيش، وأن عليه أن يتنازل عن العرش (وهو ما لم تغفره له طبقة العسكريين أبدا!) وعند ذلك قبل وليم الثانى التنازل عن العرش يوم ٩ نوفمبر ١٩١٨م .

٢ - الثورة السوفيتية فى ألمانيا

فى ذلك الحين كانت القوى السياسية التى تحرك الثورة تتمثل فى الإشتراكيين الديمقراطيين Social Democrats، والسبارتاكيين Spartacists.

وكان الاشتراكيون الديمقراطيون عند نشوب الحرب يملكون ١١٠ من النواب فى مجلس الرايشستاج، وقد صوتوا إلى جانب ميزانية الحرب فى أغسطس ١٩١٤م، رغم قرارات المؤتمر الاشتراكى العالمى فى بال Basel سنة ١٩١٢م التى تعارض قيام الحروب.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولكن فى ديسمبر ١٩١٥م، عند بحث الميزانية الرابعة، قام نحو ٢٠ من الاشتراكيين الديمقراطيين من أعضاء الرايشستاج، من بينهم كاوتسكى Kautsky وبيرنشتاين Bernstein، بتشكيل جماعة تطورت فيما بعد إلى الحزب الاشتراكى الديمقراطى المستقل.

كما قام آخرون، من بينهم ليبكنخت Liebknecht وروزا لوكسمبرج Rosa Luxemburg، بتشكيل جماعة يسارية دولية هى التى أطلقوا عليها جماعة «سبارتكوس Spartacists»، وقد تعاونت لفترة مع المستقلين.

ونظرا لتزايد قوى المعارضة غير المؤيدة للحرب، قامت الحكومة فى أكتوبر ١٩١٨ بدعوة الاشتراكيين أصحاب الأغلبية للانضمام إلى الوزارة، فدخلوها بشرط تخلى الحكومة عن سياسة ضم الأراضى وفرض التعويضات.

على أن الثورة لم تلبث أن نشبت لتفاجئ الجميع، فأعلن بحارة الأسطول والغواصات فى كييل التمرد، وشكلت مجالس الجنود والعمال فى كل مكان فى ألمانيا، وأخذت تغتصب السلطة كما حدث فى روسيا، وهنا هب الاشتراكيون الديمقراطيون والسبارتاكيون لركوب الموجة الثورية.

وفى البداية كان المد العالى مع «السبارتاكين» الذين كانوا يديرون الثورة من قلعتهم التى أقاموها فى قصر القيصر، على بعد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أمتار قليلة من الرايشستاج، ويعدون العدة لإعلان الجمهورية السوفييتية، فى حين كان الاشتراكيون الديمقراطيون بزعامة فردريك إيبرت Friedrich Ebert وفيليب شايدمان Scheidemann يجتمعون فى الرايشستاج على أثر استقالة حكومة الأمير ماكس فون بادن لايعرفون ما يفعلون! فقد كان إيبرت يكره الثورة الاشتراكية، وقد أعلن ذات مرة أنه يكره الثورة كأنها خطيئة! وكان يرى إقامة ملكية دستورية يتولاها أحد أبناء القيصر.

وكان إيبرت قد تشاور مع الجنرال جروينر Groener الذى خلف لودندورف فى منصبه عند قيام الثورة فى خير السبل لإنقاذ الحكومة والوطن. وبناء على هذا التشاور طلب جروينر من القيصر التنازل عن العرش كما ذكرنا.

فى ذلك الحين كان سوفييت العمال والجنود فى برلين قد أعلن الإضراب العام، وكان السبارتاكيون يستعدون للإستيلاء على السلطة وإعلان الجمهورية السوفيتية.

وعندما وصل النبأ إلى الاشتراكيين فى الرايشستاج أصيبوا بالفزع، وكان من الضرورى القيام بعمل سريع لإحباط خطة السبارتاكيين، فقام شايدمان دون استشارة رفاقه بإعلان الجمهورية على الجماهير من نافذة الرايشستاج فى مساء التاسع من نوفمبر ١٩١٨م.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى نفس اليوم ٩ نوفمبر ١٩١٣م، عقد اتفاق أو ميثاق سرى بين (إيبرت) و (جروينر) قائد الجيش، وافق فيه إيبرت على القضاء على الفوضى وعلى البلشفية، وأن يحافظ الجيش على تقاليده القديمة مقابل تأييد الجيش للحكومة الجديدة ومساعدتها على تثبيت أقدامها، واتفق على أن يحتفظ (هندنبرج) بقيادة الجيش.

وهكذا تم إنقاذ الجيش، وقضى على الجمهورية بالضياع منذ اليوم الأول! فمن جهة، لم يكن من المعقول أن يدين الجيش القيصرى بالولاء للجمهورية، ومن ناحية أخرى فقد ألقى الجيش بالمسئولية على عاتق الاشتراكية الديمقراطية وعلى النظام الجديد الذى كان عليه أن يوقع الاستسلام!

وفى ذلك الحين كانت الثورة فى ألمانيا تنتشر، فقد انتشرت سوفيتات الجنود والعمال فى كل مكان بألمانيا، وأخذت تغتصب السلطة على نحو ما حدث فى روسيا.

ففى باڤاريا انفجرت الثورة فى ميونيخ، وتنازل الملك، الذى كان ينتمى إلى أسرة (ويتلباخ) Wittelsbach عن العرش، وأقام الاشتراكيون الديمقراطيون الذين يسيطرون على باڤاريا «دولة شعبية» تحت زعامة كورت آيزنر Kurt Eisner اليهودى المشهور، الذى قاد مظاهرة فى يوم ٧ نوفمبر احتلت البرلمان ومقر الحكومة وأعلن قيام الجمهورية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى يوم ١٠ نوفمبر انتخبت المجالس الشعبية، أو السوفيتيات فى ألمانيا، مجلسا لممثلى الشعب عهد برئاسته إلى (إيبرت) ليتولى حكم ألمانيا بصورة مؤقتة. وفى نفس الوقت طلب مجلس عمال وجنود برلين ابرام الصلح فورا، وفى نفس اليوم أيضا قامت الأغلبية والأقلية من الاشتراكيين بتشكيل وزارة ائتلافية من ستة، ثلاثة منهم من الاشتراكيين الديمقراطيين، وثلاثة من الاشتراكيين المستقلين. وقد ضمت فيما بعد عددا قليلا من غير الاشتراكيين. وأعلنت هذه الحكومة الائتلافية فى اليوم التالى عزمها على اتباع هذه السياسة (إبرام الصلح). وبالفعل، فى نفس اليوم وقع الوفد الألمانى الهدنة.

وفى الفترة التالية أخذ الصراع السياسى يحتدم فى ألمانيا وينذر بتحولات خطيرة. ففى ١٨ ديسمبر اجتمع أول مؤتمر سوفيتى لألمانيا فى برلين. وقد تألف من مندوبى مجالس الجنود والعمال فى أنحاء ألمانيا. وطلب إقالة هندنبرج، وإلغاء الجيش النظامى، والاستعاضة عنه بحرس وطنى يكون تحت القيادة العليا للمجلس.

وكان هذا التطور أكثر مما يحتمله الجيش أو إبيرت. فمن ناحية الجيش فقد رفض هندنبرج وجروينر الاعتراف بسلطة المؤتمر السوفييتى، ومن ناحية إبيرت ورفاقه فلم يكن لديهم أية نية للقيام بدور حكومة كيرنسكى Kerensky فى روسيا والانتهاء إلى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مصيرها! لذلك فقد تم الاتفاق بين الفريقين على القضاء على حركة السوفيتات التى أخذت تطالب بالسلطة.

وفى ذلك الحين ظهرت ثلاثة اتجاهات فى صفوف القوى الراديكالية:

الاتجاه الأول: ويضم غالبية الاشتراكيين الديمقراطيين. وكان يطالب بدعوة جمعية تأسيسية، على أساس أن الحلفاء لن يعترفوا بحكومة إلا إذا تم تشكيلها على هذا الأساس.

والاتجاه الثانى: وكان يضم جماعة سبارتاكوس، وكان يعارض قيام الجمعية على أساس أنها سوف تسلب السلطة من العمال، وكان يطالب بقيام نظام دكتاتورى.

أما الاتجاه الثالث: ويضم فريق الاشتراكيين المستقلين، فكان يحبذ قيام الجمعية التأسيسية بشرط إرجائها حتى يتاح للحكومة الفرصة لتأميم الصناعة.

لكن مؤتمر مندوبى مجالس العمال والجنود اتخذ موقفا معتدلا، فقد طالب بدعوة الجمعية التأسيسية فورا خوفا من انهيار الحكومة القائمة وتوقف مفاوضات الصلح.

على أن السبارتاكيين واصلوا حملاتهم الشديدة على الحكومة، وقامت فرقة «بحْرية الشعب» تحت سيطرتهم باحتلال

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

«ڤلهلمشتراسه» Wilhelmstrasse (شارع ڤلهلم)، والوصول إلى دار المستشارية (رئاسة الوزراء)، وقطع أسلاكها التليفونية قبل عيد الميلاد بيومين.

ولكن «إبيرت» استنجد بالجيش لتحرير المستشارية The Chancellary، فوصلت حامية بوتسدام لتحاصر البحارة العصاة، الذين انسحبوا وتحصنوا بمواقعهم فى اصطبلات القصر الإمبراطورى التى كانت تحت سيطرة السبارتاكيين.

وظل السبارتاكيون، وعلى رأسهم كارل ليبكنخت وروزا لوكسمبرج يواصلون الضغط من أجل إقامة جمهورية سوفييتية، وكانت قواتهم المسلحة فى برلين آخذة فى الازدياد، واستطاع جنود البحرية العصاة المحاصرون صد هجوم قامت به قوات بوتسدام لإخراجهم من الاصطبلات الإمبراطورية.

٣ - قمع الثورة

وعندما تفاقمت الحالة، عين «إبيرت»، بعد عيد الميلاد بيومين، جوستاف نوسكه Gustave Noske وزيرا للدفاع الوطنى، وكان الأمير ماكس أوف بادن قد اختاره من قبل - كما رأينا - لإخماد فتنة الأسطول فى كييل ، فى الأيام الأولى من نوفمبر.

وضرب نوسكه ضربته فى مستهل يناير ١٩١٩م، وتمكنت القوات النظامية وقوات الفليق الحر Free Corps فى «أسبوع الدماء»،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الواقع بين ١٠ ـ ١٧ يناير، تحت قيادة الجنرال لوينڤتر Luettwitz من سحق السبارتاكيين، واعتقلت روزا لوكسمبرج وكارل ليبكنخت، وقتلا على أيدى ضباط فرقة فرسان الحرس.

هذا فى برلين، أما فى باڤاريا، حيث اغتال أحد الضباط اليمينيين كورت آيزنر، فإن العمال كانوا قد عمدوا إلى إقامة جمهورية سوفييتية، ولكن الحكومة لم تلبث أن أرسلت إليها قوات عسكرية من الجيش الألمانى فى أول مايو ١٩١٩م قادمة من برلين، تعززها وحدات من المتطوعين فى «الفليق الباڤارى الحر»، وأطاحت بالعهد الشيوعى.

وعلى الرغم من أن الحكم انتقل إلى يد حكومة اشتراكية ديمقراطية معتدلة برئاسة جوهان هوفمان Johannes Hoffmann، فإن السلطة كانت من الناحية الفعلية قد انتقلت إلى يد اليمين، الذى كان يتمثل فى ذلك الحين فى الجيش النظامى والملكيين، الذين يتوقون إلى عودة أسرة «ويتلباخ»، وجمهور كبير من المحافظين، ثم الجنود المسرحين العائدين.

انتخاب الجمعية الوطنية The National Assembly

وعلى كل حال فلم يكد القتال ينتهى فى برلين، حتى أجريت الانتخابات فى ١٩ يناير ١٩١٩م، حيث حصل الاشتراكيون

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الديمقراطيون The Social Democrats والاشتراكيون المستقلون Independent Socialists، الذين حكموا وحدهم، على ١٨٥ مقعدا من ٤٢١ ، وحصلت أحزاب الوسط على ١٦٦، كما حصل حزب الشعب الوطنى الألمانى The German National People's Party، وهو الاسم الجديد للمحافظين، على ٤٤ مقعدا، وحصل حزب الشعب الألمانى The German People's Party اليمينى، وهو الاسم الجديد للأحرار الوطنيين Natınal Liberals، على ١٩ صوتا.

ويتضح من هذه الانتخابات أن المحافظين، الذين كان بعض زعمائهم قد اختبئوا فى شهر نوفمبر، كانوا ما يزالون على قيد الحياة، وإن كانت قوتهم قد ضعفت نسبيا، حيث حصلوا على ٤٤ مقعدا، كما حصل زملاؤهم اليمينيون على ١٩ مقعدا، وبذلك تمكن الحزبان من إسماع صوتيهما فى الجمعية الوطنية مدافعين عن اسم القيصر وليم وعن الطريقة التى قاد بها الحرب هو وجنرالاته.

وفى ٦ فبراير ١٩١٩م انعقدت الجمعية فى فايمار Weimar لإعداد الدستور الجديد، وانتخب إيبرت رئيسا مؤقتا للجمهورية.

٤ - ألمانيا ومعاهدة فرساى

على أن ساعة الحساب لم تلبث أن دقت بالنسبة للألمان، ففى يوم ٧ مايو ١٩١٩ نشرت فى برلين نصوص معاهدة فرساى، التى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وضعها الحلفاء دون مفاوضات مع الحكومة الألمانية. وكانت هذه المعاهدة ضربة قاضية للشعب الألمانى، الذى كان يعتقد أنه حقق للحلفاء كل رغباتهم بالتخلص من أسرة هوهنزولرن، وسحق البلاشفة، وإقامة حكومة ديمقراطية. وكان بالتالى يطمع فى صلح عادل على أساس نقاط الدكتور ولسن الأربع عشرة.

ولكن ألمانيا جاء عليها الدور لتتجرع نفس الكأس الذى سقته لروسيا قبل مضى عام فى «برست ليتوفسك» Brest Litovsk والذى وصفه بعض المؤرخين بأنه «إذلال لا مثيل له فى التاريخ الحديث».

وفى البداية أبدت الحكومة الألمانية عزوفها عن التوقيع، فقد صرح شايدمان، الذى أصبح مستشار الجمهورية، فى اجتماع الجمعية الوطنية فى ڤايمار قائلا: «فلتقطع اليد التى ستوقع هذه المعاهدة»، وأعلن إيبرت، الرئيس المؤقت للجمهورية، أن نصوص المعاهدة «لا يمكن تنفيذها ولا قبولها».

وهنا رؤى أخذ رأى الجيش فى استئناف القتال، فأجاب هندنبرج يوم ١٧ يونية بأنه فى حالة استئناف العمليات الحربية يمكن للقوات الألمانية احتلال مقاطعة بوزن فى بولندا، والدفاع عن الحدود الشرقية، ولكن فى الغرب يستحيل مقاومة هجوم جدى يشنه العدو، نظرًا لتفوقه العددى. واستطرد هندنبرج قائلا إنه - مع ذلك - «لوخير بين الموت بالشرف والكرامة، وقبول صلح معيب شائن، فإنه يختار الموت».

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على أن هندنبرج وجروينر كانا متفقين على أن أى مقاومة للحلفاء، فوق أنها عمل يائس، فإنها ستؤدى إلى دمار الجهاز العسكرى الألمانى المعبود، وتدمير ألمانيا كلها.

على أنه لما كان الحلفاء قد وجهوا يوم ١٦ يونية ١٩١٩م إنذارا إلى ألمانيا يمهلها إلى يوم ٢٤ يونية، أو اعتبار اتفاق الهدنة منتهيا. فقد بعث إيبرت مرة أخرى إلى جروينر يطلب الرد عما إذا كان هناك أى احتمال، مهما ضؤل، لقيام مقاومة عسكرية ناجحة. وفى يوم ٢٤ يونية (أى آخر أيام الإنذار) حمل جروينر، بالنيابة عن هندنبرج، الرد إلى إيبرت بأن المقاومة العسكرية مستحيلة.

وأحست الجمعية الوطنية بأن العبء قد ارتفع عن كاهلها، فوافقت على توقيع الصلح بأغلبية ٢٣٧ ضد ١٣٨ صوتا، وتم التوقيع يوم ٢٨ يونيه ١٩١٩م.

على أن جميع القوى السياسية فى ألمانيا لم تلبث أن تنصلت فيما بعد من مسئولية توقيع المعاهدة، وألقتها على عاتق الأشتراكيين الديمقراطيين!

فمن ناحية المحافظين، فلم يكونوا ليقبلوا بمعاهدة الصلح هذه، أو بالجمهورية التى أبرمتها، وظلوا، على الرغم من ثورة نوفمبر، هم الذين يقبضون على زمام السلطان الاقتصادى. فهم أصحاب الصناعات والاقطاعيات الضخمة والجزء الأكبر من رءوس الأموال.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد كان بفضل هذه الأموال والثروات أن أخذوا يمولون الأحزاب السياسية والصحافة والسياسة، للقضاء على الجمهورية!

٥ - الجيش الألمانى ونظرية «الطعنة فى الظهر».

أما من ناحية الجيش، فإن مسئولية توقيع الصلح قد أزيحت عن كاهله، وشرع، بعد لحظة توقيع المعاهدة، يسعى للتخلص من القيود التى فرضتها، وتمكين الجهاز العسكرى، أو «فيلق الضباط» The Officers Corps من الحفاظ على تقاليد الجيش البروسية القديمة، كما تمكن تحت قيادة الجنرال هانزفون سيخت Seeckt رئيس الأركان، من فرض نفسه، رغم صغر حجمه (مائة ألف جندى)، على سياسات البلاد الداخلية والخارجية.

ولم يلبث أن أثار ما عرف بنظرية «الطعنة فى الظهر»! والتى تقول بأن الجيش الألمانى لم يهزم فى الميدان، وإنما طعنه الخونة فى الظهر فى الداخل.

ففى شهادة هندنبرج أمام لجنة التحقيق التى انتدبتها الجمعية الوطنية فى ١٨ نوفمبر ١٩١٩م، أعلن أن قائدا انجليزيا كان صادقا فى قوله «بأن الجيش الألمانى طعن من الخلف!».

وكان يستغل فى ذلك القول العبارة التى وردت على لسان الجنرال مالكولم Majar General Malcolm رئيس البعثة العسكرية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البريطانية فى برلين فى حديث له مع لودندورف، حين كان لودندورف يشرح له ما كانت تعانيه القيادة العليا الألمانية من افتقار التأييد من جانب الحكومة المدنية، وكيف أن الثورة قد خانت الجيش - فسأله القائد الإنجليزى: «هل تعنى أيها الجنرال أن الجيش قد طعن من الخلف»؟.

وقد انتشرت هذه الأسطورة فى ألمانيا فى فترة ما بين الحربين، واستند إليها هتلر فى كسب تأييد الرأى العام، والقول بأن المذنبين هم: «مجرمو نوفمبر!» - مع أن الحقيقة أن الجيش - كما رأينا - هو الذى طلب توقيع الهدنة والصلح، وهو الذى دفع الحكومة الجمهورية إلى توقيع الصلح.

ولكن الشعب الألمانى أقنع نفسه بأنه وجد كبش الفداء فى مجرمى نوفمبر الذين وقعوا وثيقة الاستسلام، والذين أقاموا الحكم الديموقراطى على أنقاض الحكم المطلق السابق.

٦ - دستور جمهورية ڤايمار

وعلى كل حال فبعد شهر واحد من توقيع معاهدة الصلح، أى فى ٣١ يوليو ١٩١٩م، أقرت الجمعية الوطنية (الرايشستاج) الدستور الجديد، الذى منح ألمانيا أكثر الدساتير الأوروبية ديمقراطية وليبرالية، إذ اقتبس فكرة الحكومة الدستورية من انجلترا وفرنسا، وفكرة رئيس الجمهورية القوى المنتخب من دستور الولايات المتحدة، وفكرة الاستفتاء من سويسرا.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد توصل الحزب الاشتراكى الديمقراطى إلى إدراج نص فى الدستور (المادة ١٦٥) باشتراك العمال فى إدارة المشروعات.

وتأسست بالفعل، بموجب قوانين عامى ١٩٢١، ١٩٢٢م، لجان عمالية فى كل المشروعات الصناعية والتجارية، إذا كان عدد عمالها أكثر من عشرين عاملا. ولكن أصحاب الأعمال قاوموا اشتراك هذه اللجان فى الإدارة، ولم تكن لها من وظيفة سوى الإشراف على تطبيق قوانين العمل.

على أن نظام التمثيل النسبى الذى تضمنه الدستور، والاقتراع عن طريق القوائم، الذى قصد به الحيلولة دون ضياع الأصوات، والحرص على إعطاء الأقليات الحق فى التمثيل فى البرلمان - كان له تأثير مدمر على الحياة الديمقراطية. فقد أدى إلى زيادة عدد الأحزاب الصغيرة بدرجة كبيرة، حتى إن عدد من سجل من الأحزاب فى انتخابات ١٩٣٠م بلغ ٢٨ حزبا! الأمر الذى جعل استقرار الأغلبية فى الرايشستاج أمرا مستحيلا، وأدى إلى التعديل المستمر فى الحكومة.

ومما زاد الحالة اضطرابا، تقصير الدورة البرلمانية إلى سنتين، مما أدى إلى تكرار الانتخابات البرلمانية. بل كثيرا ما تكررت هذه الانتخابات على فترات أقصر، نظرا لأن الدستور أباح حل البرلمان فى حالة اختلافه مع السلطة التنفيذية. وقد تكررت قرارات حل البرلمان بصفة خاصة فى السنوات القليلة السابقة على الانقلاب النازى.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على أن الدستور، من جانب آخر، دعم الوحدة الوطنية والقومية بإلغاء الولايات المستقلة فى ألمانيا، وتوحيد الأمة الألمانية كلها، وإقامة حكم مركزى. وقد قدم ذلك للحركة النازية خدمة كبيرة فيما بعد!

وعلى كل حال، فبصدور الدستور بدأت، بصفة قانونية، حياة الرايخ الثانى أو جمهورية فايمار ، وهى التى يطلق عليها اسم «الامبراطورية الوسيطة «فى بعض الآراء أو «الرايخ الثانى» فى آراء أخرى، باعتبار الرايخ الأول هو دولة بسمارك، والرايخ الثالث هو ألمانيا النازية.

على أن الجمهورية - مع ذلك - قد ولدت مترنحة وتحمل بذور فنائها. فمن ناحية، فإن دستور ڤايمار على الرغم من أنه قضى بتبعية الجيش لمجلس الوزراء والبرلمان، مثله فى ذلك مثل غيره من المنظمات العسكرية فى جميع الدول الليبرالية، فإن تقاعس الحكومة عن تطهير فيلق الضباط من العناصر الموالية للقيصرية والمناهضة للجمهورية، وعجزها عن بناء جيش جديد متشرب بالروح الديمقراطية، قد أثبت أنه خطأ قتال بالنسبة للجمهورية.

وفى الحقيقة أن بعض الاشتراكيين الديمقراطيين، من أمثال «شايدمان» جرزيسنسكى Grzesinski، قد حاول صبغ الجيش بالصبغة الديمقراطية، ورأوا من الخطر تسليم الجيش إلى الضباط القدامى الذين تربوا على التقاليد الإمبراطورية. ولكن هؤلاء واجهوا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

معارضة قوية من زملائهم الاشتراكيين الآخرين، وعلى رأسهم نوسكه وزير الدفاع، فضلا عن معارضة القادة العسكريين.

٧ - تواطؤ النظام القضائى فى ألمانيا مع الجيش

ولقد كان تقاعس الحكومة عن تطهير الجهاز القضائى من العناصر المعارضة للنظام، ذا تأثير مدمر على الحكومة. فقد كانت المحاكم تبرئ المتآمرين على النظام الجمهورى، أو تصدر عليهم أحكاما مخففة.

وهو ما حدث بعد فشل انقلاب كاب The Kapp Putsch فى عام ١٩٢٠، حين وجهت الحكومة تهمة الخيانة العظمى إلى ٧٠٥ من الأفراد، فصدر الحكم على واحد فقط، هو مدير شرطة برلين بالسجن خمس سنوات «سجنا رمزيا»! وأمرت بإعادة معاشه إليه عندما أوقفته ولاية بروسيا!

كما صدر الحكم فى عام ١٩٢٦م بدفع مرتبات الجنرال فون لويتفتز Luettwitz، القائد العسكرى لانقلاب كاب، لا عن المدة التى كان فيها ثائرا ضد الحكومة فقط، بل وأيضا عن السنوات الخمس التى قضاها هاربا فى المجر!

وعندما حاول هتلر القيام بالانقلاب فى ميونيخ فى ١٩٢٣م، أصدرت عليه حكما مخففًا!

وفى الوقت نفسه كانت قوانين الخيانة العظمى تطبق ضد مؤيدى الجمهورية، ويُقضى بأحكام لمدد طويلة ضد مؤيدى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الجمهورية، الذين يكشفون أسرار تحدى الجيش لمعاهدة فرساى فى مقالاتهم المنشورة بالصحف.

٨ - موقف جمهورية ڤايمار من الاشتراكية

ومن ناحية أخرى، وعلى الرغم من أن الدستور قد منح البرلمان سلطة تأميم الثروات الطبيعية والصناعية والتوزيع، فإن شيئا من ذلك لم يحدث!

وكان المؤتمر الأول لمجالس العمال والجنود المنعقد فى ٢٠ ديسمبر ١٩١٨م قد قرر «البدء فى تأميم الصناعات المهيأة لهذا التأميم، وخاصة فى صناعة المناجم، ولكن «أوتوهيو» زعيم عمال المناجم، والذى عين فى لجنة التأميم التى عينتها المجالس الشعبية فى ٢١ نوفمبر ١٩١٨م، شكك فى صحة هذا التوقيت، وتساءل عما إذا كان الوقت قد أصبح مناسبا لهذا التأميم؟

وقال :إن أستاذنا القديم ماركس لم يتصور الانتقال إلى الاشتراكية إلا فى الوقت الذى تتوافر فيه وسائل الإنتاج. وليس الأمر كذلك فى الوقت الحاضر!

وكذلك قام إيبرت بالتحذير من إجراء أى عمل بدون ترو، وصرح أدولف براون النمساوى فى ديسمبر ١٩١٨ بأنه «بالنسبة للتأميم لا يوجد بشكل عام أسوأ من الوقت الحالى، لأن ألمانيا فى حالة مجاعة، وهناك عجز واضح فى الخامات الأولية، والماكينات معطلة».

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولم تلبث سياسة التحول الاشتراكى أن أهملت تمام الإهمال، وأخذ الاشتراكيون الديموقراطيون يقعون شيئًا فشيئًا تحت سيطرة أحزاب الوسط وأيديولوجية الطبقة الوسطى.

ونظرا لزيادة الاتجاه المحافظ داخل الحكومة، قرر الاشتراكيون المستقلون القيام بإضراب عام فى يوليو ١٩١٩م يشل حركة العمل تماما فى برلين، ولكن عدم وجود أى خطط محددة للتأميم، والخوف من اتخاذ الحلفاء خطوات إيجابية ضد التحول الاشتراكى، والنضال الشديد ضد السبارتاكيين، وتردد زعماء الحزب الاشتراكى الديمقراطى فى الاستيلاء على جهاز اقتصادى محطم - كل ذلك حال بين الحكومة وبين تحويل الصناعة من الملكية الخاصة إلى الملكية العامة، وبالتالى لم يؤد، من الناحية الاقتصادية، إلى تحويل ألمانيا نحو الاشتراكية.

وقد ترتب على ذلك أن أصبحت الاحتكارات الكبرى الممثلة فى «التراستات» Trusts و«الكارتيلات» Cartels على درجة كبيرة من القوة جعلتها، وهى الخاضعة لإشراف الدولة نظريا، هى التى تشرف على الدولة عمليا! وكان على رأس هذه التراستات والكارتيلات بطبيعة الحال كبار رجال الصناعة والمال الذين يتحكمون فيها.

وهكذا بدلا من أن يتولى الاشتراكيون الديمقراطيون المسئولية، ويحطموا الاحتكارات الصناعية والاتحادات الضخمة، ويطهروا البيروقراطية وسلك القضاء والشرطة والجامعات والجيش من كل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أولئك الذين لايخدمون الجمهورية والنظام الجديد بولاء - سلموا لهؤلاء السلطة والمسئولية.

وعلى هذا النحو كان من الطبيعى أن يفقد الاشتراكيون الديمقراطيون تأييد الجماهير. فمع أنهم نصبوا إيبرت رئيسا للجمهورية، إلا أنهم لم يستطيعوا السيطرة على أداة الحكم. وانحدر الحزب بالتدريج إلى مصاف أحزاب الوسط الليبرالية التى تمثل الأحرار، وكبار الملاك، والمسيحيين التقدميين. بل لقد ائتلف الحزب مع أحزاب اليمين غير المتطرف، واشترك فى وزارات تحت رئاسة جوستاف اشتريزمان Gustav Stresemann ممثل البورجوازية الكبيرة. وفى عام ١٩٢٤م كان قد هبط عدد نوابه فى الرايشتاج إلى ١٣١ عضوا بدلا من ١٨٥ سنة ١٩١٩م.

٩ - مؤتمرات اليمين ضد الجمهورية

ولم يلبث هذا الضعف الذى ولدت فيه الجمهورية أن أدى إلى التآمر عليها من جانب اليمين. ولم ينشط هذا اليمين إلا بعد أن استطاعت الحكومة إخماد حركات الشيوعيين، فقد كانت تخاف من الشيوعيين أكثر من خوفها من الفرق السياسية الأخرى.

وكان هذا اليمين يتمثل فى الملكيين الذين يتوقون إلى عودة القيصرية، كما كان يتمثل فى الجيش النظامى، وتمثل كذلك فى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الجنود المسرحين الذين لم يعثروا على عمل بعد عودتهم، ولم يتمكنوا من التحول عن عادات العنف والقسوة التى اتبعوها. ثم كان يتمثل فى الجيش النظامى، ويتمثل بصفة خاصة فى عصابات الفيلق الحر Free - Corps bands المسلح فى جميع أنحاء ألمانيا، وكان جيش الدفاع (الرايخشفير) Reichwehr يقوم بتسليحها، لمحاربة البولنديين والبلطيقيين، لإنقاذ المناطق المتنازع عليها على الحدود الشرقية.

١٠ - انقلاب كاب Kapp

وسرعان ما أخذت هذه العصابات فى دعم المؤامرات الرامية إلى قلب الحكم الجمهورى. وفى مارس ١٩٢٠ تمكنت إحدى العصابات، وهى لواء الكابتن إيرهاردت The Ehrhardt Brigade تحت قيادة الفريق وولترفون لويتفتز، من الاستيلاء على برلين، وتمكن الدكتور وولفجانج كاب Kapp، وهو سياسى من رجال الجناح اليمينى المتطرف، من إعلان نفسه مستشارا Chancellor للرايخ. واضطر إيبرت ونوسكه وغيرهما من رجال الحكومة إلى الفرار من العاصمة يوم ٣١ مارس ١٩٢٠م، ووقف الجيش النظامى يقوده الجنرال فون سيخت موقف المتفرج! ورفض الدفاع عن الجمهورية ضد لويتفتز وكاب!

ولكن البروليتاريا هى التى تصدت للانقلاب، على نحو ما حدث فى الثورة الروسية حين حاول كورنيلوف الاستيلاء على الحكم.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فقد نظمت الحركة النقابية الألمانية اضرابا شاملا ضد الانقلاب، توقفت فيه حركة البلاد، وانقطع الماء والغاز والكهرباء، ووقفت حركة السكك الحديدية والترام، فلم تجد حكومة الانقلاب بدا من التخلى عن الحكم بعد أسبوع واحد، وفر رئيسها إلى السويد.

١١ - انقلاب كار Kahr فى ميونيخ Munchen

وقد وقع انقلاب آخر فى الوقت نفسه فى ميونيخ كان أكثر نجاحا. فقد قام الجيش فى يوم ١٤ مارس سنة ١٩٢٠م بإسقاط حكومة «هوفمان» Hoffmann الاشتراكية، وأقام عوضا عنها نظاما يمينيا برئاسة جوستاف فون كار Kahr، وقد تلا ذلك أن أصبحت العاصمة الباڤارية نقطة الجذب لجميع الساخطين على الحكم الجمهورى والرافضين لمعاهدة فرساى. وكانت مؤتمرات الاغتيال تدبر فى هذه المدينة ضد موقعى ومنفذى معاهدة فرساى، ووجد فيها جنود الفرق المسرحة - وبينهم جنود لواء إيرهاردت Ehrhardt - المأوى والترحيب. كما أقام فيها الجنرال لودندورف مع فريق من ضباط الجيش المسرحين. وسوف يجد هتلر فى هذا التيار القومى المعارض للديمقراطية والجمهورية المناخ اللازم للسير بحركته.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١٢ - تدهور المارك الألمانى

وسرعان ما مضت الأحداث على نحو يخدم اليمين، وذلك بسقوط المارك الألمانى واحتلال الفرنسيين للروهر Ruhr.

وسقوط المارك الألمانى سببه الأساسى التضخم النقدى الذى عملت الحكومة على قيامه، للتخلص من ديون التعويضات الفادحة التى فرضت على ألمانيا، وتخليص الصناعة الألمانية الثقيلة من ديونها عن طريق دفع التزامها بماركات لا قيمة لها. وقد عمدت الحكومة فى ذلك، مدفوعة من كبار الصناعيين وأصحاب الأراضى، إلى إصدار كميات هائلة من الماركات رغبة فى تدهور عملتها.

وقد شرع المارك فى الانهيار منذ عام ١٩٢١، عندما وصلت قيمة الجنيه الانجليزى إلى ٧٧٠ ماركا، بعد أن كانت قيمته بعد الحرب ٢٠ ماركا فقط!. وفى أغسطس ١٩٢٢م أصبح يساوى ٣٠٠٠ مارك! وبالنسبة للدولار فقد أصبحت قيمته فى عام ١٩٢١م خمسة وسبعين ماركا، ثم بلغت فى السنة التالية ٤٠٠ مارك! ولم يحل عام ١٩٢٣م حتى كان الدولار يساوى ٧ آلاف مارك!

١٣ - معركة دفع التعويضات واحتلال فرنسا الروهر

وإزاء سوء الأحوال الاقتصادية طلبت الحكومة الألمانية من دول الحلفاء مهلة «موراتوريوم» لدفع أقساط التعويضات. وقبلت الحكومة البريطانية على الفور.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على أن حكومة بوانكاريه Poincaré الفرنسية رفضت هذا الطلب رفضا قاطعا، اللهم إلا إذا أخذت فرنسا ضمانة لذلك وضع مناجم الدولة فى الروهر فى أيدى الحلفاء.

وقد عللت هذا الطلب بأن وضع مناجم الروهر فى يد الحلفاء سوف يكون أداة ضغط على ألمانيا لدفع التعويضات وتنفيذ معاهدة فرساى، ومن شأنه أن يؤدى إلى إيجاد «إرادة دفع» فى ألمانيا، وفضلا عن ذلك فإن وضع هذه المناجم فى يد الحلفاء يمكن أن يكون - إذا اقتضت الحال - «وسيلة دفع»، بمعنى أن الحلفاء يستطيعون استثمار هذه المناجم لصالح التعويضات -وهو ما أسماه سياسة «الرهن المنتج»! وقد اعترضت بريطانيا على ذلك. ولكن فرنسا لم تأبه لهذا الاعتراض.

وعندما تأخرت ألمانيا فى تسليم شحنات الأخشاب التى وعدت بها، وعلى الرغم من ثانوية هذه القضية، فإن بوانكاريه، الذى كان رئيس الوزراء فى أثناء الحرب، استفاد من ذلك ليضع سياسته موضع التنفيذ، وصرح بأن هذا التقصير من جانب ألمانيا يعطى فرنسا الحق فى احتلال حوض الروهر، ووضع يدها على مناجم الدولة.

وفى ٩ يناير ١٩٢٣م أعلنت الحكومة الفرنسية، باتفاق مع بلجيكا، أنها سترسل لجنة رقابة إلى الروهر للحصول على التعويضات. وقد اعتبرت إنجلترا أن فرنسا ليس لها الحق فى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ذلك، ولكن بوانكاريه لم يأبه لذلك أيضـــا. وفى ١١ يناير ١٩٢٣م دخلت لجنة الرقابة «ايسن» Essen، ودخلت معها القوات الفرنسية.

وهكذا اقتطع من ألمانيا قلبها الصناعى الذى أصبحت تعتمد عليه، بعد أن أخذت بولنده مقاطعة سيليزيا العليا مع أربعة أخماس إنتاج ألمانيا من الفحم والفولاذ.

وقد وحدت هذه الضربة القاضية للاقتصاد الألمانى جميع القوى السياسية والشعبية فى ألمانيا بصفة مؤقتة، وبصورة لم تعرفها البلاد منذ عام ١٩١٤م . وقررت الحكومة الألمانية شل الحياة الاقتصادية لتمنع فرنسا من استثمار الفحم، فأوعزت إلى عمال الروهر بالإضراب العام، ودعت إلى المقاومة السلبية مع دفع المرتبات. وتم تنظيم أعمال التخريب وحرب العصابات فى الروهر بمساعدة الجيش.

وقابل الفرنسيون ذلك بحملة من الاعتقالات والنفى وأحكام الإعـدام، وتولوا بأنفسـهم إدارة الروهر والسكك الحـديدية، واستطاعوا بذلك استثمار المناجم والفحم، ونقل الإنتاج بواسطة الخطوط الحديدية إلى فرنسا. وفوق هذا فرضوا على الروهر نظاما جمركيا للحيلولة دون نقل أية بضائع إلى بقية ألمانيا. وبهذا حرموا الصناعة الألمانية من فحم الروهر.

وقد عجلت عملية خنق الاقتصاد الألمانى عن طريق احتلال الروهر بانهيار المارك بصفة نهائية. وفى ذلك لعبت البورجوازية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الألمانية الكبيرة دورا خطيرا للكسب من خراب الجماهير والطبقة المتوسطة ودمارها ماليا.

فقد دفع كبار الصناعيين وأصحاب الأراضى الحكومة إلى التعجيل بهبوط المارك عن عمد وإصرار، رغبة فى تخليص الدولة من ديونها العامة ومن التعويضات، كما ذكرنا، وأملا فى تخريب احتلال الفرنسيين للروهر، ولتمكين الصناعة الألمانية الثقيلة من التخلص كلية من ديونها. وشجع الجيش على انهيار المارك رغبة فى تنظيف ديون الحرب، ولتصبح ألمانيا من الناحية المالية دون أى أعباء، استعدادا لشن حرب جديدة.

ولم تدرك جماهير الشعب والطبقة المتوسطة كم كان أرباب الصناعة والجيش والدولة ينتفعون من انهيار المارك، ولكن الدهور النقدى حطم هذه الطبقات الجماهيرية تحطيما تامًا، فلم تعد ثمة قيمة للأموال التى يملكونها، والتى وفروها لضمان مستقبلهم، وأضحوا مفلسين كأفراد، وعرفوا المجاعة عندما أصبحت بضعة أوقيات من السكر أو رطل من الدقيق يساوى حساب بنك كامل! حيث أصبح الجنيه الانجليزى يساوى فى سبتمبر ١٩٢٣م مبلغ ٤٨٠ مليون مارك!

وفى الوقت نفسه توقفت حركة التجارة، وأصبح من المستحيل عقد القروض أو إمضاء العقود، ورفض الفلاحون نقل منتجاتهم إلى المدن، وكثرت المظاهرات وحركات الانفصال فى بعض

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الولايات، وتمكن الشيوعيون من السيطرة على الحكم فى سكسونيا وغيرها، وكان من الطبيعى أن تحمل الجماهير جمهورية ڤايمار مسئولية كل ما يقع، وتجعل منها كبش الفداء.

١٤ - المواجهة بين المستشار الألمانى شتريزمان والمقاومة

ولم يلبث استسلام الحكومة فى سبتمبر ١٩٢٣م أن حرك اليمين المتطرف واليسار على السواء. ففى ٢٦ سبتمبر ١٩٢٣م كان المستشار الألمانى شتريزمان Streseman قد أعلن نهاية المقاومة السلبية فى حوض الروهر، واستئناف ألمانيا دفع التعويضات للحلفاء.

وكان قد وصل إلى اقتناع بأنه إذا كانت الغاية هى إنقاذ ألمانيا وتوحدها واستعادة قوتها، فلابد من التفاهم مع الحلفاء، والحصول على فترة من الهدوء لاستعادة القوة الاقتصادية.

وقد أثار هذا التخلى عن مقاومة الفرنسيين الغضب والاستياء لدى الوطنيين الألمان. وفى الوقت نفسه كان الشيوعيون يعملون على سقوط الجمهورية.

وعلى هذا النحو واجه شتريزمان ثورة عنيفة من متطرفى اليمين واليسار على السواء. ولكنه كان على استعداد لذلك بإعلان حالة الطوارئ فى نفس اليوم، وعهد بالسلطة التنفيذية بين ٢٦

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سبتمبر ١٩٢٣م وفبراير ١٩٢٤م إلى وزير الدفاع أوتوجيسلر Gess-ler، وقائد الجيش فون سيخت.

١٥ - مؤامرة الجيش الأسود Black Reichwehr فى باڤاريا

فى ذلك الحين جاء الخطر من جانب باڤاريا، التى ساءت العلاقت بينها وبين الحكومة فى برلين تماما فى خريف عام ١٩٢٣م. فقد أعلنت الوزارة الباڤارية حالة الطوارئ من ناحيتها يوم ٢٦ سبتمبر، وعينت جوستاف كار Kahr، وهو ملكى يمينى، مفوضا للدولة، مع صلاحيات مطلقة.

وثار الخوف فى برلين من أن تنفصل باڤاريا وتؤلف مع النمسا اتحادا لجنوب ألمانيا. وكان هناك عدد من الضباط البارزين فى حركة الجيش الموجودة فى ميونيخ يقفون إلى جانب الانفصاليين الباڤاريين.

وهنا دبر «الجيش الأسود» Black Reichwehr تحت قيادة الميجور بوخروكر Buchrucker ، مؤامرة انقلاب تستهدف احتلال برلين وإسقاط الحكومة الجمهورية.

وكان هذا الجيش قد تكون بصفة سرية ليكون بمثابة امتداد سرى للجيش النظامى الذى كانت معاهدة فرساى قد قضت بألا يزيد على مائة ألف. وقد أنشأه الجنرال سيخت تحت اسم «العمال

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفدائيين» Labor Commandos (Arbeitsk Kommandos)، وتم توزيعه على الحدود الشرقية للمساندة فى حمايتها ضد البولنديين فيما بين عامى ١٩٢٠ - ١٩٢٣م.

فقد قام هذا الجيش الأسود يوم ٣٠ سبتمبر ١٩٢٣م تحت قيادة الميجور «بوخروكر» Buchrucker باحتلال ثلاث من القلاع التى تقع إلى الشرق من برلين، ولكن الجيش النظامى قام بمحاصرته، واستسلم بوخروكر بعد يومين، واتهم بالخيانة العظمى وحكم عليه بالسجن عشر سنوات.

١٦ - تصفية الشيوعيين فى بافاريا

وقد تلا ذلك تركيز من الحكومة الجمهورية، بمساعدة الجيش، لتصفية الحركات والحكومات الشيوعية فى سكسونيا، وتورينج Thuringia، وهمبورج والروهر. فاعتقل أعضاء الحكومة الاشتراكية فى سكسونيا، وتم تعيين مفوض من الرايخ لتولى الأمور فيها. كما تم القضاء بسرعة على الشيوعيين فى همبورج وغيرها.

وقد اعتقدت الحكومة الجمهورية أنها بقضائها على الشيوعيين قد سلبت المتآمرين فى باڤاريا ذريعة الادعاء بأنهم يعملون لإنقاذ الجمهورية من الشيوعيين. ولكن شيئا من ذلك لم يحدث.

ففى ذلك الحين كانت باڤاريا قد أصبحت تحت السلطة المطلقة للثالوث المكون من «كار» Kahr مفوض الدولة، والجنرال «أوتوفون لوسو» Otto von Lossow قائد الجيش النظامى فيها، والكولونيل «فون سايسر» Von Seisser مدير الشرطة. وقد أعلن الثالوث رفضه تنفيذ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أية أوامر يتلقاها من برلين، وخصوصا إغلاق صحيفة هتلر، الفويلكيشر بيوباختر Voelkischer Beobachter . وعندئذ قررت الحكومة الجمهورية إخماد العصيان بالقوة، وأصدر الفريق سيخت أوامره للثالوث الباڤارى ولهتلر وعصاباته المسلحة بأنه سيخمد أى عصيان بالقوة.

١٧ - الصراع بين الثالوث الباڤارى وهتلر

فى ذلك الحين كان كل من الفريقين المتحالفين: الثالوث الباڤارى، وهتلر وعصاباته، تختلف أهدافهما اختلافا نسبيا، فبينما كان الثالوث يريد القيام بانقلاب انفصالى، كان هتلر يريد - على العكس - الاستيلاء على السلطة وإقامة رايخ قومى وقوى ومتحد.

وعندما صدر قرار الجيش الذى يهدد بإخماد أى عصيان، انقسم الفريقان فى باڤاريا: فبينما رأى هتلر أن نجاح الحكومة الجمهورية فى إعادة الهدوء سوف يقضى على كل فرصة أمامه، وبالتالى فقد طلب إلى «كار» و«لوسو» الشروع فى الزحف على برلين قبل أن تبدأ برلين بزحفها على ميونيخ - فقد رأى الثالوث أنه سوف يكون من العبث القيام بحركة غير مجدية تؤدى إلى دمارهم، وهكذا قاموا فى يوم ٦ نوفمبر ١٩٢٣م بإبلاغ «الاتحاد النضالى الألمانى» Deutscher Kampfbund، (German Fighting Union) الذى كان هتلر يتولى زعامته السياسية، بأنهم لن يسمحوا بالانسياق وراء عمل متهور.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١٨ - انقلاب قاعة الجَعَة The Beer Hall Putsch

وعند ذلك قرر هتلر ، بنصيحة روزنبرج Rosenberg وشوبنر ريختر Scheubner Richter وهما لاجئان روسيان انضما إلى الحزب النازى، اختطاف أعضاء الثالوث، وارغامهم على استخدام سلطاتهم. وانتهز فرصة الإعلان عن خطاب يلقيه كار فى اجتماع لرجال الأعمال فى قاعة الجَعَة الكبرى (Buergerbraukeller) فى الضواحى الجنوبية لميونيخ، بناء على طلب بعض المؤسسات التجارية الكبرى، وحضور الجنرال لوسو والعقيد فون سايسر، لتنفيذ خطته والقيام بما عرف باسم «انقلاب قاعة الجعة»، يوم ٨ نوفمبر ١٩٢٣م.

وقد استطاع بالفعل القبض على كار، ولوسو، وسايسر. واستحضر أعوانه «لودندروف» فى تلك الأثناء، ودارت مفاوضات بينه وبينهم فى نفس القاعة للاشتراك معه فى المؤامرة، وتأليف حكومة الانقلاب، وقد خضع الثلاثة من غير اقتناع، على العكس من لودندورف الذى أبدى استعداده لمنح اسمه للمشروع.

وكانت الخطة هى أن يسير هتلر دفة السياسة فى الحكومة المركزية الجديدة، ويتولى كار وصاية عرش باڤاريا كنائب ملك، ويعين لوسو وزيرا للجيش الوطنى، ويكون سايسر وزير شرطة الرايخ، ويتولى لودندورف قيادة الجيش الوطنى، وتكون مهمة الحكومة الوطنية الجديدة المؤقتة هى تنظيم الزحف على برلين.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على أنه لم يكد ينفض الاجتماع. حتى هرب كار، وسايسر، حيث نقل الأول الحكومة إلى ريجنزبورج Regensburg، وانضم لوسو إلى قائد حامية ميونيخ، فى حين أصدر فون سيخت أوامره بإخماد الانقلاب.

ولما كانت القوات الثورية فى ذلك الحين لم تكن قد احتلت من المراكز الاستراتيجية سوى مركز قيادة الجيش بواسطة فصيلة من قوات العاصفة بقيادة «روهم» Roehm – فانه لم يكد يطلع الفجر حتى كانت القوات النظامية قد فرضت حصارا على قوات «روهم» فى وزارة الحرب.

وهنا قام المتآمرون، بقيادة واقتراح لودندروف، بمحاولة أخيرة، فخرجوا يوم ٩ نوفمبر ١٩٢٣م من حدائق قاعة الجَعة فى نحو ثلاثة آلاف رجل، على رأسهم لودندروف وهتلر وجورنج Goering قائد جيش العاصفة، وروزنبرج، ونحو ستة من كبار النازيين، للوصول إلى قلب المدينة واحتلالها، رافعين علم الصليب المعقوف Swastika Flag ولافتة «ألمانيا فوق الجميع».

على أن قوات الشرطة أوقفت تقدمهم، وسقط ستة عشر من القتلى، وقبض على هتلر ولودندورف، وهرب جورنج وهيس Hess إلى النمسا، واستسلم روهم Roehm فى وزارة الحربية، وقامت السلطات بحل الحزب، وحوكم هتلر، وحكم عليه بالسجن خمس سنوات، ولكنه لم يقض منها سوى بضعة أشهر!

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١٩ - سياسة المصالحة مع الحلفاء

لم تكد حكومة الجمهورية تفرغ من القضاء على هذه الحركات الانقلابية، حتى أخذت تسير بكامل طاقاتها فى السياسة الجديدة التى انتهجتها، وهى سياسة المصالحة مع الحلفاء، والاندماج فى المجتمع الدولى، وإصلاح اقتصاد البلاد.

وكان قائد هذه السياسة هو المستشار شتريزمان رئيس الحزب الوطنى الحر كما ذكرنا، واستمرت هذه السياسة من ١٩٢٣ - ١٩٣٠م.

أ - تسوية دوز Dawes

ونقطة البداية هى تسوية دوز Dawes فى سنة ١٩٢٣ لمشكلة التعويضات. ففى هذا العام ألفت لجنة التعويضات لجنة فرعية من الخبراء العالميين، يرأسها الجنرال شارل دوز، الخبير المالى الأمريكى، قامت بدراسة مسألة التعويضات ومقدرة ألمانيا على الدفع. واقترحت عدة اقتراحات، أهمها:

وجوب الجلاء عن الروهر، وإنشاء بنك مركزى Reich bank يحتكر إصدار الأوراق المالية لمدة خمسين سنة، وتشرف عليه هيئة من سبعة من الخبراء الألمان وسبعة آخرين من الأجانب، وعقد قرض أجنبى لألمانيا قدره ٨٠٠ مليون من الماركات الذهبية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى مقابل ذلك بين المشروع ما يجب على ألمانيا أن تدفعه فى مدة خمس سنوات فقط، فيبدأ الدفع بمليار مارك ذهبى فى السنة الأولى، ويصل إلى مليارين وخمسمائة مليون فى السنة الخامسة (كانت لجنة التعويضات قد حددت المقدار الذى تدفعه ألمانيا بـ١٣٢ مليار مارك ذهبى). ولم تتطرق اللجنة إلى كيفية الدفع بعد الخمس السنوات. فكان حلا مؤقتاً.

وقد بدئ فى تنفيذ المشروع فى سبتمبر ١٩٢٤، وتم تنفيذه بدقة فى الخمس السنوات المقررة، بفضل رءوس الأموال الأمريكية التى تدفقت على ألمانيا بغزارة فيما بين عامى ١٩٢٤ ـ ١٩٣٠م .

وفى السنوات التالية أخذ الاقتصاد الألمانى فى النهوض، وأخذت الصناعة، التى تمكنت من تسديد ديونها فى فترة انهيار النقد، واقتراض ملايين الدولارات ـ فى تجديد آلاتها وتنظيم عملياتها الإنتاجية.

وكان إنتاج هذه الصناعة قد هبط فى عام ١٩٢٣ بنسبة ٥٥٪ عما كان عليه فى عام ١٩١٣م، فعاد وارتفع بنسبة ١٢٢٪ فى عام ١٩٢٧م.

وعمدت مؤسسات الصناعة الأمريكية الكبرى إلى تمويل الصناعة الألمانية الثقيلة، كما نشأت صلات اقتصادية بين اتحاد الصناعة البريطانية وجمعية الصناعة الإمبراطورية الألمانية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وارتفعت أرقام الأجور فى السنة الثالثة إلى ١٠٪ عما كانت عليه قبل أربع سنوات. واستفاد من هذا الرخاء أبناء الطبقات الوسطى الدنيا من صغار أصحاب الحوانيت وذوى المرتبات الصغيرة.

وعلى كل حال فقد تمكنت ألمانيا فى فترة وجيزة من استعادة صناعاتها الحربية وانتاج كميات وفيرة من الدبابات والطائرات والسفن.

ب - اتفاقية لوكارنو Locarno Pact

أما فى المجال السياسى فقد تم التوصل إلى اتفاقات لوكارنو Locarno Pact التى وقعت فى ١٦ نوفمبر ١٩٢٥م.

وكانت السياسة الفرنسية إزاء ألمانيا قد تعرضت لتغيير جوهرى فى ذلك الحين بعد انتخابات مايو ١٩٢٤م، التى أسفرت عن سقوط وزارة بوانكاريه، وفوز كتلة اليسار، ورجوع بريان Aristid Briand إلى وزارة الخارجية.

فقد اقتنع بريان بالرأى الذى يقول بأن ألمانيا ذات الـ ٧٠ مليونا سوف تكون أقوى بالضرورة من فرنسا ذات الـ ٤٠ مليونا بعد عشرين عاما، أو على الأكثر بعد خمسين عاما! وأنه من ثم يجب على فرنسا، لتتجنب خلافا جديدا قد يؤدى بها إلى الهاوية، أن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تساعد الأحزاب السياسية ذات الميول السلمية فى ألمانيا، والمناصرة للجمهورية، والمعادية للحرب.

وبناء على ذلك فعندما اقترح شتريزمان على الحكومة، تحت إيحاء السفير الإنجليزى فى برلين، عقد اتفاق متبادل مع فرنسا، تتعهد الدولتان بموجبه باحترام حدودهما المشتركة، فى ٩ يناير ١٩٢٥م – قبلت الحكومة الفرنسية ذلك.

وقد أدت المفاوضات التى جرت إلى المعاهدة التى عقدت فى ١٦ نوفمبر ١٩٢٥م بين ألمانيا وكل من فرنسا، وبريطانيا، وإيطاليا، وبلجيكا، وبمقتضاها تعهدت ألمانيا وفرنسا وبلجيكا بالاعتراف بالحدود القائمة بينهما، والامتناع عن استخدام القوة ضد كل منهما الآخر. كما اعترفت ألمانيا بنزع سلاح أراضى الراين.

وقد ضمنت إنجلترا وإيطاليا هذا الاتفاق Pact، وتم الاتفاق على تبادل المساعدة فى حالة استخدام العنف.

وقد استمرت هذه الاتفاقية حتى أنهاها هتلر عام ١٩٣٦م باحتلال الراين. ولكن التزامات بريطانيا تجاه فرنسا، والتزامات بريطانيا وفرنسا تجاه بلجيكا، تجددت بمقتضى اتفاقيات خاصة أبرمت فيما بعد.

وقد كان بسبب هذه المعاهدة، التى قبلت فيها ألمانيا مختارة أهم ما تنازلت عنه مكرهة فى فرساى، أن انتشر الاعتقاد فى غرب أوروبا بحلول عهد من السلام والأمل.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على أنه بعد أن تبين ضعف الأسس التى قامت عليها المعاهدة، صارت هذه الحقبة (١٩٢٥ ـ ١٩٣٣م) تسمى بعهد الأوهام! ذلك أن كل فريق أخذ من المعاهدة الزاوية التى تخدم مصالحه.

فمن ناحية فرنسا رأت فيها تأكيدا لمعاهدة فرساى، بل إنها تحتوى أيضا على ضمان من بريطانيا للأوضاع فى غرب أوروبا، وهو ما لم تحققه معاهدة فرساى. وبالتالى فقد رأت فيها ضمانا للأمن.

ومن ناحية ألمانيا فقد أصبحت على يقين من أن فرنسا لن تعاود احتلال الروهر.

جـ - دخول ألمانيا عصبة الأمم

وفى الفترة التالية أعطت سياسة المصالحة نتائج إيجابية لألمانيا. ففى ٨ سبتمبر ١٩٢٦م قبلت ألمانيا عضوا فى عصبة الأمم، وبذلك أصبحت على قدم المساواة مع بقية الدول الكبرى. وفى ٣١ ديسمبر ١٩٢٦م تجلت نتائج المصالحة فى الجلاء عن قسم من منطقة الاحتلال الرينانية، أى عن منطقة كولونيا.

وأخذت ألمانيا بعد ذلك فى العمل من أجل تقديم موعد الجلاء عن الراين. ففى يوليو ١٩٢٨م أثار المستشار هرمان مولر Mueller رئيس الحكومة الألمانية الجديدة (بقى فيها شتريزمان وزيرا للخارجية أيضا) قضية الجلاء عن أراضى الراين (رينانيا)،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وصرح بأن ألمانيا نفذت مشروع «دوز»، ودفعت الأقساط السنوية بصورة منتظمة، ولذا فلها الحق فى الحصول على الجلاء عن الأراضى الرينانية، وأضاف بأن فرنسا ليست بحاجة لضمان الأمن بعد معاهدة لوكارنو.

وفى ١٦ سبتمبر ١٩٢٨م تم فى جنيف اتفاق مبدئى بين فرنسا وألمانيا وانجلترا وبلجيكا على الدخول فى مفاوضات رسمية بشأن الجلاء عن أراضى الراين، وتسوية قضية التعويضات تسوية نهائية، نظرا لأن «مشروع دوز» لم يحدد الدفع إلا خلال خمس سنوات.

وقد انتهت المفاوضات بعد مؤتمر لاهاى بهولندا فى شهر أغسطس ١٩٢٩ م إلى اتفاقيتين:

الأولى : فى ٣٠ أغسطس ١٩٢٩، وتقضى بانتهاء احتلال أراضى الراين فى موعد أقصاه يونيه ١٩٣٠م، على أن يوضع مشروع دفع التعويضات الجديد موضع التنفيذ فى ذلك التاريخ.

والثانية : فى ٣١ أغسطس ١٩٢٩، وتقرر وضع مشروع جديد لدفع التعويضات بدلا من مشروع دوز.

د - مشروع يانج Young Plan

وقد عرف هذا المشروع بمشروع يانج Young Plan ويقتطع، بالنسبة لمشروع دوز، ما يقرب من ١٧٪ من الدين. ويقضى بأن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تحصل فرنسا جملة فى خلال ٦٠ عاما على مقدار ٢٠ مليار مارك ذهبى. وكانت فرنسا قبل ١٩٢٩م قد حصلت من ألمانيا بمشروع دوز، وبموجب دفعات أخرى، على ما يقرب من ٨ مليارات و ٦٠٠ مليون مارك.

وفى مقابل ذلك تخلت فرنسا عن ضمان الأمن الذى يخولها إياه احتلال رينانيا مقابل هذا الوعد من جانب ألمانيا بالدفع. وأخيرا قبلت إلغاء الرقابة التى أقرتها معاهدة فرساى على نزع السلاح فى ألمانيا. ذلك أن لجنة الرقابة الدولية التى كان لها حق التفتيش فى ألمانيا، ألغيت فى ٣١ يناير ١٩٢٧م.

ويتضح من ذلك أن فرنسا قبلت بإعادة نظر جزئية فى معاهدة فرساى، مع احتفاظها بتفوقها العسكرى، وتحالفها مع بولندا وتشيكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا (دول الحلف الصغير).

على أن الحكومة الألمانية والرأى العام الألمانى كان يطالب بالمزيد. فقد طالبت ألمانيا بعد إبرام هذه الاتفاقات الأخيرة بإرجاع أراضى السار Saar (التى كانت فى يد الفرنسيين لاستغلال مناجمها لمدة خمسة عشر عاما، وكانت لها إدارة خاصة خاضعة لعصبة الأمم). كما طالبت بتخفيض تسليح فرنسا، وإلا فإن ألمانيا يكون لها الحق فى زيادة قواتها المسلحة.

وسرعان ما جاءت أزمة ١٩٢٩م المالية لتدفع بالأمور فى ألمانيا إلى مستوى جديد.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢٠ - الأزمة الأقتصادية ١٩٢٩ - ١٩٣٣م

ففى خريف ١٩٢٩م وقعت أزمة أقتصادية عالمية لم يسبق لها مثيل أصابت النظام الرأسمالى بضربات قاصمة. وقد بدأت هذه الأزمة فى الولايات المتحدة وانتقلت منها إلى بقية أنحاء العالم.

وكانت الولايات المتحدة قد استطاعت فى أثناء الحرب العالمية الأولى تنمية صناعاتها بدرجة لم يسبق لها مثيل، وبعد الحرب اعتقد رجال الصناعة أنه يمكن المحافظة والاستمرار فى النمو الصناعى بثلاث طرق:

الأولى : خلق حاجات جديدة باستمرار فى جمهور المستهلكين.

والثانية: تغذية «الطلب» باستمرار، عن طريق زيادة الأجور لزيادة قوة الشراء فى الجمهور.

أما الطريقة الثالثة، فهى المنشطات الصناعية، التى تتمثل فى القروض التى تمنح فى داخل الولايات المتحدة للمنتجين والمستهلكين على السواء، أو خارجها لدول أوروبا - بصفة خاصة ألمانيا، والنمسا بدرجة أقل - بشرط أن تشترى من الولايات المتحدة المواد الأولية اللازمة لصناعاتها أو تشترى السلع الغذائية منها.

على أن هذه الخطة واجهتها عوامل أخرى أدت إلى وقوع الأزمة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ذلك أن الإنتاج الأوروبى، الذى كان عاطلا فى أثناء الحرب أو موجها لحاجيات الحرب، أخذ ينشط منذ عام ١٩٢٥م ليبلغ مستوى الإنتاج السابق فى عام ١٩١٣م. وفى الوقت نفسه كان الإنتاج الزراعى فى أوروبا يتحسن باضطراد عن طريق استخدام الأسمدة والأدوات الميكانيكية، فضلا عن زراعة أراض جديدة. كما استأنفت روسيا حوالى ١٩٢٦م تصديرها الزراعى فى السوق.

وكل ذلك أوجد فى السوق العالمية فرط إنتاج غذائى، وقلل لحد كبير من الطلب على المنتجات الزراعية الأمريكية.

وقد ترتب على ذلك أن أخذ سعر الجملة للمنتجات الزراعية الأمريكية فى الانخفاض، ووجد الزارعون أمامهم أكداسا من المنتجات لا يستطيعون تصريفها، فى الوقت الذى كانوا مضطرين فيه لدفع فوائد القروض التى عقدوها خلال الأعوام السابقة. وبالتالى انخفضت المقدرة الزراعية لديهم، وقل شراؤهم للمنتجات الصناعية - الأمر الذى أثر تأثيرا سيئا على المشروعات الصناعية، التى كانت بدورها قد عقدت قروضا وتكبدت ديونا عظمية أصبح عبؤها لا يطاق.

وعلى هذا النحو، فقد بدا للمراقبين العليمين ببواطن الأمور أن سُحُب الأزمة توشك أن تنفجر، فأخذوا يبيعون السندات التى يملكونها بشكل مكثف، على النحو الذى أدى إلى حدوث ذعر فى البورصة يوم ٢٤ أكتوبر ١٩٢٩م، أدى إلى سقوط فظيع فى أسعار

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البورصة، وأدى مباشرة إلى سقوط أسعار الجملة للسلع، وكان نقطة انطلاق لأزمة مالية امتدت إلى قسم عظيم من العالم، ودامت فى أكثر البلدان حتى ١٩٣٣م، والبعض دام فيها حتى سنة ١٩٣٥م، كما هو الحال فى سويسرا وبولندا وفرنسا.

فقد كان نتيجة الذعر الذى وقع فى بورصة نيويورك فى ٢٤ أكتوبر ١٩٢٩، أن عجزت المشاريع الصناعية الضخمة عن الحصول على الاعتمادات اللازمة، الأمر الذى أدى إلى تقليل نشاطها. ومن ناحية أخرى رأى المشترون أن أسعار الجملة فى انخفاض، ففضلوا الانتظار أملا فى المزيد من هذا الانخفاض.

وفى صيف ١٩٢٩م تفاقمت الأزمة بسبب حدوث جفاف فظيع فى الوسط الغربى للولايات المتحدة أدى إلى محصول ردىء، وعجز الفلاحون عن دفع فوائد ديونهم التى عقدوها مع المصارف، مما أدى بدوره إلى إفلاس عدد كبير من المصارف، حتى لقد شوهد فى أول أكتوبر ١٩٣١م إفلاس ٣١ مصرفا فى يوم واحد!

ومن الولايات المتحدة امتدت الأزمة إلى أوروبا بشكل معتدل فى البداية، ثم أخذت تتفاقم بصورة فجائية فى عام ١٩٣١م. فمنذ مايو ١٩٣١م إلى بداية ١٩٣٢م وقعت الكارثة الاقتصادية، وأخذت الانفجارات الاقتصادية تنتقل من بلد إلى بلد.

وقد ظهر أول انفجار فى النمسا. ففى مارس ١٩٣١م حاولت النمسا عقد اتفاق مع ألمانيا يحقق «الأنشلوس» Anschluss (وحدة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ألمانيا والنمسا) من الوجهة الاقتصادية، عن طريق الدخول فى نظام جمركى معها، ولكن فرنسا اعترضت، واعترض غيرها من البلاد، واضطرت النمسا وألمانيا إلى التخلى عن المشروع.

ولكن القضية أثارت الجزع فى نفوس الأجانب الذين وضعوا أموالهم فى النمسا، فسحبوا هذه الأموال فجأة فى مايو ١٩٣١م، مما أدى إلى عجز البنك النمساوى وإغلاق أبوابه.

وانتشر الذعر بسرعة فى ألمانيا، فمنذ آخر مايو ١٩٣١م أخذ الأمريكيون يسحبون بسرعة الأموال التى وضعوها فى ألمانيا عندما رأوا إفلاس بنك النمسا، وأخذوا يبيعون السندات الصناعية الألمانية التى اشتروها من ١٩٢٥ - ١٩٢٩م. وفى ثلاثة أسابيع نزح من ألمانيا أكثر من مليار مارك من الأموال الأجنبية.

وعندما حرم البنك المركزى Reich Bank من مساعدة الاعتمادات الأجنبية، اضطر أن يستخدم احتياطيه من العملة الأجنبية لدفع المشتريات التى قام بها الألمان من الخارج، كما عجز عن مد المساعدة للبنوك الألمانية الأخرى، فاضطر عدد منها إلى تصفية حسابه وغلق أبوابه، وأهمها بنك دارمشتادر Darmstader Bank الذى انهار فى ١٣ يوليو ١٩٣١م.

وهنا أمرت الحكومة بغلق أبواب جميع البنوك الألمانية لمدة يومين، ولما فتحت أبوابها تلقت أمرا بألا تجرى أية عمليات مالية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

خلال ثلاثة أسابيع، إلا إذا كان لتمكين الصناعيين من دفع أجور عمالهم.

ومع ذلك فقد أدركت أنها لن تستطيع الحيلولة دون حدوث الكارثة الا بمساعدة البنوك الأجنبية. وفى ذلك عقد مؤتمر لوزراء المالية فى لندن، فقرر أن تنجد البنوك الكبرى الأمريكية والانجليزية، وحتى الفرنسية، البنوك الألمانية لتخليصها من الكارثة.

ولكن الحالة ظلت مع ذلك حرجة، فقد أغلق بنك برلين أبوابه فى أكتوبر ١٩٣١م. وفى ديسمبر ١٩٣١ توقف مصنع قاطرات بورسيج Borsig التجارية عن دفع مدفوعاته. وأخذت البطالة تتفشى لاضطرار المصانع إلى طرد عمالها، حتى أربى عدد العاطلين على ستة ملايين! وقد حاول بروينج Bruening، وهو المستشار الألمانى الذى خلف شتريزمان فى ٢٨ مارس ١٩٣٠م، التغلب على الأزمة الخطيرة دون جدوى.

وقد كانت أخطر نتيجة ترتبت على ذلك، هى انتشار روح القلق والسخط فى نفوس العمال، وسارت مظاهرات المتعطلين فى الشوارع ترفع الأعلام الحمراء - الأمر الذى أوجد الخوف والفزع فى نفوس البورجوازية من شبح الشيوعية!

وقد كان فى هذه الفترة العصيبة أن تطلعت الأنظار إلى حزب العمال الاشتراكى الوطنى The National Socialist German Workers, Party (NAZI) الذى يرأسه أودلف هتلر.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢١ - الطريق إلى تولى هتلر الحكم

أ - تقدم النازيين فى الانتخابات البرلمانية

ذلك أنه فى تلك الأثناء انتهت مدة رياسة هندنبرج للجمهورية، التى حددها الدستور بسبع سنوات. فأجريت انتخابات الرياسة فى ١٣ مارس ١٩٣٢م، ودخل فيها هتلر منافسا لهندنبرج، واستطاع أن يحرمه من الأغلبية القانونية حتى أعيدت الانتخابات بينهما فى ١٠ أبريل ١٩٣٢م، ولم يكفل النجاح لهندنبرج الا انحياز الاشتراكيين الديمقراطيين لجانبه.

على أن هتلر لم يلبث أن عوض هزيمته فى انتخابات الرياسة، بمضاعفة عدد نواب حزبه فى الانتخابات التى أجراها فون بابن Pa-pen، مستشار الرايخ، فى ٣١ يوليو ١٩٣٢م لمجلس الرايشستاج. فأصبح له ٢٣٠ مقعدا، أى ما يزيد على حوالى ٣٧٪.

ولما حل فون بابن هذا المجلس أيضا بسبب مكائد هتلر وأعوانه، الذين أثملهم حصولهم على الأغلبية، وأخذوا يفرضون الإرهاب النازى فى الرايخ، وينكلون بخصومهم - حصل النازيون على الأغلبية فى الانتخابات الجديدة التى أجريت فى ٦ نوفمبر ١٩٣٢م، وإن فقدوا مليونى صوت.

ب - تعيين هتلر مستشارا للرايخ

على أنه لما كانت الانتخابات الجديدة قد أتت أيضا بزيادة فى عدد النواب الشيوعيين، اذ فازوا بمائة مقعد - فقد أدى الخوف من هذا النجاح بالقوى اليمنية إلى تأييد هتلر.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد تحالفت هذه القوى لإسقاط الجنرال فون شلايخر Schleich-er، مستشار الرايخ الذى خلف فون بابن، فقبل هندنبرج أخيرا دعوة هتلر لتولى منصب المستشارية، فأصبح هتلر مستشار الرايخ الجديد.

ولم يكد هتلر يتسلم مهام منصبه حتى عزم على السيطرة على زمام الحكم، فاستصدر أمرا من «هندنبرج» بحل الرايشستاج وإجراء انتخابات جديدة فى ٥ مارس ١٩٣٣م.

وفى ذلك الوقت كان قد عين جورنج Goering وزيرا للرايخ وقوميسيرا للطيران ووزيرا للداخلية فى حكومة بروسيا. وقد خطب جورنج فى رجال الشرطة فقال: «إن الشرطة لم توجد للعناية بأمر ثمانين أو مائة ألف مجرم فى السجون، وإنما للقيام بأعمال قد تبدو قاسية للغاية، ولكنها فى الواقع ضرورية ولا غنى عنها!».

وأما هذه الأعمال التى أشار إليها، فهى القضاء عَلى أعداء النازيين ومعارضيهم. ولما كان رجال الشرطة النظاميون مائة ألف، وهو عدد لا يكفى لتحقيق هذه الأغراض، فقد شكل جورنج قوة إضافية من النازيين تبلغ ٨٠ ألفا. وبذلك بدأ عهد الإرهاب النازى فى ألمانيا.

وفى خلال الخمسة الأسابيع المحددة للانتخابات، عمد هتلر وحكومته إلى استخدام أشد وسائل العنف والاضطهاد ضد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

خصومهم الشيوعيين والديمقراطيين الاشتراكيين. فتعرضت صحفهم للمصادرة، ومنعت اجتماعاتهم أو هوجمت، وأصبحت الإذاعة الألمانية مقصورة على الحزب النازى.

جـ - حريق الرايشستاج

وقبل إجراء الانتخابات بخمسة أيام، دبر النازيون حريق الرايشستاج المشهور فى مساء ٢٧ فبراير ١٩٣٣م، للقضاء على الشيوعيين. وأعلنت الحكومة فى نفس الليلة أن الحريق من صنع الشيوعيين وحدهم! وفى الليلة نفسها صادر النازيون الصحف الشيوعية، وجميع منشورات الشيوعيين وإعلاناتهم الانتخابية، ومنعوا الاجتماعات السياسية.

وفى اليوم التالى وقع هندنبرج قرارا ألغى الدستور بمقتضاه، وقبض النازيون على الزعماء الشيوعيين ومنهم ٢٨ نائبا شيوعيا، وفرضوا الرقابة على البرق والتليفون والبريد فى أنحاء الرايخ. وساد الرعب زعماء المعارضة.

ومع ذلك فلم يستطع هتلر أن يفوز بأكثر من ٤٣.٩٪ من الأصوات فى انتخابات ٥ مارس ١٩٣٣م.

د - إعلان هتلر الثورة الوطنية

وفى أوائل أبريل ١٩٣٣م أعلن هتلر أن الثورة الوطنية قد بدأت! وفى الفترة من ٢ مايو إلى ١٨ مايو ١٩٣٣م وجه النازيون حملتهم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على أعدائهم الرئيسيين (الشيوعيين والنقابات العمالية والاشتراكيين الديمقراطيين) فصادروا ممتلكات الأحزاب والمؤسسات العمالية فى أنحاء الرايخ، وقبضوا على زعماء الاتحادات التجارية الحرة، وألقوا بهم فى السجون، وصادروا جميع مبانى وممتلكات الجمعيات التعاونية، كما صادروا جميع مبانى الاشتراكيين الديمقراطيين وممتلكاتهم وأموالهم ومطابعهم. وبلغ الإرهاب النازى ذروته حتى بلغ عدد المعتقلين والذين أرسلوا إلى السجون نحو مليونين!

ولم يلبث هتلر أن اتجه للقضاء على أحزاب اليمين، واستطاع أن يضم اليه حزب الوسط الكاثوليكى فى الرايشستاج، ثم طلب إلى المجلس استصدار قرار بمنحه سلطات استثنائية واسعة (دكتاتورية) لمدة أربع سنوات تمكنه من اصلاح الدستور! وبعد أن استجاب المجلس انفض إلى أجل غير مسمى!

وعظم تهديد النازيين لأحزاب المحافظين من الكاثوليك والألمان الديمقراطيين، وحل الاضطهاد بزعمائهم وقادتهم، حتى اضطر المحافظون إلى تصفية أحزابهم وجماعاتهم.

وفى ١٤ يوليو ١٩٣٣م أعلن هتلر أن الحزب الوطنى الاشتراكى النازى Nazi هو الحزب القانونى الوحيد فى ألمانيا بأسرها.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى أغسطس ١٩٣٤م مات الرئيس هندنبرج، فتولى هتلر منصب رئيس الجمهورية محتفظاً بمنصب المستشار أيضا. وبذلك تكون قد بدأت حَياة الرايخ الثالث، ويكون قد تمهد أيضا الطريق إلى الحرب العالمية الثانية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الواحد والعشرون

إيطاليا الفاشية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إيطـــاليا الفاشية

نشأت الفاشية فى إيطاليا فى ظروف الخطر الشيوعى الذى هدد إيطاليا بعد الحرب العالمية الأولى.

وكانت إيطاليا قد انضمت إلى الحلفاء فى الحرب على أمل تحقيق المغانم الاستعمارية التى تصبو إليها فى أفريقيا والشرق الأدنى وعلى الساحل الأدرياتيكى. واعتقدت بعد الحرب أنها قد قدمت لحلفائها أجل الخدمات، إذ فقدت ما يقرب من ٦٥٠ ألف جندى، وجرح من جنودها حوالى المليون.

على أن الحلفاء عاملوها كشريك صغير، فلم تفز فى تسوية الصلح من المغانم بغير تسعة آلاف ميل مربع من الأرض فى أوروبا، وأكثر من مليون ونصف ميل مربع فى جهات أخرى.

ورغم ضخامة هذه المكاسب، فإنها بالنسبة للأطماع الاستعمارية الإيطالية لم تكن كافية، مما أثار الاستياء منها، خصوصا عندما أحس الإيطاليون بأن الحلفاء سيرفضون الاعتراف بميناء «فيوم» Fiume أرضا إيطالية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هنا قامت جماعة من أحداث الشباب الإيطالى، بزعامة الشاعر الإيطالى دانونزيو D'Annunzio، بالاستيلاء على «فيوم»، فى الوقت الذى كانت المشكلة مازالت محتدمة فى مؤتمر الصلح، ولم تجل هذه القوات عن المدينة إلا بعد أن تم التوصل مع يوغوسلافيا إلى حل للمشكلة. وحصلت إيطاليا آخر الأمر على فيوم، وعلى جزيرة أو جزيرتين فى بحر الأدرياتيك، وعلى مدينة زارا Zara فى دالماشيا.

وبالإضافة إلى الإحساس بالظلم للمعاملة غير المتكافئة من جانب الحلفاء، فإن الحرب كانت قد خلفت تركة مثقلة. فقد ارتفعت أسعار المواد الغذائية، وازدادت الضرائب، وندر الوقود، واضمحلت التجارة فى الداخل والخارج.

وفى الوقت نفسه ساد جو من عدم الاستقرار فى الحكم، اذ تعاقبت على إيطاليا خمس وزارات فى أربع سنوات، لم تكن لأى منها سياسة مرسومة فى الداخل أو الخارج. وتفشت البطالة، وفشل الجنود العائدون فى العثور على عمل لهم. وتراكمت ديون الحكومة.

وفى هذا الجو العاصف، أخذت غالبية الجماهير تميل نحو الشيوعية، وكثرت المظاهرات التى تطوف الشوارع وهى تهتف باسم لينين، وحدثت بإيطاليا عدة حركات ثورية خطيرة، فزحف بعض المتحمسين من الفلاحين الكاثوليك، والصليب على صدورهم، على الضياع الكبيرة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى عام ١٩٢٠م تقدم عمال المناجم فى وادى البو (PO) بمطالب رفضها أرباب العمل، فقاموا بالإضراب، وأجاب أرباب العمل باغلاق المصانع، فاحتل أكثر من نصف مليون عامل من العمال الاشتراكيين مئات المصانع فى المدن، بقصد إدارتها بأنفسهم ولحسابهم، ورفض الجنود طردهم منها.

وفى الوقت نفسه لجأ إلى الإضراب جنود حملة عسكرية كانت مرسلة إلى ألبانيا.

وارتكب الاشتراكيون الديموقراطيون (الشيوعيون) خطأهم الفادح عندما رفضوا الاستيلاء على الحكم بالقوة، كما فعل لينين فى روسيا، إذ كانوا، مثلهم فى ذلك مثل الأحزاب الاشتراكية الديموقراطية فى البلاد الأوروبية قبل الحرب، يعارضون فى اغتصاب الحكم بالقوة، ويعتقدون بإمكان تحقيق الاشتراكية بالطرق الدستورية.

وفى ذلك الحين تقدم اليمين المتطرف ممثلا فى موسولينى Mussolini(١٩٢٢ - ١٩٤٥م) للاستيلاء على الحكم.

وقد ولد موسولينى من أصل قروى، وكان أبوه حدادا. وقد دفعه طموحه إلى السفر إلى سويسرا، واعتنق الأفكار الاشتراكية الأممية، واشترك فى المنظمات الاشتراكية، وحرر فى صحفها، وعاد إلى إيطاليا عام ١٩١٠م، وقام بحملة شديدة ضد الحرب الامبريالية التى قامت بها إيطاليا فى طرابلس. وتولى جريدة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الحزب الاشتراكى الإيطالى Avanti «أفانتى»، فأعطاها طابعا ثوريا واضحا.

وعندما قامت الحرب العالمية الأولى، خان مبادئ الأممية، ونادى بدخول ايطاليا الحرب إلى جانب فرنسا ضد ألمانيا والنمسا، مما أدى إلى طرده من الحزب الاشتراكى. وتولى تحرير جريدة «البوبولوديتاليا» Popolo d'Italia، واشترك فى الحرب، وجرح، وأعفى من الخدمة، وعاد إلى مكتبه فى صحيفة «البوبولو ديتاليا» يهاجم الاشتراكيين السلاميين والحياديين، وأخذ فى مستهل فبراير عام ١٩١٨م ينادى بظهور الدكتاتور الذين «يتميز بالقسوة والحيوية لتطهير البلاد تطهيرا شاملا».

وفى يوم ٢٣ مارس ١٩١٩م شكل ما أسماه «العصبة المناضلة» Fasci italiani di comfattimento، من خليط من الاشتراكيين الساخطين والنقابيين والجمهوريين والفوضويين والجنود القلقين. ورمزوا لأنفسهم بحزمة من العصى التى كان يحملها الضباط الرومانيون فى روما القديمة، وترمز إلى شعار الوحدة والسلطة.

وأعدوا برنامجا يقضى بفرض ضريبة تصل إلى ٨٠٪ على أرباح الحرب، وضريبة على رءوس الأموال، ومصادرة أملاك الكنيسة، وتسليم الإدارات الصناعية إلى العمال، وإلغاء البورصة، وضم دالماشيا، وهى الشريط الساحلى على الأدرياتيك غرب يوغوسلافيا، ويضم حوالى ٣٠٠ جزيرة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولكن التناقض بين موسولينى، الذى كان لايزال يعتبر نفسه «لينين إيطاليا»، والعناصر المحافظة التى اعتبرت آراءه فى احتلال المصانع أكثر بلشفية من البلشفية نفسها، كان السبب فى فشل الحركة فى الانتخابات التى جرت فى أكتوبر ١٩١٩م.

فلم ينل الفاشيون أكثر من ٤ آلاف صوت، ونال خصومهم الاشتراكيون أكثر من أربعين ضعفا، وأحرزوا أكثر من ثلث المقاعد فى مجلس النواب. وعند ذلك أخذ موسولينى يتخلى بسرعة عن آرائه اللينينية.

ولم تلبث الظروف أن أخذت تعمل لصالحه. ففى ذلك الحين كانت الإضرابات تجتاح إيطاليا، وزادت الإضرابات كما وكيفاً، وتعرضت القطارات والثكنات والمصارف والأبنية العامة للهجوم فى أرجاء ايطاليا طولا وعرضا، وتحولت مناطق بأسرها إلى أيدى الشيوعيين، حيث قامت مجالس «سوفيتات» محلية. ولكن الاشتراكيين عجزوا، بسبب قيادتهم السيئة، عن الاستفادة من هذه الظروف للاستيلاء على السلطة.

وفى الوقت نفسه عجزت الحكومة برياسة جيوليتى Giolitti عن الاعتماد على الجيش لمحاربة الفوضى، فأعطت السلاح لموسولينى لتقوم جماعاته الفاشية بكبح جماح الشيوعية، وطلب جيوليتى من البنوك تدعيم موسولينى ماليا، باعتباره خصما للشيوعية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى الوقت نفسه كان هناك من رأى فى الفاشية المنقذ! وذلك لأسباب ذاتية خاصة، كالصناعيين، ومستغلى الحروب الذين رأوا مصانعهم ورءوس أموالهم مهددة، وكذلك أصحاب الأراضى الذين تطلعوا إلى الفصائل الفاشية لحماية ممتلكاتهم، والفلاحين الذين تطلعوا إلى استخلاص الأرض من مزارعيها الاشتراكيين، والكاثوليك الذين رأوا فى الفاشية الوسيلة الوحيدة للدفاع عن الدين المسيحى ضد إلحاد الشيوعيين.

وهكذا لم تحل نهاية عام ١٩٢٠م حتى كانت الفاشية قد حققت لنفسها تأييدا سياسيا كبيرا.

وعندما جرت انتخابات مايو ١٩٢١م، التى تحالفت فها الفاشية مع جيوليتى ضد الاشتراكيين، فاز الفاشيون بـ ٣٥ مقعدا، منهم موسولينى نفسه، الذى أخذ يجمع حوله عددا من الثوريين المتحمسين المستعدين لاغتصاب الحكم.

وفى نوفمبر ١٩٢١م خرج الحزب الفاشى الوطنى إلى الوجود، وحدد موسولينى لأعضائه القميص الأسود، المحلى بشارة خاصة، وتحية خاصة هى: رفع اليد إلى أعلى.

وأتيحت الفرصة لموسولينى فى أغسطس عام ١٩٢٢م عندما دعا الاشتراكيون فى ذلك الشهر إلى إضراب عام تلبية لسخط الشعب المتزايد، فأعلن موسولينى أن الفاشيين سيمنعون الاضراب إذا تقاعست الحكومة عن منعه، وهاجمت الفصائل الفاشية فى أنكونا Ancona وليجهورن Leghorn وجنوا، أبنية الاشتراكيين،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأحرقتها وهدمتها، كما حطمت فى ميلان مطابع صحيفتهم «أفانتى».

وبعد شهرين، أعلن موسوليني: «إما أن تستسلم الحكومة لنا، وإما أن نستولى عليها بالزحف على روما»!

وفى ٢٤ أكتوبر ١٩٢٢م عقد موسولينى فى نابولى «مؤتمر الفاشست الوطنى»، الذى ضم ٤٠ ألف فاشستى، وكان مجموعهم عندئذ فى ايطاليا كلها يبلغ ٤٠٠ ألف.

وفى ٢٦ أكتوبر ١٩٢٢م أعلن الزحف على روما، ونفذ فى ٢٧ منه، حيث أخذت أربعة أرتال من ذوى القمصان السوداء تطبق على العاصمة، زاحفة عليها من نابولى.

وأعدت الحكومة مرسوما بإعلان الأحكام العرفية، للسيطرة على الحركة، ولكن الملك، الذى خشى أن يعنى ذلك نشوب الحرب الأهلية، وبات مستعدا لتقبل حكومة فاشية، رفض توقيع المرسوم.

وأدى اليأس من إخماد الثورة إلى عرض بضعة مناصب وزارية على عدد من قادة الحزب، ولكن موسولينى، وقد رأى السلطة كلها على مرأى من عينيه، رفض الحل الوسط، فاضطر «رئيس الوزراء إلى الاستقالة، وعندئذ طلب الملك من موسولينى أن يؤلف الوزارة.

ومنذ هذا التاريخ بدأت الدكتاتورية الفاشية فى إيطاليا.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فعندما قبل موسوليني الحكم لم يكن لحزبه في البرلمان اكثر من ٦٪ من المقاعد، ولذا اعتزم تغيير قانون الانتخابات، واستصدر تشريعا ينص على أن الحزب الذى ينال أغلبية الأصوات له الحق فى ثلثى مقاعد مجلس النواب. وفى انتخابات عام ١٩٢٤م نال الفاشست أغلبية الأصوات.

وعندما ارتفع صوت المعارضة من أعضاء الحزب الاشتراكى الإيطالى، قتل زعيمهم ماتيوتى Mateotti على يد العصابات الفاشية. وازدادت موجة الارهاب، واضطر المعارضون إلى الانسحاب من البرلمان، وضاعت هيبة البرلمان نفسه، وانقلب إلى جمعية تستمع إلى الخطب وتصدق دون اعتراض.

وعمد موسوليني إلى سلب سلطة مجلس الوزراء لنفسه، بأن تولى ثمانية مناصب وزارية من ١٥! ولم تعد الدولة سوى الدوتشى Il Duci، أى الزعيم الذى أصبح القائد الأعلى للجيش.

وأصبح المجلس الأعلى للحزب الفاشى هو مصدر السلطات بعد انحلال النظام البرلمانى، وأخذت الأحزاب الأخرى تتضاءل حتى تلاشت نهائيا فى عام ١٩٢٦م.

وكانت الحكومة الإيطالية من الناحية النظرية ملكية، ولكن موسوليني عطل سلطة الملك ، وصرح فى إحدى المناسبات بأنه «لو حاولت الملكية الوقوف ضد الحكومة الحاضرة فلا يسعنا إلا إلغاءها.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولم يلبث موسوليني أن قاد سياسة خارجية توسعية عدوانية. ففي عام ١٩٢٣م ضم جزر الدوديكانيز. وفي عام ١٩٢٤م حصل على «فيوم»، وفي عام ١٩٣١م أعلن أن إيطاليا تؤيد ضرورة إعادة النظر في مشكلة تعويضات الحرب، وإعادة النظر في معاهدات الصلح لمصلحة الدول الوسطى وإيطاليا.

وفي ديسمبر عام ١٩٢٥م أرغم موسوليني مصر، بمساعدة إنجلترا، على توقيع اتفاق تنازل عن واحة جغبوب المصرية الواقعة على حدود مصر وبرقة.

وفي عام ١٩٣٥م تلمس الأسباب للاعتداء على الحبشة Ethi-opia، انتقاما لهزيمة الإيطاليين في موقعة عدوة Aduwa في أول مارس ١٨٩٦م على يد منليك Menelek، واضطرارهم إلى توقيع معاهدة أديس بابا Addis Ababa في ٢٦ أكتوبر ١٨٩٦م التي اعترفوا فيها باستقلال إثيوبيا. وفي عام ١٩٣٧م أعلن خروج إيطاليا من عصبة الأمم. وفي ٨ أبريل عام ١٩٣٩م دخلت القوات الإيطالية تيرانا عاصمة ألبانيا.

وفي ١٩٣٧م ارتبط بألمانيا في اتفاق Pact ضد الكومنترن الشيوعي، تطور في ٢٢ مايو ١٩٣٩م إلى تحالف سياسي وعسكري كامل، عرف باسم محور روما برلين Rome - Berli Axis، ويقضي بتوسع إيطاليا في البحر المتوسط، وتوسع ألمانيا في وسط وشرقي وجنوبي أوروبا.

وفي عام ١٩٤٠م انضمت اليابان إلى المحور، ثم المجر، وبلغاريا، ورومانيا، وسلوفاكيا، وكرواتيا.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الثانى والعشرون

المسرح السياسى العالمى بين الحربين

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المسرح السياسي العالمي بين الحربين

أولاً : العلاقات الدولية :

مرت العلاقات الدولية بين الحربين الأولى والثانية العظميين بعدة مراحل، حكمتها بصفة عامة اعتبارات الأمن الدولى وتوازن القوى. وهى على النحو الآتى :

١ - إنشاء عصبة الأمم وتغير المسرح العالمى فى أعقاب الحرب العالمية الأولى :

تمخضت الحرب العالمية الأولى عن تنظيم دولى لم يعرف له مثيل فى تاريخ البشرية، وهو إنشاء عصبة الأمم. وقد أحدث إنشاء هذه العصبة عدة تغييرات جوهرية فى العلاقات الدولية.

أولها، أنه استبدل بنظام توازن القوى الذى كان سائدا منذ القرن السادس عشر، نظام أمن جماعى تكون كل دولة فيه ملزمة بمساعدة أية دولة تتعرض للعدوان من قبل دولة أخرى.

ثانياً، إنشاء لجنة دائمة للانتدابات Mandates' Commission. فوفقا للأسلوب التقليدى السابق كانت الدول المنتصرة تضم عادة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إليها مستعمرات أو ممتلكات الدول المنهزمة فيما وراء البحار. ولكن النظام الجديد جعل الدول تقوم بالوصاية على هذه المستعمرات نيابة عن المجتمع الدولى، والإشراف عليها من خلال لجنة الانتداب. أما مهمة هذه الدول فهى تحقيق الرخاء والتنمية لهذه الدول الواقعة تحت الانتداب.

ومع أن نظام الانتداب كان محدودا، إذ اقتصر على البلاد التى خسرتها دول الوسط وتركيا، ومع أنه لم يستقل من هذه الدول سوى العراق فقط، إلا أن المحاولة مع ذلك كشفت وعيا وإدراكا - إن لم يكن اعترافا - بأن الشعوب خارج القارة الأوروبية لم تعد بعد جزءًا من لعبة توازن القوي الأوروبى، بعد أن أصبحت هذه الشعوب تنشد وتطالب بالاستقلال والسيادة على النمط الأوروبى.

ثالثاً ، أن العصبة لم تنشئ فقط مجلسا تنعقد فيه الدول الكبرى، كما كانت تنعقد فى أحوال كثيرة من قبل، وإنما أنشأت العصبة «جمعية» «تجتمع فيها كل الدول، كبيرها وصغيرها، على قدم المساواة، ويمكنها أن تناقش فيها الشئون الدولية». ولم يكن هذا موجودا من قبل فى العلاقات الدولية.

٢ - تغير المسرح العالمى :

شهد إنشاء عصبة الأمم تغير المسرح العالمى تغيرا جذريا عما كان عليه قبل الحرب العالمية الأولى. وذلك باختفاء الأسرات

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العسكرية الوراثية الحاكمة فى أربع إمبراطوريات، هى: روسيا، وألمانيا، والنمسا والمجر، وتركيا. كما شهد تحول روسيا إلى الشيوعية، وبعث دولة إلى الحياة هى بولندا، واصطناع دولة لم تكن موجودة، وهى تشيكوسلوفاكيا، واسترداد أربع دول حريتها، وهى: إستونيا ولاتفيا وفنلندا ولتوانيا، وتحول دولتين صغيرتين إلى دولتين كبيرتين، هما: رومانيا، ومملكة الصرب التى أصبحت يوغوسلافيا، وذلك على حساب النمسا والمجر. وانقسام دولة واحدة إلى دولتين، وهى دولة النمسا والمجر، فقد انفصلت كل منهما عن الأخرى وأصبحتا دولتين مستقلتين.

وأخيرا وضع المارد الألمانى الضخم فى قمقم: فقد تنازلت ألمانيا لبلجيكا عن يوبين Eupen ومالميدى Malmédy، ونزلت عن الألزاس واللورين لفرنسا، وأعيدت منطقة شلزڤيج الشمالية إلى الدانيمارك، وأعطيت دولة بولندا الجديدة رقعة كبيرة من الأرض، هى بروسيا الغربية، وبوزن Posen. كما أعطيت ممرا إلى البحر ينتهى عند دانزج ويفصل ما بين بروسيا الشرقية وألمانيا، كما أعطيت جزءا كبيرا من سيليزيا العليا بما فيه من نصيب وافر من الثروة المعدنية. وبالإضافة إلى ذلك فقدت ألمانيا مستعمراتها. وقد اشترط لضمان الأمن ألا يتم اتحاد سياسى بينها وبين النمسا دون موافقة عصبة الأمم.

وانتزعت من النمسا أراضى بوهيميا المتاخمة لألمانيا، وأعطيت هذه الأراضى إلى تشيكوسلوفاكيا، وكان يسكن هذه الأراضى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثلاثة ملايين ونصف مليون ألمانى، وأصبحت تشيكوسلوفاكيا بذلك الدولة الوحيدة التى أقامها مؤتمر الصلح على أساس تعدد القوميات (تشيك - سلاف - ألمان).

٣ - من إنشاء عصبة الأمم إلى ميثاق لوكارنو Locarno سنة ١٩٢٥م :

فى هذه الفترة كان الظن أن الضمان الجماعى الذى أتت به العصبة سوف يغنى عن المحالفات والتكتلات الدولية. ولكن ضعف العصبة، وعجزها عن وضع نظام عام لتوقيع العقوبات والتزامات الحماية، جعل الدول ترى أن التكتلات أفضل ضمانا لأمنها من الانضواء تحت عصبة الأمم.

ولما كانت مشكلة الأمن بالنسبة لفرنسا بالذات تمثل مشكلة حساسة، فقد تزعمت فرنسا سياسة التكتلات مع دول أوروبا الشرقية والجنوبية الشرقية.

وكانت بولندا أسبق تلك الدول إلى التحالف مع فرنسا بمناسبة اشتباكها مع الروس سنة ١٩٢٠، فقد أرسل الرئيس فوش Foch الجنرال فيجان Weygand ليكون مستشارا عسكريا لدى بولندا حتى انتهت الحرب بمعاهدة ١٢ أكتوبر ١٩٢٠م.

وفى سنة ١٩٢٤م وقعت محالفة تشيكية فرنسية. وتلا ذلك عقد محالفات مع رومانيا، ويوغوسلافيا، واليونان.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد اعتبرت فرنسا هذه المحالفات بديلا عن الحلف الفرنسى الروسى قبل الحرب فى مواجهة ألمانيا.

على أنه عندما تعرضت فرنسا للانتقاد من حلفائها القدامى، رأت تقوية الضمان الجماعى، وقدمت مشروعا بذلك لنزع السلاح والتحكيم الإجبارى وفرض العقوبات. وأسفر ذلك عن اتفاقيات لوكارنو فى شهر أكتوبر١٩٢٥م، التى تضمنها ميثاق موقع فى لندن فى أول ديسمبر ١٩٢٥م، وعددها سبع معاهدات، أهمها:

أ – معاهدة الضمان المتبادل للحدود الفرنسية الألمانية، والحدود الفرنسية البلجيكية. وقد وقعتها ألمانيا وبريطانيا وإيطاليا وبلجيكا.

ب – معاهدة فرنسية بولندية، وفرنسية تشيكية، لتبادل المساعدة فى حالة اعتداء ألمانيا على أى منهما.

٤ – من ميثاق لوكارنو إلى تولى النازيين الحكم فى سنة ١٩٣٣م:

فى هذه الفترة ساد عهد من المحاولات لتعزيز الأمن الدولى وتوطيد السلام العالمى. لذلك عقد اتفاق بريان – كيلوج Briand - Kellogg الذى وقعته ١٤ دولة فى ٢٧ أغسطس ١٩٢٨م، وأخذت تنضم إليه الدول الأخرى تباعا حتى شمل ٦٥ دولة. والاتفاق يندد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بالحرب وسيلة لحل النزاعات الدولية، ويتعهد موقعوه بتسوية النزاعات بالطرق السلمية.

٥ – من تولى النازيين الحكم فى سنة ١٩٣٣ إلى عام ١٩٣٦م :

وهى فترة تخبط وتناقض فى العلاقات الدولية، بسبب الأطماع النازية، وتعرض مبدأ توازن القوى للخطر.

ففيما يتصل بإيطاليا، فقد استاء موسولينى فى بداية الأمر من قيام النازية فى ألمانيا، لأن ألمانيا كانت تسعى لضم النمسا إليها، وخشى موسولينى من قيام دولة جرمانية كبرى على حدود بلاده، ولذلك كانت ايطاليا فى سنتى ١٩٣٤ و ١٩٣٥م أقوى معارض لتحقيق الوحدة بين النمسا والمانيا، التى كان يطلق عليها «الانشلوس» Anschluss بل وقعت اتفاقا ثلاثيا مع النمسا والمجر فى ٧ مارس ١٩٣٤م لتنسيق السياسة الخارجية.

وفيما يتصل بفرنسا، فإن هذا الموقف من جانب إيطاليا ضد ألمانيا قد شجعها على محاولة إقامة حلف لاتينى بينها وبين إيطاليا، وذلك للوقوف فى وجه ألمانيا.

فعقدت مع إيطاليا فى ٧ يناير ١٩٣٥م اتفاقا تعهدت فيه الدولتان بالمحافظة على كيان النمسا، والتفاهم مع الدول المجاورة لتحقيق هذا الضمان.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكان هتلر فى ذلك الحين يرى أن فرنسا وإيطاليا والشعوب اللاتينية أقل درجة من الإنجليز - السكسون.

على أن فرنسا لم تلبث، حين أعلنت ألمانيا فى ٩ مارس ١٩٣٥م امتلاكها للسلاح الجوى، أن عقدت معاهدة صداقة وتحالف مع الاتحاد السوفيتى فى مايو ١٩٣٥م، إحياء لسياستها قبل الحرب العالمية الأولى، على الرغم من أن وجود الشيوعية فى الاتحاد السوفيتى كان من شأنه أن يصرف فرنسا عن هذه المحالفة، ولكنه المحيط السياسى الدولى الذى برز بعد قيام الحكم النازى فى ألمانيا، الذى جعل فرنسا تتحالف مع دولة فاشية هى إيطاليا، ودولة شيوعية هى الاتحاد السوفيتى!

أما بالنسبة لألمانيا، فقد اتبع هتلر سياسة الملاينة بعد وصول النازيين إلى الحكم، فعقد مع بولندا معاهدة عدم اعتداء فى يناير ١٩٣٤م، وفتح بذلك ثغرة فى الحزام الواقى الذى أقامته فرنسا فى شرق أوروبا. وبالفعل فقد تخلت بولندا عن حليفتها فرنسا فى أثناء أزمة الراين سنة ١٩٣٦م.

وفى يوليو ١٩٣٦م عقد هتلر اتفاقا مع النمسا تعهد فيه باحترام استقلالها. وقد عقد هاتين الاتفاقيتين وهو لاينوى تنفيذهما.

أما بالنسبة لبريطانيا، فقد حدث تقارب بينها وبين ألمانيا سنة ١٩٣٥م، حين عقد الاتفاق البحرى بين الدولتين فى يونيه ١٩٣٥م.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد وافقت إنجلترا فيه على أن ينتهك هتلر أحكام معاهدة فرساى الخاصة بتحديد قوة ألمانيا البحرية تحديدا صارما، مقابل اعترافه بتفوق القوات البحرية البريطانية. فقد رضيت بأن يحدد الأسطول الألمانى بـ ٣٥٪ من مجموع حمولة الأسطول البريطانى، وتساهلت بسخاء فى عدد وحمولة الغواصات التى يمكن لألمانيا بناؤها. وكان غرض هتلر من هذه المعاهدة فصل بريطانيا عن دائرة الحلف الفرنسى - السوفيتى.

٦ - العلاقات الدولية فى سنة ١٩٣٦م :

شهدت هذه السنة ثلاثة أحداث مهمة، كان لها تأثيرها فى إنهاء فترة التخبط الدولى السابقة، وإسقاط المحالفات السابقة، وهذه الأحداث هى:

أ - احتلال ألمانيا لأراضى الراين فى ٧ مارس ١٩٣٦م. وكان قد تقرر فى صلح فرساى أن تكون المنطقة الممتدة ٥٠ كم شرقى هذا النهر منزوعة السلاح، ضمانا لأمن فرنسا. ثم أكدت معاهدة لوكارنو هذا الوضع. ولكن هتلر انتهك بهذا الاحتلال نص معاهدتى فرساى ولوكارنو.

وقد فشلت عصبة الأمم فى التدخل فى مسألة أراضى الراين، ولكن إنجلترا أعلنت أنها سوف تدافع عن فرنسا أو بلجيكا إذا حدث هجوم ألمانى على أراضى أى منهما أو استقلالها.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ب - الهجوم الإيطالى على الحبشة. وقد وقع هذا الهجوم فى خريف سنة ١٩٣٥م، وانتهى بسقوط أديس أبابا فى أيدى الإيطاليين فى أبريل ١٩٣٦م.

وقد أحدث هذا الهجوم الإيطالى نتيجتين مهمتين:

أولاهما: فقدان عصبة الأمم هيبتها بفشلها فى حماية الحبشة من العدوان الإيطالى.

ثانيا، فساد العلاقات بين إيطاليا من جهة وبين بريطانيا وفرنسا من جهة أخرى. وكانت تلك بداية الطريق إلى تكوين المحور.

جـ - الحرب الأهلية الأسبانية. وقد بدأت بالثورة التى قام بها الجنرال فرانكو Franco فى يوليو ١٩٣٦م، حين استولى على حامية تطوان فى مراكش (المغرب)، ومنها عبر المضيق ونزل إلى الساحل الاسبانى، ووقع الاشتباك بينه وبين حكومة الجبهة الشعبية المؤلفة من الشيوعيين والراديكاليين والاشتراكيين.

فقد تلقت ثورة فرانكو منذ اللحظة الأولى العون المادى من ألمانيا وإيطاليا، حتى بلغ عدد القوات الإيطالية فى ربيع عام ١٩٣٧م ٧٠ ألفاً، وبلغ عدد القوات الألمانية ١٠ آلاف. فى حين تلقى الجمهوريون بعض العون من الاتحاد السوفيتى، ولكنه لم يكن على قدر العون الذى تلقاه القوميون من ألمانيا وإيطاليا.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

د – تكوين المحور. وقد جاء تكوين المحور نتيجة مباشرة لفساد العلاقات الذى حدث بين إيطاليا وبين كل من بريطانيا وفرنسا بسبب الحرب الإيطالية الحبشية، ونتيجة لظهور عدة عوامل أخرى كان من شأنها التقريب بين إيطاليا وألمانيا.

وهذه العوامل تتمثل فى عقد ألمانيا اتفاقها مع النمسا فى يوليو ١٩٣٦م الذى تعهدت فيه باحترام استقلالها، فأزالت مخاوف إيطاليا. ثم التشابه بين الدولتين من الناحية الأيديولجية، حيث يسود فى كل منهما النظام الفاشى، الذى يطلق عليه فى إيطاليا اسم الفاشية، وفى ألمانيا اسم النازية NAZI نسبة إلى حزب العمال الاشتراكى الوطنى The National Socialist German Worker's Party الذى رمز إليه بالمقطعين NA-ZI اللذين يقابلان فى الإنجليزية NA - CI فى اسم الحزب السابق الذكر.

كما تتمثل هذه العوامل أيضا فى حاجة الدولتين إلى التوسع الخارجى لامتصاص الكثافة السكانية فيهما، واصطدامهما – بالتالى – مع الدول الاستعمارية القديمة. ثم جاءت الحرب الأهلية الأسبانية لتوحد جهودهما من أجل قضية مشتركة.

وقد بدأت أولى الخطوات العملية للتقارب الإيطالى الألمانى عندما زار الكونت شيانو Ciano، وزير خارجية إيطاليا وصهر موسولينى، هتلر فى أكتوبر ١٩٣٦م. وفى أول نوفمبر ١٩٣٦م ألقى موسولينى خطابا شهيرا فى ميلانو لفظ فيه لأول مرة كلمة «محور» Axis، التى صارت بعد ذلك علما على معسكر ألمانيا وإيطاليا واليابان.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فقد جاء فى خطابه قوله: إن الخط الرأسى الذى يصل برلين بروما، ليس حاجزا يقسم أوروبا، وإنما هو المحور الذى سيكون نقطة جذب لجميع الدول الأوروبية الراغبة فى التعاون والسلام».

وفى ٢٥ نوفمبر ١٩٣٦م وقعت ألمانيا واليابان الاتفاقية المعادية للكومنترن الشيوعى Anti - Komintern Agreement، وقد تضمنت ملحقا سريا ضد الاتحاد السوفيتى بصفة خاصة، إذ اتفقت الدولتان على أنه فى حالة وقوع هجوم من الاتحاد السوفيتى على ألمانيا واليابان، يتم التشاور بينهما لضمان مصالحهما المشتركة، وألا تعقد أى من الدولتين معاهدات سياسية مع الاتحاد السوفيتى تتعارض مع روح هذه الاتفاقية إلا بعد الموافقة المشتركة للبلدين.

وفى نوفمبر من العام التالى ١٩٣٧م انضمت إيطاليا إلى الاتفاقية المعادية للكومنترن، فارتبطت بألمانيا رسميا لأول مرة، وتم تكوين المحور.

٧ - العلاقات الدولية من ١٩٣٧ إلى ١٩٣٩م :

فى هذه المرحلة جرى الاستقطاب سريعا بين المعسكرين الفاشى والديموقراطى تحت عامل التوسع الفاشى (الإيطالى الألمانى).

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ففى ١٢ مارس ١٩٣٨م قام هتلر باحتلال النمسا وتحقيق «الانشلوس»، أى دمج النمسا فى الرايخ الثالث Third Reich، وهو الاسم الذى يشير إلى الحكم النازى فى ألمانيا، وقد أطلقه الكاتب الألمانى الوطنى Moeller van der Bruck عنوانا لكتابه: Das Dritte Reich فى عام ١٩٢٤م.

وقد أطلق اسم «الرايخ الأول» على الإمبراطورية الألمانية فى العصور الوسطى، وأطلق اسم «الرايخ الثانى» على الإمبراطورية الألمانية فى عهد أسرة «هوهنزولرن» Hohenzollern من سنة ١٨٧١ إلى سنة ١٩١٨م. وأطلق على الجمهورية الألمانية من ١٩١٩ إلى ١٩٣٣م اسم «الإمبراطورية الوسيطة» The "Intermediate Em-pire".

على أنه ينسب إلى هتلر قوله: «الرايخ الأول هو دولة بسمارك، والرايخ الثانى هو جمهورية ڤرساى (أى جمهورية ڤايمار)، والرايخ الثالث هو دولتى».

وفى ١٥ مارس ١٩٣٩م، أى بعد عام واحد على ضم النمسا، قام هتلر بالاستيلاء على تشيكوسلوفاكيا، وأخذ يتحول إلى ابتلاع بولندا.

وفى الوقت نفسه قامت إيطاليا بغزو ألبانيا فى ٧ أبريل ١٩٣٩م، فى حين كانت الصيحات تتعالى فى مجلس نوابها فى العام السابق تطالب بتونس وكورسيكا وجيبوتى.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى ٧ مايو ١٩٣٩م عقدت إيطاليا مع ألمانيا ميثاقا عسكريا يقضى بأنه إذا تورطت إحدى الدولتين فى حرب مع دولة أخرى أو مجموعة من الدول، فإن الدولة الأخرى تسارع فورا إلى مساعدتها كحليفة. وتقدم لها ما لديها من قوات فى البر والبحر والجو.

ومن الجانب الآخر، فقد أخذت العلاقات بين بريطانيا وفرنسا تسير نحو الترابط لمواجهة الخطر الفاشى. ففى يوم ١٣ مارس ١٩٣٩م صدر تصريح فرنسى إنجليزى بأنه إذا حصل عدوان ألمانى على بلجيكا أو هولندا أو سويسرا، فإن الدولتين تتدخلان بقوة السلاح للدفاع عن استقلال هذه الدول.

وفى ٣١ مارس ١٩٣٩م صدر تصريح إنجليزى بأن بريطانيا بالاتفاق مع فرنسا تعطى الضمان لبولندا إذا رأت استقلالها مهدداً.

وفى ١٣ أبريل ١٩٣٩م، صدر تصريح إنجليزى فرنسى بتقديم المساعدة إلى اليونان ورومانيا إذا تعرضتا للعدوان.

وفى ١٢ مايو و٢٣ يونيه ١٩٣٩م وقع اتفاق بين إنجلترا وتركيا، وبين فرنسا وتركيا، بتقديم المساعدة المشتركة فى حالة قيام حرب فى البحر المتوسط نتيجة لعمل عدوانى.

٨ - العلاقات بين الاتحاد السوفيتى والدول الامبريالية :

منذ قيام الثورة الإشتراكية الكبرى فى الاتحاد السوفيتى فى أكتوبر ١٩١٧م، ظل الاتحاد السوفيتى محل ريبة وعداء من الدول

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الرأسمالية الإمبريالية. وكان هذا العداء عاملا مهما فى حماية ألمانيا من التقسيم بعد هزيمتها فى الحرب العالمية الأولى.

فقد اقترحت فرنسا تقسيم ألمانيا عن طريق إقامة دويلات متعددة فى حوض الراين تبعا للتقسيمات الإقليمية القديمة، وتوسيع حدود فرنسا إلى نهر الراين. ولكن إنجلترا وأمريكا رفضتا، لأنهما كانتا تريان فى ألمانيا حاجزا قويا فى أوروبا ضد روسيا الشيوعية.

أما الحاجز الثانى الموازن لألمانيا ضد روسيا، فهو بولندا، التى بعثت بعد الحرب العالمية الأولى - كما ذكرنا - واتسعت حدودها على حساب روسيا والنمسا وألمانيا.

وفى الفترة من ١٩٢١م لم تجد الدول الإمبريالية مفرا من الاعتراف بالاتحاد السوفيتى بسبب مصالحها الاقتصادية.

ففى ١٩٢١م عقد أول اتفاق تجارى بين روسيا وإنجلترا. وفى ١٩٢٤م اعترفت وزارة العمال فى بريطانيا بالحكومة السوفيتية. وبعد أيام أعلنت إيطاليا اعترافها بها أيضا. وتتابع الاعتراف من الدول حتى حصل الاتحاد السوفيتى فى سنة ١٩٢٥م على اعتراف معظم الدول الكبرى.

وكان ظهور الخطر النازى فى ألمانيا فى سنة ١٩٣٣م نقطة تحول. فقد رأى الاتحاد السوفيتى أن ينضم إلى عصبة الأمم، ليتمتع بالأمن الجماعى عن طريق عضويته فى العصبة، وتم له ما أراد فى عام ١٩٣٤م.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى العام التالى ١٩٣٥م، وبعد إعلان هتلر امتلاك ألمانيا للسلاح الجوى، لم تتردد فرنسا فى إحياء سياستها القديمة، وهى سياسة التحالف مع روسيا لمواجهة الخطر الألمانى، وعقدت معاهدة الصداقة والتحالف مع الاتحاد السوفيتى.

على أن بريطانيا لم تجار فرنسا فى هذا الاتجاه، فقد كانت غالبية حزب المحافظين فى إنجلترا ترى أن الشيوعية أسوأ من النازية، وكان تشمبرلن Chamberlain، رئيس الوزراء البريطانى، يمثل رجال أعمال برمنجهام Birmingham، الذين كانوا يقومون بمحاولة فى ذلك الحين للتقريب بين بريطانيا وألمانيا، وإزالة الخلافات بين الدول الرأسمالية الفاشية والليبرالية.

لذلك رأينا بريطانيا قد عقدت الاتفاق البحرى مع ألمانيا فى الشهر التالى لعقد معاهدة التحالف والصداقة بين فرنسا وروسيا!

ولم تكن هذه السياسة التى ترى أن الشيوعية أسوأ من الفاشية والنازية مقصورة على بريطانيا فقط، فقد كانت دول شرق أوروبا ترى هذه السياسة أيضا.

ومع ذلك فقد أظهر الاتحاد السوفيتى استعداده للوقوف إلى جانب الدول الرأسمالية الليبرالية، على الرغم مما أعلنه النازيون بعد استيلائهم على الحكم من أن الخلافات العقائدية لا تؤثر على العلاقات بين الدول، وما أعلنته ألمانيا واليابان، حينما وقعتا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الاتفاقية المعادية للكومنترن، من أنه ليس موجها ضد الاتحاد السوفيتى كدولة، بل ضد الانقلابات الشيوعية فى الخارج.

لقد كانت مخاوف الاتحاد السوفيتى من الدول الفاشية أكبر من مخاوفه من الدول الليبرالية، انطلاقا من فكرة أن الفاشية تمثل دكتاتورية الرأسمالية واليمين المتطرف.

لذلك عندما احتل الألمان الراين فى ٧ مارس ١٩٣٦م، أعلن استعداده لتنفيذ المحالفة العسكرية مع فرنسا، كما رحب بتوسيع هذه المحالفة بحيث تشمل دول شرق أوروبا. ولكن هذه الدول جميعا - وهى جميعا دول رأسمالية - رفضت الارتباط بالاتحاد السوفيتى، باستثناء تشيكوسلوفاكيا التى كان يسكنها ثلاثة ملايين ونصف مليون ألمانى، وكان خوفها من ألمانيا بالتالى أكبر.

والحقيقة أن الكثيرين من رجال الفكر والسياسة فى بريطانيا وفرنسا فى ذلك الحين دعوا إلى تكتل دول غرب أوروبا ضد الاتحاد السوفيتى، باعتبار أنها تشترك فى تراث حضارى واحد، ونظام اقتصادى متشابه، يختلف عن الاتحاد السوفيتى الذى نصفه آسيوى ونصفه أوروبى، كما أنه صاحب نظام اقتصادى معاد للنظام الرأسمالى.

وقد انعكس تأثير ذلك فى أثناء الأزمة التشيكية، وكان وراء استسلام ميونيخ Munich الشهير. فعندما اشتدت الأزمة التشيكية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أعلن وزير خارجية الاتحاد السوفيتى أن بلاده تحترم معاهدتها مع تشيكوسلوفاكيا، وأنها تعلق تقديم المساعدة على تدخل فرنسا.

ثم أثير موضوع مرور الجيوش السوفيتية عبر دول أوروبا الشرقية لنجدة تشيكوسلوفاكيا، فرفضت بولندا بصفة قاطعة السماح للسوفيت بالمرور عبر أراضيها، وتعللت رومانيا برداءة طرق مواصلاتها. وفى نفس الوقت لم تقم الحكومة الفرنسية بجهد لدى حلفائها فى شرق أوروبا لإقناعهم بمرور السوفيت عبر أراضيهم.

وعندما انعقد مؤتمر ميونيخ يوم ٢٩ سبتمبر ١٩٣٨م من كل من بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وألمانيا، استبعدت كل من بريطانيا وفرنسا الاتحاد السوفيتى من حضور المؤتمر.

وقد وقفت بولندا موقفا متشددا من الاتحاد السوفيتى فى أثناء الأزمة، دون أن تفطن إلى الخطر الذى كان يتهددها من جانب النازية، بسبب قيام دولتها أصلا على بروسيا الغربية وبوزن والممر الذى يفصل بين بروسيا الشرقية وألمانيا وينتهى عند دانزج على البحر. فقد تنكرت للحلف مع فرنسا، وصرح وزير خارجيتها بأنه لن يلتزم به إذا تدخلت فرنسا لمساعدة تشيكوسلوفاكيا، وأنه على العكس سيقف سدا بين الاتحاد السوفيتى وأوروبا! وهو ما يعنى قبوله ضمنا التحالف مع ألمانيا. وقد دفعت بولندا الثمن بعد ذلك.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وحين تحمس تشمبرلن لفكرة ضمان الحدود التشيكية بعد اقتطاع أراضي السوديت Sudetenland منها (وهي بوهيميا وموراڤيا Bohemia, Moravia) استبعد الاتحاد السوفيتي من بين الدول المقترحة لهذا الضمان.

مع ذلك، فبعد نجاح هتلر في الاستيلاء على تشيكوسلوفاكيا في ١٥ مارس ١٩٣٩م، وجه ستالين انتقادا شديداً للعدوان النازي، ووجه اقتراحا بعقد مؤتمر سداسي من الاتحاد السوفيتي وفرنسا وبريطانيا وبولندا ورومانيا وتركيا لمواجهة الموقف الجديد.

وكانت فكرة الاتحاد السوفيتي تقوم على أن تقدم كل من إنجلترا وفرنسا والاتحاد السوفيتي الضمانات لدول أوروبا الوسطى وشرقي أوروبا من البلطيق إلى البحر الأسود، وعقد اتفاقية عسكرية بين الدول الثلاث: بريطانيا وفرنسا والاتحاد السوفيتي، ينص فيها على نوع ومدى المساعدات الفعالة العاجلة التي تقدمها كل دولة للأخرى وللدول المتاخمة للاتحاد السوفيتي.

ولكن تشمبرلن لم يتحمس لفكرة المحالفة، فقد اختار أحد المسئولين الثانويين المعروفين بعدائهم الشديد للشيوعية للتفاوض مع الاتحاد السوفيتي، وقدم اقتراحا مضادا يجعل التدخل السوفيتي رهنا بالحالات التي تحددها بريطانيا وحلفاؤها، ولا يتضمن المساواة بين دول الحلفاء. وقد ذكرنا أن غالبية حزب المحافظين في بريطانيا كانت تعتبر الشيوعية أسوأ من النازية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى الوقت نفسه اعترضت دول البلطيق الشديدة العداء للشيوعية على الضمان السوفيتى. فقد احتجت فنلندا على وضعها تحت الضمان السوفيتى، وسارعت لاتفيا واستونيا بعقد ميثاق عدم اعتداء مع ألمانيا!

وعندما اشتدت الأزمة حول بولندا فى أغسطس ١٩٣٩م، ركزت بريطانيا وفرنسا اهتمامهما على الإسراع بعقد اتفاق عسكرى مع الاتحاد السوفيتى، وحاولت فرنسا إقناع بولندا بقبول الضمان ومرور الجيوش السوفيتية عبر أراضيها، ولكن وزير خارجية بولندا أعلن رأيه فى المحالفة قائلا: «إننا مع الألمان نفقد استقلالنا، أما مع السوفيت فإنا نفقد روحنا»!

وفى تلك الأثناء، وإزاء هذا الموقف من جانب بريطانيا وفرنسا ودول وسط وشرق أوروبا، أخذ الاتحاد السوفيتى يسعى لحماية نفسه عن طريق التفاوض مع الألمان لتوقيع ميثاق عدم اعتداء. ومع ذلك فقد ظل حتى آخر لحظة مستعدا لعقد حلف مع بريطانيا وفرنسا ودول شرق أوروبا.

فلما رفضت بولندا مرور القوات السوفيتية بأراضيها، لم يجد الاتحاد السوفيتى بدا من الموافقة على توقيع ميثاق عدم اعتداء مع ألمانيا فى ٢٣ أغسطس ١٩٣٩م، فكان هذا الميثاق بمثابة الضوء الأخضر لألمانيا للقيام بهجومها.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى الساعة الرابعة من صباح يوم أول سبتمبر ١٩٣٩م، كانت القوات الألمانية تجتاح بولندا، وتشعل نيران الحرب العالمية الثانية.

ثانياً : خريطة العالم السياسية عند قيام الحرب العالمية الثانية:

عند قيام الحرب العالمية الثانية كانت الدول العظمى تتمثل فى: بريطانيا، والولايات المتحدة، وفرنسا، وألمانيا، وإيطاليا، واليابان، والاتحاد السوفيتى.

وبالنسبة لبريطانيا، فقد كانت إمبراطورية عظمى يطلق عليها اسم «الكومونولث البريطانى» Commonwealth، ويتكون من ١٣ر٢٩٠ر٠٠٠ ميلا مربعا، أو خمس الكرة الأرضية، ويسكنه ٤٨٧ مليون من البشر، أو خمس البشرية. وكان الكومونولث البريطانى يتكون من الأجزاء الآتية:

١ - المملكة المتحدة، أو بريطانيا العظمى، وشمال ايرلندا.

٢ - دول الدومنيون Dominions المستقلة استقلالا ذاتيا، وهى : كندا، واستراليا، ونيوزيلندا، وجنوب أفريقيا، وايرلندا، ونيوفوندلاند (وإن كان وضع الأخيرة معلقا منذ سنة ١٩٣٣م).

٣ - الهند وبورما.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٤ – الإمبراطورية التابعة أو المستعمرة، وتتكون من :

أ – مستعمرات التاج.

ب – الدول المحمية، أو الواقعة تحت الحماية.

جـ – الأراضى الواقعة تحت الانتداب.

وكان الكومونولث البريطانى يشكل تكوينا سياسا فريدا. فلم يكن دولة، أو اتحادا، ولم يكن له دستور مكتوب، أو حكومة خاصة، أو قوة دفاعية مركزية، أو قوة تنفيذية، ولكنه كان نتاجا للتاريخ والتطور.

أما فرنسا، فكانت إمبراطورية عظمى كذلك، وتأتى فى المركز الثانى بعد بريطانيا، وتتكون من مساحة قدرها ٤ر٤٢٠ر٠٠٠ ميلا مربعا، يسكنها ٦٥ر٠٠٠ر٠٠٠ نسمة.

– وكانت المستعمرات الفرنسية تتكون من الآتى :

١ – الجزائر، وتونس، ومراكش – فى شمال أفريقيا.

٢ – الصومال الفرنسى – فى شرق أفريقيا.

٣ – المستعمرات الفرنسية فى أفريقيا الغربية، وتتكون من : النيجر Niger، وداهومى Dahomey، وفولتا العليا (بوركينا فاسو)، وساحل العاج Ivory Coast، والسودان الفرنسى، وغينيا Guinea، وموريتانيا، والسنغال Senegal، ومالى.

٤ – المستعمرات الفرنسية فى أفريقيا الاستوائية، أو ما يطلق عليها اسم : أفريقيا الاستوائية الفرنسية.

٥ – جزيرة مدغشقر Madagascar.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٦ – المستعمرات الآسيوية، وهى: الهند الصينية، «وبونديشرى» فى الهند Pondicherry، وسوريا ولبنان الواقعتان تحت الانتداب.

أما إيطاليا، فكانت إمبراطورية كبيرة كذلك تتكون من :

١ – الحبشة، وإريتريا، والصومال الإيطالى – فى شرق أفريقيا – ومساحتها ٦٠ر٠٠٠ ميلا مربعا. ويسكنها ١٥ر٠٠٠ر٠٠٠ نسمة.

٢ – ليبيا ، فى شمال أفريقيا، ومساحتها ٦٨٥ر٠٠٠ ميلا مربعا، وسكانها وقتذاك ٧٠٠ر٠٠٠ نسمة.

٣ – جزر الدوديكانيز.

٤ – ألبانيا، وقد ضمت فى مارس عام ١٩٣٩.

أما الولايات المتحدة، فكانت إمبراطوريتها تنقسم إلى قسمين:

١ – أملاك.

٢ – مناطق نفوذ.

وبالنسبة للأملاك، فقد استطاعت الولايات المتحدة منذ أواخر القرن التاسع عشر أن تكون إمبراطورية مترامية الأطراف، نتيجة حربها مع أسبانيا. فوفقا لمعاهدة الصلح التى أعقبت الحرب، حصلت الولايات المتحدة على بويرتوريكو، وجزيرة جوام. واشترت جزر الفلبيين من أسبانيا بعشرين مليونا من الدولارات، وألحقتها بها رغم إرادة أهلها. وبسطت حمايتها على كوبا، ثم ضمت إليها

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جزر هاواى .Hawaiian Is، وميدويى Midway وويك Wake واشترت من الدانيمارك عام ١٩١٨م جزر الهند الغربية الدانماركية بـ ٢٥ مليونا من الدولارات، كما استولت على منطقة بنما Panam، وامتلكت الاسكا Alaska.

وفى سنة ١٩٣٤م، وتحت نضال أهل الفليبين وافقت الولايات المتحدة على منح الفليبين استقلالها التام بعد عشر سنوات كفترة انتقال. أما جوام، وميدويى، ويك، فهى قواعد بحرية للولايات المتحدة فى المحيط الهادى. وعرفت جزر الهند الغربية الدانماركية بجزر فرجين Virgin Islands. وقد منحت الولايات المتحدة الرعوية الأمريكية الكاملة لأهالى بويرتوريكو وجزر هاواى.

أما بالنسبة لمناطق النفوذ، فقد تركزت فى أمريكا الجنوبية بأكملها بمقتضى مبدأ مونرو.

أما ألمانيا، فلم تكن لها مستعمرات، إذ فقدتها جميعها بعد هزيمتها فى الحرب العالمية الأولى، واستولت عصبة الأمم على هذه المستعمرات، وعهدت بإدارتها إلى بعض الدول الاستعمارية تحت إشراف العصبة تحت اسم الانتداب.

فقد اعطت أفريقية الشرقية الألمانية إلى بريطانيا، وحملت اسم تنجانيقا بعد أن سلخت منها أقاليمها الغربية، وهى رواندا وأوروندى، وأعطيت لبلجيكا، واعتبرت جزءا من الكونغو البلجيكى. وأعطيت الكامرون إلى كل من فرنسا وإنجلترا، فاقتسماها. ومنحت

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

توجو لفرنسا أيضا، كما منحت أفريقية الغربية الألمانية إلى اتحاد جنوب أفريقيا.

أما اليابان، فكانت إمبراطورية تتكون من ممتلكات شاسعة هي:

١ - كوريا، وفورموزا، وجنوب سخالين، وجزر كوريل، وجزر ريوكيو، ومجموعة فولكانو، بما فيها أيوجيما.

٢ - جزر خاضعة للانتداب كوفئت عليها بعد الحرب العالمية الأولى، وكانت ممتلكات ألمانية، وهي: جزر ماريانا (عدا جوام) وجزر مارشال، وكارولين. وقد امتدت السيطرة العسكرية اليابانية بالسيطرة على هذه الجزر حتى وصلت إلى منتصف المحيط الهادى.

كما سيطرت اليابان على منشوريا، على البر الآسيوى، فى عام ١٩٣٢م بإنشائها دولة منشوكو التى كانت العوبة فى يدها. وابتلعت جيهول المتاخمة لمنشوريا من ناحية الجنوب الغربى. ثم اندفعت فى عام ١٩٣٧م إلى شمال الصين، وسيطرت على معظم شمال شرقى الصين والمناطق الوسطى والساحلية الجنوبية.

أما الاتحاد السوفيتى، فلم يكن له مستعمرات بعد قيام ثورة أكتوبر ١٩١٧م. فقد كشفت الحكومة السوفيتية النقاب عن الاتفاقات السرية التى عقدتها القيصرية مع الحلفاء، وألغت المعاهدات الاستعمارية التى فرضتها على الصين وتركيا وإيران،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الثالث والعشرون

أوروبا فى الحرب العالمية الثانية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أوروبا فى الحرب العالمية الثانية

- تطورات الحرب :

يمكن القول إن خريطة العالم أخذت فى التغير منذ إطلاق أول رصاصة فى الحرب العالمية الثانية. لقد كانت هذه الطلقة إيذانا بأن الدولتين الغربيتين اللتين ظلتا تحكمان العالم فى خلال القرون الثلاثة الأخيرة، وهما بريطانيا وفرنسا، سوف تفقدان هذا المركز مهما كانت نتيجة الحرب!

فإذا انتصرت ألمانيا وإيطاليا واليابان - وكان هذا الانتصار محتملا بمعاونة الاتحاد السوفيتى - فستفقد الدولتين مركزهما بطبيعة الحال. وإذا انهزمت ألمانيا وإيطاليا واليابان - وكانت هذه الهزيمة محققة إذا انفصل عنها الاتحاد السوفيتى واشترك فى الحرب مع الحلفاء - فقد كان من المتوقع أن يتسع نفوذ الاتحاد السوفيتى إلى حد يقفز به إلى الصدارة.

ويلاحظ أنه فى عشية الحرب، وفى أثناء الأزمة البولندية، دارت عدة مناقشات أكاديمية تتنبأ بأن العالم سيصبح موزعا بين دولتين

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كبيرتين هما: الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة. وفى ضوء هذه التنبؤ تساءل الباحثون عما إذا كان من الأفضل لدول غرب أوروبا الارتباط بالاتحاد السوفيتى أو الولايات المتحدة؟ ولم يكن أى من الخيارين مريحا.

ففيما يتصل بالاتحاد السوفيتى، فعلى الرغم من أنه دولة أوروبية، فإن نظامه الاقتصادى وتراثه الحضارى كانا يختلفان عن نظام وتراث غرب أوروبا.

وفيما يتصل بالولايات المتحدة، فعلى الرغم من أن النظام الاقتصادى فيها كان متفقا مع النظام الاقتصادى فى غرب أوروبا، فإنها كانت دولة خارج القارة. ومعنى ذلك انتقال الزعامة الاستعمارية للمرة الأولى من داخل القارة إلى خارج القارة، وانتقال أوروبا من السيادة إلى التبعية!

لقد نشبت الحرب حين غزت ألمانيا بولنده فى فجر اليوم الأول من سبتمبر ١٩٣٩م، بعد ضمها النمسا وغزوها تشيكوسلوفاكيا، فاضطرت إنجلترا وفرنسا إلى توجيه إنذار نهائى إليها يوم ٣ سبتمبر، وما حل مساء ذلك اليوم حتى كانت الحرب العالمية قد اشتعلت.

وسرعان ما تطورت أحداث الحرب تطورا خطيرا، فقد استطاع الجيش الألمانى بسلسلة من العمليات العسكرية الاستيلاء على

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بولندا، ثم الدانمارك، والنرويج، ثم الأراضى المنخفضة (هولندا وبلجيكا) وفرنسا، ودول البلقان. ولكنه فشل فى معركة بريطانيا، بفضل شجاعة الطيارين الإنجليز، وبفضل بعض الأخطاء الاستراتيجية الألمانية، وبسبب فشل محاولات الغواصات الألمانية قطع طرق المواصلات الإمبراطورية فيما وراء البحار.

ثم ارتكب هتلر خطأه الكبير حين تحول لمهاجمة الاتحاد السوفيتى فى ٢٢ يونيه ١٩٤١م، تاركا بريطانيا وراءه، وهى القاعدة الاستراتيجية التى يمكن أن توجه منها الهجمات إلى خطوط مواصلاته وإلى القلعة الأوروبية.

وفى أثناء ذلك، قام اليابانيون فى المحيط الهادى، فى ٧ ديسمبر ١٩٤١م، بالهجوم على «بيرل هاربر Pearl Harbor» والفليبين، وأغرقوا جزءًا كبيرا من الأسطول الأمريكى، ثم انطلقوا سريعا فى جنوب شرقى آسيا. وفى خلال أشهر قليلة كانوا يهددون استراليا ونيوزيلندا، كما اخترقوا بورما إلى الهند، قاطعين بذلك الخطوط البرية إلى الصين.

وفى أوائل عام ١٩٤٢م كان المحور مايزال يحقق انتصاراته فى كل مكان، فى حين كان العالم الغربى فى أقصى درجات الانهيار. فقد اخترقت القوات الألمانية شمال أفريقيا متجهة نحو الشرق الأوسط، مهددة باتصالها باليابانيين فى الهند.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أما فى الاتحاد السوفيتى، فمع أن القوات الألمانية هناك لقيت بعض الهزائم، إلا أن هجوم الربيع كان يبدو ناجحا.

على أنه قبل نهاية عام ١٩٤٢م، كانت الصورة قد تغيرت. ففى المحيط الهادى لقى الأسطول اليابانى هزيمة حاسمة على يد الأمريكيين فى معركة «ميدواى» Midway فى ٤ يونيو ١٩٤٢م، واستطاع الأمريكيون بعدها أن يلتقطوا أنفاسهم لاستغلال طاقاتهم الصناعية الكامنة، وإجبار اليابانيين بعد ذلك شيئا فشيئا على التخلى عن فتوحاتهم.

وفى ٢٣ أكتوبر ١٩٤٢م ألحق الجنرال مونتجمرى Montgomery هزيمة حاسمة بالقوات الألمانية بقيادة المارشال روميل Rommel فى معركة العلمين. وبدأ يطارد هذه القوات إلى تونس، حيث انتهى الأمر بهزيمتها واستسلامها.

وفى خلال بضعة أشهر كانت القوات الألمانية قد استسلمت فى «ستالينجراد»، مسجلة بذلك نقطة التحول فى الحرب الألمانية الروسية.

ولكن المحور لم يهزم هزيمة نهائية إلا بعد سنتين ونصف من هذا التاريخ وانتهت بذلك الحرب العالمية الثانية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(أولاً) العلاقات الدولية فى المرحلة الأولى من الحرب

سبتمبر ١٩٣٩ - ديسمبر ١٩٤١

١ - العلاقات السوفيتية الألمانية:

سيطر على العلاقات السوفيتية الألمانية منذ البداية عاملان: العامل الأول، عزم هتلر على مهاجمة الاتحاد السوفيتى بعد الفراغ من الجبهة الغربية.

والعامل الثانى، إدراك الاتحاد السوفيتى لنوايا هتلر، ومحاولاته الدائمة لتأمين مركزه استعدادا للمعركة.

فبعد اجتياح ألمانيا السريع لبولندا، وعجز الحلفاء عن تقديم مساعدة حربية لها - لم يستطيع الاتحاد السوفيتى أن يقف جامدا، فاخترق الحدود البولندية من الشرق، لإبعاد الألمان عن الأقاليم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الشرقية، التى كانت توجد بها أقليات كبيرة من الأوكرانيين والروس والبيض والروتينيين Rothenians.

ولم تكن بولندا قد حصلت على هذه الأقاليم الشرقية بناء على معاهدة فرساى، بل ضمتها بالقوة فى سنة ١٩٢٠م بمساعدة فرنسا، بقصد تحطيم الاتحاد السوفيتى.

وفى يوم سقوط وارسو فى ٢٨ سبتمبر ١٩٣٩م، وقع فى موسكو ميثاق ألمانى - سوفيتى هو «معاهدة الصداقة والحدود الألمانية السوفيتية» German - Sovier Boundary and Friendship Treaty، الذى حدد بالتفصيل حدود مناطق احتلال البلدين فى أراضى بولندا. (حسب الادعاءات الألمانية فى محاكمات نورمبرج، كانت هذه المناطق فى بروتوكول سرى ملحق بميثاق عدم الاعتداء الذى عقد فى ٢٣ أغسطس ١٩٣٩م، ويتضمن مبدأ تقسيم شرق أوروبا بين الاتحاد السوفيتى وألمانيا).

وقد أنكر الاتحاد السوفيتى هذا الادعاء.

كان احتلال روسيا للجزء الشرقى من بولندا إحدى المراحل فى عملية التقوية التى أرادت بها روسيا تدعيم مركزها فى البلطيق. ففى ٢٩ سبتمبر ١٩٣٩م، أى فى اليوم التالى لسقوط وارسو وتوقيع الميثاق الألمانى والروسى - وقعت «إستونيا» ميثاقا لتبادل المساعدة مع روسيا أعطتها بمقتضاه قواعد جوية وبحرية. وفى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أوائل أكتوبر ١٩٣٩م سمحت «لاتفيا» و «لتوانيا» بوجود حاميات روسية فى أراضيها، وبعد ذلك طلبت روسيا من فنلندا الاستيلاء على الجزء الشمالى فى برزخ «كاريليا» The Karelian Isthmus بين بحيرة لادوجا Ladoga وخليج فنلندا.

ثم طلبت روسيا أيضا من فنلندا أن تتخلى لها عن عدة جزر فى الخليج، وأن تؤجر لها بعض المناطق ذات الأهمية الاستراتيجية أو الاقتصادية، وهى شبه جزيرة ريباكى Rybachi فى أقصى الشمال، وميناء بيتسامو Petsamo، وهو الميناء الفنلندى الوحيد الذى لا تتجمد مياهه فى الشتاء. وأيضاً ميناء هانجو Hango كقاعدة روسية بحرية وجوية.

وعندما رفضت فنلندا تحقيق هذه المطالب كاملة، أعلن الاتحاد السوفيتى الحرب عليها فى نوفمبر ١٩٣٩م.

وقد تعمد الاتحاد السوفيتى فى هذه الحرب الإبطاء فيها، خداعا للألمان حتى لا يتخذوا استعدادات قوية فى الجبهة الشرقية إذا فكروا يوما فى الاعتداء على الاتحاد السوفيتى. على أنه حين رأى أن امتداد الحرب سيؤدى إلى تدفق المساعدات من الحلفاء على فنلندا - قرر توجيه ضربات حاسمة إليها.

ولكنه فى نفس الوقت أبدى استعدادا للتساهل، تجنبا لصطدام محتمل مع الدول الغربية حين تزداد مساعداتها لفنلندا، وهو ما تكرهه موسكو رغم ارتباطها بألمانيا، خصوصا بعد أن استصدرت

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فرنسا وإنجلترا من عصبة الأمم قرارا يندد بالعدوان السوفيتى، ويقضى بطرد الاتحاد السوفيتى، من المنظمة - فاحتفظت فنلندا فى الاتفاق الذى أبرم مع روسيا فى ١٢ مارس ١٩٤٠م باستقلالها، ولكنها تنازلت عن بعض الأراضى الواقعة على حدودها الشرقية، وعن جزيرة هانجو Hango الاستراتيجية.

فلما ظهرت بوادر انهيار الجبهة الغربية فى مايو سنة ١٩٤٠م. أدرك الاتحاد السوفيتى أن الدور سوف يكون عليه. لذلك طلبت حكومة موسكو من دول البلطيق منحها قواعد عسكرية جديدة، ثم أخذت تتدخل فى شئونها السياسية بمساعدة الأحزاب الشيوعية فيها، حتى نجحت هذه الأحزاب فى الاستيلاء على الحكومة خلال شهر يوليو ١٩٤٠م، وعمدت إلى إدماج بلادها فى الاتحاد السوفيتى بإعلانها ثلاث جمهوريات سوفيتية.

وفى الوقت نفسه، وقبل توقيع المعاهدة مع فرنسا فى ٢٢ يونية ١٩٤٠م، وجهت موسكو إنذاراً إلى رومانيا Rumania بالتنازل لها عن إقليمى بسارابيا Bassarabia وبوكوفين Bukovine. وفى ٢٦ يونيو دخلت القوات السوفيتية بسارابيا، كما ضمت شمال بوكوفين إلى أوكرانيا، نظر للقرابة الجنسية، وكانت هذه الأراضى فيما سبق جزءا من روسيا. فامتدت الحدود الروسية بذلك إلى «الدانوب» Da-nube. وبهذه المحاولات فى البلطيق أكملت روسيا نظامها الدفاعى ضد ألمانيا انتظارا لليوم الموعود!

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على أن إجراءات الاتحاد السوفيتى فى البلطيق والبلقان لقيت رد فعل مضاد من جانب الألمان. ففى شهر سبتمبر ١٩٤٠م دخلت قوات ألمانية فنلندا، ونزلت فى ثلاث موانى فنلندية، وعندما طلبت روسيا تفسير ذلك، أجابت ألمانيا بأنه لا يوجد اتفاق سرى، وإنما سمحت فنلندا بمرور القوات الألمانية للوصول إلى قواعدها فى النرويج.

على أن اصطدام المصالح الألمانية الروسية فى البلقان كان أكثر عنفا!. لقد انزعج الألمان للتوسعات السوفيتية فيه، لأن ألمانيا، بعد تحقيق الأنشلوس، ورثت النزاع الروسى فى البلقان، على أن الاهتمام بالبلقان لم يكن قاصرا على ألمانيا، بل سوف نرى فيما بعد أنه كان محل الاهتمام الأول لبريطانيا، وعلى النحو الذى كان له أثره فى العلاقات الروسية البريطانية.

وفى ٧ أكتوبر ١٩٤٠م استطاع الألمان بالاتفاق مع ملك رومانيا وأنصار المحور أن يرسلوا قواتهم إلى تلك البلاد، وأن يقيموا حكومة موالية انضمت إلى الحلف الثلاثى. ولما كانت سياسة الاتحاد السوفيتى منذ احتلال بسارابيا هى تأييد استقلال رومانيا - لذلك احتج على التدخل الألمانى، وأخذ يبدى أطماعه فى بلغاريا.

وحينما بدا الصدام محققا بين البلدين فى البلقان، قام مولوتوف Molotov، وزير الخارجية السوفيتى الجديد، فى منتصف شهر نوفمبر ١٩٤٠م بزيارة إلى برلين، حيث قابل هتلر للاتفاق

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتسوية الخلافات. وفى هذه المفاوضات طلب الاتحاد السوفيتى انسحاب الألمان من فنلندا باعتبارها منطقة نفوذ سوفيتية، كما تمسك بوضع بلغاريا تحت حمايته كمنطقة نفوذ بناء على العلاقات التقليدية بين البلدين، كما طلب ضمانات بخصوص المضايق (البوسفور والدردنيل Bosporus & Dardanelles) التى اعتبرها الروس داخلة فى منطقة أمنهم. ولكن المفاوضات فشلت.

وفى ١٨ من الشهر التالى - أى ديسمبر ١٩٤٠م - صدر أمر هتلر للاستعداد لحملة «بروبروسه Barbarossa» على روسيا، وهى الحملة التى نفذت بالفعل فى ٢٢ يونيو ١٩٤١م.

٢ - العلاقات بين دول المحور:

فى نفس اليوم الذى غزت فيه ألمانيا بولندا، أعلنت إيطاليا أنها لن تكون البادئة فى العمليات العسكرية. وفى ذات اليوم أيضا صرح هتلر فى الرايشستاج «بأننا فى اضطلاعنا بهذا الصراع ليس فى نيتنا أن نطلب مساعدة أجنبية».

ولكن هتلر من جانب آخر حاول إقناع حليفته بخوض الحرب، ولكن القواد الإيطاليين أكدوا أن إيطاليا لن تكون مستعدة قبل ثلاث سنوات، فقبل هتلر أن يحل حليفه من الاتفاق على ألا يعلن حياده إلا إذا أصبح ذلك ضروريا.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى هذه الأثناء بذل الحلفاء جهودا دبلوماسية لإبقاء إيطاليا بعيدة عن الحرب، واشتركت الولايات المتحدة فى هذه الجهود.

على أن انتصارات هتلر المتلاحقة بهرت موسوليني. وفى مارس ١٩٤٠م اجتمع الزعيمان فى ممر برينر Brenner Pass، ووافق موسوليني مبدئيا على دخول الحرب.

وعندما تأكد من رجحان كفة ألمانيا أعلن فى ١٣ مايو ١٩٤٠م أن إيطاليا لا تستطيع أن تقف بعيدة عن صراع يقرر مصير أوروبا. وحدد موسوليني يوم ٥ يونيو لإعلان الحرب.

ولكن هتلر هو الذى طلب إليه فى هذه المرة تأجيل الموعد بضعة أيام، حتى تستأثر ألمانيا وحدها بفخر النصر! وفى يوم ١٠ يونيو ١٩٤٠م جر موسوليني إيطاليا إلى الحرب، رغم معارضة جنرالاته، ودون تأييد الرأى العام.

وفى الفترة بعد سقوط فرنسا، وبعد أن أصبحت بريطانيا وحيدة، قام هتلر بعدة محاولات لاجتذاب أكبر عدد من الحلفاء فى أوروبا، ليؤثر على بريطانيا وعلى الولايات المتحدة معنويا، ويظهر للأخيرة أن القارة أصبحت تحت زعامة ألمانيا. فحاول تكوين كتلة موالية فى غرب المتوسط تضم أسبانيا وفرنسا حكومة فيشى Vichy.

وكانت أسبانيا، نظرا للنظام الفاشى القائم فيها، أيسر الدول اجتذابا. وقد عرض فرانكو فى البداية الدخول فى الحرب على أثر

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

انهيار فرنسا مقابل عدة مطالب إقليمية، ولكن هتلر لم يجد ضرورة للاستجابة لهذه المطالب فى ذلك الوقت.

ولكن منذ أن ظهرت النتائج الأولى لمعركة بريطانيا، أخذت فكرة الحياد ترجح لدى فرانكو، على حين انعكست الآية عند هتلر، الذى أصبح يلح فى دخول أسبانيا الحرب. فقابل فرانكو لهذا الغرض فى ٢٣ أكتوبر ١٩٤٠م، وهنا كرر فرانكو مطالبه، التى تشمل استراد جبل طارق، وضم القسم الفرنسى من مراكش، بالإضافة إلى إقليم وهران بالجزائر، بالإضافة إلى توسيع مستعمرتى ريو دى أورو Rio de Oro، وغينيا Guinea على حساب جاراتها.

ولما كانت خطة هتلر فى ذلك الحين اجتذاب حكومة فيشى Vichy بدورها إلى ألمانيا، وكان ينوى مقابلة الماريشال بيتان Pétain رئيس حكومة فيش فى اليوم التالى، فقد رأى أن هذه المطالب لا تتناسب مع أهمية أسبانيا.

وفى اليوم التالى قابل هتلر بيتان فى «مونتوار Montoire» لإخراج فرنسا من الموقف السلبى الذى انتهجته منذ الهزيمة، واجتذابها للتعاون معه، واعدا بيتان بأن تحتل فرنسا المركز اللائق بها فى مؤتمر الصلح عند النصر.

ولكن تظهر نتائج إيجابية لهذه المقابلة، فضلا عن أنها لم ترض موسولينى، لأن تعاون فرنسا سوف يحرم إيطاليا من تحقيق أطماعها فى المستعمرات الفرنسية!

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى تلك الأثناء عمل هتلر على توثيق الروابط المشتركة فى الاتفاقية المعادية للشيوعية الدولية سنة ١٩٣٦ و ١٩٣٧م - عن طريق الاتفاق على تقسيم العالم إلى منطاق نفوذ، فتختص اليابان بشرقى آسيا، وتختص ألمانيا بوسط وغربى أوروبا، وأما منطقة النفوذ الإيطالى فتشمل شمالى أفريقيا وشرقيها.

وقد تم على هذا الأساس عقد «الحلف الثلاثى» Tripartite Pact بين اليابان وألمانيا وإيطاليا فى ٢٧ سبتمبر ١٩٤٠م، وقد نصت المادة الأولى فيه على التعاون فى الميادين السياسية والاقتصادية والعسكرية. ثم أصبح هذا الحلف المحور الذى تستخدمه ألمانيا لاجتذاب الحلفاء إليها طوعا أو كرها، فقد عرض على حكومة فيشى وعلى كثير من دول شرقى أوروبا والبلقان، وانضمت إليه المجر ورومانيا وبلغاريا.

مع ذلك كله، فلم يحدث من التناسق بين دول المحور ما كان موجودا بين دول الحلفاء.

ففيما يتصل بالعلاقة بين ألمانيا وإيطاليا، فإن ما أظهره الإيطاليون من عجز فى أثناء الحرب فى اليونان وشمال أفريقيا، وضعهم فى موضع التابع بالنسبة للألمان.

وفيما يتصل بالعلاقة بين ألمانيا واليابان، فإن هجوم ألمانيا على الاتحاد السوفيتى كان مفاجأة لليابان، فقد تم بعد شهر واحد من

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إبرام معاهدة حياد بينها وبين الاتحاد السوفيتى فى ١٩٤١م، اتفق فيها الطرفان على عدم مهاجمة أحدهما للأخر فى حالة دخوله الحرب مع طرف ثالث أو أكثر. ولذلك لم تعلن اليابان الحرب على الاتحاد السوفيتى.

ومن الجهة الأخرى فإن هجوم اليابان على ميناء بيرل هاربر Pearl Harbor كان مفاجأة للألمان، وقد جاء فى الوقت الذى كان هتلر يريد أن يتجنب عداء الولايات المتحدة بقدر المستطاع، ولكنه اضطر، ومعه إيطاليا، لإعلان الحرب على الولايات المتحدة، بحكم «الحلف الثلاثى».

(كان الحلف ينص على ألا يغير من طبيعة العلاقة القائمة بين أعضائه وبين الاتحاد السوفيتى).

٣ ـ العلاقات الأمريكية البريطانية:

عندما قامت الحرب، كانت الولايات المتحدة ماتزال تنتهج سياسة العزلة التى تقررت بعد الحرب العالمية الأولى، والتى كان مظهرها عدم تصديق مجلس الشيوخ على معاهدة فرساى، وعدم الانضمام إلى عصبة الأمم.

وليس معنى العزلة فى الولايات المتحدة هو الانطواء وتجاهل العالم الخارجى، بل معناها عدم التورط فى المنازعات الأوروبية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لذلك رأينا الولايات المتحدة تزاول نشاطها فى السياسه الخارجيه بين الحربين، كما تمثل فى ميثاق «بريان كيلوج»، الذى يدعو لعدم استخدام القوة فى المنازعات الدولية.

وعندما عاد الديموقراطيون إلى الحكم سنة ١٩٣٢م، وأصبح فرانكلين روزفلت Franklin Roosevelt رئيسا للجمهورية، أعلن عن نيته فى زيادة إهتمام الولايات المتحدة بالعالم.

ولكن الكونجرس أصدر فى سنة ١٩٣٤م قانون الحياد، الذى ينص على تحريم بيع الأسلحة إلى الدول المتحاربة، بصرف النظر عن المعتدى والمعتدى عليه. وفى سنة ١٩٣٥م زيدت مادة تحظر سفر مواطنى الولايات المتحدة على سفن الدول المتحاربة.

ومع عدم إيمان روزفلت بسياسة الحياد، إلا أنه راعى رغبة الكونجرس، فلم يرسل أية مساعدات إلى الحبشة أو إلى الجمهوريين الأسبان، رغم وجود مبرر للتجاوز عن القانون، وهو أن الحرب لم تكن رسمية.

وفى الحقيقة أن الولايات المتحدة لم تخرج على هذه السياسة إلا بالنسبة للصين. فقد اتخذت عدم وجود إعلان رسمى بالحرب بين اليابان والصين ذريعة لتقديم مساعداتها للصين، بعد أن أسفر الهجوم اليابانى سنة ١٩٣٧م عن احتلال بكين، ونانكين، ومعظم الموانى المهمة مثل كانتون وشنغهاى.

أما بالنسبة للميادين الأخرى، فقد تمسكت بسياسة الحياد. ففى أثناء الأزمة التشيكية أجبر أنصار العزلة روزفلت على الإدلاء

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بتصريح قال فيه: «إن الذين يظنون الولايات المتحدة لابد أن تؤازر الطرف المعادى لألمانيا مخطئون».

وقد حاول روزفلت بعد تلبد الموقف الدولى أن يعدل قانون الحياد بحيث يسمح ببيع الأسلحة، بشرط أن تدفع أثمانها فورا، وأن تحمل على سفن الدول التى تشتريها، ولكن لجنة الشئون الخارجية بالكونجرس رفضت هذا الاقتراح.

على أنه بعد قيام الحرب، واجتماع الكونجرس فى أكتوبر ١٩٣٩م، ظهر أن الأغلبية أصبحت تميل إلى سياسة روزفلت، فوافقت على القانون السابق الذى عرض باسم «إدفع واحمل» Cach and Carry (لم تخترقه سوى مرة واحدة عند غزو روسيا فنلندا، مما دل على أن الشيوعية عندها كانت أكثر خطرا من الفاشية!).

ومنذ ذلك الحين أخذت سياسة الولايات المتحدة تتجه نحو التحيز لبريطانيا تدريجيا. وقد مر هذا التحيز بعدة مراحل:

الأولى: وتبدأ بصدور قانون «إدفع وأحمل» حتى سقوط فرنسا. وفى هذه المرحلة حافظت الولايات المتحدة على الحياد من الناحية الشكلية. ومن الناحية العملية لم يستفد من القانون سوى دول الحلفاء لسببين: الأول عدم امتلاك ألمانيا أرصدة من العملة الأمريكية تشترى بها وتحمل! بخلاف بريطانيا وفرنسا. والثانى، أن وسائل ألمانيا للنقل عبر الأطلنطى لم تكن متوافرة كما هو الحال بالنسبة لبريطانيا.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أما المرحلة الثانية، فتبدأ بسقوط فرنسا ودخول إيطاليا الحرب وسيطرة هتلر على القارة الأوروبية.

فقد بدأت أمريكا تشعر بالضرر الاقتصادى من جراء النظام الجديد الذى فرضه هتلر على أوروبا، والذى يقوم على مبدأ الاكتفاء الذاتى. هذا فضلا عن اقتراب الخطر من الأمريكيين بسبب استيلاء ألمانيا على دول لها ممتلكات فى العالم الجديد، مثل الدانمارك التى كانت تمتلك جرينلاند فى شمال القارة، وهولندا التى تمتلك جزءًا من غيانا Guiana وبعض الجزر الاستوائية، وفرنسا التى تمتلك جزءًا آخر من غيانا وعدة جزر فى البحر الكاريبى وجزيرتين قرب ساحل كندا.

وفى الوقت نفسه خشى روزفلت وأتباعه من اختلال التوازن فى البحار لو دخلت اليابان الحرب، واستولى الألمان على الأسطول الفرنسى، فعندئذ سوف تصبح الولايات المتحدة تحت رحمة المعتدى.

لذلك تغيرت المفاهيم الاستراتيجية فى أمريكا تغيرا أساسيا، واتفق على أن تدخل جميع الجزر التابعة للدول الأوروبية فى منطقة الأمن الأمريكية. وأكثر من ذلك اتفقت أمريكا مع منظمة الدول الأمريكية على أن تقيم حاجزا عسكريا على مسافة ٣٠٠ ميل من سواحلها، وتحظر على السفن المتحاربة القيام بعمليات داخل هذه المنطقة الواسعة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كما أصدرت الولايات المتحدة قانون التجنيد الإجبارى (كان الجيش الأمريكى سنة ١٩٣٣م عدده ١٣٥ ألف، أى أصغر من الجيش البولندى!) وزيادة مخصصات الدفاع.

وبالتالى، فقد ترتب على هذا التحول تحول آخر فى نظام المساعدات لبريطانيا، فأبرمت فى ٢ سبتمبر ١٩٤٠م مع بريطانيا اتفاقا يقضى بتقديم ٥٠ مدمرة أمريكية، فى مقابل تأجير خمس قواعد بحرية وجوية فى جزر الهند الغربية الواقعة فى خطة الدفاع الأمريكى لمدة ٩٩ عاما. (تشرشل لوح بسقوط بريطانيا وانتقال المقاومة إلى كندا).

كما هددت الولايات المتحدة حكومة فيشى الفرنسية بقطع المؤن عنها إذا سلمت الأسطول الفرنسى لألمانيا أو سمحت للألمان بالتسلل إلى الإمبراطورية.

وما لبث تحيزالولايات المتحدة لبريطانيا أن دخل مرحلة جديدة حين أقنع تشرشل روزفلت، بعد نجاحه فى الانتخابات، بعجزه عن شراء الأسلحة حسب قانون «إدفع واحمل»، لاستنفاد بريطانيا إمكاناتها للحصول على الدولار، ونفاد احتياطيها من الذهب تقريبا، وبالتالى فلم يعد مفر من الافتراض كما حدث فى الحرب الأولى.

فأصدر روزفلت فى ١١ مارس سنة ١٩٤١م «قانون الإعارة والتأجير» المشهور The Lease - Lend Act. وقد حمل الكونجرس على

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الموافقة عليه بقوله: «إذا كان بيت جارك يحترق، فيجب عليك أن تقدم له المياه أولا ثم تطلب إليه بعد ذلك ثمنها!».

وبهذا القانون لم تخرج الولايات المتحدة من الحياد رسميا فحسب، بل إنه يعتبر بداية لسياسة المساعدات الخارجية، التى استمرت واتسعت بعد انتهاء الحرب ولعبت دورها فى الحرب الباردة.

ولم تلبث الولايات المتحدة أن خطت خطوة أبعد فى مشاركة بريطانيا فى تحمل أعباء الحرب. ففى الفترة من يناير إلى يونية ١٩٤١م، كانت خسائر الأسطول البريطانى قد بلغت أقصى حد لها، وأعلن تشرشل أن أعباء نقل الأسلحة عبر الأطلنطى أصبحت فوق الطاقة، لتوزع مهام الأسطول البريطانى على مختلف المحيطات، وتركز الأسطول الألمانى فى مناطق محدودة، منها الأطلنطى.

فقرر روزفلت نقل البضائع المرسلة إلى بريطانيا بواسطة الأسطول الأمريكى إلى منتصف الطريق - أى إلى جزيرة أيسلندا Iceland، التى كانت من أملاك الدانمارك واحتلها الإنجليز عند استيلاء الألمان على الوطن الأم، وقد حلت القوات الأمريكية فيها محل القوات البريطانية.

وفى ذلك الحين كانت الولايات المتحدة قد استولت على جميع سفن المحور الموجودة فى موانيها، كما استحوذت فى أبريل ١٩٤١م على جزيرة جرينلاند، ووضعتها تحت حمايتها المؤقتة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولقد كان بسبب تورط الولايات المتحدة إلى هذا الحد فى الحرب، خصوصا بعد صدور قانون الإعارة والتأجير، أن أصبح من حقها أن يكون لها رأيها فى خطط الدفاع.

وقد ظهرت خلافات مهمة حول هذا الموضوع حسب أهميتها الاستراتيجية على النحو الآتى: الأطلنطى، جنوب شرقى آسيا، المحيطات الأخرى، الشرق الأوسط. أما الحكومة البريطانية فكانت تقدم الشرق الأوسط على الشرق الأقصى، وتنوى الانسحاب من المحيط الهادى إذا أرغمتها اليابان على ذلك.

ومن ناحية أخرى، فإن الحرب إلى ذلك الحين - أى قبل هجوم ألمانيا على الاتحاد السوفيتى فى ٢٢ يونيه ١٩٤١م - كانت تدور بين دول ليبرالية ودول شمولية Totalitarian States، وكانت الولايات المتحدة تعلن تأييدها للدول الليبرالية فى نضالها ضد الدول الشمولية - فلما دخل الاتحاد السوفيتى، وهو دولة شمولية الحرب ضد ألمانيا، تطلب الأمر إعادة النظر فى الموقف السياسى للندن وواشنطن.

ولبحث هذه الموضوعات جميعها، تقابل تشرشل مع روزفلت على ظهر المدرعة «برنس ويلز» فى المحيط الأطلنطى فى خليج أرجنتيا Argentia بجزيرة نيوفوندلاند. وتم فى هذا اللقاء إصدار ميثاق الأطلنطى المشهور Atlantic Charter فى أغسطس ١٩٤١م، الذى ضمنه الزعيمان البريطانى والأمريكى بعض المبادئ المشتركة التى تبنى عليها الدولتان «آمالهما لإقامة عالم أفضل».

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهى مبادئ كان القصد منها فى الحقيقة - كما تبين بعد الحرب - خداع شعوب العالم المستعمرة والتابعة، وإفساح الأمل أمامها للتحرر، عن طريق الإسهام بإمكاناتها البشرية لهزيمة المحور - بدليل أن تشرشل - كما يدعى فى مذكراته - هو الذى بادر إلى اقتراح هذه المبادئ، مع أنها تتعارض مع سياسة بريطانيا فى ذلك الوقت!

وتتلخص مبادئ ميثاق الأطلنطى فى أن الدولتين لا تبغيان أى توسع إقليمى، وتتعهدان بعدم إجراء أية تعديلات إقليمية مضادة لرغبة الشعوب المعنية، والاعتراف بحق كل شعب فى اختيار شكل الحكم الذى يريده، وإعادة حقوق السيادة والحكم الذاتى للشعوب التى سلبت منها هذه الحقوق بالقوة، والمساواة بين جميع الأمم فى التجارة، والحصول على المواد الخام، وتحسين الأحوال المادية اللازمة للحياة، والأمل فى إقامة سلام يضمن للناس جميعا التحرر من العوز والخوف، كما يضمن لهم حرية عبور المحيطات والبحار دون عائق.

ومن ذلك يتضح أن الميثاق صيغ فى شكل لا يمنع الاتحاد السوفيتى من الاشتراك فيه، رغم إعلان الدولتين تأييدهما للحرية الاقتصادية، إذ نصت المادة الثالثة على حق كل شعب فى اختيار شكل الحكم الذى يريده.

كما اتفق روزفلت وتشرشل عند توقيع الميثاق على بذل المعونة للاتحاد السوفيتى.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتعتبر مبادئ الميثاق فى مضمونها العام ترديدا لمبادئ الدكتور ولسن رئيس الولايات المتحدة أيام الحرب العالمية الأولى،التى تجاهلها الحلفاء بعد الحرب، كما تجوهلت مبادئ ميثاق الأطلنطى نفسه بعد الحرب العالمية الثانية أيضا!

وفى ٢٤ سبتمبر ١٩٤١م، اجتمع ممثلو الدول المتحالفة التى تضم بريطانيا، والحكومات الأوروبية المنفية فى بريطانيا، والحكومات المؤقتة التى شكلها أعداء النازية، بالإضافة إلى الاتحاد السوفيتى - واشتركوا فى هذا الميثاق.

وفى ٧ ديسمبر ١٩٤١م، هاجمت اليابان الأسطول الأمريكى فى قاعدة بيرل هاربر فى جزر هاواى، فبدأت مرحلة جديدة فى العلاقات الدولية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(ثانياً) أوروبا تحت الحكم النازى

لم ينج من السيطرة الألمانية فى أوروبا سوى أربعة دول هى: السويد وسويسرا وأسبانيا والبرتغال.

وتنقسم الدول التى وقعت تحت السيطرة الألمانية إلى قسمين:

دول احتلها الألمان، ودول تحالفت مع الألمان.

وبالنسبة للدول التى احتلها الألمان فلم يعاملوها معاملة واحدة، فطبقا للنظرية النازية فى تفاوت الأجناس، فرق الألمان بين ثلاثة أنواع من الدول المختلفة:

النوع الأول، هى الدول التى يمكن تحويلها إلى بلاد جرمانية. وقد طهرت هذه الدول بوسائل العنف من الأجناس الغريبة، وضمت إلى الرايخ. وتتمثل هذه البلاد فى النمسا، والسويد، ودانزج، ودول البلطيق،والألزاس واللورين، وشمال سلافونيا Slavonia، وإستريا Istria، والتيرول الإيطالى Tyrol بعد هزيمة إيطاليا.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أما النوع الثانى،فيتمثل فى الأقطار التى اعتبرت «مجالا حيويا» للجرمان Lebensraum، ويسكنها عادة أجناس من الدرجة الدنيا - حسب النظرية النازية - وقد ألغيت الحكومات الوطنية لهذه الأقطار، ووضعت تحت الحكم النازى مباشرة، وهى بوهيميا Bohemia وموراڤيا Moravia وبولندا.

وعندما احتلت أراضى الاتحاد السوفيتى، أخضعت أيضا لإدارة مباشرة، وعين روزنبرج Rosenberg فيلسوف الحزب النازى، مديرا للإدارة المدنية فى الأراضى المحتلة، لوضع النظرية موضع التطبيق. ولذلك شرد أهالى المناطق وحرموا من الضروريات.

أما النوع الثالث، فيتمثل فى الأراضى المحتلة عسكريا مع الإبقاء على حكومات وطنية فيها. وقد اختلفت معاملة الألمان لهذه الأقطار، فعوملت هولندا وبلجيكا والدانمارك وفرنسا والنرويج معاملة حسنة نسبيا.

أما يوجوسلافيا واليونان، فقد عوملتا معاملة قاسية. خصوصاً يوجوسلافيا، التى مزقت تماماً، فأقيمت دولة مستقلة فى «كرواتيا Croatia» تدور فى فلك إيطاليا، واعتبرت من الدول الحليفة للمحور، ووسعت حدودها على حساب الأقاليم الأخرى، فضمت إليها البوسنة Bosnia والهرسك Herzegovina، ثم منحت أجزاء كثيرة من ساحل دالماشيا Dalmacia.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أما الدول المستقلة، التى تحالفت مع الألمان رغبة أو رهبة، فتتمثل فى المجر، التى كانت ميولها واضحة مع ألمانيا منذ سنة ١٩٣٨م . وقد استفادت من ذلك استيلاءها على جنوب سلوفاكيا، وروتينيا Ruthenia، ومعظم ترانسلفانيا Transylvania، وجزء من الأراضى اليوغوسلافية - وذلك على الرغم من أنها تجنبت الاشتراك فى الحرب.

على أن المجر لم تلبث أن دخلت فى التبعية الألمانية، وتورطت إلى حد الاشتراك فى الحرب ضد الاتحاد السوفيتى، مما دفع بريطانيا إلى إعلان الحرب عليها.

ولكنها حاولت الخروج من ورطتها بعد تغلب كفة الحلفاء، فتخابرت سرا معهم لعقد الهدنة دون قيد ولا شرط. ولكن هتلر تنبه إلى هذه المحاولات، واحتل البلاد فى مارس ١٩٤٤م وأقام فيها حكومة موالية.

كذلك كانت رومانيا وبلغاريا حليفتين أساسيتين لألمانيا فى البلقان.

فقد أعلنت رومانيا الحرب على الاتحاد السوفيتى، وسلمت للألمان حقول البترول، وطبقت السياسة المناوئة لليهود. وقد مكنتها الانتصارات الألمانية من استرداد بسارابيا، وبوكوفين الشمالية،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأخذت تعويضا عن ترانسلفانيا يتمثل فى جزء من الأراضى السوفيتية يضم ميناء أوديساOdessa على البحر الأسود.

أما بلغاريا فقد تعاونت مع الألمان، ولكنها لم تعلن الحرب على الاتحاد السوفيتى لما تشعر به من صلة القرابة مع الروس، واتجهت أطماعها إلى اليونان ويوجوسلافيا، فاحتلت جزءًا من مقدونيا وتراقيا.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(ثالثاً) فرنسا والإمبراطورية الفرنسية فى أثناء الحرب

بعد دخول الألمان باريس وانهيار فرنسا، قبلت الحكومة الفرنسية شروط الهدنة التى اشترطتها المانيا، ووقع المندوبون الفرنسيون اتفاق الهدنة يوم ٢٢ يونيه ١٩٤٠م فى مدينة كومبيان Compéin. وبعد يومين وقعت شروط الهدنة مع إيطاليا.

وقد قضت شروط الهدنة مع المانيا بأن تحتل كل الجزء الذى يقع إلى الشمال وإلى الغرب من خط يمتد من جنيف إلى تور Tours، ثم جنوبا إلى حدود أسبانيا.

وفى هذه المنطقة المحتلة، والمشتملة على ثغور القنال الإنجليزى والمحيط الأطلنطى، أصبح للألمان حقوق دولة الاحتلال فيما عدا الإدارة المحلية. وكان على فرنسا أن تتحمل كلها نفقات الاحتلال.

أما القوات الفرنسية، فقد قضت الشروط بنزع سلاحها وتسريحها، فيما عدا تلك القوات اللازمة لحفظ النظام العام.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكان على الأسطول الفرنسى أن يبحر إلى موانى محددة لنزع سلاحه وشل قدرته الحربية. وأعلنت ألمانيا أنها لن تستخدم هذا الأسطول ضد إنجلترا، ولن تحتفظ به بعد إتمام الصلح.

وكان على فرنسا أن تطلق سراح الأسرى الألمان، أما أسرى الحرب الفرنسيين فيظلون فى أيدى الألمان.

أما شروط الهدنة مع إيطاليا، فقد قضت بتحويل مناطق محددة فى جنوب فرنسا وتونس والجزائر والصومال الفرنسى إلى مناطق عسكرية، وبأن يكون لإيطاليا حقوق كاملة على ميناء جيبوتى، وأن تسلم فرنسا إيطاليا كل عتاد القوات الفرنسية على الجبهة الإيطالية.

أما الجزء غير المحتل من فرنسا، فقد بقى تحت السيادة الاسمية للحكومة الفرنسية، التى نقلت عاصمتها إلى فيشى Vichy. وكان على رأس هذه الحكومة المارشال «بيتان» Pétain ، الذى طلب إلى الألمان منحه سلطات مطلقة بما فى ذلك تعديل دستور الجمورية الثالثة.

واستناداً إلى هذه السلطات، أحدث بيتان تغييرات أساسية فى نظام الدولة، وأنهى بذلك عهد الجمهورية الثالثة. فقد ألغى رياسة الجمهورية، وعطل مجلس البرلمان، واتخذ لنفسه لقب رئيس الدولة.

وقد اعترفت حكومة الولايات المتحدة بحكومة فيشى فى فرنسا والمستعمرات، وظلت على هذا الاعتراف حتى غزو شمال أفريقيا.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أما بريطانيا فقد ساءت العلاقات بينها وبين حكومة فيشى بعد توقيع الهدنة بقليل. ففى الثالث من يوليه ١٩٤٠م استولت بريطانيا بالقوة على البوارج الحربية الفرنسية الراسية فى ميناء بليموث Ply-mouth وبورتسموت Portsmouth، ثم شلت حركة الأسطول الراسى فى ميناء الإسكندرية.

ثم حاولت إغراء قائد الأسطول الفرنسى الراسى فى وهران بالجزائر على مواصلة القتال مع الأسطول البريطانى، أو على الإبحار إلى أمريكا حيث ينزع سلاحه. ولما فشلت هذه المحاولات أطلق أسطول البحر المتوسط البريطانى نيرانه على السفن الفرنسية، ودمر عددا منها، وهكذا قطعت العلاقات الدبلوماسية بين البلدين، وشرعت بريطانيا فى إخضاع المستعمرات الفرنسية لنظام الحصار.

وفى تلك الأثناء، كان الجنرال ديجول De Gaulle قد لجأ إلى بريطانيا على أثر تشكيل حكومة بيتان. ومن لندن وجه نداء فى ١٨ يونيو ١٩٤٠م يحث الفرنسيين فيه على رفض الهدنة والاستمرار فى المقاومة.

وشرع هو فى تكوين نواتها تحت قيادته من فلول القوات الفرنسية المنسحبة من النرويج ودنكرك. وكذلك تطوع بعض بحارة البوارج الراسية فى الموانىء البريطانية وفى الاسكندرية للخدمة تحت قيادته.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وسمحت له بريطانيا باتخاذ أراضيها مقرا لهذه القوات. واتفقت معه على تكوين وحدات برية وبحرية وجوية، تكون لها الأولوية فى العمليات الخاصة بفرنسا أو بإمبراطوريتها - وقد أطلق ديجول على هذه القوات اسم «قوات فرنسا الحرة». وهكذا وجد نظام مزدوج فرنسى ظل قائما إلى نهاية الحرب. فهناك حكومة فرنسية فى فيشى، وهناك حكومة فى المنفى.

وبالنسبة لحكومة فيشى فقد انقسم مجلس الوزراء فى بداية عهد بيتان إلى فريقين:

الأول، يدعو إلى التعاون مع ألمانيا فى نطاق شروط الهدنة، مع عدم التحول إلى معاداة بريطانيا. ويتمثل هذا الفريق فى المحافظين الذين يتكونون من البورجوازية العليا، والكاثوليك المتدينين الذين يكرهون دستور الجمهورية الثالثة لأنه يتيح لليسار الوصول إلى الحكم، ويفضلون نظام التمثيل المهنى، ويعتقدون بحق طبقتهم فى الحكم، ومن أبرز شخصيات هذا الفريق الجنرال ويجان Weygand.

أما الفريق الثانى، فكان يدعو إلى التعاون التام مع ألمانيا بحجة الضرورة الاقتصادية والمحافظة على سلامة الإمبراطورية، خاصة وكانت الريح فى ذلك الحين مع الشراع الألمانى. وكان هذا الفريق يمثل تيارا يتكون من اليمينيين الفرنسيين، وعلى رأسه بيير لافال Pierre Laval، الذى كان يعتقد أن الألمان يسيطرون على أوروبا، ولذلك يجب على فرنسا التعاون معهم والتخلى عن بريطانيا الغريبة عن القارة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى الفترة من عقد الهدنة إلى أبريل ١٩٤٢م، حاول بيتان اللعب على الحبلين. ففى ١٢ يوليو ١٩٤٠م عين لاڤال نائب رئيس للوزراء. وكـان لاڤـال هو الذى مـهد للمقابلة بين بيتان وهتلر التى تمت فى «مونتوار»، ولكنها لم تسفر عن شىء مهم لفرنسا، ولذلك أقيل لافال من الخارجية فى ديسمبر ١٩٤٠م.

كما عين المارشال بيتان الجنرال ويجان Weygand قائدًا عاما للقوات الفرنسية فى شمال أفريقيا، حيث توجد أكبر قوة فرنسية مسلحة، وفى الوقت نفسه عقد اتفاقية سرية مع بريطانيا فى نهاية ١٩٤٠م، تعهدت فيها بريطانيا باحترام الإمبراطورية الفرنسية مادام أنها لا تمنح ألمانيا امتيازات فيها، وعدم التعدى على المستعمرات التى تدين بالولاء لحكومة فيشى، فإذا أجبرت فرنسا على التعاون مع المحور تسقط بريطانيا هذه الالتزامات، وكذلك إذا استخدم الألمان القوة للاستيلاء على الأسطول الفرنسى، فيجب على ضباطه إغراقه فى الحال - وهو ما سيحدث فعلا بعد ذلك.

على أن بيتان، فى الوقت نفسه، عين الأميرال دارلان Darlan وزيرا للحربية والبحرية ونائبا لرئيس الوزراء. وكان دارلان يحقد على بريطانيا سيادتها على البحار، وهذا ما دفع به إلى سياسة التعاون مع ألمانيا فى مقابل مكاسب يحصل عليها. لذلك وقع معها اتفاقية فى مايو ١٩٤١م، تعد فيها ألمانيا بأن تحتل فرنسا مكانا رئيسيا فى مؤتمر الصلح، وأن تزاد قواتها فى أفريقيا، مقابل فتح مطارات سوريا للألمان، وفتح قاعدة بنزرت ودكار للأسطول الألمانى.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولكن ويجان اعترض على اتفاقية مايو ١٩٤١م، وعرقل تنفيذها باعتباره قائدا عاما للقوات الفرنسية فى شمال أفريقيا، مما أفقد الألمان الثقة فى دارلان. وطالبوا بإعادة لاڤال إلى الحكم، وإبعاد ويجان من شمال أفريقيا. وقد أبعد ويجان من منصبه، وعاد لاڤال فى ١٨ أبريل ١٩٤٢م رئيسا للوزراء، وأصبح الدكتاتور الحقيقى فى فرنسا.

وبذلك أصبحت فيشى تسير على سياسة التعاون التام مع الألمان، فى الوقت الذى بدأت فيه الحرب تتحول فى صالح الحلفاء!

وبعد أن كان الخلاف يدور بين أنصار الحياد وأنصار التعاون مع ألمانيا فى الحكومة، أصبح الخلاف يدور بين الحكومة المتعاونة، وأنصار المقاومة السرية للاحتلال الألمانى.

وقد حصل لاڤال من ألمانيا على بعض الامتيازات، مثل الإبقاء على عشرين فرقة مسلحة فى شمال أفريقيا، وتسهيل المرور بين المنطقة المحتلة وغير المحتلة.

وفى مقابل ذلك، قبل تطبيق نظام العمل الإجبارى الذى فرضه الألمان على الأراضى المحتلة. وإن حاول تحقيقه شكليا بأن فتح باب التطوع، وطلب من الألمان جعل حشد الرجال من اختصاص السلطة الفرنسية (فرضت ألمانيا على الأقطار الخاضعة لها نسبة معينة من الرجال والنساء للعمل فى المصانع الألمانية، وحشدت من هؤلاء نحو ستة ملايين!).

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وذهـــب لافـــال فى التعاون إلى حد الموافقة على تسليم بعض الرهائن الفرنسية للانتقام منهم فى حالة وقوع اعتقالات، وفى ذلك قضاء على روح المقاومة.

على أن الألمان لم يلبثوا أن خرقوا شروط الهدنة، واحتلوا البلاد احتـلالا شامـلا يوم نزول الحلفاء فى شمال أفريقيا فى نوفمبر ١٩٤٣م. ولكن القوات الألمانية عندما دخلت طولون بقصد الاستيلاء على الأسطول الفرنسى، وجدت أن الفرنسيين قد أغرقوا أسطولهم بأيديهم!.

وقد انقسمت المستعمرات الفرنسية بين الولاء لحكومة فيشى والولاء لديجول. ويلاحظ أن المستعمرات التى تحولت مبكرة إلى صف ديجول فى صيف ١٩٤٠م كانت إما واقعة وسط مستعمرات بريطانية، وترتبط بها اقتصاديا، مثل المراكز الساحلية الخمس فى الهند، ومثل تشاد التى تعتمد اقتصاديا عل نيجيريا. وإما مستعمرات بعيدة جدا عن فرنسا، مثل الجزر الأقيانوسية: تاهيتى Tahiti وخاليدونيا الجديدة New Calidonia وهبرايد الجديدة New Heb-rides.

أما بقية أفريقيا الوسطى، فلقلة عدد المستوطنين فيها، كان هؤلاء المستوطنون الفرنسيون فى المستعمرات من أشد العناصر المؤيدة لنظام حكومة فيشى. وقد جاء أول إعلان بالولاء لديجول من جزيرة تاهيتى بالمحيط الهادى، وتشاد فى أفريقيا الوسطى، وتلا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ذلك بقليل تحول الكاميرون، والكونغو، وأوبانجى، إلى فرنسا الحرة.

وقد شجع ذلك بريطانيا على إرسال حملة مشتركة مع ديجول فى ٢٢ سبتمبر ١٩٤٠م لاحتلال داكار، وتحويل غرب أفريقيا الفرنسية إلى فرنسا الحرة.

ولكن الحملة منيت بفشل ذريع، إذ عرفت حكومة فيشى أسرار الحملة، فاستاذنت ألمانيا فى إرسال خمس سفن حربية إلى داكار، وبذلك صدت الحملة.

ونتج عن هذا الفشل أن فقدت بريطانيا الثقة بديجول. على أنها لم تلبث أن أعادت التجربة فى سوريا ولبنان فى يونيو ١٩٤١م بعد تردد طويل.

وكان المندوب السامى الفرنسى قد نهج نهج المقيمين العامين فى شمال أفريقيا، فأعلن ولاءه لحكومة فيشى، واعترفت بريطانيا بالوضع فى سوريا ولبنان، بسبب دخول إيطاليا الحرب، وتحرج مركزها فى شرقى لبحر المتوسط.

على أنه عندما أخذت العلاقات تسوء بينها وبين حكومة فيشى، قفلت بريطانيا الحدود بين المناطق الخاضعة لها وبين سوريا ولبنان، وأوقفت انسياب البترول من آبار العراق، وفرضت حصارا بحريا على سوريا ولبنان، فهددت المجاعة بالانتشار.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبعد وقوع حركة رشيد الكيلانى فى العراق فى نهاية أبريل ١٩٤١م، وفتح حكومة ڤيشى مطارات سوريا للألمان، اقتنعت بريطانيا بدعوة ديجول لإنفاذ حملة إلى سوريا.

ولكن الخلاف قام بينها وبين ديجول حول الوضع السياسى لسوريا ولبنان بعد الحملة، فبينما كانت بريطانيا ترى انتهاز هذه الفرصة لإرضاء مشاعر العرب عن طريق إعلان استقلال البلدين، رفض ديجول الاشتراك فى هذا التصريح، اكتفاء بوعد مبهم بإعلان استقلال سوريا ولبنان، بشرط الارتباط بمعاهدة كتلك التى ترتبط بها مصر والعراق مع بريطانيا.

ولكن تشرشل كتب إلى ديجول يسجل عليه وعده لسوريا ولبنان بالاستقلال، وطلب إلغاء لقب المندوب السامى وأن يحل محله لقب «المفوض العام فى سوريا ولبنان». ولكن ديجول رفض فكرة إصدار تصريح مشترك.

على أنه فى ليلة الزحف على سوريا فى ٢١ مايو ١٩٤١م، أعلن الجنرال كاترو، ممثل ديجول فى الحملة، إنهاء الانتداب، وأصدرت بريطانيا ضمانا لهذا التصريح.

ولكن قوات فيشى قاومت مقاومة عنيفة، مما استدعى مساهمة بريطانية أكبر. ومنذ ٢٠ يونيو ١٩٤١م انهارت مقاومة قوات فيشى، فسقطت دمشق، وتقدم الحلفاء نحو لبنان، وتوسطت الولايات

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المتحدة لإيقاف القتال على أساس انسحاب سلطات فيشى من البلاد

وفى ١٤ يوليو ١٩٤١م عقدت الهدنة فى عكا بين بريطانيا وسلطات فيشى، وفيها خيرت القوات الفرنسية فى سوريا ولبنان بين العودة إلى فرنسا أو الانضمام إلى قوات فرنسا الحرة، كما سمح للإداريين الفرنسيين بالبقاء فى مناصبهم دون أخذ تعهد سابق بالولاء لحكومة فرنسا الحرة.

وكانت هدنة عكا بالإضافة إلى تولى الإنجليز القيادة العليا فى سوريا ولبنان طوال فترة الحرب، من عوامل الخلاف بين بريطانيا وديجول طوال مدة الحرب.

وفى نوفمبر ١٩٤٢م نزلت القوات البريطانية والأمريكية فى حملة هائلة بلغت ٨٥٠ سفينة، تحت قيادة إيزنهاور، فى شمال أفريقيا بقرب الدار البيضاء فى المغرب، وفى وهران، وفى مدينة الجزائر.

وقد نسقت هذه الحملة مع هجوم عام قام به الجيش الثامن بقيادة الجنرال مونتجمرى فى الصحراء الغربية، واستطاع به أن يدفع المحور أمامه بقيادة روميل إلى طرابلس، ثم توقف أمام خط «ماريث» Mareth الذى كان الفرنسيون قد أنشئوه للاحتماء من الطليان.

ولم تلق الحملة مقاومة فرنسية تذكر فى مدينة الجزائر إلا من بطاريات البحرية وبطاريات السواحل. وسرعان ما أعقب سقوط

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الجزائر سقوط وهران والدار البيضاء. فقد أعلن الأميرال دارلان Admiral Darlan، الذى كان على اتصال بالحلفاء، أمره بإيقاف القتال رغم تعليمات بيتان بالمقاومة، معلنا نفسه مفوضا بشمال أفريقيا، وتبعه «بواسون» الحاكم العام لأفريقيا الغربية. وقد واجه هتلر ذلك باحتلال بقية الأراضى الفرنسية فى شمال أفريقيا، وطلب من حكومة فيشى الموافقة على نزول قوات ألمانية فى تونس، ولم ينتظر الموافقة، بل أرسل قوات ضخمة إليها.

وفى مؤتمر الدار البيضاء قرر الحلفاء تطهير جميع أفريقيا من المحور، وكانت ألمانيا قد أرسلت قوات إلى تونس كما ذكرنا، ولكنها أصبحت بين فكى كماشة، فقد التف مونتجمرى حولها جنوب خط ماريث، فى حين زحفت القوات أمريكية البريطانية من الغرب. وفى ٧ مايو ١٩٤٣م نزل الأمريكيون فى بنزرت، وبعد يومين استسلمت قوات المحور.

ويهمنا هنا العلاقات بين قيادة الحملة وقوات ڤيشى من جهة، وقوات ديجول من جهة أخرى، لما لها من تأثير على الوضع فى شمال أفريقيا بعد الحرب.

كانت قوات ڤيشى فى شمال أفريقيا تقدر بنحو مائتى ألف، فيهم عدد كبير من المغاربة. وكانت سياسة حكومة ڤيشى مقاومة أى تدخل فى الممتلكات الفرنسية، سواء من جهة الألمان أو الحلفاء أو فرنسا الحرة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لذلك قامت خطة الحلفاء على صبغ الحملة بالصبغة الأمريكية، لتحقيق هدفين : الأول: امتناع حكومة ڤيشى عن المقاومة. والهدف الثانى الحصول على تعاون بعض العناصر العسكرية الڤيشية لاجتذاب تأييد العسكريين والمستوطنين فى شمال أفريقيا.

وبالنسبة للأمر الأول، فقد كانت حكومة ڤيشى تعلم أن الولايات المتحدة ليست متهمة بأطماع فى الإمبراطورية الفرنسية، فضلا عن ذلك فإن الولايات المتحدة كانت حريصة على علاقاتها مع حكومة فيشى، وقد ظلت تتبادل معها التمثيل السياسى، وكانت أمريكا تمد فرنسا وشمال أفريقيا بالمواد الغذائية.

وكان للأميرال «ليهى» Fleet Admiral Leahy، المبعوث الشخصى للرئيس روزفلت، أصدقاء كثيرون فى الأوساط الفرنسية، كما كان روزفلت ووزير خارجيته يعارضان بصفتهما الشخصية الحملات الصحفية على حكومة ڤيشى لاضطهادها لليهود، ولم يتحولا عن موقفهما حتى بعد أن أصبح لاڤال، المتعاون مع الألمان، الدكتاتور الحقيقى فى فرنسا منذ ١٨ أبريل ١٩٤٢م.

لذلك كان هناك أمل فى امتناع القوات الفرنسية عن المقاومة إذا ما عرف أن الحملة أمريكية، حتى إن تشرشل فكر فى أن يرتدى الجنود البريطانيون المشتركون فى الحملة الزى الأمريكى!

هذا على كل حال يفسر تجاهل الحلفاء للجنرال ديجول تماما عند إعداد الحملة، لأن اشراكه فيها كان يتناقض مع هذا الهدف،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وذلك لعداء حكومة فيشى له من جهة، وشعور العداء الذى كان يغلب على العسكريين والمستوطنين فى شمال افريقيا نحوه من جهة أخرى.

يضاف إلى ذلك أن العلاقات كانت قد ساءت بينه وبين بريطانيا فى صيف ١٩٤٢م بسبب انفراد البريطانيين بغزو مدغشقر فى أبريل ١٩٤٢م، وتدخلهم للاسراع بالانتخابات فى سوريا ولبنان، ثم رفع الحصار عن مستعمرة جيبوتى التابعة لحكومة فيشى.

وإن كان تشرشل قد أراد تجنب وقع استبعاده من الحملة، فدعاه يوم نزولها وأخبره أن بريطانيا قررت تسليم مدغشقر إليه.

أما بالنسبة للولايات المتحدة، فلم تكن تعترف بالجنرال ديجول، وكانت تنظر إليه دائما نظرة شك وارتياب، بدليل أنه حين كسب ديجول ولاء «سان بيتر»، و«ميكيلون» وهما جزيرتان قرب ساحل نيوفوندلاند بكندا، هددت الولايات المتحدة باستخدام القوة إذا لم تنسحب منهما «من تسمى نفسها بقوات فرنسا الحرة»!.

فإذا انتقلنا إلى الهدف الثانى من صبغ الحملة بالصبغة الأمريكية، وهو الحصول على تعاون بعض العناصر الفرنسية الفيشية، واجتذاب تأييد العسكريين والمستوطنيين الفرنسيين فى شمال أفريقيا ـ فقد تمت بالفعل عدة اتصالات مع شخصيات فرنسية مختلفة لاجتذاب تعاونهم، وكان على رأس هؤلاء الجنرال

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويجان، رغم إنه عزل من قيادة شمال أفريقيا، ولكنه أصر على ولائه «لبيتان».

وقد اتجه الحلفاء إلى الجنرال «جيرو Giraud» الذى كان أسيرا فى يد الألمان ثم تمكن من الفرار إلى المنطقة غير المحتلة وظل مختفيا.

وقد تم الاتفاق معه على أساس التعاون فى شمال أفريقيا على أن يعتبر الحلفاء فرنسا حليفة، ويعلنون أن من أهداف الأمم المتحدة إحياءها، ويتعهدون باحترام الامبراطورية الفرنسية.

وقد وقع مبعوثه هذا الاتفاق مع «روبرت ميرفى Robert Murphy» القنصل الأمريكى فى الجزائر يوم ٣٢ أكتوبر ١٩٤٢م، وتقرر نقل جيرو من فرنسا إلى مقر الحملة فى جبل طارق.

على أنه حين وصل هناك ليلة الغزو، طالب بأن تكون له القيادة العامة كما حدث بالنسبة للماريشال فوش فى الحرب العالمية الأولى، الأمر الذى رفضه الحلفاء بالطبع، وبذلك فوت على نفسه زعامة الفرنسيين فى شمال أفريقيا.

وقد فتح هذا الطريق أمام «دارلان Admiral Darlan» الذى كان موجودا بالمصادفة فى الجزائر عند نزول الحملة، والذى كان قد عرض خدماته على الحلفاء فى أكتوبر ١٩٤٢م.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد أعلن دارلان عند نزول الحملة تحوله إلى جانب الحلفاء، واعترف له الأمريكيون بالجميل حينما أصدر أمرا بإيقاف القتال، وسلموا له بالقيادة المدنية فى شمال أفريقيا، رغم أنه ظل يعلن ولاءه للمارشال بيتان ظاهريا. فقد استند فى إيقاف القتال إلى رسالة تلقاها منه، ولما تلتها رسالة أخرى تأمر بالمقاومة ادعى أن المارشال بيتان أصبح أسير الألمان بعد الاحتلال الشامل.

وكان «لدارلان» بالفعل نفوذ على العسكريين والمدنيين على السواء، ويعتقد البعض أنه لو قدر له أن يعيش، لقطع الطريق أمام ديجول للوصول إلى الزعامة، ولكنه سرعان ما قتل بيد أحد أنصار ديجول المتعصبين فى ١٢ ديسمبر ١٩٤٢م، وقد علق ديجول على الحادث قائلا إن موت دارلان حل المشكلة، وفتح الطريق أمام الوحدة الفرنسية، لأن الإمبراطورية كانت مهددة بالانقسام.

على أن الأمريكيين كانوا يميلون إلى إحلال جيرو محل دارلان، ولكن لما كان جزء كبير من المستعمرات قد أعلن ولاءه كما ذكرنا لحكومة فرنسا الحرة، فإن اختيار جيرو كان كفيلا بإحداث انقسام فى القوات الفرنسية الموالية للحلفاء، وتوزيع ولائها بين جيرو وديجول، لذلك بقى جيرو فى أفريقيا الشمالية واحتفظ ديجول ببقية الإمبراطورية.

ولكن المساعى للتوفيق بين جيرو وديجول استمرت بعد مؤتمر الدار البيضاء، وتسلل أنصار ديجول إلى الجزائر. وفى يونيو ١٩٤٣م تم الاتفاق على تأسيس لجنة للتحرير الوطنى، وهى جبهة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تمثل جميع الفئات، وتتألف من خمسة أعضاء مدنيين، ويرأسها كل من ديجول وجيرو بالتناوب.

وقد تحولت إلى حكومة فرنسا المؤقتة بعد عام.

وأخذت هذه اللجنة تجند أبناء المستعمرات استعدادا لتحرير فرنسا، وقد انصرف جيرو إلى الشئون العسكرية، واهتم ديجول بتأكيد زعامته السياسية. ومن مقر قيادة اللجنة فى الجزائر تمهد الطريق أمام ديجول لكى يصبح رئيسا للحكومة المؤقتة بعد تحرير فرنسا.

هذه الظروف التى ذكرناها، توضح لنا كثيرا من معالم ما بعد الحرب، وأهمها ما يلى:

أولا: استتباب النفوذ الفرنسى فى شمال أفريقيا، ويرجع ذلك للأسباب الآتية:

١ - وجود أعداد كبيرة من العسكريين والمستوطنين الفرنسيين فى شمال أفريقيا، وحرص الحلفاء على اجتذابهم للتعاون، أو تجنيدهم.

٢ - اشتراك كل من العناصر الثيشية والحرة فى التعاون مع الحلفاء فى هذه الحملة.

٣ - إن الحملة كانت بالدرجة الأولى حملة أمريكية، ولم تكن لأمريكا فى ذلك الحين مطامع فى الإمبراطورية الفرنسية. وفى الواقع

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أن الحلفاء تركوا منذ البداية جميع الشئون المدنية والعسكرية في شمال أفريقيا للسلطات الفرنسية، ولذلك حين كون فرحات عباس حزبا في أبريل سنة ١٩٤٣م، وقدم برنامجا لسلطات الحلفاء أحالوه على الإدارة الفرنسية.

ثانيا: موقف التحدى الذى وقفه ديجول بعد الحرب من الولايات المتحدة وبريطانيا. وقد تمثل موقفه من الولايات المتحدة فى عدم قبوله بالزعامة الأمريكية، وانتهاجه سياسة أوروبية مستقلة تزيد عن الحد الذى يسمح به التوازن الدولى الجديد.

أما عن موقفه من بريطانيا، فقد تمثل فى منعها وحرمانها من دخول السوق الأوروبية المشتركة. ويعتقد أن موقف ديجول هذا يعتبر الأساس الذى بنيت عليه الوحدة الأوروبية، وظهورها كقوة مستقلة بين القوى الأعظم: قوة الولايات المتحدة، وقوة الاتحاد السوفيتى.

على كل حال فإذا كنت الإمبراطورية الفرنسية لم تتأثر فى شمال أفريقيا فقد تأثرت فى الهند الصينية. ولكن ذلك حدث فى نهاية الحرب فقط.

وكانت السلطات الفرنسية فى الهند الصينية قد استسلمت منذ البداية لمطالب اليابانيين، فلم تجد اليابان حاجة لإسقاط السيادة الفرنسية، وأبقت الإدارة كما كانت عليه حتى ظهر احتمال غزو

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الحلفاء للبلاد فى أوائل ١٩٤٥م، فطلبت إلى القائد الفرنسى هناك التعاون من أجل الدفاع عن الهند الصينية.

ولكن لما كان انتصار الحلفاء قد أصبح مؤكدا، فقد رفض القائد الفرنسى، وعندئذ أعلنت اليابان فى ١٠ مارس ١٩٤٥م انتهاء الاستعمار الفرنسى من الهند الصينية، فأعلن إمبراطور «أنام» An-nam استقلال فيتنام Vietnam بتأييد اليابانيين، وتبعه ملكا كمبوديا Cambodia ولاوس Laos.

ولكن حركة مقاومة للحكم الملكى قامت فى شمال فيتنام، وعلى رأسها «هوشى منه» الذى كان متصلا بالشيوعية، فأصبحت فيتنام موزعة بين قوتين:

الحركة الشيوعية فى الشمال، المعادية للحكم الفاشى اليابانى، والموالية - بالتالى - للحلفاء.

والحكومة الملكية الموالية لليابان فى سايجون Saigon.

وقد ساندت الولايات المتحدة بطبيعة الحال حركة هوشى منه، وأخذت تمدها بالأسلحة. وكان هذا هو أساس انقسام فيتنام إلى فيتنام شمالية وفيتنام جنوبية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(رابعاً) إيطاليا والإمبراطورية الإيطالية فى أثناء الحرب :

بينما استطاعت فرنسا المنهزمة الاحتفاظ بسيادتها على معظم إمبراطوريتها طول فترة الحرب.، فقدت إيطاليا إمبراطورتها فى أقل من سنة من دخولها الحرب. وكان دخول إيطاليا الحرب فى ١٠ يونيو ١٩٤٠م قد أدى إلى فتح جبهتين فى أفريقيا. ومع أن عدد المستوطنين الإيطاليين فى المستعمرات لم يكن يتجاوز ٢٥٠ ألفا، إلا أن إيطاليا خصصت للدفاع عن تلك المستعمرات ٤٠٠ ألف جندى، أى أربعة أضعاف القوات البريطانية.

وفيما يتصل بجبهة الصحراء الغربية، فقد فشلت إيطاليا فى فتح مصر، رغم تفوقها العددى الهائل فى ليبيا، واضطر هتلر إلى إرسال فرقة بقيادة روميل Field - Marshal Rommel فى فبراير ١٩٤١م لمساندة القوات الإيطالية.

ثم أخذ زمام الأمر ينتقل شيئا فشيئا إلى يد الألمان، الذى نجحوا فى الوصول إلى العلمين فى أوائل يوليو ١٩٤٢م، ولكنهم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ردوا على أعقابهم على يد مونتجمرى، حتى تم استسلام جميع قوات المحور فى أفريقيا فى مايو ١٩٤٣م. وهكذا فقدت إيطاليا ليبيا.

أما فى جبهة شرق أفريقيا، فإن إيطاليا كانت قد فقدت فيها إمبراطوريتها قبل ذلك بقليل. ففى يوليه ١٩٤٠م شن الإيطاليون هجوما توغلوا به فى كينيا والسودان، واجتاحوا الصومال البريطانى، مهددين بذلك عدن والبحر الأحمر.

ولكن هذا الانتصار لم يدم طويلا، فبعد ستة أشهر، أى فى يناير ١٩٤١م قام البريطانيون بهجوم مضاد حطموا به الإمبراطورية الإيطالية فى شرق أفريقيا.

وفى يوم ٢٥ مارس ١٩٤١م وقعت فى أيديهم مرتفعات كيرين Keren التى تتحكم فى هضبة إرتيريا Eritria. ثم وقعت أديس أبابا فى السادس من أبريل ١٩٤١م.

وفى اليوم الخامس من مايو ١٩٤٦م عاد هيلاسلاسى إلى عاصمته، وبعد ذلك بأسبوعين استسلم الحاكم الإيطالى، ثم استسلمت القوات الإيطالية دون قيد أو شرط.

وهنا قد يجدر الإشارة إلى أن بريطانيا كانت قد أصدرت تصريحا عند بدء الزحف البريطانى، بأن السياسة البريطانية ترمى إلى مساعدة الحبشة على استرجاع استقلالها، والاعتراف بهيلاسلاسى ملكا عليها.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على هذا النحو انهارت الإمبراطورية الإيطالية، وتلى ذلك انهيار إيطاليا ذاتها.

فقد قرر الحلفاء فتح جبهة إيطاليا ريثما يتم الاستعداد للجبهة الثانية، إذ كان معروفا أن شعور الاستياء كان عاما فى إيطاليا بعد أن فقدت إمبراطوريتها، وتحولت من حليف لألمانيا إلى تابع لها، وانتشرت الجيوش الألمانية فى أجزاء مختلفة من أراضيها، وفى صقلية.

وقد بدأ غزو صقلية فى ١٠ يوليو ١٩٤٣م، وفى أغسطس كانت الجزيرة قد طهرت من قوات المحور.

وبينما كان القتال دائرا فى الجزيرة اجتمع المجلس الفاشستى الأعلى فى روما يوم ٢٥ يوليو واقترح «جراندى Count Dino Grandi» سفير إيطاليا السابق فى لندن، خلع موسوليني من رئاسة الحزب، وعودة الملك إلى ممارسة سلطاته. وبناء على ذلك اعتقل الملك موسوليني، وعهد إلى المارشال بادوليو Marshal Pietro Badoglio برياسة الحكومة الجديدة.

وقد أعلن بادوليو فور توليه الحكم استمرار إيطاليا فى الحرب إلى جانب المحور، نظرا لوجود ثماني فرق ألمانية فى شمال إيطاليا، فضلا عن الفلول المنسحبة من صقلية.

ولكنه من جانب آخر دخل فى مفاوضات مع الحلفاء لخروج إيطاليا من الحرب، وكان ذلك فى مدينة لشبونة Lisbon يوم ٣

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أغسطس ١٩٤٣م. وبعد شهر تم توقيع الهدنة، واتفق على عدم إعلانها إلا حينما ينزل الحلفاء بأرض إيطاليا.

وقد قضت شروط الهدنة بأن تستسلم إيطاليا دون قيد ولا شرط، وأن تتوقف القوات الإيطالية فورا عن القتال، وأن تسلم إيطاليا أسطولها وقواتها الجوية إلى الحلفاء، وتضمن لهم استخدام مطاراتها وموانيها. وبناء على هذا أبحر الأسطول الإيطالى إلى مالطة يوم ١٠ سبتمبر. وقد وعد الحلفاء إيطاليا بتخفيف شروط الصلح بقدر ما يثبت لهم من حسن نيتها فى تعاملها.

على أن الألمان سرعان ما احتلوا مدينة روما فى العاشر من سبتمبر ١٩٤٣، وأصبحت لهم السيطرة الفعالة فى الجزء الأكبر من إيطاليا، وخاصة فى الشمال، وإزاء ذلك هربت الحكومة الجديدة إلى مراكز الحلفاء، وأعلنت الحرب على ألمانيا. وهكذا أصبحت إيطاليا شريكة جديدة إلى جانب الحلفاء.

على أن الألمان، من جانب آخر، استطاعوا اختطاف موسولينى، الذى نسيت حكومة بادوليو حمله معها عند فرارها، ثم عاونوه على تكوين حكومة جمهورية فى الشمال باسم «جمهورية إيطاليا الاشتراكية». وأخذت هذه الحكومة تعيد تشكيل جيش موالٍ لها.

وهكذا وقعت الحرب الأهلية فى إيطاليا، وامتدت آثارها إلى البلقان، حيث كان الإيطاليون يساهمون بقسط كبير فى قوات الاحتلال، فانضم القليل إلى الحكومة الجمهورية، وجرد الألمان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

معظم هذه الفرق من السلاح، وانضم بعضها إلى قوات المقاومة فى يوغوسلافيا واليونان.

وسارع هتلر إلى احتلال الجزر التابعة لإيطاليا فى الأدرياتيكيك وفى بحر إيجه (الدوديكانيز) Dodecanese، وأباد حامية كورفو Corfu الإيطالية التى أعلنت ولائها للحكومة الملكية. وكانت بريطانيا تستعد للنزول فى هذه الجزر، ولكن الألمان سبقوهم إليها.

وعلى كل حال لقى الحلفاء مقاومة ألمانية شديدة فى إيطاليا، فقد كان عدد الفرق الألمانية يفوق فى هذا الميدان فرق الحلفاء، خصوصا وأن الحملة كانت محدودة حتى لا تعطل فتح الجبهة الثانية، فقد كانت تهدف إلى احتلال الجنوب والوسط حتى روما، وتعول على الهدنة المعقودة مع حكومة بادوليو. لذلك تأخر سقوط روما حتى ٤ يونيو ١٩٤٤م - أى قبل فتح الجبهة الثانية بيومين فقط.

ولم تبدأ المرحلة النهائية فى الحرب الإيطالية إلا فى العاشر من أبريل سنة ١٩٤٥م، والتى انتهت بانهيار خطوط الدفاع الألمانية، واستسلام القوات الألمانية بأعداد كبيرة فى شهر مايو ١٩٤٥م.

على كل حال فإن إعلان حكومة بادوليو الحرب على ألمانيا، وتأليف موسولينى حكومة جمهورية موالية لألمانيا من جانب آخر، لم يفد إيطاليا، لا من جانب الحلفاء، ولا من جانب ألمانيا.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فمن جانب ألمانيا، اقتطع هتلر من حليفه موسوليني جنوب التيرول Tirol وإستريا Istria.

ومن جانب الحلفاء، فقد رفضوا رغم إلحاح الآن حكومة بادوليو الحرب إلى جانبهم، أن يعتبروها حليفة، ورأت الولايات المتحدة أن تقوم العلاقات معها على أساس شروط الهدنة فحسب، واعتبروا أن الحكومة الإيطالية التى يمكن الاعتراف بها يجب أن تنبثق عن طريق استفتاء حر.

أما الاتحاد السوفيتى، فقد استنكر فى بداية الأمر التفاوض مع حكومة «بادوليو» الفاشية، كما احتج على استبعاده من محادثات الهدنة الإيطالية.

ولكنه غير موقفه بعد أن سمح بادوليو للشيوعيين بالعمل، وتعاون معهم باعتبارهم من أهم عناصر المقاومة، وسمح لزعيمهم «تولياتى» بالعودة من موسكو، ونتج عن ذلك اعتراف الاتحاد السوفيتى بحكومة «بادوليو» قبل الولايات المتحدة.

ثم أعاد «بادوليو» تشكيل حكومته ليدخل فيها الكونت سفورزا، الذى عاش لاجئا فى الولايات المتحدة، كطلب الولايات المتحدة التى كانت تميل إلى العناصر الديمقراطية التى لم تقبل التعاون مع الفاشست، واتفق على تنازل الملك عن العرش لولى عهده الأمير امبرتو، وأن يكون مجرد وصى إلى أن يجرى الاستفتاء.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(خامساً) الشرق الأقصى تحت الحكم اليابانى

تتفق الفاشية اليابانية مع النازية الألمانية فى ناحيتين:

الناحية الأولى، نظرية «المجال الحيوى» Lebensraum، التى تقوم على ضيق أراضى الدولة الإمبريالية عن استيعاب سكانها وتوفير الاكتفاء الذاتى الاقتصادى لهم، ومن ثم الحاجة إلى التوسع فى البلاد المجاورة التى تعتبر مناطق نفوذ لها.

والناحية الثانية، النظرية العنصرية الى تقوم على تفوق جنس الشعب الإمبريالى.

وفيما يتصل بنظرية «المجال الحيوى» فإن تقدم اليابان، وحاجتها إلى تصريف منتجاتها الصناعية بكميات هائلة، مع اصطدامها بمنافسة الدول الغربية، قد جعل اليابانيين يشعرون بضيق أراضيهم. كما برر اليابانيون توسعهم بحقهم فى تأمين حدودهم، وقد اعتبروا جزر «فرموزا» و«ريوكيو» و«سخالين» حواجز طبيعية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفيما يتصل بالنظرية العنصرية، فقد اعتقد اليابانيون بتفوقهم جنسا وحضارة، وحقهم فى سيادة العالم، وكانوا يرون أن وضعهم فى شرق آسيا يبرر تزعم الأقطار المجاورة، لاستغلال خبراتها على أفضل وجه ونشر الرخاء فيها. هل واعتبروا أنفسهم محررين للشعوب الأسيوية من سيطرة الرجل الأبيض.

وقد مرت سياسة اليابان التوسعية فى الصين بثلاث مراحل:

الأولى : وتتمثل فى الهجوم على منشوريا واحتلالها دون مقاومة سنة ١٩٣١ ـ ١٩٣٢م.

والثانية : الهجوم على «جيهول» واحتلالها سنة ١٩٣٣م.

أما الثالثة : فهى التى بدأت سنة ١٩٣٧م واستمرت حتى سقوط اليابان سنة ١٩٤٠م.

وعندما اشترك اليابانيون فى الحرب بهجومهم الجوى المشهور على «بيرل هاربر» فى جزر هاواى فى صباح ٧ ديسمبر ١٩٤١م، حققوا التفوق الجوى والبحرى معا فى المحيط الهادى، فقد كان فى الميناء ٩٤ قطعة بحرية أغرق أو أتلف معظمها. وبعد اغراق أكبر بارجتين فى الأسطول البريطانى وهما: «برنس أوف ويلز» و«ريبالس» Repulse أصبح اليابانيون بلا منافس فى المحيط.

وقد فتح اليابانيون جبهات متعددة فى وقت واحد، لتحقيق أهداف استراتيجية واقتصادية معا. فقاموا بغزو شبه جزيرة الملايو فى مايو ١٩٤٢م. وفى مارس ١٩٤٢م كانوا قد أتموا غزو غينيا الجديدة وجزر سليمان Solomon.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولكن منذ منتصف ١٩٤٢م، بدأ التحول لصالح الأمريكيين.

وقد اختلفت سياسة اليابان إزاء الأقطار الأسيوية التى فتحتها باختلاف ظروفها. وإن كانت بوجه عام قد حاولت استغلال فكرة تحرير آسيا.

ففى الفليبين، حيث تتعدد الأجناس، وتتأثر البلاد بالثقافة الأسبانية، لم يعمد اليابانيون إلى إقامة حكومة وطنية مباشرة، وإنما أقام القائد اليابانى لجنة تنفيذية ومجلسا استشاريا للدولة من زعماء الفليبين.

وفى ١٩٤٣م أرادت اليابان تطبيق سياستها: «آسيا للآسيويين» على الفليبين. فتشكل مجلس تأسيسى، ووافقت على دستور جديد، وانتخب رئيس لجمهورية الفليبين وصرحت اليابان بأنها تتخلى عن مكانها لجمهورية الفلبين الجديدة، ووقعت معها تحالفا عسكريا.

وفى ديسمبر ١٩٤٤م، أعلنت حكومة الفلبين الحرب على الولايات المتحدة وبريطانيا.

ولكن استيلاء اليابانيين على الكثير من مصادر القوت أثار الاستيلاء فى البلاد، فشكلت حركة مقاومة للاحتلال اليابانى قرب غزو الأمريكيين للبلاد. وأرادت الولايات المتحدة أن تستميل الفليبين، فوافق الكونجرس على قرار يؤكد استقلالها التام فى ظل حكم ديمقراطى.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى اندونسيا، حيث كان الهولنديون يحكمون البلاد حكما تعسفيا قبل الغزو، لقيت السياسة اليابانية حقلا ممهدا. فعندما استولت القوات اليابانية عليها، قامت بدعاية قوية لصالح «آسيا للآسيويين» تحت إدارة اليابانيين، وانقسم الزعماء الوطنيون إلى فريقين، الأول وعلى رأسهم أحمد سوكارنو، وقد قرر التعاون مع اليابان. والآخر وكان من زعمائه شاهرير وشريف الدين، دعا إلى مقاومة اليابان. ولم يجد اليابانيون عند احتلال البلاد هيئات حكم وطنية كما فى الفلبين، فأنشئوا مجلسا استشاريا برئاسة أحمد سوكارنو.

وفى سنة ١٩٤٤م حصلت اندونسيا على وعد بالاستقلال القريب، وتألفت فى جاوا «لجنة لتهيئة الاستقلال». وقد اقترحت هذه اللجنة، التى كانت تحت سيطرة سوكارنو، أن يناضل الشعب الاندونيسى ضد الحلفاء إلى جانب اليابان. وعندما تهيأت اليابان للتسليم، رأت أن تمنح البلاد استقلالها التام، فأعلن قيام اندونسيا المستقلة فى ١٥ أغسطس ١٩٤٥م.

وفى بورما، وجد اليابانيون عند احتلالها أنظمة حكم وطنى أقامها الإنجليز سنة ١٩٣٥م. وكانت الحركة الوطنية فيها قد ضربت سنة ١٩٤١م حين طالبت بأن تتمتع بنظام الدومينيون (الاستقلال التام فى إطار الكومونولث)، فرفض تشرشل، واعتقل زعيم الحزب الوطنى - لذلك حين غزا اليابانيون بورما وجدوا شبه

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إجماع على تأييدهم، فقد تعاون معهم «باموه» زعيم حزب الفقراء، الذى عين رئيسا لحكومة مستقلة صرح اليابانيون بقيامها سنة ١٩٤٣م. وأعلنت تلك الحكومة الحرب على الحلفاء.

على أن شدة وطأة الاحتلال اليابانى والأزمة الاقتصادية التى نجمت عن توقف تصدير الأرز، ساعد على قيام مقاومة صغيرة باسم «عصبة مقاومة الفاشية لتحرير الشعب». وقد تلقت الوحى من الشيوعيين لا من الحلفاء.

وعندما عاد البريطانيون إلى بورما، بقى شعور العداء، الذى نما فى عهد الاحتلال اليابانى، نحوهم، وقد صبغ هذا العداء الحركة الوطنية فى بورما بصبغة خاصة، فهى أشد ميلا إلى اليسار. وقد اختارت - دون المستعمرات البريطانية الأخرى فى آسيا - الاستقلال خارج نطاق الكومونولث.

وفى الملايو، ضيعت مشكلة الأجناس فيها عليها فرصة الاستفادة من الحكم اليابانى. فقد كان فيها من الصينيين نسبة ٤٤,٩٪ ومن الهنود ١٠,٤٪ . أما السكان الأصليون فكانت نسبتهم لا تتجاوز ٤٣,٣٪.

وقد استطاعت الصين برئاسة تشيانج كاى شيك عزل الصينيين عن السكان الأصليين. وتبعا لذلك أسهم هؤلاء فى مقاومة الزحف اليابانى.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقام اليابانيون من جانبهم بإثارة الماليزيين ضد الصينيين، وفضلوا هذه الخطة على إعلان استقلال وهمى. وبذلك لم تستفد الملايو من الحكم اليابانى. وعندما عاد الإنجليز إليها سنة ١٩٤٥م استقبلهم الكثيرون بالترحاب.

أما تايلاند Thailand فكانت القطر الآسيوى الوحيد المستقل فى أثناء سيطرة اليابانيين على جنوب شرقى آسيا. وكانت الحكومة القائمة فيها تعادى الأوروبيين، حتى إنها غيرت اسم البلاد من سيام، وهى كلمة أجنبية، إلى تايلاند. وكانت علاقاتها مع اليابانيين طيبة، وقد زاد هذا استمرار إسهامهم فى تجارة البلاد.

وقد قبلت الحكومة التايلاندية مرور الجيوش اليابانية فى أراضيها، بل وأعلنت الحرب على الحلفاء فى يناير سنة ١٩٤٢م. لذلك لم تلجأ اليابان إلى تشكيل حكومة موالية فيها، بل اكتفت بالتحالف مع الحكومة القائمة.

على أنه مع ذلك ظهرت حركة مقاومة فى الشمال ضد الحكومة التايلاندية والتحالف اليابانى. وقد أيد ملك تايلاند، الذى كان متغيبا فى الخارج، هذه الحركة. فتحرج مركز الحكومة القائمة، ولم تستطع البقاء بعد يوليو سنة ١٩٤٤م، فخلفتها حكومة أخرى عملت على تحسين علاقاتها بالحلفاء.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الرابع والعشرون

أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية

أولاً : تقسيم ألمانيا

أثيرت مسألة تقسيم ألمانيا لأول مرة بصفة رئيسية فى أثناء زيارة «أنتونى أيدن» وزير خارجية بريطانيا إلى واشنطن فى مارس (١٩٤٣م). فقد عرضت مسألة وضع العالم بعد الحرب، واتفق الرئيس الأمريكى روزفلت وايدن على وجوب تقسيم ألمانيا، وتقطيع أوصالها. كما اتفقا على أن تعود النمسا دولة مستقلة.

وفى مؤتمر موسكو الذى عقد فى أكتوبر ١٩٤٣م، بين وزراء خارجية كل من الولايات المتحدة وبريطانيا والاتحاد السوفيتى، تقرر انشاء لجنة استشارية أوروبية يكون مقرها لندن، وتكون مهمتها وضع المبادئ الأساسية التى تعامل ألمانيا بمقتضاها بعد الحرب. وأصدر المؤتمر بيانا عن سقوط الاتحاد بين المانيا والنمسا، والتمييز فى المعاملة بين الشعب النمساوى والشعب الألمانى.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثم اثيرت مسألة تقسيم ألمانيا فى مؤتمر طهران، الذى عقد فى نوفمبر ١٩٤٣م، بين كل من الرئيس السوفيتى ستالين وروزفلت ورئيس وزراء بريطانيا تشرشل، وفى هذا المؤتمر آثار ستالين مسألة تقسيم ألمانيا، وكان مما ذكره أن ألمانيا الموحدة يمكن أن تستعيد قوتها فى مدى خمسة عشر إلى عشرين عاما.

وقد وافق روزفلت على هذا الرأى، وكان من رأيه تقسيم ألمانيا إلى خمس دول مستقلة، مع وضع قناة كيل Kiel وهامبورج والروهر والسار تحت إشراف دولى للأمم المتحدة.

أما تشرشل، فكان يتصور تقسيم ألمانيا إلى ثلاث دول هى: بروسيا، وألمانيا الوسطى، وألمانيا الجنوبية.

وحين طُرح موضوع مستقبل ألمانيا على اللجنة الأوروبية الاستشارية المشار إليها فى يناير ١٩٤٤م، اقتُرحت وسيلتان لإنزال العقوبة بها:

الأولى: حرمانها من قدراتها الصناعية، وتحويلها إلى قطر زراعى بل رعوى.

والثانية : تمزيق الوحدة الألمانية، وإقامة عدة دويلات مستقلة على أنقاضها، وتدويل المناطق الصناعية فى الروهر والسار.

وقد اثيرت فى هذا المؤتمر مسألة مناطق الاحتلال. فاقترحت إنجلترا فى ١٥ يناير ١٩٤٤م أن يحتل الروس المناطق الشرقية،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مثل مكلنبورج Mecklenburg وبوميرانيا Pomerania وبراندنبورج Brandenburg والساكس – Sax - Anhalt انهالت وتورنج Thuringia والأراضي الواقعة إلى الشرق وهي تكون (٤٠٪) من البلاد و(٢٦٪) من السكان و(٣٣٪) من الموارد الاقتصادية. ويحتل البريطانيون الشمال الغربي لألمانيا بما فيها منطقة الروهر الصناعية. ويحتل الأمريكيون الجنوب، خاصة الأراضي المتاخمة لفرنسا. على أن تؤلف برلين جزيرة موزعة بين ثلاث مناطق احتلال.

على أن روزفلت أقلقه أن تكون الولايات المتحدة مبعدة عن الروهر، وأن تكون الجيوش الأمريكية مضطرة إلى الاعتماد على الخطوط الحديدية والطرق الفرنسية وحدها في مواصلاتها. واقترح تعديل المناطق البريطانية والأمريكية. ولم يقر قسما منطقة الجنوب الا في ديسمبر ١٩٤٤م في مؤتمر كيبك Quebec، مع تعديلين:

الأول : يقضي بنقل «السار» وبالاتينا Palatinate – الواقعتين على ضفة الراين اليسرى على أطراف فرنسا – إلى المنطقة البريطانية، وأن تؤلف هس – كاسل Hesse - Cassel وهس – ناساو Hesse - Nassaw قسما من المنطقة الأمريكية.

أما التعديل الثاني، فيقضي بأن يكون للجيوش الأمريكية منفذ على موانئ شمال غرب ألمانيا في المنطقة البريطانية.

وفي ١١ نوفمبر ١٩٤٤م أعلن تشرشل قبول فرنسا عضوا دائماً رابعاً في «اللجنة الاستشارية الأوروبية».

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى مؤتمر يالتا Yalta الذى عقد فى فبراير ١٩٤٥م، اتفق رأى الرؤساء الثلاثة على تقسيم ألمانيا إلى ثلاث مناطق احتلال، وتأليف مجلس أعلى للإشراف، يتكون من كبار قادة هذه الدول.

وقد اقترح تشرشل فى هذا المؤتمر منح فرنسا منطقة احتلال رابعة، ولكن ستالين وقف ضد هذا الرأى، ووافقه روزفلت، على أساس أن جهد فرنسا فى الحرب لايبرر منحها هذا الامتياز.

ولكن تشرشل ألح بقوة، لأنه لم يتصور - حسب رأيه - وجود استقرار فى أوروبا بدون أن تكون فرنسا دولة قوية ذات نفوذ.

وقد وافق ستالين ورزوفلت شرط ألا تمنح فرنسا مقعدا فى المجلس الأعلى. واشترط ستالين فى هذه الحالة أن تؤخذ المنطقة الفرنسية من المنطقتين الأمريكية والبريطانية.

وأخيرا تقرر منح فرنسا منطقة رابعة، ومقعدا فى مجلس الإشراف الأعلى. ولم يكن من الصعب كثيرا تحديد القسم الذى يجب أخذه من المنطقة البريطانية، وهو السار وبالاتينا وقسم مهم من رينانيا الجنوبية.

ولكن الصعوبات كانت فى الاقتطاع من المنطقة الأمريكية، فأخذت فرنسا قسما من «بادن» Baden و«فُرتمبورج» Wurt-temberg، وطريق أولم Ulm ـ شتوتجارت.

كذلك نوقشت مسألة التعويضات فى هذا المؤتمر، وحدد بصفة مبدئية مبلغ ٢٠ ألف مليون دولار كتعويضات حربية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على كل حال فعندما استسلمت ألمانيا دون قيد أو شرط فى ٧ مايو ١٩٤٥م، كان احتلالها قد تم من قبل الحلفاء. وفى نهاية مايو ١٩٤٥م كان الحلفاء يحتلون كل الأراضى الألمانية داخل المناطق المتفق عليها فى «يالتا».

وفى بداية الشهر التالى (٥ يونيه ١٩٤٥م) أعلنت الإجراءات المترتبة على تسليم ألمانيا دون قيد أو شرط، وقد تضمنت هذه الإجراءات: تسليم كل القوات البحرية والبرية والجوية، بما فى ذلك العتاد والمخازن، وتسليم كبار الزعماء النازيين ومرتكبى جرائم الحرب. كما اشتملت على الخطوات التى تتخذ لضمان نزع سلاح ألمانيا نزعا كاملا.

وفى اليوم نفسه (٥ يونيه ١٩٤٥م) رسمت خطوط الجهاز الذى يحكم ألمانيا، بحيث تقسم البلاد أربع مناطق، وتقوم قوات الدول الأوروبية باحتلال برلين فى صورة قطاعات، وتتولى إدارتها سلطة حاكمة من بين دول الحلفاء.

ثم شكل مجلس إشراف من الحلفاء من رؤساء أركان الحرب الأربعة، يتولى مباشرة السلطة العليا فى ألمانيا كلها. وأعلنت الدول الأربع أنها تعتزم مشاورة حكومات الدول الأخرى الأعضاء فى الأمم المتحدة، فيما يختص بالسلطة العليا التى تتولاها فى ألمانيا.

وفى ١٧ من الشهر التالى (يولية ١٩٤٥م) عقد مؤتمر بوتسدام Potsdam من رؤساء الدول الثلاث، بعد أن تغير رئيسان منهم،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أحدهما روزفلت، الذى توفى وحل محله «ترومان» Harry Truman، والثانى تشرشل، الذى سقط فى الانتخابات وحل محله «كليمنت أتلى Clement Attlee».

وكان من الطبيعى أن يخصص المؤتمر جزءاً كبيراً من قراراته لتفصيل كيفية إدارة ألمانيا ومعاملتها فى أثناء الاحتلال. فاتفق على أن يمارس القائد الأعلى فى كل منطقة من المناطق الأربع السلطة العليا فى منطقته، ويختص المجلس الأعلى بالأمور المشتركة التى تهم مختلف المناطق، كالمواصلات والبريد وبعض الشئون الاقتصادية.

كما اتفقوا على تجريد ألمانيا من السلاح تجريدا تاماً، وإقفال الكليات الحربية، وتدمير صناعات الأسلحة والذخائر.

ثم نوقشت مسألة المطالب الإقليمية، فاتفق على تعديل الحدود الشرقية لألمانيا، فتعطى روسيا مدينة كونجزبرج Konigsberg الروسية والأراضى المجاورة لها، لتكون «ممسكة برقبة ألمانيا»!

وأن تسلخ من ألمانيا جميع الأراضى الممتدة شرق حوض «الأودر» Oder حتى فرع نايس Neisse، ويعهد بادارتها لبولندا. على أن يخضع هذان التعديلان بصفة خاصة إلى التحديد النهائى لحدود ألمانيا الشرقية وفق مؤتمر الصلح.

وفى تلك الأثناء تقدمت عدة دول بمطالب إقليمية لها فى ألمانيا:

فقد طلبت الدنمارك ضمان الأقليات فى الشلزڤيج.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وطالبت هولندا بمساحة قدرها ١٧٥٠كم٢ مأهولة بـ ١١٩ ألف نسمة.

وطالبت بلجيكا ولوكسمبرج بتصحيحات صغيرة على الحدود. وطالبت بولندا بمدينة فراكفورت Frankfurt على نهر «الأودر» وبعض الأراضى الأخرى.

أما تشيكوسلوفاكيا فقد طردت الألمان من منطقة السوديت، وطالبت بعدد من المدن التى تقع فى الأراضى البولندية الجديدة.

وقد تصرفت بولنده فى الأراضى الألمانية التى عهد إليها بإدارتها كما لو كانت أرضاً بولندية، فشردت سكانها الألمان ونقلت إليها الفلاحين البولنديين.

وكانت مطالب فرنسا ذات صفة خاصة. فقد طالب الجنرال ديجول فى ١٠ سبتمبر ١٩٤٥م بفصل «رينانيا» (أى الضفة اليسرى لنهر الراين) عن ألمانيا نهائيا، ووضعها تحت الإشراف الاستراتيجى والسياسى لفرنسا وبريطانيا وبلجيكا وهولندا. وأن تقسم «رينانيا» إلى عدة مناطق يمكن أن تأخذ استقلالها الذاتى تدريجيا. كما طالب بفصل الرور عن ألمانيا وتدويلها. وكانت فرنسا ترى أنه من واجبها، ولمستقبلها الخاص، الإشراف على أراضى رينانيا، ليوصد طريق الغزو هذا إلى الأبد.

أما بخصوص «السار»، فقد طالبت فرنسا بالانفصال الاقتصادى لهذا الإقليم.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد أيدت بريطانيا وأمريكا مطالب فرنسا بخصوص «السار Saar، الذى طالما ارتبط ارتباطاً وثيقا باقتصاد فرنسا» - حسب قول وزير خارجية الولايات المتحدة فى ٦ سبتمبر ١٩٤٦م.

وقد تشجعت فرنسا لهذا التأييد، فعزلت «السار» فى ٢٢ سبتمبر ١٩٤٦م عن باقى منطقتها الاحتلالية، وضمته فى اتحاد جمركى معها. وكان ذلك مقدمة لعدة إجراءات بفصل السار عن ألمانيا. ففى ٢٥ سبتمبر ١٩٤٦م، أعد مشروع دستور يجعل «السار» مستقلا استقلالا ذاتيا، ديمقراطيا اجتماعيا، مرتبطا بفرنسا. ويعلن انفصاله السياسى عن ألمانيا، وارتباطه الاقتصادى بفرنسا.

وفى ٣ يناير ١٩٤٨م اعترفت الحكومة الفرنسية باستقلال السار الذاتى، وعينت الكولونيل جرانفل القائد العسكرى مفوضا ساميا. ومنذ ١٧ يناير ١٩٤٨م حكم «يوهان هوفمان»، زعيم حزب الشعب المسيحى، السار، وتمتع هذا باستقلال ذاتى محدود.

وظل السار بذلك محور نزاع بين فرنسا وألمانيا حتى تم توقيع الاتفاق الفرنسى الألمانى فى أكتوبر ١٩٥٦م، فى ظل الحرب الباردة بين الغرب والشرق، وبمقتضاه قبلت فرنسا اتحاد السار سياسيا مع ألمانيا اعتبار من أول يناير ١٩٥٧م، واتحاده صناعيا معها بعد ثلاثة أعوام أخرى كفترة انتقال.

أما بخصوص برلين، فقد قسمت هذه المدينة إلى أربع مناطق احتلال، احتلت كل دولة من الدول الأربع واحدة منها عسكريا. وقد أحيطت المدينة وأحياؤها المتطرفة بمنطقة الاحتلال السوفيتية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى ذلك الحين لم تكن قد عقدت معاهدة صلح مع ألمانيا، لسبب بسيط، هو أنه لم تكن ثمة حكومة ألمانية تعقد معها مثل هذه المعاهدة.

فقد ارتبطت مسألة إبرام الصلح بقضية ما إذا كان يجب إقامة حكومة مركزية ألمانية؟ وكانت الحكومة الأمريكية مستعدة لذلك، كما وافقت بريطانيا والاتحاد السوفيتى أيضا. ولكن فرنسا عارضت ذلك رسميا فى ديسمبر ١٩٤٥م.

وفى الحقيقة أن مؤتمر بوتسدام كان قد قرر توجيه إدارة ألمانيا نحو اللامركزية السياسية، وتقوية نظام الحكم المحلى فيها. كما نص على أنه «فى الوقت الحاضر» لا تؤسس أية هيئة أو حكومة مركزية باستثناء بعض الحالات الضرورية كالمالية والنقل.

وفى ١٢ يولية ١٩٤٦م أعيد بحث القضية الألمانية فى اجتماع مجلس وزراء الخارجية الأربعة، الذى كان مؤتمر بوتسدام قد قرر انشاءه لوضع معاهدات الصلح مع إيطاليا والنمسا والدول الصغيرة التى قاتلت إلى جانب المحور. وفى هذا الاجتماع عارض مولوتوف فرنسا، وطالب بتوحيد ألمانيا من الناحية السياسية لا من الناحية الاقتصادية.

وفى ٦ سبتمبر ١٩٤٦م أعلن وزير خارجية أمريكا تحبيذه لتوحيد ألمانيا بسرعة، ولكنه فى باريس عدل عن موقفه بعض الشئ، فصرح بأنه يعنى أن تكون الدولة اتحادية فى المستقبل!

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

واقترح عقد معاهدة بين الدول الأربع المحتلة، تتضمن تجريد ألمانيا من السلاح ومن كل نشاط عسكرى لمدة ٤٠ عاما.

وفى نوفمبر ١٩٤٦م اجتمع من جديد مجلس الأربعة فى نيويورك، ونوقشت فيه القضية الألمانية، ولكن لم يتوصل إلى نتيجة إيجابية، وتقرر مناقشة القضية فى جلسة أخرى تعقد فى موسكو فى مارس سنة ١٩٤٧م.

فى ذلك الحين، ونظرا لمعارضة الاتحاد السوفيتى فى توحيد ألمانيا من الناحية الاقتصادية، قرر الأمريكيون والبريطانيون العمل منفردين على توحيد منطقتهم اقتصاديا ابتداء من أول أكتوبر سنة ١٩٤٦م.

وكانت منطقتا احتلالهم غير كافية من الناحية الزراعية، فى حين كانت المنطقة الروسية تكفى بنسبة ٩١٪، والمنطقة الفرنسية تكفى تماما.

وقد انعقد مؤتمر موسكو فى ١٠ مارس سنة ١٩٤٧م، وناقش مسألة حكومة ألمانيا المستقبلة، فأبدت فرنسا رأيها بأن تكون ألمانيا لامركزية، وذات حكومة اتحادية ضعيفة، واثنى عشر اقليما - فى حين أكدت روسيا مطالبتها بدولة مركزية جدا، وطالبت فى الوقت نفسه بقسط من الإشراف على الروهر - فى حين كان الأمريكيون والإنجليز يريدون حكومة قوية اتحادية، تشرف على الشئون الخارجية والجمارك والمصارف والسفن والنقل. وعلى ذلك لم تتفق الدول الكبرى على شكل الحكم.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثم عقد مؤتمر أخير فى لندن فى نوفمبر - ديسمبر سنة ١٩٤٧م لمجلس وزراء الخارجية، أطلق عليه وقتذاك «مؤتمر الفرصة الأخيرة»، فى ظروف الحرب الباردة ومعارضة الاتحاد السوفيتى لمشروع المساعدة الأمريكية الاقتصادية المسمى بمشروع مارشال Marshall Plan. فألح مولوتوف على إقامة حكومة مركزية ألمانية دون أن يتخذ أى تدبير مبدئى لتوحيد المناطق الأربعة توحيداً سياسياً واقتصادياً. كما رفض فصل «السار» عن ألمانيا وضمه إلى فرنسا. وفى ١٩ ديسمبر، بعد نهاية المؤتمر، صرح الجنرال مارشال عن الولايات المتحدة قائلا «لانستطيع فى الوقت الحاضر أن نؤمل فى توحيد ألمانيا، بل يجب أن نعمل بكل إمكاننا فى المنطقة التى يظهر فيها نفوذنا». وانقسم العالم بوضوح بين كتلتين متعاديتين.

فقد كان على أثر ذلك أن عقد مؤتمر من وزراء خارجية الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا فقط، دون الاتحاد السوفيتى، فى لندن، فى ٢٣ فبراير ١٩٤٨م، واستؤنفت جلساته فى ٢ أبريل سنة ١٩٤٨م حتى أول يونية، للاتفاق على توحيد المناطق الغربية الثلاث. وكان الأمريكيون والبريطانيون يميلون إلى حكومة اتحادية، فى حين كانت فرنسا تخشى من قيام حكومة مركزية قوية إلى جانبها.

وأخيرا اتفق على عقد جمعية تأسيسية أو مجلس برلمانى فى بون Bonn أول سبتمبر ١٩٤٨م من ٥٥ عضوا لإعداد دستور لألمانيا.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

واضطرت فرنسا من جهة أخرى إلى التخلى عن خطتها فى فصل الروهر سياسيا عن ألمانيا، ولم تستطع كذلك الحصول على تدويل صناعات الروهر. ثم تم إنشاء هيئة إشراف على الروهر سميت (هيئة الروهر الدولية) من الولايات المتحدة وفرنسا وألمانيا وبلاد البنيلوكس Benelux (بلجيكا والبلاد المنخفضة ولوكسمبرج).

وفى ١٩ يونية قام القادة الأعلون الغربيون بتطبيق قرار اتخذه مؤتمر لندن المذكور، بوضع النقد الجديد (المارك الألمانى) فى التداول فى المناطق الغربية، وإنشاء بنك موحد (بنك الدولة) للمناطق الغربية الثلاث.

وكان رد فعل الاتحاد السوفيتى على قيام الإنجليز والأمريكيين والفرنسيين باتخاذ هذه الإجراءات من طرف واحد إزاء ألمانيا، أن فرض حصار برلين الشهير فى يوليه ١٩٤٨م، والذى استمر مدة عام!

ولكن هذا الحصار لم يثن عزم الدول الغربية، فقد أقاموا جسرًا جوياً لتأمين إعاشة برلين الغربية، وقد نجح هذا الجسر نجاحاً كبيراً.

وفى سبتمبر ١٩٤٨م عقد المجلس البرلمانى عن مناطق ألمانيا الغربية، حيث أعد أول مشروع للدستور، وعرضه على قادة الحلفاء فى ٨ فبراير سنة ١٩٤٩م. ولكن هؤلاء لم يوافقوا عليه باعتباره مخالفا - ودارت مفاوضات بين الطرفين انتهت فى ٨ مايو إلى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إصدار دستور جديد (قانون بون الأساسى) يعتبر حلا وسطا بين النظريات الفدرالية والنظريات المركزية.

وبمقتضى هذا الدستور أصبحت جمهورية ألمانيا الاتحادية Federal Republic of Germany اتحاداً من أحد عشر إقليما، لكل إقليم دستوره الخاص. وقد وافقت الأقاليم والحكام الثلاثة العسكريون على الدستور، وجرت الانتخابات فى ألمانيا فى ١٤ أغسطس ١٩٤٩م. وفى ١٥ أغسطس انتخب الدكتور كونراد أديناور Konrad Adenauer مستشاراً، وفى آخر سبتمبر سنة ١٩٤٩م عادت ألمانيا من جديد دولة مستقلة، واتخذت بون عاصمة لها.

وقد رد الاتحاد السوفيتى على ذلك فى ٧ أكتوبر سنة ١٩٤٩م بإعلان إنشاء جمهورية ألمانيا الديمقراطية "The German Dem-ocratic Republic" فى منطقة احتلاله، واتخذ من القطاع الروسى ببرلين مقرا لها. وفى ١٠ أكتوبر حل الإدارة العسكرية السوفيتية، وسلم الألمان إدارة شئونهم الخارجية الخاصة. وبذلك منح ألمانيا الشرقية سلطات أعظم مما حصلت عليه ألمانيا الغربية. ولكن ألمانيا الشرقية كانت من الناحية الأيديولوجية واقعة تحت نفوذ الاتحاد السوفيتى.

وبذلك أصبحت ألمانيا مقسمة إلى دولتين.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثانياً : إيطاليا بعد الحرب

كانت إيطاليا هى أسبق الدول المهزومة التى عقد معها الصلح. وكان قد تقرر ذلك فى مؤتمر بوتسدام Potsdam، فقد اتفق على أن يكون اعداد معاهدة صلح مع إيطاليا هو المهمة الأولى بين المسائل المهمة التى سوف يضطلع بها المجلس الجديد لوزراء الخارجية، وهو المجلس الذى تقرر تأليفه من وزير أميركى وبريطانى وسوفيتى وفرنسى وصينى، لإعداد معاهدات السلام مع الدول التابعة لألمانيا وهى : إيطاليا ورومانيا وبلغاريا والمجر وفنلندا.

وكان وضع إيطاليا من الناحية القانونية غير واضح. فقد أعلنت الحكومة الملكية الحرب على ألمانيا كما مر بنا، وتعرضت البلاد بعد ذلك للحرب الأهلية، وأسهم سكانها الشماليون الخاضعون لاحتلال الألمان فى حركة المقاومة، وتحملت إيطاليا من وراء ذلك كله الاماً شديدة. ثم تعرضت حياتها السياسية بعد ذلك للاضطراب، حتى لقد تعاقب على حكمها خمس وزارات فى الفترة من ١٩٤٤ إلى ١٩٤٧م. وهكذا كان لدى الحلفاء الغربيين المبررات لمعاملة إيطاليا معاملة أفضل.

وقبل وضع المعاهدة، تبودلت رسائل بين إيطاليا وفرنسا، تم بمقتضاها تخلى الإيطاليين عن الوضع الممتاز الذى كان لهم فى تونس منذ اتفاق ١٨٩٦م.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد طالبت فرنسا بتعديلات طفيفة فى الحدود. وكانت للنمسا أيضا بعض المطالب فى التيرول الجنوبى. ولكن لم يؤخذ بها.

وكانت مدينة تريستا والأراضى المحيطة بها موضع خلاف بين إيطاليا ويوغوسلافيا، حيث كان الأمريكيون والبريطانيون الذين يحتلون مدينة تريستا يؤيدون إيطاليا، فى حين كان الاتحاد السوفيتى يؤيد يوغوسلافيا.

وأخيرا تم الاتفاق على توقيع معاهدة الصلح فى باريس يوم ١٠ فبراير سنة ١٩٤٧م، وقام بالتوقيع عليها ممثلو روسيا وبريطانيا والولايات المتحدة والصين وفرنسا، وكذا ممثلو الأمم الخمس عشرة التى اشتركت فى الحرب ضد إيطاليا. ثم صدقت على هذه المعاهدة الدول العظمى فى يوم ١٥ سبتمبر ١٩٤٧م، ووضعت موضع التنفيذ مباشرة.

وبمقتضى هذه الشروط حرمت إيطاليا من كل الفتوحات التى تمت فى عهد موسولينى. فقد التزمت إيطاليا بالاعتراف بسيادة واستقلال ألبانيا، والحبشة، واحترامها.

كما تقرر تصفية الإمبراطورية الإيطالية فى أفريقيا، وعرض موضوع ليبيا وإرتيريا والصومال على الأمم المتحدة بعد سنة من تنفيذ المعاهدة للبت فيه.

وضمت رودس وجزر الدوديكانيز إلى اليونان.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أما الأراضى الإيطالية نفسها فلم تصب إلا بخسارة طفيفة فقد انتزعت معظم شبه جزيرة «جوليا فينسيا»، واعتبرت «تريستا ميناء حرا دوليا إلى أن يقرر مصيره، وعدلت الحدود الشمالية الغربية تعديلا طفيفا لصالح فرنسا، وفرض على إيطاليا تجريد سواحلها من السلاح، وتحديد قواتها المسلحة بأنواعها المختلفة (الجيش والأسطول والطيران) وقدرت تعويضات الحرب بـ ٠٠٠ مليون دولار، وزعت على يوغوسلافيا واليونان وألبانيا والحبشة والاتحاد السوفيتى.

ومع تطور الخلاف بين الدول الغربية والاتحاد السوفيتى خفضت الولايات المتحدة من قيود المعاهدة باتفاقها مع إيطاليا فى ١٤ أغسطس ١٩٤٧م. فأعيدت الأموال الإيطالية فى الولايات المتحدة الأمريكية إلى أصحابها، وكذا السفن الإيطالية التى صادرتها الولايات المتحدة الأمريكية. كما تخلت الولايات المتحدة أيضا عن مطالبة إيطاليا بدفع ديون الحرب، وتلت بريطانيا الولايات المتحدة فى ذلك، فتنازلت عن نصيبها من السفن الإيطالية المقرر فى معاهدة الصلح.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثالثاً : اليابان بعد الحرب العالمية الثانية

تختلف اليابان عن ألمانيا بعد استسلامها فى أنها خضعت لسلطة واحدة هى الولايات المتحدة. ويرجع ذلك للظروف التى تم فيها استسلامها عقب استخدام القنبلة الذرية فى هيروشيما Hi-roshima يوم ٦ أغسطس ١٩٤٥م، وفى نجاساكى Nagasaki يوم ٩ منه.

وكان مستقبل اليابان بعد الحرب قد بحث فى مؤتمرات الحلفاء فى أثناء الحرب، واتفق تشيانج كاى شيك مع روزفلت وتشرشل فى مؤتمر القاهرة، الذى عقد فى نوفمبر ١٩٤٣م، على أن تسترد الصين ما خسرته من الممتلكات منذ الحرب العالمية الأولى، فتسترد بذلك منشوريا وجزيرة فورموزا، وتوضع شبه جزيرة كوريا، التى كانت تبعيتها للصين واهية، تحت الوصاية الدولية حتى يبت فى مصيرها فى استفتاء حر.

كما اتفق على أن تعود اليابان إلى حدود الجزر الأربع التى كانت تشكل موطنها الأصلى، وهى من الجنوب إلى الشمال: كيوشو Kyushu وشيكوكو Shikoku وهونشو Honshu وهوكايدو Hokkaido.

وفى مؤتمر يالتا من ٤ إلى ١١ فبراير ١٩٤٥م اتفق على تنازلات لصالح الاتحاد السوفيتى، تتضمن أن يسترجع الاتحاد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

السوفيتى حقوقه السابقة قبل عام ١٩٠٥م، فيستعيد القسم الجنوبى من جزيرة سخالين Sakhalin، ويسترد القاعدة البحرية بورت آرثر Port Arthur، ويصبح ميناء ديرين Dairen ميناء حرا تحت إدارة الاتحاد السوفيتى والصين، والاعتراف بالوضع القائم فى منغوليا الخارجية، أى بوجود الحكومة الشيوعية المناهضة لكاى شيك، وضم جزر كوريل Kurile، التى فتحتها اليابان من قبل الحرب الروسية اليابانية بزمن طويل، إلى الاتحاد السوفيتى. ووضع سكة حديد منشوريا الجنوبية والصين الشرقية، التى كانت تؤمن منفذا «لديرين» وبورت آرثر، تحت إدارة مشتركة من السوفييت والصينيين. كما اتفق من جهة أخرى على أن تفقد اليابان أرخبيلات Archipelagic (الأرخبيل مجموعة جزر) ريوكيو Ryukyu وكارولاين Koroline ومارشل Marchall وبالاو Palau وماريانا Mariana التى أخذتها فتحا من ألمانيا فى أغسطس ١٩١٤م وانتدبت عليها من عصبة الأمم.

وكانت اليابان قد بلغت ذروة امتدادها فى منتصف ١٩٤٢م، حيث صارت تحتل مجموعة ضخمة من الجزر، تمتد إلى مسافة ثلاثة آلاف ميل فى الاتجاه الجنوبى الشرقى، وتقع جزر سليمان Solomon فى أقصى الطرف الجنوبى لهذه المجموعات، التى تشكل شبه سد حصين يتخذه اليابانيون لمنع الاتصال بشرق آسيا. وفى أوائل عام ١٩٤٣م قاموا بمحاولة لغزو الهند، كما شددوا الضغط على الصين الجنوبية حتى خشى الأمريكيون من

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

انهيارها. وقد حملت الولايات المتحدة العبء الأعظم فى الحرب ضد اليابان، وتلتها فى ذلك الصين.

وقد بدأ الأمريكيون طريقهم الطويل إلى اليابان باسترداد جزر سليمان. ولم يكن فى إمكانهم بطبيعة الحال غزو جزر المحيط الهادى واحدة وراء الأخرى بانتظام، لذلك اختاروا المجموعات الكبيرة، مثل جزر «أدميرالتى» Admiralty Is. وماريانا Mariana، فغزوها فى طريق زحفهم نحو اليابان بفضل تفوقهم البحرى.

وكان اليابانيون يحاولون استعادة الجزر التى يفقدونها دون أن يأبهوا بالتضحيات الجسيمة فى الأرواح، وبالتالى تضاعفت خسائر الأمريكيين. فقد خسروا فى غزو «أوكيناوا Okinawa» وحدها ٤٩ ألف جندى! ولذلك لم يتحفظ الأمريكان فى الغارات الجوية على اليابان، حتى ليقدر أن ٤٠٪ من مدن اليابان قد دمر قبل التسليم.

وكان مؤتمر واشنطن Washington الذى عقد فى ديسمبر ١٩٤١م بين تشرشل وروزفلت، فى أعقاب الهجوم اليابانى على بيرل هاربر، وحضر جانبا منه سفير الاتحاد السوفيتى فى الولايات المتحدة - قد اتفق على عدة قواعد للتعاون بين البلدين، وأولها إعطاء الأولوية لهزيمة ألمانيا، لأن مدخرها الصناعى أعظم من مدخر اليابان. كما اتفق على ألا توقع هدنة أو صلح منفرد.

وفى مؤتمر الدار البيضاء الذى عقد فى يناير ١٩٤٣م بين روزفلت وتشرشل، وضع مبدأ ضرورة تسليم الأعداء دون قيد أو

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

شرط. وقد صدر بيان، أيدته روسيا فيما بعد، بأن هدف الحلفاء من مواصلة الحرب هو تسليم ألمانيا وإيطاليا واليابان تسليما غير مشروط. ولم يكن الاتحاد السوفيتى فى ذلك الحين فى حالة حرب مع اليابان، بل إن اليابان حاولت توسيطه فى الصلح دون أن يطبق عليها مبدأ التسليم بلا قيد ولا شرط.

وكان ستالين قد أبدى استعداده فى مؤتمر طهران الذى عقد فى نوفمبر ١٩٤٣م لأن يخوض الحرب ضد اليابان بعد الانتهاء من ألمانيا، ولكن لم يتم اتفاق فى هذا الشأن، لأن هزيمة ألمانيا كانت لا تزال بعيدة.

فلما اقتربت هذه الهزيمة، وانعقد مؤتمر يالتا، ألح روزفلت على الاتحاد السوفيتى ليدخل الحرب ضد اليابان، فقبل ستالين دخول الحرب بعد ثلاثة أشهر من استسلام ألمانيا، شريطة أن تسترد روسيا جميع الحقوق التى خسرتها عام ١٩٠٥م - أى الإشراف على الخط الحديدى فى منشوريا، واسترجاع قاعدة «بورت آرثر» البحرية، وجنوب سخالين، وأرخبيل كوريل.

وقد قبل روزفلت ذلك - رغم ما فى تحقيقه من مغانم ضخمة للسوفييت - لسببين :

الأول: أن نتائج الأبحاث التى كانت تجرى فى ذلك الحين لصنع القنبلة الذرية لم تكن قد أسفرت بعد عن إمكان صنعها فى الوقت المناسب.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثانيا: أن الانتظار لحين صنع القنبلة الذرية لم يكن متوقعا أن يحقق نتائج مضمونة.

هذا بالإضافة إلى أنه حتى لو استسلمت اليابان أو أمكن غزوها، فقد كانت تحتفظ بقوات هائلة فى الصين تسيطر على مساحات شاسعة، ومن الممكن أن تستمر هذه القوات اليابانية فى الصين فى القتال. ومن ثم فإن مسألة دخول الاتحاد السوفيتى الحرب ضد اليابان كانت تعد ضرورية.

على أنه فى أبريل ١٩٤٥م أكد العلماء الأمريكان قرب نجاح التجربة الذرية الأولى. وفى ١٦ يوليو ١٩٤٥م تم تجربة القنبلة الذرية بنجاح فى «ألاموجوردو» Alamogordo فى صحراء «نيومكسيكو»، وكان ذلك فى أثناء مؤتمر بوتسدام، وقد أخبر ترومان ستالين باختراع سلاح قتال جديد، ولكنه تظاهر بعدم الإكتراث.

وفى يوم ٦ أغسطس ١٩٤٥م ألقت الولايات المتحدة الأمريكية أول قنبلة ذرية على هيروشيما، وبعد ثلاثة أيام، أى فى ٩ أغسطس ١٩٤٥م، ألقت القنبلة الذرية الثانية على نجازاكى. ولكن فى اليوم السابق ٨ أغسطس ١٩٤٥م، أعلن الاتحاد السوفييتى الحرب على اليابان.

ومن المحقق أن إلقاء الولايات المتحدة القنبلة الذرية على اليابان لم يكن له ما يبرره من الناحية الخلقية، خصوصا وقد امتنع

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المحاربون عن استخدام الغازات السامة والخانقة والجراثيم، مما يدل على أن استخدام الأسلحة غير الإنسانية كان مقررا.

وقد تذرعت اللجنة الأمريكية التى تألفت لبحث استخدام هذا السلاح بحجج واهية فى وجوب استخدامه:

أولها، أن عدم استخدامه من شأنه إطالة أمد الحرب، مما يكلف الفريقين خسائر فادحة.

ثانيا، أنه ليس من المؤكد أن اليابان سوف تقبل إلقاء السلاح لو تم إخطارها به قبل استخدامه.

على أن المبادئ الإنسانية - مع ذلك - كانت تقضى بإخطار اليابان بالسلاح الجديد، وترك الخيار لها بعد ذلك بين التسليم أو تحمل المسئولية عما يحيق بها عند استخدامه.

على أن الولايات المتحدة كانت - فى الحقيقة - تهدف من استخدام سلاح القنبلة الذرية إلى تحذير الاتحاد السوفييتى، والاستئثار بالسلطة المطلقة فى اليابان. وقد أفلحت فى الغرض الثانى، ولكنها لم تدرك الغرض الأول، لأن الاتحاد السوفييتى لم يلبث أن توصل إلى سر السلاح الجديد بعد أربعة أعوام، أى فى ١٩٤٩م.

ولقد كان احتلال اليابان بعد استسلامها عملية مختلفة عنها فى ألمانيا. فقد بقيت حكومة «الميكادو» تنهض بأعباء الحكم، ولم تنقسم البلاد إلى مناطق احتلال.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكان لليابان قوات هائلة لم تمس فى الصين وإندونيسيا، فقضت الأوامر بأن تسلم القوات المرابطة فى منشوريا إلى السوفييت أو الصين، وفى بقية الصين لممثلى حكومة تشيانج كاى شيك Chiang Kai-Shek، وفى أندونيسيا لجميع الحلفاء، وفى كوريا للأمريكيين والسوفييت وحدهم.

ولم يراع اليابانيون هذه الأوامر تماما، فآثر بعضهم التسليم للشيوعيين فى الصين، وللوطنيين فى إندونيسيا.

وبالنسبة لكوريا، فقد كانت روسيا قد أرسلت إليها قواتها على أثر إعلانها الحرب على اليابان، فقسمت تلك البلاد إلى منطقتى احتلال: احتلت الولايات المتحدة الجزء الجنوبى منها، وهو غنى بأراضيه الزراعية، واحتلت روسيا الجزء الشمالى، ويكون الشطر الصناعى فى كوريا.

وكانت الولايات المتحدة قد اقترحت فى ٢٣ أغسطس ١٩٤٥م على حكومات الاتحاد السوفييتى وبريطانيا وفرنسا واستراليا وكندا والصين وهولندا ونيوزيلندا والفلبين، تشكيل لجنة استشارية للشرق الأقصى، فقبل الاتحاد السوفييتى والصين هذا الاقتراح مباشرة، ولكن بريطانيا اشترطت دعوة الهند للاشتراك فى اللجنة.

وفى اجتماع مجلس وزراء الخارجية المنعقد فى لندن فى سبتمبر ١٩٤٥م، انتقد مولوتوف سياسة الاحتلال الأمريكى، وطالب

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بإنشاء مجلس إشراف لليابان بدلا من اللجنة الاستشارية، وذكر أن الجنرال ماك آرثر Mac Arthur الذى عين قائدا أعلى باسم الدول الحليفة Allied Supreme Commander، سلك سياسة من شأنها عودة الروح العسكرية اليابانية.

وفى ٢٧ أكتوبر وجه ستالين شكوى مماثلة للسفير الأمريكى أفريل هاريمان Averell Harriman. ولذا كان من الضرورى اللجوء إلى تسوية.

وقد تحقق ذلك فى المؤتمر الذى عقده وزراء خارجية الثلاثة الكبار فى موسكو فى ديسمبر ١٩٤٥م، والذى قرر ما يلى :

أولا: إنشاء «لجنة الشرق الأقصى»، بعد حذف صفتها الاستشارية، وتضم ممثلين عن البلاد التى سبق ذكرها، وعن الهند أيضا.

ثانيا: إنشاء «مجلس اليابان الحليف» ومقره طوكيو، ويرأسه الجنرال ماك آرثر أو من ينيبه، ويضم ثلاثة أعضاء: أحدهم عن الاتحاد السوفييتى، والثانى عن الصين، والثالث مشترك لبريطانيا واستراليا ونيوزيلندا والهند، وتكون مهمة هذا المجلس «مساعدة القائد الأعلى فيما يتعلق بتنفيذ بنود الاستسلام والاحتلال والإشراف على اليابان.

على أن تتخذ القرارات فى جميع الأحوال من قبل القائد الأعلى، باعتباره السلطة التنفيذية الوحيدة للدول الحليفة فى اليابان.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يتضح من ذلك أن سلطة مجلس اليابان الحليف كانت شكلية، إذ هى تترك الجنرال ماك آرثر مطلق اليدين. كما أن «لجنة الشرق الأقصى» المكلفة برسم السياسة حيال اليابان والمنطقة، بما فى ذلك عقد الصلح مع اليابان، لم تكن أكثر فاعلية من الهيئة السابقة!

وقد قامت سياسة الجنرال ماك آرثر فى اليابان على الأسس الآتية:

١ - صبغ نظام الحكم فى اليابان بالصبغة الديموقراطية. وقد تم ذلك بدستور ٦ مارس ١٩٤٦م، الذى وضع موضع التنفيذ فى ٣ مايو ١٩٤٧م.

٢ - تقويض التروستات (الاحتكارات) العائلية الكبرى.

٣ - تأمين اقتطاع التعويضات المفروضة على اليابان.

٤ - تنظيم الاحتلال.

وفى الفترة من ١٩٤٥ - ١٩٤٧م ازداد التوتر فى «مجلس اليابان الحليف» بين المندوب الأمريكى والمندوب الروسى. ومن الطريف أن هذا الأخير كان يؤيد كلاً من المندوب البريطانى والمندوب الصينى اللذين أخذا يشكوان من أن دور المجلس قد أصبح سلبيا بسياسة ماك آرثر الدكتاتورية.

وهذا يوضح فشل المحاولات الأمريكية فى يوليو ١٩٤٧م لعقد الصلح مع اليابان.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فقد اقترح الأمريكيون فى هذا التاريخ أن يجرى تحضير هذه المعاهدة من قبل الدول الإحدى عشرة الأعضاء فى «لجنة الشرق الأقصى»، بحيث تتخذ القرارات بأغلبية الثلثين.

ولكن الاتحاد السوفيتى اقترح، على العكس من ذلك، أن يجرى تحضير المعاهدة من قبل مجلس وزراء الخارجية، وتتخذ قراراته بالاجماع، لأن الغالبية فى لجنة الشرق الأقصى كانت موالية للولايات المتحدة. ولذلك لم يصل الطرفان إلى اتفاق.

فى ذلك الحين كانت الحرب الأهلية فى الصين بين حكومة كاى شيك والشيوعيين، وتوقع تفوق الأخيرين - قد دفع بالولايات المتحدة، نظرا لفساد حكومة كاى شيك، إلى التخلى عن اعتمادها على الصين، وتركيز انتباهها على اليابان.

وكان هذا يفترض بطبيعة الحال إنهاء نظام الاحتلال، وبالتالى عقد صلح مع اليابان، سواء اشترك فيها الاتحاد السوفيتى أم لم يشترك.

وفى الوقت نفسه، أخذ الجنرال ماك آرثر يبدل سياسته فى اليابان. فقد اعتمد على أحزاب اليمين، وأخذ يحارب الشيوعية اليابانية، وبدأ أكثر تسامحا إزاء التروستات، وأخذ يشجع اليابانيين على النهوض بسرعة.

وبذلك تكرر فى اليابان ما تكرر فى ألمانيا الغربية بسبب الحرب الباردة، مع فارق هو أن ألمانيا كانت مقسمة، ولم تكن بها

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حكومة مركزية يعقد معها الصلح، أما اليابان فلم تقسم، وكان لها حكومة مركزية.

وفى أول يونيو ١٩٥٠م صرحت الحكومة اليابانية بأنها تحبذ عقد معاهدة صلح منفرد يعيد لها الحرية والمساواة، وأبدت رغبتها فى حماية نفسها من هجوم سوفييتى محتمل، أو قيام ثورة شيوعية فى الداخل.

ثم ظهر ولاء اليابان للولايات المتحدة بشكل حاسم فى أثناء الحرب الكورية، حين اضطرت الولايات المتحدة إلى سحب الكثير من قوات الاحتلال فى اليابان، حتى لم يبق بها سوى ٥٠٠٠ جندى فقط! ومع ذلك لم تقم اليابان بأى اضطراب.

وقد صاغت الولايات المتحدة معاهدة الصلح مع اليابان، ثم دعت إلى عقد مؤتمر فى سان فرانسيسكو لتوقيع هذه المعاهدة، فقبلت ٤٩ دولة، من بينها الاتحاد السوفيتى، الحضور، ورفضت الهند وبورما ويوغوسلافيا. ولم تدع الولايات المتحدة الصين لأنها أصبحت شيوعية ولم تعترف بنظامها الجديد.

وقد دام المؤتمر من ٤ - ٧ سبتمبر ١٩٥٢م. وفى ٧ منه رفض الاتحاد السوفيتى وبولندا وتشيكوسلوفاكيا التوقيع على المعاهدة، بسبب اعتراضها على نصوصها.

وقد نصت معاهدة الصلح مع اليابان على تنازل اليابان عن جميع ممتلكاتها التى حصلت عليها منذ نهاية القرن التاسع عشر.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبمعنى آخر، تنازل اليابان عن كوريا وفورموزا وجزر كوريل وجنوب سخالين، وتخليها للولايات المتحدة عن وصايتها على جزر ماريانا، ومارشال، وكارولاين فى المحيط الهادى. وتقر المعاهدة مبدأ التعويضات، مع إضافة تحفظ بأن اليابان لا تملك أموالا لدفعها آنذاك، ولذلك فإن الشعب اليابانى يضع نفسه تحت تصرف الدول الدائنة، وللحلفاء الحق فى وضع اليد على الأموال اليابانية الموجودة تحت سلطانهم عندما توضع المعاهدة موضع التنفيذ.

كما تعهدت اليابان بعدم الأخذ بسياسة الحماية الجمركية، والسير على نظام حرية التجارة ومعاملة الدول على قدم المساواة.

وتتميز معاهدة الصلح مع اليابان بأنها لم تحدد عدد القوات المسلحة ولا نوع الأسلحة، وتقضى بانسحاب الجيوش الأجنبية منها بعد تسعين يوما من تنفيذ المعاهدة، إلا إذا أبرمت اتفاقات أخرى فى هذا الشأن.

وفى الواقع أن الولايات المتحدة كانت فى ذلك الوقت بالذات توقع اتفاقية دفاع مشترك مع اليابان، طلبت فيها اليابان بقاء القوات الأمريكية مؤقتا فى اليابان وما جاورها، نظرا لأنها لا تملك الوسائل الخاصة بالدفاع.

وقد وصف شواين لاى Chou En-Lai مشروع المعاهدة فى ١٥ أغسطس ١٩٥٢م بأنه ينتهك حرمة الاتفاقات الدولية، وبأنه يجعل اليابان مستعمرة أمريكية حقيقية، ويلغى التعويضات.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكانت حجة الهند فى رفضها الاشتراك فى مؤتمر سان فرانسيسكو، أن مشروع المعاهدة لا يخول لليابان مركزا مشرفا، ولا يوجد شروطا ملائمة للحفاظ على سلام مستقر فى الشرق الأقصى، إذ لم يرد به نص على عودة فورموزا إلى الصين، أو حصول الاتحاد السوفيتى على جزر كوريل وجنوب سخالين، وعدم رد جزر بونين Bonin وجزر ريوكيو Ryu Kyu إلى اليابان، ووضعها تحت وصاية الولايات المتحدة الأمريكية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رابعا: قيام هيئة الأمم المتحدة

ظهرت فكرة توطيد نظام للأمن الدولى أقوى من عصبة الأمم فى أثناء الحرب العالمية الثانية. فقد نص فى ميثاق الاطلنطى، الذى صدر فى ١٤ أغسطس ١٩٤١م، على تأسيس «نظام للأمن العام يقوم على قواعد أوسع».

وفى أول يناير ١٩٤٢م، فى أثناء زيارة تشرشل لواشنطن، وقعت الدول المشتركة فى الحرب ضد المحور، ومعظمها آنذاك حكومات منفى أو دول أمريكا اللاتينية - ماعرف باسم: «تصريح الأمم المتحدة»، الذى أعدت مشروعه وزارة الخارجية الأمركية، وتعهد المشتركون بأن يهيئوا نظاما للسلام والأمن بعد الحرب. وقد ظهر فى هذا التصريح لأول مرة اسم «الأمم المتحدة».

وكان الاعتقاد السائد أن تماسك الدول الكبرى أهم لأمن العالم من تماسك الدول الصغيرة فى هذه المنظمة. ولذلك ظهر مشروع للتنظيم الدولى يقيم من الدول الكبرى الثلاث: الولايات المتحدة، والاتحاد السوفييتى، وبريطانيا - مجلسا أعلى تتبعه ثلاث منظمات إقليمية: إحداها للأمريكيين، والثانية للشرق الأقصى، والثالثة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لأوروبا والشرق الأوسط - على أن ترأس الولايات المتحدة المنظمة الأولى، وتشترك الدول الثلاث فى توجيه المنظمة الثانية، أما المنظمة الثالثة فيختص بتوجيهها كل من بريطانيا والاتحاد السوفيتى.

ولقد كانت بريطانيا والولايات المتحدة أميل لمشروع المنظمات الإقليمية، أما الولايات المتحدة فكانت أميل إلى منظمة عالمية. فقد كانت تخشى أن يؤدى قيام منظمة للأمريكتين إلى إحياء سياسة العزلة من جهة، والى تشكك أمريكا اللاتينية فى أن الولايات المتحدة تريد السيطرة عليها من جهة أخرى.

وقد تغلبت وجهة نظر الولايات المتحدة.

ففى المؤتمر الذى عقده وزراء خارجية هذه الدول فى موسكو فى أكتوبر ١٩٤٣م، تم الاتفاق على إنشاء منظمة دولية تقوم على المساواة بين جميع الدول المسالمة، على أن يتم التوفيق بين هذا المبدأ وبين نظرية الدول الكبرى الحارسة للأمن.

وقد تأكد هذا القرار فى نوفمبر ١٩٤٣م فى مؤتمر طهران بين ستالين وروزفلت وتشرشل. وفى ٩ ديسمبر ١٩٤٣م تألفت فى واشنطن لجنة لدراسة منظمة المستقبل الدولية.

وقد تم العمل الرئيسى فى فندق دمبرتن أوكس dumbarton Oaks فى واشنطن، حيث انعقد مؤتمران:

أحدهما من ٢١ إلى ٢٨ سبتمبر ١٩٤٤م بين البريطانيين والأمريكيين والسوفيت.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والآخر، وهو أقل أهمية، من ٢٩ سبتمبر إلى ٧ أكتوبر ١٩٤٤م، بين البريطانيين والصينيين - ولم تدع فرنسا لأن حكومتها المؤقتة لم يعترف بها شرعيا (de Jure) إلا فى ٢٣ اكتوبر - أى بعد انعقاد المؤتمرين.

وقد اتفق فى دمبرتن أوكس على عدد كبير من النقاط، وهى:

أن تتألف الأمم المتحدة من «جمعية عامة» يشترك فيها الأعضاء بالتساوى، و«مجلس أمن» تكون له السلطة الحقيقية. والغرض من وجود «الجمعية العامة» و «مجلس الأمن» هو التوفيق بين مبدأ المساواة بين الدول ونظرية الدول الحارسة للأمن.

كما اتفق أيضا على إنشاء «أمانة» و «محكمة عدل دولية».

وبإلحاح من الولايات المتحدة أقيم المجلس الاقتصادى والاجتماعى. فقد كان الإنجليز والسوفييت حتى ذلك الحين يرون أن تقتصر منظمة المستقبل على قضايا الأمن وحدها.

وتقرر أن تكون الدول الأربع المشتركة فى «دمبرتن أوكس» وفرنسا، أعضاء دائمين فى مجلس الأمن.

ولكن بقيت نقطتان معلقتان:

الأولى، التصويت - أى كيفية استخدام حق الفيتو Veto.

والثانية، وقد أثارتها، موسكو، وهى أن يكون لكل جمهورية من جمهوريات الاتحاد السوفييتى، وعددها ١٦ جمهورية، مقعد فى جمعية الأمم المتحدة. وكانت حجة موسكو فى ذلك أن كل دولة من دول الكومنولث تعتبر عضوا، وتشترك بصوت.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد نوقشت هاتان النقطتان فى آخر عام ١٩٤٤م فى الولايات المتحدة، ورفضت شخصيات أمريكية عسكرية وبحرية أن تقبل بأن ترغم أغلبية ضئيلة فى مجلس الأمن الولايات المتحدة على أن ترسل قوات إلى الخارج دون موافقة الكونجرس، الذى سوف يرفض التصديق على معاهدة تتضمن التخلى عن السيادة القومية على هذا النحو.

وعليه فقد اتفق على أن يتمتع الأعضاء الدائمون بحق «الفيتو»، وعلى ضرورة إجماع الدول الكبرى باعتبار هذا الاجماع «حيويا لسير المنظمة».

أما فيما يختص بحالة ما إذا نشب نزاع اشتركت فيه إحدى الدول الكبرى، فكان من رأى الولايات المتحدة ألا تستعمل هذه الدولة حق الفيتو، ولكنها تراجعت إزاء المعارضة السوفييتية والبريطانية، واقترح ستالين الحفاظ على إجماع الدول الكبرى فى جميع الحالات.

وعندما عقد مؤتمر يالتا فى فبراير ١٩٤٥م تناول بالبحث مقترحات «دمبرتن أوكس»، وموضوع مقاعد الجمهوريات السوفيتية. وقد ردت الولايات المتحدة على الاتحاد السوفيتى بأنها لم تطالب بمقاعد لولاياتها الـ ٤٨ حتى يتمسك الاتحاد السوفيتى بمقاعد لجمهورياته الـ ١٦!

وهنا تم التوصل إلى حل وسط، وهو منح أكبر جمهوريتين فى الاتحاد السوفييتى وهما: روسيا البيضاء، وأوكرانيا - مقعدين فى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الجمعية العامة، على أساس أنهما تتمتعان - نظريا - بإدارة شئونهما الخارجية.

وأما بخصوص استخدام حق الفيتو، فقد اتفق على مبدأ «الإجماع»، ومبدأ حق الدولة فى استخدام الفيتو حتى ولو كانت طرفا فى النزاع.

وقد تطرق المؤتمر بعد ذلك إلى كيفية اختيار الدول التى تدعى إلى المؤتمر التأسيسى لهيئة الأمم المتحدة، فهل تقتصر الدعوة على الدول التى شاركت فى الحرب ضد المحور، أو يفتح الباب لجميع الدول؟

ولما كانت هناك دول لم تعلن الحرب على المحور، ولكنها قدمت مساعدات مؤثرة لمجهود الحلفاء الحربى، مثل مصر، فقد كان الحل الوسط الذى انتهت إليه المناقشات، هو أن يسمح للدول التى تعلن الحرب على المحور قبل نهاية فبراير ١٩٤٥م بالاشتراك فى المؤتمر التأسيسى للأمم المتحدة.

وقد حفز هذا القرار كثيرا من الدول الموالية للحلفاء، والتى ترددت فى إعلان الحرب رسميا، على إنهاء ترددها.

أما هذا المؤتمر التأسيسى فقد تقرر أن يعقد فى سان فرانسيسكو San Francisco Conference فى الولايات المتحدة فى ٢٥ أبريل ١٩٤٥م. ومهمته إعداد ميثاق هيئة الأمم المتحدة.

وكانت الدول الداعية إلى هذا المؤتمر هى «الثلاث الكبرى» (بريطانيا والولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى) والصين، فى حين

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رفضت فرنسا الاشتراك فى توجيه الدعوة باعتبار أنها لم تساهم فى «دمبرتن أوكس» ولا فى «يالتا».

وفى مؤتمر سان فرانسيسكو San Francisco كان أساس النقاش هو اقتراحات «دمبرتن أوكس» مع ما يتممها فى «يالتا» Yalta.

وقد استاءت الدول الصغرى والوسطى من أصول التصويت فى مجلس الأمن - فقد كان للأعضاء الدائمين الذين يتمتعون بحق الفيتو Veto سلطات أوسع من السلطات التى كانت لهم فى مجلس «عصبة الأمم». كما أن الميثاق لم يدخل فى صلب نصوص معاهدات السلام بخلاف ما حدث فى عام ١٩١٩م.

وقد استمر انعقاد مؤتمر سان فرانسيسكو من ٢٥ أبريل إلى ٢٥ يونيو ١٩٤٥م، ووضع ميثاق المنظمة الجديد، ويتضمن ١٩ فصلا، ١١١ مادة، ومقدمة بليغة، يتعهد فيها الموقعون بتسوية الخلافات الدولية بالطرق السلمية، ونبذ استخدام القوة، ويعلنون إيمانهم بحقوق الإنسان، ومساواة حقوق الرجال والنساء، والأمم الكبرى والصغرى، ومناصرة الحريات الأساسية، والتأكيد على حق الشعوب فى تقرير المصير. وأوضح الميثاق أن أعضاء الأمم المتحدة هم :

١ - جميع الدول التى اشتركت فى مؤتمر سان فرانسيسكو ووقعت على الميثاق (ومعنى ذلك جميع الدول التى أعلنت الحرب على

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ألمانيا أو اليابان) وكانت هناك صعوبات لقبول الأرجنتين Ar-gentina في مؤتمر سان فرانسيسكو. وأخيرا قبلت في أول مايو ١٩٤٥م.

٢ ـ جميع الدول المسالمة الأخرى التي تقبل التزامات الميثاق.

وكان عدد أعضاء هيئة الأمم في أثناء جلسة الافتتاح في ١٠ ديسمبر ١٩٤٥م يضم ٥١ عضوا.

طبقا لما نص عليه الميثاق تتكون الأمم المتحدة من ستة أجهزة رئيسية هي:

١ ـ الجمعية العامة The General Assembly.

٢ ـ مجلس الأمن The Security Council.

٣ ـ المجلس الاقتصادي والاجتماعي The Economic & Social Council.

٤ – مجلس الوصاية .The Trusteeship Council.

٥ – محكمة العدل الدولية The International Court of Justice.

٦ – الأمانة العامة The Secretaria.

وهناك أيضا منظمات منفصلة ترتبط بالأمم المتحدة بمقتضى اتفاقات خاصة عن طريق المجلس الاقتصادي والاجتماعي، الذي يتولى مهمة التنسيق بينها، وتقدم إليه بتقارير سنوية وعلى رأسها:

١ – منظمة العمل الدولية International Labor Organization (١٩٤٦م).

٢ – منظمة الأغذية والزراعة (أكتوبر ١٩٤٥م) The Food and Ag-reculture Organization (FAO).

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٣ – منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) (٤ نوفمبر ١٩٤٦م) United Nations Educational, Scientific and Cultural Organiztion (UNESCO).

٤ – منظمة الصحة العالمية World Health Organization (أبريل ١٩٤٨م).

٥ – البنك الدولى للإنشاء والتعمير (ديسمبر ١٩٤٥م) The International Bank for Reconstruction & Development.

٦ – هيئة التنمية الدولية (سبتمبر ١٩٦٠م) International Development Association (IDA).

٧ – صندوق النقد الدولى (ديسمبر ١٩٤٧م) International Monetary Fund (IMF).

٨ – المنظمة الدولية للطيران المدنى (أبريل ١٩٤٧م) International Civil Aviation Organization (ICAO).

٩ – اتحاد البريد العالمى (يوليو ١٩٤٧م) Universal Postal Union (UPU).

١٠ – الاتحاد الدولى للواصلات السلكية واللاسلكية (١٩٤٧م) International Telecommunicational Union.

١١ – المنظمة العالمية للأرصاد الجوية World Meteorological Organization (١٩٥١م).

١٢ – صندوق الأمم المتحدة لرعاية الطفولة (١٩٤٦م) United Nations Childern's Fund (UNICEF).

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١٣ – كما أنشئت الوكالة الدولية للطاقة الذرية International Atom-ic Energy Agency (IAEA) عام ١٩٥٧م، على أن تقدم تقارير سنوية إلى الجمعية العامة ومجلس الأمن والمجلس الاقتصادى.

أولا : الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة :

تتألف الجمعية العامة من مندوبين عن الدول الأعضاء، بواقع خمسة على الأكثر لكل دولة، وتمارس السلطة العليا من ناحية أنها تنتخب الأعضاء غير الدائمين فى مجلس الأمن، وأعضاء محكمة العدل الدولية، وأعضاء المجلس الاقتصادى والاجتماعى، وأعضاء مجلس الوصاية، وتقبل الأعضاء الجدد، أو تفصل من ينقضون تعهداتهم، باقتراح من مجلس الأمن.

ولكن سلطتها فى النواحى الأخرى استشارية محضة. فهى «تدرس» «وتناقش» وتوصى» وتفحص التقارير – ولا تقرر أبدا.

وتوصيات الجمعية العامة ليس لها أى تأثير إلا فى الحد الذى تؤثر فيه سلطتها المعنوية على الدول المعنية.

وتعقد دورة سنوية، كما تعقد دورات خاصة طارئة خلال ٢٤ ساعة بناء على طلب من مجلس الأمن، أو طلب غالبية الأعضاء. وتعين رئيسها لكل دورة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثانيا :مجلس الأمن :

تألف مجلس الأمن من ١٥ عضوا منهم خمسة دائمون لهم حق الفيتو، وهم : الولايات المتحدة، الاتحاد السوفييتى، بريطانيا، فرنسا، الصين.

ويمثل مجلس الأمن السلطة الحقيقية لهيئة الأمم المتحدة، وهو يكلف بتسوية الخلافات بالطرق السلمية وهى : المفاوضات، التحقيق، الوساطة، التوفيق، التحكيم، التسويةالقضائية، اللجوء إلى الهيئات أو الاتفاقات الإقليمية.

ويمكن للمجلس عندما لا تؤدى الطرق السلمية إلى شىء، وعندما يكون هناك تهديد للسلام أو القيام بعدوان، أن يقرر تدابير وقتية مباشرة، ثم تدابير قطعية لتنفيذ قراراته.

وهذه التدابير إما أنها لا تقتضى استخدام القوة المسلحة، مثل قطع العلاقات الاقتصادية جزئيا أو كليا، والمواصلات الحديدية والبحرية والبريدية والتلغرافية، وقطع العلاقات الدبلوماسية.

وإما أنها تقتضى استخدام القوة العسكرية : مناورات، مظاهرات، حصار، عمليات عسكرية. وتتم بواسطة قوات الطوارئ الدولية.

ومن ذلك يتضح أن لمجلس الأمن سلطة فى اتخاذ القرارات، أقوى وأنجح من توصيات الجمعية العامة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويشترط لصحة القرارات أن تتم بأغلبية تسعة أصوات : خمسة منها للأعضاء الدائمين. ولكل دولة – عضوا كانت أو غير عضو – الحق فى توجيه شكوى إلى مجلس الأمن. وللمجلس، على العكس من الجمعية التى لا تعقد من حيث المبدأ إلا دورة واحدة سنوية ـ أن يعقد جلسة كل ١٥ يوما على الأقل.

وقد جعلت مدينة نيويورك المقر الدائم لهيئة الأمم المتحدة، اعترافا بجهود الولايات المتحدة فى أثناء الحرب.

ثالثاً : المجلس الاقتصادى والاجتماعى :

ويتألف من سبعة وعشرين عضوا، تنتخب الجمعية العامة كل عام تسعة منهم لفترة مداها ثلاث سنوات. وهو مسئول عن نشاط الأمم المتحدة الاقتصادى والاجتماعى.

ويقوم بدراسات فى الشئون الدولية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التربوية والصحية وما يتصل بها، ويرفع عنها التقارير والتوصيات.

كما ينسق الجهود التى تبذلها الوكالات المختصة، وذلك بالتشاور معها، وتقديم توصيات إليها وإلى الجمعية العامة وأعضاء الأمم المتحدة.

ويتم الاقتراع فى المجلس الاقتصادى والاجتماعى بالأغلبية المطلقة، ولكل عضو صوت واحد.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويصرف المجلس شئونه بواسطة لجان أساسية ولجان فرعية، أنشئ منها ما يلى :

لجنة الإحصاء - اللجنة الاجتماعية - لجنة مركز المرأة - لجنة الإسكان - لجنة حقوق الإنسان - لجنة المخدرات. وهناك أيضا لجنة فرعية لمنع التمييز العنصرى وحماية الأقليات، وهى تعمل فى نطاق حقوق الإنسان.

كما أنشئت أربع لجان اقتصادية إقليمية هى : اللجنة الاقتصادية لأوربا، واللجنة الاقتصادية لآسيا والشرق الأقصى، واللجنة الاقتصادية لأمريكا اللاتينية، واللجنة الاقتصادية لأفريقيا.

وتدرس هذه اللجان المشكلات الاقتصادية فى أقاليمها، وتقدم إلى الحكومات توصيات فى الشئون المتعلقة بالتنمية الاقتصادية، مثل القوى الكهربائية، والنقل المائى، وتنمية التجارة واستخدام الموارد المعدنية والمائية استخداما أكبر فاعلية.

رابعا : مجلس الوصاية :

ويتألف من أعضاء الأمم المتحدة الذين يتولون إدارة بلاد واقعة تحت الوصاية، ومن الأعضاء الدائمين فى مجلس الأمن الذين لا يديرون بلادا من هذا النوع، ومن عدد كاف من الأعضاء تنتخبهم الجمعية العامة لمدة ثلاث سنوات، لإيجاد توازن بين الدول التى تدير بلادا تحت الوصاية والتى لا تدير بلادا من هذا النوع.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومهمة المجلس الإشراف على إدارة البلاد الموضوعة تحت الوصاية، وله أن يضع استفتاء عن تقدم الأهالى فى البلاد الموضوعة تحت الوصاية فى النواحى السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية. وعلى أساس هذا الاستفتاء تضع السلطات المشرفة على إدارة هذه البلاد تقاريرها السنوية للجمعية العامة عن هذه الاستفتاء.

كذلك ينظر المجلس الشكاوى التى يقدمها أهالى هذه البلاد، وينظم زيارات تفتيشية دورية يتفق على مواعيدها مع السلطات المشرفة على الإدارة.

خامسا: محكمة العدل الدولية :

وهى الهيئة القضائية الأساسية التى ترجع إليها الأمم المتحدة، وتباشر مهامها وفقا لقانون خاص هو جزء من ميثاق الأمم المتحدة، وهى مباحة للدول التى صدقت على قانونها، وتستطيع كل دولة منها أن تعرض قضاياها بشروط يحددها مجلس الأمن الذى يجوز له أن يحيل إلى المحكمة أى نزاع قضائى.

ويشتمل اختصاص المحكمة على جميع المنازعات التى تحيلها إليها الدول.

ويجوز للدول أن ترتبط مقدما بالنزول على أحكام المحكمة فى حالات معينة، وذلك إما بتوقيع معاهدة، وإما باتفاق ينص فيه على ذلك، وإما أو بإصدار تصريح.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويجوز لأحد الطرفين المتنازعين أن يلجأ إلى مجلس الأمن مطالبا باتخاذ الوسائل الكفيلة بتنفيذ حكم محكمة العدل الدولية، وذلك فى حالة امتناع الطرف الآخر عن تنفيذ التزاماته بموجب هذا الحكم.

وتتكون هيئة المحكمة من خمسة عشر قاضيا يتم انتخابهم باقتراع مستقل فى كل من الجمعية العامة ومجلس الأمن، ويكون اختيارهم على أساس مؤهلاتهم الشخصية لا على أساس جنسياتهم. ويكون انتخاب القاضى لمدة تسع سنوات.

سادسا : الأمانة العامة :

وتتألف من أمين عام Secretary General تعينه الجمعية العامة، بناء على توصية مجلس الأمن. ومعه عدد من الموظفين يكفى لمواجهة حاجات الهيئة.

والأمين العام هو الرئيس الإدارى للأمم المتحدة، وهو يوجه أنظار مجلس الأمن إلى أية مسألة يراها تهدد السلام والأمن الدوليين. وهو يرفع إلى الجمعية العامة تقريرا سنويا، وما يلزم من تقارير إضافية عن أعمال الأمم المتحدة.

وكان أول أمين عام للأمم المتحدة هو المسيو «ترجفى لى Trygve Lie» النرويجى، الذى عين فى أول فبراير ١٩٤٦م. وقد صدر قرار بمد خدمته ثلاث سنوات فى ١٩٥٠م. وفى ١٠ نوفمبر ١٩٥٢م قدم استقالته.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد عين مستر داج همرشولد Dag Hammarskjold السويدى خلفا له فى ١٠ أبريل ١٩٥٣م. وقد مدت خدمته هو الآخر خمس سنويا ابتداء من أبريل ١٩٥٨. ولكنه لقى مصرعه فى حادث طائرة بأفريقيا فى ١٨ سبتمبر ١٩٦١م.

فعين أوثانت U Thant من بورما أمينا عاما بالنيابة فى ٣ نوفمبر ١٩٦١م. استكمالا لما تبقى من خدمة مستر همرشولد، ثم عين أمينا عاما فى نوفمبر ١٩٦٢م لمدة خمس سنوات ابتداء من قيامه بالعمل فى ٣ نوفمبر ١٩٦١م حتى ١٩٧١م.

وتتابع الأمناء بعد ذلك، فعين كيرت فالدهايم النمساوى Kurt Waldheim من ١٩٧٢م إلى ١٩٨١م، وچافييه بيريزدى كويلار Javier Perez De Cuéllar. من سنة ١٩٨٢م، وهو من بيرو، ثم بطرس غالى من ١٩٩١م.

وليس للأمين العام وموظفيه فى أثناء تأدية أعمالهم أن يتلقوا تعليمات من أية حكومة أو سلطة أخرى غير الأمم المتحدة.

وقد تعاهد أعضاء الأمم المتحدة على أن يحترموا الصفة الدولية للأمانة العامة. وألا يحاولوا الضغط عليها وهى تضطلع بمسئولياتها. وفى الوقت نفسه على الأمين العام وموظفيه أن يتجنبوا القيام بأى عمل قد يؤثر فى صفتهم الدولية.

ويتكون جهاز الأمانة العامة من الإدارات الآتية :

مكاتب الأمين العام : وهى المكتب التنفيذى للأمين العام، ومكتب الأمناء المساعدين للشئون السياسية الخاصة أو الشئون القانونية، ومكتب المراقب، ومكتب المستخدمين.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومن الإدارات الآتية وهى :

إدارة الشئون السياسية، وشئون مجلس الأمن، وإدارة الشئون الاقتصادية والاجتماعية، وإدارة شئون الوصاية والبلاد غير المتمتعة بالحكم الذاتى. ومكاتب الأنباء العامة، والخدمات العامة، والمؤتمرات .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

خامساً : تحول أوروبا الشرقية إلى الشيوعية ونشأة الكتلة الشرقية

يعتبر تحول أوروبا الشرقية نحو الشيوعية من أخطر التغييرات التى أتت بها الحرب العالمية الثانية. وهناك جدل شديد يدور حول ما إذا كان هذا التحول قد تم رغم إرادة الشعوب - أى بطريق التدخل من جانب الاتحاد السوفيتى، أو أنه جاء وليد الرغبة الشعبية؟.

وفى الواقع أنه إذا اعتبرنا ما قام به الاتحاد السوفيتى من تمهيد الطريق فى هذه البلاد، وتهيئة الفرصة لشعوب أوروبا الشرقية لانتهاج الطريق الاشتراكى عن طريق القضاء على الخطر النازى، والقضاء على سيطرة البورجوازية الكبيرة الحاكمة فى هذه الأقطار - تدخلا استعماريا، فإن تحول هذه الشعوب نحو الاشتراكية يكون قد تم رغم الإرادة الشعبية.

وأما إذا اعتبرنا ما قام به الاتحاد السوفيتى هو مجرد إتاحة الفرصة للجماهير الشعبية للوصول إلى الحكم، وانتزاع إرادتها من يد الرأسمالية المسيطرة والحاكمة، فإن التحول يكون قد تم وليد الرغبة الشعبية وفقا لما تعبر عنها أوسع القواعد الجماهيرية.

وعلى كل حال فإن التطور التاريخى الذى نستعرضه هنا لهذا التحول يمكن أن يلقى الضوء على طبيعة هذا التحول ولونه، مع الأخذ فى الاعتبار عدة أمور:

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأول: أن شرق أوروبا ظل «تاريخيا» متخلفا عن غرب أوروبا لظروف تاريخية معروفة، تتعلق بحركة الكشوف الجغرافية ونشأتها بالذات فى غرب أوروبا.

ثانيا: أن الاشتراكية كانت هدفا تصبو إليه الجماهير العريضة، ولا تلقى العداء إلا من الطبقات الرأسمالية والإقطاعية المستغلة.

ثالثا: أن الاتحاد السوفيتى، بوصفه دولة تعتنق الماركسية، التى هى أيديولوجية عالمية - بمعنى أنها تفترض وحدة الطبقة العاملة - لم يخف سعيه الحثيث ودأبه المتواصل لنشر الشيوعية فى العالم عن طريق «الكومنترن»، الذى كان خاضعا لموسكو، والذى يضم الاحزاب الشيوعية فى جميع بلاد العالم التى تتلقى الوحى منه.

وقد مر تحول شرق أوروبا إلى الشيوعية بعدة مراحل ترجع أصولها إلى الحرب العالمية الثانية.

ففى خلال الحرب، كان الاتحاد السوفيتى يرنو إلى الانفراد بشرق أوروبا، ولمْ يكن تشرشل يعترض على انفراد السوفييت بشرق أوروبا، شريطة استثناء القسم المتاخم لحوض البحر المتوسط منها، بسبب السياسة البريطانية التقليدية التى تقتضى بإبعاد روسيا عن البحر المتوسط.

ومع أن الرئيس الأمريكى روزفلت كان يعارض سياسة تقسيم مناطق النفوذ، إلا أن هذه السياسة قطعت شوطاً بعيدا فى البلقان، بمناسبة اقتراب السوفييت من القسم المطل على البحر المتوسط منه.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ففى مايو ١٩٤٤م تم الاتفاق بين البريطانيين والسوفييت فى مفاوضات سرية على أن ينفرد السوفييت بالعمل فى بلغاريا ورومانيا، وتنفرد بريطانيا بالعمل فى اليونان ويوغوسلافيا. وعندما اعترض روزفلت على ذلك، طمأنه تشرشل بأن الاتفاق مؤقت بثلاثة أشهر، وأنه خاص بتحديد العمليات العسكرية.

على أن امتداد نفوذ السوفييت فى شرق أوروبا استدعى توسيع مدى الاتفاق. ففى أكتوبر ١٩٤٤م زار تشرشل موسكو للبحث فى مستقبل البلقان أساسا.

وفى بدء المفاوضات، تناول ورقة، وخط عليها بأسلوب طريف مدى نفوذ كل من الدولتين فى البلقان وشرق أوروبا، بحيث يكون لكل من بريطانيا والاتحاد السوفييتى النصف فى يوغوسلافيا، وتختص بريطانيا وحدها باليونان، على حين تنال روسيا ٩٠٪ فى رومانيا، ٧٥٪ فى بلغاريا، ١٠٪ فى المجر، ويكون للحلفاء بقية النفوذ فى تلك الأقطار!

ومع أنه لم يتم أى اتفاق بخصوص هذه المقترحات، إلا أن الفكرة مع ذلك قد نفذت مع شئ من التعديل الذى أملته الظروف.

ففيما يختص بيوغوسلافيا، فإن المقاومة فيها كانت موزعة بين الملكيين والشيوعيين، ولكن الشيوعيين كانوا أقوى العناصر، نظرا لان أتباع «تيتو» Tito من الفلاحين كانوا أقدر على حرب العصابات، فى حين أن «ميخائيلوفتش» Michailovic، ممثل الملكية،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كان يعتمد على البورجوازية الكبيرة التى تأثرت بالإجراءات الألمانية.

وقد أمكن للإنجليز التوسط بين عنصرى المقاومة، على أساس إقناع الملك بالتخلى عن «ميخائيلوفتش» لشبهة وجود علاقة بينه وبين الألمان، واختيار شخصية معقولة هو الدكتور إيڤان سوباستش Dr. Ivan Subasic رئيسا لحكومة المنفى، وعمل استفتاء بعد التحرير.

على أنه بعد نجاح الحلفاء فى غزو إيطاليا، وما تبعه من مضاعفة نشاط «تيتو» ضد الألمان، واستيلائه على بعض المناطق الساحلية - أعلن تيتو سياسة التقرب من الاتحاد السوفيتى.

فقد قام بزيارة موسكو فى سبتمبر ١٩٤٤م، ووقع هناك اتفاقا يقضى بأن يترك له أمر تحرير بلجراد Belgrade، وأن تمر القوات السوفيتية عبر أراضيه، شرط أن تبقى الإدارة المدنية فى أيدى يوغوسلافيا.

وقد استفاد «تيتو» من تقاربه مع الاتحاد السوفيتى فى الوقوف فى وجه الإنجليز والأمريكيين، حين تقدموا نحو شبه جزيرة ستريا Istria فى نهاية الحرب، عندما انهارت الجبهة الألمانية فى إيطاليا.

فقد سبق تيتو إلى احتلال جزء من تلك المنطقة، ولما أرادت القوات الأمريكية والبريطانية، التى احتلت مدينة تريستا وجزءا من المنطقة، عبورها، منعهم تيتو مستندا إلى تأييد السوفييت له.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد احتج الأمريكيون على تيتو، على أساس أن مشكلات الحدود يجب أن تسوى بعد الحرب فى معاهدات الصلح، ولكنهم لم يذهبوا إلى حد الدخول فى صدام فى يوغوسلافيا.

أما تشرشل فقد أدرك تجاوز روسيا لنصيبها فى مناطق تقسيم النفوذ، وعبر عن ذلك بقوله : «لقد اتفقنا مع روسيا على المناصفة فى يوغوسلافيا، والآن ليس لنا إلا ١٠٪!».

ولذلك كانت شبه جزيرة إستريا Istria أولى المشكلات التى ظهرت فى أفق الحرب الباردة. فقد وقف الأمريكيون والبريطانيون إلى جانب إيطاليا، فى حين وقف السوفييت إلى جانب يوغوسلافيا فى النزاع على المنطقة بينها وبين إيطاليا. واستقر الأمر على جعل تريستا Trieste ميناء دوليا حرا.

هذا فيما يختص بيوغوسلافيا. أما ما يختص ببولندا، فلم تدخل فى إطار التقسيم لمناطق النفوذ الذى اقترحه تشرشل فى زيارته لموسكو فى أكتوبر ١٩٤٤م. ولذلك لقيت مساعى الاتحاد السوفييت لإدخالها فى المعسكر الشيوعى مقاومة شديدة من البريطانيين والأمريكيين. وكانت من أهم المشكلات التى أثارت خلافات حادة بين الدول الثلاث.

وكنا قد أشرنا إلى دخول الاتحاد السوفييتى إلى الأراضى البولندية فى أثناء غزو هتلر لها من الغرب، لتدعيم خطوطه الدفاعية استعدادا لجولته مع الألمان، فلما وقع الهجوم على الاتحاد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

السوفييتى فى ٢٢ يونيو ١٩٤١م، انفتح مجال التقارب بين الاتحاد السوفيتى وحكومة المنفى التى كان يرأسها «سيكورسكى».

فقد زار الأخير موسكو، وعقد اتفاقية تقضى باشتراك الفرق البولندية فى القتال تحت القيادة السوفيتية، وإسقاط اتفاق التقسيم الذى عقد مع ألمانيا ١٩٣٩م.

على أنه عندما تحول السوفييت من الدفاع إلى الهجوم، وصار متوقعا وصولهم إلى بولندا، ظهرت مشكلة الحدود بين البلدين. ذلك أن حدود بولندا ١٩٣٩م كانت تقتطع أجزاء من أراضى أوكرانيا وروسيا البيضاء كما ذكرنا.

وقد أثير هذا الموضوع فى مؤتمر طهران فى نوفمبر ١٩٤٣م، وكان من رأى ستالين أن تعوض بولندا عما تفقده من أراضٍ فى الشرق عبر حدودها إلى نهر الأودر Oder قرب برلين.

وقد وافق الحلفاء فى مؤتمر «يالتا»، الذى عقد فى فبراير ١٩٤٥م، على أن يكون خط كيرزن Curzon Line هو أساس الحدود بين الاتحاد السوفييتى وبولندا.

وكان هذا الخط قد رسمه كيرزن وزير خارجية بريطانيا، وقدمه لمجلس الحلفاء الأعلى» لحل المشكلة البولندية سنة ١٩١٩م، ولكن بولندا أعادت رسم هذا الخط بقوة النار فى معاهدة «ريجا Riga» فى ١٢ أكتوبر ١٩٢٠م بعد هزيمتها للقوات السوفيتية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أما بخصوص حدود بولندا الغربية، فقد رأت الولايات المتحدة وبريطانيا أنه ليس من المناسب أن تحتوى بولندا الجديدة على قدر من الأراضى الألمانية لا تستطيع هضمها. وأخيرا اتفق على ترك تخطيط الحدود النهائية لمؤتمر الصلح.

على أن المشكلة الخطيرة التى نشأت، كانت مشكلة السلطة الشرعية التى أراد الاتحاد السوفيتى نقلها ليد الشيوعيين البولنديين.

ذلك أن الاتحاد السوفييتى حين وصلت قواته إلى الحدود البولندية فى يوليو ١٩٤٤م، عمل على تكوين هيئة شيوعية بولندية تنافس حكومة المنفى فى لندن على الزعامة. وقد اتفق الروس مع هذه الهيئة، التى عرفت باسم لجنة «لوبلين» Lublin (نسبة إلى المكان الذى تألفت فيه على الحدود الشرقية) على أن يسلموا لها الإدارة المدنية فى أثناء حرب التحرير.

وما لبثوا أن اعترفوا بهذه اللجنة كحكومة مؤقتة تحت رئاسة «بولسلاف بيروت» Bierut الزعيم الشيوعى البولندى، وضاعفوا من جهودهم لإخراج الألمان من بولندا، فسقطت وارسو فى يناير ١٩٤٥م، وتسلمتها الحكومة المؤقتة.

وبذلك أصبحت هناك حكومتان لبولندا: حكومة المنفى فى لندن، وحكومة لوبلين التى انتقلت إلى وارسو.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد نشأ على أثر ذلك خلاف حاد بين الولايات المتحدة وبريطانيا من جهة، وبين الاتحاد السوفييتى من جهة أخرى، بسبب وقوع بولندا تحت السيطرة الشيوعية.

وكانت وجهة نظر تشرشل - كما عبر عنها فى مؤتمر «يالتا» - أن بريطانيا دخلت الحرب أصلا دفاعا عن استقلال بولندا، وبالتالى فلا تستطيع أن تقبل بحل لا يجعل من بولندا دولة حرة ذات سيادة.

ولكن ستالين أجاب بأن بولندا قد اتخذت مرتين معبرا لغزو الاتحاد السوفيتى، وبالتالى «فيهمنا إقامة حكومة صديقة وقوية فى وارسو، ولسنا مثل القيصر نأخذ بسياسة الإدماج، ولكنا نؤيد استقلال بولندا الوطنى».

وقد اتفق على توسيع حكومة «لوبلين» لتضم عناصر من حكومة النفى، وتم بالفعل ذلك، ولكن العناصر الشيوعية استحوذت على المناصب الرئيسية. وكان نائب الرئيس هو «جومولكا» الشيوعى، الامر الذى أثار نقد الولايات المتحدة.

على أن ستالين كتب إلى واشنطن فى ٤ ابريل ١٩٤٥م بقوله «لقد ألفتم حكومات فى فرنسا وبلجيكا واليونان، وعقدتم معها المعاهدات، فلم نعترض، لأننا نعرف أن تلك الاقطار تهم أمن بريطانيا، فمن باب أولى أن تكون بولندا ضرورية لأمن الاتحاد السوفييتى.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى ٢١ أبريل ١٩٤٥م وقعت بولندا مع الاتحاد السوفيتى معاهدة تعاون متبادل، موجهة بصفة أساسية ضد ألمانيا، لمدة عشرين عاما.

وفى ١٩ يناير ١٩٤٧م أجريت الانتخابات فى بولندا، وأسفرت عن فوز ساحق للشيوعيين.

على كل حال فإذا كانت المسألة البولندية قد أثارت هذا الخلاف الحاد بين الحلفاء، فلم يكن الأمر كذلك تماما بالنسبة لرومانيا وبلغاريا والمجر. ذلك أن بريطانيا لم يكن فى وسعها الاعتراض، نظرا لاشتراكها فى تحديد مناطق النفوذ.

وكانت القوات السوفيتية قد بدأت هجومها على الألمان فى البلقان فى أغسطس ١٩٤٤م، واخترقت حدود رومانيا. فأعلنت رومانيا على الفور قبولها عقد هدنة مع روسيا، ثم شهرت الحرب على ألمانيا، وقامت حكومة ائتلافية من الشيوعيين والملكيين. وفى فبراير ١٩٤٥م، وبضغط من الاتحاد السوفيتى، عين زعيم الشيوعيين رئيسا للحكومة.

أما بلغاريا، فعندما اقترب منها السوفييت، سارعت إلى محاولة الاتفاق مع بريطانيا والولايات المتحدة، ولكن الحكومة السوفيتية بادرت باعلان الحرب عليها، واحتلتها فى سبتمبر ١٩٤٤م. وبذلك طلبت بلغاريا توقيع الهدنة مع الاتحاد السوفييتى، ثم أعلنت الحرب على ألمانيا، وتألفت حكومة ائتلافية أيضا، وسيطر عليها الشيوعيون.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بقيت تشيكوسلوفاكيا. وقد اختلفت عن الدول السابقة لأن الدكتور «إدواربنيش» Benes رئيس حكومة المنفى كان يتمتع بثقة السوفييت، وهو اشتراكى معتدل اعتقد بإمكان التعاون مع الاتحاد السوفييتى منذ عهد ميونيخ، وأشرك الشيوعيين من تلقاء نفسه فى الحكم بعد عودته إلى البلاد ١٩٤٥م. ولكن الشيوعيين لم يلبثوا أن استولوا على السلطة عن طريق انقلاب قاموا به فى فبراير ١٩٤٨م بقيادة الزعيم الشيوعى جوتفالد Gottwald.

وفى ألبانيا كانت حركة شيوعية قد قامت فيها بزعامة أنور خوجا، مستندة إلى حركة تيتو. وهى التى ورثت الألمان بعد انسحابهم من البلاد عام ١٩٤٤م، ودخلت المعسكر الشيوعى.

ولكنها انضمت إلى الصين ضد الاتحاد السوفييتى، عندما انقسم المعسكر الاشتراكى انقسامه الخطير بين الاتحاد السوفييتى والصين.

على كل حال، فمن هذا العرض يتبين أن الأحزاب الشيوعية فى هذه البلاد لم تكن من خلق الاتحاد السوفييتى، وإنما كانت موجودة أصلا، وقد لعبت دورا مهما فى حركة المقاومة ضد الألمان - كما هو الحال بالنسبة ليوغوسلافيا، وألبانيا، وتشيكوسلوفاكيا، وبولندا. والبعض الآخر لعب دوره من الخارج، كما هو الحال بالنسبة لرومانيا، والمجر، وبلغاريا، التى أقيمت الأنظمة الشيوعية فيها بزعامة مهاجرين إلى الاتحاد السوفيتى.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبالنسبة لرومانيا والمجر وبلغاريا وتشيكوسلوفاكيا، فقد تم التحول إلى النظام الشيوعى فيها على ثلاث مراحل:

١ - قيام حكومة ائتلافية لم تدم - فى رومانيا وبلغاريا - سوى بضعة أشهر، ولكنها امتدت فى المجر حتى ربيع ١٩٤٧م. وفى تشيكوسلوفاكيا حتى فبراير ١٩٤٨م.

٢ - حكومة ائتلاف ظاهرى كانت السلطة الرئيسية الفعلية فيها فى يد الشيوعيين.

٣ - حكومة شيوعية بحتة (منذ صيف ١٩٤٦م فى بولندا، وخريف ١٩٤٧م فى بلغاريا ورومانيا، وفبراير ١٩٤٨م فى تشيكوسلوفاكيا، ومارس ١٩٤٨م فى المجر).

وفى المرحلة الأولى، كانت القيادات الشيوعية تحتل المناصب الرئيسية فى الحكومة، وتجرى فى ظل هذه السيطرة الانتخابات النيابية، فيفوز الشيوعيون بالأغلبية، ويتم الانتقال إلى المرحلة الثانية. وفى هذه المرحلة يطالب الشيوعيون فى المجالس التشريعية بتعديل الدساتير البورجوازية، وتصاغ هذه الدساتير وفق رغبة الشيوعيين مما يمكنهم من إجراء انتخابات جديدة يحصلون فيها على أغلبية ساحقة، ويتم الانتقال إلى المرحلة الثالثة.

ولم تلبث هذه الدول أن أخذت ترتبط بمحالفات ثنائية. فابتداء من سنة ١٩٤٦م وقعت يوغوسلافيا سلسلة اتفاقات مع بلاد أوروبا الشرقية كلها.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى نفس الوقت قامت محالفات ثنائية بين الدول الآتية: بين تشيكوسلوفاكيا وبولندا فى سنة ١٩٤٧م، وبين بلغاريا ورومانيا سنة ١٩٤٨م، وبين رومانيا والمجر سنة ١٩٤٨م، وبين رومانيا والاتحاد السوفييتى فى ١٩٤٨، وبين المجر والاتحاد السوفييتى سنة ١٩٤٨م، وبين بلغاريا والاتحاد السوفييتى سنة ١٩٤٨م، وبين تشيكوسلوفاكيا وبلغاريا سنة ١٩٤٨م، وبين بلغاريا وبولندا سنة ١٩٤٨م، وبين بولندا والمجر ١٩٤٨م. وبين بلغاريا والمجر ١٩٤٨م. وبين تشيكوسلوفاكيا ورومانيا ١٩٤٨م. وقد نصت هذه المحالفات على تبادل المعونة.

وقد عززت هذه الأحلاف السياسية المحضة على الصعيد العسكرى بإجراءات مختلفة: ففى بولندا عين الجنرال السوفييتى روكوسوفسكى Rokossovsky قائدا للجيش البولندى ووزيرا للدفاع الوطنى فى ١٩٤٩م.

وفى البلاد التى كانت تابعة للمحور سابقا (رومانيا والمجر وبلغاريا) لم تعد تنفذ البنود الخاصة بتحديد عدد الجيش الواردة فى معاهدات الصلح.

ومن جهة أخرى جرت العادة أن أخذت تعقد اجتماعات وزراء خارجية الاتحاد السوفييتى ودول أوروبا الشرقية فى المناسبات التى تتطلب الاحتجاج على إجراءات الغرب.

فقد اجتمعوا فى يونيو ١٩٤٨م. فى وارسو، للاحتجاج على اتفاقيات لندن التى عقدت بشأن ألمانيا بين الدول الغربية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كما عقد اجتماع آخر فى سبتمبر ١٩٥٠م فى براغ، وضم، عدا الدول الست السابقة، وزير خارجية ألمانيا الشرقية، واتخذ قرارا بالاحتجاج على إعادة تسليح ألمانيا الغربية من قبل توقيع معاهدة الصلح.

وفى مايو ١٩٥٦م، وردا على سياسة الأحلاف الغربية التى عقدتها الولايات المتحدة الأمريكية، تألف حلف وارسو من ثمانية دول هى: الاتحاد السوفييتى، وبولندا، وتشيكوسلوفاكيا، وألمانيا الشرقية، ورومانيا، وبلغاريا، وألبانيا، والمجر.

وقد نصت المادة الخامسة من معاهدة حلف وارسو على إنشاء قيادة عسكرية موحدة يعهد بها إلى المارشال السوفييتى «كونيف» Konev. وبهذا الحلف استكملت الكتلة الشرقية شكلها العسكرى.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الخامس والعشرون

الإمبريالية فى القرن العشرين

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الإمبريالية في القرن العشرين

الإمبريالية هى مرحلة الاحتكار فى تطور الرأسمالية، وهى أعلى مراحل الاستعمار، ومظهرها قيام الاحتكارات الدولية التى تقتسم العالم ومصادر ثروته وأسواقه بواسطة تصدير رءوس الأموال.

وفى المرحلة الأولى كان التنافس على المستعمرات قد دفع الدول الاستعمارية إلى إنشاء الجيوش الهائلة، والأساطيل الضخمة لفرض السيطرة على العالم الثالث المتخلف اقتصاديا. وبواسطة الجيوش والأساطيل توسعت إنجلترا وفرنسا فى أفريقيا وآسيا، وتوسعت إيطاليا وألمانيا فى أفريقيا، وتوسعت اليابان فى الصين والمحيط الهادى، وتوسعت الولايات المتحدة فى أمريكا اللاتينية والمحيط الهادى.

وعند بداية القرن العشرين كان قد تم تقسيم العالم بين الدول الإمبريالية، وأقامت الرأسمالية نظاماً استعمارياً ليس له نظير فى تاريخ البشرية، نظاماً مبنياً على السيطرة التامة على الجزء الأكبر من الكرة الأرضية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ففى الفترة من عام ١٨٦٠ إلى عام ١٩١٤م اتسعت المستعمرات البريطانية من ٥ر٦ مليون كم مربع إلى ٥ر٣٣ مليون كم، واتسعت ممتلكات فرنسا الاستعمارية من ٥ر٠ مليون كم مربع إلى ١٠ مليون كم مربع، أى إلى عشرين ضعفاً. وبعد أن كان عشر مساحة أفريقيا فى قبضة الاستعمار الأوروبى فى منتصف السبعينيات من القرن ١٩ الميلادى، أصبحت كل أفريقيا بدون استثناء فى قبضة الاستعمار بعد ثلاثين عاماً، أى فى نهاية القرن التاسع عشر الميلادى.

أما الولايات المتحدة الأمريكية، فإنها بعد تصفية السكان الأصليين من الهنود الحمر واحتلال أراضيهم، ونشر سلطتها على المساحة الضخمة لشمال أمريكا، أخذت فى احتلال القسم الأكبر من جارتها المكسيك، وتوسعت فى بلدان أمريكا اللاتينية والمحيط الهادى، مما كوّن لها إمبراطورية ضخمة.

وفى بداية القرن ا لعشرين الميلادى كانت الرأسمالية العالمية قد تحولت من مرحلة «تصدير السلع»، حيث السيادة التامة للمزاحمة الحرة، إلى مرحلة «تصدير رأس المال»، حيث السيادة للاحتكارات، وأخذت تدفع برءوس أموالها، ومن بعدها نفوذها السياسى إلى الدول المتخلفة اقتصاديا. وبذلك تحولت الرأسمالية إلى المرحلة الإمبريالية، أى إلى المرحلة الاحتكارية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد قوى هذا التحول إلى المرحلة الإمبريالية الأسباب الاقتصادية القديمة للدول الاستعمارية، وخلق أسباباً اقتصادية جديدة. فقد فتح شهية الدول الاستعمارية لاحتلال أسواق خارجية جديدة، وأصبح الصراع على المستعمرات أحد الشروط الأساسية لجنى الأرباح الطائلة من الاحتكارات، كما أصبحت المستعمرات ضرورية للبلدان الإمبريالية.

ومع استنزاف الاحتكارات الأرباح الهائلة، تراكمت بسرعة كميات ضخمة من رءوس الأموال، ولم تجد متنفساً لها سوى المستعمرات، التى أصبحت، بفضل رخص الأيدى العاملة فيها، وخصب أراضيها، واحتياطيها الكبير من المواد الخام، هى الميدان الرئيسى لرءوس الأموال الفائضة المتراكمة.

ولما كانت كل المناطق المتخلفة اقتصاديا فى العالم الثالث قد قسمت بين الدول الاستعمارية القديمة عند نهاية القرن التاسع عشر الميلادى، فلم يكن بد أمام الدول الاستعمارية الجديدة، وهى ألمانيا وإيطاليا واليابان، من الالتجاء إلى قوة السلاح لإعادة تقسيمها، ومن أجل ذلك خاضت الدول الإمبريالية الحرب العالمية الأولى.

فلما هزمت ألمانيا فى الحرب العالمية الأولى، لجأت إلى إشعال نيران القومية المتعصبة فى الشعب الألمانى، حتى يتسنى له النهوض والدخول فى المجال الاستعمارى، فخرجت النازية بنظرية تفوق الجنس الآرى القائمة على تقسيم أجناس البشر إلى طبقات

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومنازل، فوضعت فى الطبقة العليا الجرمان أهل الرايخ الألمانىReichdentsche ، ويليهم فى نفس الطبقة العليا الجرمان الذين لا يعيشون فى الرايخ، ويعرفون باسم الأقرباء Volks-dentsche، ويأتى بعد ذلك فى نفس الطبقة الشماليون، أو النورديون الخلص، وهم الدنماركيون والنرويجيون والسويديون، ثم فى نفس الطبقة أيضاً الهولنديون والنورمانديون والأنجلوسكسون وغيرهم من الأقرباء التيوتون.

أما الطبقة الثانية فوضعت النازية فيها الطورانيين، ومنهم الأتراك والمجريون. أما الطبقة الثالثة فقد وضعت فيها المغول، ومنهم البلغار. وفى الطبقة الرابعة وضعت الأجناس الخليطة مثل الرومانيين. وفى الطبقة الخامسة السلاف، وفى السادسة اليهود، وفى السابعة شبه الزنوج - ويدخل فيهم العرب - وفى الثامنة وهى الأخيرة، الزنوج.

وتمشيا مع هذه النظرية أنكر النازيون أن آسيا والشرق الأوسط وحوض البحر المتوسط كانت جميعها مهد الحضارة، وادعوا أن أقدم الثقافات نشأت فى البقاع الشمالية فى طرف بحر البلطيق الغربى، نظراً لأن اعترافهم بأقدمية الحضارة فى البقاع التى يعيش فيها العرب والأجناس شبه الزنجية يهدم نظريتهم العنصرية.

على أن هزيمة ألمانيا النازية فى الحرب العالمية الثانية، أخرجتها من صفوف الدول الاستعمارية بالمعنى القديم القائم على الجيوش،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فلحقت بالمرحلة الإمبريالية القائمة على تصدير رأس المال والاحتكارات.

وقد اختلفت المرحلة الإمبريالية عن المرحلة الاستعمارية القديمة فى أنه فى المرحلة القديمة كان الاستعمار يمارس سيطرته على الشعب المستعمر عن طريق جيوش الاحتلال واستغلاله اقتصادياً بطريق نزع أراضيه وممتلكاته وشغل الوظائف الكبرى والمتوسطة فى جهاز الإدارة واستغلال ثرواته لحساب الدولة المستعمرة، وبالتالى كانت هذه السيطرة الاستعمارية تزول بمجرد حصول الدول الخاضعة للاستعمار على استقلالها وجلاء الجيوش الأجنبية. ولكن فى المرحلة الإمبريالية كان الميراث الثقيل للسيطرة الاقتصادية الاستعمارية يبقى بعد خروج الاستعماريين.

وعلى سبيل المثال ففى البلدان التى تحررت حديثاً بقيت ملكية الأرض الخاصة التى تم الاستيلاء عليها بمعاونة سلطة الدولة الاستعمارية، كما هى دون تغيير كما ظل الاختصاص فى الاقتصاد كما هو منتجاً للسلع والمواد الخام للدولة الإمبريالية.

وقد اشترك الاستعمار القديم والاستعمار الجديد (الإمبريالية) فى خاصية عرقلة التطور الاقتصادى فى المستعمرات لصالح التطور الاقتصادى فى الدول الاستعمارية.

وعلى سبيل المثال، كان القانون الإنجليزى فى عام ١٧٥٠م يحرم بناء الأفران ومصانع الحديد فى المستعمرات، وبعد حرب

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

السنوات السبع (١٧٥٦ - ١٧٦٣م) اتخذت إنجلترا مجموعة من الإجراءات لإيقاف التطور الصناعى فى مستعمراتها الأمريكية.

وقد ترتب على ذلك أنه فى الوقت الذى كانت تتقدم فيه البلدان الاستعمارية تقدماً مذهلاً فى مجال الصناعة، كانت المستعمرات تعيش محرومة من التطور التقنى الذى كان الميدان الوحيد لتطوير اقتصادها وتحقيق استقلالها الاقتصادى.

ويمكن فهم تأثير ذلك إذا افترضنا أن العامل الماهر عالى الإنتاجية فى البلد الإمبريالى، الذى يعمل على آلة حديثة، يصنع فى يوم واحد خمسة أمثال ما ينتجه العامل فى البلاد المتخلفة صناعياً من البضائع المخصصة للتصدير، فهذا يعنى أن يوم العمل فى البلد الاستعمارى يعادل خمسة أيام عمل فى البلد الخاضع للسيطرة الإمبريالية، وهو يعنى، بالنسبة للتجارة العالمية، ضآلة حجم البضائع المصدرة من العالم الثالث بالنسبة للبضائع المصدرة من البلاد الإمبريالية، واعتماد بلاد العالم الثالث على الدول الإمبريالية فى الحصول على حاجياتها الضرورية من السلع الأساسية. وبهذا الشكل تتحول التجارة العالمية الرأسمالية إلى أداة لإخضاع البلدان المتخلفة اقتصادياً.

وفى الوقت نفسه، وبهذا الشكل أيضاً، يتحول التبادل التجارى بين الدول الإمبريالية والدول النامية إلى تبادل غير متكافئ عن طريق الاحتكارات، إذ تضع الدول الاحتكارية أثماناً مرتفعة لسلعها، وأثماناً منخفضة لسلع الدول النامية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبصفة عامة يعتبر تصدير المال هو أكثر الخصائص المميزة للرأسمالية الاحتكارية، أى للإمبريالية. وتصدير رأس المال لا يقتصر تأثيره على الناحية الاقتصادية فقط، بل يعنى تصدير علاقات اجتماعية جديدة. ففى المصانع والمناجم والمزارع والسكك الحديدية، التى تنشئها الاحتكارات فى البلاد المستعمرة والتابعة، يتحول السكان إلى مأجورين للاستغلاليين ويبيعون قوة عملهم بأبخس الأجور، ويصنعون فائضاً ضخماً للرأسماليين الأجانب.

ولا يعد تصدير رأس المال هو الوسيلة الوحيدة للإمبرالية للسيطرة على الشعوب، فمنذ أوائل القرن العشرين الميلادى استخدمت الإمبريالية وسيلة أخرى للاستغلال الاستعمارى، هى احتكار الأسواق العالمية، وفرض أسعارها بالنسبة لما تنتجه من مصنوعات جاهزة ومواد خام.

وتتميز هاتان الوسيلتان للسيطرة بأنهما يتمان بدون إطلاق رصاص أو سفك دماء وبدون جيوش! ففى هدوء وسلام تكبل الدول الإمبريالية الشعوب بالقيود، وتربطها إليها ربطاً محكماً عن طريق الاحتكارات، ولا تشعر الشعوب بالخطر فى أول الأمر، ولكنها تفيق لتجد اقتصادها الوطنى قد أصبح كله فى يد الماليين الأجانب، وبأن سياستها الخارجية والداخلية أصبحت خاضعة لسيطرة الدولة الإمبريالية.

ومعنى ذلك أنه لأول مرة فى تاريخ المجتمع البشرى تكوّن نظام استعمارى يقوم على مزج ثلاثة أنواع من الاستغلال: الاستغلال

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القائم على الاحتلال، والاستغلال القائم على السيطرة الاقتصادية بواسطة تصدير رأس المال والتبادل التجارى غير المتكافئ، والاستغلال القائم على علاقات الإنتاج الرأسمالية فى الدولة الخاضعة للإمبريالية. وهذه الأشكال الثلاثة من الاستغلال أعطت للإمبريالية صفة أكثر النظم الاستعمارية نهباً بالمقارنة بكل الأنظمة الاستعمارية التى ظهرت على وجه الأرض، ووضعت فى الوقت نفسه أكبر الصعوبات أمام البلدان التى استقلت حديثاً لاستكمال استقلالها السياسى بالاستقلال الاقتصادى. فقد كانت الدولة التى تتحرر قديماً من الاستعمار تتحرر سياسياً واقتصادياً، ولكنها الآن أصبحت تتحرر سياسياً فقط، وتبقى خاضعة اقتصادياً.

ومن هنا إذا كان الشكل القديم من الاستعمار قد أوجد شكلاً واحداً من أشكال السيطرة، وهو المتمثل فى المستعمرة، فقد أوجدت الإمبريالية ثلاثة أشكال هى: المستعمرة، وشبه المستعمرة، والدول التابعة.

أما المستعمرة فهى البلد المحتل الواقع تحت السلطة المباشرة للدولة الإمبريالية.

وأما شبه المستعمرة فهى البلد المستقل سياسياً، ولكنه غير مستقل اقتصادياً، بمعنى أن اقتصاده مفتوح بشكل واسع لنشاط الاحتكارات الأجنبية، وسياسته خاضعة لتوجيه الدول الإمبريالية التى تربطها بها عادة معاهدات دولية مجحفة تعطى السيطرة الإمبريالية صفة قانونية دولية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أما البلدان التابعة، فهى البلدان الرأسمالية الضعيفة نسبياً، التى تدور فى فلك دولة إمبريالية كبرى، وتضع نفسها تحت حمايتها حتى يتسنى لها المحافظة على ممتلكاتها الاستعمارية من الحركات الوطنية ومن الدول الاشتراكية، وفى مقابل ذلك فهى تمنح الدولة الإمبريالية الكبرى امتيازات عسكرية واقتصادية وغيرها فى المستعمرات التى تملكها، وتتبعها فى المحافل الدولية والعلاقات الدبلوماسية.. إنها تبعية من نوع خاص تنشأ بين استعماريين، وتخرج من إطار التبعية الاستعمارية القديمة. والمثال على ذلك البرتغال.

وقد أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية هى الحصن الحصين للاستعمار الجديد، أى الإمبريالية، الذى تلتف حوله الدول الإمبريالية الصغرى والتابعة فى معسكر واحد هو المعسكر الإمبريالى، من أجل قمع حركات التحرر الوطنى، والحماية من الدول الاشتراكية، والاستغلال المشترك للثروات الطبيعية، كالبترول وغيره، فى البلدان المتخلفة، والوقوف ضد المطالب الشرعية لشعوبها المناضلة من أجل تحررها فى الأمم المتحدة.

وقد تعرض مفهوم «الإمبراطورية الاستعمارية» للتغيير فى عصر الإمبريالية. لقد كان هذا المفهوم فى القديم يتكون من البلد الاستعمارى وكل المستعمرات المرتبطة به، أما فى عصر الرأسمالية الاحتكارية، أى الإمبريالية، فإن الإمبراطورية الاستعمارية تتكون

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من البلدان الواقعة تحت سلطة الدولة الإمبريالية مباشرة (المستعمرات)، ومن البلدان المستقلة الواقعة تحت السيطرة الاقتصادية - أى أنصاف المستعمرات - ومن الدول الإمبريالية التابعة.

والمثال على ذلك الإمبراطورية الأمريكية. فقد كتب نهرو يقول: «قد يتصور البعض أن الإمبراطورية الأمريكية تنحصر فى جزر الفليبين، ولكنها أبعد من ذلك بكثير! لقد اهتضم الأمريكيون تجارب الدول الإمبريالية الأخرى ومتاعبها، واستطاعوا تحسين الأساليب القديمة، فلم يهتموا بإلحاق أى بلد بهم بالطريقة الإنجليزية التى اتبعت فى الهند، وإنما كل ما يهمهم هو الربح، فهم يطمعون فى وضع ثروة البلد تحت سيطرتهم، وهو ما نسميه بالإمبريالية الاقتصادية، وهى لا تظهر على الخريطة، فإذا نظرنا إلى هذا البلد أو ذاك فى كتاب الجغرافيا أو الأطلس، فسوف نجده مستقلاً ومتحرراً، ولكنا إذا أمعنا النظر سوف نكتشف أنه واقع بين مخالب أصحاب البنوك ورجال الأعمال الكبار! هذه هى الإمبراطورية الخفية التى تملكها الولايات المتحدة الأمريكية».

على كل حال فقد كان الهدف الرئيسى لتصدير رءوس الأموال إلى البلدان النامية من قبل الاحتكارات الأمريكية والإنجليزية والفرنسية والألمانية وغيرها، هو الاستيلاء على مصادر الخامات وأسواق تصريف المنتجات. وقد دفع هذا الهدف بتلك البلاد الإمبريالية إلى تنافس حاد وصراع بين الاحتكارات.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فحتى بداية الحرب العالمية الثانية، كانت إنجلترا تحتكر المركز الرئيسى فى العالم فى تصدير رءوس الأموال، حيث بلغت حصة الاحتكارات الإنجليزية فى ذلك الحين أكثر من ٤٠ فى المائة من جميع الاستثمارات الخارجية، أى أكثر بمرتين من استثمارات الولايات المتحدة الأمريكية. ولكن فى خلال الحرب العالمية الثانية تغيرت الصورة كثيرًا، فقد استغلت الولايات المتحدة صعوبات إنجلترا وفرنسا فى أثناء الحرب وفى السنوات التالية لها، فى زحزحتهما فى ميدان الاستثمارات الخارجية، واضطرت إنجلترا إلى بيع جزء من استثماراتها الخارجية إلى الولايات المتحدة كتسديد للديون المتراكمة عليها.

كذلك اضطرت بلجيكا وهولندا وفرنسا إلى تصفية قسم من استثماراتها الخارجية لحساب الولايات المتحدة. وخسرت ألمانيا واليابان وإيطاليا تقريباً جميع رءوس أموالها فى الخارج من جراء هزيمتها فى الحرب، وقد وقع الجانب الأكبر منها فى يد الولايات المتحدة. وفى سنة ١٩٤٥م كانت نسبة استثمارات البلاد الإمبريالية قد أصبحت على الوجه التالى: ٥ر٣٨٪ للولايات المتحدة، و٣٢٪ لبريطانيا، و٧ر٥٪ لهولندا، و٨ر٣٪ لفرنسا.

على هذا النحو فقدت إنجلترا مركزها الأول فى ميدان الاستثمارات. فيكشف تحليل للتوزيع الجغرافى للاستثمارات الإنجليزية أن أكثر من ٧٠٪ منها يقع فى بلدان الكومونولث

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والمنطقة الإسترلينية، أى المناطق التى تضمن فيها هذه الاحتكارات لنفسها أرباحاً عالية، وسهلة، وبعيدة عن المخاطر.

ففى الهند بلغت استثمارات الاحتكارات الإنجليزية فى سنة ١٩٥٧م ما يعادل ٨١٪ من مجموع الاستثمارات الأجنبية فى الهند. وفى جنوب أفريقيا احتل رأس المال الإنجليزى مركز الصدارة، حيث بلغ أكثر من ٦٠٪ من مجموع الاستثمارات الأجنبية. أما فى الباكستان فكانت إنجلترا تملك نصف الاستثمارات الأجنبية فى الفترة من ١٩٥٦م إلى ١٩٥٩م. ويحتل رأس المال الإنجليزى مواقع معينة فى عدد من بلدان الشرقين الأوسط والأدنى، بصرف النظر عن الخسائر الهائلة التى تكبدها فى هذه المنطقة نتيجة للمنافسة الحادة مع رأس المال الأمريكى، فقد كانت حصة الاحتكارات الإنجليزية فى العراق فى سنة ١٩٥٨م على سبيل المثال أكثر من ١٢ مليونا من ١٤ر٣ مليون دينار هى مجموع الاستثمارات الأجنبية فى العراق.

وكما ذكرنا، أصبحت الولايات المتحدة هى المزاحم الرئيسى لإنجلترا فى ميدان تصدير رأس المال. فقد زاد حجم هذه الاستثمارات فى عام ١٩٤٥م على ١٦ ملياراً من الدولارات، وفى السنوات التالية (١٩٤٦ ـ ١٩٥٦م) زاد ١٤ر٩ مليار دولار، وبلغ مقدار الأرباح المحصلة فى نفس الفترة قرابة ٢١ مليار دولار، أى أكثر من مرة ونصف عن الاستثمارات الأمريكية الجديدة. وفى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفترة من ١٩٥٦م إلى ١٩٥٩م زادت الاستثمارات بمعدل سنوى قدره ٥ر٢ إلى ٣ مليارات من الدولارات، فى حين بلغت الأرباح المحولة سنوياً إلى الولايات المتحدة ٦ر٢ مليار دولار.

وقد بلغت حصة الاستثمارات الأمريكية فى البلدان النامية ما لا يقل عن ٤٥٪ من مجموع الاستثمارات، وزادت أرباح الاحتكارات الأمريكية السنوية بمرات عديدة على رأس المال المستثمر. والمثال على ذلك بلدان أمريكا اللاتينية، ففى الفترة من ١٩٥١م إلى ١٩٥٤م بلغ تدفق رأس المال الأمريكى عليها ٦٦٢ مليون دولار، وبلغت الأرباح المتدفقة على الولايات المتحدة منها فى الفترة نفسها ٣٢٧٦ مليوناً.

وهذا يوضح أن المساعدات المقدمة للبلدان النامية فى شكل استثمارات ، كانت عبئا فادحا على اقتصادها وتراكم رأس مالها الخاص، وكانت فى الوقت نفسه مصدر ثراء للبلدان المصدرة لرأس المال.

وقد تميز تصدير رأس المال الاحتكارى الأمريكى بالنمو السريع فى بلدان العالم الثالث، أى فى أمريكا اللاتينية وافريقيا وآسيا. ففى الفترة من ١٩٥٠ إلى ١٩٥٦م زاد مرتين تقريبا، وبلغ أكثر من نصف مجموع الاستثمارات الأمريكية فى الخارج التى بلغت ٢٢ مليون دولار فى عام ١٩٥٦م. وقد حدث نمو نسبى متزايد على الأخص فى بلدان أفريقيا وآسيا، التى كانت الاستثمارات الأمريكية فيها قبل الحرب العالمية الثانية قليلة نسبيا، وجرى نهب منظم لهذه

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البلدان وحرمانها من أية فرصة لتراكم رأسمالها الخاص اللازم لتطوير اقتصادها.

وقد أعارت الاحتكارات الأمريكية أهمية خاصة لضمان الحصول على الخامات اللازمة للصناعة الأمريكية بأسعار رخيصة. ولهذا الغرض بالذات أنشأت الشركات الأمريكية فروعا لها فى البلدان التى تستخرج هذه الخامات مثل المطاط والنفط، لضمان استخراجها وشحنها. وأصبحت الاستثمارات الأمريكية فى البلاد العربية بعد الحرب العالمية تتجه كلية تقريبا - أى بنسبة تزيد على ٩٠٪ - إلى صناعة البترول فى المملكة العربية السعودية والكويت والعراق والأردن وسوريا ولبنان وعدن والبحرين.

أما بالنسبة لاحتكارات الدول الرأسمالية الإمبريالية الأخرى، فقد ارتفع رأس المال الألمانى المصدر إلى بلدان العالم الثالث فى الفترة من ١٩٥٦ إلى ١٩٦١م إلى ٤ مليارات من الدولارات تقريبا. وارتفع تصدير رأس المال اليابانى فى نفس الفترة إلى أكثر من ١٣٠٠ مليون دولار، وبلغ رأس المال الفرنسى فى نفس السنوات ٢٠١٠ ملايين دولار.

وقد عملت الاستثمارات الاحتكارية فى بلدان العالم الثالث على إعاقة تطوير الصناعة فى هذه البلدان، حتى لا تصبح أساسا لاستقلالها الاقتصادى، وحتى تُبقى عليها كتوابع منتجة للخامات.

وعندما نزلت الضربات على رأس المال الاحتكارى نتيجة للثورات التحريرية فى المستعمرات والبلاد التابعة سابقا، ولجأت

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بعض هذه الثورات إلى تأميم وسائل الإنتاج التى كانت بيد الاحتكارات الأجنبية - كما حدث فى مصر وفى الجزائر والهند وأندونيسيا وسيلان وغيرها من البلدان - اتجهت الولايات المتحدة والدول الإمبريالية الأخرى تحت ضغط الاحتكارات إلى فرض اتفاقيات خاصة أو مواد خاصة فى المعاهدات التجارية، لتأمين نفسها من التأميم فى هذه البلاد. وقد فرضت الولايات المتحدة مثل هذه المعاهدات والاتفاقات على ١٧ بلدا، وحصلت فرنسا على ضمانات مماثلة من البلاد الأفريقية التى كانت فيما مضى مستعمرات فرنسية. وهكذا .

على أن محاولات الدول الإمبريالية تأمين احتكاراتها كانت تمنى بالفشل مع مرور الوقت، إذ أخذت كثير من دول العالم الثالث تضيق الخناق على رأس المال الأجنبى، أو توقف نشاطه، بعدما ثبت من تخريبه لاقتصادها.

وعلى سبيل المثال قامت حكومة أندونيسيا فى عام ١٩٥٩م بإقصاء رأس المال الأجنبى من الصناعة الحربية ومن السكك الحديدية ووسائل المواصلات وبعض الفروع الاقتصادية الأخرى. وفى فبراير ١٩٦٣م قامت حكومة بورما بتأميم جميع البنوك الخاصة بما فى ذلك ١٤ بنكا أجنبيا، وكانت هذه البنوك تشرف إشرافا مباشرا أو غير مباشر على أكثر من ٣٠٪ من مجموع الدخل الوطنى فى بورما. وفى نهاية فبراير ١٩٦٣م قررت سيلان تأميم محطات البنزين التى كانت غالبيتها فى يد الاحتكارات الأمريكية. كذلك قامت الجزائر باستخلاص ثروتها من يد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الاحتكارات الأجنبية عن طريق تأميم جميع المناجم وشركات التأمين والبنوك وشركات توزيع البترول وشركات التجارة الخارجية، فضلا عن تأميم عدد من الوحدات الإنتاجية الصناعية التى كانت فى يد الاحتكارات الأجنبية.

على أنه إلى جانب الاستثمارات اتخذ تصدير رأس المال شكلا آخر، هو تقديم القروض. وتعتبر القروض الحكومية بالذات أداة مهمة للتوسع الاستعمارى، ولذلك قامت الاحتكارات الإمبريالية بتسخير خزائن حكوماتها لهذا الغرض سعيا منها لتأمين الضمانات المكفولة لها، ولتضمن تصريف منتجاتها فى أسواق البلاد المقترضة، وتضمن كذلك تسهيلات أخرى.

ويمكن القول إن الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية أصبحت هى الدائن الرئيسى العالمى. فقد كانت تقدم قروضا قصيرة الأجل مدتها خمس سنوات بفائدة من ٦ إلى ٧٪، وأحيانا ٤ إلى ٥٪، وتشترط فى ذلك شراء منتجاتها الزراعية، وكان البنك الأمريكى للاستيراد والتصدر يقدم قروضا لمدد أطول، ولكن لغرض معين هو ضمان احتكار الصناعة الأمريكية تصدير بضائعها إلى هذه البلاد المعنية بأسعار أعلى بكثير من متوسط الأسعار العالمية. وكانت مدد هذه القروض تتراوح بين ٥ و ٧ سنوات – أو ١٠ سنوات بصفة نادرة – وبفائدة سنوية تتراوح بين ٢٥ ,٥٪ و ٢٥ ,٦٪.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أما البنوك والحكومة الإنجليزية فكانت تقدم قروضا تتراوح مدتها بين ٥ – ٧ سنوات بفائدة سنوية قدرها ٦,٢٥٪. وكانت ألمانيا الاتحادية تقدم قروضا قصيرة الأجل بفائدة سنوية قدرها ٣ – ٤٪، والطويلة الأجل بفائدةقدرها ٦ – ٧٪. وكانت بعض البلاد الرأسمالية، مثل كندا وألمانيا الاتحادية وإيطاليا واليابان وهولندا وفرنسا وإنجلترا، تقدم القروض على أساس التسديد بعملاتها الأجنبية لا بالعملة القومية للبلد المدين، ولكن منذ عام ١٩٦٠م أقدمت الولايات المتحدة قروضا قدرها ١٣٠٠ مليون دولار لعدد من البلدان على أساس تسديد جزئى بعملة البلد المدين، ولكن هذه القروض كانت لشراء فائض المنتجات الزراعية من الولايات المتحدة، ونقلها على السفن الأمريكية بأجور نقل تبلغ ١٨ – ٢٠٪ من قيمة البضائع المشحونة!

وكان من الطبيعى أن يُلحق احتكار المؤسسات الأمريكية القروض الضرر بالبلدان المدينة، فقد كانت البنوك وحكومة الولايات المتحدة تحصل على امتيازات اقتصادية لمصلحة احتكاراتها تجعل البلدان المدينة فى حالة تبعية مالية دائمة للولايات المتحدة.

وعلى سبيل المثال، فقد حصلت البرازيل من بنك الاستيراد والتصدير الأمريكى فى الفترة من ١٩٤٦ إلى ١٩٥٨م على قروض بلغت ١٣٣٧ مليون دولار، ولكن هذا المبلغ ارتفع إلى ١٩٠٠ مليون دولار بسبب امتيازات الشحن والمساعدة التقنية وغيرها، وبلغت

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فوائد هذه الديون فى عام ١٩٦٠م زهاء ٣٥٠ مليون دولار، حتى اذا ما كان عام ١٩٦١م كان دين البرازيل قد وصل إلى ٣,٨ مليارات من الدولارات! وبذلك زادت تبعيتها للولايات المتحدة.

وإلى جانب البرازيل وقعت بلدان أخرى فى أمريكا اللاتينية فى تبعية أكثر جسامة للولايات المتحدة، فحسب بعض الإحصاءات التى نشرت عام ١٩٦٠م بلغت الديون المطلوبة من كولومبيا للاحتكارات الأمريكية حتى نهاية عام ١٩٥٩م مايعادل ٤٧٧ مليون دولار - أى بما يزيد مرتين على الميزانية السنوية للدولة - وبلغ مجموع الفوائد والأقساط فى عامى ١٩٥٨ و ١٩٥٩م مبلغ ٢٥٠ مليون دولار. وفى الوقت نفسه كانت الولايات المتحدة والدول الإمبريالية الأخرى تكبل الكثير من بلدان آسيا وأفريقيا بقيود التبعية المالية، ومنها الهند والباكستان.

ولم تكتف الاحتكارات المالية والدول الإمبريالية الدائنة بوضع الشروط الاقتصادية والمالية المجحفة لتقديم القروض، وإنما استخدمت القروض كوسيلة من وسائل الضغط على حكومات الدول المدينة من أجل اتباع سياسة داخلية وخارجية تتفق مع مصلحة الاحتكارات الأجنبية.

ومثال ذلك أنه عندما قدمت الولايات المتحدة قرضا لاتحاد الملايو فى عام ١٩٥٩م قدره ٣٠ مليونا من الدولارات بعملة الملايو لبناء جسور وتعبيد طرق، طلبت من حكومة الملايو الكف عن الاتجار

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مع الدول الاشتراكية. وعندما كانت تجرى المفاوضات بين الهند وألمانيا الغربية لتقديم قرض لبناء مصنع للتعدين، لمح وزير الخارجية الألمانية إلى أن بلاده فى إمكانها تقديم شروط أفضل لو رفضت الهند الاعتراف بألمانيا الديموقراطية. وعندما كانت المفاوضات تجرى بين الولايات المتحدة ولبنان فى سنة ١٩٦١م لتقديم قرض قيمته ٥٠ مليون دولار لشراء فائض الحبوب الأمريكية، اشترطت الولايات المتحدة على لبنان ألا يستخدم جزءا من هذا القرض فى أية مشاريع بدون الحصول على موافقتها مسبقا، وعندما افتضح الأمر اضطرت الحكومة اللبنانية إلى رفض هذا القرض.

على أن ظهور الاتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية على مسرح السياسة العالمية بعد الحرب العالمية الثانية لم يلبث أن أحدث تحولا فى سياسة الاحتكارات الإمبريالية. ففى الفترة من ١٩٥٤ - ١٩٦١م قدم الاتحاد السوفيتى للبلاد النامية قروضا بلغت قيمتها ٣ مليارات روبل ذهبى، بدون أية شروط سياسية أو أخرى ، وبفائدة سنوية منخفضة لاتزيد على ٢,٥٪، ولآجال طويلة وصلت إل ١٢ عاما، وبشروط أفضل للتسديد، بما فى ذلك التسديد بالبضائع التقليدية لصادرات الدول المدينة، والتسديد بالعملة المحلية. وقد قدم الاتحاد السوفيتى هذه القروض لتطوير اقتصاد البلاد المدينة، وبخاصة بناء الصناعة الثقيلة التى هى دعامة اقتصاد هذه البلدان.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فقد ترتب على هذه السياسة السوفيتية فى تقديم القروض، أن اضطرت الاحتكارات الإمبريالية إلى تغيير أساليبها وتقديم تنازلات مهمة. فقد اضطرت شيئا فشيئا إلى تقديم قروض طويلة الأجل، وتخفيض قيمة الفائدة السنوية، والموافقة على السداد جزئيا بعملة البلد المدين او حتى بالبضائع، حتى لاتفقد أسواقها وتفقد سيطرتها على بلدان العالم الثالث.

ولكنها، فى الوقت نفسه، عمدت إلى إخضاع التجارة الخارجية لبلدان العالم الثالث لسيطرتها عن طريق التبادل التجارى غير المتكافئ، وسياسة الإغراق، لنهب الثروات الطبيعية للشعوب. فلقد كان بسبب الاحتكارات أن أمكن للدول الإمبريالية التحكم فى الأسعار بما يتفق مع مصلحتها، فتفرض أسعارا منخفضة على المواد الخام المصدرة إليها من الدول النامية، وترفع أسعار السلع التى تصدرها إلى الدول النامية.

ففى سنوات ١٩٥٠ - ١٩٥٨م انخفضت أسعار المواد الخام فى بعض بلدان آسيا وأمريكا اللاتينية بصورة ملحوظة. فقد انخفضت أسعار الجوت الباكستانى بمقدار ٣٠٪، وأسعار الكاوتشوك السيلانى بمقدار ٢٧٪، واسعار القطن الباكستانى بأكثر من ٤٥٪، وانخفضت أسعار الصوف الأرجنتينى إلى الثلث، وأسعار صوف أوروجواى إلى النصف. واستغلت الاحتكارات الأمريكية تبعية البرازيل المالية وقامت فى سنة ١٩٥٥م بضغط مباشر عليها ترتب عليه خفض أسعار البن البرازيلى بمقدار ٣٠٪!.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وإذا أخذنا فى الحسبان أن صادرات الجوت الباكستانى كانت تمثل ٤٩٪ من مجموع صادرات باكستان، وصادرات الكاوتشوك تشكل ٥٧٪ من مجموع صادرات الملايو، وصادرات الصوف تشكل ٥٠٪ من مجموع صادرات أوروجواى ، وصادرات البن تمثل ٦٥٪ من مجموع صادرات البرازيل.. إلى آخره، يمكننا إدراك حجم خسارة هذه البلاد نتيجة هبوط أسعار خاماتها، وما تلحقه هذه الخسارة من أضرار باقتصادها القومى.

وقد كان بسبب قدرة الاحتكارات الإمبريالية على تخفيض أسعار الخامات ورفع أسعار السلع المصنعة، أن ألحقت الخراب ببلدان العالم الثالث. فطبقا لما أوردته الصحافة المكسيكية فى عام ١٩٦١م، فإن بلاد امريكا اللاتينية خسرت فى عام ١٩٥٩م نحو مليار دولار من جراء هبوط أسعار الخامات فقط فى سوق الولايات المتحدة وحدها، وقد دخل هذا المبلغ فى جيوب الإمبرياليين.

ولا تكتفى الإمبريالية بتخفيض الخامات فى الدول النامية، بل تلجأ أيضا إلى اتخاذ تدابير الحماية الجمركية لإعاقة صادرات بلدان العالم الثالث، والحد من إمكانات وصولها إلى أسواق البلاد المتطورة صناعيا، وإلحاق الخسارة بها.

وعلى سبيل المثال، فقد رفعت الولايات المتحدة الرسوم الجمركية على النحاس المصدر إليها من شيلى، وزادت الرسوم الجمركية على الزنك والرصاص الوارد إليها من بوليفيا، وفرضت

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تعريفات جمركية عالية على الصوف الوارد من أوروجواى، فهبطت بصادراته إلى الولايات المتحدة فيما بين ١٩٥٠ و ١٩٥٧م بمقدار ٩٠٪. كما فرضت الولايات المتحدة قواعد صحية قاسية على اللحم الأرجنتينى.

وإلى جانب تدابير الحماية الجمركية لإعاقة صادرات الدول النامية، هناك عامل آخر لا يقل أهمية فى النهب الإمبريالى، وهو الشحن. فنظرا لأن معظم البلدان النامية لا تملك أساطيل تجارية خاصة بها، فهى مضطرة إلى خدمات شركات الملاحة الأمريكية والإنجليزية والفرنسية واليابانية والهولندية،، التى تبلغ حصتها حوالى ٨٠٪ من حمولة الأسطول التجارى وأسطول نقل البترول فى العالم الرأسمالى كله. وقد انتهزت شركات الملاحة هذا الوضع الاحتكارى لزيادة أرباحها عن طريق رفع أجور الشحن على السفن التجارية!.

وعلى سبيل المثال فقد ارتفعت أجور الشحن على السفن التجارية الإنجليزية من ١١١ فى عام ١٩٥٤ إلى ١٤٥ فى عام ١٩٥٧م ، وارتفعت أجور الشحن على ناقلات البترول الأمريكية من ٩٤ فى سنة ١٩٥٤م إلى ١٥٥ عام ١٩٥٧م، الأمر الذى شكل صعوبات إضافية وخطيرة للتجارة الخارجية لبلدان العالم الثالث.

وبالإضافة إلى ذلك فقد لجأت السياسة الأمريكية فى كثير من الأحيان إلى بيع فوائض منتجاتها الزراعية بسعر الإغراق

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(الأسعار المخفضة) لإلحاق الضرر بالبلدان المصدرة للحبوب والمؤن، مثل بورما وتايلاند والأرجنتين ونيكاراجوا وبيرو وهندوراس.

وعلى سبيل المثال، ففى نهاية عام ١٩٥٦م احتجت الأرجنتين احتجاجا شديدا على الولايات المتحدة لبيعها القمح بسعر الإغراق إلى البرازيل التى كانت هى المستورد الرئيسى منذ القدم للقمح الأرجنتينى. كما نددت المكسيك بالولايات المتحدة فى سنة ١٩٥٧م لأنها سببت لها بسياسة الإغراق خسارة بلغت ٣٠ مليون دولار بالعملة الأجنبية نتيجة لهبوط الطلب على القطن المكسيكى.

وسياسة الإغراق لا تلحق الضرر فقط بالبلدان المصدرة للحبوب والمؤن، وإنما بالبلدان المستوردة أيضا.

إذ تدفع سياسة الإغراق الإنتاج المحلى إلى الهبوط إذا هبطت أسعار المستورد عن أسعار المنتج المحلى، ولا تملك الدولة فى ظل السيطرة الإمبريالية رفع الرسوم الجمركية على أسعار السلع المستوردة لتشجيع إنتاجها المحلى. ويصعب ذلك فى الحبوب والمؤن، وعلى سبيل المثال فقد انخفض انتاج القمح فى بوليفيا من ٤٢ ألف طن فى عام ١٩٥٠م إلى ٢٠ ألف طن فى عام ١٩٥٩م بسبب استيرادها القمح الأمريكى بسعر الإغراق.

ويتضح من ذلك كله أن الإمبريالية لعبت فى القرن العشرين دور السيطرة الذى كانت تلعبه الدول الاستعمارية فى القرون

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

السابقة منذ نشأة الدول الرأسمالية، ولكن بطرق ووسائل وأدوات أخرى، فهى سيطرة تتم من بعيد، بدون إطلاق الرصاص وبدون سفك دماء، وبدون جيوش احتلال، فجيوشها هى رءوس الأموال والاحتكارات.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل السادس والعشرون

حركة التحرر الوطنى
بعد الحرب العالمية الثانية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حركة التحرر الوطني بعد الحرب العالمية الثانية

تعتبر حركة التحرر الوطنى فى العالم الثالث من أبرز التغيرات التى ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية، بما تميزت به من خصائص لم تشهدها الحركات الوطنية فى البلاد المستعمرة من قبل. وهى التى أعطت لبلاد آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية اسم العالم الثالث الذى لم يكن معروفا من قبل، عندما خرجت بمفهوم التحرر الوطنى من إطاره التقليدى المقصور على الاستقلال الوطنى، إلى مفهوم التضامن مع الشعوب المستعمرة الأخرى، والوقوف معها فى جبهة متحدة ضد الاستعمار، وعدم الانحياز إلى أية كتلة من الكتلتين المتصارعتين - وهما الكتلة الغربية والكتلة الشرقية.

وتعد حركة التحرر الوطنى ظاهرة من ظواهر الأزمة العالمية الرأسمالية التى أنهكت الدول الاستعمارية فى حربين متتاليتين لا تفصل إحداهما عن الأخرى أكثر من عشرين عاما، وما ترتب على ذلك من تصدع النظام الاستعمارى بشكله القديم.

ففى غضون اثنى عشر عاما فقط من انتهاء الحرب العالمية الثانية، تحرر سبعة عشر شعبا آسيويا من الاستعمار، وأخذت الثورات المعادية للإمبريالية تتصاعد شيئا فشيئا فى أفريقيا وآسيا كاسحة فى طريقها دعائم الاستعمار القديم.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد بدأت هذه الثورات فى شمال أفريقيا، وانتقلت إلى أفريقيا الاستوائية، وفى خلال عشر سنوات من ١٩٥٦ إلى ١٩٦٥م كانت ٣٤ دولة أفريقية قد ظفرت بالسيادة الوطنية، فى الوقت الذى كانت الثورات تقوم فى آسيا، حتى بلغ عدد الدول التى استقلت فى آسيا وأفريقيا أكثر من ٧٠ بلدا.

ويمكن إدراك أهمية ذلك إذا عرفنا أنه فى عام ١٩١٩م كانت مساحة البلاد المستعمرة والتابعة تبلغ ٧٢٪، من مساحة الكرة الأرضية، وكان عدد سكانها يزيد على ٦٩٪ من مجموع سكان العالم، فلما كان مطلع السبعينيات كانت البلاد التى ماتزال مستعمرة تشغل أقل من ٤٪ من مساحة العالم، وعدد سكانها يبلغ ١ر١٪ من مجموع سكان العالم - أى أكثر من ٣٧ مليون نسمة بقليل.

على أنه إذا كان نجاح حركة التحرر الوطنى على هذا النحو يرجع إلى تصدع النظام الاستعمارى، فإنه يرجع بدرجة أكبر إلى مساندة القوى الاشتراكية وعلى رأسها الاتحاد السوفيتى، الذى ظهر بعد ثورة أكتوبر ١٩١٧م كأكبر قوة معادية للرأسمالية الاستعمارية على مدى التاريخ. فقبل ثورة أكتوبر ١٩١٧م فى روسيا كانت الإمبريالية هى القوة العالمية المسيطرة على العالم دون منافس، وتقوم بقوتها الطاغية بسحق نضال شعوب المستعمرات بلا رحمة. ولكن الوضع تغير بعد انتصار الثورة الروسية الذى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سجل بداية الانعطاف فى حركة التحرر الوطنى، خصوصا بعد الانتصار على الفاشية فى إيطاليا والنازية فى ألمانيا فى الحرب العالمية الثانية.

وقد عبر ماوتسى تونج عن هذا المعنى فى عام ١٩٤٩م، بقوله : «لم يكن من الممكن للثورة الشعبية الحقيقية فى أى بلد فى عصر الإمبريالية أن تحرز النصر يدون أن تلقى مساندة القوى الثورية العالمية، وبدون هذه المساندة لم يكن من الممكن توطيد النصر حتى لو تحقق».

ويقدر ما فاجأت حركة التحرر الوطنى بهذا الحجم الهائل الدول الإمبريالية، فاجأت الدول الاشتراكية، التى كانت تتوقع بدلا من هذه الحركة ثورة بروليتارية فى الدول الإمبريالية. ومن هنا عكف المفكرون الماركسيون على دراسة هذه الظاهرة وموقعها فى عملية التطور التاريخى العالمى وأسبابها ونتائجها، وخرجوا فى ذلك بعدة نظريات.

فقد ذهب «التروتسكيون» فى «الدولية الرابعة» إلى أن مركز الثورة العالمى قد انتقل من يد البروليتاريا العالمية إلى يد حركة التحرر الوطنى، كنتيجة لتطور الاقتصاد الرأسمالى فى البلدان المتطورة صناعيا، بما فيها اليابان، وسياسة الخيانة والانتهازية التى سلكتها قيادات الطبقة البروليتارية فى أوروبا الغربية، والبيروقراطية «التريد يونيه» (نسبة إلى اتحادات العمال) فى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الولايات المتحدة، وعدم وجود قيادة ثورية مناسبة – كل ذلك أدى إلى نقل مركز الثورة العالمى من يد البروليتاريا فى الدول الإمبريالية إلى يد القوى الوطنية فى المستعمرات.

كذلك ذهبت نظريات أخرى ظهرت فى عام ١٩٦٣م فى تفسير ظاهرة حركة التحرر الوطنى، إلى القول بأن بلدان آسيا وأفريقيا وأمريكيا اللاتينية، التى تتركز فيها مختلف تناقضات العالم المعاصر، هى أضعف حلقة فى سلسلة السيطرة الإمبريالية، وبالتالى فهى القطاع الرئيسى للثورة العالمية الذى يسدد الضربات المباشرة إلى الإمبريالية. ومن هنا فإن نجاح ثورة البروليتاريا العالمية يتوقف فى آخر المطاف على النضال الثورى الذى تخوضه شعوب العالم الثالث من أجل التحرر الوطنى، باعتبارها تمثل الغالبية الساحقة من سكان الكرة الأرضية.

وقد تفرعت من هذه النظرية نظرية أخرى تقول بأن بلدان العالم الثالث التى تقوم فيها حركة التحرر الوطنى، هى بمثابة «الريف العالمى»، الذى يطوق «المدينة العالمية» – أى العالم الرأسمالى، وهى التى سوف تدمره.

وصاحب هذه النظرية هو «لين بياو»، الذى قال: «إذا أمكن على المستوى العالمى تسمية أمريكا الشمالية وأوروبا الغربية بمدن العالم، فإنه يمكن تسمية آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية بـ «ريف العالم». فبعد الحرب العالمية الثانية هبطت مؤقتا ثورة البروليتاريا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى البلدان الرأسمالية بأمريكا الشمالية وأوروبا الغربية لمختلف الأسباب، ونمت حركة التحرر الوطنى فى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية نموا عاصفا، ومن هنا فإن حركة التحرر الوطنى المعاصرة تبدو - بمعنى معين - فى صورة تطويق للمدن الرأسمالية من قبل «المناطق الريفية»، أو تطويق للمدينة العالمية من قبل «الريف العالمى».

وفى سنة ١٩٦٣م أعلن زعماء الحزب الشيوعى الصينى أن «حركة التحرر الوطنى فى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية تعتبر الآن أهم قوة عالمية تسدد الضربة المباشرة للإمبريالية».

وهذه النظرية ليست جديدة كما تبدو، ففى فترة مابين الحربين العالميتين، ظهرت نظرية تقول إن السبب فى عدم انهيار الدول الرأسمالية يرجع إلى امتلاكها المستعمرات التى تمثل سوقا واسعة وشاسعة تحصل منها الدول الرأسمالية الاستعمارية على حاجتها من المواد الخام وتصرف فيها منتجاتها الصناعية، ولولا وجود هذه المستعمرات لسقط النظام الرأسمالى منذ زمن تحت ثقله.

وبالتالى - كما تقول النظرية - فإن الإمبريالية لن تهزم فى معاقلها على يد البروليتاريا، وإنما ستهزم فى المستعمرات التى هى أنسب مكان تطعن منه، فهذه المستعمرات - من ثم - هى بمثابة «كعب أخيل».

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على أن هذه النظريات عن انتقال مركز الثورة العالمى من البروليتاريا إلى شعوب حركة التحرر الوطنى، لقيت أشد الهجوم من الاتحاد السوفيتى، لأنها تُقيم محل «التناقض الطبقى» بين البروليتاريا والرأسمالية «التناقض الوطنى» بين المستعمرات والإمبريالية.

ولذلك اعتبر الاتحاد السوفيتى هذه النظريات بمثابة «مزاعم قومية متعصبة» تتناقض مع النظرية الماركسية التى تعتبر البروليتاريا هى عماد الثورة العالمية، ورد بأن الثورة العالمية تقوم بها فى هذا العصر ثلاث قوى ثورية أساسية، هى: النظام الاشتراكى العالمى، والحركة العمالية العالمية، وحركة التحرر الوطنى. ومن الضرورى تكاتف هذه الثورات الثلاث لهزيمة الإمبريالية، وتحقيق التحرر الوطنى والتقدم الاقتصادى والاجتماعى.

وقد عزز الاتحاد السوفيتى هذه النظرية بأن فقدان المستعمرات، وإن كان من شأنه أن يضعف من قوة الإمبريالية، فإنه لا يؤدى إلى انهيارها الأوتوماتيكى، بدليل أنه بعد الحرب العالمية الثانية فقدت الدول الإمبريالية جميع مستعمراتها تقريبا، ومع ذلك فهى ماتزال قائمة، ومازالت الشعوب مستعبدة، ومن ثم فلا سبيل للقضاء على النظام الإمبريالى الأمريكى والفرنسى والبريطانى وغيره إلا بثورة البروليتاريا.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على كل حال فهذا الخلاف فى تفسير حركة التحرر الوطنى يدعونا إلى تحديد السمات التى تميزت بها هذه الحركة عن الحركات الوطنية فى القرن التاسع عشر ومستهل القرن العشرين الميلادى.

وأول هذه السمات، اتساع نطاق الجماهير التى اشتركت فى هذه الحركة على نحو غير مسبوق.

ثانيا: اكتسابها طابعا عالميا تكاتفيا فى النضال، بعد أن تخطت هذه الحركة حدود البلد الواحد لتشمل ثلث سكان الأرض تقريبا.

ثالثا: تخطيها حدود العداء لدولة استعمارية واحدة، إلى العداء لجميع الدول الإمبريالية بدون استثناء وإلى نظامها الاستعمارى برمته.

رابعاً : اتجاه الغالبية الكبرى من الدول المتحررة إلى التخلص من الاقتصاد الرأسمالى العالمى، والأخذ بنظام اقتصادى معارض لهذا النظام بشكل أو بآخر.

خامساً : اتجاه هذه الدول بعد تحررها إلى التخلص من التبعية السياسية للدول الإمبريالية، وشق طريق مستقل، بعد أن كانت من قبل تحصل على استقلالها لترتبط بنظام الدولة الإمبريالية التى كانت تتبعها. وقد تمثل هذا الاتجاه فى حركة عدم الانحياز.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سادسا: اتجاه دول العالم الثالث إلى تخطى حدود التحرر السياسى إلى التحرر الاجتماعى، ولم تكن حركة التحرر الوطنى قبل الحرب العالمية الثانية تتخطى حدود الثورة الوطنية الديموقراطية التى كانت تتولى قيادتها الطبقة البورجوازية، ولم تكن تفعل غير تمهيد الطريق أمام تطور الرأسمالية، ولكن حركات التحرر الوطنى التى ظهرت بعد الحرب وقفت موقف العداء من الرأسمالية، وتحولت إلى ثورات اشتراكية، وهو أمر جديد.

سابعاً : التحالف بين حركة التحرر الوطنى والحركة الاشتراكية العالمية، بعد أن كانت الحركات الوطنية من قبل تجزع من فكرة الاقتراب من القوى الاشتراكية حتى لا تتعرض لعداء القوى الإمبريالية التى كانت تملك السيطرة المطلقة.

ثامنا: تغير معنى الثورة فى حركات التحرر الوطنى الحديثة، ففى فترة ماقبل الحرب العالمية الثانية كانت الثورة تعنى استخدام العنف لتحقيق التحرر، ولكن الثورة بعد الحرب أصبحت تعنى ربط النضال بالجماهير الشعبية، بعد أن تبين أن النضال المسلح الذى لا يعتمد على التأييد الشامل من الجماهير لا يمكن أن يؤدى إلى النصر الكامل، بسبب انفصال القيادة الثورية عن القاعدة الجماهيرية.

كذلك تميزت حركات التحرر الوطنى التى ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية بقيام الكثير منها على يد الجيش الوطنى، بعد أن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كانت الحركات السابقة على الحرب تقوم على أكتاف الجماهير الشعبية وحدها ولا صلة لها بالعسكريين.

وقد ظهرت تفسيرات كثيرة لدور الجيش الوطنى فى حركة التحرر الوطنى، واختلفت فى تقييم دوره.

فقد أنكرت بعض التفسيرات على الجيش أى دور تقدمى لعب به، ولم تر فى السلطة السياسية التى تنشأ نتيجة انقلاب عسكرى إلا سلطة رجعية عسكرية النزعة وفاشية.

فى حين صورت بعض التفسيرات الأخرى الجيش على أنه القوة الوطنية الوحيدة القادرة على تزعم حركة التحرر الوطنى، وأنه القوة الوحيدة القادرة على توجيه التطور الاقتصادى فى البلدان المحررة دون الاعتماد على الجماهير الشعبية.

على أن تقييم دور الجيش فى حركة التحرر الوطنى بعد الحرب العالمية الثانية يتوقف فى الحقيقة على الأوضاع الاجتماعية للضباط.

ففى البلدان المتحررة تنحدر فئة الضباط على وجه العموم من البورجوازية الصغيرة التى هى أقرب من حيث أوضاعها الاجتماعية إلى الجماهير الشعبية منها إلى البورجوازية الكبيرة. وهو ما يفسر عداء الضباط ذوى الميول الوطنية للاستعمار وللرأسمالية أيضاً.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فضلا عن ذلك فإن ضباط الجيش فى بلدان العالم الثالث هم أكثر القوى الشعبية استنارة واطلاعا وأشدها حركية، بسبب استخدامهم عادة أسلحة حربية متطورة للغاية، وهم فى سبيل التدريب عليها مضطرون غالبا إلى السفر إلى الخارج والاتصال بزملائهم فى المهنة فى البلدان المتقدمة، حيث يدركون قبل غيرهم الجوانب السلبية لتخلف بلادهم الاقتصادى والاجتماعى، وحين يعودون إلى بلادهم يشعرون بضرورة التغييرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، ويسعون من ثم - كما لاحظ عالم الاجتماع البريطانى هوبكنز Hopkins فى كتابه «العلاقات بين المدنيين والعسكريين فى البلاد النامية» Civil - Military Relations in Developing Countries إلى التحديث Modernization، ويرغبون فى التدخل فى تطور البلد وإقصاء الساسة المدنيين الذين يرونهم عاجزين عن تحقيق التقدم وهم فى الحكم.

يضاف إلى ذلك أن الجيوش فى كثير من بلدان العالم الثالث قد تكونت فى مجرى حركة التحرر الوطنى مباشرة، وكانت فى بعضها الآخر هدفا أساسيا من أهدافها، ولهذا برزت منذ نشأتها كقوة تقدمية مناهضة للإمبريالية. وقد كان هذا هو الحال فى الجزائر، حيث خاض جيش التحرير الوطنى الجزائرى المؤلف من الفلاحين والفقراء والعمال وأبناء البورجوازية الصغيرة، الحرب ضد الاستعمار الاستيطانى الفرنسى تعبيرا ودفاعا عن مصالح وأمانى الشعب الجزائرى.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كذلك الحال فى بورما حيث شكل الفلاحون والعمال العمود الفقرى لجيش الاستقلال، الذى اضطلع بدور كبير فى تحرير البلد من المحتلين اليابانيين والبريطانيين، وكذلك الحال بالنسبة لمصر وسوريا والعراق وغيرها.

وهناك سبب آخر يتصل بالفراغ القيادى فى كثير من دول العالم الثالث، التى كانت أحزابها السياسية عاجزة عن تحقيق الاستقلال بالوسائل الجماهيرية، فى حين كانت الأحزاب الشيوعية غير موجودة، أو موجودة ولكنها تعمل سرا لتعرضها للقمع السياسى من جانب الأحزاب البورجوازية فى الحكم، ومن هنا كان على الجيش أن يسد الفراغ السياسى ويتصدى للنضال بالقوة المسلحة، فيسقط النظام السياسى وينقل إلى يده قيادة النضال الوطنى.

على أن البعض رأى أن الجيش، باعتباره لا يؤلف كلاً متجانسا على الصعيد الاجتماعى والفكرى، لم يكن يستطيع أن يحل محل الأحزاب السياسية الليبرالية فى قيادة العمل الوطنى، ليس فقط لأنه لا يملك الخبرة بتنظيم الجماهير سياسيا، وإنما لأنه لا يمكن بناء الدولة الحديثة والحفاظ على المكاسب الوطنية ضد الإمبريالية دون مشاركة الجماهير الشعبية.

هذا هو السبب فى أنه فى البلاد المتحررة التى عمد فيها الجيش إلى الحكم بنفسه دون حزب جماهيرى، كان الحكم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

دكتاتوريا دمويا فى الغالب، وأداة لتطبيق سياسة طبقة اجتماعية مستبدة.

ففى أندونيسيا أدت الاتجاهات الرجعية للحكم العسكرى إلى إبادة الخصوم السياسيين بالجملة دون شفقة أو رحمة.

وفى شيلى دفعت هذه الاتجاهات الرجعية الحكم العسكرى إلى القيام بمذابح للجماهير الشعبية فى جميع أنحاء البلاد.

وفى باكستان أدت الاتجاهات الرجعية للحكم العسكرى إلى كارثة وطنية لا مثيل لها، هى انفصال البنغال Bengal واتخاذه شكل دولة مستقلة، هى دولة بنجلاديش، وتقلص مساحة باكستان إلى النصف.

وعلى وجه العموم تحولت الانقلابات العسكرية التى قامت فى بلاد العالم الثالث إلى حركات قمع أقامت حكما استبداديا فاشيا أضاع مزايا التحرر من الاستعمار، واستبدل باستبداد الاستعمارى الأجنبى استبدادا وطنيا لايقل وحشية وإضراراً بمصالح شعوب العالم الثالث، وأخضعها للإمبريالية من الناحية الفعلية على الرغم من استقلالها الظاهرى.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل السابع والعشرون

الحـــرب البـــــاردة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الحروب الباردة

(١) قيام الستار الحديدى

مراجعة عامة

تمثل الحروب العالمية ذروة صراع المتناقضات بين الدول الكبرى، الذى يصعب حله بطريق السلم، فيترك للسلاح حسمه بما يراه وما يلعب فيه الحظ دوره. فحين تدور رحى الحرب تخرج مقاليد الأمور من يد السياسيين، وتستقر فى يد العسكريين، ويدور الصراع على مستوى جديد، يخضع لمعايير ومقاييس غير مضمونة وغير محكمة، بعضها مادى وبعضها معنوى، وتنتهى الحرب عادة بنتائج لم تكن تخطر ببال السياسيين الذين قاموا بإشعالها، فقد يكونون على رأس ضحاياها، من حيث أرادوا أن يكونوا على رأس المستفيدين منها! ولذلك جرى القول بأن دخول الحرب سهل ولكن الخروج منها من أصعب الأمور.

وقد جرت العادة أن يقوم الفريق المنتصر بإعادة ترتيب شئون العالم وفقا لمصالحه، لأن التناقضات تكون قد زالت بانتهاء

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الصـراع، وبدأت دورة ديالكتـيكيـة جـديدة، يحـتل الوضـع الذى أسفرت عنه الحرب فيها مركز القضية الأولى، ثم تبدأ القضية الثانية النقيضة، فينشأ صراع جديد بين المتناقضات قد يتيسر حله بالطرق الدبلومـاسـية، وقـد يلجـأ الطرفـان النقـيضـان إلى حـمل السلاح، فتقع حرب جديدة، وهكذا.

وهذا مـا حدث فى أعـقاب الحـروب النابوليونية، حين أعـاد مؤتمر فـيـينا عـام ١٨١٥م تشكيل خـريطة العـالـم بما يتناسب مع مصالح دوله التى انتصرت على نابليون، وفقا لمبدأ التسوية، بحيث تكون النتيجة النهائية حصولها على مساحة من الأراضى تساوى ماكان فى حوزتها قبل نابليون.

وقد ترتب على ذلك تجزئة إيطاليا وألمانيا، واختفاء بولندة من خـريطة أوروبا لمدة مـائة عـام، وتراجـع فـرنسـا إلى حـدودها عـام ١٧٩٢م قبل حروبها الأخيرة، وامتداد النمسا إلى البحر المتوسط بعد حصولها على البندقية وشاطىء الأدرياتيك، ونفاذ روسيا إلى وسط أوروبا بعد حصولها على جزء كبير من بولندة وتركيا، واستيلائها على فنلندة من السويد، وتوسع بروسيا على الراين على نحو جعل منها فى النهاية البطلة القومية لألمانيا، ومكن بسمارك من هزيمة فرنسا وتوحيد ألمانيا، واستيلاء بريطانيا على عدة جزر فى البحر المتوسط والمحيط الأطلنطى والمحيط الهندى والمحيط الهادى. كما ترتب على تسوية فيينا أيضا إعادة هولندا إلى الوجود مرة أخرى، وجعلها أكثر قوة عن طريق ضم بلجيكا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إليها. ثم تدعيم استقلال سويسرة لإحاطة فرنسا بمجموعة من الدول القوية تمنع خطر عدوانها مرة أخرى على جيرانها.

وقد ترتب على هذا التشكيل الجديد لأوروبا - الذى أغفل كل روابط اللغة والجنس والعقيدة والمصلحة المشتركة، قيام الحركات القومية طوال القرن التاسع عشر. ولكن التوازن الدولى الدقيق الذى قامت عليه التسوية أعطى أوروبا عهدا طويلا من السلام لم يعكر صفوه سوى قيام حرب القرم ١٨٥٣ - ١٨٧٦م، وانفصال بلجيكا عن هولندا فى سنة ١٨٣١م، وتمكن إيطاليا من تحقيق وحدتها فى سنتى ١٨٥٩، ١٨٦٠م.

على أن هذا التوازن الدولى الذى أرسته تسوية فيينا فى سنة ١٨١٥م، والذى كان يمثل القضية الأولى فى الدورة الديالكتيكية، لم يلبث أن ظهر نقيضه بعد قيام حرب ١٨٧٠م بين ألمانيا وفرنسا، واستيلاء بسمارك على الألزاس واللورين من فرنسا، وتوحيده ألمانيا، واختلال التوازن الدولى تبعا لذلك.

فقد نشب الصراع الدولى من جديد، فى الوقت الذى كانت تظهر فيه قوى دولية جديدة تتمثل فى الولايات المتحدة واليابان، وتظهر فيه عوامل جديدة تؤجج الصراع، تتمثل فى التسابق الدولى على اقتسام أفريقيا بعد الثورة الصناعية.

ولم يعد مفر من نشوب حرب عالمية جديدة، بعد مائة عام تماما من الحروب النابوليونية وتسوية فيينا. وتلك هى الحرب العالمية الأولى، التى نشبت فى ٤ أغسطس ١٩١٤م، وانتهت فى ١١

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نوفمبر ١٩١٨م بهزيمة أربع إمبراطوريات عظمى كانت تملأ القرن التاسع عشر ضجيجا، وهى: الإمبراطورية الألمانية، وإمبراطورية النمسا والمجر، والإمبراطورية الروسية ، والإمبراطورية العثمانية.

وبهذه النتيجة المذهلة والمفاجئة، تهيأت الفرصة لإعادة تشكيل الخريطة الأوروبية من جديد لحساب المنتصرين، وقد رأينا أن هدف تسوية فيينا فى عام ١٨١٥م كان منع خطر عدوان فرنسا من جديد على جيرانها، ولكن هدف مؤتمر الصلح فى باريس فى يناير ١٩١٩م اختلف، فقد كان منع خطر عدوان ألمانيا القيصرية!

ولتحقيق هذا الهدف استردت فرنسا الألزاس واللورين، وتنازلت ألمانيا لبلجيكا عن بعض المناطق، فتم بذلك ترتيب الحدود الغربية. ثم استردت الدنمارك منطقة شلزفيج، فتم ترتيب الحدود الشمالية. ولأجل ترتيب الحدود الشرقية عادت بولندة إلى الحياة من جديد بعد مائة عام من الفناء التام! كما أنشئت دولة تشيكوسلوفاكيا لأول مرة بطريقة مصطنعة كدولة متعددة القوميات (تشيكيين - سلاف - ألمان - مجريين)! وانفصلت إمبراطورية النمسا والمجر إلى دولتين مستقلتين، بعد أن استقطعت أجزاؤها. وظهرت دولة يوغوسلافيا على أنقاض مملكة الصرب القديمة، بعد أن ضم إليها الجبل الأسود ودلماشيا والبوسنة وسلافونيا. وتحررت دولة فنلندا. وصفيت الإمبراطورية العثمانية، وكادت تقوم إمبراطورية يونانية فى الأناضول لولا مصطفى كمال (أتاتورك).

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على أن لويد جورج البريطانى وكليمانصو الفرنسى، وهما مهندسا تسوية ما بعد الحرب العالمية الأولى، لم يكونا فى عبقرية مترنيخ، مهندس تسوية فيينا فى عام ١٨١٥م. فقد دامت تسوية فيينا مدة تزيد على نصف قرن، أما تسوية باريس ١٩١٩م فلم تدم أكثر من عشرين عاماً.

فلم تلبث ألمانيا أن أخذت تغير وضعها السياسى الدولى بقوة الأمر الواقع عن طريق الفكر النازى، فى حين كانت إيطاليا تفعل نفس الشىء عن طريق الفكر الفاشى. ولما كان الفكران ينبعان من أصل واحد، فقد تكون من الدولتين فى سبتمبر عام ١٩٣٧م معسكر عرف باسم معسكر المحور. وفى الوقت نفسه كان الاتحاد السوفيتى يبزغ كأول قوة اشتراكية دولية عرفها التاريخ فى مواجهة الفكر الرأسمالى الغربى المتمركز فى فرنسا وإنجلترا والولايات المتحدة.

وفى العشرين سنة التالية على انتهاء الحرب العالمية الأول، ظل الصراع يدور بين هذه المعسكرات الثلاثة المتناقضة، على نحو لم يعد معه مفر من تحكيم السلاح، فكانت الحرب العالمية الثانية التى قامت فى ٣ سبتمبر ١٩٣٩م، وانتهت فى ١٤ أغسطس ١٩٤٥م، وفيها تحالف المعسكر الرأسمالى مع المعسكر الاشتراكى ضد المعسكر الفاشى، الذى كان يمثل خطرا مشتركا على المعسكرين وانتهى الصراع بهزيمة المعسكر الفاشى هزيمة ساحقة، واستسلام ألمانيا فى ٧ مايو ١٩٤٥م، ثم استسلام اليابان فى ١٤ أغسطس ١٩٤٥م.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهكذا سنحت الفرصة لإعادة تشكيل خريطة العالم من جديد لحساب الدول المنتصرة، وهى بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى، بما يمنع عودة خطر العدوان الفاشى - النازى من جديد.

على أن الأمر اختلف فى التسوية التى أسفرت عنها الحرب العالمية الثانية عن كل تسوية من فيينا عام ١٨١٥م وتسوية باريس عام ١٩١٩م. فقد دامت التسوية الأولى - كما ذكرنا - أكثر من نصف قرن، كما دامت التسوية الثانية نحو عشرين عاما، أما التسوية الثالثة فلم تحدث أصلا!

لقد أجهضت قبل ميلادها لسبب بسيط، هو أنه - لأول مرة فى تاريخ الحروب العالمية، ينشب الصراع بين القوى المنتصرة فور انتهاء صراعها مع القوى المنهزمة، فيغير هذا الصراع، بقوة الأمر الواقع، ما أعد من تسوية، ويعيد خلط الأوراق بطريقة لم تكن تخطر ببال فرد، فينقلب أعداء الأمس إلى حلفاء اليوم، وينقلب حلفاء الأمس إلى أعداء اليوم!

وهذا هو الذى حدث بانقسام القوى المنتصرة بعد الحرب العالمية الثانية إلى معسكر رأسمالى تتزعمه الولايات المتحدة، ومعسكر اشتراكى يتزعمه الاتحاد السوفيتى، وقيام الصراع بين المعسكرين فيما عرف باسم الحرب الباردة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومع أن الصراع قد يبدو مفاجئا ومخالفا للسوابق التاريخية الماضية - إلا أنه كان بالنسبة لمن يؤمن بحتمية التاريخ وقوانينه، هو النتيجة الطبيعية لقيام الاشتراكية فى وجه الرأسمالية فى نصف العالم، أى فى الاتحاد السوفيتى أولا، ثم فى شرق أوروبا والصين، وفى عدد من بلاد جنوب شرقى آسيا فيما بعد، ثم اتساع رقعة هذا الصراع ضد العالم الرأسمالى - تبعا لذلك - بنشأة حركة التحرر الوطنى من الاستعمار الغربى فى العالم الثالث، التى وجدت حليفا طبيعيا لها فى المعسكر الاشتراكى.

وبذلك، بعد أن كان الصراع فى القرون السابقة يكاد يقتصر على أوروبا، اتسعت مساحته وأصبح يمتد على مساحة العالم أجمع!

وإزاء هذا المتغير الجديد الذى لم يسبق له مثيل فى الحربين العالميتين السابقتين، تكون فى مواجهة المعسكر الاشتراكى، والمعسكر الرأسمالى من نفس الدول التى خاضت الحرب ضدها كل من الولايات المتحدة وإنجلترا وفرنسا، وهى ألمانيا وإيطاليا واليابان!

وبالنسبة لألمانيا، فنظرا لأنها تسببت فى نشوب حربين عالميتين فى مدة لاتزيد على ربع قرن، فقد كان من الطبيعى أن تطرأ فكرة تقسيمها فى أذهان قادة بريطانيا والولايات المتحدة عندما أخذت تلوح لهما بشائر النصر. وهذا ماتم الاتفاق عليه فى لقاء

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أنتونى إيدن، وزير خارجية بريطانيا، والمستر روزفلت، رئيس الولايات المتحدة، فى واشنطن فى مارس ١٩٤٣م. كما اتفق الاثنان على أن تعود النمسا (التى كان هتلر قد ضمها إلى ألمانيا فى مارس ١٩٣٨م لتحقيق «الأنشلوس» - أى وحدة ألمانيا والنمسا) دولة مستقلة.

على أن الخلاف ثار حول عدد الدويلات التى تقسم إليها ألمانيا، ففى مؤتمر طهران فى نوفمبر ١٩٤٣م كان من رأى روزفلت تقسيم ألمانيا إلى خمس دول مستقلة، أما تشرشل فكان يتصور تقسيمها إلى ثلاث دول هى بروسيا وألمانيا الوسطى وألمانيا الجنوبية، وفى مؤتمر يالتا فى فبراير ١٩٤٥م تم الاتفاق على تقسيم ألمانيا إلى أربع مناطق احتلال لكل من بريطانيا والولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى وفرنسا، وتقسيم برلين إلى أربع مناطق احتلال. وهو ما حدث بالفعل بعد استسلام ألمانيا فى ٧ مايو ١٩٤٥م.

وقد كان هذا التقسيم لمناطق الاحتلال هو الذى أصبح أساسا لتقسيم ألمانيا إلى ألمانيا الغربية وألمانيا الشرقية، لأن الحرب الباردة نشبت فى ذلك الحين بين المعسكرين الرأسمالى والاشتراكى، فقررت الدول الرأسمالية الثلاث: إنجلترا وأمريكا وفرنسا، صرف النظر عن المشروعات السابقة، وتوحيد مناطق الاحتلال الثلاث فى «جمهورية اتحادية ألمانية» تضم أحد عشر

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إقليما. وفى آخر سبتمبر ١٩٤٩م أصبحت ألمانيا الغربية دولة مستقلة واتخذت «بون» عاصمة لها.

وقد رد الاتحاد السوفيتى على ذلك فى ٢٧ أكتوبر ١٩٤٩م بإعلان إنشاء «جمهورية ألمانيا الديمقراطية» فى منطقة احتلاله، واتخذ من القطاع الروسى ببرلين عاصمة لها.

وبذلك أصبحت ألمانيا مقسمة إلى دولتين، لا بسبب اتفاق المنتصرين على ذلك - كما كان الحال فى تسوية فينا أو تسوية مؤتمر باريس - وإنما بسبب اختلافهم وتصارعهم فيما عرف باسم الحرب الباردة!

على أن هذا الانقسام - على النحو الذى تم به - كان لصالح الشعب الألمانى من ناحية أنه استأصل شأفة النازية فى كل من القسمين اللذين انقسمت إليهما ألمانيا، بفضل النظام الديموقراطى الليبرالى الذى أقيم فى ألمانيا الغربية من جهة، وبفضل النظام الاشتراكى الذى أرسى فى ألمانيا الشرقية. وبالتالى فإن انقسام ألمانيا يعد نتيجة طبيعية أملاها الأمر الواقع الذى فرضته كل قوة من القوتين المتصارعتين: قوة المعسكر الرأسمالى، وقوة المعسكر الاشتراكى.

وقد أفلتت كل من إيطاليا واليابان من الانقسام لسبب بسيط، هو أنهما أفلتتا من الاحتلال المشترك من جانب كل من المعسكرين. فقد أسقطت إيطاليا موسولينى فى يوليو ١٩٤٣م، ووقعت الهدنة مع

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الحلفاء فى ٣ أغسطس ١٩٤٣م على أساس الاستسلام بدون قيد أو شرط. وعندما احتل الألمان روما فى العاشر من سبتمبر ١٩٤٣م، هربت الحكومة الإيطالية الجديدة إلى مراكز الحلفاء، وأعلنت الحرب على ألمانيا، وبذلك أصبحت شريكة حرب إلى جانب الحلفاء. وقد تم توقيع الصلح مع إيطاليا فى ١٠ فبراير ١٩٤٧م، وفقدت به إمبراطوريتها، وألزمت بدفع تعويضات باهظة.

ولكن تطور الحرب الباردة بين المعسكرين الرأسمالى والاشتراكى، دفع الولايات المتحدة إلى تخفيف قيود المعاهدة مع إيطاليا، وتلتها بريطانيا. فتحولت إيطاليا - التى كانت عدوة فى أثناء الحرب - إلى صديقة وعضو مهم من أعضاء المعسكر الرأسمالى!

أما اليابان، فقد خضعت لسلطة احتلال واحدة هى سلطة الولايات المتحدة، بعد إسقاط الأخيرة القنبلة الذرية على هيروشيما فى يوم ٦ أغسطس ١٩٤٥م، وفى ناجازاكى يوم ٩ منه، وقد أبقت الولايات المتحدة على حكومة «الميكادو» القديمة، ولم تقسم البلاد إلى مناطق احتلال.

ولم يكن الاتحاد السوفيتى فى حالة حرب مع اليابان طوال مدة الحرب العالمية الثانية، ولكنه دخل الحرب ضد اليابان تحت إلحاح روزفلت فى مؤتمر يالتا، وذلك بعد ثلاثة أشهر من استسلام ألمانيا، أى فى ٨ أغسطس ١٩٤٥م، ولكنه لم يرسل قوات إلى اليابان بعد استسلامها.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد أخذت الولايات المتحدة فى الاستئثار بالأمر فى اليابان. ومع نشوب الحرب الباردة تكرر فى اليابان ما حدث فى ألمانيا الغربية من احتضان الرأسمالية الألمانية. فقد شجعت الولايات المتحدة اليابانيين على النهوض بسرعة لمواجهة الخطر الشيوعى المشترك.

وفى أول يونيو ١٩٥٠م صرحت الحكومة اليابانية برغبتها فى توقيع معاهدة صلح منفرد مع الولايات المتحدة، يحميها من هجوم سوفيتى محتمل أو قيام ثورة شيوعية فى الداخل. وقد عقد هذا الصلح فى سبتمبر ١٩٥٢م بدون موافقة الاتحاد السوفيتى.

وبذلك تحولت الدول الكبرى الثلاث، التى خاضت كل من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا ضدها الحرب العالمية الثانية، إلى دول حليفة بعد أقل من خمسة أعوام على انتهاء الحرب!

لا بفعل مؤتمر دولى للسلام، كما حدث بعد الحروب النابوليونية وبعد الحرب العالمية الأولى - وإنما بفعل الأمر الواقع الذى فرضته ظروف الحرب الباردة التى نشبت بين المنتصرين.

وفى الوقت نفسه تحول حلفاء الأمس إلى أعداء اليوم بقيام الكتلة الشرقية تحت زعامة الاتحاد السوفيتى من نفس الدول التى حاربت من أجلها كل من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا!

وكان من الطبيعى أن تصدم هذه النتيجة القوى الدولية الرأسمالية التى خاضت غمار الحرب العالمية الثانية للقضاء على

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الخطر النازى، فكتب تشرشل Winston Churchill يقول: «لقد زال الخطر النازى وحل محله الخطر الشيوعى»!

وفى خطابه الذى ألقاه فى الولايات المتحدة فى كلية وستمينستر فى فولتون Fulton فى مارس ١٩٤٦م وقف يقول:

«لقد خيم ظل ثقيل على المناطق التى أضاءتها انتصارات الحلفاء، وهبط «ستار حديدى Iron Curtain» على القارة الأوروبية يمتد من بحر البلطيق إلى تريستا على بحر الأدرياتيك. ووراء الستار تقوم عواصم جميع الدول العريقة فى أواسط أوروبا وشرقيها: وارسو، وبرلين، وبراغ، وبودابست، وبلغراد، وبوخارست، وصوفيا.. نعم، كل هذه العواصم أصبحت تخضع للنفوذ السوفيتى ولإشراف موسكو وسيطرتها.

«ومهما كانت النتائج التى يمكن أن نصل إليها من هذه الحقائق، فإن هذه الصورة ليست هى التى حارينا من أجلها، والتى أردناها لأوروبا المحررة، كما أنها ليست الصورة التى تشتمل على أسس السلام الدائم».

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(٢) ظهور العملاق الصينى

تتبعنا فيما مضى حدثين خطيرين أسفرت عنهما الحرب العالمية الثانية، وهما : أولا، تحول أعداء الأمس إلى أصدقاء اليوم، والثانى، تحول أصدقاء الأمس إلى أعداء اليوم. فقد قامت الحرب ضد كل من ألمانيا وإيطاليا واليابان، ولكن هذه الدول تحولت إلى دول صديقة بعد أن نزع عنها الحلفاء الصبغة الفاشية والنازية، وتأسس فى كل منها النظام الديمقراطى الليبرالى. وأما الاتحاد السوفييتى، الذى شارك الدول الرأسمالية الغربية فى القضاء على الخطر الفاشى والنازى، فقد تحول إلى دولة معادية بعد أن نجح فى تحويل دول شرق أوربا - من بحر البلطيق إلى البحر الأدرياتيكى - إلى دول شيوعية، وصبغ بالصبغة الحمراء كل عواصم الدول الأوروبية العريقة : وارسو، وبرلين، وبراغ، وبودابست، وبلغراد، وبوخارست، وصوفيا - وكون منها جميعا ما عرف باسم «الكتلة الشرقية».

فى ذلك الحين كان الاتحاد السوفيتى يرى أن سيطرته على شرق أوروبا هو أمر حيوى له، لمنع أى عدوان ألمانى جديد. وقد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اشتدت حاجته إلى هذه السيطرة بعد إلقاء القنبلة الذرية الأمريكية على هيروشيما، إذ أصبحت أوروبا الشرقية أكثر حيوية له كحاجز ضد أسلحة الغرب الذرية.

لهذا السبب أخذ يحاول مد نفوذه جنوبًا إلى تركيا واليونان، وهما الدولتان الباقيتان فى شرق أوروبا، استكمالاً لسعيه التاريخى التقليدى للحصول على موانئ فى المياه الدافئة، وخاصة مضيق الدردنيل، الذى كان سبب النزاع الرئيسى بينه وبين بريطانيا على مدى قرون.

ففى مارس ١٩٤٥م طالب الحكومة التركية بإعادة النظر فى اتفاقية مونترو Montreux المبرمة فى عام ١٩٣٦م بشأن المضايق التركية، التى تعطى تركيا الحق فى تحصين وتسليح المضايق، وتضع فى يدها حق التصريح والمنع بالنسبة لمرور سفن دول البحر الأسود فى السلم أو فى الحرب.

وكانت فكرة الاتحاد السوفيتى جعل مهمة الدفاع عن المضايق فى يد دول البحر الأسود فحسب، وفى مقدمتها روسيا وتركيا، وتظل المضايق مفتوحة دائما لمرور السفن الحربية لدول البحر الأسود.

على أن كلا من بريطانيا والولايات المتحدة هبتا لدعم حق تركيا فى الانفراد بالدفاع عن المضايق.

أما بالنسبة لليونان، فإن القوات الشيوعية اليونانية التى ظهرت فى فترة المقاومة فى أثناء الحرب، كانت قد استمرت فى البقاء،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكان من الطبيعى أن تلقى التأييد والدعم من الاتحاد السوفيتى، وبذلك أتيحت لها الفرصة لتحويل اليونان إلى دولة شيوعية كما حدث بالنسبة لدول شرق أوروبا الأخرى.

على أن بريطانيا، التى لاحظت تفوق الشيوعيين، لم تتردد فى التدخل إلى جانب القوات الملكية عندما اندلعت الحرب الأهلية فى اليونان وكاد الشيوعيون أن يستولوا على أثينا فى الأسبوع الأول من ديسمبر ١٩٤٤م، وقد برر تشرشل هذا التدخل بقوله: «لقد دفعنا ثمناً باهظاً لنحصل من روسيا على حرية العمل فى اليونان» ـ مشيراً إلى الاتفاق الذى تم بخصوص تقسيم مناطق النفوذ فى مايو ١٩٤٤م.

على هذا النحو خرجت كل من تركيا واليونان، من بين دول شرقى أوروبا من النفوذ السوفيتى، وأصبحتا ـ على الرغم من وقوعهما جغرافياً فى شرقى أوروبا ـ تنتميان إلى المعسكر الغربى. وبقى البحر المتوسط بأكمله بحيرة رأسمالية. وكان ذلك هو صورة التغيير الذى حدث فى أوروبا وأسفرت عنه الحرب العالمية الثانية.

فى ذلك الحين كان شرقى وجنوبى آسيا يتعرضان لتغيير لا يقل خطورة. فقد رأينا كيف تحولت اليابان إلى دولة يسود فيها النظام الديمقراطى الليبرالى، وأصبحت جزءا لا يتجزأ من المعسكر الغربى. على أنه فى المقابل كانت الصين تتحول إلى دولة شيوعية، لتحدث التعادل فى شرقى آسيا.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكانت الصين قد تعرضت لغزو يابانى فى سنة ١٩٣١ - ١٩٣٢م، ترتب عليه احتلال منشوريا. وفى ١٩٣٣م احتلت اليابان جيهول، وفى سنة ١٩٣٧م بدأت المرحلة الثالثة من الهجوم اليابانى (الذى استمر حتى هزيمة اليابان فى أغسطس سنة ١٩٤٥م) وقد امتد هذا الهجوم على جميع سواحل الصين، وتمكنت فيه اليابان من احتلال بكين ونانكين ومعظم الموانى المهمة مثل كانتون وشنغهاى، وانسحبت حكومة تشيانج كاى شيك، رئيس جمهورية الصين - إلى شان تونج Shantung.

وعندما اشتركت الولايات المتحدة فى الحرب العالمية ضد اليابان بعد هجوم بيرل هاربور المشهور، قامت بدعم الصين فى وجه اليابان، نظرا لاحتجازها لنحو مليون جندى يابانى، وكان الاعتقاد أن تشيانج كاى شيك هو الزعيم الصينى القادر على تحقيق الوحدة الوطنية فى الصين فى وجه الاتحاد السوفيتى الذى كان فى ذلك الحين يدعم قوات ماوتسى تونج Mao Tse-tung الشيوعية.

وفى يوم ٨ أغسطس ١٩٤٥م أعلن الاتحاد السوفيتى الحرب على اليابان - أى بعد ثلاثة أيام من إلقاء القنبلة الذرية الأمريكية على هيروشيما - واستسلمت اليابان فى حين كانت تحتفظ بقوات هائلة فى الصين، فقضت الأوامر بأن تسلم القوات اليابانية، المرابطة فى منشوريا، نفسها إلى السوفيت أو الصين، أما فى بقية الصين فإلى ممثلى حكومة تشيانج كاى شيك. وطلبت الولايات المتحدة تسليم الأراضى التى تحتلها إلى الكومنتانج، وهو الحزب

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الحاكم الذى يرأسه تشيانج كاى شيك، فتسلمت قوات الكومنتانج Kuomintang عواصم تلك الأقاليم، علي حين كانت المناطق الريفية خارج هذه العواصم فى أيدى قوات ماوتسى تونج.

ولم تلبث أن نشبت الحرب الأهلية بين قوات الكومنتانج بقيادة تشيانج كاى شيك وقوات ماوتسى تونج الشيوعية، بتحريض من الولايات المتحدة، التى خشيت أن يؤدى الاتفاق، الذى تم بين القوتين الوطنيتين فى ١٠ اكتوبر ١٩٤٥م على تأليف حكومة ائتلافية - إلى سقوط السلطة فى يد الشيوعيين، كما حدث فى أوروبا الشرقية!.

فقام تشيانج كاى شيك بشن هجوم شامل على قوات ماوتسى تونج فى يوم ١٠ يوليو ١٩٤٦م، اشترك فيه نحو مليونا جندى من الكومنتانج، واستطاعت فى العام الأول طرد الشيوعيين من ١٠٥ مدينة، والاستيلاء على «ينان Yenan» عاصمة الحكومة الشيوعية.

ولكن حين أراد تشيانج كاى شيك الاستيلاء على شانتونج، لقى هزيمة منكرة، وأخذ جيش ماوتسى تونج يعزز مواقعه، واستعاد عاصمته «ينان»، كما استعاد الجانب الأكبر من الصين شمال نهر اليانجتسى. وفى ديسمبر ١٩٤٨م زحف نحو بيكين وتيانتسن، واستولى على عاصمة الإمبراطورية فى ٣١ يناير ١٩٤٩م، ثم شرع فى شن هجوم عام منذ يوم ٢١ أبريل ١٩٤٩م.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد حاول تشيانج كاى شيك أن ينتحر، ولكن أسرته منعته، وأخيراً فر إلى جزيرة فرموزا، الجزيرة الصغيرة التى يحرسها الأمريكيون.

وفى يوم ٣١ اكتوبر ١٩٤٩م ألقى ماوتسى تونج خطابه التاريخى الذى أعلن فيه مولد جمهورية الصين الشعبية.

على هذا النحو اصطبغ نصف القارة الأوروبية ومعظم القارة الآسيوية ـ وهى أكبر قارات الدنيا ـ بالصبغة الشيوعية، ولم يبق منها سوى أطرافها الجنوبية.

وسرعان ما تهيأت الظروف لصبغ جزء آخر منه باللون الأحمر، وهو المتمثل فى الهند الصينية وكوريا.

وبالنسبة لكوريا، فقد كانت قبل الحرب العالمية الثانية فى قبضة اليابان، التى ضمتها إليها فى عام ١٩١٠م وأصبحت جزءا من الإمبراطورية اليابانية. فلما قامت الحرب العالمية الثانية، وأخذت تلوح بشائر النصر، تم الاتفاق بين الحلفاء، فى مؤتمر القاهرة المنعقد فى نوفمبر ١٩٤٣م، على تحرير كوريا واستقلالها، عن طريق وضعها تحت وصاية دولية إلى أن يقرر مصيرها فى استفتاء حر.

على أن الظروف تعقدت حين أعلنت روسيا الحرب على اليابان يوم ٨ أغسطس، ودخلت قواتها كوريا فى ١٠ أغسطس ١٩٤٥م،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى حين لم تطأ القوات الأمريكية أراضى كوريا الجنوبية إلا فى ٨ سبتمبر١٩٤٥م، أى بعد أن استولت القوات السوفيتية على معظم مناطق كوريا الشمالية.

ولما كان الأمريكيون يتوقعون أن يستمر زحف السوفييت، فقد اقترحوا خط العرض رقم ٣٨ حداً فاصلاً بين الطرفين، لكى يمنعوا السوفييت من النزول إلى الطرف الجنوبى لكوريا. وقد وافق الاتحاد السوفيتى على ذلك.

وكما حدث فى ألمانيا، فإن خط الحدود المؤقت لم يلبث أن صار خطا دائماً. ولم تلبث كوريا أن أصبحت منطقة تنازع بين المعسكرين فى الحرب الباردة، حتى تحولت إلى ساحة حرب حقيقية بعد أن انقسم الشعب الكورى بين نظامين اجتماعين متناقضين، كل منهما يحاول السيطرة على الآخر وإزاحته.

أما بالنسبة للهند الصينية، فقد كانت خاضعة للاستعمار الفرنسى قبل الحرب العالمية الثانية. وهى تنقسم من الناحية الجغرافية إلى شرق وغرب بواسطة سلسلة من الجبال الضخمة. وفى الشرق، على طول بحر الصين، يعيش الفيتناميون، الذين ينتمون حضاريا إلى الصين، أما فى الغرب فيعيش شعبا لاوس وكمبوديا اللذان ينتميان من ناحية الجنس والثقافة إلى الهند وبورما.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وعندما نشبت الحرب العالمية الثانية، سمح الفرنسيون لليابانيين بدخول المستعمرة واستلام السلطة الفعلية، وذلك فى مقابل الإبقاء على السيادة الفرنسية من الناحية الشكلية، وهو ما تم بالفعل. ولكن حين اقترب احتمال غزو الحلفاء للبلاد فى أوائل سنة ١٩٤٥م أعلنت اليابان فى ١٠ مارس ١٩٤٥م انتهاء الاستعمار الفرنسى من الهند الصينية، وأعلن امبراطور «أنام» استقلال بلاده، بعد أن أحيا اسم «فيتنام»، واستطاع بمساعدة اليابانيين ضم كوتشين تشاينا Cochin China وتونكين، فأحيى الوحدة القديمة للشعب الفيتنامى. وتبعه فى ذلك كل من ملك كمبوديا ولاوس، فأعلنا استقلال بلديهما فى ١٨ مارس و ٨ أبريل ١٩٤٥م على الترتيب.

على أنه لم تلبث أن ظهرت حركة مناوئة للحكم الملكى فى فيتنام، الضالع مع اليابان، وكان رئيس هذه الحركة «هوشى منه Ho Chi Minh»، المتصل بالشيوعيين منذ زمن بعيد. وحتى مايو ١٩٤٥م استطاعت هذه الحركة تحرير ست ولايات، حتى استسلمت اليابان فى ١٤ أغسطس ١٩٤٥م، فشكل «هوشى منه» مجلساً وطنياً، وأصبح المستشار الأعلى للجمهورية. وفى ٢ سبتمبر ١٩٤٥م صدر إعلان الاستقلال.

على أن الظروف أخذت تعمل على انقسام فيتنام إلى شمال شيوعى وجنوب رأسمالى، كما فعلت فى كوريا. ذلك أن مؤتمر بوتسدام للحلفاء فى يولية ١٩٤٥م، كان قد قرر أن يكون تسليم اليابانيين للصينيين ـ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وليس للفيتناميين ـ فى شمال خط العرض ١٦، وأما جنوب هذا الخط فيكون استسلام اليابانيين للبريطانيين.

وبناء على ذلك احتل الصينيون، بموافقة حكومة «هوشى منه»، هانوى فى ١١ سبتمبر ١٩٤٥م وأراضى فيتنام الشمالية، وظلوا يمارسون الاحتلال بروح ودية مع «هوشى منه» حتى فبراير ١٩٤٦م.

أما جنوب فيتنام، فقد تسلمه البريطانيون ليسلموه بدورهم إلى الفرنسيين، الذين أخذوا فى غزو الهند الصينية فى ٢٥ أكتوبر ١٩٤٥م، واستطاعوا فى ١٩ ديسمبر ١٩٤٦م الاستيلاء على هانوى.

ولكن «هوشى منه» تزعم حركة مقاومة ضد الاحتلال الفرنسى شملت البلاد من أقصاها إلى أقصاها، استمرت ثمانية أعوام كاملة، وتكبدت فيها القوات الفرنسية خسائر فادحة.

ولم تلبث هذه الحرب أن خضعت لقوانين الحرب الباردة. فلم تكد تتحول الصين إلى دولة شيوعية، حتى أخذت فى تدعيم حركة «هوشى منه»، التى تحولت من حركة حرب عصابات إلى حركة جيش قتال، يتكون من لواءات، قوة كل لواء ١٤ ألف رجل. فى الوقت الذى أخذت الولايات المتحدة تمد القوات الفرنسية بمعونات ضخمة من أواخر عام ١٩٥٠م. حتى إذا كان يناير ١٩٥٢م وصلت حمولة هذه الإمدادات إلى مائة ألف طن تحمله مائة سفينة إلى سايجون!

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهنا عادت حركة هوشى منه إلى حرب العصابات مرة أخرى، وتكبدت فرنسا حتى أكتوبر ١٩٥٢م ما يقرب من خمسة مليارات من الدولارات!

وجاءت الكارثة فى ٧ مايو ١٩٥٤م حين سقطت قلعة «ديان بيان فو Dien Bien Phu». وسقطت معها هيبة فرنسا فى شمال الهند الصينية.

وقد تمهد السبيل بذلك للتدخل الأمريكى. ففى ٤ يونيو ١٩٥٤م وقعت فرنسا معاهدات بالحروف الأولى تمنح الحكومة الفيتنامية، التى تعترف بها فرنسا، «استقلالاً تاماً». ووافقت فيتنام على الاتحاد الحر مع فرنسا ضمن نطاق الاتحاد الفرنسى. وبناء على الهدنة التى اتفق عليها فى مؤتمر جنيف فى ٢١ يوليو ١٩٥٤م، تم تقسيم فيتنام عند خط العرض ١٧، على أن تجرى انتخابات بعد عامين لتوحيد البلاد.

على أن مؤتمر جنيف كان كارثة من وجهة نظر الولايات المتحدة، التى كانت فى ذلك الحين تعمل ـ تحت سياسة وزير خارجيتها جون فوستر دالاس John Foster Dulles ـ على إنشاء منظمة حلف جنوب شرقى آسيا Southeast Asia Treay Organiza-tion (SEATO)، ولم تكن اتفاقيات جنيف تسمح لفيتنام أو لاوس وكمبوديا بالاشتراك فى هذه المنظمة.

وسرعان ما أخذت الولايات المتحدة تعمل على خلق حكومة قوية فى فيتنام الجنوبية، لمنع هوشى منه من الاستحواذ على البلاد كلها فى انتخابات عام ١٩٥٦م. ولتحقيق ذلك تم الاتفاق بين فرنسا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والولايات المتحدة وحكومة سايجون الجنوبية على أن تضطلع الولايات المتحدة بكامل المسئولية فى فيتنام الجنوبية. فكان ذلك أساس التورط الأمريكى فى فيتنام.

على كل حال، فعلى هذا النحو بدت خريطة العالم بعد الحرب العالمية الثانية مختلفة كل الاختلاف عنها قبل الحرب. فقد أعيد خلط الأوراق على نحو لم يكن يخطر ببال أشد الحالمين! وفى الوقت نفسه أخذت قيادة العالم الرأسمالى تنتقل شيئا فشيئا من يد فرنسا وانجلترا إلى يد الولايات المتحدة.

فقد فقدت فرنسا مركزها نتيجة سقوطها أولا تحت الاحتلال الألمانى في أثناء الحرب، وفشلها ثانيا فى الاحتفاظ بامبراطوريتها بعد الحرب ـ كما رأينا فى الهند الصينية.

وأما بريطانيا، فقد تصدرت فى أعقاب الحرب الصراع ضد الاتحاد السوفيتى، ولكنها لم تلبث أن عجزت عن تحمل أعباء هذا الصراع اقتصاديا، ثم أشهرت إفلاسها فى فبراير ١٩٤٧م، حين أعلنت عجزها عن تحمل نفقات التزاماتها فى اليونان، فأعلن الرئيس ترومان فى الشهر التالى استعداد الولايات المتحدة لتحمل هذه الالتزامات كجزء من سياسة المحافظة على استقرار «شعوب العالم الحر» ضد التهديد الشيوعى!

ومنذ ذلك الحين، انتقلت المبادرة فى الشئون الغربية إلى يد الولايات المتحدة بصفة مطلقة، وأعلن جورج مارشال، وزير

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الخارجية الأمريكية مشروعه المعروف باسمه، لإنقاذ الاقتصاد الأوروبى فى أوروبا الغربية من الانهيار.

وقد ساعد على صعود الولايات المتحدة إلى هذا المركز فى قيادة العالم الرأسمالى - امتلاكها القوة النووية وحدها دون أية دولة رأسمالية أخرى. فقد وضعها هذا السلاح فى موضع الحامى للعالم الرأسمالى من الخطر الشيوعى.

وتدل الدلائل على أن الأمريكيين كانوا يرغبون رغبة جارفة فى استخدام هذا السلاح ضد الاتحاد السوفيتى بالفعل، كإجراء وقائى، قبل أن يتوصل إلى امتلاك القوة النووية!

وهذا ما يتضح من الصحف الأمريكية. فقد كتب «الماجور جورج فيلدنج إليوت» - المحرر العسكرى لجريدة «النيويورك هيرالد تريبيون» في أثناء الحرب فى عام ١٩٤٩م يقول: «إذا لم تهاجمنا روسيا فى عام ١٩٤٩م، فعلينا أن نضربها قبل عام ١٩٥٢م، وهو العام المفروض أن تتمكن فيه من إنتاج القنبلة الذرية!

وقال: «إننا لا يمكن أن نسمح للحكومة السوفيتية بأن تمتلك القنابل الذرية بالإضافة إلى وسائل نقلها وإسقاطها على أمريكا الشمالية!».

وقد أخذ دعاة الحرب الذرية الخاطفة يروجون لفكرة أن السوفييت سوف يهاجمون المدن الأمريكية حتما بمجرد حصولهم على القنابل الذرية، لدرجة أنه فى عام ١٩٤٩م كان الشك فى هذا الافتراض يعد خيانة وطنية!

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(٣) الحرب الباردة وسياسة الاحتواء

بينما كان الخوف من الاتحاد السوفيتى يجتاح الولايات المتحدة، وتصدر ضده الدعوة بشن حرب وقائية ذرية خاطفة، كانت سياسة الولايات المتحدة تقوم فى ذلك الحين على ما عرف باسم «سياسة الاحتواء Policy of Containment. وقد أسهم فى إعدادها «جورج كينان» George Kennan، أكبر الخبراء الأمريكيين فى الشئون السوفيتية فى ذلك الوقت.

فقد كتب «كينان» فى مجلة «الشئون الخارجية» Foreign Affairs فى يوليو ١٩٤٧م مقالته المشهورة: «بواعث السلوك السوفيتى»، التى ذهب فيها إلى أن النفوذ السوفيتى سوف يحاول التوسع، ما لم تتصدى له القوة الأمريكية.

وقد شبه العمل السياسى للكرملين بأنه «مثل النهر الذى ينساب باستمرار ويتدفق، ولكنه إذا وجد فى طريقه موانع قوية لا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يمكنه اجتيازها، فإنه لا يناطح الصخر، وإنما يقبل مؤقتا الأمر الواقع فى هدوء، ولكنه يواصل ضغطه، ويزيده بالتدريج حتى يصل إلى مصبه المنشود»!

وعلى هذا الأساس بنى «كينان» نظريته فى الاحتواء بقوله: «إن المطلوب هو أن نستخدم، بمهارة ويقظة، مجموعة من القوات لمقاومة العدوان فى المناطق ذات الأهمية الجغرافية والسياسية، التى تتعرض لهزات دائمة تبعا لمناورات السياسة السوفيتية.

ولم يطالب «كينان» بشن حرب ذرية وقائية ضد الاتحاد السوفيتى، لأنه كان يرى أن الاتحاد السوفيتى ليس عدوانيا بالمعنى الهتلرى، فالسوفييت - على عكس المعتدين الفاشيست الثلاثة - ليس لديهم جدول زمنى لتنفيذ أهدافهم، ولا يرون بهم حاجة لمثل هذا الجدول الزمنى، لأنهم يعتقدون بأن الرأسمالية الغربية تحمل فى داخلها بذور فنائها، ومن ثم فلماذا يتعرضون لأخطار الحروب مادام أن النصر مكفول لهم فى النهاية؟.

كانت أهمية مقالة «كينان» التاريخية، هى أنها قدمت أقوى مبرر لسياسة احتواء الاتحاد السوفيتى وتطويقه. أما تنفيذ سياسة الاحتواء فكانت على يد هارى ترومان Harry Truman، رئيس الولايات المتحدة، التى تمثلت فى مبدئه المعروف الذى أعلنه يوم ١٢ مارس ١٩٤٧م، وهو «مبدأ ترومان Truman Doctrine».

وقد أوضح ترومان فى خطبة له يوم ٦ مارس ١٩٤٧م، فى جامعة «بايلور Baylor»، الأساس الحقيقى لما عرف باسم «مبدأ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ترومان». الذى أعلنه بعد ستة أيام. ونلاحظ عدم وجود صلة له بالخطر العسكرى السوفيتى كما كانت تصوره الصحافة الأمريكية، وإنما كانت صلته بالنظام الاقتصادى الشيوعى فى الاتحاد السوفيتى.

فقد شكا من الاحتكار الذى تمارسه روسيا وتوابعها على التجارة، وضرورة حصول الولايات المتحدة على حرية العمل الاقتصادى، وقال:

«إنه عندما تسيطر الحكومات على التجارة الخارجية، وترسم خطط الاقتصاد، فإن هذا يقيد حرية العمل الاقتصادى، وعندئذ فإن للحكومات الأخرى أن تفعل كما يحلو لها، وعلى التاجر أن يكيف نفسه قدر ما يستطيع ليتلاءم مع ما تفرضه الظروف. ولقد كان هذا هو طابع القرنين السابع عشر والثامن عشر، وإذا لم نتحرك ونعمل بسرعة، فسيكون هذا هو طابع القرن الحالى أيضا، وإذا لم ينعكس هذا الاتجاه، فإن حكومة الولايات المتحدة سوف تجد نفسها مرغمة على استخدام نفس هذه الأساليب لتكافح من أجل الحصول على الأسواق وعلى المواد الخام!».

ولما كانت خطبة ترومان فى «جامعة بايلور» قد صدرت عن دولة تسيطر على ثلاثة أرباع الثروة فى العالم، وأكثر من نصف الصناعة فيه، فقد كان ذلك معناه أن هذه الدولة قد قررت شن الحرب ضد النظم التى تعتبرها تهديدا للحرية الاقتصادية الأمريكية، كما كان معناه أن ممثلى الرأسمالية الأمريكية كانت

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نظرتهم إلى العالم هى أنه لا يمكن أن يستوعب نظامين متعارضين، فإما الرأسمالية وإما الشيوعية.

وحتى يقتنع الأمريكيون بهذه السياسة الخطرة، فقد أوضح ترومان أن حرية الكلام وحرية العبادة إنما تتوقفان على حرية العمل الاقتصادى، فإذا كان للحريات الأمريكية فى العبادة والكلام أن تبقى، فإن على النظم الاقتصادية الاستبدادية الأخرى فى العالم أن تزول. ومن هنا فإن الحرية أهم من السلام!

وعلى ذلك أعلن ترومان يوم ١٢ مارس ١٩٤٧م أنه «يجب أن تكون سياسة الولايات المتحدة نجدة الشعوب الحرة التى تقاوم الاستعباد الذى تفرضه الأقليات المسلحة أو القوى الخارجية».

وبذلك لم يأخذ على عاتقه فقط أن تقوم الولايات المتحدة بإخماد أى ثورة شيوعية، وإنما كانت عباراته شاملة، بحيث تشمل جميع أنواع الثورات، سواء كانت ديمقراطية أو غيرها!

ولما كان هناك ملايين من البشر يعيشون تحت وطأة قلة من الحكام المستبدين فكأنه أراد أن يكرّس أوضاع هذه الشعوب بهذا الإعلان، الذى يقضى بانتهاء عصر الثورات، سواء كانت شيوعية أو وطنية!

وقد كان هذا بداية أضخم عملية تطويق واحتواء فى تاريخ البشرية. لقد أصبحت الولايات المتحدة بمثابة رجل البوليس المسئول فى العالم، فحيثما اختل النظام العام فى أى بلد فعليها إصلاحه، وحيثما حاولت

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

روسيا أو الشيوعية أن تتحرك، فعلى الولايات المتحدة أن تقاوم ذلك بالقوة المسلحة.

ومن هنا بدأ «احتواء» أكبر قوة برية على سطح الأرض، وهى الاتحاد السوفيتى بسلسلة من الأحلاف العسكرية.

ففى ١٨ أبريل ١٩٤٩م أبرمت معاهدة حلف شمال الأطلنطى North Atlantic Treaty Organization (NATO) التى اشتركت فيه كل من: كندا، والنرويج، والدانمارك، وايطاليا، وايسلندا، والبرتغال، وبريطانيا، وفرنسا. وبلجيكا، وهولندا، ولوكسمبرج. ثم انضمت كل من تركيا واليونان لعضوية الحلف فيما بعد فى فبراير ١٩٥٢م.

وفى أول سبتمبر ١٩٥١م أبرمت الولايات المتحدة حلف أنزوس ANZUS Pact مع استراليا ونيوزيلاندا.

وفى شهر سبتمبر من هذا العام عقدت حلفاً مع اليابان.

وقد اعتمدت «سياسة الاحتواء» فى تنفيذها على «الردع الاستراتيجى» Strategic Deterrence، أى على القوة الاستراتيجية للطيران الأمريكى لتدمير الاتحاد السوفيتى بالقنابل الذرية تدميراً تاماً، فى حالة هجومه بشكل مباشر على الولايات المتحدة أو أوروبا الغربية.

وبمعنى آخر أن صورة «الحرب الشاملة» غير المحدودة التى تعتمد على سلاح الطيران الأمريكى والسلاح الذرى، كانت هى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الصورة الوحيدة فى ذهن الولايات المتحدة، للدفاع عن الولايات المتحدة أو أوروبا الغربية.

وكان مما يبرر نظرية القذف الاستراتيجى الذرى هو أن تطبيق هذه الخطة العسكرية يتيح للولايات المتحدة فرصة تفادى الدخول فى قتال مرير باهظ النفقات مع جحافل القوات الشيوعية البرية، ويسهل عليها القضاء على هذه الجموع المعادية الضخمة بأرخص التكاليف.

وكان من الطبيعى، فى ظل هذه النظرية، أن تركز الولايات المتحدة معظم نفقاتها الدفاعية فى تعزيز قواتها الجوية وتطوير سلاحها الذرى، وأن ينخفض اهتمامها بالأسلحة التقليدية والأسلحة الأخرى.

وقد انعكس ذلك فى ميزانية الجيش خلال أعوام ١٩٤٨ و١٩٤٩ و١٩٥٠م، فقد انخفضت الاعتمادات المخصصة للجيش، وهبطت قوته من ٤٩ فرقة فى عام ١٩٤٥م إلى عشر فرق فقط فى عام ١٩٥٠م، على حين زادت نفقات السلاح الجوى زيادة كبيرة.

على أن الاتحاد السوفيتى بقيادة ستالين، كان فى ذلك الحين ينتقل من سياسة الهجوم المباشر فى أوروبا، إلى سياسة الهجوم غير المباشر فى القارات الأخرى.

وبمعنى آخر، أنه بعد أن نجح فى مساعدة دول شرقى أوروبا على التحول من النظام الرأسمالى إلى النظام الاشتراكى، أخذ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يوجه اهتمامه إلى حركات التحرر الوطنى فى آسيا وإفريقيا، وهى التى أخذت تنشط بعد الحرب العالمية الثانية.

ففى ذلك الحين كانت مهام حركات التحرر الوطنى قد أخذت تتشابك مع مهام الحركات الاشتراكية، من حيث أن كلا منهما موجه إلى الدول الرأسمالية. وبالتالى فإن مساعدة حركات التحرر الوطنى ودعمها يؤدى بالضرورة إلى إضعاف أوروبا الغربية والولايات المتحدة، دون حاجة بالاتحاد السوفيتى إلى شن هجوم مباشر على هذه الدول.

ومن هنا طرح الاتحاد السوفيتى فكرة أنه توجد فى العالم المعاصر ثلاث قوى ثورية أساسية هى: النظام الاشتراكى العالمى، والحركة العمالية العالمية، وحركات التحرر الوطنى. ومن الضرورى التحالف بين هذه القوى الثلاث لإضعاف مواقع الإمبريالية.

وفى الوقت نفسه كانت القوى الشيوعية الأخرى، ممثلة فى الصين الشعبية، والأممية الرابعة The Fourth International التى أسسها تروتسكى Trotsky، تذهب - فى هذا الصدد - مذهبا متطرفاً.

فقد رأت أن تطور الاقتصاد الرأسمالى فى الدول الصناعية الكبرى، مع خيانات القيادات العمالية فى أوروبا الغربية وانتهازيتها. قد جعل من الممكن استقرار الرأسمالية فى أوروبا بصفة مؤقتة، وأن مركز الحركة الثورية الرئيسى قد انتقل - بالتالى - من الحركةالعمالية إلى حركات التحرر الوطنى.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكان من رأى الصين الشعبية بقيادة ماوتسى تونج، التى خرجت بنظرية «الريف العالمى الذى يطوق ويدمر المدينة العالمية» أنه «إذا أمكن على المستوى العالمى تسمية أمريكا الشمالية وأوروبا الغربية» بمدن العالم، فإن آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية تشكل «ريف العالم»، وبعد الحرب العالمية الثانية فإن حركات التحرر الوطنى تبدو بمثابة «تطويق للمدن من قبل المناطق الريفية».

وكانت هذه النظرية تعتمد على الفكرة التى ظهرت فى الفترة ما بين الحربين، والتى رأت أن السبب فى استمرار النظام الرأسمالى فى أوروبا وعدم انهياره منذ زمن طويل، هو المستعمرات المترامية الأطراف التى يصرف فيها بضائعه، ويحصل منها على مواده الخام. ومن ثم فإن المطعن الحقيقى للدول الرأسمالية لا يكمن فى أوروبا، وإنما فى المستعمرات التى تمثل بالنسبة لها «كعب أخيل!».

وفى إطار هذا الاهتمام من جانب القوى الشيوعية بحركات التحرر الوطنى، نشبت الحرب الكورية يوم ٢٥ يونية ١٩٥٠م، حين اندفع جيش كوريا الشمالية، الذى قام الاتحاد السوفيتى بتدريبه وتسليحه قبل إخلائه كوريا الشمالية، عبر خط العرض ٣٨، لشن حرب وقائية ضد كوريا الجنوبية، التى كانت تساندها الولايات المتحدة.

وقد دخلت الولايات المتحدة الحرب، تحت علم الأمم المتحدة، لإعادة الأمور إلى ما كانت عليه. ولكنها لم تكد تحقق انتصارها

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتصل إلى خط العرض ٣٨، حتى غيرت سياستها وقررت توحيد كوريا عن طريق إزالة الدولة الشيوعية فى الشمال!

ولكن هذا التحول أشعر الصين الشعبية بالخطر، فدفعت بقواتها فى شكل متطوعين، واستطاعت هذه الجيوش تحقيق انتصارات سريعة وضعت القوات الأمريكية فى موضع حرج، فقد تقهقرت بسرعة طوال شهرى ديسمبر ١٩٥٠م ويناير ١٩٥١م متبعة سياسة إحراق الأرض. وهنا صمم الصينيون على طرد القوات الأمريكية من كوريا الجنوبية أيضاً، فعبروا خط عرض ٣٨ فى أواخر ديسمبر١٩٥٠م، وواصلوا زحفهم فى كوريا الجنوبية حتى فكر الأمريكيون فى إخلاء كوريا الجنوبية، ولكن أمكن إنشاء خط دفاعى عبر شبه الجزيرة فى أواخر يناير١٩٥١م.

واستمرت الحرب ثلاث سنوات (يناير ١٩٥٧م ـ يولية ١٩٥٣م) ارتفعت فيها خسائر أمريكا من ٢٧ر٦١٠ قتيلا فى ٢٧ أكتوبر ١٩٥٠م إلى ١٤٤ر١٧٣ عند نهاية الحرب.

على هذا النحو سنحت الفرصة للولايات المتحدة لوضع سياسة الاحتواء والحرب الشاملة الذرية فى موضع التنفيذ، وارتفعت الأصوات باستخدام السلاح الذرى، وكان على رأس هؤلاء المنادين الجنرال ماك آرثر Mac Arthur، الذى كان يعمل بتصميم على توسيع نطاق الحرب نحو حرب عالمية ثالثة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى ٣٠ نوفمبر ١٩٥٠م أدلى الرئيس الأمريكى ترومان بتصريح دعا فيه إلى التعبئة الشاملة ضد الشيوعية، وأوضح أنه إذا وافقت الأمم المتحدة على القيام بعمل مسلح ضد الصين، فيمكن منح الجنرال ماك آرثر سلطة استخدام القنبلة الذرية حسبما يريد!

على أنه كان لهذا التصريح وقع الصاعقة على أوروبا التى هبت للإعتراض على هذا التصريح بكل قوة، وتصاعد هذا الاعتراض لما يشبه «ثورة شاملة ضد السياسة الأمريكية».

وفى الوقت نفسه كان فى استطاعة البريطانيين والفرنسيين منع مهاجمة روسيا بالقنابل الذرية، مادام أنهم يتحكمون تقريبا فى جميع القواعد الجوية التى يمكن شن الهجوم منها، في حين أبدى قواد الطيران الأمريكيين الشك فى فعالية هذه القنابل فى أرض وعرة مثل أرض كوريا، كما أثار بعض الساسة أن العدو الذى تواجهه القوات الأمريكية إنما هو عدو ثانوى لا يستحق أن يستخدم معه السلاح الذرى.

وعلى هذا الأساس أحجمت الولايات المتحدة عن استخدام القنابل الذرية، وعادت الأسلحة التقليدية لتصبح هى الأسلحة المعتمد عليها فى القتال، وأصبح جنود المشاة مرة أخرى هم سادة الميدان، وفى أيديهم لواء الهزيمة أو النصر!

وقد كان من المتوقع أن يسفر اكتشاف الولايات المتحدة عدم إمكان استخدام القنابل الذرية، واضطرارها إلى حصر الحرب فى إطار «حرب

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

محدودة»، إلى إضمحلال الإيمان بالأسلحة الذرية، ولكن الذى حدث كان هو العكس تماما.

فعندما عقدت الهدنة فى ٢٧ يولية ١٩٥٣م، كان الشعب الأمريكى برمته ساخطاً، ومصاباً بخيبة الأمل بسبب الخسائر التى تكبدها.

وكان قد عبر عن ذلك فى انتخابات ١٩٥٢م بإسقاط الحزب الديمقراطى The Democratic Party والمجئ بالحزب الجمهورى The Republican Party وعلى رأسه الجنرال إيزنهاور Eisenhower إلى الحكم، بعد أن وعد الناخبين بوضع حد لتلك الورطة التى نسبت إلى أخطاء حكومة ترومان.

وقد وجه الشعب الأمريكى سخطه إلى سياسة الاحتواء ذاتها، التى رأى أنها لم تكن كافية لتحقيق النصر فى هذه الحرب، وتقليل الخسائر الأمريكية، وأكثر من ذلك أنها أدت إلى خروج الصين الشعبية من هذه الحرب كقوة عسكرية عظمى، تحظى بعطف جميع الشعوب الآسيوية تقريباً.

ذلك أنه على الرغم من أن هذه السياسة كانت تعتمد على القوة الذرية الأمريكية، إلا أن هذا الاعتماد كان قاصرا على صد أى هجوم على الولايات المتحدة، أو على خط دفاعها الأول فى أوروبا، ولم تمتد إلى استخدام القوة الذرية فى مناطق جغرافية أخرى من

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العالم، مثل آسيا. كذلك فإن سياسة الاحتواء Containment لم يكن الهدف منها أساسا تدمير الاتحاد السوفيتى وتوابعه، وإنما كان الهدف ردعه عن ضرب الولايات المتحدة، والحد من التوسع السوفيتى فى المستقبل.

وقد قدم الرئيس أيزنهاور، بعد استلامه زمام السلطة، البديل لهذه السياسة، بسياسته الجديدة التى أطلق عليها اسم «النظرة الجديدة» New Look، وتنبنى على استراتيجية عسكرية جديدة هى استراتيجية «الانتقام الشامل» Massive Retaliation .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(٤) العالم تحت استراتيجية الانتقام الشامل

لم يكن سخط الأمريكيين على سياسة «الاحتواء» وعلى استراتيجية «الردع الاستراتيجى» مع الاتحاد السوفيتى، راجعاً إلى الرغبة فى التخلى عن فكرة استخدام القنابل الذرية والحرب الشاملة، والأخذ بسياسة الحروب المحدودة، التى تستخدم فيها الاسلحة التقليدية، كما طرحتها الحرب الكورية ـ وإنما كان السخط ينصب على قصور هذه السياسة وهذه الاستراتيجية العسكرية عن مواجهة حرب مثل الحرب الكورية، والخوف من أن إحجام الولايات المتحدة عن استخدام الأسلحة الذرية فى هذه الحرب، يعد نذيراً بإحجامها ـ فى المواقف المماثلة فى المستقبل ـ عن استخدام هذه الأسلحة التى أعطت للولايات المتحدة التفوق الاستراتيجى على الاتحاد السوفيتى، ويعود بها إلى الأسلحة التقليدية، التى كبدت الشعب الأمريكى خسائر فادحة فى الأرواح والمعدات فى الحرب الكورية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومعنى ذلك أن السخط كان منشؤه الرغبة فى اتخاذ سياسة أكثر تطرفاً فى التعامل مع العالم الشيوعى. وهذا ما قدمته حكومة الرئيس أيزنهاور بعد استلامها زمام السلطة فى انتخابات ١٩٥٢م على أنقاض حكم الحزب الديموقراطى، وأطلقت عليها اسم «النظرة الجديدة New Look، واعتمدت على استراتيجية عسكرية جديدة هى «الانتقام الشامل» Massive Retaliation.

وربما كان جون فوستر دالاس، وزير الخارجية فى حكومة أيزنهاور، خير من عبر عن الروح التى ألهمت هذه السياسة الجديدة، بقوله «إنه يشك فى أنه كان من الممكن وقوع الحرب الكورية لو أن الحكومة الأمريكية أوضحت، بطريقة حاسمة، أن أى عدوان شيوعى فى آسيا، سوف يقاوم بضرب الاتحاد السوفيتى نفسه بالقنابل الذرية».

وقد عبر بذلك عن رأى ملايين الأمريكيين، وعلى رأسهم شخصيات قوية جداً، صبت على رأس ترومان اللعنات والشتائم لعدم إشعاله حربا عالمية، ولأنه ظل يحصر الحرب فى نطاقها المحدود.

وهذا يفسر ظهور «المكارثية» فى هذا الوقت بالذات، (نسبة إلى السناتور جوزيف مكارثى Joseph McCarthy) فى ظروف الإحباط الذى أحس به الأمريكيون بسبب الحرب الكورية.

وكان السناتور جوزيف مكارثى قد أخذ يكتسب شهرته فى أوائل عام ١٩٥٠م بحملاته على وزارة الخارجية الأمريكية، واتهامه إياها

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بأنها غاصة بالشيوعيين ومن يعطفون عليهم! وبعد ذلك أخذ يهاجم «البنتاجون» Pentagon والمؤسسة العسكرية الأمريكية) نفسها، بحجة أنها تضم عناصر تمالئ الشيوعية.

ثم بلغت ذروة المكارثية فى عام ١٩٥٤م، عندما حفل بالتحقيقات والمحاكمات الوطنية والاتهامات وإعدام الضحايا، الذين كانوا كباش فداء الإرهاب الذى اجتاح الولايات المتحدة بواسطة لجنة التحقيق التى ابتدعها مكارثى وغيرها من اللجان.

وأخيراً تكونت لجنة من أعضاء الشيوخ، للتحقيق فى الاتهامات التى كان يرددها مكارثى، وقد استمعت فى المدة من ٢٢ أبريل إلى ١٧ يونيو ١٩٥٤م إلى مايقرب من مليونى كلمة من شهادات الشهود.

وانتهت المحنة حين شكل مجلس الشيوخ لجنة خاصة فى أغسطس١٩٥٤م، قدمت توصيتها فى ٢٧ سبتمبر ١٩٥٤م بأن يوجه المجلس اللوم إلى مكارثى. وهو ما حدث فى ٢ ديسمبر ١٩٥٤م وبذلك سقط مكارثى، وسقط عهد الإرهاب الذى فرضه على المواطنين الأمريكيين.

على أنه بقيت الروح المتطرفة التى تدعو إلى انتهاج سياسة متشددة تجاه الاتحاد السوفيتى والعالم الشيوعى. فبمقتضى سياسة «النظرة الجديدة» (New Look)اتسع نطاق الاحتواء اتساعا عظيما، وبعد أن كانت حكومة الديموقراطيين قد حددت هذا النطاق الذى يحيط بالاتحاد السوفيتى بحيث يمتد من النرويج شمالا إلى تركيا جنوبا، وبحيث يؤدى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اختراقه من جانب الاتحاد السوفيتى إلى ردعه عن طريق شن «حرب شاملة» ـ وسعت حكومة الجمهوريين هذا الحزام ليمتد إلى الشرق الأوسط والأقصى!

ومن أجل ذلك وقعت مع كوريا حلفا فى عام ١٩٥٣م، ودفعت الباكستان وتركيا إلى عقد حلف بينهما فى فبراير ١٩٥٤م، كما وقعت مع الباكستان حلفا فى مايو ١٩٥٤م، ثم أنشأت حلف جنوب شرقى آسيا (SEATO) فى سبتمبر ١٩٥٤م، ويضم ـ إلى جانب الولايات المتحدة ـ كلا من : استراليا، وفرنسا، ونيوزيلاندا، والفليبين، وتايلاند، وبريطانيا.

وأخيرا أخذت فى إقامة ما عرف باسم «حلف بغداد» Baghdad Pact، من كل من : بريطانيا، وتركيا وإيران، والعراق، وباكستان - لكى يصل بين حلف شمال الأطلنطى فى الغرب وحلف جنوب شرقى آسيا فى الشرق، ويختم حلقة الحصار حول الاتحاد السوفيتى من الجنوب.

وقد اتخذت هذه السياسة الجديدة - كما ذكرنا - استراتيجية عسكرية متشددة، هى استراتيجية «الانتقام الشامل»، وتقضى باستخدام الأسلحة الذرية لتوجيه ضربات انتقامية قاضية للرد على أى عدوان، سواء كان كبيرا أو صغيراً.

وقد عبر دالاس عن فلسفة هذه الاستراتيجية بقوله: «إن ذهاب الولايات المتحدة إلى «حافة الحرب» فى ظل استراتيجية الانتقام الشامل، سيمنع تكرار الحرب الكورية، ويلغى احتمال قيام مثل هذه الحروب المحدودة».

ولهذا السبب قامت هذه السياسة الجديدة على تخفيض القوات الأمريكية المنتشرة فيما وراء البحار، وتخفيض القوات البرية الأمريكية، حتى لا تؤدى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ضخامة الجيش إلى تشجيع الدخول فى حرب محدودة تقليدية مثل الحرب الكورية.

وفى الوقت نفسه عمدت هذه السياسة إلى إنشاء احتياطى استراتيجى مركزى فى الأراضى الأمريكية، وزيادة قوة السلاح الجوى الذرى الأمريكى زيادة ضخمة ورفع مستواه.

وقد اقتضى ذلك من حكومة الجمهوريين برئاسة أيزنهاور فى مايو ١٩٥٣م تغيير هيئة أركان الحرب المشتركة، فعينت الأدميرال رادفورد Admiral Radford رئيسا لمجلس رؤساء هيئة أركان الحرب المشتركة Chairman of the Joint Chiefs of Slaff، خلفا للجنرال عمر برادلى Omar Bradley، الذى اتهم بأنه وزملاءه اشتركوا فى تأييد سياسة ترومان، كما عين الجنرال ماثيو ريدجواى Matthew Ridgway رئيسا لهيئة أركان حرب الجيش، خلفا للجنرال لاوتون كولينز Lawton Collins، والجنرال ناتان تويننج Nathan Twining رئيسا لهيئة أركان حرب السلاح الجوى، خلفا للجنرال هويت فاندنبرج Hoyt Vandenberg، والأدميرال روبرت كارنى Robert Carney خلفا للأدميرال ويليم فشتلر William Fechtler كرئيس للعمليات البحرية.

وقد أحدث هذا التغيير الشامل انزعاجا كبيرا فى الدوائر العسكرية المحترفة، الحريصة على ابتعاد الوظائف العسكرية عن التيارات السياسية. كما أحدثت سياسة «النظرة الجديدة»، التى أعلنها الجنرال رادفورد قبيل عيد الميلاد فى ديسمبر ١٩٥٣م، استياء فى الجيش، لما حظى به سلاح الطيران فى البرنامج العسكرى الجديد من حظوة،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولاهماله القوات التقليدية التى حملت العبء الأكبر فى الحرب الكورية، وتحملت خسائر جسيمة فى الأرواح والمعدات الحربية.

على أن حكومة الجمهوريين لم تلبث أن تعرضت لاختبار قاس، يماثل الاختبار الذى تعرضت له حكومة الديموقراطيين فى الحرب الكورية، حين برزت مشكلة الهند الصينية Indechina.

ذلك أن انتهاء الحرب الكورية عام ١٩٥٣م كان قد نقل مركز الضغط الصينى الشيوعى من كوريا إلى الهند الصينية، وزاد من مساعدات الصين لقوات «ڤييت منه» Vietminh.

فى الوقت الذى أبرزت الحرب الأهمية الاستراتيجية للهند الصينية للسياسة الأمريكية، باعتبارها المنفذ المهم لمنطقة جنوب شرقى آسيا كلها. فأخذت - من ثم - تضاعف من مساعداتها الاقتصادية والعسكرية لفرنسا فى حربها ضد القوات الوطنية، خوفا من أن يؤدى سقوط الهند الصينية إلى سقوط بورما، وتايلاند، والملايو، وإندونيسيا، وعندئذ يحيق الخطر بالهند، وتتعرض استراليا ونيوزيلاندا والفليبين وفورموزا واليابان للخطر الشيوعى.

ولذلك ففى عام ١٩٥٣م وافق أيزنهاور على دعم المجهود الحربى الفرنسى بـ ٤٠٠ مليون دولار، ثم حصل على تأييد مجلس الأمن القومى الأمريكى، وزاد حصة أمريكا فى تكاليف المساعدة للفرنسيين من ٤٠٠ إلى ٧٨٥ مليون دولار، وبمعنى آخر تحملت الولايات المتحدة جميع تكاليف الحرب تقريبا فى عام ١٩٥٤م.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على أنه فى ١٣ مارس ١٩٥٤م ساء مركز الفرنسيين جدا فى شمال فيتنام بسبب الهجوم على ديان بيان فو، وأصبح واضحا أن فرنسا لن تستطيع الصمود بدون تدخل الولايات المتحدة بقواتها العسكرية.

ولم تلبث فرنسا بالفعل أن طالبت أيزنهاور بأن تقوم الطائرات الأمريكية الموجودة على حاملات الطائرات الأمريكية بضرب القوات الوطنية من الجو. وقد أيد الجنرال رادفورد، رئيس مجلس رؤساء هيئة أركان الحرب المشتركة، هذا الطلب، ولكن أيزنهاور رفض التورط فى حرب محدودة فى الهند الصينية، ولم يكد يتخلص الا بصعوبة من الحرب الكورية منذ عام واحد، فى الوقت الذى كان الرأى العام الأمريكى يرفض فكرة حرب محدودة مرة أخرى تخوضها الولايات المتحدة.

على أن الموقف فى أبريل ١٩٥٤م كان قد سناء إلى الحد الذى بات على الولايات المتحدة التدخل المسلح، سواء أراد الشعب الأمريكى ذلك أو لم يرد. وقد اتفق ايزنهاور ودالاس ورادفورد على خطة لإرسال قوات أمريكية إلى الهند الصينية، بشرط أن تضم قوات من بريطانيا واستراليا ونيوزيلاندا والفليبين وتايلاند - إن أمكن.

وقد استطاع دالاس فى البداية الحصول على موافقة تشرشل وايدن، ولكنهما عدلا عن ذلك ريثما يتاح لهما الوقت الكافى لمناقشة الموضوع مع الروس والصينيين، فى مؤتمر المشكلات الآسيوية الذى كان مقررا عقده فى جنيف فى ذلك الشهر. وكان الجنرال ريدجواى قد أقنع السلاح الجوى بأن التدخل بالطيران لن يكون مفيداً، لأن أوانه قد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فات، ثم إنه إذا حدث تدخل فسيكون على نطاق ضيق لايجدى، فضلا عن أنه قد يكون إجراء خاطئا وغير حكيم، ومن المشكوك فيه أن يتم أى هجوم جوى على نطاق واسع دون تعريض الفرنسيين أنفسهم للخطر.

وقد كان نتيجة لذلك أن سقطت «ديان بيان فو» فى شهر مايو ١٩٥٤م، وأبرمت الحكومة الفرنسية فى يوليو ١٩٥٤م اتفاقية هدنة مع الشيوعيين فى الهند الصينية، شبيهة بتلك التى انتهت إليها المفاوضات فى كوريا. وبمقتضاها استولى الشيوعيون على فيتنام الشمالية، بما فى ذلك دلتا النهر الأحمر وهانوى، وأصبح الخط الفاصل بين الدولتين يمثل جزءًا من الخط الفاصل بين العالم الاشتراكى والعالم الرأسمالى.

وعلى هذا النحو أثبتت سياسة «النظرة الجديدة» واستراتيجية «الانتقام الشامل»، أنهما أقل فعالية من سياسة «الاحتواء» واستراتيجية «الردع الاستراتيجى».

فكما رأينا، لقد سمحت سياسة الاحتواء واستراتيجية الردع الاستراتيجى بالحرب المحدودة، كما حدث فى كوريا، ولكن سياسة «النظرة الجديدة» واستراتيجية «الانتقام الشامل» استبعدتا الحرب المحدودة تماما، وقامتا على فكرة الحرب الذرية التى لا حدود لها.

لقد ثبت أن التهديد بإفناء العالم ليس مما يمكن تنفيذه عمليا، بل ولا يصدقه العدو! ولذلك حين حذر جون فوستر دالاس فى ٢٩ مارس ١٩٥٤م، فى أثناء حصار قلعة ديان بيان فو، باتخاذ إجراء جماعى فى حالة ما إذا قام الجيش الصينى الأحمر بعدوان صريح، تجاهلت الصين

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هذا الانذار، ولم يصدق الاتحاد السوفيتى أن الولايات المتحدة يمكن أن تلجأ إلى هذا الاجراء إلا فى حالة وقوع هجوم شيوعى عليها ذاتها أو على حلفائها فى أوروبا.

وكان معنى ذلك أن تفوق الولايات المتحدة الذرى قد تحول من مصدر قوة لفرض الإرادة، إلى مصدر لشل الإرادة، وذلك فى ظل استراتيجيتى «الردع الاستراتيجى» و«الانتقام الشامل».

ففى ظل هاتين الاستراتيجيتين لم تجرؤ الولايات المتحدة على استخدام هذا التفوق فى تغيير الميزان السياسى فى أوروبا، أو منع انتشار النظام الشيوعى فى كل من أوروبا وآسيا، أو تخويف الاتحاد السوفيتى ومنعه من محاولة بسط نفوذه فى إيران، أو السعى لإقامة نظام شيوعى فى اليونان، أو الاستيلاء على الحكم فى تشيكوسلوفاكيا، أو حصار برلين، أو هزيمة الكومنتانج وإقامة حكم شيوعى فى الصين، كما لم يمنع من تدخل الصين الشيوعية فى كوريا، أو مساعداتها للقوات الفيتنامية فى الهند الصينية!

وأكثر من ذلك أن استراتيجية «الانتقام الشامل»، التى صاحب ظهورها وصول «المكارثية» إلى ذروتها، قد دفع أوروبا إلى الخوف من أن تدفع هذه المكارثية، التى كانت تفيض بالكراهية للشيوعية، الولايات المتحدة إلى الحرب مع روسيا، بغرض سحق الشيوعية فى كل مكان على سطح الأرض.

وقد عبر عن هذا الخوف السير أوليفر فرانكس، السفير البريطانى الجديد فى الولايات المتحدة، فذكر فى إذاعة موجهة إلى البريطانيين أن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

«مكارثى» قد جعل الملايين من شعوب أوروبا وآسيا تغير أفكارها عن الولايات المتحدة، وتضعها مع الاتحاد السوفيتى فى مرتبة واحدة! باعتبارهما التهديدين الكبيرين اللذين يقفان حجر عثرة فى سبيل التقدم السلمى للجنس البشرى.

ووصفت جريدة «المانشستر جارديان» الولايات المتحدة فى ظل استراتيجية «الانتقام الشامل» بأنها «بمثابة كابوس فظيع لحلفائها»!

وقد دفعت هذه العوامل صانعى القرار الأمريكى إلى إصدار التصريحات المطمئنة. فعندما تحقق دالاس من أن تهديده «بالانتقام الشامل» قد أفزع أصدقاء الولايات المتحدة أكثر من أعدائها، كتب فى مجلة «الشئون الخارجية» فى ١٧ مارس ١٩٥٤م يقول: «إن هذا التهديد لا يعنى أنه اذا وقع هجوم شيوعى فى مكان ما بآسيا، سوف يكون من الضرورى إسقاط القنابل الذرية أو الهيدروجينية على مراكز الصناعة فى الصين أو فى روسيا».

كما ألقى أيزنهاور خطبة فى ٢٠ أكتوبر ١٩٥٤م قال فيها: «أيها الأصدقاء، لقد وصلنا إلى مرحلة لم تعد تحقق الحرب فيها انتصارا أو هزيمة لهذا الطرف أو ذاك. إن الحرب لن تقدم سوى درجات متفاوتة من التدمير، ولن ينتج عنها أى انتصار حقيقى».

لهذا السبب أخذت تبرز فى الرأى العام الأمريكى وفى الدوائر العسكرية منذ عام ١٩٥٤م نظريتان جديدتان فى وجه «استراتيجية الانتقام الشامل»:

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأولى ، ما أوضحه جورج كينان، فى كتاب له صدر فى ذلك العام، من أن «عهد الحرب الشاملة قد انتهى، وأن العمليات العسكرية المحدودة هى وحدها التى يمكن تصور احتمال الالتجاء إليها لتحقيق أغراض محدودة».

كما نشرت الصحف الأمريكية مقالات مستفيضة نوقشت فيها مدى صحة سياسة «الانتقام الشامل» ومدى إمكان تطبيقها .

أما النظرية الثانية، وهى مرتبطة بالأولى، فهى ضرورة تكوين قوات عسكرية تقليدية، تخوض بها الولايات المتحدة الحروب المحدودة.

وقد اعترفت المناقشات التى دارت فى مجلس الأمن القومى الأمريكى National Security Council فى يناير ١٩٥٥م لأول مرة، بأن الأسلحة الذرية من الممكن أن تصبح عائقا للعدوان ـ سواء بالنسبة للولايات المتحدة أو بالنسبة للاتحاد السوفيتى. ولذلك فمن الأهمية بمكان أن تكون للولايات المتحدة فى هذه الفترة قوات تقليدية مستعدة لمواجهة الحرب المحدودة، وإلا فإنها ستجد نفسها، إذا وقع عدوان فى أية جهة من العالم، مرغمة على أن تختار بين أحد أمرين: إما الإذعان، وإما الالتجاء إلى الأسلحة الذرية التى تدمر بدون تمييز.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(٥) الصراع الدولى
من الحرب الشاملة إلى الحرب المرنة

فى الوقت الذى كانت الولايات المتحدة تتبع فيه سياسة «الانتقام الشامل»، التى تتجاهل الحروب المحدودة، كانت حركة التحرر الوطنى، التى نشأت بعد الحرب العالمية الثانية، تغير خريطة العالم تغييرا خطيرا. فقد أسفر نضال هذه الحركة ضد الإمبريالية البريطانية والفرنسية عن تحرير أكثر من مليار ومائتى مليون نسمة من التبعية الاستعمارية وشبه الاستعمارية - أى قرابة نصف سكان الكرة الأرضية!.

وفى الوقت نفسه، وكما رأينا، كانت الحركة الاشتراكية العالمية تسقط النظام الرأسمالى فى عدد كبير من بلدان أوروبا وآسيا وأفريقيا. ففى شرق أوروبا تدعم النظام الاشتراكى فى بولندا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وشرق ألمانيا وتشيكوسلوفاكيا والمجر ورومانيا وألبانيا ويوغوسلافيا. وفى آسيا، أحرزت الحركة الاشتراكية انتصارها الأكبر بانتقال الصين إلى النظام الاشتراكى. وفى أوروبا الغربية كادت الاشتراكية تكتسح اليونان عام ١٩٤٧م وإيطاليا فى عام ١٩٤٨م، وفرنسا فى عام ١٩٤٩م!

وقد اتحد النضال التحررى الوطنى مع النضال الاشتراكى فى آسيا فى الحرب الكورية عام ١٩٥٠م، وفى الهند الصينية عام ١٩٥٤م، وأسفر - كما رأينا - عن تدعيم استقلال كوريا الشمالية، وقيام دولة فيتنام الشمالية.

وفى منطقة الشرق الأوسط، تمكن عبد الناصر من تحطيم حلف بغداد، وإسقاط هيبة الاستعمار البريطانى والفرنسى فى عدوان عام ١٩٥٦م الفاشل، فى الوقت الذى كانت إندونيسيا بقيادة سوكارنو تحاول تحطيم حلف جنوب شرقى آسيا، وكانت الثورة الجزائرية تهدد المنطقة التى تتاخم حلف الأطلنطى من الجنوب.

وقد كانت كل هذه الانتصارات تعزز وجهة نظر الاستراتيجيين الامريكيين فى وجوب العدول عن استراتيجية الانتقام الشامل، والاعتراف بالحرب المحدودة، بكل ما يمكن أن يترتب على ذلك من تغيير فى تركيب القوات الأمريكية وتسليحها ومهامها. على أن حجة المتمسكين بسياسة الانتقام الشامل من رجال السلاح الجوى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأمريكى ووزارة الخارجية الأمريكية، كانت أقوى، اذ كانت تتمثل فى الخطر الناجم عن امتلاك الاتحاد السوفيتى السلاح الذرى.

وكانت الولايات المتحدة قد علمت بالتفجير النووى السوفيتى فى عام ١٩٤٩م، ولكنها - كما يقول الجنرال مكسويل تايلور Max-well Taylor - لم تنظر إلى هذا الأمر نظرة جدية، على أساس أنه لا يعدو أن يكون مجرد تجربة، وليس اختبارا لسلاح ذرى سوف يستخدم فى العمليات الحربية. ولكن تبين فيما بعد أن الاتحاد السوفيتى يتقدم تقدما كبيرا فى هذا المجال. وفى عام ١٩٥٣م أخذت الأنباء تتواتر بعزمه على تفجير قنبلة هيدروجينية، وهو ما حدث فى أغسطس من ذلك العام. وعندئذ بدأ الحديث فى الدوائر السياسية والعسكرية عن فقدان الولايات المتحدة احتكارها الذرى.

ومع أن امتلاك الاتحاد السوفيتى للقوة الذرية قد دفع بعض المفكرين الاستراتيجيين الأمريكيين، مثل جورج كينان، إلى إعلان انتهاء عصر الحروب الشاملة، ودفع آخرين إلى إعادة النظر فى استراتيجية «الانتقام الشامل»، على أساس أن استخدام الولايات المتحدة لهذا السلاح فى أى حرب شاملة يدفع الاتحاد السوفيتى إلى استخدامه - إلا أن التقدم الذى حققه الاتحاد السوفيتى فى مجال صناعة هذا السلاح، كان من شأنه أن يدفع الولايات المتحدة إلى الدخول فى سباق معه، حتى لا تفقد هامش التفوق الذى يتيح لها ممارسة التأثير فى المجال الدولى. وهكذا بدأ الدخول فى عصر السباق النووى.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهذا هو السبب فى أن رأى الذين كانوا ينددون باستراتيجية «الانتقام الشامل» ويرون الاعتراف بالحرب المحدودة، كان يلقى الإعراض حتى أواخر الخمسينيات، رغم وجاهة الحجج التى كانوا يتقدمون بها.

وعندما أطلق الاتحاد السوفيتى فى أكتوبر ١٩٥٧م القمر الصناعى «سبوتنيك» Sputnik، الذى كان برهانا على تقدم السوفيت فى مجال صناعة الصواريخ النووية - تعززت وجهة نظر انصار استراتيجية «الانتقام الشامل»، حتى لقد اعتبر قادة السلاح الجوى الأمريكى وجهة نظر قادة الجيش والبحرية فى فلسفة الحرب المحدودة من قبيل الخيانة الوطنية، لأنها تغفل ازدياد قوة السوفيت فى مجال التسليح الذرى، وتثير شكوك حلفاء الولايات المتحدة فيما يتعلق بعزمها على استخدام الأسلحة الذرية.

وقد كان هذا ما دعا بعض الاستراتيجيين إلى التفكير فى استراتيجية وسطى بين استراتيجية الانتقام الشامل واستراتيجية الحرب المحدودة، ومنهم روبرت أوسجود وهنرى كيسنجر Kissinger. وقد تمثلت هذه الاستراتيجية الوسطى فى فكرة الحرب الذرية المحدودة - أى الحرب المحدودة التى تستخدم فيها أسلحة ذرية تكتيكية محدودة التدمير.

على أن هذه الفكرة لقيت أيضا اعتراض سلاح الجو الأمريكى، الذى رأى أن استخدام الأسلحة الذرية المحدودة التدمير من جانب الجيش الأمريكى، لن يجعله فى مأمن من استخدام الطرف الآخر

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

للأسلحة النووية الاستراتيجية الواسعة التدمير! وأنه - بالتالى - لا يمكن حصر الحرب النووية فى نطاق محدود. وكان مما قاله الأدميرال براون Brown أن استخدام أى نوع من أنواع الأسلحة الذرية يحتوى فى حد ذاته على احتمال حرب ذرية شاملة. وهكذا أكدت هذه المناقشات فساد نظرية الحرب الذرية المحدودة، حتى تخلى عنها من نادوا بها، ومنهم هنرى كيسنجر.

ولقد كان معنى ذلك أن السياسة الأمريكية، فى الوقت الذى كانت تدرك عدم صلاحية استراتيجية «الانتقام الشامل»، التى تقوم على الحرب الشاملة، وتدرك الهزائم المتوالية التى لحقتها فى ظل هذه الاستراتيجية، والانتصارات المتوالية لحركة التحرر الوطنى والحركة الاشتراكية طوال الاربعينيات والخمسينيات - الا أنها لم تستطع أن تتوصل إلى استراتيجية بديلة تجنبها هذه الهزائم وتوقف المد الثورى التحررى والاشتراكى.

فى ذلك الحين كانت «استراتيجية الانتقام الشامل» قد تركت أثرها الحتمى فى نظام التسليح، ليس فقط فى الولايات المتحدة، بل وايضا فى الاتحاد السوفيتى - وهو الطرف الآخر المعرض للتأثير المباشر لاستراتيجية الانتقام الشامل.

فلقد كان من الطبيعى بالنسبة لاستراتيجية الانتقام الشامل، التى تقوم على استخدام الأسلحة الذرية الهجومية، أن تعتمد على انتاج قاذفات القنابل الاستراتيجية التى يقودها طيارون، والتى تستطيع حمل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القنابل الذرية إلى أماكن بعيدة والقاءها عند الضرورة. فى حين اعتمد الاتحاد السوفيتى على إنتاج الصواريخ المضادة للطائرات والعابرة للقارات بالدرجة الأولى.

وفى أواخر الخمسينيات، كان الاتحاد السوفيتى قد تفوق فى إنتاج الصواريخ، إلى حد أن أصبح هناك بينه وبين الولايات المتحدة ما أطلق عليه الجنرال ماكسويل تايلور اسم «هوة الصواريخ»!.

فقد تفوق فى انتاج الصواريخ المضادة للطائرات (أرض - جو) لتحييد تفوق الولايات المتحدة فى إنتاج قاذفات القنابل الاستراتيجية. كما تفوق فى صناعة الصواريخ عابرة القارات والمتوسطة المدى، لكى يحرم الولايات المتحدة من ميزة حزام المحالفات العسكرية الذى طوقته به، ولكى يصل بالدمار إلى شواطئها البعيدة عند اللزوم.

وقد كان هذا التفوق فى صناعة الصواريخ ، بتلك الدرجة الساحقة، ما جثم على صدر الولايات المتحدة، وسبب لها الكثير من الانزعاج.

فلم تكن تملك قذائف فعالة لصد الصواريخ السوفيتية، ولم تكن أجهزة الإنذار فيها تستطيع كشف هذه الصواريخ المهاجمة إلا قبل وصولها بدقائق قليلة، الأمر الذى كان يعنى أن مطارات قاذفات القنابل الاستراتيجية سوف تتعرض بصورة مؤكدة للدمار.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولهذا السبب حين ألح الجيش الأمريكى فى إنتاج صواريخ «نايك – زيوس) Nike - Zeus المضادة للصواريخ، لحماية الولايات المتحدة من أى هجوم ذرى، لم يلق هذا الإلحاح حماسا من وزارة الدفاع الأمريكية وفروع الأسلحة الأخرى، بسبب الشك فى فعالية مثل هذه الصواريخ، فضلا عن النفقات الباهظة اللازمة لإنتاجها.

ولقد كان معنى ذلك أنه فى أواخر الخمسينيات، كانت الولايات المتحدة عاجزة تحت ظل استراتيجية الانتقام الشامل، عن مواجهة الاستراتيجية السوفيتية فى الحرب المحدودة، التى كانت تتمثل فى الحرب الشعبية وحروب التحرر الوطنى – فى الوقت الذى كان على الولايات المتحدة أن تواجه هذه الحروب المحدودة الصغيرة، التى أشعلتها الثورات المعادية للاستعمار فى جميع أنحاء العالم، وتواجه التحدى من المعسكر الاشتراكى.

على أنه كان فى تلك الظروف أن قدم الجنرال ماكسويل تايلور Maxwell Taylor نظريته الجديدة فى الاستجابة المرنة Flexible Response التى أنقذت الولايات المتحدة من مأزق الأربعينيات والخمسينيات، ونقلتها من وضع الدفاع إلى وضع الهجوم.

وتكمن أهمية استراتيجية الحرب المرنة فى أنها تعد بمثابة مرحلة تأليفية تجمع بين مزايا استراتيجية الانتقام الشامل فى الحرب الذرية الشاملة، ومميزات استراتيجية الحرب الذرية المحدودة، وتتخلص من مساوئهما. وقد بناها صاحبها الجنرال ماكسويل تيلور على هدم افتراض، وبناء افتراض!

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أما الافتراض الذى أراد هدمه، فهو افتراض أن الحرب فى المستقبل ستكون حربا شاملة. فقد ذكر أن ثمة أسبابا وجيهة تشير إلى أن كلا من المعسكرين المتصارعين لن يجرؤ على شن حرب ذرية متعمدة ضد الآخر، لما سوف تجره عليه من دمار محقق لن يستطيع تجنبه، وأن الأسلحة الذرية - على هذا النحو - تكون قد أبعدت خطر الحرب الشاملة وجعلتها امرا غير وارد!

أما الافتراض الذى أراد بناءه، فهو أن كل طرف فى الكتلتين سوف يتقبل إلى حد كبير استفزازات الطرف الآخر، قبل أن يقرر شن حرب ذرية شاملة. ومن ثم فان كل ما يمكن أن يترتب على مثل هذه الاستفزازات، لن يتعدى وقوع اشتباكات عسكرية كبيرة أو صغيرة، دون أن يترتب على هذه الاشتباكات وقوع حرب ذرية شاملة، لأن كلا من الطرفين سوف يحرص على حصر القتال فى أضيق نطاق ممكن.

وقد أقام الجنرال ماكسويل تيلور على هذين الافتراضين استراتيجيته الجديدة، التى قدمها فى شكل برنامج عسكرى وطنى جديد للحرب المرنة، تناول فيه مسألتين:

الأولى، مسألة الدفاع عن أمن الولايات المتحدة وحلفائها.

والثانية، مواجهة الحركات الثورية الوطنية والاشتراكية فى جميع أنحاء العالم.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبالنسبة للمسألة الأولى، فقد أعلن تيلور بصراحة تامة أنه سيكون من المستحيل على قاذفات القنابل الاستراتيجية والصواريخ الأمريكية القضاء على خطر الصواريخ السوفيتية، حتى لو جازفت الولايات المتحدة بشن هجوم عليها. وبالتالى، فإن سلامة الولايات المتحدة ضد خطر الحرب الذرية الشاملة إنما تكمن فى قدرتها على منع العدو من التفكير فى شن هجوم عليها وليس على أى شئ آخر.

لهذا السبب طالب الجنرال ماكسويل تيلور بزيادة الاهتمام بالقوات الذرية، وتطوير الأسلحة النووية الهجومية والدفاعية وحمايتها، بحيث تتكون قوة ضاربة قوية تستطيع الصمود للضربة الأولى التى يشنها العدو، ثم توجه إليه ضربة مضادة تنزل به أفدح الخسائر.

كذلك طالب الجنرال تيلور بتطوير الصواريخ البعيدة المدى، وصنع صواريخ «نايك - زيوس» المضادة للصواريخ، والاهتمام بالصواريخ المضادة للطائرات من طراز «هوك» و «نايك - هرقل».

وقد حدد الجنرال ماكسويل تيلور ثلاث حالات لاستخدام الأسلحة الذرية، وهى:

١ ـ عند وقوع هجوم ذرى على الولايات المتحدة .

٢ ـ وعند التحقق - بصورة لا تقبل الشك - من نية العدو على شن مثل هذا الهجوم.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٣ ـ وعند وقوع عدوان واسع النطاق على القارة الأوروبية.

أما بالنسبة للمسألة الثانية، وهى مواجهة الحروب المحدودة التى تشعلها الحركات الوطنية والاشتراكية فى شتى أنحاء العالم، فقد طالب الجنرال ماكسويل تيلور بتنظيم قوات تقليدية ترابط فى الولايات المتحدة، وتتكون من وحدات الجيش والبحرية ومشاة البحرية وسلاح الطيران، وتكون تحت قيادة موحدة تشرف على تدريبها وتنسيق عملياتها وسرعة نقلها، مع تخصيص وحدات خاصة من طائرات النقل لحملها عند اللزوم إلى أى مكان فى العالم.

وقد رأى أن تعتمد هذه القوات على الأسلحة التقليدية، مع تزويدها بأسلحة ذرية صغيرة جدا لاستخدامها عند اللزوم، على أن تكون مهمة هذه القوات هى مواجهة الحروب المحدودة التى تثيرها حركات التحرر الوطنى والحركات الاشتراكية، والقضاء عليها، بما فى ذلك أية أعمال قد يقوم بها الشيوعيون فى منطقة حلف الأطلنطى بالأسلحة التقليدية.

كذلك طالب الجنرال ماكسويل تيلور بإعداد قوات أمريكية فيما وراء البحار، لإرسالها إلى مناطق الأطلنطى القريبة منها - على نحو ما فعلت القوات الأمريكية التى ترابط فى أوروبا، عندما بعثت بوحدات عسكرية اشتركت فى النزول على ساحل لبنان فى عام ١٩٥٦م.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وما لبث أن أفصح عن هدفه بصراحة تامة فقال: «وإذا نحن قمنا بمظاهرات دورية على هذا النمط من حين لآخر، نستعرض فيها عضلاتنا فى مختلف أنحاء العالم، فسوف يكون لذلك تأثير سياسى هائل، لأنه سوف يثبت لأصدقائنا أننا نستطيع الرد فورا على أى تحرش أو استفزاز، كما أنه سوف يبرهن لأعدائنا على أننا قادرون على مقاومة ومواجهة أعمالهم بسرعة وبشكل فعال».

وقد كانت هذه الاستراتيجية هى التى وجدت فيها حكومة جون كندى طوق النجاة حين تسلمت الحكم فى يناير ١٩٦١م.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(٦) استراتيجية الحرب المرنة والانقضاض على حركات التحرر الوطنى

رأينا كيف قدم الجنرال ماكسويل تايلور نظريته الجديدة عن الحرب المرنة – أو الاستجابة المرنة – التى قصد بها تخليص الولايات المتحدة من سلبيات استراتيجية الانتقام الشامل، التى تقوم على فكرة الحرب الشاملة، وإتاحة الفرصة لها لمواجهة الحروب المحدودة التى تثيرها حركات التحرر الوطنى والحركات الاشتراكية فى العالم الثالث. وقد قدر لهذه الاستراتيجية أن تكون نقطة تحول فى تاريخ حركات التحرر الوطنى.

ففى شهر يناير ١٩٦١م جاء جون كندى إلى الحكم، واختار الجنرال ماكسويل تيلور رئيسا لهيئة أركان حرب القوات المسلحة للمرة الثانية، لتنفيذ سياسته كما شرحها فى كتابة «النفير الحائر» The Uncertain Trum-pet وكان وزير الدفاع هو روبرت ماكنمارا Robert Mc Namara.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبعد بضعة أشهر وجه كندى رسالتين إلى الكونجرس بخصوص ميزانية الدفاع: الأولى يوم ٢٨ مارس ١٩٦١م، والثانية يوم ٢٥ مايو ١٩٦١م، وفيهما شرح الاستراتيجية الجديدة فى الحرب المرنة على النحو الآتى بإيجاز:

أولا : لن تستخدم الولايات المتحدة الأسلحة الذرية فى توجيه الضربة الأولى، وإنما ستزيد قدراتها بحيث تتحمل الضربة الأولى، ثم ترد عليها بقوة مدمرة.

ثانياً : سوف توجه الولايات المتحدة قواتها فيما وراء البحار لإخماد الحروب المحدودة التى ما فتئت تنشب منذ عام ١٩٤٥م، وستكون على استعداد لتوجيه قوات معززة وسريعة التحرك ومدربة على هذه الأنواع من الحروب لقمعها.

ثالثاً : سيكون العبء الرئيسى فى التصدى لهذه الأعمال وألوان التمرد، على القوات المحلية فى الدول، إلا إذا عجزت عن القيام بواجبها، أو أرادت مساعدة الولايات المتحدة.

رابعاً : عهدت الولايات المتحدة إلى وزير الدفاع باعادة تنظيم فرق الجيش، بحيث تزيد قوة النار فى وحداته غير الذرية، وبحيث تتحسن سرعة حركته التكتيكية، وتأمين مرونته لمواجهة أى تهديد مباشر أو غير مباشر، وإعداد أكبر عدد من القوات الميكانيكية فى أوروبا، وفرق جديدة فى كل من المحيط الهادى وأوروبا.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

خامساً : تعزيز قوة سلاح البحرية لمواجهة الحرب المحدودة، وزيادة قوته إلى ١٩٠ ألف جندى، وزيادة عدد الجيش من ٨٧٥ ألف إلى مليون، وزيادة ٦٣ ألف جندى إلى سلاح الطيران.

سادساً : إعادة النظر فى جهاز المخابرات

على هذا النحو تهيأت الولايات المتحدة - فى ظل استراتيجية الحرب Flexible Response المرنة - للتدخل المباشر وغير المباشر بالقوة المسلحة، لإخماد الحروب الصغيرة التى تثيرها حركات التحرر الوطنى أو الحركات الاشتراكية.

وما لبث العالم أن شهد انقضاضها على هذه الحركات على طوال الستينيات، بالانقلابات العسكرية الداخلية، وبالغزو الخارجى عند اللزوم، مما ترك آثاره الفادحة على العالم الثالث على النحو الآتى:

أولاً : التدخل فى أمريكا اللاتينية :

استهلت الولايات المتحدة هجومها على الأنظمة المعادية لها - تطبيقا لسياستها الجديدة - بمحاولة إسقاط نظام «كاسترو» Fidel Castro الشيوعى فى كوبا، الذى ظهر إلى الوجود فى يناير ١٩٥٩م.

ولما لم تكن هناك أزمة تبرر التدخل العسكرى المباشر بقوات الحرب المحدودة، فقد نظمت المخابرات المركزية CIA غزوا قام به

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الكوبيون المنفيون لكوبا، وهو الغزو الذى دخل التاريخ باسم «عملية خليج الخنازير» "Bay of Pigs invasion"، يوم ١٥ أبريل ١٩٦١م.

وقد وافق على هذا الهجوم جون كندى ومستشاروه، وقامت به تسع طائرات من قاذفات القنابل الأمريكية الضخمة، التى تنكرت فى شكل سلاح الجو الكوبى، وست سفن تحمل القوات الضاربة، فى حراسة السفن الحربية الأمريكية. ولكن هذا الهجوم لقى فشلا ذريعاً.

ولم يمض عام واحد حتى كانت تثور أزمة الصواريخ الكوبية فى البحر الكاريبى. ذلك أن الغزو الفاشل فى أبريل ١٩٦١م، كان قد دفع كاسترو إلى التعاون مع السوفييت على حماية بلده من أى غزو آخر. وفى يوليو ١٩٦٢م أخذ السوفييت فى تركيب صواريخ عابرة للقارات فى أرض كوبا. ولكن أمر هذه القواعد كشف.

وكان أمام كندى أحد أمرين: إما توجيه ضربة جوية لتدمير هذه الصواريخ، أو فرض حصار على كوبا. وقد اختار الحل الأخير، على أساس أنه وسيلة مرنة للضغط، يمكن التحكم فيها بالتصعيد أو التخفيف. ووجه إنذارا إلى خروشتشيف Khrushchev[1]، طالب فيه بإزالة هذه القواعد السوفيتية، وسحب الصواريخ، مقابل رفع الحصار الأمريكى، والتعهد بعدم التدخل أو غزو كوبا، أو تقع حرب بين البلدين تهدد البشرية.

---

(١) ويعرب هذا الاسم إلى «خروشوف».

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد وافق خروشتشيف على سحب الصواريخ السوفيتية، الأمر الذى عرضه لنقد مرير من الصين الشيوعية التى وصفت تراجعه بالجبن، لأن الولايات المتحدة ما هى إلا «نمر من ورق» a paper tiger ! ولكن الأزمة انتهت بعد أن أثبتت صحة افتراض الجنرال مكسويل تيلور بأن أى معسكر سوف يقبل استفزازات الطرف الآخر إلى أقصى حد دون أن يجازف بحرب ذرية!

ولم تلبث الولايات المتحدة أن تدخلت تدخلا مباشراً بقواتها المسلحة فى الدومينيكان Dominican فى العام التالى. ففى ذلك الحين كان الرئيس «جوان بوش» Juan Bosch، زعيم «حزب الدومينيكان الثورى، والذى جاء إلى الحكم فى ديسمبر ١٩٦٢م عن طريق أول انتخابات حرة فى البلاد - يمارس سياسة استقلالية ضد المصالح الأجنبية. ولم تعجب هذه السياسة الولايات المتحدة، فدبرت ضده انقلابا فى سبتمبر ١٩٦٣م، تحت حجة الاتهام بالشيوعية. ولكن البلاد ثارت يوم ٢٤ أبريل ١٩٦٥م مطالبة بعودة الحياة الدستورية. وهنا سارعت الولايات المتحدة بإرسال ١٩ ألف جندى مسلح إلى «سانتو دومنجو» Santo Domingo فى ٢٨ أبريل ١٩٦٥م، بحجة سقوط الثورة فى أيدى الشيوعيين!

وفى سبتمبر ١٩٦٥م أصدر الكونجرس الأمريكى قرارا يخول لحكومة الولايات المتحدة التدخل بأية وسيلة تراها مناسبة لدفع الخطر الشيوعى عن دول أمريكا اللاتينية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثانياً : التدخل فى أفريقيا :

أما فى افريقيا، التى شهدت، منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية، مدا قوميا عاليا تمثل فى تحرير ٣٧ دولة حتى عام ١٩٦٥م فقط، ودفع بمعظم نظم الحكم فيها إلى تحرير اقتصادها من يد السيطرة الأجنبية - فقد انقضت الولايات المتحدة عليها بسلسلة من الانقلابات، بلغت فى عام ١٩٦٥م وحده سبعة انقلابات!

وقد بدأت الولايات المتحدة خوض الصراع ضد الحركات القومية فى أفريقيا فى عام ١٩٦٠م عندما حصلت الكونغو البلچيكية على استقلالها من بلجيكا فى ٣٠ يونيو ١٩٦٠م، وتولى كازاڤوبو Kasavubu رئاسة الجمهورية، وباترس لومومبا Patrice Lumumba رئاسة الوزارة، وأخذ يقود سياسة استقلالية. فلم تمض أيام، حتى أعلن «تشومبى» Moise Tshombe، حاكم إقليم كاتانجا Katanga الغنى بالنحاس والكوبالت، انفصال هذا «الإقليم عن الكونغو. وأرسلت بلجيكا قوات مظلاتها إلى الكونغو لحماية مصالحها.

وهنا طلب «لومومبا» من الأمم المتحدة مساعدته، لكن قوات الأمم المتحدة وقفت موقفا مواليا للولايات المتحدة، مما دعا لومومبا إلى طلب مساعدة الاتحاد السوفيتى.

وعند ذلك تقرر طرده من الحكم، فأعلن «كالونجى» حاكم إقليم جنوبى كاساى انفصال الإقليم عن الكونغو، ودبر الجنرال موبوتو Mobutu ضده انقلابا بتأييد الولايات المتحدة، وقتل لومومبا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى فبراير ١٩٦١م، وأعلنت الولايات المتحدة رفضها لأى تدخل من جانب روسيا. ومع أنها اضطرت إلى التخلى عن موبوتو مؤقتا، إلا أنه قام فى ١٥ سبتمبر ١٩٦٥م بانقلاب آخر لحسابها، بعد التفاهم مع بلجيكا.

وفى يناير ١٩٦٤م، وقعت أربعة انقلابات فى زنزبار وتنجانيقا وأوغندا وكينيا. وفى ١٩ أكتوبر ١٩٦٥م وقع انقلاب فى بوروندى صفيت فيه الحركة الثورية.

وفى الأشهر الثلاثة التالية وقعت خمسة انقلابات عسكرية: الأول : فى داهومى على يد الجنرال «كريستوف سوجولو»، وقد وقع فى ٢٣دسمبر ١٩٦٥م. والثانى: فى جمهوري أفريقيا الوسطى على يد الكولونيل بوكاسا، وقد وقع فى أول يناير ١٩٦٦م. والثالث، فى جمهورية فولتا العليا على يد اللفتنانت «سانجولى لاميزانار»، وذلك يوم ٣ يناير ١٩٦٦م. والرابع، فى نيجيريا فى ١٦ يناير ١٩٦٦م، وقد أطاح بالرئيس أحمدو بللو. والخامس، فى غانا فى ٢٤ فبراير ١٩٦٦م، وقد أطاح بالرئيس نكروما Nkrumah .

وفى مايو ١٩٦٧م أتاحت القيادة العسكرية لنظام عبدالناصر الثورى الفرصة للولايات المتحدة لتحقيق أعظم انتصاراتها قاطبة، عندما أنزلت حليفتها إسرائيل بالجيش المصرى هزيمة ثقيلة فى يونيو ١٩٦٧م، فكانت هزيمة الجمهورية العربية المتحدة فى هذا العدوان من أكبر ما أصاب المد الثورى وحركة التحرر الوطنى فى العالم من نكسات، نظراً لما كانت تسديه من مساعدات لهذه الحركات.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثالثاً : التدخل في آسيا :

كانت حرب الهند الصينية قد انتهت، بعد سقوط قلعة ديان بيان فو، بتسوية جنيف أبريل ـ يوليو ١٩٥٤م، التى قضت بتقسيم فيتنام إلى دولتين، وبحيث يتم توحيد البلدين بعد إجراء انتخابات عامة فى يوليو ١٩٥٦م، وتحييد لاوس وكامبوديا.

وكان معنى ذلك ـ بالنسبة للولايات المتحدة ـ امتداد النفوذ الشيوعى فى شمال فيتنام، وإتاحة الفرصة لهذا النفوذ ليمتد فى الجزء الجنوبى بعد الوحدة، بل امتداده إلى لاوس وكمبوديا وماليزيا على وجه الخصوص

وللتصدى لهذا الخطر الشيوعى، أنشأت الولايات المتحدة حلف جنوب شرقى آسيا Southeast Asia Treaty Organization (SEA-TO)، الذى كانت مهمته وضع دول الهند الصينية تحت حمايته، وإن لم تكن أعضاء فيه، وتحويل فيتنام الجنوبية إلى قاعدة صلبة مناهضة للشيوعية.

وبذا حلت الولايات المتحدة محل فرنسا فى السيطرة على حكومة سايجون، وأوعزت لها بإرجاء انتخابات الوحدة إلى أجل غير مسمى. ثم خالفت اتفاق جنيف عن طريق تسليح فيتنام الجنوبية، وإقامة قواعد عسكرية ونقط ارتكاز فيها للأسطول وسلاح الجو الأمريكى.

على أن رفض حكومة سايجون إجراء انتخابات لتوحيد شطرى فيتنام أدى إلى نتيجته الطبيعية، وهى قيام حركة ثورية شيوعية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أطلق عليها اسم الـ « ڤيت كونج» Vietcong وهي اختصار (The Viet Nam Cong San) أى الشيوعيين الفيتناميين. وفى عام ١٩٦٠م أعلنت الڤيت كونج تأليف جبهة التحرير الوطنية The National Liberation Front.

وبذلك اتخذت الحركة شكل ثورة شعبية عامة، وأقامت علاقة قوية مع حكومة هانوى، واستطاعت السيطرة على معظم قرى فيتنام الجنوبية. وهكذا تهيأت الظروف للصدام مع الولايات المتحدة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(٧) مصيدة «الحرب المرنة» فى فيتنام!

فى تلك الأثناء جاءت حكومة جون كندى إلى الحكم مع استراتيجية. «الرد المرن»، أو «الحرب المرنة»، ولكنها فطنت إلى أن الحرب ضد «الڤيت كونج» سيكون مصيرها الفشل، نظرا لفساد حكومة انجو دين ديم Ngo Dinh Diem فى فيتنام الجنوبية، فقامت بتشجيع العسكريين المعارضين للنظام على قلب الحكم، وهو ما تم فى أول نوفمبر ١٩٦٣م.

ولكن الميول التى أبدتها حكومة الانقلاب للتعايش مع فيتنام الشمالية، دفع الحكومة الأمريكية إلى تدبير انقلاب ثان فى ٣٠ يناير ١٩٦٤م، أتى بعميلها الجنرال خان إلى الحكم. ولكن الثورة قامت ضد هذا الانقلاب وأجبرت الجنرال خان على التنازل عن سلطاته فى ٢٥ أغسطس ١٩٦٤م.

وهنا دبرت الولايات المتحدة انقلابا ثالثا فى ١٣ سبتمبر ١٩٦٤م، أعاد الجنرال خان إلى الحكم مرة أخرى. ولكن الثورة عادت فأجبرته على تسليم الحكم لحكومة مؤقتة فى ٢٦ سبتمبر ١٩٦٤م.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولم تتردد الولايات المتحدة، فدبرت انقلابا رابعا فى ٢٠ ديسمبر ١٩٦٤م، ثم خامسا فى ٢٨ يناير ١٩٦٥م.

وقد قام بكل هذه الانقلابات سلاح الطيران الفيتنامى الجنوبى، الذى كان يعتمد على سلاح الطيران الأمريكى.

ومع ذلك ففى فبراير ١٩٦٥م وجدت الولايات المتحدة فى الجنرال «نجوين كاوكى» - وهو أحد المتحمسين لمد الحرب إلى فيتنام الشمالية - بديلا أفضل للجنرال خان، فأقصت الأخير بانقلاب سادس عن الحكم فى فبراير ١٩٦٥م. وفى عام ١٩٦٧م أصبح نجووين فان ثيو Nguyen Van Thieu رئيسا لفيتنام الجنوبية.

نظريتا «الدومينو» Domino و «التصعيد» Escalation :

كانت السياسة الأمريكية فى ذلك الحين قد طورت استراتيجية الحرب المرنة فى الهند الصينية بنظريتين:

الأولى : نظرية الدومينو Domino Theory، وتقوم على أن سقوط فيتنام الجنوبية سيؤدى فى النهاية إلى سقوط الدول المجاورة، مثل تايلاند، وكمبوديا، ولاوس، والفلبين، وإندونيسيا - وغيرها تحت السيطرة الشيوعية.

أما النظرية الثانية، فهى نظرية التصعيد Escalation، وصاحبها الجنرال مكسويل تيلور نفسه، صاحب استراتيجية الحرب المرنة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتقوم على التدرج فى التدخل فى الحروب المحلية، إلى أن تتحقق الأهداف الاستراتيجية. وقد وافقت وزارة الدفاع الأمريكية، وعلى رأسها مكنمارا، على هذه النظرية، وأخذت فى تطبيقها منذ أغسطس ١٩٦٤م.

وعلى ذلك ففى يوم ٧ فبراير ١٩٦٥م، وعلى أثر هجوم عنيف شنته قوات «ڤيت كونج» على قاعدة أمريكية فى فيتنام الجنوبية، بدأ القصف الجوى لفيتنام الشمالية، وإشراك قوات أمريكية محاربة. وقد بدأ ذلك بشكل محدود جداً، ثم بدأ يتصاعد تدريجيا.

وقد انبنى قرار التصعيد على نفس الأسس التى قامت عليها استراتيجية الحرب المرنة - وهى افتراض تقبل الطرف الآخر للاستفزازات دون أن يحولها إلى حرب ذرية.

فقد استبعدت الولايات المتحدة تكتل الاتحاد السوفيتى والصين ضدها، إذا هى أكدت لهما أنها لا تنوى تهديد النظام الشيوعى فى فيتنام الشمالية أو الصين، وأن هدفها من الحرب يقتصر على حماية فيتنام الجنوبية من التدخل والغزو الخارجى.

وعلى ذلك أخذت الغارات تتوالى على فيتنام الشمالية بشكل تصاعدى. فلم تعد قاصرة على الأهداف العسكرية البحتة، ولكنها أصبحت موجهة إلى المنشآت الصناعية، بل وضد المناطق السكنية فى ضواحى هانوى Hanoi. وبعد أن كانت متقطعة ومحدودة الأهداف، كما حدث فى فبراير ١٩٦٥م، أصبحت مستمرة دون انقطاع، مع اتساع أهدافها تدريجيا.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهناك بعض التواريخ المهمة على طريق التصعيد: فبراير ١٩٦٥م، ديسمبر ١٩٦٥م، يونيو ١٩٦٦م، ديسمبر ١٩٦٦م، ومارس ١٩٦٧م.. إلخ.

كما تعدى التصاعد فيتنام إلى لاوس وكمبوديا، فأخذت القوات الجوية الأمريكية فى قصف مناطق الشيوعيين فى «لاوس» فى «سهل القوارير» فى مايو ١٩٦٤م. وعندما عادت قوات «الباثت لاو» Pathet Lao إلى مهاجمة «سهل القوارير» مرة أخرى فى بداية عام ١٩٧٠م، شرعت القوات الجوية الأمريكية فى قصفها من جديد.

كذلك أطاحت الولايات المتحدة فى كمبوديا بالأمير سيهانوك Norodom Sihanouk، عن طريق انقلاب فى ١٨ مارس ١٩٦٠م، وبدأت تقوم بعمليات حربية ضد قوات الثوار فى أراضى كمبوديا. وذلك لقمع القوات الثورية تماما فى الهند الصينية.

على أن الايام لم تلبث أن أثبتت للولايات المتحدة أن حرب فيتنام كانت مصيدة لاستراتيجية الحرب المرنة، فقد عجزت تماما عن تحقيق انتصار حاسم، رغم ارتفاع عدد قواتها إلى مايقرب من نصف مليون جندى! فى الوقت الذى كان الزمن يعمل لصالح الثوار. فكان فى ذلك نهاية لاستراتيجية الرد المرن، وبداية لعصر الوفاق.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(٨) الوفاق الدولى (Détente)

أثبتت استراتيجية الحرب المرنة، على طول الستينيات، صحة الافتراض الذى قامت عليه، وهو تحمل كل طرف فى القوتين النوويتين لأية استفزازات يقوم بها الطرف الآخر.

وقد تمثل هذا - بصفة خاصة - فى الاتحاد السوفيتى، الذى تحمل كل الاستفزازات الأمريكية فى مطاردة الحركات القومية والوطنية والاشتراكية فى أفريقيا والشرق الأوسط والشرق الأقصى وأمريكا اللاتينية. ثم الاستفزاز الأمريكى المباشر له وإجباره على التراجع فى أزمة الصواريخ الكوبية السوفيتية فى كوريا Soviet Missiles in Cuba فى البحر الكاريبى the Caribbian.

على أنه فى نفس الوقت الذى كانت تحدث فيه هذه الاستفزازات، كانت هناك متغيرات أخرى قد أخذت تظهر فى الساحة الدولية، وتلعب دورها فى إنهاء الحرب الباردة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

واستراتيجية الحرب المرنة، وتمهيد الطريق لما عرف باسم سياسة «الوفاق الدولى» Détente. وتتمثل هذه المتغيرات فى الآتى:

(أ) نتائج سباق التسلح النووى :

ربما كان أهم المتغيرات الدولية فى تلك الفترة، ما طرأ على سباق التسلح الاستراتيجى بين العملاقين الكبيرين من نتائج.، وقد سبق أن أشرنا إلى تفوق الاتحاد السوفيتى على الولايات المتحدة فى مجال الصواريخ العابرة للقارات والمتوسطة المدى. وكان أول صاروخ عابر للقارات أطلقه الاتحاد السوفيتى فى أكتوبر ١٩٥٧م.

ومع ذلك ففى أزمة الصواريخ الكوبية سنة ١٩٦٢م كانت الولايات المتحدة تتفوق على السوفيت استراتيجيا بنسبة ١٥ : ١! وكان هذا من الأسباب التى دفعت الاتحاد السوفيتى إلى الانطلاق دون حدود فى بناء قوته النووية واللحاق بالولايات المتحدة.

فى ذلك الحين ـ أى فى بداية الستينيات ـ كان الاتجاه الاستراتيجى فى إنتاج الأسلحة الاستراتيجية فى الولايات المتحدة، يقوم على توفير قوة ردع كافية تمنع العدو من توجيه ضربته الأولى. أى بناء قوة ذرية ضخمة تمكن الولايات المتحدة من تلقى الضربة الأولى، وتوجيه ضربة مضادة تكفى لتدمير كل الإمكانات والقدرات العسكرية والهياكل الاجتماعية والمدنية لكل من الاتحاد السوفيتى والصين.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد عرفت هذه الاستراتيجية باسم، استراتيجية التدمير المؤكد Strategy of Assured. Destruction . وكـــان الهـــدف من هذه الاستـراتيـجيـة أن تشكل رادعـا حـاسـمـا لأى هـجـوم يقـع على الولايات المتحدة أو حلفائها.

ولذلك توســعت حكومــة جـون كندى John Kennedy فى برنامج الغواصـات النووية التى تحمل صـواريخ بولاريس Polaris المتوسطة المدى، والمزودة بقذائف نووية يمكن إطلاقها من مكان قريب لشاطئ العدو.

ثم أخـذت فى بناء صـواريخ عـابرة للقـارات intercontinental ذات رءوس نووية متعددة يمكن توجيهها إلى أهداف مختلفة من صاروخ واحد.

على أنه فى نفس الوقت كـانت عـوامل الأمن القـومى تدفع الولايات المتحدة إلى الانتقال من استـراتيـجية التدمـير المؤكد إلى استراتيـجية الحد من الدمار Strategy of Damage Limitation . والفرق بين الاستـراتيجيتين هو أن الاستـراتيـجية الأولى تهدف – كما هو واضح – إلى توسـيع نطاق التـدمـير فى أرض العـدو، فى حين أن الاستـراتيـجية الثانية تهدف إلى تضـييق نطاق الدمار الذى يلحقه العدو بالولايات المتحدة أو حلفائها عند البدء بالهجوم.

وكـان التـقـدم فى صناعـة الصـواريخ قـد جـعل فى الإمكان التوصل إلى صنع «صـواريخ دفاعيـة» لتدمـير الصـواريخ العابرة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

للقارات على ارتفاعات شاهقة، وقد أعلنت الولايات المتحدة فى يوليو ١٩٦٢م نجاح هذه التجارب، وكذلك فعل الاتحاد السوفيتى. وفى عام ١٩٦٤م كانت هناك شواهد تدل على أن الاتحاد السوفيتى استطاع أن ينسف بنجاح الصواريخ العابرة للقارات على ارتفاعات عالية جدا وبالضربة الأولى.

مع ذلك فقد ترددت الولايات المتحدة فى تنفيذ هذا البرنامج، نظرا لتعقيداته العظيمة من جهة، ولما يتكلفه من نفقات باهظة من جهة أخرى، فضلا عما يهدد به أوضاع الاستقرار التى سادت مع الاتحاد السوفيتى فى ظل استراتيجية الردع (التدمير المؤكد).

ولكن تفجيرات الصين النووية فى أكتوبر ١٩٦٤م، ثم التفجير الهيدروجينى Hydrogen فى يونيو ١٩٦٧م، دفع حكومة «ليندون جونسون» Lyndon Johnson إلى البدء بتنفيذ مشروع يستهدف تحصين المدن الأمريكية بشبكة من للصواريخ الدفاعية المضادة.

وقد تحول هذا المشروع فى عهد ريتشارد نيكسون Richard Nix-on الذى خلف جونسون فى عام ١٩٦٩م إلى ماعرف باسم «سيفجارد» Safeguard System، الذى رصد له فى ميزانية ١٩٧١/٧٠م مبلغ ١٥٠٠ مليون دولار. وكان رد الاتحاد السوفيتى على ذلك تنفيذ نظام وقائى للدفاع ضد خطر الصواريخ الهجومية.

وهكذا وصل السباق النووى بين الدولتين العظميين إلى مرحلة خطيرة أصبحت تهدد باستنزافهما من الناحية الاقتصادية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فقد كتبت صحيفة غربية فى فبراير ١٩٧٢م تقول: إن مجموع ما أنفق على السلاح فى العالم فى خلال السنوات الثمانى السابقة بلغ «ترليون دولار» (أى واحد والى يمينه ١٢ صفرا!). وقالت إنه إذا استمر العالم على معدل الإنفاق على التسليح فى ذلك الوقت، وهو ٢٠٠ مليار دولار سنويا، فسوف يبلغ فى السبعينيات وحدها ٤ ترليونات - أى ما يوازى ما أنفق على السلاح منذ سنة ١٩٠٠ حتى سنة ١٩٦٢م!.

ومن هنا نشأت بين العملاقين الكبيرين ضرورة إيقاف هذا السباق المحموم على السلاح، وتسوية الخلافات بينهما بالأسلوب السلمى.

(ب) تفكك الكتلة الغربية :

كان العامل الثانى فى صنع سياسة الوفاق الدولى، هو تفكك الكتلتين الغربية والشرقية، اللتين تكونتا فى ظروف الحرب الباردة.

وبالنسبة للكتلة الغربية، فإن التفكك كان قد أخذ يصيب هذه الكتلة تحت عوامل متعددة متناقضة، أهمها العامل القومى، فى الوقت الذى كانت الكتلة الشرقية فى أوروبا الشرقية والصين تتفكك أيضا تحت كل من العاملين الأيديولوجى والقومى معا. كما استند فى كل الأحوال إلى دواعى الأمن والمصالح الاقتصادية،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بسبب التطورات الخيالية التى طرأت فى مجال صناعة الأسلحة والسلع الإنتاجية والاستهلاكية.

وكانت الكتلة الغربية قد تكونت من الناحية العسكرية يوم ٤ أبريل ١٩٤٩م فيما عرف باسم حلف شمال الأطلنطى، ثم انضمت إليها ألمانيا الاتحادية بعد إنشائها، وانضمت اليابان، وتكون بذلك المعسكر الغربى.

على أنه نظرا لأن حلفاء الولايات المتحدة فى ذلك الحين كانوا يعانون من الضعف، بسبب الدمار الذى تعرضوا له فى الحرب العالمية الثانية، فلذلك كان من الطبيعى أن تحتل أمريكا فى هذا التحالف مركز الزعامة والقيادة.

وفى خلال الخمسينيات، وفى ظل ميزان الرعب النووى واستراتيجية الانتقام الشامل، كانت أوروبا تعيش تحت مظلة الحماية النووية الأمريكية، خوفا من سقوطها تحت سيطرة الاتحاد السوفيتى. ولكن كان عليها أن تدفع الثمن الذى يدفعه كل شريك أصغر فى أى تحالف.

ذلك أن اتساع نطاق مسئولية الولايات المتحدة على مستوى العالم، قد جعلها تنظر إلى المصالح القومية لدول أوروبا الغربية فى ضوء الصراع العالمى بينها وبين الاتحاد السوفيتى. وبدلا من أن تقف موقفا متعاطفا مع مصالح هذه الدول الاستعمارية فى صراعها مع العالم الثالث الثائر من أجل التحرر الوطنى، فان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مصالحها الاستراتيجية كانت تدفع بها إلى وراثة هذه المصالح، لتعزيز جانبها فى مواجهة السوفيت.

وقد تمثل ذلك فى موقف الولايات المتحدة من حرب فرنسا فى الجزائر، وفى موقفها من فرنسا وانجلترا فى العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦م بعد تأميم عبد الناصر لشركة قناة السويس.

وفى الوقت نفسه، كان اهتمام الولايات المتحدة بالتشاور مع حلفائها الغربيين، حتى فى المسائل المهمة التى تمس مصالحهم الاستراتيجية، يقل ويتضاءل، فى حين كانت تركز فى يدها سلطة اتخاذ القرارات الاستراتيجية وغير الاستراتيجية.

وكان من الطبيعى أن يصدم ذلك العواطف القومية فى هذه الدول العريقة، التى كانت تطمع فى أن تتخذ من حلف شمال الأطلنطى أداة لحماية مصالحها الاستعمارية، فإذا به يفعل العكس تحت سيطرة السياسة الأمريكية.

وهذا ما جعل ميشيل ديبريه Michel Debré، رئيس وزراء فرنسا من عام ١٩٥٩م، يصف حلف الأطلنطى أمام مجلس الجمهورية فى فرنسا يوم ١٢ ديسمبر ١٩٥٢م، بأنه «لايعدو أن يكون أداة للدفاع عن أمن الولايات المتحدة»!

فى تلك الأثناء كانت أوضاع التسليح بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى، قد أخذت تدفع دول أوروبا الغربية إلى التشكك فى فاعلية المظلة النووية الأمريكية فى حماية غرب أوروبا.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وعندما أطلق الاتحاد السوفيتى الصواريخ العابرة للقارات، رأى الكثيرون أن الولايات المتحدة، بعد أن أصبحت أراضيها مهددة، لن تجرؤ على الدخول فى حرب نووية ضد الاتحاد السوفيتى دفاعا عن أمن أوروبا.

وعندما أطلق السوفيت القمر الصناعى (Satellite) الذى أطلق عليه اسم «سبوتنك» Sputnik فى عام ١٩٥٧م، سرى الاعتقاد بأن الولايات المتحدة لم تعد بتلك القوة العسكرية التى لا يستطيع السوفيت التصدى لها.

في ذلك الحين كانت سيطرة الولايات المتحدة المركزية على الأسلحة الاستراتيجية، تسبب الكثير من المضايقة والمهانة للحلفاء الغربيين. كما أن الولايات المتحدة لم تكن تبيح لهؤلاء الحلفاء أى قدر من المعلومات عن إنتاج هذه الأسلحة النووية - باستثناء بريطانيا.

وعندما زودت الولايات المتحدة أوروبا الغربية بصواريخ متوسطة المدى من طراز «ثور» و «جوبيتر» ، ركزت فى يدها سلطة التحكم فى الرءوس الذرية التى تحملها هذه الصواريخ.

وكان من الطبيعى أن يثير هذا الوضع، الذى يترك لدولة تبعد عن أوروبا ثلاثة آلاف ميل، ولها ماض فى السياسة الانعزالية، مسئولية الدفاع عن أوروبا - استياء الشركاء الأوروبيين، الذين أعلنوا أنهم لم يعودوا يقبلون الاستمرار فى ترك مسئولية استخدام

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأسلحة النووية، التى يرتبط بها مصيرهم، فى يد رئيس الولايات المتحدة، وأنه إذا كان صحيحاً أنهم شركاء للولايات المتحدة، وليسوا تابعين لها، فلابد من اشتراكهم فى صنع القرار النهائى باستخدام الأسلحة النووية للدفاع عنهم.

وفى الوقت نفسه، اتجهت بريطانيا وفرنسا إلى إنشاء قوات نووية تخضع لسيطرتهما. وكانت بريطانيا أكثر تفوقا فى مجال الأبحاث الذرية، ولكن فرنسا استطاعت تفجير قنبلتها النووية فى ١٣ فبراير ١٩٦٠م، وأعلنت عن نيتها لتكوين قوة ذرية رادعة خاصة بها.

على أن هذه الاتجاهات والسياسات اصطدمت اصطداما كبيرا باستراتيجية «الحرب المرنة» التى اعتمدتها الولايات المتحدة منذ مجئ جون كندى إلى الحكم. ذلك أن هذه الاستراتيجية كانت تقضى، فيما يختص بالقوات النووية، أن تكون تحت نظام مركزى للقيادة والإشراف، يقع فى يد الولايات المتحدة.

كما كانت تقوم على أن يكون دور أوروبا فى ميدان الدفاع قاصرا على الأسلحة التقليدية وحدها، على أساس أن تكون هذه القوات التقليدية الأوروبية هى «سيف» الحلف، وتكون القوات النووية «درعه»! وبناء على ذلك عارضت الولايات المتحدة فى إنشاء قوات نووية قومية فى أوروبا.

كانت أكثر الدول الأوروبية التى عارضت سياسة الولايات المتحدة هى فرنسا، وقد زادت هذه المعارضة فى عهد ديجول،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وانتهت بأن أصدر ديجول قراره يوم ١٢ مارس ١٩٦٦م بسحب القوات الفرنسية من القيادة العسكرية الموحدة لحلف شمال الأطلنطى.

فى ذلك الحين كان ديجول قد أخذ يقود سياسة تهدف إلى حل مشاكل القارة الأوروبية على يد الدول الأوروبية ذاتها، وبعيدا عن نفوذ الولايات المتحدة.

فقد عقد معاهدة مع ألمانيا الاتحادية فى سنة ١٩٦٣م، وكون بذلك ما عرف باسم «محور بون - باريس».

كما قام بتحسين علاقاته مع الاتحاد السوفيتى، وقام بزيارته فى صيف ١٩٦٦م، حيث دعا إلى تسوية مشاكل القارة فى إطار اتفاق الدول الأوروبية وحدها دون تدخل خارجى!

وكان ديجول يرفع شعار «أوروبا من المحيط الأطلنطى إلى جبال الأورال» Ural. ومعنى ذلك دخول الاتحاد السوفيتى، وهو دولة شيوعية، داخل نطاق الدول الأوروبية!

وفى الوقت نفسه كانت ألمانيا تغير اتجاهاتها من الاتحاد السوفيتى ودول شرق أوروبا، بسبب موقف الولايات المتحدة المتميع من الوحدة الألمانية. وقد صرح «فيلى براندت» فى يناير ١٩٦٧م بأنه من المتعذر حل مشاكل ألمانيا فى مناخ الحرب الباردة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(جـ) قيام السوق الأوروبية المشتركة :

فى تلك الأثناء كانت دول اوروبا الغربية الست، وهى، فرنسا، وألمانيا، وإيطاليا، وبلجيكا، وهولندا، ولوكسمبورج، قد تمكنت من تكوين المجموعة الاقتصادية الأوروبية European Economic Community (EEC) التى عرفت باسم «السوق الأوروبية المشتركة» European Common Market باتفاقية روما سنة ١٩٥٧م، بغرض التكامل الاقتصادى، واستعادة أهمية أوروبا ووزنها على المسرح الدولى.

وفى عام ١٩٦٩م انتقلت دول السوق من مهمة التكامل الاقتصادى إلى التكامل السياسى. فاتخذت قرارا فى مؤتمر لاهاى فى نفس العام (١٩٦٩م) قررت فيه وجوب التشاور السياسى بين الأعضاء للتنسيق بين مواقفها فى قضايا العالم المهمة.

وفى دورة باريس فى يونية ١٩٧٠م، درست اقتراحا بإنشاء لجنة لوضع سياسة خارجية ودفاعية مشتركة لدول السوق.

وكانت أزمة الشرق الأوسط أول أزمة نوقشت فى اجتماع باريس فى نوفمبر ١٩٧٠م، واتخذ فى يناير ١٩٧١م قرارا يدعو إسرائيل إلى التخلى عن موقفها المتعنت، لارتباط ذلك بالأمن الأوروبى.

وتوالت مشاورات دول السوق السياسية التى كانت تنبعث من مصالحها دون سيطرة من الولايات المتحدة الأمريكية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وعلى هذا النحو اختفت لحد كبير تبعية دول غرب أوروبا السياسية والعسكرية للولايات المتحدة، وأخذت هذه الدول تؤكد استقلالها، مما ساعد على ظهور مراكز متعددة لإصدار القرارات داخل الكتلة الغربية، وإسقاط مناخ الحرب الباردة، وتمهيد الطريق لسياسة الوفاق بين الدولتين العظميين.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(٩) انقسام المعسكر الشيوعى
وانتهاء الحرب الباردة

فى الوقت الذى كانت تتفكك فيه الكتلة الغربية، وتظهر فيها مراكز متعددة لإصدار القرارات، ويسقط - تبعا لذلك - مناخ الحرب الباردة، كانت الكتلة الشرقية تتعرض بدورها لانقسام كبير بين الاتحاد السوفيتى والصين الشعبية.

ويرجع السبب الأول فى ذلك إلى المؤتمر العشرين للحزب الشيوعى السوفيتى The Twentieth Party Congress فى عام ١٩٥٦م، حين ألقى خروشتشيف خطابا مشهورا، تناول فيه المتغيرات الجذرية التى طرأت على الوضع العالمى منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، ورتب عليها ثلاثة آثار مهمة:

الأول : إنكار دور دكتاتورية البروليتاريا فى الانتقال إلى المرحلة الاشتراكية، عن طريق إنكار دور ستالين، والاساءة اليه تحت ستار مقاومة عبادة الفرد "The "Cult of the individual.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثانياً : إمكانة الانتقال من المرحلة الرأسمالية إلى المرحلة الاشتراكية سلميا عبر الطريق البرلماني، بعد أن كان طريق ثورة أكتوبر (وهو العنف) هو الطريق المعتمد الوحيد لهذا الانتقال.

ثالثاً : التعايش السلمي Peaceful Coexistence. فنظرا لوجود أسلحة تدميرية لم يحلم بها الإنسان من قبل، ولأن المعسكر الاشتراكي أصبح - على حد قوله - على قدر من القوة تمكنه من منع الرأسماليين من شن الحرب، فمن الضرورى نبذ الحروب، وإحلال الصراع السلمى بين النظامين الرأسمالى والاشتراكى محل الصراع العسكرى.

على أنه قدر لهذا الخطاب أن يقسم المعسكر الشيوعى.

فقد اعتبرت الصين خطاب خروشتشيف بمثابة «الخطوة الأولى فى طريق التحريفية!

ومن هنا بدأ النزاع بين الدولتين، وأخذت علاقاتهما الاقتصادية تتأثر، مما اضطر الصين إلى الاتجاه إلى اليابان وغرب أوروبا.

وفى أغسطس - سبتمبر ١٩٥٩م ألغى الاتحاد السوفيتى الاتفاق الذرى الذى كان قد أبرم بين البلدين فى أكتوبر ١٩٥٧م.

وفى عام ١٩٦٠م احتل النزاع بين البلدين الصدارة فى أجهزة الإعلام السوفيتية والصينية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهنا قررت روسيا عقاب الصين، فأعلنت فى يوم ١٠ يولية ١٩٦٠م سحب جميع الخبراء السوفييت فى الصين، الذين كانوا يعملون فى مختلف الميادين الفنية.

على أن الصين تمكنت بالرغم من ذلك من تفجير قنبلتها الذرية الأولى فى ١٥ أكتوبر ١٩٦٤م، فكان ذلك إعلانا باستقلالها التام عن الاتحاد السوفيتى، وبلوغها فى الوقت نفسه مستوى الدولة الذرية الكبرى.

وما لبثت أن أثارت مشكلة الحدود بين البلدين، فأعلنت عدم اعترافها بالمعاهدات القديمة، التى تنازلت الصين بمقتضاها لروسيا القيصرية عن مناطق من أراضيها. وأخذت كل من الدولتين تحاولان استقطاب الاحزاب الشيوعية الأوروبية وحركات التحرر الوطنى، والتنازع على زعامة العالم الاشتراكى.

وهكذا انتقل المعسكر الاشتراكى من وضع القطبية الاشتراكية الواحدة إلى وضع القطبية الثنائية، وحلت الحرب الباردة محل الصداقة والتحالف.

وفى السنوات التالية تأثرت دول أوروبا الشرقية بهذا الانقسام الكبير، وظهر ذلك بصفة خاصة فى الدول التى كانت أجزاء منها قد ضمت إلى الاتحاد السوفيتى فى تسويات الحرب العالمية الثانية، مثل بولندا ورومانيا وتشيكوسلوفاكيا، حيث أخذ العامل القومى يتغلب على العامل الأيديولوجى.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فوقعت أحداث المجر وبولندا فى أكتوبر ١٩٥٦م، وتشيكوسلوفاكيا فى أغسطس ١٩٦٨م. واضطر الاتحاد السوفيتى إلى التدخل العسكرى فى المجر وتشيكوسلوفاكيا. وانتقلت ألبانيا فى عام ١٩٦١م إلى معسكر الصين.

وأما رومانيا فأخذت منذ عام ١٩٦٣م تعارض تدخل «الكوميكون» (المنظمة الاقتصادية لشئون أوروبا التى نشأت ردا على إنشاء السوق الأوروبية المشتركة من دول غرب أوروبا) – فى شئونها الداخلية. وأعلن رئيسها «شاوشيسكو» Ceausescu أن الأحزاب الشيوعية فى العالم لا يمكن أن تدار من مركز دولى واحد، وأن القومية هى أمر ضرورى فى تطور حياة الشعوب، وهى بمثابة قانون يحكم عملية التطور الاجتماعى.

أما يوغوسلافيا بقيادة تيتو فإنها كانت قد تحررت من الوصاية الأيديولوجية والسياسية للاتحاد السوفيتى منذ عهد ستالين، واصطدمت به اصطداما شديدا دفاعا عن استقلال البلاد ضد السيطرة الأجنبية، مما أدى إلى طردها من الكتلة الشيوعية فى عام ١٩٤٨م.

ومنذ ذلك الحين عقدت يوغوسلافيا عدة اتفاقيات مع الولايات المتحدة للمساعدات العسكرية والاقتصادية، كما وقعت فى عام ١٩٥٤م معاهدة تحالف وتعاون سياسى مع اليونان وتركيا، وهما من أعضاء حلف شمال الأطلنطى. كما تزعمت حركة عدم الانحياز مع مصر والهند، وأصبحت تنتمى لحركة عدم الانحياز أكثر من انتمائها للكتلة الشرقية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(١٠) سقوط بؤر الحرب الباردة

على هذا النحو، كان العالم فى نهاية الستينيات، قد تغير سياسيا وأيديولوجيا وعسكريا واقتصاديا عما كان عليه عند انتهاء الحرب العالمية الثانية.

ولم تلبث بؤر الحرب الباردة أن أخذت تصفى واحدة وراء الأخرى. وكان أهمها فى أوروبا ما يختص بالمشكلة الألمانية، التى كانت أخطر جبهات الحرب الباردة.

وكانت أكبر عقبتين فى حل هذه المشكلة، تتمثلان فى إصرار ألمانيا الاتحادية على أنها الحكومة الشرعية الوحيدة التى تمثل الشعب الألمانى، وعدم اعترافها - بالتالى - بجمهورية ألمانيا الديموقراطية. وفى الوقت نفسه تمسكها بضرورة حصولها على الأسلحة النووية، ورفضها - بالتالى - توقيع أية معاهدة لمنع انتشار الأسلحة النووية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولكن هاتين العقبتين أخذتا فى الحل باعتراف «فيلى براندت»، مستشار ألمانيا الاتحادية الذى جاء إلى الحكم فى أكتوبر ١٩٦٩م، بوجود دولتين فى ألمانيا، والتراجع - من ثم - عن «مبدأ هالشتاين» الذى يقضى بقطع العلاقات مع كل دولة تقيم علاقتها مع جمهورية ألمانيا الديموقراطية، ثم توقيع معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية فى ٢٨ نوفمبر ١٩٦٩م.

كما وقعت ألمانيا الاتحادية معاهدتين مهمتين مع كل من الاتحاد السوفيتى وبولندا فى ١٢ أغسطس ١٩٧٠م و ٧ مارس ١٩٧٠م، تقضيان بنبذ استخدام القوة أو التهديد بها. ثم وقعت على اتفاقية رباعية خاصة ببرلين الغربية فى ٣ سبتمبر ١٩٧١م.

وتلتها اتفاقيتان مع ألمانيا الديموقراطية حول برلين الغربية فى ديسمبر ١٩٧١م ومايو ١٩٧٢م. وأخيرا وقعت معاهدة بين البلدين فى ٨ نوفمبر ١٩٧٢م تنظم العلاقة بينهما، وتتيح لهما الانضمام إلى الأمم المتحدة.

وقد كانت كل هذه الاتفاقيات تمهيدا لمؤتمر الأمن الأوروبى، الذى عقد فى عام ١٩٧٢ من أكثر من ثلاثين دولة أوروبية، وباشتراك الولايات المتحدة وكندا، للتباحث فى شئون الأمن الأوروبى.

هذا على كل حال فيما يتصل ببؤرة الحرب الباردة الأولى، أما بؤرة الحرب الباردة الأخرى فكانت فيتنام. وكان التدخل الأمريكى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قد حدث فيها تطبيقا لاستراتيجية الحرب المرنة واستراتيجية الدومينو، وأخذت الولايات المتحدة تصعد القتال فيها بضرب فيتنام الشمالية أملا فى وقف مساعدتها. ولكن هذا التصعيد لم يؤد إلى نتيجة، فى الوقت الذى فيه تضاعفت خسائر الولايات المتحدة فى الأرواح والموارد والسلاح، ووجدت نفسها فى نهاية الأمر متورطة فى حرب استنزاف من أكبر ما شهد التاريخ.

وقد ترتب على هذا الفشل الذريع أن أخذت الأصوات تعلو فى الولايات المتحدة، من جانب المفكرين الاستراتيجيين والسياسيين، تهاجم الاستراتيجية الأمريكية فى جنوب شرقى آسيا، التى تنظر إلى هذه المنطقة كامتداد للوجود الأمريكى فى المحيط الهادى!

فقد أعلن «جورج كينان» أن منطقة جنوب شرقى آسيا «ليست بذات تأثير حاسم على المصالح الأمريكية الاستراتيجية أو التوازن العالمى إلى الحد الذى يبرر تورط أمريكا فيها بمثل ذلك الحجم الهائل للقوات العسكرية!

كما صرح أمام لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ الأمريكى بأن «فيتنام ليست بذات أهمية استراتيجية أو صناعية غير عادية!

وأعلن آرثر شليسنجر» أن الاعتقاد بأن الولايات المتحدة قوة آسيوية هو أمر يتناقض مع منطق التاريخ الأمريكى ذاته»! وأعلن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

السناتور مايك مانسفيلد أن توسيع نطاق ارتباطات الولايات المتحدة فى فيتنام لايمت إلى المصالح الأمريكية الحيوية بأية صلة».

وفى الوقت نفسه كان الرأى العام الأمريكى يخذل حكومته فى الحرب الأمريكية فى فيتنام، مما أدى إلى حدوث انقسام فى الجبهة الداخلية الأمريكية.

وقد ترتب على ذلك سقوط استراتيجية الحرب المرنة، وسقوط نظرية الحرب المحدودة التى تخوضها الولايات المتحدة بالقوات والأسلحة التقليدية.

وكما حدث بعد الحرب الكورية، حين أخذت الولايات المتحدة تتطلع إلى البديل، فقد أخذت تتطلع الآن إلى بديل آخر. ولكن الظروف الدولية التى دعتها إلى اتباع استراتيجية «الانتقام الشامل» كانت قد تغيرت تغيرا كاملا، ولم تعد تستطيع التهديد بالحرب النووية الشاملة، بعد أن أصبح الاتحاد السوفيتى يتساوى معها فى القوة الذرية.

ولذلك لم يكن مفر أمام الولايات المتحدة من التخلى عن استراتيجيات تحكيم القوة فى النزاع، وانتهاج استراتيجية أخرى.

وفى ١٩ فبراير ١٩٧٠م أعلنت حكومة نيكسون رسميا عن هذه الاستراتيجية الجديدة، التى أطلقت عليها اسم: استراتيجية جديدة للسلام،» اعترفت فيها بالمتغيرات الدولية التى دعتها إلى انتهاجها، وكان تقديرها لهذه المتغيرات كالآتى:

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أولا : أن الولايات المتحدة والغرب بعد الحرب العالمية الثانية، كانا يواجهان معسكرا شيوعيا متماسكا، ولكن طبيعة هذا المعسكر تغيرت، فقد تصدعت وحدة الشيوعية الدولية، وتحطم تضامنها تحت العوامل القومية، وبعد أن كان الاتحاد السوفيتى والصين أصدقاء وحلفاء، أصبحا أعداء ألداء منذ منتصف الستينيات.

أما بالنسبة لأوروبا الشرقية، فإن المرات الوحيدة التى استخدم فيها الاتحاد السوفيتى القوة العسكرية منذ الحرب العالمية الثانية، كانت ضد حلفائه فى شرق أوروبا! فقد استخدم القوة فى ألمانيا الشرقية عام ١٩٥٣م، وفى المجر ١٩٥٦م، وفى تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨م. وهكذا تبدد الحلم الماركسى فى الوحدة الشيوعية الدولية.

ثانياً : كانت أوروبا الغربية واليابان بعد الحرب العالمية الثانية دولا ضعيفة أصابها الدمار، وكانت تتلقى المساعدة الاقتصادية الأمريكية . ولكنها الآن استعادت قوتها الاقتصادية وحيويتها السياسية والوطنية، وبعد أن كانت تعتمد كلية على القوة العسكرية الأمريكية، أصبحت تتحمل دوراً أعظم فى سياساتنا المشتركة، وبشكل يتفق مع قوتها المطردة.

ثالثا : كانت الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية تحتكر الأسلحة النووية الاستراتيجية، وكانت فى خلال الخمسينيات تحتكر القدرة على الوصول بالقوة الذرية عبر القارات عن طريق قوة ضخمة من القاذفات الاستراتيجية، ولكن ثورة التكنولوجيا الحربية غيرت الميزان العسكرى.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ففى نهاية الخمسينيات كان واضحا أن الاتحاد السوفيتى قد امتلك إمكانة تطوير واستخدام الصواريخ العابرة للقارات التى يمكن أن تدمر جزءًا من قوة قاذفاتنا الاستراتيجية على الأرض. ثم حصلت الصين الشيوعية على الأسلحة النووية، وأصبح واقع السبعينيات - الذى لا مهرب منه - هو امتلاك الاتحاد السوفيتى لقوة استراتيجية ضخمة ومعقدة تقارب، بل وتفوق فى بعض الأنواع، قدراتنا فى الكم والكيف. وبالتالى، لم تعد استراتيجية «التدمير المؤكد» صالحة للردع، مادام السوفيت يواصلون برنامجهم الطموح فى الأسلحة الاستراتيجية.

رابعا : حدد كسنجر التحول الذى طرأ على العلاقات بين الدولتين منذ الحرب العالمية الثانية فقال: إن المشكلة الأساسية هى أن الاتحاد السوفيتى قد أصبح يحتل مركز الدولة الأعظم. وهذه الحقيقة أصبحت واضحة فى السبعينيات فقط، لأنه فى أثناء أزمة الصواريخ الكوبية، كان ميزان القوة الاستراتيجية فى صالح الولايات المتحدة بشكل واضح تماما. ولكن فى السبعينيات والثمانينيات، سوف يملك الاتحاد السوفيتى تعادلا استراتيجيا فعالا. ومعنى ذلك أن أى طرف يسبق فى إلحاق الضرر بالآخر، فإن هذا الآخر سوف يستطيع أن يلحق به الضرر ذاته! وفى حرب ذرية شاملة، فإن هذا الضرر يحمل طبيعة انتحارية.

ومحصلة ذلك كله أنه إذا كان بروز دولة إلى مكانة الدولة العظمى فى الماضى - كما كان الحال بالنسبة لألمانيا فى مواجهة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بريطانيا - يؤدى إلى الحرب، فانه فى ظروف مثل ظروف الحرب الذرية الحالية، يجب ألاّ يؤدى إلى الحرب. تلك هى حقيقة العصر الذرى الذى نعيشه، وعلينا مواجهتها.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مراجع للاستزادة

(أولا) المراجع العربية والمترجمة

السيد رجب حراز، الدكتور: عصر النهضة (القاهرة١٩٧٤م).

بالمر، روبرت: تاريخ العالم الحديث، جزءان، ترجمة محمود حسن الأمين (الموصل ١٩٦٤م).

بانيكار، ك. م: آسيا والسيطرة الغربية، ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد (دار المعارف ١٩٦٢م).

برنو، ريجين: البورجوازية فى شتى مراحلها، ترجمة أنعام الجندى (بيروت).

بولز، تشستر : قضية السلام، ترجمة جورج عزيز (دار المعارف ١٩٥٧م).

بونوماريوف : موجز تاريخ الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفيتى (موسكو ١٩٧٠م).

بين، تشستر: الشرق الأقصى، ترجمة حسين الحوت (سلسلة الألف كتاب ٥٩).

جرانت وتمبرلى: أوروبا فى القرنين التاسع عشر والعشرين، جزءان، الأول ترجمة بهاء فهمى، والثانى ترجمة محمد على أبو درة ولويس إسكندر (القاهرة ١٩٦٧م).

جمال حمدان، الدكتور: استراتيجية الاستعمار والتحرير (كتاب الهلال).

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جوكوف وآخرون: العالم الثالث (موسكو ١٩٧١م).

رينوفان، بيير: تاريخ العلاقات الدولية ١٨١٥ - ١٩١٤م، ترجمة دكتور جلال يحيى (دار المعارف).

زاهر رياض، الدكتور: استعمار القارة الأفريقية واستقلالها (دار المعرفة ١٩٦٦م).

ستيفه، فردريك : حقيقة الحرب العظمى، ترجمة محمود إبراهيم الدسوقى.

صلاح العقاد، الدكتور: الحرب العالمية الثانية (مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٣م).

عبدالحميد البطريق، الدكتور: التيارات السياسية المعاصرة ١٨١٥ - ١٩٦٠ (القاهرة ١٩٨٠م).

عبدالكريم أحمد، الدكتور: القومية والمذاهب السياسية (القاهرة).

فرحات زيادة وإبراهيم فريجى: تاريخ الشعب الأمريكى (مطبعة جامعة برنستون ١٩٤٦م).

فيشر، هربرت: أصول التاريخ الأوروبى الحديث، ترجمة: الدكتورة زينت عصمت راشد، والدكتور عبد الرحيم مصطفى (دار المعارف ١٩٦٢م).

فيشر، هربرت : تاريخ أوروبا فى العصر الحديث، ترجمة أحمد نجيب هاشم، ووديع الضبع (دار المعارف ١٩٤٦م).

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كـــار، أ. هـ. : ثورة البلاشفة، جزءان، ترجمة عبدالكريم أحمد (القاهرة ١٩٧٠م).

كسنجر، هنرى: مفهوم السياسة الخارجية الأمريكية، إعداد د. حسين شريف (القاهرة ١٩٧٤م).

كينان، جورج : روسيا تتخلى عن الحرب، ترجمة عادل شفيق (القاهرة ١٩٦٦م).

كنج، بولتن : الوحدة الإيطالية، ترجمة طه الهاشمى (القاهرة).

كـــول، ج.هـ. : تاريخ الفكر الاشتراكى، الجزء الأول من المجلد الرابع، ترجمة عبدالكريم أحمد (القاهرة).

كـــــول، ج. هـ : الاشتراكية والفاشية، ترجمة عبدالحميد الإسلامبولى.

لودفـــيج، امـــيل : نابليون، ترجمة محمود إبراهيم الدسوقى (القاهرة ١٩٤٦م).

لودندورف : مذكرات لودندورف (جزءان).

لينين : مذكرات لينين عن الحروب الأوروبية، ماضيها وحاضرها، ترجمة أحمد رفعت.

لينين : موجز حياته (موسكو ١٩٦٩م).

محمد أنيس، الدكتور، والسيد رجب حراز، الدكتور: مدخل تاريخ الأمريكتين (دار النهضة العربية ١٩٦٤م).

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

محمد فؤاد شكرى، الدكتور : ومحمد أنيس، الدكتور، أوروبا فى العصور الحديثة، الجزء الأول (الأنجلو ١٩٦١م).

محمد فؤاد شكرى، الدكتور: الصراع بين البورجوازية والاقطاع ١٧٨٦ - ١٨٤٨) جزءان (دار الفكر العربى - ١٩٥٨م).

محمد فؤاد شكرى، الدكتور: ألمانيا النازية (دار الفكر العربى ١٩٤٨م).

نور الدين حاطوم، الدكتور: حركة القومية الألمانية (القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٠م).

نيفينز، آلان وكوميجر، هنرى ستيل: تاريخ الولايات المتحدة، ترجمة مصطفى كمال (مكتبة مصر).

هامبسون، نورمان : التاريخ الاجتماعى للثورة الفرنسية، ترجمة فؤاد أندراوس (دار الكاتب العربى).

هاو ، سونيا : فى طلب التوابل، ترجمة محمد عزيز رفعت (القاهرة، سلسلة الألف كتاب).

هربرت، كريستوفر : بنيتو موسولينى، تعريب خيرى حماد (دار المعارف ١٩٦٥م).

هوبسون، ج. أ : الامبريالية، ترجمة عبد الكريم أحمد (القاهرة).

وزارة الحربية المصرية : الحرب الباردة وأصولها ١٩١٧ - ١٩٦٠م (٥ أجزاء) ترجمته شعبة البحوث العسكرية ١٩٦٤ - ١٩٦٨م.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يبيبافانوف، وفيدوسوف: تاريخ الاتحاد السوفيتى - ترجمة خيرى الضامن ونقولا طويل (موسكو).

يونان لبيب، الدكتور، ورءوف عباس، الدكتور، وعبدالعظيم رمضان، الدكتور: أوروبا فى عصر الرأسمالية (دار الثقافة العربية ١٩٩٠م).

يونان لبيب، الدكتور، ورؤف عباس، الدكتور، وعبد العظيم رمضان، الدكتور : أوروبا فى عصر الإمبريالية (دار الثقافة العربية ١٩٨٦م).

مجلة السياسة الدولية (١٩٦٤ - ١٩٨٥م).

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Curtin, P.,D., Imperialism., U.S.A. 1971.

Davenport, Marcia, Garibaldi Father of Modern Italy, New York 1957.

Deutscher, Isaac, The Great Contest, Russa and the West, U.S.A. 1961.

Dolbeare, Kenneth and Edelman, Marray, American Palitics, U.S.A. 1974.

Duroselles, J.B., Histoire Diplomatique de 1919 á nos jours, Paris, 1953.

Faulkner, H.U., American Political and Social History; New York 1944.

Fisher, H.A.L., History of Europe, London 1942.

Fulbright, J.W., The Pentagon Propaganda Machine, New York 1970.

Garthoff, Raymond L., Soviet Strategy in the Nuclear Age, New York 1962.

Grant, A. J. and Temperley, Harold, Europe in the Nineteenth and Twentieth Centuries (1789 - 1950), London 1953.

Hopkins, Harry, The White House Papers of Harry Hopkins, London 1949.

Howe, E., Sonia, In Quest of Spices, London 1946.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(ثانيا) المراجع الأجنبية

Adams, Sherman, First Hand Report, the Story of Eisenhower Administration, New York 1961.

Anderson, M.S., Europe in the Eighteenth Century, London 1961.

Andrews, G. M., The Colonial Period of American History, New Haven 1934.

Beloff, M., Europe and the Europeans, London 1957.

Burckhardt, Jacob, The Civilization of the Renaissance in Italy, U.S,A. 1970.

Carr, E. H. International Relations Since the Peace Treaties, 1940.

Carter, Herz and Ranney, Major Foreign Powers, U.S.A. 1957.

Churchill, Winston, The Second World War, (6 vols), U.S.A. 1948 - 1953.

Ciano, Ciano's Diaries, London 1947.

Club, Oliver E., The United States and the Sino - Soviet Bloc in Southeast Asia, Washington 1962.

Coombs, Philip, The Fourth Dimension of Foreign Policy, U.S.A. 1964.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Samsonov, A., a Short History of the USSR, 2 vols. Moscow 1965.

Schmidt, Helmut, Defence or Retaliation, Hamburg 1961.

Shirer, William, The Rise and Fall of the Third Reich, London 1962.

Smirnov S.R., A History of Africa 1918 - 1967, Translated from the Russian by Lempert L.O., Moscow 1968.

Spanier, John W., American Foreign Policy Since World War II, New York 1960. 1962.

Taylor, A.J.P., The Origins of the Second World War.

Taylor, Maxwell, The Uncertain Trumpt, New York 1959.

Tomson, David, World History 1914 - 1968, Oxford 1969.

Truman, Harry, 1945, Years of Decisions, Memoirs by Harry S. Truman, 2 vols., U.S.A. 1965.

Vermeil, Edmond, Germany's Reichs, translated by E.W. Dickes, London 1944.

Wilmot, Chester, The Struggle For Europe, London 1952.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Hughes, E.J., America The Vinciple, Penguin 1959.

Kennan, George F., American Diplomacy, 1900 - 1950, Chicago 1951.

Kennedy, John, To Turn The Tide, U.S.A. 1962.

Kirk, The Middle East in the War, London 1950.

Kissinger, Henry, White House Years, U.S.A. 1979.

Langer, William L., An Encyclopedia of world History, U.S.A. 1948.

Link, Arthur S., American Epoch, New York 1961.

Lippmann, Walter, The Cold War, New York 1947.

Mallin, Jay, Caribbean Crisis. U.S.A. 1965.

Mollenhoff, Clark R., The Pentagon, New York 1972.

Mosely, Philip, The Kremlin and World Politics, New York 1960.

Perkins, Dexter, The American Approach to Foreign Policy, Harvard 1952.

Roberts, P.E., History of British India, Oxford 1952.

Robertson, Charles, International Politics since World War II, U.S.A. 1966.

Rothstein, Andrew, Peaceful Coexistence, Penguin 1955.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الكشافات

١ـ كشاف الأسماء

٢ـ كشاف الهيئات

٣ـ كشاف البلاد والأماكن

٤ـ كشاف الحوادث

٥ـ كشاف الدوريات

★ قام بإعداد هذه الكشافات:

الأستاذ / سامى عزيز فرج

الأستاذة / إستيرة غالى تاوضروس

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١ ـ كشاف الأسماء

ـ أ ـ

آتلي، كليمنت : Atlee, Clement : ١٦٨

آرثر ، ماك «الجنرال» : Arthur, Mac : ١٨٦ ـ ١٨٨ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦

آل عثمان «أسرة حاكمة» : ٩

أديناور، كونراد «الدكتور» : Adenauer, Konrad : ١٧٥

اشتريزمان، جوستاف : Stresemann, Gustav : ٣٥

إليوت، جورج فيلدنج : ٢٨٦

امبرتو «الأمير» : ١٥٤

أنور خوجا : ٢١٧

أوتوهيو : ٣٣

أوثانت Uthant : ٢٠٦

أوسجود ، رويرت : ٣١٣

إيبرت ، فردريك Ebert, Friedrich : ١٩ ـــ ٢١ ، ٢٣ ، ٢٥ ـــ ٢٧ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٦

إيدن، انتوني : ١٦٣ ، ٢٧٠ ، ٣٠٥

إيرهارت «الكابتن» : Ehrhardt : ٣٦ ، ٣٧

إيزابيلا : ٥

آيزنز ، كورت : ٢٤

آيزنهاور : Eisenhauer : ١٤٠ ، ٢٩٧ ـ ٣٠٠ ، ٣٠٣ ـ ٣٠٥ ، ٣٠٨

ـ ب ـ

بابن، فون «المستشار» : Papen : ٦٠ ، ٦١

بادوليو ، بيترو «المارشال» : Badoglio, Pietro : ١٥١ ـ ١٥٤

بارمو : ١٥٩

برادلي ، عمر «الجنرال» : Bradley, Omar : ٣٠٣

براندت ، فيلي : ٣٤٣ ، ٣٥١

براون ، أودلف «الأدميرال» : ٣٣ ، ٣١٤

بروينج «المستشار» Bruening : ٥٩

بريان : Brian : ٥٠ ، ٨٣ ، ١١٩

بسمارك : ٩ ، ٣١ ، ٩٠ ، ٢٦٥

بطرس بطرس غالي «الدكتور» : ٢٠٦

بللو، أحمدو : ٣٢٧

بنيش ، ادوار : Benes : ٢١٧

بواسون : ١٤١

بوانكاريه : Poincaré : ٣٩ ، ٤٠ ، ٥٠

بوش ، جوان «الرئيس» : Boach, Juan : ٣٢٥

بوكاسا «الكولونيل» : ٣٢٧

بياو، لين : ٢٥٢

بيتان «المارشال» : Pétain : ١١٦ ، ١٣٢ ـ ١٣٥ ، ١٤١ ، ١٤٤ ، ١٤٥

بيرنشتاين : Bernstein : ١٨

بيروت ، بوسلاف : Bierut : ٢١٤

ـ ت ـ

تروتسكي، Trotsky: ٢٩٣

ترومان ، هاري: Truman, Harry: ١٦٨، ٢٨٥، ٢٨٨ ـ ٢٩٠، ٢٩٦، ٣٠٠، ٣٠٣

تشرشل: ١٢٢ ـــ ١٣٥، ١٣٩، ١٤٢، ١٤٣، ١٥٨، ١٦٤ ـ ١٦٦، ١٦٨، ١٧٩، ١٨١، ١٩٢، ١٩٣، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١٢، ٢٧٠، ٢٧٤، ٢٧٧، ٣٠٥

تشمبرلين : ٩٦

تشومبي، موبس: Tshombe, Moise : ٣٢٦

تولياتي : ١٥٤

تونج ، واوتسي: ٢٥١، ٢٧٨ ـ ٢٨٠، ٢٩٤

توينتج، تاثان «الجنرال»: Twining, Nathan: ٣٠٣

تيلور، ماكسويل «الجنرال»: Taylor, Maxwell: ٣١٢، ٣١٥ ـ ٣١٩، ٣٢١، ٣٢٥، ٣٣١

ـ ث ـ

ثيو، نجووين فان : Thieu, Nguyen Van : ٣٣١

ـ ج ـ

جراندي: Grandi : ١٥١

جرانفل «الكوكونيل» : ١٧٠

جرزيسنسكي: Grzesinski : ٣١

جرويتر ، وليم «الجنرال»: Groener, William: ١٧، ١٩ ـ ٢١، ٢٧

جمال عبدالناصر: ٣١١، ٣٢٧، ٣٤٠

جوتفالد : Gottwald: ٢١٧

جورج ، لويد : ٣٦٧

جورنج: Goering: ٤٧، ٦١

جوموكا: ٢١٥

جونسون، ليندون: Johnson, Lyndon: ٣٣٧

جيرو: «الجنرال»: Giraud: ١٤٤ ـــ ١٤٦

جيسلر، أوتو: Gessler: ٤٣

جيوليتي : Giolitti : ٧١، ٧٢

ـ خ ـ

خان «الجنرال»: ٣٣٠، ٣٣١

خروشتشيف (خروشوف) : Khrushchev : ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٩

ـ د ـ

دارلان «الأميرال»: Darlan : ١٣٥، ١٣٦، ١٤١، ١٤٤، ١٤٥.

دالاس، جون فوستر: Dallas, John Foster : ٢٨٤، ٣٠٠، ٣٠٢، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٨

دانونزيو: D'Annunzio : ٣٨

دوز ، شارل Dawes: ٤٨، ٥٣، ٥٤

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ديبريه، ميشيل: Debré, Mechel: ٣٤٠
ديجول «الجنرال»: De Gaulle: ١٣٣، ١٣٤، ١٣٧ ـ ١٤٠، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٥ ـ ١٤٧، ١٦٩، ٣٤٢، ٣٤٣.
ديم، انجودين: Diem, Ngo Dinh: ٣٣٠

ـ ر ـ

رادفورد «الأدميرال»: Radford: ٣٠٣، ٣٠٥
رشيد الكيلاني: ١٣٩
روزفلت: ١١٩، ١٢٤، ١٢٥، ١٤٢، ١٦٣ ـ ١٦٨، ١٧٩، ١٨١، ١٨٢، ١٩٣، ٢٠٩، ٢١٠، ٢٧٠، ٢٧٢
روزنبرج: Rosenberg: ٤٦، ٤٧
روكوسوفسكي: «الجنرال»: Rokossovsky: ٢١٩
رومانوف: «أسرة حاكمة»: ٩
روميل «الجنرال» Rommel: ١٠٨، ١٤٠، ١٤٩
روهم: Roehm: ٤٧
ريختر، شوبنر: Richter, Scheub-ner: ٤٦
ريدجواي، ماثيو «الجنرال»: Ridgway, Mathew, ٣٠٣: ٣٠٥

ـ س ـ

سايسر، فون «الكولونيل»: Seisser, Von: ٤٤، ٤٦، ٤٧
ستالين: ١٦٤، ١٦٦، ١٨٢، ١٩٣، ١٩٥، ٢١٣، ٢١٥، ٢٩٢، ٣٤٦
سفورزا: ١٥٤
سوباسشي، إيفان «الدكتور»: Subasic, Ivan: ٢١١
سوجولو، كريستوف: «الجنرال»: ٣٢٧
سوكارنو، أحمد: ١٥٨، ٣١١
سيخت، هانز فون «الجنرال»: Seeckt: ٢٨، ٣٦، ٤٣، ٤٥، ٤٧
سيكورسكي: ٢١٣
سيهانوك، نورودوم: Sihanouk, Nor-odon: ٣٣٣

ـ ش ـ

شاهرير: ١٥٨
شاوشيشكو: Ceausescu: ٣٤٩
شايدمان، فيليب: Scheidemann: ١٩، ٢٦، ٣١
شتريزمان «المستشار»: Streseman: ٤٢، ٤٨، ٥١، ٥٢، ٥٩
شرف الدين: ١٥٨
شليسنجر، أرثر: ٣٥٢
شو إن لاي: Chou En-Lai ١٩٠
شيانو «الكونت»: Ciano: ٨٨

شيك، تشايندج كاى- Chiang Kai Shek : ١٥٩، ١٧٩، ١٨٨، ٢٧٨ - ٢٨٠

ـ ع ـ

عبدالعظيم رمضان «الدكتور»: ٣، ٥، ١٢

عبدالناصر أنظر: جمال عبدالناصر

ـ غ ـ

غليوم أنظر: وليم الثانى

ـ ف ـ

فالدهايم ، كيرت: Waldheim, Kurt: ٢٠٦

فاندنبرج، هويت «الجنرال»: Vanden berg, Hoyt: ٣٠٣

فرانكس، أوليفر «السير»: ٣٠٧

فرانكو «الجنرال»: Franco : ٨٧، ١١٥، ١١٦

فرحات عباس: ١٤٧

فرديناند «الملك»: ٥

فشتلر، ويليم «الأدميرال»: Fechtler, William: ٣٠٣

فوش «المارشال»Foch: ١٤٤

فيلهلم أنظر: وليم الثانى

فييت منه : Vietminh: ٣٠٤

ـ ك ـ

كاب، وولفجانج «الدكتور»: Kapp : ٣٦

كاترو: «الجنرال» Catroux : ١٣٩

كار، جوستاف فون : Kahr : ٣٧، ٤٣ ـ ٤٥، ٤٧

كارنى، روبرت «الأدميرال»: Car-ney, Robert : ٣٠٣

كازافوبو : Kasavubu: ٣٢٦

كاسترو، فيدل : Castro, Fidel : ٣٢٣، ٣٢٤

كافور Cavour : ٩

كالونجى: ٣٢٦

كاوتسكى: Kautsky: ١٨

كاوكى، نجوين «الجنرال»: ٣٣١

كليمانصو Clemanceau: ٢٦٧

كويلار، جافييه پيريز دى : Cueller, Javier Perz De : ٢٠٦

كورنيلوف: ٣٦

كولينز، لاوتون «الجنرال» : Collins, Lauton ٣٠٣

كونيف «المارشال»: Konev : ٢٢٠

كيرزن Curzon: ٢١٣

كيرنسكى : Kerensky : ٢١

كيسنجر ، هنرى : Kissinger : ٣١٣، ٣١٤، ٣٥٥

كيلوج : Kelog : ٨٣، ١١٩

كينان، جورج Kennan George : ٣١٢، ٣٥٢

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كيندى، چون Kennedy, John: ٣٢٠ ـ ٣٢٢، ٣٢٤، ٣٣٠، ٣٣٦، ٣٤٢

ـ ل ـ

لافال، بيير: Laval, Pierre: ١٣٤ ـ ١٣٧، ١٤٢
لاميزانار، سانجولى «الليفتنانت»: ٣٢٧
لوسو، أوتو فون «الجنرال»: Lossow, Otto von: ٤٤ ـ ٤٧
لوكسمبرج، روزا Luxemburg, rosa: ١٨، ٢٣، ٢٤
لومومبا، باترس Lumumba Patrice: ٣٢٦
لويتفتز، وولترفون «الجنرال»: Luett-witz: ٣٢، ٣٦
لى، ترجفى «المسيو»: Lie Trygve: ٢٠٥
ليبكنخت: كارل: Leibknecht: ١٨، ٢٣، ٢٤
لينين: ٦٨، ٦٩
ليهى «الأميرال»: Leahy: ١٤٢

ـ م ـ

ماتيوتى: Mateotti: ٧٤
مارشال «الجنرال» Marshall, George: ١٧٣
ماركس: ١٠، ٣٣
ماكس، أوف بادن (البرنس): Max, Prince of Baden: ١٥، ١٦، ١٩، ٢٣
ماكنمارا، روبرت: McNamara: ٣٢١، ٣٣٢
مالكولم «الجنرال»: Malcolm: ٢٨
مانسفيلد، مايك «السناتور»: ٣٥٣
مترنيخ: ٢٦٧
مصطفى كمال أتاتورك: ٢٦٦
مكارثى، جوزيف «السناتور»: Mc Carthy, Joseph: ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٨
منليك: Menelek الإمبراطور: ٧٥
منه، هوشى: Minh, HoChi: ١٤٨، ٢٨٢ ـ ٢٨٤
موبوتو «الجنرال»: Mobutu: ٣٢٦
موسولينى: Mussolini: ٦٩، ٧١، ٧٣ ـ ٧٥، ٨٤، ٨٨، ١١٥، ١١٦، ١٥١ ـ ١٥٤، ١٧٧
مولر: Moeller, Van Der Bruck: ٩٠
مولر، هرمان «المستشار»: Mueller: ٥٢
مولوتوف: Molotov: ١١٣، ١٧١، ١٧٣، ١٨٥
مونتجمرى «الجنرال»: Montgomery: ١٠٨، ١٤٠، ١٤١، ١٥٠
ميخائيلوفتش: Michailovic: ٢١٠، ٢١١
ميرفى، روبرت: Murphy, Robert: ١٤٤

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- ن -

نابليون Napoleon: ٨، ٢٦٤

نكروما: Nkrumah : ٣٢٧

نهرو : ٢٣٢

نوسكه، جوستاف : Noske, Gustave : ١٦، ٢٣، ٣٢، ٣٦

نيكسون ، ريتشارد: Nixon, Richard : ٣٣٧، ٣٥٣

- هـ -

هابسبورج «أسرة حاكمة»: ٩

هاريمان ، أفريل: Harriman, Averell : ١٨٦

هتلر Hitler, Adolf: ٣٢، ٣٧، ٤٥ ـ ٤٧، ٥١، ٦٠ ـ ٦٤، ٨٦، ٨٨، ٩٣، ١٠٧، ١٠٩، ١١٣ ـ ١١٨، ١٢١، ١٣٥، ١٤٩، ١٥٤، ٢١٢، ٢٧٠

همر شولد، داج «المستر»: Hammarskjold : ٢٠٦

هندنبرج Hendenburg : ١٥، ١٧، ٢٠، ٢١، ٢٦ ـ ٢٨، ٦٠ ـ ٦٢، ٦٤

هوبكنز: Hopkens : ٢٥٨

هوشي منه: ١٤٨، ٢٨٢، ٢٨٤

هوفمان، جوهان: Hoffman, Johannes : ٢٤، ٣٧، ١٧٠

هوهنزولرن Hohenzollern «أسرة حاكمة»: ٩، ٢٦

هيس : Hess : ٤٧

هيلاسلاسي: ١٥٠

- و -

ولسن Wilson, Woodrow «الرئيس الأمريكي»: ١٥، ١٦، ٢٦، ١٢٦

وليم الثاني، القيصر: ١٥، ١٧، ٢٥

ويتلباخ Wittelbachs «أسرة حاكمة»: ٢٠، ٢٤

ويمان «الجنرال»: ٣٤ ـ ١٣٦، ١٤٤

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢ ـ كشاف الهيئات

ـ أ ـ

اتحاد البريد العالمي: Universal Postal Union [upu]: ١٩٩

الاتحاد الدولي للمواصلات السلكية واللاسلكية: International Telecommunication Union: ١٩٩

اتحاد الصناعة الإنجليزية: ٤٩

الاتحاد النقابي الألماني: ٤٥

أحزاب الوسط في ألمانيا: ٢٥

الادارة العسكرية السوفيتية: ١٧٥

الاذاعة الألمانية: ٦٢

الأسطول الإنجليزي: ١٦

الأمانة العامة للأمم المتحدة: ١٩٨، ٢٠٥

ـ ب ـ

البنتاجون: Pentagon: ٣٠١

البنك الأمريكي للاستيراد والتصدير: ٢٣٨، ٢٣٩

بنك دارمشتادر: Darmstader Bank: ٥٨

البنك الدولي للإنشاء والتعمير: The International Bank for Reconstruction and Development: ١٩٩

البنك المركزي الألماني Reich Bank: ٥٨

البنك للنمسلوي: ٥٨

بورصة نيويورك: ٥٧

ـ ج ـ

جامعة بايلور: Baylor: ٢٨٨، ٢٨٩

جماعة سبارتكوس: Spartacists: ١٨، ٢٣، ٣٤

جمعية الصناعة الإمبراطورية الألمانية: ٤٩

الجمعية العامة للأمم المتحدة: The General Assembly: ١٩٤، ١٩٦، ١٩٨، ٢٠٠، ٢٠٢ ـ ٢٠٥

الجهاز العسكري (فيلق الضباط الألماني): The Officers Corps: ٢٨

الجهاز القضائي الألماني: ٣٢

الجيش الأسود: Black Reichwehr: ٤٣، ٤٤

جيش التحرير الوطني الجزائري: ٢٥٨

ـ ح ـ

الحزب الاشتراكي الإيطالي: ٧٤

الحزب الاشتراكي الديمقراطي الألماني: The Social Democrats: ٢٥، ٣٤

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الحزب الاشتراكى المستقل الألمانى: Independent socialists : ١٨، ٢٥
الحزب الجمهورى الأمريكى : The Republican Party : ٢٩٧
الحزب الديمقراطى الأمريكى: The Democratic Party : ٢٩٧، ٣٠٠
حزب الشعب الوطنى الألمانى: The German National Peoples Party : ٢٥، ٤٨
الحزب الشيوعى السوفيتى : ٣٤٦
الحزب الشيوعى الصينى : ٢٥٣
حزب العمال الاشتراكى الوطنى : The National Socialist German Workers Parky [Nazi] : ٥٩، ٦٢، ٨٣، ٨٨
الحزب الفاشى الوطنى الايطالى: ٧٢، ٧٤
حزب الفقراء فى بورما : ١٥٩
حزب المحافظين البريطانى: ٩٣، ٩٦
الحزب النازى : ٤٦، ٨٤، ١٢٨
حزب الوسط الكاثوليكى الألمانى: ٦٣
الحزب الوطنى فى بورما: ١٥٨
حكومة بادوليو Badoglio : ١٥١ ـــ ١٥٤
حكومة بيتان أنظر حكومة فيشى.
حكومة بولندا فى المنفى: ٢١٤
حكومة چون كنيدى : ٣٢٠، ٣٣٠، ٣٤٣، ٣٤٩
حكومة سايجون الجنوبية: ٢٨٥، ٣٢٨
حكومة شيانج كاى شيك : ١٨٨، ٢٧٨
حكومة فيشى Vichy : ١١٥ ـــ ١١٧، ١٣٢ ـ ١٤٣
حكومة لوبلين البولندية Lublin: ٢١٤، ٢١٥
حكومة ليندون جونسون: ٣٣٧
حكومة الميكادو هيروهيتو Mikado Hirohito: ١٨٤
حلف الأطلنطى: ٣٠٢، ٣١٩، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤٣، ٣٤٩
حلف أنزوس : Anzus Pact : ٢٩١
حلف بغداد: ٣٠٢، ٣١١
الحلف التشيكى الفرنسى: ٨٢
حلف جنوب شرق آسيا: Southeast Asia Treay Organisation (SEATO) : ٢٨٤، ٣٠٢، ٣٢٨
الحلف الفرنسى الروسى : ٨٣
حلف وارسو Warsaw Pact : ٢٢٠

ـ د ـ

دار المستشارية الألمانية : ٢٣

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ ذ ـ

ذوو القمصان السوداء: ٧٢، ٧٣

ـ ر ـ

الرايخ الأول Reich: ٣١، ٩٠

الرايخ الثالث: ٣١، ٩٠

الرايخ الثـانى: ٣١، ٤٦، ٦٠ ـ ٦١، ٩٠

الريشستاج: ٢٤ ـ ٣٠، ٣٥، ٦٠ ـ ٦٣، ١١٤

ـ س ـ

السـلاح الجـوى الذرى الأمـريكى: ٣٠٣

السوق الأوروبية المشتركة European Economic Community (ECC): ١٤٧، ٣٤٤، ٣٤٩

ـ ش ـ

شركة قناة السويس: ٣٤٠

ـ ص ـ

صندوق الأمم المتـحـدة لرعـاية الطفـولة: United Nations Children's Fund (UNICEF): ١٩٩

صندوق النقـد الدولى: International Monetary Fund (IMF): ١٩٩

ـ ع ـ

عصابات الفيلق الحر: Free - Corps Bands: ٣٦

عـصبـة الأمم: ١٠، ٥٢، ٥٤، ٧٥، ٨٠ ـ ٨٢، ٨٦، ٩٢، ١١٢، ١١٨، ١٨٠، ١٩٧

عصبة مقاومة الفاشية: ١٥٩

العـصبـة المناضـلة: Fasci Italiani di comfattimento: ٧٠

ـ ف ـ

فرقة بحرية الشعب فى ألمانيا: ٢٢

فندق دمـبـرتن أوكس Dumbarton Oaks: ١٩٣، ١٩٥

ال فيت كونج: Vietcong: ٣٢٩، ٣٣٠

ـ ق ـ

قاعة الجعة الكبرى: The Beer Hall Putsch: ٤٦، ٤٧

قوات الطوارئ الدولية: ٢٠١

ـ ك ـ

الكتلة الشرقية: ٢٧٥، ٣٣٨، ٣٤٦

الكرملين: ٢٨٧

كلية وستمينستر فى فولتون Westmin-ster Fulton: ٢٧٤

الكومنتانج: Kuomintang: ٢٧٨

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الكومنترن الشيوعى : ٧٥، ٨٩، ٩٤
الكومونولث: ١٥٨، ١٥٩
الكوميكون أنظر المنظمة الاقتصادية لشرق أوربا
الكونجـــرس : ١١٩، ١٢٠، ١٢٢، ١٥٧، ١٩٥، ٣٢٢، ٣٢٥

- ل -

اللجنة الاجتماعية بالأمم المتحدة: ٢٠٣
لجنة الإحصاء بالأمم المتحدة : ٢٠٣
لجنة الإسكان بالأمم المتحدة: ٢٠٣
اللجنة الاقتصادية لآسيا والشرق الأقصى بالأمم المتحدة: ٢٠٣
اللجنة الاقتصادية لأفريقيا بالأمم المتحدة: ٢٠٤
اللجنة الاقتصادية لأمريكا اللاتينية بالأمم المتحدة: ٢٠٤
اللجنة الاقتصادية لأوربا : ٢٠٣
لجنة الانتدابات : ٧٩، ٨٠
اللجنة الأوربية الاستشارية : ١٦٣ ـ ١٦٥
لجنة التأميم فى ألمانيا: ٣٣
لجنة التحرير الوطنى بالجزائر : ١٤٥
لجنة التحقيق فى ألمانيا: ٢٨
لجنة التعويضات: ٤٨، ٤٩
لجنة حقوق الإنسان: ٢٠٣
لجنة الرقابة الفرنسية: ٤٠
لجنة الشئون الخارجية بالكونجرس: ١٢٠
لجنة تهيئة الاستقلال فى جاوا: ١١٥٨
لجنة لوبلين Lublin : ٢١٤
لجنة المخدرات : ٣٠٣
لجنة مركز المرأة : ٣٠٣

- م -

المجلس الأعلى للحزب الفاشى: ٧٣، ٧٤، ١٥١
المجلس الاقتصادى الاجتماعى: The Economic and Social Council : ١٩٨، ٢٠٠، ٢٠٢
مجلس الأمن: The Security Council : ١٠، ١٩٥، ١٩٨، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٣ ـ ٢٠٥
مجلس الأمن القومى الأمريكى : ٣٠٤، ٣٠٩
المجلس البرلمانى الألمانى: ١٧٤
مجلس التاج الألمانى: ١٥
مجلس الحلفاء الأعلى: ٢١٣
مجلس الرايشستاج: ١٧ ـ ١٩
مجلس الشيوخ الأمريكى: ١١٨، ٣٠١، ٣٥٢
مجلس النواب الإيطالى : ٧١، ٧٤
مجلس وزراء الخارجية الأربعة : ١٧١ ـ ١٧٣، ١٧٦
مجلس الوزراء الفرنسى : ١٣٤

مـجلس الوصـاية : The Trusteeship Council : ١٩٨، ٢٠٣
مجلس اليابان الحليف: ١٨٦، ١٨٧
مـحكمة العدل الدولية: The International Court of Justice: ١٩٤، ١٩٨، ٢٠٠، ٢٠٤، ٢٠٥
المخـابرات المركـزية الأمـريكيـة: (CIA) ٣٢٣
المعسكر الاشتراكى: ٢٦٧ - ٢٧٢، ٣٤٧، ٣٤٩
المعسكر الرأسمالى: ٢٦٧ - ٢٧٢، ٣٤٧، ٣٤٩
منظمة الأغذية والزراعة: The Food and Agriculture Organization: ١٩٨
المنظمـة الاقـتصـادية لشـئون أوربا: ٣٤٩
منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو):
United Nations Educational, Scientific and cultural Organization (UNESCO): ١٩٩
منظمة الدول الامريكية: ١٢١
المنظمة الدولية للطيران:
International Civil Aviation Organization (ICAO): ١٩٩
منظمـه الصـحـة العالمية: World Health Organizatian: ١٩٩
المنظمة العالمية للأرصاد الجوية:
World Meteorological Organization: ١٩٩
منظمة العمل الدولية
International Labor Organizatian: ١٩٨
المؤسسة العسكرية الامريكية: ٣٠١

- ن -

النظام الاشتراكى العالمى: ٢٩٣
النظام الديمقراطى الليبرالى: ٢٧١، ٢٧٥
نظام سيفجارد للصواريخ: Safeguard System ٣٣٧

- هـ -

هيـئـة أركـان الحـرب المشـتـركـة الأمريكية: ٣٠٣، ٣٠٥
هيـئـة الأمم المتـحـدة: ١٠، ١٦٧، ١٩٢، ١٩٤، ١٩٦، ١٩٨، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٤ - ٢٠٦، ٢٩٤، ٢٩٦، ٣٢٦، ٣٥١
هيئة التنمية الدولية
International Development Association (IDA) ١٩٩

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- و -
وزارة الحربية الألمانيه: ٤٧
وزارة الخارجية الأمريكية: ٣٠٠،
٣١٢
وزارة الخارجية الفرنسية: ٥٠
وزارة الدفاع الأمريكية: ٣١٦، ٣٣٢
الوكالة الدولية للطاقة الذرية:
International Atomic Energy
Agency (IAEA): ٢٠٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٣ ـ كشاف البلاد والأماكن

ـ أ ـ

الاتحاد السوفيتي: ٨٥، ٨٧، ٨٩، ٩١، ٩٣ ـ ٩٨، ١٠٥ـ ١٠٧، ١٠٩ ـ ١١٤، ١١٧، ١١٨، ١٢٤، ١٢٨ ـ ١٣٠، ١٤٧، ١٥٤، ١٦٣، ١٧١ ـ ١٧٥، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٠ ـ ١٨٦، ١٨٨، ١٨٩، ١٩١ ـ ١٩٦، ٢٠١، ٢٠٨ ـ ٢١٧، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٤١، ٢٥٠، ٢٥٤، ٢٦٧، ٢٧٣ ـ ٢٧٥، ٢٧٨، ٢٨١، ٢٨٥ ـ ٢٨٩، ٢٩١ ـ ٢٩٤، ٢٩٨ ـ ٣٠٢، ٣٠٧، ٣٠٩، ٣١٢ ـ ٣١٥، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٧، ٣٣٩ ـ ٣٤١، ٣٤٦ ـ ٣٤٩، ٣٥١، ٣٥٣ ـ ٣٥٥.

اثينا: ٢٧٧

أثيوبيا أنظر: الحبشة

أديس ابابا: Addis Ababa ٧٥، ١٥٠

أراضي السوديت: Sudeten land: ٩٦، ١٢٧، ١٦٩

الأرجنتين: ١٩٨، ٢٤٥

الأردن: ٢٣٦

إريتريا: ١٠٠، ١٥٠، ١٧٧

أسبانيا: ١٠٠، ١١٥، ١١٦، ١٢٧، ١٣١

استراليا: ٩٨، ١٠٧، ١٨٦، ٢٩١، ٣٠٢ ـ ٣٠٥

إستريا Istria: ١٢٧، ١٥٤

استونيا Estonia: ٨١، ٩٧، ١١٠

إسرائيل: ٣٢٧، ٣٤٤

الاسكندرية: ١٣٣

أفريقيا الوسطى: ١٣٧، ٣٢٧

ألبانيا: ٦٩، ٧٥، ٩٠، ١٠٠، ١٧٧، ١٧٨، ٢١٧، ٣١١، ٣٤٩، ٣٥٥

الألزاس: ٨١، ١٢٧، ٢٦٥، ٢٦٦

ألمانيا: ٩، ١٤ـ١٨، ٢٠، ٢١، ٢٥ ـ ٢٧، ٣١ ـ ٣٣، ٣٦، ٣٨ ـ ٤٣، ٤٧، ٤٨ـ٥١ ـ ٥٥، ٥٧، ٥٨، ٦١، ٦٣، ٧٠، ٧٥، ٨١، ٨٣ ـ ٨٩، ٩١ ـ ٩٣، ٩٥، ٩٧، ٩٨، ١٠١، ١٠٩ ـ ١١١، ١١٥ ـ ١١٧، ١٢٠، ١٢٢، ١٢٩، ١٣١ ـ ١٣٦، ١٣٨، ١٤١، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٦٣ ـ ١٦٥، ١٦٧ ـ ١٧٦، ١٧٩ ـ ١٨٢، ١٨٨، ١٩٨، ٢١٣، ٢١٦، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٣٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٧، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٥، ٢٨١، ٣١١، ٣٤٤، ٣٥٥

ألمانيا الاتحادية: ٢٢٠، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٣، ٣٣٩، ٣٤٣، ٣٥٠، ٣٥١

ألمانيا الديمقراطية: ٢٢٠، ٢٤١
٢٧٠، ٢٧١، ٣٥٠، ٣٥٤
ألمانيا الشرقية ـ ألمانيا الديمقراطية ـ
ألمانيا الغربية ـ ألمانيا الاتحادية
أمريكا الشمالية: ٢٥٢، ٢٥٣
أمريكا اللاتينية: ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٣٥،
٢٤٠، ٢٤٣، ٢٥٢، ٢٥٣، ٣٢٣
ألاموجوردو Alamogordo ١٨٣
أنام Annam: ١٤٨، ٢٨٢
إنجلترا: ٦، ٣٩، ٥١، ٥٣، ٧٥، ٨٦،
٩١ ـ ٩٣، ٩٦، ١٠١، ١٠٦، ١١٢،
١٣٢، ١٦٤، ٢٢٣، ٢٢٨، ٢٣٣،
٢٣٤، ٢٣٩، ٢٦٧، ٢٦٩، ٢٨٥،
٣٤٠
إندونيسيا: ١٥٨، ١٨٥، ٢٣٧، ٢٦٠،
٣٠٤، ٣١١، ٣٣١
أنكونا: Ancona: ٧٢
أنهالت: Anhalt ١٦٥
أوبانجي Ubanghi: ١٣٨
أوديسا Odessa: ١٣٠
أوروجواى Uruguay: ٢٤٢ ـ ٢٤٤
أوروندي: ١٠١
أوغندا: ٣٢٧
أوكرانيا: ١١٢، ١٩٥، ٢١٣
أوكيناوا: Okınawa: ١٨١
أولم: Ulm: ١٦٦
إيران: ١٠٢، ٣٠٢، ٣٠٧
آيرلندا: ٩٨
آيسلندا: ١٢٣، ٢٩١
إيطاليا: ٧، ٥١، ٦٦ ـ ٧٠، ٧٣،
٧٥، ٨٣ ـ ٨٥، ٨٩ ـ ٩١، ٩٥،
٩٨، ١٠٠، ١١٤ ـ ١١٨، ١٢١،
١٢٨، ١٣٢، ١٣٨، ١٤٩ ـ ١٥٣،
١٧١، ١٧٦ ـ ١٧٨، ١٨٢، ٢١١،
٢٢٣، ٢٢٥، ٢٣٣، ٢٣٩، ٢٦٤،
٢٦٥، ٢٦٧، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٢،
٢٧٥، ٢٩١، ٣١١، ٣٤٤
ايوجيما: ١٠٢

ـ ب ـ

بادن Baden: ١٦٦
باريس: ١٣١، ٢٦٧، ٢٦٨، ٣٤٤
باڤاريا: ٢٠، ٤٣ ـ ٤٦
الباكستان: ٢٣٤، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٦٠،
٣٠٢
پال: ١٧
بالاتينا: Palatinate: ١٦٥، ١٦٦
بالاو: Palau: ١٨٠
البحر الأبيض المتوسط: ٩١، ١٣٣
١٣٨، ٢٢٦، ٢٦٤، ٢٧٧،
البحر الأحمر: ١٥٠
البحر الأسود: ٩٦، ١٣٠، ٢٧٦
بحر الادرياتيك: ٦٨، ٧٠، ١٥٣،
٢٦٤، ٢٧٤، ٢٧٥

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بحر ايجه Aegean Sea: ١٥٣
بحر الصين: ٢٨١
البحر الكاريبى Caribbian: ١٢١، ٣٢٤، ٣٣٤
البحرين: ٢٣٦
بحيرة لا دوجا: Ladoga ١١١
البرازيل: ٢٣٩ - ٢٤٣، ٢٤٥
براغ: ٢٢٠، ٢٧٤، ٢٧٥
براندنبورج: Brandenburg ١٦٥
البرتغال: ١٢٧، ٢٣١، ٢٩١
برزخ كاريليا: The Karelian Isthmus: ١١١
برست ليتوفسك: Brest Litovsk: ٢٦
برقة: ٧٥
برلين: ٩، ١٦، ٢١، ٤٤ - ٤٦، ٥١، ٧٥، ٨٩، ١١٣، ١٦٥، ١٦٧، ١٧٠، ١٧٤، ١٧٥، ٢١٣، ٢٧٠، ١٧١، ٢٧٤، ٢٧٥، ٣٠٧، ٣٥١
برمنجهام: Birmingham ٩٣
بروسيا: ٣٢، ٨١، ٩٥، ١٦٤، ٢٦٤، ٢٧٠
بريطانيا: ٣٩، ٥١، ٥٢، ٨٣، ٨٥ - ٨٨، ٩٢ - ٩٩، ١٠٥، ١١٣، ١١٥، ١١٦، ١٢٠، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٩، ١٣٣ - ١٣٥، ١٣٨، ١٤٠، ١٤٣، ١٤٧، ١٥٠، ١٥٣، ١٥٧، ١٦٣، ١٦٩ - ١٧١، ١٧٣، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٦، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٨، ٢١٠، ٢١٣ - ٢١٦، ٢٣٣، ٢٦٤، ٢٦٧، ٢٧٠، ٢٧٣، ٢٧٦، ٢٨٥، ٢٩١، ٣٠٢، ٣٠٥، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٥٦،
بساربيا: Bassarbia ١١٢، ١١٣، ١٢٩
بكين Peking: ١١٩، ٢٧٨، ٢٧٩
بلاد البنيلوكس: Benelux ١٧٤
البلاد المنخفضة: ١٧٤
بلجراد: ٢١١، ٢٧٤، ٢٧٥
بلجيكا: ٣٩، ٥١، ٥٣، ٨١، ٨٦، ٩١، ١٠١، ١٦٩، ١٧٤، ٢١٥، ٢٣٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٤٤
البلطيق: ٩٦، ٩٧، ١١٠، ١١٢، ١١٣، ٢٢٦، ٢٧٤، ٢٧٥
بلغاريا: ٧٥، ١١٣، ١١٤، ١١٧، ١٢٩، ١٣٠، ١٧٦، ٢١٠، ٢١٦، ٢٢٠
بنجلاديش: ٢٦٠
البندقية: ٢٦٤
بنزرت: ١٣٥، ١٤١
البنغال: Bengal: ٢٦٠
بنما: Panama: ١٠٢
بوتسدام: ٢٣، ١٦٧، ١٧١، ١٧٦، ١٨٣
بوخارست: ٢٧٤، ٢٧٥

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بودابست: ٢٧٤، ٢٧٥
بورت آرثر Port Arthur: ١٨، ١٨٢
بورما: ٩٨، ١٠٧، ١٢٨، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٩، ٢٣٧، ٢٤٥، ٢٥٩، ٢٨١، ٣٠٤
بوروندى: ٣٢٧
بوزن: Posen: ٨١، ٩٥
البوسفور Bosporus: ١١٤
البوسنة: ٢٦٦
بوكوفين: Bukovine ١١٢، ١١٣، ١٢٩
بولندا: ٢٦، ٤٠، ٥٤، ٥٧، ٨١، ٨٢، ٨٥، ٩٠ - ٩٢، ٩٥ - ٩٨، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٩، ١١٠، ١٢٨، ١٦٨، ١٦٩، ١٨٩، ٢١٢ - ٢٢٠، ٢٦٤، ٢٦٦، ٣١٠، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥١
بوليفيا: ٢٤٣، ٢٤٥
بوميرانيا Pomerania: ١٦٥
بون Bonn: ٢٧١
بونديشرى: ١٠٠
بوهيميا: Bohemia: ٨١، ٩٦، ١٢٨
بويرتوريكو: ١٠٠، ١٠١
بيرل هارير: Pearl Harbor ١١٨، ١٢٦، ١٥٦
بيرو: ٢٤٥

- ت -

تاهيتى: Tahiti: ١٣٧
تايلاند: ١٦٠، ٢٤٥، ٣٠٢، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٣١
تراقيا: Thrace: ١٣٠
ترانسلفانيا: Transylvania: ١٢٩، ١٣٠
تركيا: ٨٠، ٩١، ٩٦، ١٠٢، ٢٦٤، ٢٧٦، ٢٩١، ٣٠٢، ٣٤٩
تريستا: ١٧٧، ١٧٨، ٢١١، ٢٧٤
تشاد: ١٣٧
تشيكوسلوفاكيا: ٥٤، ٨١، ٨٢، ٩٠، ٩٤ - ٩٦، ١٠٦، ١٦٩، ١٨٩، ٢١٧ - ٢٢٠، ٢٦٦، ٣٠٧، ٣١١، ٣٤٨، ٣٥٤
تنجانيقا: ١٠١، ٣٢٧
تور: ١٣١
تورينج: Thuringia: ١٤٤، ١٦٥
تونس: ٩٠، ٩٩، ١٠٨، ١٣٢، ١٤١، ١٧٦
تونكين: ٢٨٢
تيانتسن: ١٧٩
تيرانا: ٧٥
البترول الإيطالى: ١٢٧، ١٥٤، ١٧٧

- ج -

جبال الأورال: Ural: ٣٤٣
الجيل الأسود: ٢٦٦

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جبل طارق: ١١٦، ١٤٤
الجـــزائر: ٩٩، ١١٦، ١٣٢، ١٣٣، ١٤٠، ١٤١، ١٤٤ - ١٤٦، ٢٣٧، ٢٥٨، ٣٤٠
جزرأدميرالتى Admiralty: ١٨١
جزر الدوديكانيز: ١٠٠، ١٧٧
جـزر ريوكـيـو: ١٠٢، ١٥٥، ١٨٠، ١٩١
جـزر سليـمـان Solomon Islands ١٥٦، ١٨٠، ١٨١.
جـزر فـرجين: Virgin Islands: ١٠١
جزر الفيلبين: ١٠٠، ١٠١، ١٠٧
جـــزر كـــوريل: ١٠٢، ١٨٠، ١٩٠، ١٩١
جزر مارشال: ١٠٢
جزر ماريانا: ١٠٢
جزر بونين: Bonin: ١٩١
جزيرة جرينلاند: ١٢١، ١٢٣
جزيرة جوام: ١٠٠ ـ ١٠٢
جزيرة جوليا فينسيا: ١٧٨
جزيرة ريباكى Rybachi: ١١١
جزيرة نيوفوندلاند: ١٢٤
جزيرة هانجو Hango: ١١٢
جـزيرة هاواى: Hawaiian Is ١٠١، ١٢٦، ١٥٦
الجـمـهـورية العـربيـة المتـحـدة أنظر مصر.
جدوا: ٧٢
جنوب أفريقيا: ٩٨
جنيف: ٥٣، ١٣١، ٢٨٤، ٣٢٨
جيبوتى: ٩٠، ١٣٢، ١٤٣
جيهول: ١٥٦، ٢٧٨

- ح -

الحـبـشـة: Ethiopia: ٧٥، ٨٧، ١٠٠، ١١٩، ١٥٠، ١٧٧، ١٧٨

- خ -

خط ماريث: Mareth: ١٤٠، ١٤١
خليج أرجنتيا: Argentia ١٢٤
خليدونيا الجديدة: Calidonia ١٣٧

- د -

الدار البيضاء: ١٤، ١٤١، ١٨١
داكار: ١٣٥، ١٣٨
دانزج: ٨١، ٩٥، ١٢٧
الدانمارك: ١٠١، ١٠٧، ١٢١، ١٢٣، ١٢٨، ١٦٨، ١٩١
داهومى Dahomey: ٩٩، ٣٢٧
دلماشيا: ٦٨، ٧٠، ١٢٨، ٢٦٦
دمشق: ١٣٩
دنكرك: ١٣٣
دول البلقـــان: ١٠٧، ١١٣، ١١٧، ١٢٧، ١٢٩، ١٥٢، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١٦
الدوديكانيز (جزر): Dodecanese: ١٥٣

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الدومينكان: Dominican: ٣٢٥
ديرين: Dairen ١٨٠

- ر -

الراين: ٥١ - ٥٣، ٨٦، ٩٢، ١٦٥ - ١٦٤
روتينيا: Ruthenia: ١٢٩
رودس: ٧٧
روزنبرج: Rosenberg: ٢٨
روسيا: ١٠، ١٦، ٢٠، ٢٦، ٥٥، ٨١، ٩٢، ٩٣، ١١١، ١١٢، ١٦٨، ١٨٢، ١٩٥، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٦، ٢٥٠، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٨٠، ٣٢٧، ٣٤٨
رومـــا: ٧، ٧٥، ٨٩، ١٥٣، ٢٧٢، ٣٤٤
رومانيا: Rumania: ٧٥، ٨١، ٨٢، ٩١، ٩٦، ١١٢، ١١٣، ١١٧، ١٢٩، ١٧٦، ٢١٠، ٢١٦ - ٢٢٠، ٣١١، ٣٤٨، ٣٤٩
الـــروهـــر: ٣٩، ٤٠، ٤٢، ٤٤، ٤٨، ٥٢، ١٦٤، ١٦٥، ١٧٢، ١٧٤
رينانيا (الضفة اليسرى لنهر الراين): ٥٤، ١٦٦، ١٦٩
ريودى أورو: Rio De Oro: ١١٦

- ز -

زارا Zara: ٦٨
زنزبار: ٣٢٧

- س -

ساحل العاج: Ivory Coast ٩٩
الســـار: Saar: ٥٤، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٣
الساكس: Sax: ١٦٥
سان بيتر: ١٤٣
سان فرانسيسكو: ١٨٩، ١٩١، ١٩٦، ١٩٧
سانتو دومنجو: Santo Domingo ٣٢٥
سايجون Saigon: ١٤٨، ٢٨٣، ٢٨٥، ٣٢٨
ستالينجراد: ١٠٨
سخالين: Sakhalin: ١٠٢، ١٥٥، ١٨٠، ١٨٢، ١٩١
السعودية: ٢٣٦
سكسونيا: ٤٢، ٤٤
سلافونيا Slavonia: ١٢٧، ٢٦٦
سلوفاكيا: ٧٥، ١٢٩
السنغال: Senegal: ٩٩
سهل الفوارير (فى لاوس): ٣٣٣
السودان الفرنسى: ٩٩، ١٥٠
سوريا: ١٠٠، ١٣٥، ١٣٨ - ١٤٠،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١٤٣، ٢٣٦، ٢٥٩
السويد: ٣٧، ١٢٧، ٢٦٤
سويسرا: ٥٧، ٦٩، ٩١، ١٢٧، ٢٦٥
سيام: ١٦٠
سيلان: ٢٣٧
سيليزيا العليا: ٨١

ـ ش ـ

شارع فلهلم: ٢٣
شلزفيج: ١٦٨
شانتونج: ٢٧٨، ٢٧٩
شبه جزيرة إستريا: ٢١١، ٢١٢
شتوتجارت: ١٦٦
شمال أفريقيا: ١٣٦، ١٣٧، ١٤٠ ـ ١٤٧، ٢٥٠
شنغهاى: ١١٩، ٢٧٨
شيكوكو: Shikoku: ١٧٩
شيلى: ٢٤٣

ـ ص ـ

الصحراء الغربية: ١٤٠
صحراء نيومكسيكو: ١٨٣
الصرب: ٨١
صفلية: ١٥١
صوفيا: ٢٧٤، ٢٧٥
الصومال الإيطالى: ١٠٠، ١٣٢، ١٧٧
الصومال البريطانى: ١٥٠
الصومال الفرنسى: ٩٩
الصين: ١٠٢، ١٠٧، ١١٩، ١٥٦، ١٧٧، ١٧٩ ـ ١٨١، ١٨٣، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٨، ٢٠١، ٢١٧، ٢٦٩، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٨١، ٢٨٣، ٢٩٣ ـ ٢٩٧، ٣٠٦ ـ ٣٠٨، ٣١١، ٣٢٥، ٣٣٢، ٣٣٥، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٤٦ ـ ٣٤٩، ٣٥٤

ـ ط ـ

طرابلس: ٦٩، ١٤٠
طهران: ١٦٤، ١٨٢، ١٩٣، ٢١٣
طوكيو: ١٨٦
طولون: ١٣٧

ـ ع ـ

عدن: ١٥٠، ٢٣٦
عدوه: Aduwa: ٧٥
العراق: ٨٠، ١٣٨، ١٣٩، ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٥٩، ٣٠٢
عكا: ١٤٠
العلمين: ١٠٨، ١٤٩

ـ غ ـ

غانا: ٣٢٧
غرناطة: ٥٠

غيانا: Guiana: ١٢١
غينيا: Guinia: ٩٩، ١١٦، ١٥٦

ـ ف ـ

فرانكفورت: Frankfurt ١٦٩
فايمار: Weimer١٥، ٢٦، ٢٩، ٣١، ٣٣، ٤٢، ٩٠
فرتمبورج: Vurtemberg ١٦٦
فرساى ـ فايمار
فرنسا: ٦، ٧، ٣٩، ٤٠، ٥٠ ـ ٥٤، ٥٧، ٥٨، ٧٠، ٨١ ـ ٨٨، ٩١ ـ ٩٩، ١٠١، ١٠٢، ١٠٥ ـ ١٠٧، ١١٢، ١١٥، ١١٦، ١٢٠، ١٢٨، ١٣١، ١٣٢، ١٣٤، ١٣٥، ١٤٣ ـ ١٤٦، ١٤٩، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٩ ـ ١٧٤، ١٧٦ ـ ١٧٨، ١٩٤، ١٩٧، ٢٠١، ٢١٥، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٣٣، ٢٣٧، ٢٣٩، ٢٦٤ ـ ٢٧٠، ٢٧٣، ٢٨٥، ٣٠٢، ٣٠٤، ٣١١، ٣٢٨، ٣٤٠، ٣٤٤
الفلبين: ١٥٧، ١٥٨، ٢٣٢، ٣٠٢، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٣١
فنلندا: ٨١، ٩٧، ١١١ ـ ١١٤، ١٧٦، ٢٦٤، ٢٦٦
فورموزا: ١٠٢، ١٥٥، ١٧٩، ١٩٠، ١٩١، ٢٨٠، ٣٠٤
فولتا العليا «بوركينافاسو»: ٩٩، ٣٢٧
فولتون: Fulton: ٢٧٤
فيتنام: ١٤٨، ٢٨٢ ـ ٢٨٥، ٣٠٦، ٣١١، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٣، ٣٥١، ٣٥٣
فيتنام الجنوبية: ١٤٨، ٢٨٥، ٣٢٩ ـ ٣٣٢
فيتنام الشمالية: ١٤٨، ٢٨٣، ٣٠٦، ٣٣٠ ـ ٣٣٢، ٣٥٢
فيشي Vichy: ١١٥، ١١٦، ١٢٢، ١٣٢، ١٣٣ ـ ١٣٩، ١٤١ ـ ١٤٣
فيينا: ٨، ٢٦٤ ـ ٢٦٨

ـ ق ـ

القاهرة: ١٧٩
قلعة ديان بيان فو: Dien Bien Phu ٢٨٤، ٣٢٨
القنال الإنجليزى: ١٣١
قناة السويس: ٣٤٠

ـ ك ـ

كاتنجا Katanga: ٣٢٦
كارولين Karoline: ١٠٢، ١٠٨
كاساى: ٣٢٦
الكاميرون: ١٠١، ١٣٨
كانتون: ١١٩، ٢٧٨
كرواتيا: ٧٥، ١٢٨
كمبوديا: ١٤٨، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٤، ٣٢٨، ٣٣١، ٣٣٣

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كندا: ٩٨، ١٢١، ١٢٢، ١٤٣، ٢٩١، ٣٥١
الكنغو البلجيكي: ١٠١، ٢٣٨، ٣٢٦
كوبا: ١٠٠، ٣٢٣، ٣٢٤
كوتشين تشاينا: Cochin China: ٢٨٢
كورسيكا: ٩٠
كوريا: ١٠٢، ١٧٩، ١٩٠، ٢٨٠ - ٢٨٢، ٢٩٤ - ٢٩٦، ٣٠٢، ٣٠٤، ٣١١، ٣٣٤
كوريا الجنوبية: ٢٨١، ٢٩٤، ٢٩٥
كوريا الشمالية: ٢٨١، ٢٩٤، ٣١١
كولومبيا: ٢٤٠
كولونيا: ٥٢
كونجزبرج: Konigsberg: ١٦٨
الكويت: ٢٣٦
كينيا: ١٥٠، ٣٢٧
كيوشو: Kyushu: ١٧٩
كييل Kiel: ١٦، ١٨، ٢٣، ١٦٤
لاتفيا Latvia: ٨١، ٩٧، ١١١
لاهاى the Hague: ٥٣، ٣٤٤
لاوس: ١٤٨، ٢٨٢، ٢٨٤، ٣٢٨، ٣٣١، ٣٣٣
لبنان: ١٠٠، ١٣٨ - ١٤٠، ١٤٣، ٢١٩، ٢٣٦، ٢٤١
لتوانيا Lithuania: ٨١، ١١١
لشبونة: ١٥١
لندن: ٥٩، ١٢٤، ١٥١، ١٧٣، ١٧٤، ٢١٤
لوبك: Lucbeck: ١٦
لوبلين Lublin: ٢١٤، ٢١٥
اللورين: ٨١، ١٢٧، ٢٦٥، ٢٦٦
لوكسمبرج: ١٦٩، ١٧٤، ٢٩١، ٣٤٤
ليبزج: Leipzig: ١٦
ليبيا: ١٠٠، ١٤٩، ١٥٠، ١٧٧
ليجهورن: Leghorn: ٧٢

- م -

ماجد بورج: Magdeburg ١٦
مارشل: Marchall: ١٨٠، ١٩٠
ماريانا: Mariana: ١٨٠، ١٨١، ١٩٠
مالطه: ١٥٢
مالميدى: Malmédy: ٨١
مالى: ٩٩
ماليزيا: ٣٢٨
المجر: ٩، ٣٢، ٧٥، ٨١، ١١٧، ١٢٩، ١٧٦، ٢١٦ - ٢٢٠، ٢٦٦، ٣١١، ٣٤٩
مجموعة فولكانو: ١٠٢
المحيط الأطلنطى: ١٢٣، ١٢٤، ١٣١، ٢٦٤، ٢٩١، ٣٠٢، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤٣، ٣٤٩
المحيط الهادى: ١٠١، ١٢٤، ١٥٦، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٦٤، ٣٢٢، ٣٥٢

المحيط الهندى: ٢٦٤
مدغشقر: Madagascar: ٩٩، ١٤٣
مراكش: ٨٧، ٩٩، ١١٦
مرتفعات كيرين: Keren: ١٥٠
مصر: ٥، ٧٥، ١٣٩، ١٤٩، ١٩٦، ٢٣٧، ٢٥٩، ٣٢٧، ٣٤٠، ٣٤٩
مضيق الدردنيل: Dardanelles ١١٤، ٢٧٦
مقاطعة بورن: ٢٦
مقاطعة سيليزيا العليا: ٤٠
مقدونيا: ١٣٠
الملايو: ١٥٦، ١٥٩، ١٦٠، ٢٤٠، ٢٤٣، ٣٠٤
المكسيك: ٢٢٤، ٢٤٥
ممر برينر: Brenner Pass: ١١٥
منشوريا: ١٠٢، ١٥٦، ١٧٩، ١٨٠، ١٨٢، ١٨٥، ٢٧٨
منشوكو: ١٠٢
منطقة شلزفيج الشمالية: ٨١، ٢٦٦
منغوليا: ١٨٠
موراڤيا Moravia: ٩٦، ١٢٨
موريتانيا: ٩٩
موسكو: ١١١، ١٥٤، ١٦٣، ١٧٢، ١٨٦، ١٩٣، ١٩٤، ٢٠٩ - ٢١١، ٢٧٤
مونترو Montreux: ١١٦، ١٣٥، ٢٧٦
مونتوار: Montoir: ١١٦
ميدويى Midway: ١٠١، ١٠٨
ميكيلون: ١٤٣
ميلان: ٧٣
ميناء أوديسا: ١٣٠
ميناء بليموث: Plymouth ١٣٣
ميناء بورتسموث Portsmouth ١٣٣
ميناء بيتسامو Petsamo: ١١١، ١١٧
ميناء ديرين: Dairen: ١٨٠
ميناء فيوم: Fiume: ٦٧، ٦٨
ميناء هانجو: Hango: ١١١، ١١٢
ميونخ: ٣٢، ٣٧، ٤٣، ٤٥، ٩٤، ٩٥، ٢١٧

- ن -

نابولى: ٧٣
نانكين Nanking: ١١٩، ٢٧٨
نجاساكى: Nagasaki: ١٧٩، ٢٧٢
النرويج: ١٧، ١٢٨، ١٣٣، ٢٩١
النمسا: ٩، ٤٣، ٤٧، ٥٥، ٥٨، ٧٠، ٨١، ٨٤، ٩٠، ٩٢، ١٠٦، ١٦٣، ١٧١، ٢٦٤، ٢٦٦، ٢٧٠، ٣٤٢
النهر الأحمر: ٣٠٦
نهر الأودر: Oder: ١٦٨، ١٦٩، ٢١٣
نهر الدانوب: ١١٢

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نهر نايس Neisse: ١٦٨
نهر اليانجتسى: ٢٧٩
النيجر: Niger: ٩٩
نيجريا: ٣٢٧
نيكاراجوا: ٢٤٥
نيوزيلاندا: ٩٨، ١٠٧، ١٨٦، ٢٩١، ٣٠٢، ٣٠٤، ٣٠٥
نيوفوندلاند: ٩٨، ١٤٣
نيويورك: ٥٧، ١٧٢، ٢٠١

- هـ -

هامبورج: Hamburg: ١٦، ٤٤، ١٦٤
هانوفر: Hanover: ١٦
هانوى: ٢٨٣، ٣٠٦، ٣٣٢
هبرايد الجديدة: New Hebrides: ١٣٧
الهرسك: ١٢٨
هس - كاسل: Hess - Cassel ١٦٥
هس - ناساو: Hess - Nassaw ١٦٥
الهند: ١٠، ١٠١، ١٠٧، ١٢٢، ١٨٠، ١٨٦، ١٩١، ٢٣٤، ٢٣٧، ٢٤١، ٣٠٤، ٣٢٨، ٣٤٩.
الهند الصينية: ١٠٠، ١٤٧، ١٤٨، ٢٨٠ - ٢٨٢، ٢٨٤، ٢٨٥، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٧، ٣١١، ٣٢٨، ٣٣١، ٣٣٣
هندوراس: ٢٤٥
هوكايدو: Hokkaido: ١٧٩
هولندا: ٥٣، ٩١، ١٢٨، ١٦٩، ٢٣٣، ٢٣٩، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٩١، ٣٤٤
هونشو: Honshu: ١٧٩
هيروشيما Hiroshmia: ١٧٩، ١٨٣، ٢٧٢، ٢٧٦، ٢٧٨

- و -

واحة جغبوب: ٧٥
وادى البو: Po: ٦٩
وارسو: ٢١٤، ٢١٥، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٧٥
واشنطن: ١٢٤، ١٦٣، ١٨١، ١٩٢، ١٩٣، ٢١٥، ٢٧٠
الولايات المتحدة: ٩، ١٥، ١٦، ٥٥، ٥٧، ٩٨، ١٠٠، ١٠١، ١٠٦، ١١٥، ١١٧ - ١٢٤، ١٢٦، ١٣٢، ١٣٩، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٧، ١٤٨، ١٥٤، ١٥٧، ١٦٣، ١٦٥، ١٧٠، ١٧١، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٧ - ١٧٩، ١٨١، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٨ - ١٩٦، ٢٠١، ٢١٤ - ٢١٦، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٣١ - ٢٣٥، ٢٣٧ - ٢٤١، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٥٢,٢٦٥، ٢٦٧ - ٢٦٩، ٢٧٢ - ٢٧٤، ٢٧٦ - ٢٧٩، ٢٨٣ - ٢٩٣، ٢٩٥ - ٢٩٩، ٣٠١، ٣٠٢،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٣٠٥، ٣٠٧ - ٣١٠، ٣١٢ - ٣١٩،
٣٢١ - ٣٢٣، ٣٢٥ - ٣٣٣، ٣٣٥
- ٣٣٧، ٣٣٩ - ٣٤٥، ٣٤٩، ٣٥١
- ٣٥٦.
وهران: ١٣٣، ١٤٠
ويك: Wake: ٩٨

- ى -

اليابان: ٨٨، ٨٩، ٩٣، ٩٨، ١٠٢،
١٠٥، ١١٧، ١١٨، ١٢١، ١٢٤،
١٢٨، ١٤٧، ١٤٨، ١٥٥ - ١٥٧،
١٨٠ - ١٨٥، ١٨٧، ١٨٩ - ١٩١،
١٩٨، ٢٢٥ ٢٣٣، ٢٣٩، ٢٥١،
٢٦٥، ٢٧١ - ٢٧٣، ٢٧٥، ٢٧٧،
٢٧٨، ٢٨٠، ٢٩١، ٣٠٤، ٣٣٩،
٣٤٧، ٣٥٤
يالتا: ١٦٦، ١٦٧، ١٨٢، ٢١٣،
٢١٥، ٢٧٠، ٢٧٢
يوبين Upen: ٨١
يوغوسلافيا: ٥٤، ٦٨، ٧٠، ٨١،
٨٢، ١٢٨، ١٣٠، ١٥٣، ١٧٨، ٢١٠
- ٢١٢، ٢١٧، ٢١٨، ٣١١، ٣٤٩
اليونان: ٨٢، ٩١، ١١٧، ١٣٠،
١٥٣، ١٧٧، ١٧٨، ٢١٠، ٢١٥،
٢٧٦، ٢٧٧، ٢٨٥، ٢٩١، ٣٠٧،
٣١١، ٣٤٩
ينان: Yenan: ٢٧٩

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٤ ـ كشاف الحوادث

ـ أ ـ

الاتفاق البحرى بين بريطانيا وألمانيا: ٨٥

اتفاق بريان ـ كيلوج: ـ Brian Kellogg: ٨٣، ١١٩

اتفاق التنازل عن واحة جغبوب: ٧٥

اتفاق جنيف: ٢٨٤، ٣٢٨

اتفاق سنة ١٨٩٦: ١٧٦

الاتفاق الفرنسى الألمانى سنة ١٩٥٦: ١٧٠

اتفاقية الدفاع المشترك اليابانية الأمريكية: ١٩٠

اتفاقية روما: ٣٤٤

اتفاقية سنة ١٩٢٥: ٥١، ٥٢، ٨٣

الاتفاقية العسكرية بين بريطانيا وفرنسا والاتحاد السوفيتى: ٩٦

اتفاقية لوكارنو: Locarno Pact ٥٠، ٥٣، ٨٢، ٨٣، ٨٦

اثفاقية مايو سنة ١٩٤١: ١٣٥، ١٣٦

اتفاقية مونترو: Montreux Pact ٢٧٦

احتلال الاتحاد السوفيتى لبلغاريا: ٢١٦

احتلال داكار: ١٣٨

احتلال الراين: ٥١، ٨٦، ٩٤

احتلال فرنسا الروهر: ٣٨، ٤٠، ٤١، ٥٢

احتلال مقاطعة بوزن: ٢٦

احتلال منشوريا: ٢٧٨

احتلال النمسا: ٩٠

احتلال اليابان: ١٨٤

احتلال اليابان لموانى الصين سنة ١٩٣٧: ١١٩

اختطاف موسولينى: ١٥٢

الأزمة الاقتصادية من ١٩٢٩ ـ ١٩٣٣: ٥٥

أزمة الشرق الأوسط: ٣٤٤

أزمة الصواريخ الكوبية: ٣٥٥

أسبوع الدماء فى ألمانيا من ١٠ ـ ١٧ يناير سنة ١٩١٩: ٢٣، ٢٤

استقلال فيتنام: ١٤٨

استيلاء هتلر على تشيكوسلوفاكيا ٩٠

إضراب يوليو سنة ١٩١٩ فى ألمانيا: ٣٤

إطلاق القمر الصناعى سبوتنيك: Sputnik: ٣١٣

إعلان حالة الطوارئ: ٤٢

إلقاء أول قنبلة ذرية على هيروشيما: ١٨٣، ١٧٩، ٢٧٢

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إلقاء القنبلة الذرية الثانية على نجازاكى: ١٧٩، ١٨٣
إنتخابات ١٩ يناير سنة ١٩١٩ فى ألمانيا: ٢٤، ٢٥
إنشاء جمهورية ألمانيا الاتحادية: ٢٧٠
إنشاء جمهورية ألمانيا الديمقراطية: ١٧٥، ٢٧١
إنفصال بليچكا عن هولندا سنة ١٨٣١: ٢٦٥
إنفصال البنغال عن الباكستان: ٢٦٠
إنقسام المعسكر الشيوعى: ٣٤٦
إنقلاب سبتمبر سنة ١٩٦٣ فى الدومينيكان: ٣٢٥
إنقلاب قاعة الجعة: The Beer Hall Putsch ٤٦ - ٤٨
إنقلاب كاب: The Kapp Putsch: ٣٢، ٣٦، ٣٧
إنقلاب كار فى ميونخ: Kahr ٣٧
الانقلاب النازى: ٣٠

- ت -

تأميم البنوك الخاصة فى بورما: ٢٣٧
تأميم قناة السويس: ٣٤٠
تأميم محطات البنزين فى سيلان: ٢٣٧
التحالف السياسى بين روما - برلين: Roma - Berlin Axis ٧٥
تحرير كوريا: ٢٨٠
تحطيم حلف بغداد: ٣١١
تسوية باريس - مؤتمر الصلح فى باريس
تسوية دوز Dowes — مشروع دوز
تسوية فيينا - مؤتمر فيينا
تصريح الأمم المتحده: ١٩٢
تصفية الشيوعيين فى باڤاريا: ٤٤
تقسيم ألمانيا: ١٦٣، ١٦٤
تكوين دول المحور: ٨٨، ٨٩

- ث -

الثورة الاشتراكية الروسية: ١٠، ٣٦، ٩١، ١٠٢، ٢٥٠
ثورة أكتوبر سنة ١٩١٧ - الثورة الاشتراكية الروسية
ثورة البروليتاريا العالمية: ٢٥٢، ٢٥٤
الثورة البورجوازية فى إنجلترا: ٦
الثورة الجزائرية: ٣١١
الثورة السوڤيتية فى ألمانيا: ١٧ - ٢٠
ثورة فرانكو: ٨٧
الثورة الفرنسية: ٨
الثورة فى ميونيخ: ٢٠
ثورة نوفمبر: ٢٧

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- ح -

الحرب الألمانية الفرنسية سنة ١٨٧٠: ٢٦٥

الحرب الأمريكية فى فيتنام: ٣٥٣

الحرب الأهلية الإسبانية: ٨٧، ٨٨

الحرب الأهلية الأمريكية: ٩

الحرب الأهلية الإيطالية: ١٥٢، ١٥٣

الحرب الأهلية الصينية: ١٨٨، ٢٧٩

الحرب الأهلية فى اليونان: ٢٧٧

الحرب الباردة: ٢٦٤، ٢٦٨، ٢٧٠، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٨١، ٢٨٣، ٢٨٧، ٣٤٣.

حرب الثلاثين: ٦

حرب السنوات السبع من سنة ١٧٥٦ - ١٧٦٣: ٢٢٨

الحرب العالمية الأولى: ٩، ٥٥، ٦٧، ٧٩، ٨٠، ٨٣، ٨٥، ٩٢، ١١٨، ١٤٤، ١٧٩، ٢٢٥، ٢٦٥، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٧٣

الحرب العالمية الثانية: ١٠، ٦٤، ٧٩، ٩٨، ١٠٥، ١٠٨، ١٢٦، ١٤٧، ١٦٣، ١٧٩، ١٩٢، ٢٠٨، ٢٢٦، ٢٣١، ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٨، ٢٤١، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٦٨، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٥، ٢٧٧، ٢٨٠ - ٢٨٢، ٢٨٥، ٢٩٣، ٢٩٤، ٣١٠، ٣٢٦، ٣٣٩، ٣٤٦، ٣٤٨، ٣٥٠، ٣٥٤، ٣٥٥.

حرب فرنسا فى الجزائر: ٣٤٠

حرب الفرم من سنة ١٨٥٣ - ١٨٧٦: ٢٦٥

حرب الهند الصينية: ٣٢٨

حرق الرايشستاج: ٦٢

الحركة الاشتراكية العالمية: ٢٥٦

حركة الإصلاح الدينى: ٦، ٧

حركة التحرر الوطنى: ٢٤٨ - ٢٥٨، ٢٩٣، ٣١٦، ٣٤٨.

حركة عدم الانحياز: ٣٤٩

الحركة العمالية العالمية: ٢٩٣

حروب الوراثه الأسبانية: ٦

الحروب النابوليونية: ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٧٣

الحصار البحرى البريطانى على سوريا ولبنان: ١٣٨

حصار كوبا: ٣٢٤

حل الرايشستاج: ٦١

حملة بروبروسه Barbarossa على روسيا: ١١٤

- د -

دستور جمهورية باڤاريا: ٢٩ - ٣١

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- س -

سحب الصواريخ السوفيتية من كوبا: ٣٢٥

سقوط الجزائر: ١٤١

سقوط روما: ١٥٣

سقوط غرناطة: ٥

سقوط فرنسا: ١٢٠، ١٢١

سقوط قلعة ديان بيان فو: ٣٢٨

- ع -

العدوان الثلاثى: ٣٤٠

عملية خليج الخنازير: Bay of Pigs in-vasion ٣٢٤

- غ -

غزو إيطاليا: ٢١١

غزو إيطاليا لألبانيا: ٩٠

غزو مدغشقر: ١٤٣

- ق -

قانون الإعارة والتأجير: The Lease - Lend act: ١٢٢، ١٢٤

قانون الانتخابات: ٧٤

قانون التجنيد الإجبارى: ١٢٢

قانون الحياد سنة ١٩٣٤: ١١٩

قبول ألمانيا شروط الهدنة: ١٥، ١٦

قرارات المؤتمر الاشتراكى العالمى فى بال سنة ١٩١٢: ١٧

قوانين عامى ١٩٢١، ١٩٢٢: ٣٠

قيام جمهورية فايمار Weimar ١٥، ٢٠، ٣١، ٣٣

قيام النازية فى ألمانيا: ١٤، ١٥

- م -

مبدأ ترومان سنة ١٩٤٧: ٢٨٨، ٢٨٩

مبدأ هالشتاين: Hallsteine Doctrine ٣٥١

مشروع دوز Dawes: ٤٨، ٥٣، ٥٤

مشروع يانج: Young Plan: ٥٣

معاهدة أديس أبابا Ades Ababa: ٧٥

معاهدة ١٢ أكتوبر سنة ١٩٢٠ بين بولندا وروسيا: ٨٢

معاهدة التحالف الفرنسية السوفيتية: ٨٥، ٨٦، ٩٣

معاهدة التعاون البولندية السوفيتية: ٢١٦

معاهدة حلف شمال الأطلنطى: North Atlantic Treaty organization (NATO): ٢٩١

معاهدة ريجا Riga: ٢١٣

معاهدة الصلح فى باريس: ٦٨، ١٦٨، ١٧٧، ١٧٨، ٢٦٦، ٢٦٨، ٢٧١.

معاهدة الضمان المتبادل ــ اتفاقية سنة ١٩٢٥.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

معاهدة فرساى: ٢٥ ـ ٢٨، ٣٧، ٣٩، ٤٣، ٥١ ـ ٥٣؛ ٨١، ٨٦، ١١٠، ١١٦، ١١٨
المعاهدة الفرنسية الألمانية سنة ١٩٦٣: ٣٤٣
المعاهدة الفرنسية البولندية: ٨٣
المعاهد الفرنسية التشيكيه: ٨٣
معاهدة لوكارنو ـ اتفاقية لوكارنو
معركة العلمين: ١٠٨
معركة ميدواى: Midway ١٠٨
مهاجمة الأسطول الأمريكى سنة ١٩٤١ فى بيرل هاربور: ١٢٦
مؤامرة الجيش الأسود فى بافاريا: Black Reichwehr: ٤٣
مؤتمر الأمن الأوربى: ٣٥١
مؤتمر برلين ٩٠
مؤتمر بوتسدام: ١٧١، ١٧٦، ٢٨٢
مؤتمر الدار البيضاء: ١٤١، ١٤٥، ١٨١
مؤتمز دمبرتن أوكس: Dumbarton Oaks ١٩٣، ١٩٤
مؤتمر سان فرنسسكو: ١٨٩، ١٩١، ١٩٦ ـ ١٩٨
مؤتمر الصلح ـ معاهدة فرساى
مؤتمر طهران: ١٦٤، ١٨٢، ١٩٣، ٢١٣
مؤتمر الفاشست الوطنى: ٧٣
مؤتمر ڤيينا: ٨، ٢٦٤ ـ ٢٦٦، ٢٦٨، ٢٧١
مؤتمر القاهرة سنة ١٩٤٣: ٢٨٠
مؤتمر كيبك Quebec: ١٦٥
مؤتمر لاهاى: ٥٣، ٣٤٤
مؤتمر لندن: ١٧٤
مؤتمر مجالس العمال والجنود: ٢٢، ٣٣
مؤتمر المشكلات الآسيوية: ٣٠٥
مؤتمر موسكو: ١٦٣، ٢٧٢
مؤتمر واشنطن: ١٨١
مؤتمر وزراء المالية بلندن: ٥٩
مؤتمر يالتا Yalta: ١٦٦، ١٧٩، ١٩٥، ٢١٥، ٢٧٠، ٢٧٢
موقعة عدوة Aduwa: ٧٥
ميثاق الأطلنطى: ١٢٤ ـ ١٢٦، ١٩٢
ميثاق بريان ـ كيلوج ـ اتفاق بريان ـ كيلوج
ميثاق عدم الاعتداء السوفيتى الألمانى: ٩٧، ١١٠
ميثاق لوكارنو ـــ اتفاق لوكارنو

ـ هـ ـ

الهجوم الإيطالى على الحبشة: ٨٧
هجوم بيرل هاربر: ٢٨٧
هدنة عكا: ١٤٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الهـدنة مع ألمانيـا: ١٣١، ١٣٣ ـ ١٣٦
الهدنة مع إيطاليا: ١٣٢
هزيمة ألمانيا: ١٨٢، ٢٢٥ ـ ٢٦٧
هزيمة اليابان: ٢٧٨
هزيمة الجيش المصرى فى يونيه سنة ١٩٦٧: ٣٢٧

ـ و ـ

الوحدة الإيطالية: ٩

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٥ ـ كشاف الدوريات

أ ـ الجرائد

ـ أ ـ

أفانتى Avanti : ٧٠

ـ ب ـ

بوبولو ديتاليا

Popolo d'Italia : ٧٠

ـ ف ـ

الفويلكيشر بيوباختر Voelkischer

Beobachter : ٤٥

ـ م ـ

المانشستر جارديان: ٣٠٨

ـ ن ـ

النيويورك هيرالدتريبون: ٢٨٦

ب ـ المجلات

ـ م ـ

مجلة الشئون الخارجية: ٢٨٧ ، ٣٠٨

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من أهم الأعمال العلمية المنشورة للمؤلف

١ - تطور الحركة الوطنية فى مصر (١٩١٨ - ١٩٣٦) (القاهرة: دار الكاتب العربى ١٩٦٨) .

٢ - تطور الحركة الوطنية فى مصر (١٩٣٧ - ١٩٤٨) - مجلدات (بيروت : دار الوطن العربى ١٩٧٣) .

٣ - الصراع الاجتماعى والسياسى فى مصر من ثورة يوليو إلى أزمة مارس ١٩٥٤ . (القاهرة : مكتبة مدبولى ١٩٧٥) .

٤ - عبد الناصر وأزمة مارس . (القاهرة : دار روز اليوسف ١٩٧٦) .

٥ - الجيش المصرى فى السياسة (١٨٨٢ - ١٩٣٦) (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧) .

٦ - صراع الطبقات فى مصر (١٨٣٧ - ١٩٥٢) . (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٨) .

٧ - الصراع بين الوفد والعرش (١٩٣٦ - ١٩٣٩) . (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٩) .

٨ - الفكر الثورى فى مصر ، قبل ثورة ٢٣ يوليو . (القاهرة: مكتبة مدبولى ١٩٨١) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٩ - المواجهة المصرية الاسرائيلية فى البحر الأحمر (١٩٤٩ - ١٩٧٩) :

الطبعة الأولى (القاهرة : دار روز اليوسف ١٩٨٢) .

الطبعة الثانية (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦).

١٠ - الاخوان المسلمون والتنظيم السرى . (القاهرة : دار روز اليوسف يناير ١٩٨٣) .

١١ - الصراع بين العرب وأوروبا ، من ظهور الاسلام إلى انتهاء الحروب الصليبية . (القاهرة : دار المعارف ١٩٨٣) .

١٢ - حرب أكتوبر فى محكمة التاريخ . (القاهرة : مكتبة مدبولى ١٩٨٤).

١٣ - مذكرات السياسيين ، الزعماء فى مصر . (القاهرة : دار الوطن العربى ١٩٨٤) .

١٤ - تحطيم الآلهة ، حرب يونيو ١٩٦٧ . (جزءان) (القاهرة : مكتبة مدبولى ١٩٨٤) .

١٥ - الغزوة الاستعمارية للعالم العربى ؛ وحركات المقاومة . (القاهرة : دار المعارف) .

١٦ - مصر فى عصر السادات (الجزء الأول) (القاهرة : مكتبة مدبولى ١٩٨٦) .

١٧ - مذكرات سعد زغلول ، تحقيق ، الجزء الأول (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧) .

١٨ - مصطفى كامل فى محكمة التاريخ:

الطبعة الأولى (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة تاريخ المصريين رقم ١ سنة ١٩٨٧) .

الطبعة الثانية (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة تاريخ المصريين سنة ١٩٩٤).

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١٩ – أكذوبة الاستعمار المصرى للسودان :

الطبعة الأولى (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة تاريخ المصريين رقم ١٣ سنة ١٩٨٨) .

الطبعة الثانية (القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة ١٩٩٦).

٢٠ – مذكرات سعد زغلول ، تحقيق ، الجزء الثانى . (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨) .

٢١ – مذكرات سعد زغلول ، تحقيق ، الجزء الثالث . (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٩) .

٢٢ – مصر فى عصر السادات ، الجزء الثانى . (القاهرة : مكتبة مدبولى ١٩٨٩) .

٢٣ – مذكرات سعد زغلول ، تحقيق ، الجزء الرابع . (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠) .

٢٤ – الاجتياح العراقى للكويت فى الميزان التاريخى (القاهرة : الزهراء – ١٩٩٠) .

٢٥ – حرب الخليج فى محكمة التاريخ . (القاهرة : الزهراء– ١٩٩٠) .

٢٦ – العلاقات المصرية الاسرائيلية (١٩٤٨ – ١٩٧٩) (القاهرة : سلسلة تاريخ المصريين ٤٩ سنة ١٩٩١) .

٢٧ – مذكرات سعد زغلول ، تحقيق ، الجزء الخامس . (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢) .

٢٨ – الصراع الاجتماعى والسياسى فى عصر مبارك . (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢٩ – تاريخ الاسكندرية فى العصر الحديث . (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣، سلسلة تاريخ المصريين عدد ٦١).

٣٠ – تاريخ مصر والمزورون . (القاهرة : الزهراء – ١٩٩٣) .

٣١ – أوهام هيكل وحقائق حرب الخليج. (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣).

٣٢ – قصة بناء المواطنة الخليجية. (القاهرة : مركز المنار للنشر والدراسات الاعلامية ١٩٩٣).

٣٣ – الصراع الاجتماعى والسياسى فى عصر مبارك، الجزء الثانى (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣).

٣٤ – الإخوان المسلمون والتنظيم السرى، الطبعة الثانية (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣).

٣٥ – مذكرات سعد زغلول، تحقيق، الجزء السادس (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣).

٣٦ – الصراع الاجتماعى والسياسى فى عصر مبارك، الجزء الثالث (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤)

٣٧ – الصراع الاجتماعى والسياسى فى عصر مبارك، الجزء الرابع، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤).

٣٨ – الصراع الاجتماعى والسياسى فى عصر مبارك، الجزء الخامس، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥).

٣٩ – جماعات التكفير فى مصر (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥).

٤٠ – مصر قبل عبدالناصر (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥).

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٤١ – أوراق فى تاريخ مصر (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥).

٤٢ – هيكل والكهف الناصرى (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥).

٤٣ – مصر فى عصر مبارك «الجزء السادس» (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥).

٤٤ – مصر فى عصر مبارك «الجزء السابع» (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥).

٤٥ – رحلات مؤرخ (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦).

٤٦ – مذكرات سعد زغلول، تحقيق، الجزء السابع (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦).

٤٧ – تاريخ أوروبا والعالم فى العصر الحديث، من ظهور البورجوازية الأوروبية إلى الحرب الباردة «الجزء الأول» من ظهور البورجوازية الأوروبية إلى الثورة الفرنسية [القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦].

٤٨ – تاريخ أوروبا والعالم فى العصر الحديث، من ظهور البورجوازية الأوروبية إلى الحرب الباردة «الجزء الثانى» من تسوية مؤتمر ڤيينا إلى تسوية مؤتمر ڤرساى [القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦].

٤٩ – تاريخ أوروبا والعالم فى العصر الحديث، من ظهور البورجوازية الأوروبية إلى الحرب الباردة «الجزء الثالث» من من قيام النازية فى ألمانيا إلى الحرب الباردة [القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦].

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مع آخرين :

١ - مصر والحرب العالمية الثانية ، مع الدكتور جمال الدين المسدى والدكتور يونان لبيب رزق (القاهرة : مؤسسة الأهرام ١٩٧٨) .

٢ - تاريخ أوروبا فى عصر الرأسمالية ، مع الدكتور يونان لبيب رزق ود . رءوف عباس . (القاهرة : دار الثقافة العربية ١٩٨٢) .

٣ - تاريخ أوروبا فى عصر الامبريالية ، مع الدكتور يونان لبيب رزق ود.رءوف عباس . (القاهرة : دار الثقافة العربية ١٩٨٢).

كتب مترجمة :

١ - تاريخ النهب الاستعمارى لمصر ، (١٧٩٨ - ١٨٨٢) تأليف جون مارلو . (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦)

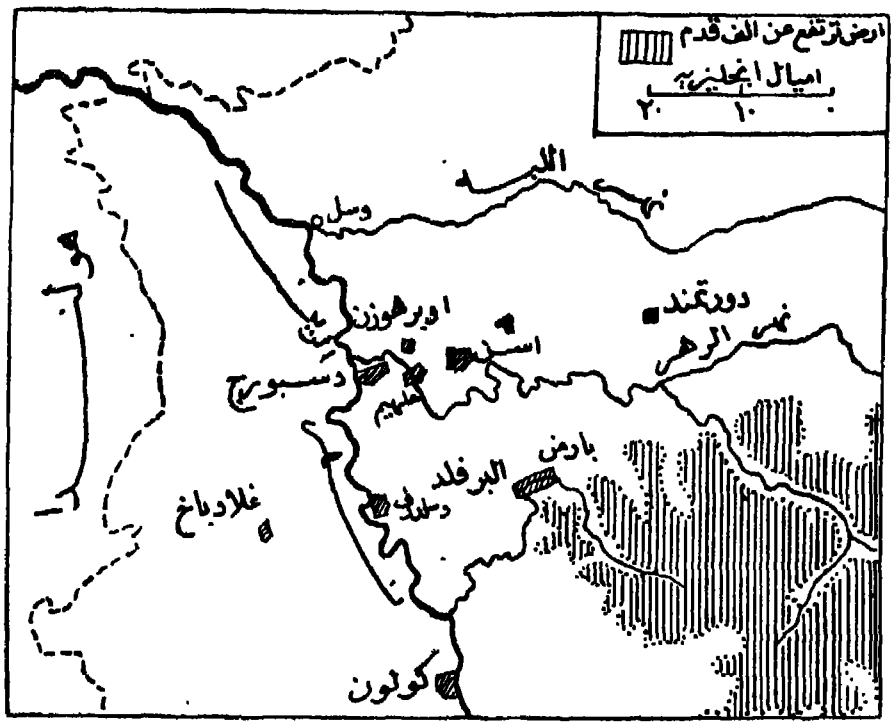
ارض ترتفع عن الف قدم
اميال انجليزية
٠ ١٠ ٢٠
اللبسه
وسلم
اوبرهوزن
دورتمند
نهر الرهر
اسن
دسبورج
البرفلد
بارمن
غلادباخ
كولون

خريطة الرهر

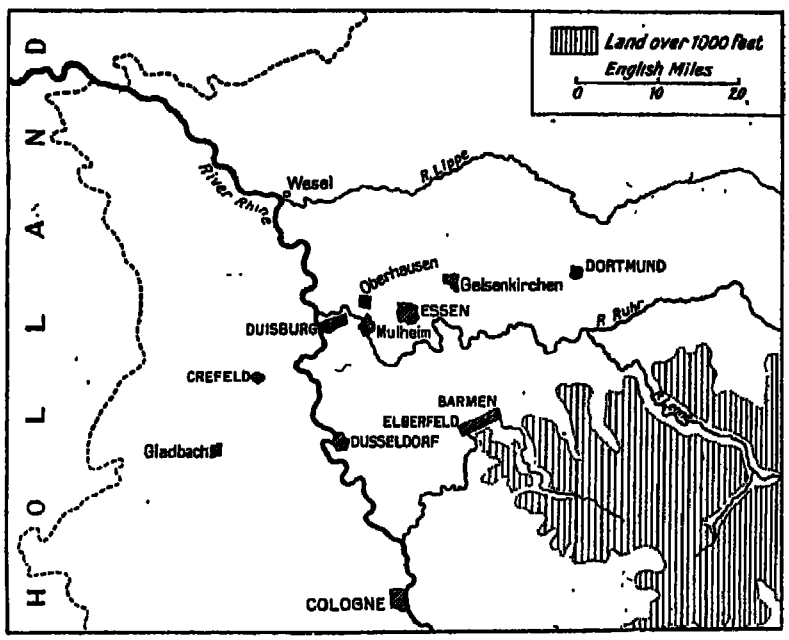
Land over 1000 feet
English Miles
0
10
20
HOLLAND
River Rhine
Wesel
R. Lippe
Oberhausen
Gelsenkirchen
DORTMUND
ESSEN
Mulheim
DUISBURG
R. Ruhr
CREFELD
BARMEN
ELBERFELD
DUSSELDORF
Gladbach
COLOGNE

THE RUHR.

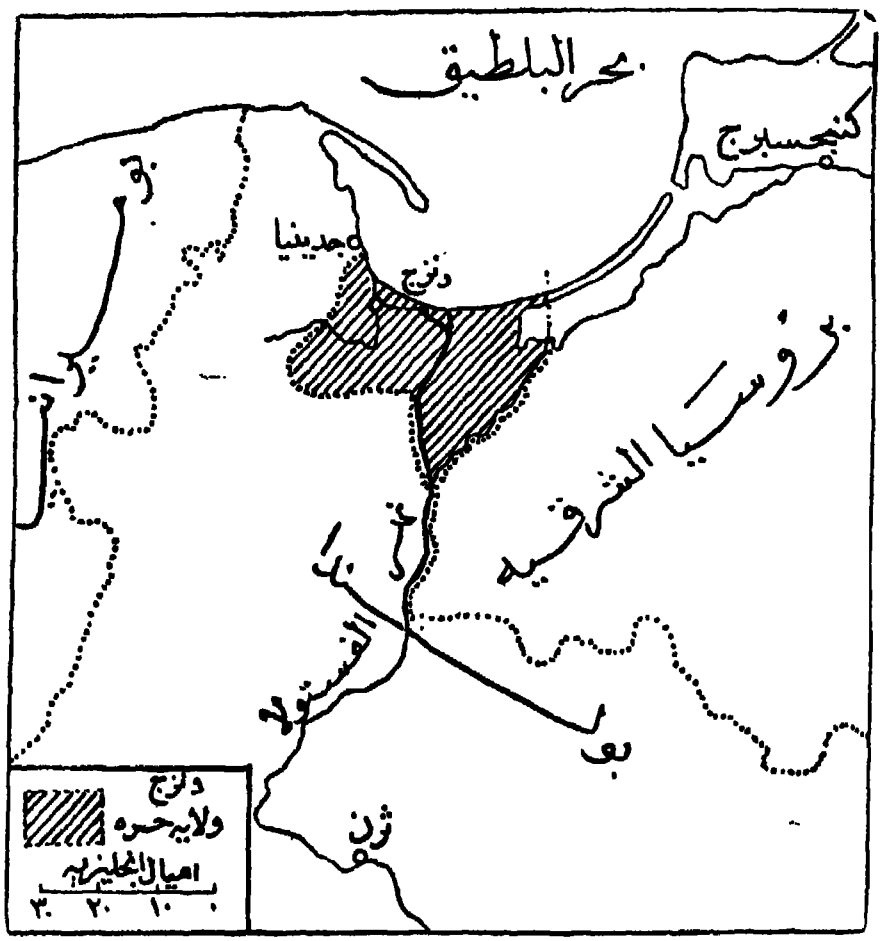

دنزج والممر البولندى

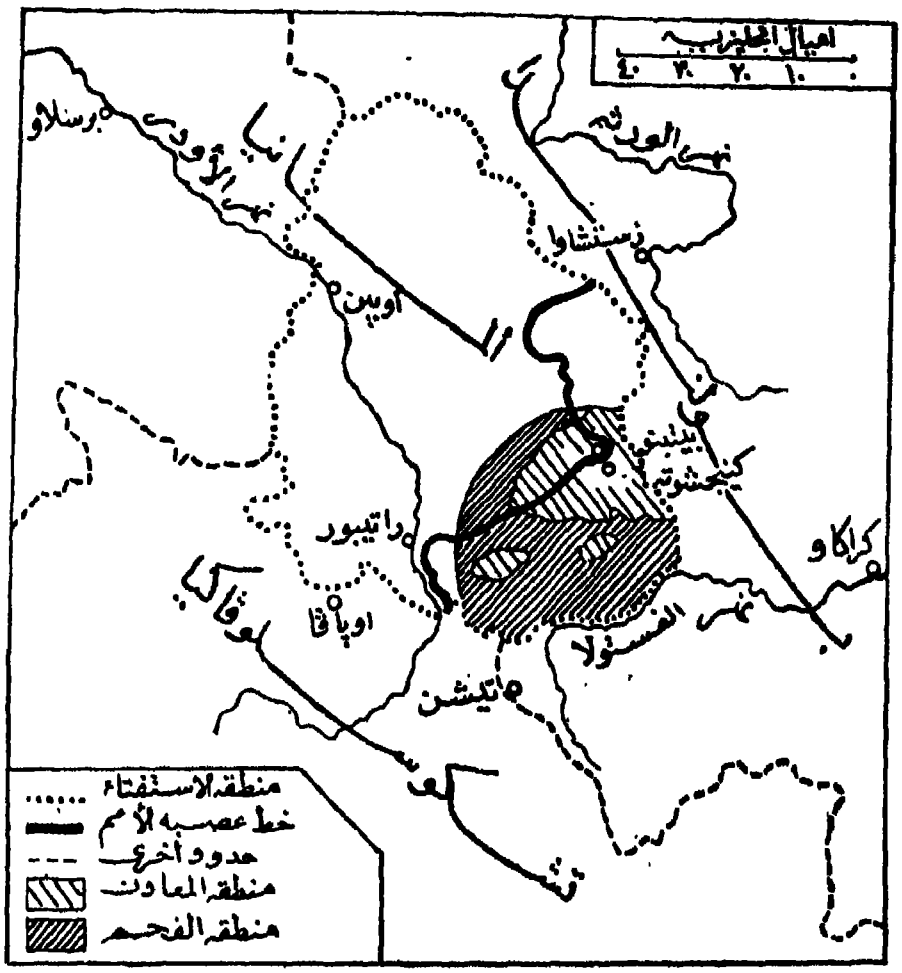

خريطة سيليزيا

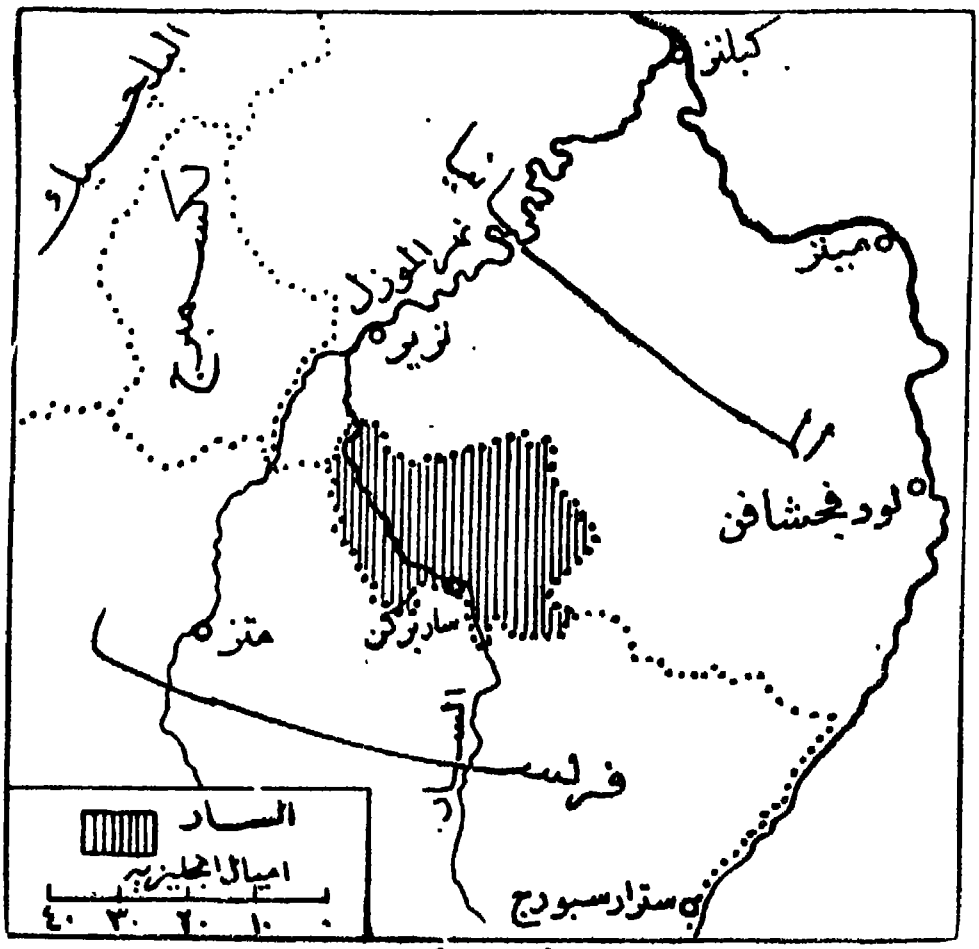
كبلتز
هيتز
نيفر
لودفحشافن
متز
ساربوركن
فرلسبرد
ستراسبورج
السار
اميال انجليزية
٠ ١٠ ٢٠ ٣٠ ٤٠

خريطة السار

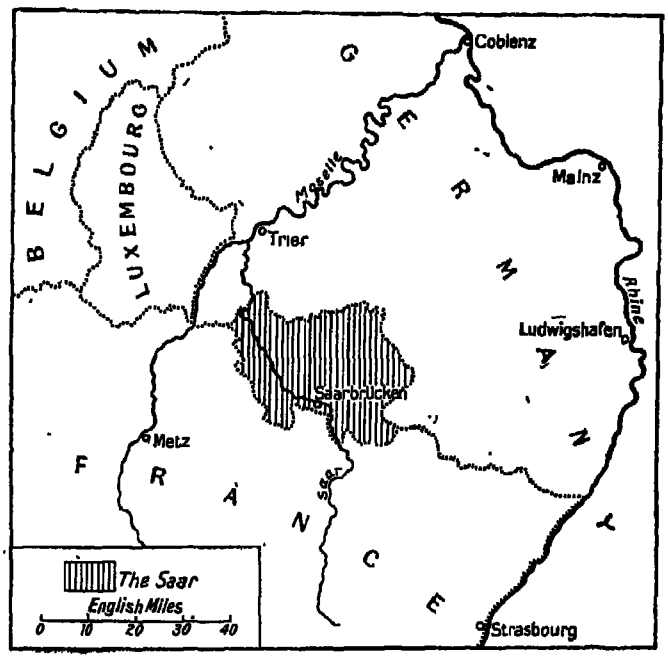
BELGIUM
LUXEMBOURG
GERMANY
FRANCE
Coblenz
Trier
Mainz
Ludwigshafen
Saarbrücken
Metz
Strasbourg
Moselle
Rhine
Saar
The Saar
English Miles
0 10 20 30 40

THE SAAR.

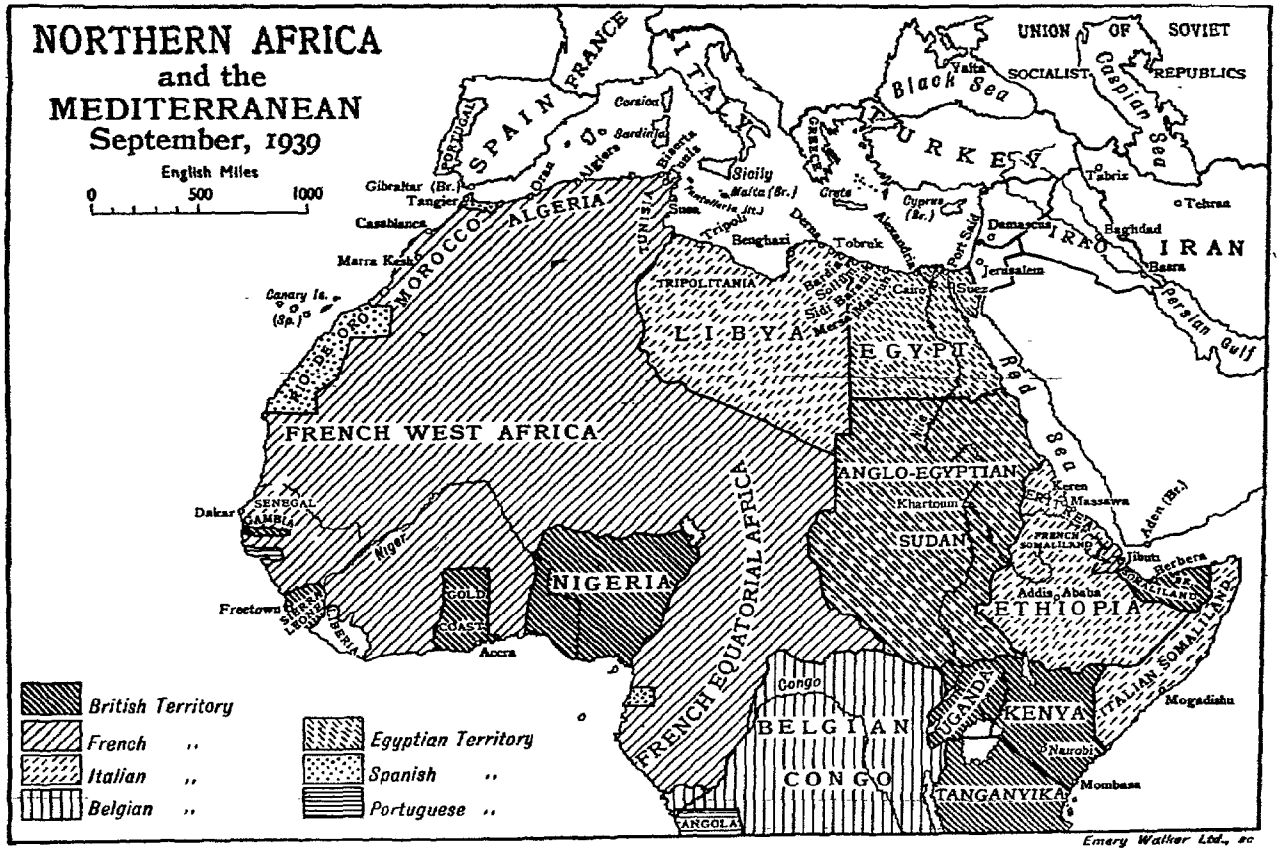

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

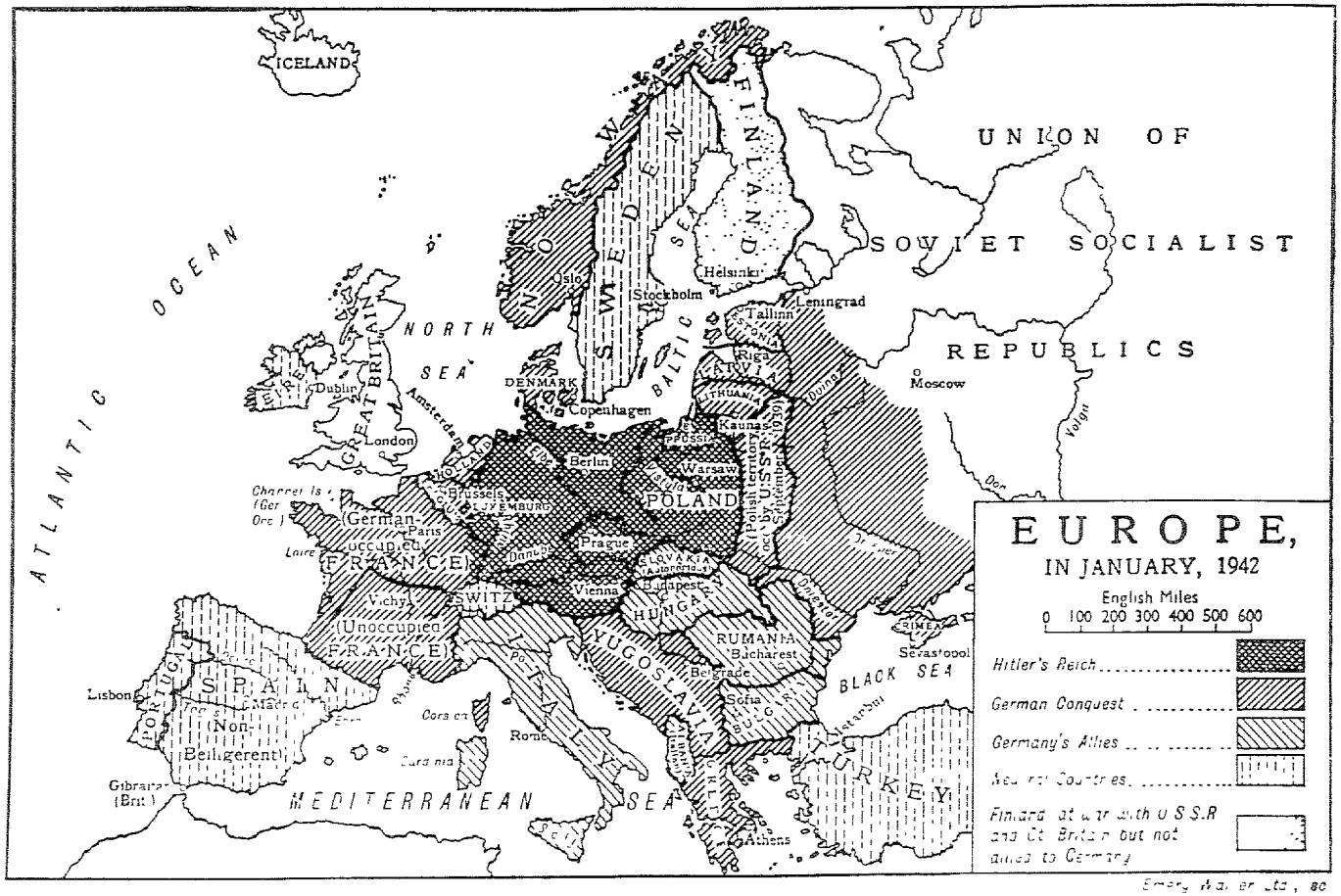

Emery Walker Ltd., sc

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

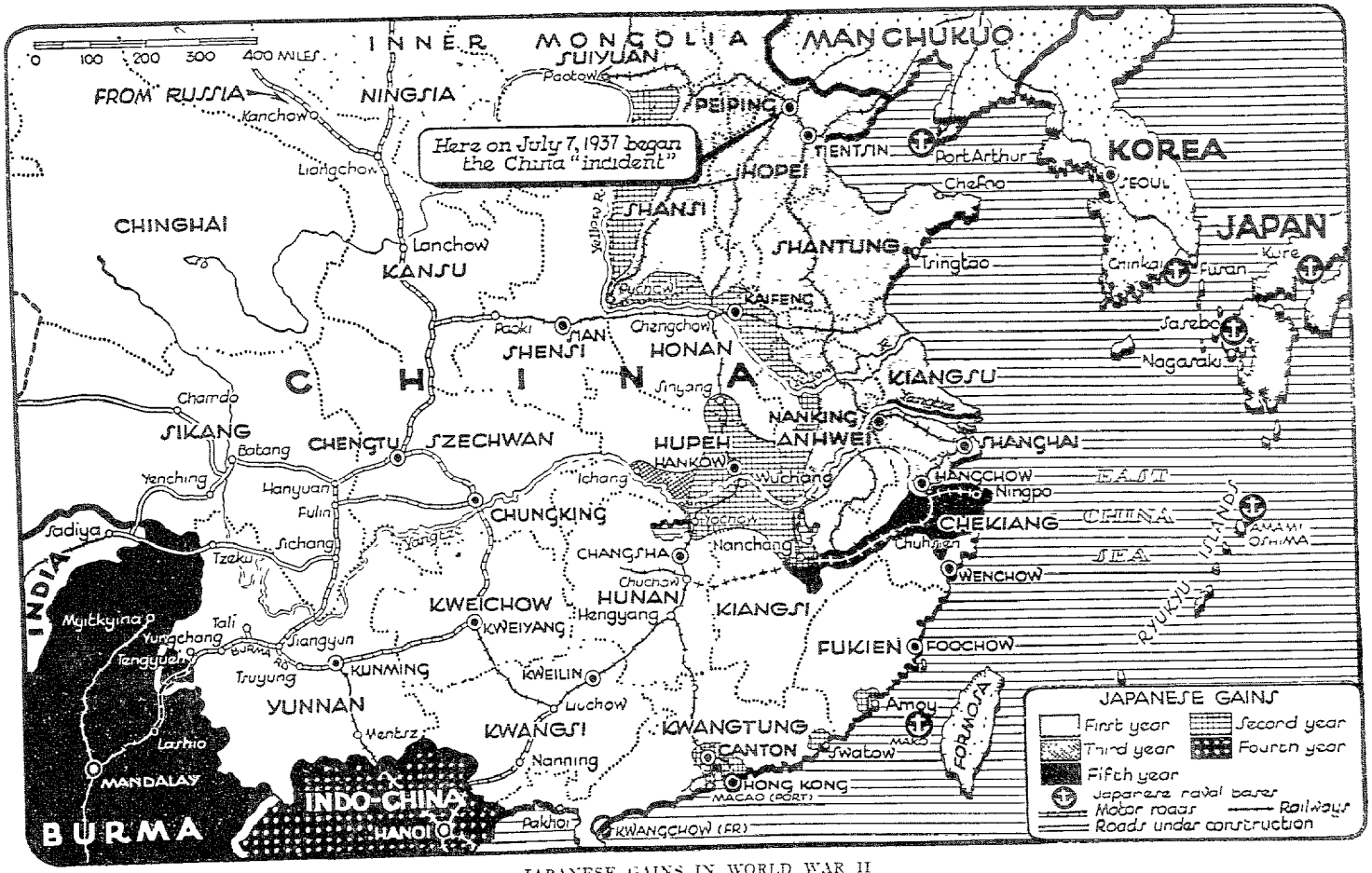

JAPANESE GAINS IN WORLD WAR II

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

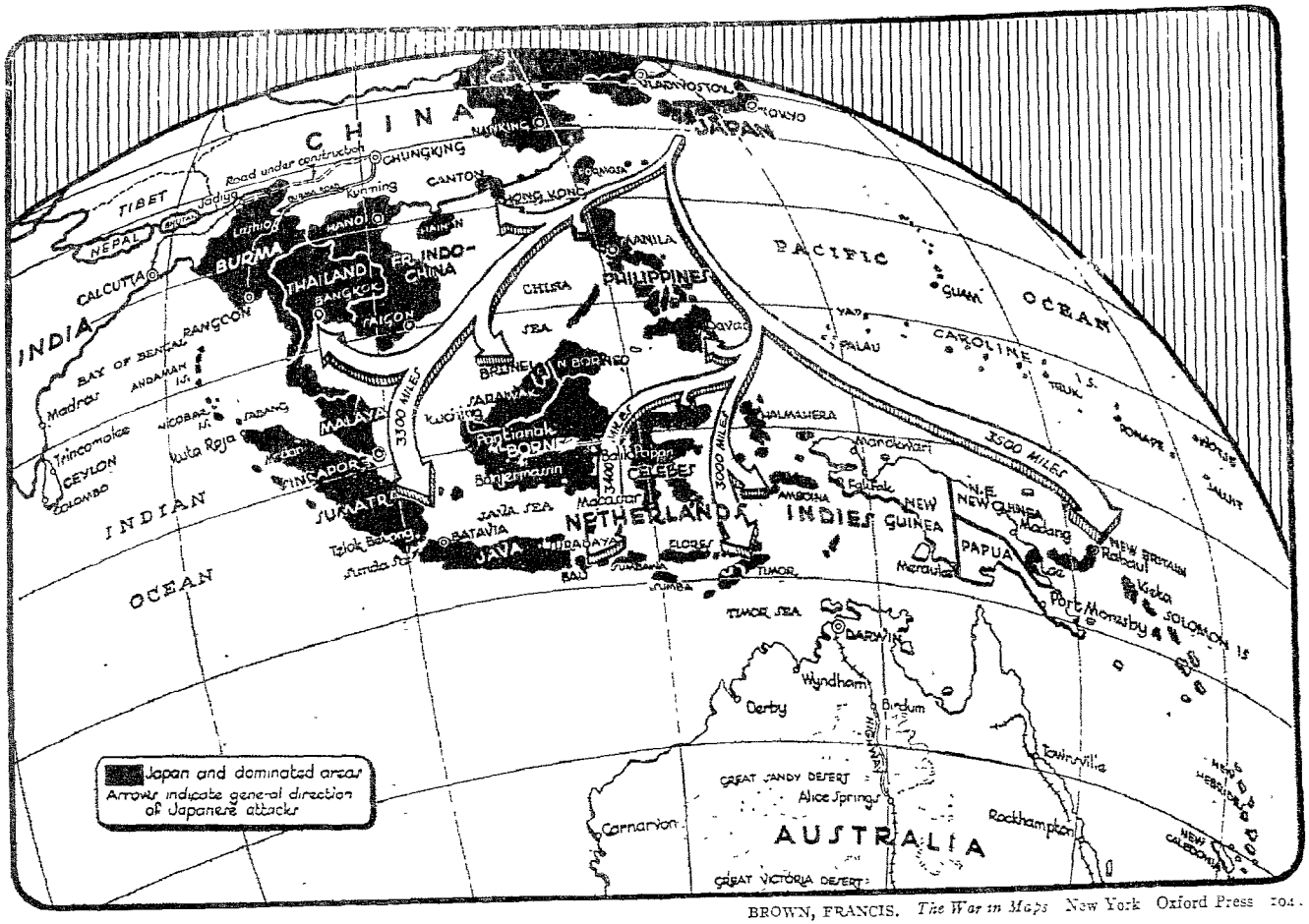

BROWN, FRANCIS. *The War in Maps* New York Oxford Press 194.

JAPANESE ADVANCE INTO ASIA, WORLD WAR II

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

BROWN, FRANCIS *The War in Maps* New York Oxford Press 1944

EUROPE AND AFRICA DURING GERMAN SEIZURE, WORLD WAR II

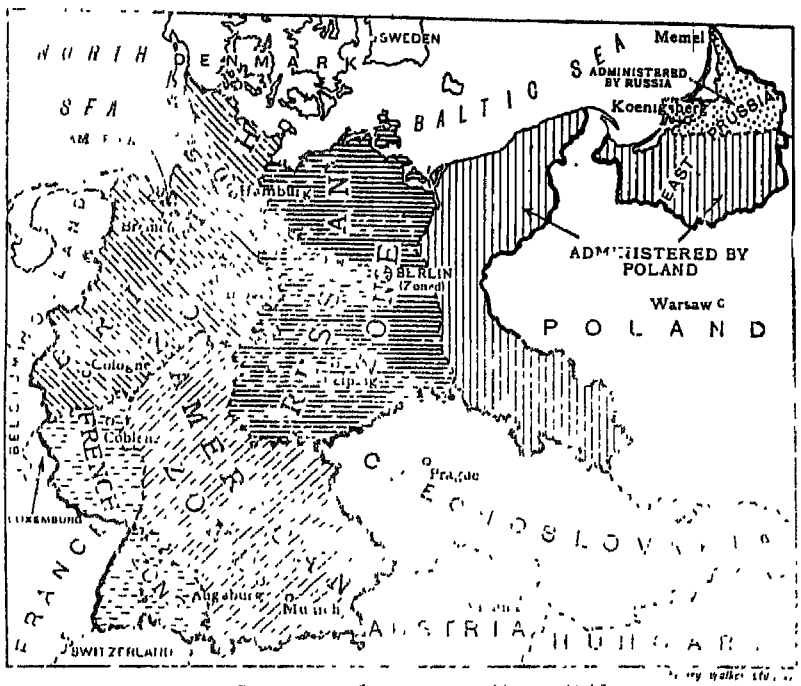

The Division of Germany into Zones 1945

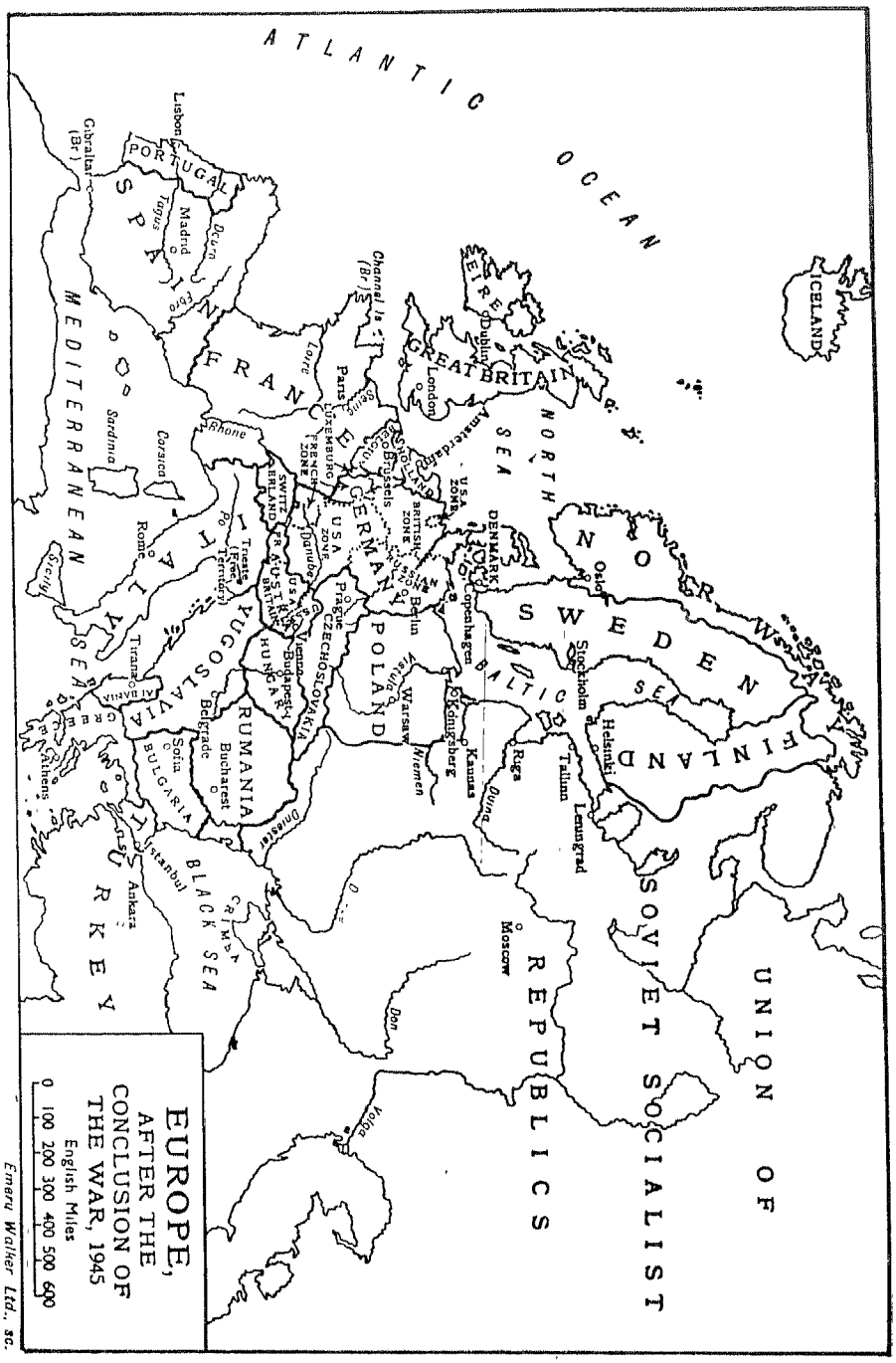
ATLANTIC OCEAN
ICELAND
GREAT BRITAIN
IRELAND
NORTH SEA
NORWAY
SWEDEN
FINLAND
BALTIC SEA
SOVIET UNION OF SOCIALIST REPUBLICS
DENMARK
GERMANY
POLAND
FRANCE
SPAIN
PORTUGAL
MEDITERRANEAN SEA
ITALY
SWITZERLAND
AUSTRIA
HUNGARY
CZECHOSLOVAKIA
RUMANIA
YUGOSLAVIA
ALBANIA
GREECE
BULGARIA
TURKEY
BLACK SEA
Lisbon
Madrid
Gibraltar (Br.)
Paris
London
Dublin
Amsterdam
Brussels
Berlin
Copenhagen
Oslo
Stockholm
Helsinki
Tallinn
Riga
Kaunas
Königsberg
Warsaw
Prague
Vienna
Budapest
Trieste
Rome
Sicily
Sardinia
Corsica
Belgrade
Bucharest
Sofia
Athens
Istanbul
Ankara
Moscow
Leningrad
Channel Is. (Br.)
Rhone
Loire
Seine
Po
Tagus
Ebro
Duero
Dniester
Niemen
Dvina
Volga
Don
EUROPE, AFTER THE CONCLUSION OF THE WAR, 1945
English Miles
0 100 200 300 400 500 600
Emery Walker Ltd., sc.

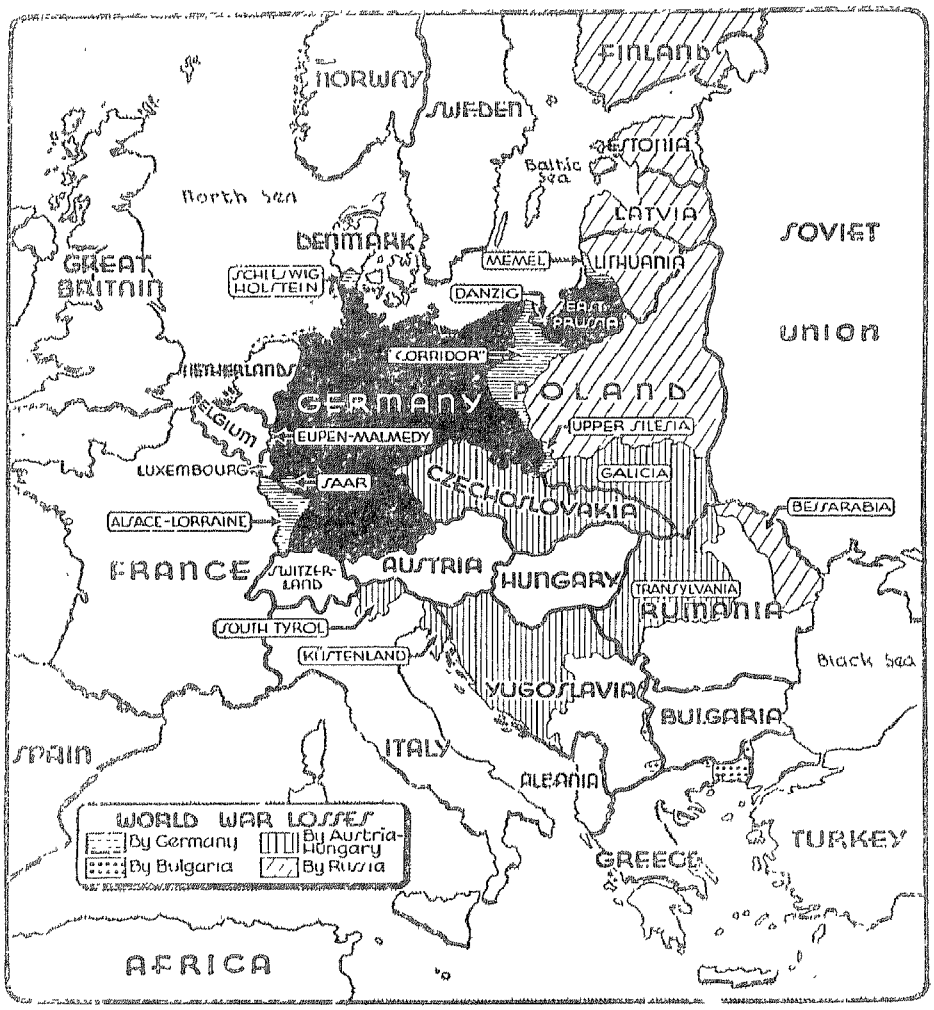
NORWAY
SWEDEN
FINLAND
ESTONIA
Baltic Sea
North Sea
LATVIA
SOVIET
UNION
DENMARK
GREAT BRITAIN
SCHLESWIG HOLSTEIN
MEMEL
LITHUANIA
DANZIG
EAST PRUSSIA
CORRIDOR
NETHERLANDS
GERMANY
POLAND
BELGIUM
EUPEN-MALMEDY
UPPER SILESIA
LUXEMBOURG
SAAR
GALICIA
CZECHOSLOVAKIA
BESSARABIA
ALSACE-LORRAINE
FRANCE
SWITZER-LAND
AUSTRIA
HUNGARY
TRANSYLVANIA
RUMANIA
SOUTH TYROL
KÜSTENLAND
Black Sea
YUGOSLAVIA
BULGARIA
SPAIN
ITALY
ALBANIA
TURKEY
GREECE
AFRICA
WORLD WAR LOSSES
By Germany
By Austria-Hungary
By Bulgaria
By Russia

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

خريطة توضح الأقطار التي تتكلم العربية في شمال أفريقيا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

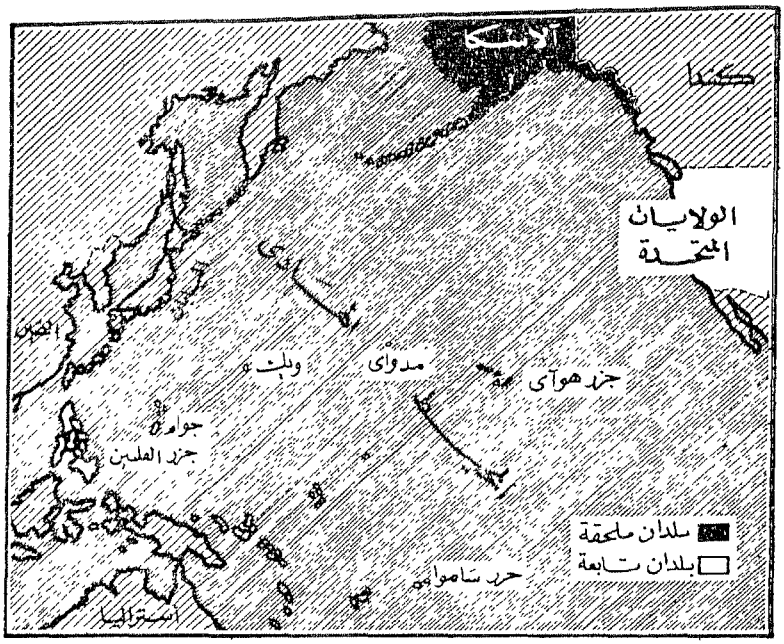

بلدان ملحقة بالولايات المتحدة أو تابعة لها كما هى فى سنة ١٩٤٥

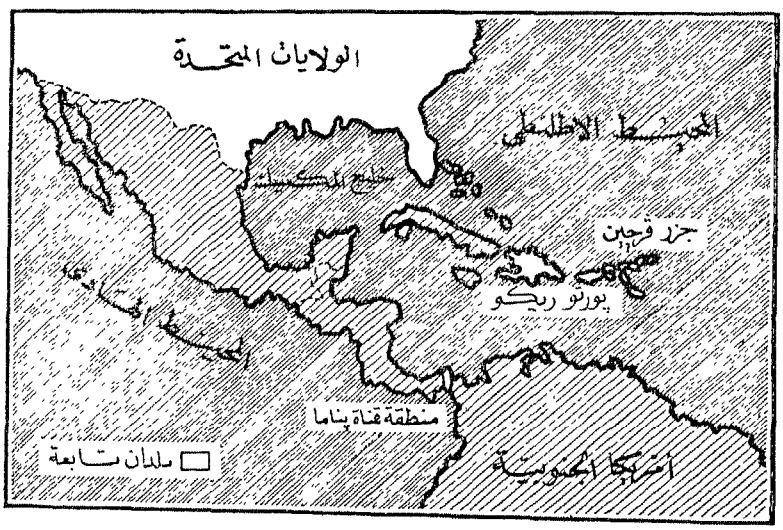

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

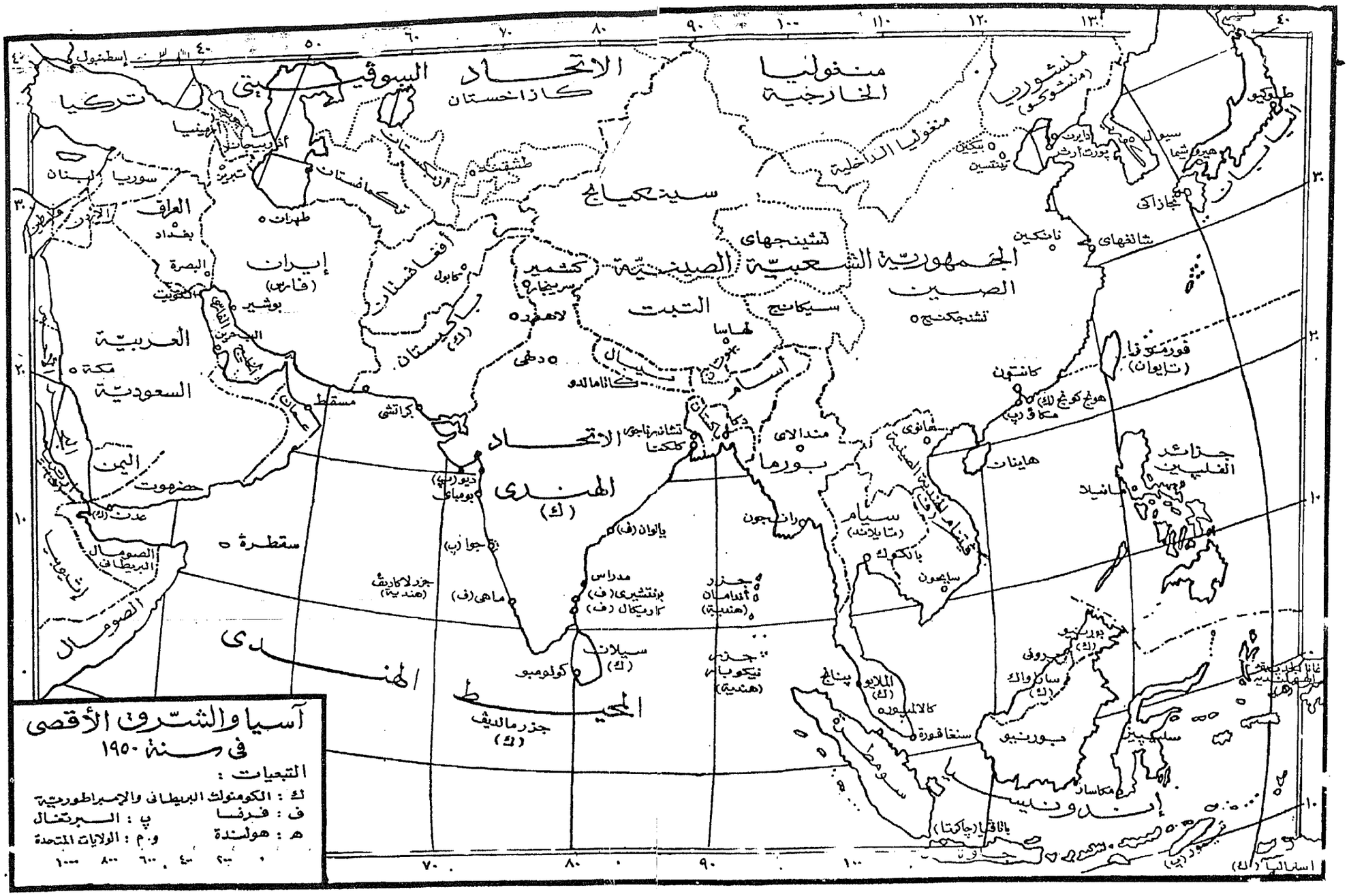

آسيا والشرق الأقصى
في سنة ١٩٥٠

التبعيات :

ك : الكومنولث البريطاني والإمبراطورية

ف : فرنسا — پ : البرتغال

هـ : هولندة — و.م : الولايات المتحدة

٠ ٢٠٠ ٤٠٠ ٦٠٠ ٨٠٠ ١٠٠٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فهرس تفصيلى

تقديم ٥

الفصل العشرون

قيام النازية فى ألمانيا ١٣

قيام جمهورية ڤايمار : ١٥

١ – الهدنة وتنازل القيصر عن العرش ١٥

٢ – الثورة السوفيتية فى ألمانيا ١٧

٣ – قمع الثورة ٢٣

ـ انتخاب الجمعية الوطنية ٢٤

٤– ألمانيا ومعاهدة فرساى ٢٥

٥ – الجيش الألمانى ونظرية «الطعنة فى الظهر» ٢٨

٦– دستور جمهورية ڤايمار ٢٩

٧– تواطؤ النظام القضائى فى ألمانيا مع الجيش ٣٢

٨– موقف جمهورية ڤايمار من الاشتراكية ٣٣

٩– مؤامرات اليمين ضد الجمهورية. ٣٥

١٠– انقلاب كاب ٣٦

١١– انقلاب كار فى ميونيخ ٣٧

١٢– تدهور المارك الالمانى ٣٨

١٣– معركة دفع التعويضات واحتلال فرنسا الروهر ٣٨

١٤– المواجهة بين المستشار الالمانى شتريزمان والمقاومة ٤٢

١٥– مؤامرة الجيش الأسود فى باڤاريا ٤٣

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١٦- تصفية الشيوعين فى باڤاريا ——— ٤٤
١٧- الصراع بين الثالوث الباڤارى وهتلر ——— ٤٥
١٨- انقلاب قاعة الجعة. ——— ٤٦
١٩- سياسة المصالحة مع الحلفاء ——— ٤٨
أ- تسوية دوز ——— ٤٨
ب- اتفاقية لوكارنو ——— ٥٠
جـ- دخول ألمانيا عصبة الأمم. ——— ٥٢
د- مشروع يانج ٥٣
٢٠- الأزمة الاقتصادية ١٩٢٩ ـ ١٩٣٢م ——— ٥٥
٢١- الطريق إلى تولى هتلر الحكم. ——— ٦٠
أ - تقدم النازيين فى الانتخابات البرلمانية ——— ٦٠
ب - تعيين هتلر مستشارا للرايخ ٦٠
جـ - حريق الرايشستاج ——— ٦٢
د - اعلان هتلر الثورة الوطنية ——— ٦٢

الفصل الواحد والعشرون

إيطاليا الفاشيـــة ——— ٦٥

الفصل الثانى والعشرون

المسرح السياسى العالمى بين الحربين ٧٧
أولا: العلاقات الدولية: ——— ٧٩
١- انشاء عصبة الأمم وتغير المسرح العالمى فى أعقاب الحرب
العالمية الأولى. ——— ٧٩

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢ – تغير المسرح العالمى. ٨٠
٣ – من انشاء عصبة الأمم الى اتفاق لوكارنو ١٩٢٥م ٨٢
٤ – من ميثاق لوكارنو إلى تولى النازيين الحكم فى سنة ١٩٣٣م ٨٣
٥ – من تولى النازيين الحكم فى سنة ١٩٣٤ إلى عام ١٩٣٦م ٨٤
٦ – العلاقات الدولية فى سنة ١٩٣٦م ٨٦
٧ – العلاقات الدولية من ١٩٣٧ – ١٩٣٩م ٨٩
٨ – العلاقات بين الاتحاد السوفيتى والدول الإمبريالية ٩١
ثانياً : خريطة العالم السياسية عند قيام الحرب العالمية الثانية: ٩٨
– الإمبراطورية البريطانية ٩٨
– الإمبراطورية الفرنسية ٩٩
– الإمبراطورية الإيطالية ١٠٠
ـ امبراطورية الولايات المتحدة ١٠٠
– الإمبراطورية اليابانية ١٠٢
– الاتحاد السوفيتى ١٠٢

الفصل الثالث والعشـرون

العالم فى الحرب العالمية الثانية ١٠٣

تطورات الحرب ١٠٥

(أولاً) : العلاقات الدولية فى المرحلة الأولى من الحرب (سبتمبر ١٩٣٩ – ديسمبر ١٩٤١م) ١٠٩
١ – العلاقات السوفيتية الألمانية ١٠٩
٢ – العلاقات بين دول المحور ١١٤
٣ – العلاقات الأمريكية البريطانية ١١٨

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(ثانياً) : أوروبا تحت الحكم النازى ١٢٧
(ثالثاً) : فرنسا والإمبراطورية الفرنسية فى أثناء الحرب ١٣١
(رابعاً) : إيطاليا والإمبراطورية الإيطالية فى أثناء الحرب ١٤٩
(خامساً) : الشرق الأقصى تحت الحكم اليابانى ١٥٥

الفصل الرابع والعشرون

العالم بعد الحرب العالمية الثانية ١٦١
أولاً : تقسيم ألمانيا ١٦٣
ثانياً : إيطاليا بعد الحرب ١٧٦
ثالثاً : اليابان بعد الحرب العالمية الثانية ١٧٩
رابعاً : قيام هيئة الأمم المتحدة ١٩١
أولاً : الجمعية العامة ٢٠٠
ثانياً : مجلس الأمن ٢٠١
ثالثاً : المجلس الاقتصادى والاجتماعى ٢٠٢
رابعاً : مجلس الوصاية ٢٠٣
خامساً : محكمة العدل الدولية ٢٠٤
سادساً : الأمانة العامة ٢٠٥
خامساً : تحول أوروبا الشرقية إلى الشيوعية ونشأة الكتلة الشرقية ٢٠٨

الفصل الخامس والعشرون

الامبريالية في القرن العشرين ٢٢١

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل السادس والعشرون

حركة التحرر الوطنى بعد الحرب العالمية الثانية ٢٤٧

الفصل السابع والعشرون

الحرب البـــاردة ٢٦١

(١) قيام الستار الحديدى، مراجعة عامة ٢٦٣

(٢) ظهور العملاق الصينى ٢٧٥

(٣) الحرب الباردة وسياسة الاحتواء ٢٨٧

(٤) العالم تحت استراتيجية «الانتقام الشامل» ٢٩٩

(٥) الصراع الدولى من الحرب الشاملة إلى الحرب المرنة ٣١٠

(٦) استراتيجية الحرب المرنة، والانقضاض على حركات التحرر الوطنى ٣٢١

أولاً : التدخل فى أمريكا اللاتينية ٣٢٣

ثانياً : التدخل فى أفريقيا ٣٢٦

ثالثاً : التدخل فى آسيا ٣٢٨

(٧) مصيدة الحرب المرنة فى فيتنام ٣٣٠

– نظريتا «الدومينو» و«التصعيد». ٣٣١

(٨) الوفاق الدولى Détente ٣٣٤

أ – نتائج سباق التسلح النووى ٣٣٥

ب – تفكك الكتلة الغربية ٣٣٨

جـ – قيام السوق الأوروبية المشتركة ٣٤٤

(٩) انقسام المعسكر الشيوعى وانتهاء الحرب الباردة ٣٤٦

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(١٠) سقوط بؤر الحرب الباردة ٢٥٠
- ألمانيا الاتحادية ٢٥٠
- فيتنام ٢٥١
مراجع للاستزادة ٢٥٧
الخرائط : ٢٦٧

١ ـ خريطة الروهر، المرجع: فيشر: أوروبا فى العصر الحديث.

٢ ـ خريطة الروهر (بالإنجليزية) المرجع : Fiher, History of Europe.

٣ ـ دانزج والممر البولندى، المرجع فيشر: المرجع المذكور.

٤ ـ مثلث سيليزيا، المرجع: فيشر، المرجع المذكور.

٥ ـ خريطة السار، المرجع: فيشر، نفس المصدر.

٦ ـ خريطة السار (بالإنجليزية)، المرجع : Fisher, op. cit.

٧ ـ شمال أفريقيا والبحر المتوسط فى سبتمبر ١٩٣٩ (بالإنجليزية) Grant & Temperley, op.cit.

٨ ـ أوروبا فى يناير ١٩٤٢ (بالإنجليزية) Ibid.

٩ ـ التوسع اليابانى فى الحرب العالمية الثانية (بالإنجليزية)، المرجع: Langer, An Encyclopedia of World Histary.

١٠ ـ اليابان والمناطق التى خضعت لنفوذها فى الحرب العالمية الثانية (بالإنجليزية) المرجع : Langer, op.cit.

١١ ـ أوروبا وأفريقيا فى قبضة الاحتلال الألمانى أثناء الحرب العالمية الثانية (بالإنجليزية) Ibid.

١٢ ـ تقسيم ألمانيا الى مناطق فى عام ١٩٤٥ (بالإنجليزية)، المرجع :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

.Grant & Temperley, op.cit

١٣ ـ أوروبا عند نهاية الحرب العالمية الثانية فى عام ١٩٤٥ (بالإنجليزية)، المرجع : Ibid.

١٤ ـ الأراضى التى خسرتها الدول فى الحرب العالمية الثانية (بالإنجليزية) Langer, op.cit.

١٥ ـ الولايات المتحدة الأمريكية فى سنة ١٩٤٥، المرجع: ستيفن فنسنت بنيه: أمريكا.

١٦ ـ الولايات المتحدة اليوم (بالإنجليزية)، المرجع: Faulkner, American Political & Social History.

١٧ ـ خريطة بالبلدان الملحقة بالولايات المتحدة أو التابعة لها فى سنة ١٩٤٥، المرجع : فنسنت بنيه: نفس المصدر.

١٨ ـ آسيا والشرق الأقصى فى سنة ١٩٥٠، المرجع: بانيكار: آسيا والسيطرة الغربية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٧/٢٥٨٥

I.S.B.N- 977 - 01 - 5099 - 1

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يختلف هذا الكتاب عن كتب المدرسة التقليدية التى تنظر إلى التاريخ من منظور سياسى فتقلبه على قدميه وتقدم فيه النتائج على المقدمات. فهو يبدأ بظهور الطبقة البورجوازية التى غيرت وجه الحياة فى أوروبا والعالم، ويتتبع نتائج ظهور هذه الطبقة. كما تمثلت فى النهضة الأوروبية، وحركة الإصلاح الدينى، وظهور الدول القومية على أنقاض الاقطاع. ويتناول تطلع هذه الدول القومية إلى التوسع داخل أوروبا وخارجها مما يؤدى إلى نشوب الحروب الإيطالية من جهة، وإلى الكشوف الجغرافية والحركات الاستعمارية من جهة أخرى.

ويتعرض الكتاب للتطورات التى أحدثتها هذه الطبقة البورجوازية فى النظام السياسى فى أوروبا، وانتقالها به من نظام الملكية المطلقة إلى نظام الملكية المستبدة الدستورية فيما عدا فرنسا، الأمر الذى يؤدى إلى نشوب الثورة الفرنسية للقضاء على بقايا الاقطاع وإسقاط الحق الإلهى للملوك فى الحكم، فتهب الأسر الحاكمة فى أوروبا للقضاء على الثورة الفرنسية، وتنشب حروب الثورة ونابوليون التى تنتهى بهزيمة نابوليون، وإعادة الدول المنتصرة تقسيم العالم فى مؤتمر فيينا سنة ١٨١٥م، فيبدأ عصر الثورات القومية والدستورية الذى ينتهى بتوحيد إيطاليا على يد كافور وألمانيا على يد بسمارك، ويشتعل التنافس الاستعمارى بين الاستعمار الجديد والاستعمار القديم على نحو يؤدى إلى نشوب الحرب العالمية الأولى التى تسقط فيها أربع امبراطوريات.

وتقوم ألمانيا النازية بعد الحرب على أنقاض القيصرية، فتشعل نيران الحرب العالمية الثانية التى تنتهى بهزيمة الفاشية والنازية، وانقسام العالم إلى معسكرين رأسمالى واشتراكى، وتنشب بين المعسكرين حرب من نوع جديد هى الحرب الباردة فى ظل التوازن الذرى، ويظهر العالم الثالث ودول عدم الانحياز، ويتغير العالم القديم.

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب